الجلد الاول من كتاب الشافي المرتضى

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق الاشياء فقدرها تقديرا • وصور شكل الانسان فاحسنه تصويرا • ومنحه بالعقل وجعله سميعا بصيرا • وشرفه بما وهبه من العلم ونور
قلبه تنويرا • وهداه الى معرفته فنال بها نعمة وفضلا كبيرا • وانطق لسانه فاذعن بشكره تحميدا وتهليلا وتكبيرا • وارسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى كافة الخلق بشيرا
ونذيرا • واودعه حكمة وحكما وترغيبا وتحذيرا • والهم حفاظه تلاوته وتحبيرا • وعلم عباده علومه تفهيما وتبصيرا • وضرب فيه الامثال البينات بها تبيانا
وتحبيرا • وجعله برهانا واضحا وصوابا لائحا ووفر فضله توفيرا • فى القدر محفوظا وبالالسنة متلوا وفى الصحف مسطورا • يهدى للتى هى اقوم
ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا • وجعل كل بليغ عن الاتيان بسورة مثله حسيرا • قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان
يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا **احمده** على تواتر نعمه حمدا كثيرا • واتوكل عليه مفوضا اليه امرى وستجيرا • واشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يغدو قلب قائلها مطمئنا مستنيرا • واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذى كساه من فضله عزا ومهابة ونورا
صلى الله عليه وعلى اله واصحابه كما اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا **وبعد** فان الله جل ذكره وتقدس اسمه ارسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم
بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين • وبشيرا للمؤمنين • ونذيرا للمخالفين • اكمل به بنيان النبوة • وختم به ديوان الرسالة • واتم به مكارم الاخلاق
ونشر فضله بالافاق • وانزل عليه نورا هدى به من الضلالة • وانقذ به من الجهالة • وحكم بالفوز والفلاح لمن اتبعه • وبالخسار لمن اعرض عنه بعد
ما سمعه • اعجز الخلائق عن معارضته حين تحداهم على ان يأتوا بسورة من مثله فى مقابلته • ثم سهل على عباده المؤمنين مع اعجازه تلاوته
ويسر على الالسن قراءته • امر فيه وزجر • وبشر وانذر • وذكر المواعظ ليتذكر • وضرب فيه الامثال ليتدبر • وقص فيه من اخبار الماضين
ليعتبر • ودل فيه على ايات التوحيد ليتفكر • ثم لم يرض منا بسرد حروفه دون حفظ حدوده • ولا باقامة كلماته دون العمل بمحكماته ولا بتلاوته
دون تدبر اياته فى قراءته • ولا بدرسه دون تعلم حقايقه • وتفهيم دقايقه • ولا حصول لهذه المقاصد الا بدراية تفسيره واحكامه
ومعرفة حلاله وحرامه • واسباب نزوله واقسامه • والوقوف على ناسخه ومنسوخه فى خاصه وعامه • فانه ارسخ العلوم اصلا
واسبغها فرعا وفصلا • واكرمها نتاجا • وانورها سراجا • فلا شرف الا وهو السبيل اليه ولا خير الا وهو الدال عليه • وقد قيض الله له
رجالا موفقين • وبالحق ناطقين • حتى صنفوا فى سائر علومه المصنفات • وجمعوا سائر فنونه المتفرقات • كل على قدر فهمه
ومبلغ علمه نظرا للخلف فشكر الله سعيهم ورحم كافتهم **كان** كتاب معالم التنزيل الذى صنفه الشيخ الجليل • والحبر النبيل • الامام العالم
الكامل • محيى السنة قدوة الامة وامام الائمة • مفتى الفرق ناصر الحديث • ظهير الدين ابو محمد الحسين بن مسعود البغوى قدس الله
روحه ونور ضريحه • من اجل المصنفات فى علم التفسير واعلاها وانبلها واسناها • جامعا للصحيح من الاقاويل • عاريا عن الشبه
والتصحيف والتبديل • محلى بالاحاديث النبوية • مطرزا بالاحكام الشرعية • موشيا بالقصص الغريبة • واخبار الماضين العجيبة
مرصعا باحسن الاشارات • مخرجا باوضح العبارات • مفرغا فى قالب الجمال بافصح مقال فرحم الله تعالى مصنفه واجزل ثوابه
وجعل الجنة متقلبه ومآبه **ولما كان** هذا الكتاب كما وصفت احببت ان انتخب من غرر فوائده • ودرر فرائده • وزواهر نصوصه
وجواهر فصوصه مختصرا جامعا لمعانى التفسير • ولباب التأويل والتعبير • حاويا لخلاصة منقوله • متضمنا لنكته
واصوله • مع فوائد نقلتها • وفرائد لخصتها • من كتب التفاسير المصنفة • فى سائر علومه المؤلفة • ولم اجعل
لنفسى تصرفا سوى النقل والانتخاب • مجتنبا حد التطويل والاسهاب • وحذفت منه الاسناد • لانه اقرب
الى تحصيل المراد • فما اوردت فيه من الاحاديث النبوية • والاخبار المصطفوية • على تفسير اية او بيان
حكم • فان الكتاب يطلب بيانه من الكتاب والسنة • وعليهما مدار الشرع واحكام الدين • عزوته
الى مخرجه • وبينت اسم ناقله • وجعلت عوض كل اسم حرفا يعرف به • ليهون على الطالب طلبه

فما كان من صحيح ابى عبد الله محمد بن اسمعيل البخارى فعلامته قبل ذكر الصحابى الراوى للحديث **خ**
وما كان من صحيح ابى الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى فعلامته **م** وما كان مما اتفقا عليه
فعلامته **ق** وما كان من كتب السنن كسنن ابى داود والترمذى والنسائى فانى اذكر اسمه
بغير علامة • وما لم اجده فى هذه الكتب • ووجدت البغوى قد اخرجه بسند له انفرد به قلت روى
البغوى بسنده • وما رواه البغوى باسناد الثعلبى قلت روى البغوى باسناد الثعلبى وما كان
فيه من احاديث زائدة او الفاظ متغيرة فاعتمده • فانى اجتهدت فى تصحيح ما اخرجته من الكتب
المعتبرة عند العلماء كالجمع بين الصحيحين للحميدى • وكتاب جامع الاصول لابن الاثير الجزرى
ثم انى عوضت من حذف الاسناد بشرح غريب الحديث وما يتعلق به ليكون اكمل فائدة فى
هذا الكتاب • واهون على الطلاب • وسقته بابلغ ما قدرت عليه من الايجاز وحسن الترتيب مع
التسهيل والتقريب **وينبغى** لكل مؤلف كتابا فى فن قد سبق اليه ان لا يخلو كتابه من خمس فوائد
استنباط شىء كان معضلا او جمعه ان كان مفرقا او شرحه ان كان غامضا او حسن نظم وتاليف
واسقاط حشو وتطويل وارجو ان لا يخلو هذا الكتاب عن هذه الخصال التى ذكرت **وسميته**
لباب التأويل فى معانى التنزيل والله تعالى اسأل التوفيق لاتمام ما قصدت واليه رغبت فى تيسير ما
اردت وان يجعله خالصا لوجهه الكريم وان يتقبله منى انه هو السميع العليم وهو حسبى ونعم الوكيل
وقبل ان اشرع فى الكلام على التفسير اقدم مقدمة تتضمن ثلاثة فصول **الفصل الاول**
فى فضل القران وتلاوته وتعليمه **م** عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا
خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال اما بعد الا ايها
الناس انما انا بشر يوشك ان يأتينى رسول ربى فاجيب وانى تارك فيكم ثقلين اولهما
كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به • فحث على كتاب الله ورغب فيه • ثم قال
واهل بيتى اذكركم الله فى اهل بيتى زاد فى رواية كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به واخذ
كان على الهدى • ومن تركه كان على ضلالة • وفى رواية الترمذى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى احدهما اعظم من الاخر وهو كتاب الله حبل ممدود من
السماء الى الارض • وعترتى اهل بيتى لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما
م عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال اما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يرفع بهذا الكتاب
اقواما ويضع به اخرين عن الحارث الاعور قال مررت فى المسجد فاذا الناس يخوضون فى الاحاديث
فدخلت على على فقلت يا امير المؤمنين الا ترى الناس قد خاضوا فى الاحاديث قال او قد فعلوها
قلت نعم • قال اما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا انها ستكون فتنة فقلت
ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل
ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره اضله الله وهو حبل الله المتين وهو
الذكر الحكيم • وهو الصراط المستقيم • وهو الذى لا تزيغ به الاهواء • ولا تلتبس به الالسنة ولا يشبع منه
العلماء • ولا يخلق عن كثرة الرد • ولا تنقضى عجائبه هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا
قرانا عجبا يهدى الى الرشد فامنا به من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن
دعا اليه هدى الى صراط مستقيم • خذها اليك يا اعور اخرجه الترمذى • وقال حديث غريب

واسناده مجهول وفي الحارث مقال قوله هو الفصل اي الفاصل بين الحق والباطل ليس بالهزل
اي جد كله ليس فيه شيء من الهزل والجبار في صفة الادمي هو المتسلط العاتي المتكبر على الناس قصمه الله
اي اهلكه قوله هو حبل الله المتين يرد على وجوه منها العهد ومنها الامان فاذا اعتصم به الانسان
اداه الله تعالى الى جواره والذكر الشرف والحكيم المحكم العاري من الاختلاف والاضطراب والصراط المستقيم
الطريق الواضح ومعنى لا تزيغ به الاهواء اي لا تميل عن الحق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القران كالبيت الخرب اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح خ عن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القران وعلمه ق عن عائشة
رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقران مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القران
ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران قوله الماهر بالقران يعني الحاذق الكامل الحفظ الجيد التلاوة مع
السفرة جمع سافر وهو الرسول من الملائكة سمي بذلك لانه يسفر برسالات الله الى انبيائه وقيل السفرة
الكتبة من الملائكة والبررة المطيعون لله تعالى فيما يامر به ومعنى كونه مع الملائكة ان له منازل في الجنة يكون
فيها رفيقا لهم وقوله يتتعتع اي يتردد في تلاوته لضعف حفظه له اجران يعني له اجر بسبب القراءة
واجر بسبب تعبه فيها والمشقة التي تحصل له فيها وليس معناه ان له اجرا اكثر من الماهر بل الماهر افضل منه
واكثر اجرا ق عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن الذي يقرأ القران
كالاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القران كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح
لها ومثل الفاجر الذي يقرأ القران كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل الفاجر الذي لا يقرأ
القران كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها فيه دليل على فضيلة حفاظ القران واستحباب ضرب الامثال
لايضاح المقاصد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا
من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف
وميم حرف اخرجه الترمذي وقال حسن صحيح غريب وقد رفعه بعضهم عن ابن مسعود ووقفه
بعضهم عليه وعن ابن عباس قال قال ~~قال النبي صلى الله عليه وسلم~~ رجل يا رسول الله اي الاعمال احب
الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من اول القران الى اخره
كلما حل ارتحل اخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القران اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك
عند اخر اية تقرؤها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال يجيء القران يوم القيمة فيقول يا رب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول
يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى عنه فيقال اقرأ وارق ويزاد بكل
اية حسنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن عن سهل بن معاذ الجهني عن ابيه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من قرأ القران وعمل به البس والداه تاجا يوم القيمة ضوءه احسن من ضوء
الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا اخرجه ابو داود عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القران فاستظهره فاحل حلاله وحرم
حرامه ادخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت له النار اخرجه الترمذي وقال
حديث غريب وليس له اسناد صحيح ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقران يجهر به معنى اذن في اللغة استمع ولا يحمله على الاصغاء
فانه يستحيل على الله تعالى بل هو كناية عن تقريبه قارئ القران واجزال ثوابه وذلك لان سماع
الله لا يختلف فوجب تاويل الحديث وقوله يتغنى بالقران اي يحسن صوته ويكون ذلك مع
تحزين وترقيق في القراءة وقيل معناه يستغني به عن الناس والقول الاول اولى ويدل
عليه سياق الحديث وهو قوله يجهر به خ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس منا من لم يتغن بالقران

الفصل الثاني في وعيد من قال في القران برايه

من غير علم ووعيد من اوتي القران فنسيه ولم يتعاهده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القران بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وفي رواية من قال
في القران برايه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله فليتبوأ مقعده معناه فليتخذ له مبوأ
اي منزلا من النار عن جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله برايه
فاصاب فقد اخطأ اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب وسئل ابو بكر الصديق
رضي الله عنه عن قوله تعالى وفاكهة وابا فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب
الله بغير علم قال العلماء النهي عن القول في القران بالراي انما ورد في حق من يتاول القران
على مراد نفسه وما هو تابع لهواه وهذا لا يخلو اما ان يكون عن علم اولا فان كان عن علم كمن يحتج
ببعض ايات القران على تصحيح بدعته وهو يعلم ان المراد من الاية غير ذلك لكن غرضه ان يلبس
على خصمه بما يقوي حجته على بدعته كما تستعمله الباطنية والخوارج وغيرهم من اهل البدع في المقاصد
الفاسدة ليغروا بذلك الناس وان كان القول بالقران بغير علم لكن من جهل وذلك ان تكون
الاية محتملة لوجه فيفسرها بغير ما تحتمله من المعاني والوجوه وهذان القسمان مذمومان وكلاهما ع وكلاهما
دخل في النهي والوعيد الوارد في ذلك فاما التاويل وهو صرف الاية على طريق الاستنباط
الى معنى يليق بها محتمل لما قبلها وما بعدها وغير مخالف للكتاب والسنة فقد رخص فيه اهل
العلم فان الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القران واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه
سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ولكن على قدر ما فهموا من القران تكلموا في معانيه وقد دعا النبي
صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فكان اكثر ما نقل عنه
التفسير والله اعلم ق عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدوا
هذا القران فوالذي نفس محمد بيده لهو اشد تفلتا من الابل في عقلها ق عن ابن عمر رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القران كمثل صاحب الابل المعقلة ان تعاهد
عليها امسكها وان اطلقها ذهبت الابل المعقلة التي حبست بالعقال وهذا مثل ضربه الله
لصاحب القران وفيه الحث على تعاهده بكثرة التلاوة والتكرار لئلا ينسى ق عن عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس ما لاحدهم ان يقول نسيت اية
كيت وكيت بل نسي استذكروا القران فانه اشد تفصيا من صدور الرجال من النعم في عقلها وفي رواية
لا يقل احدكم نسيت اية كذا وكذا بل هو نسي قوله بئس ما لاحدهم اي بئس الحالة حالة من
حفظ القران ثم غفل عنه حتى نسيه قوله لا يقل احدكم نسيت اية كذا وكذا معناه انه اكره

نسبة النسيان الى النفس لاجل ان الله تعالى هو المقدر للاشياء كلها وهو الذى انساه اياه
وقيل اصل النسيان الترك فكره ان يقول تركت القران وقصدت الى نسيانه وقوله بل
نُسّى هو بضم النون وتشديد السين وفتح الياء اى عوقب بالنسيان على ذنب صدر منه
اوليسوء تعهد القران وقوله اشد تفصيا اى خروجا من صدور الرجال وفى معناه تفلتا
من الابل من عقلها اى تخلصا من العقال وهو الحبل الذى يربط به عن سعد بن عبادة
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ يقرأ القران ثم ينساه الا لقى الله
يوم القيمة اجذم اخرجه ابو داود قيل هو مقطوع اليد وقيل مقطوع الحجة وقيل هو الذى به
جذام عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت على اجور امتى حتى
القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب امتى فلم ار ذنبا اعظم من سورة من
القران او اية اوتيها رجل ثم نسيها اخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث غريب ق
عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسافروا بالقران الى ارض
العدو مخافة ان يناله العدو اراد بالقران المصحف فلا يجوز حمله الى بلاد العدو وهى بلاد الكفار
مخافة السوء للنهى الوارد فيه ولو كتب كتابا فيه اية من القران فلا باس بذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم
كتب الى هرقل ملك الروم قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم عن عمران بن حصين
انه مر على رجل يقرأ ثم سال فاسترجع ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ القران
فليسال الله به فانه سيجئ اقوام يقرؤن القران يسالون به الناس اخرجه الترمذى عن صهيب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امن بالقران من استحل محارمه اخرجه الترمذى وقال
ليس اسناده بالقوى عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الجاهر بالقران كالجاهر بالصدقة والمسر بالقران كالمسر بالصدقة اخرجه الترمذى وقال
حديث حسن غريب **الفصل الثالث** فى جمع القران وترتيب نزوله وفى كونه نزل على
سبعة احرف خ عن زيد بن ثابت قال بعث الى ابو بكر بمقتل اهل اليمامة وعنده عمر فقال
ابو بكر ان عمر جاءنى فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القران وانى اخشى ان يستحر
القتل بالقراء فى كل المواطن فيذهب من القران كثير وانى ارى ان تامر بجمع القران قال قلت
لعمر كيف افعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل يراجعنى
فى ذلك حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر عمر ورايت فى ذلك الذى راى عمر قال زيد فقال
لى ابو بكر وانك رجل شاب عاقل ولا نتهمك قد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فتتبع القران واجمعه قال زيد فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان اثقل على مما امرنى به
من جمع القران فقلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر هو
والله خير فلم يزل ابو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر ابى بكر وفى رواية فلم يزل
عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر ابى بكر وعمر ورايت فى ذلك الذى رايا
قال فتتبعت القران اجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت
اخر سورة التوبة مع خزيمة او مع ابى خزيمة الانصارى لم اجدها مع احد غيره لقد جاءكم رسول
من انفسكم خاتمة براءة فالحقتها فى سورتها قال فكانت الصحف عند ابى بكر حياته حتى توفاه الله

ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر قال بعض الرواة اللخاف يعنى الخزف
خ عن انس ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى اهل الشام فى فتح ارمينية واذربيجان
مع اهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال حذيفة لعثمان يا امير المؤمنين
ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فارسل عثمان الى حفصة
ان ارسلى الينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها اليك فارسلت بها اليه فامر زيد بن ثابت
وعبد الله بن الزبير وسعد بن الوقاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف
وقال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت فى شئ من القران فاكتبوه
بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف فى المصاحف ورد عثمان الصحف
الى حفصة وارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا وامر بما سوى ذلك من القران فى كل صحيفة او مصحف
ان يحرق قال ابن شهاب واخبرنى خارجة بن زيد انه سمع زيد بن ثابت يقول فقدت اية من سورة
الاحزاب حين نسخت الصحف قد كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها
مع خزيمة بن ثابت الانصارى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية فالحقناها
فى سورتها فى المصحف قال فى رواية ابى اليمان مع خزيمة بن ثابت الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
شهادته شهادة رجلين زاد فى رواية اخرى قال ابن شهاب اختلفوا يومئذ فى التابوت فقال
زيد التابوه وقال عبد الله بن الزبير وسعد بن الوقاص التابوت فرفع اختلافهم الى عثمان
فقال اكتبوه التابوت فانه بلسان قريش **شرح غريب الفاظ الحديث وما يتعلق بهما**
قوله بعث الى ابو بكر لمقتل اهل اليمامة اى لاوان قتلهم واراد به الوقعة التى باليمامة فى زمن ابى بكر الصديق
وهى وقعة الردة مع اصحاب الردة فقتل فيها خلق كثير من قراء القران واليمامة مدينة باليمن
على يومين من الطائف وعلى اربعة ايام من مكة ولها عمائر وهى فى عداد ارض نجد قوله استحر
القتل اى كثر وينسب المكروه الى الحر والمحبوب الى البرد وشرح الصدر سعته وقبوله الخير
قوله فتتبعت القران اجمعه من الرقاع جمع رقعة وهى ما يكتب فيها والعسب بضم العين والسين
جمع عسيب وهو جريد النخل وسعفه واللخاف حجارة بيض رقاق واحدتها لخفة قوله
يغازى اهل الشام اى مع اهل الشام فى فتح ارمينية بكسر الهمزة وتخفيف الياء لا غير سميت
بارمينى بن لمطى بن لومن بن يافث بن نوح وهو اول من نزلها سميت به واذربيجان بفتح
الهمزة وسكون الذال وغير ذلك فى ضبطها وقال ابن جنى فيها خمس موانع من الصرف التعريف
والتانيث والعجمة والتركيب والالف والنون وهو موضع من بلاد العجم مشتمل على بلاد كثيرة
قوله حتى وجدت اخر سورة التوبة مع خزيمة او ابى خزيمة وفى الحديث الاخر فقدت اية من
سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصارى من المؤمنين رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه الاية فاعلم ان المذكور فى الحديث الاول غير المذكور فى الحديث الثانى وهما
قضيتان فاما المذكور فى الحديث الاول فهو ابو خزيمة بن اوس بن يزيد بن اصرم بن ثعلبة
بن عمرو بن مالك بن النجار الانصارى شهد بدرا وما بعدها وتوفى فى خلافة عثمان وهو الذى
وجدت عنده اخر سورة التوبة كذا ذكره ابن عبد البر واما المذكور فى الحديث الثانى فهو
ابو عمارة خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الخطمى الاوسى الانصارى يعرف بذى الشهادتين

شهد بدرا وما بعدها وقتل يوم صفين مع علي بن ابي طالب **قوله** فقدت اية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة
معناه انه كان يتطلب لنسخ القران من الاصل الذي كتب بامر النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه فلم يجد تلك الاية الا مع خزيمة
وليس فيه اثبات القران بقول الواحد لان زيدا كان قد سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم موضعها من سورة الاحزاب بتعليم رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما صرح به الحديث قد كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بها وتتبعه الرجال كان للاستظهار لا للاستحداث
علم لان القران العزيز كان محفوظا عند زيد وغيره من الصحابة• فقد ثبت في الصحيح عن انس قال جمع القران على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم اربعة كلهم من الانصار ابي بن كعب• ومعاذ بن جبل• وابو زيد• وزيد يعني ابن ثابت قلت لانس من ابو زيد
قال احد عمومتي• اخرجاه في الصحيحين اسم ابو زيد سعد بن عبيد **واخرج** الترمذي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم خذوا القران من اربعة من ابن مسعود• وابي بن كعب• ومعاذ بن جبل• وسالم مولى حذيفة قال حديث حسن
صحيح وتقدم حديث زيد بن ثابت وفيه انه استحر القتل بقراء القران فثبت بمجموع هذه الاحاديث ان القران كان على هذا
التاليف والجمع من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ترك جمعه في مصحف واحد لان النسخ كان يرد على بعضه ويرفع الشيء
بعد الشيء من التلاوة كما كان ينسخ بعض احكامه فلم يجمع في مصحف واحد ثم لو رفع بعض تلاوته ادى ذلك الى الاختلاف
واختلاط امر الدين فحفظ الله كتابه في القلوب الى انقضاء زمن النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وثبت
بالدليل الصحيح ان الصحابة انما جمعوا القران بين الدفتين كما انزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من غير ان زادوا فيه او نقصوا
منه شيئا• والذي حملهم على جمعه ما جاء مبينا في الحديث وهو انه كان مفرقا في العسب واللخاف وصدور الرجال فخافوا ذهاب
بعضه بذهاب حفظته ففزعوا الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابي بكر ودعوه الى جمعه فراى في ذلك رايهم فامر بجمعه في
موضع واحد باتفاق من جميعهم فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ان قدموا او اخروا شيئا او وضعوا له
ترتيبا لم ياخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم• وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن اصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القران
على الترتيب الذي هو الان في مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام اياه على ذلك واعلامه عند نزول كل اية ان هذه الاية
تكتب عقيب اية كذا في سورة كذا فثبت ان سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه فان القران مكتوب في اللوح
المحفوظ على النحو الذي هو في مصاحفنا الان• وقد صح في حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض القران على جبريل
عليه السلام في كل عام مرة في رمضان وانه عرضه في العام الذي توفي فيه مرتين• ويقال ان زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة
التي عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام وهي العرضة التي نسخ فيها ما نسخ وبقي ما بقي• ولهذا اقام ابو بكر
زيد بن ثابت في كتابة المصحف والزمه بها لانه قراه على النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفي فيه مرتين فكان جمع القران سببا
لبقائه في الامة رحمة من الله لعباده وتحقيقا لوعده في حفظه على ما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون **واعلم**
ان الله تعالى انزل القران المجيد من اللوح المحفوظ جملة واحدة الى سماء الدنيا في شهر رمضان في ليلة القدر ثم كان ينزله مفرقا على لسان
جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم مدة رسالته نجوما عند الحاجة وحدوث ما يحدث على ما يشاء الله تعالى وترتيب نزول
القران غير ترتيبه في التلاوة والمصحف• فاما ترتيب نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم **فاول ما نزل من القران بمكة اقرا باسم
ربك الذي خلق** ثم ن والقلم• ثم يا ايها المزمل• ثم المدثر• ثم تبت يدا ابي لهب• ثم اذا الشمس كورت• ثم
سبح اسم ربك الاعلى• ثم والليل اذا يغشى• ثم والفجر• ثم والضحى• ثم الم نشرح لك• ثم العصر• ثم والعاديات•
ثم انا اعطيناك الكوثر• ثم الهاكم التكاثر• ثم ارايت• ثم قل يا ايها الكافرون• ثم الفيل ثم قل هو الله احد• ثم والنجم•
ثم عبس• ثم القدر• ثم البروج ثم التين• ثم لايلاف قريش• ثم القارعة• ثم القيمة• ثم الهمزة• ثم المرسلات• ثم ق• ثم سورة
البلد• ثم الطارق• ثم اقتربت الساعة• ثم ص• ثم الاعراف• ثم الجن• ثم يس• ثم الفرقان• ثم فاطر• ثم مريم• ثم طه• ثم
الواقعة• ثم الشعراء• ثم النمل• ثم القصص• ثم بني اسرائيل• ثم يونس• ثم هود• ثم يوسف• ثم الحجر• ثم الانعام• ثم والصافات

ثم لقمان• ثم سبا• ثم الزمر• ثم المؤمن• ثم حم عسق• ثم الزخرف• ثم الدخان• ثم الجاثية• ثم الاحقاف• ثم الذاريات•
ثم الغاشية• ثم الكهف• ثم النحل• ثم نوح• ثم ابراهيم• ثم الانبياء• ثم المؤمنون• ثم تنزيل السجدة• ثم الطور• ثم الملك•
ثم الحاقة• ثم سال سائل• ثم عم يتساءلون• ثم النازعات• ثم اذا السماء انفطرت• ثم اذا السماء انشقت• ثم الروم•
ثم العنكبوت **واختلفوا** في اخر ما نزل بمكة فقال ابن عباس العنكبوت• وقال الضحاك وعطاء المؤمنون• وقال
مجاهد ويل للمطففين• فهذا ترتيب ما نزل من القران بمكة فذلك ثلاث وثمانون سورة على ما استقرت عليه روايات الثقات
واما ما نزل بالمدينة فاحدى وثلثون سورة واول ما نزل بالمدينة سورة البقرة• ثم الانفال• ثم ال عمران• ثم الاحزاب
ثم الممتحنة• ثم النساء• ثم اذا زلزلت الارض• ثم الحديد• ثم سورة محمد صلى الله عليه وسلم• ثم الرعد• ثم سورة الرحمن• ثم سورة هل الى
على الانسان• ثم الطلاق• ثم لم يكن• ثم الحشر• ثم الفلق• ثم الناس• ثم اذا جاء نصر الله والفتح• ثم النور• ثم الحج• ثم المنافقون•
ثم المجادلة• ثم الحجرات• ثم التحريم• ثم الصف• ثم الجمعة• ثم التغابن• ثم الفتح• ثم التوبة• ثم المائدة• **ومنهم** من يقدم المائدة على
التوبة **فهذا** ترتيب ما نزل من القران بالمدينة **واختلفوا** في سورة• فقيل نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة وسنذكر في مواضعها
ان شاء الله تعالى **فصل في كون القران نزل على سبعة احرف وما قيل في ذلك ق** عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال سمعت ~~رسول الله صلى الله عليه وسلم~~ هشام بن حكيم بن حزام يقرا سورة الفرقان في حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرا على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت اساوره في الصلوة فتربصت
حتى سلم فلببته بردائه فقلت من اقراك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها• قال اقرانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقرانيها على غير ما قرات• فانطلقت به اقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرا سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها• فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارسله اقرا يا هشام فقرا عليه القراءة التي سمعته يقرؤها• فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ثم قال
النبي صلى الله عليه وسلم اقرا يا عمر فقرات القراءة التي اقراني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ان هذا
القران انزل على سبعة احرف فاقرءوا ما تيسر منه **قوله** فكدت اساوره في الصلوة اي اواثبه واقاتله وهو الصلوة
والتربص التثبت **قوله** فلببته بردائه هو بتشديد الباء الاولى ومعناه اخذت بمجامع ردائه في عنقه وجذبته
به ماخوذ من اللبة وفيه بيان ما كانوا عليه من الاعتناء بالقران والذب عنه والمحافظة على لفظه كما سمعوه من غير عدول
الى ما تجوزه العربية• واما امر النبي صلى الله عليه وسلم عمر بارساله فلانه لم يثبت عنده ما يقتضي تعزيره وكان عمر انما نسبه
الى المخالفة في القراءة والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم من جواز القراءة ووجوهها ما لا يعلمه عمر ولانه اذا قرا وهو
ملبب لا يتمكن من حضور القلب وتحقيق القراءة تمكن المطلق **قوله** ان هذا القران انزل على سبعة احرف فاقرءوا
ما تيسر منه• قال العلماء سبب انزاله على سبعة احرف التسهيل والتخفيف• واختلفوا في المراد بسبعة احرف فقيل هو
توسعة وتسهيل ولا يقصد به الحصر• وقال الاكثرون هو حصر العدد في سبعة احرف• ثم قيل هي في سبع من المعاني
كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص والامثال والامر والنهي• وقيل هو في صورة
التلاوة وكيفية النطق بكلمات القران من ادغام واظهار وتفخيم وترقيق ومد وقصر وامالة لان العرب
كانت مختلفة اللغات في هذه الوجوه فيسر الله عليهم ليقرا كل انسان بما يوافق لغته ويسهل على لسانه قال
ابو عبيد هي سبع لغات العرب يمنها ومعدها وهي افصح لغات العرب واعلاها• وقيل هي لغة قريش وهوازن
وهذيل اليمن• وقيل السبعة كلها لمضر وحدها وهي متفرقة في القران العزيز غير مجتمعة في كلمة واحدة• وقيل بل هي
مجتمعة في بعض الكلمات كقوله تعالى وعبد الطاغوت ونرتع ونلعب وباعد بين اسفارنا وبعذاب بئيس
وقيل هي سبع قراءات وهو الصحيح الموافق للحديث لان هذه السبعة ظهرت واستفاضت عن النبي صلى الله عليه وسلم

وضبطها عنه الصحابة واثبتها عثمان والجماعة في المصاحف واخبروا بصحتها وحذفوا منها ما لم يثبت متواترًا وان الاحرف تختلف معانيها تارة والفاظها اخرى وليست متضادة ولا متباينة فاما من قال ان المراد بالاحرف سبعة معان مختلفة كالاحكام والامثال والقصص فخطأ محض لان النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وابدال حرف بحرف وقد تقرر اجماع المسلمين انه يحرم ابدال اية امثال باية احكام وقول من قال ان المراد خواتيم الاي فيجعل مكان غفور رحيم سميع عليم فقاسد ايضا وخطأ للاجماع على انه لا يجوز تغيير نظم القران والله اعلم ق عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقراني جبريل على حرف فراجعته فزادني فلم ازل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة احرف معنى الحديث لم ازل اطلب من جبريل ان يطلب من الله عز وجل الزيادة في الاحرف للتوسعة والتخفيف ويسئل جبريل ربه فيزيده حتى انتهى الى السبعة م عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرا قراءة انكرتها عليه ثم دخل اخر فقرا قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلوة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا قرا قراءة انكرتها عليه فدخل اخر فقرا سوى قراءة صاحبه فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شانهما فسقط في نفسي ولا اذ كنت في الجاهلية فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكانما انظر الى الله عز وجل فرقا فقال لي يا ابي ارسل الي ان اقرا على حرف واحد فرددت اليه ان هون على امتي فرد الي الثانية ان اقراه على حرفين فرددت اليه ان هون على امتي فرد الي الثالثة ان اقراه على سبعة احرف ولك بكل ردة رددتها مسالة تسالنيها فقلت اللهم اغفر لامتي اللهم اغفر لامتي واخرت الثالثة ليوم يرغب الي الناس كلهم حتى ابراهيم قوله فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية معناه وسوس لي الشيطان تكذيبا للنبوة اشد مما كنت عليه في الجاهلية لانه كان في الجاهلية غافلا ومتشككا فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب وقيل معناه انه اعترته حيرة ودهشة ونزغ الشيطان في نفسه تكذيبا لم يعتقده وهذه الخواطر اذا لم يستمر عليها الانسان لا يؤاخذ بها قوله ضرب في صدري ففضت عرقا قال القاضي عياض ضربه صلى الله عليه وسلم في صدره تثبيتا له حين راه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم قوله وكانما انظر الى الله فرقا الفرق بالتحريك الخوف والخشية والمعنى انه غشيه من الهيبة والخوف والعظمة حين ضربه ما زال عنه ذلك الخاطر قوله عليه السلام ولك بكل ردة رددتها مسالة تسالنيها معناه مسالة مجابة قطعا واما باقي الدعوات فمرجوة الاجابة وليست قطعية الاجابة والله اعلم وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال القران نزل على سبعة احرف لكل اية منه ويروى لكل حرف منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع قيل في معنى الظهر لفظ القران والبطن تاويله وقيل الظهر ما حدث عن اقوام انهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خبر وفي الباطن عظة وقيل الظهر التلاوة باللسان كما انزل والبطن التدبر والتفهم والتفكر بالقلب فالتلاوة تكون بالتعليم والتلقين والتدبر والتفهم يكون بصدق النية وتعظيم الحرمة واخلاص العمل وطيب المطعم من الحلال المحض قوله ولكل حد مطلع معناه مصعد يصعد اليه من معرفة علمه وقيل المطلع الفهم وقد يفتح الله تعالى على المتدبر والمتفكر في القران العزيز من التاويل والمعاني ما لا يفتحه على غيره وفوق كل ذي علم عليم والله اعلم

فصل في معنى التفسير والتاويل

فاما التفسير فاصله في اللغة من الفسر وهو كشف ما غطي وهو بيان المعاني وكل ما يعرف به الشي ومعناه فهو تفسير وقد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ وغريبها تفسير وقيل هو من التفسرة وهو الدليل الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن معنى الاية وشانها وقصتها واما التاويل فاشتقاقه من الاول وهو الرجوع الى الاصل يقال اولته فال اي صرفته فانصرف وهو رد الشي الى الغاية

المرادة

المرادة منه وبيان غاية المقصودة منه فالتاويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الاية والفرق بين التفسير والتاويل ان التفسير يتوقف على النقل المسموع والتاويل يتوقف على الفهم الصحيح والله اعلم القول في الاستعاذة ولفظها المختار اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لموافقة قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى اعوذ بالله التجي اليه وامتنع به مما اخشاه من عاذ يعوذ من الشيطان اصله من شطن اي تباعد من الرحمة وقيل من شاط يشيط اذا هلك واحترق غضبا والشيطان اسم لكل عادٍ عاتٍ من الجن والانس وشيطان الجن مخلوق من قوة النار فلذلك فيه القوة الغضبية الرجيم فعيل بمعنى فعول اي يرجم بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول اي مرجوم بالشهب عند استراق السمع قيل مرجوم بالعذاب قيل مرجوم بمعنى مطرود عن الرحمة وعن الخيرات وعن منازل الملاء الاعلى واما حكم الاستعاذة ففيه مسائل المسالة الاولى اتفق الجمهور على ان الاستعاذة سنة في الصلوة فلو تركها لم تبطل صلوته سواء تركها عمدا او سهوا ويستحب لقارئ القران خارج الصلوة ان يتعوذ ايضا وحكي عن عطا وجوبها سواء كانت في الصلوة او غيرها وقال ابن سيرين اذا تعوذ الرجل في عمره مرة واحدة كفى في اسقاط الوجوب دليل الوجوب ظاهر قوله تعالى فاستعذ والامر للوجوب وان النبي صلى الله عليه وسلم واظب على التعوذ فيكون واجبا ودليل الجمهور ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة اعمال الصلوة وتاخير البيان عن وقته غير جائز واجيب عن قوله تعالى فاستعذ بان معناه عند جماهير العلماء اذا اردت القراءة فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا معناه اذا اردتم القيام الى الصلوة واجيب عن مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم بانه صلى الله عليه وسلم واظب على اشياء كثيرة من افعال الصلوة ليست بواجبة كتكبيرات الانتقالات والتسبيحات في الصلوة فكان التعوذ منها المسالة الثانية وقت الاستعاذة قبل القراءة عند الجمهور سواء في الصلوة او خارجها وحكي عن النخعي انه بعد القراءة وهو قول داود واحدى الروايتين عن ابن سيرين حجة الجمهور ما روى عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلوة بالليل كبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يقول الله اكبر كبيرا اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة اخرجه ابو داود وقيل الموتة الجنون لان من جن فقد مات عقله وقيل همزه هو الذي يوسوسه في الصلوة ونفخه هو الذي يلقيه من الشبه في الصلوة ليقطع عليه صلوته واحتج من خالف الجمهور بظاهر قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ واجيب عنه بما تقدم وقال مالك لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ في قيام رمضان بعد القراءة لنا ما تقدم من الادلة المسالة الثالثة المختار من لفظ الاستعاذة عند الشافعي اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبه قال ابو حنيفة لموافقة قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولحديث جبير بن مطعم وقال احمد الاولى ان يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعا بين هذه الاية وبين قوله تعالى فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ولحديث ابي سعيد وقال الثوري والاوزاعي الاولى ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وبالجملة فالاستعاذة تطهير القلب عن كل شي يشغل عن الله تعالى ومن لطايف الاستعاذة ان قوله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بالعجز والضعف واعتراف من العبد بقدرة الباري عز وجل وانه الغني القادر على دفع جميع المضرات والافات واعتراف من العبد ايضا بان الشيطان عدو مبين ففي الاستعاذة التجاء الى الله تعالى في دفع وسوسة الشيطان الغوي الفاجر وانه لا يقدر على دفعه عن العبد الا الله تعالى والله اعلم

تفسير سورة الفاتحة

وهي سبع ايات بالاتفاق وسبع وعشرون كلمة ومائة واربعون حرفا واختلف العلماء في نزولها فقيل نزلت بمكة وهو قول اكثر العلماء وقيل نزلت بالمدينة وهو قول مجاهد وقيل نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وسبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها ولها عدة اسماء وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى وفضله فاول ذلك فاتحة الكتاب سميت بذلك لانها افتتح بها القران وبها تفتتح كتابة المصاحف وبها تفتتح بها الصلوة الثاني سورة الحمد سميت بذلك لافتتاحها بالحمد لله الثالث ام القران وام الكتاب سميت بذلك لانها اصل القران وام كل شي اصله وقيل

هي امام لما يتلوها من السور **الرابع** السبع المثاني سميت بذلك لانها تثنى في الصلوة ويقراء بها في كل ركعة وقيل لان الله تعالى استثناها لهذه الامة فذخرها لهم لم ينزلها على غيرهم وقيل لانها انزلت مرتين **الخامس** الوافية سميت بذلك لانها لا تقسم في القراءة في الصلوة كما يقسم غيرها من السور **السادس** الكافية سميت بذلك لانها تكفي عن غيرها في الصلوة ولا يكفي غيرها عنها

فصل في ذكر فضلها ح عن ابي سعيد بن المعلى قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه ثم اتيته فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي فقال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم قال لي لاعلمنك سورة هي اعظم السور في القران قبل ان تخرج من المسجد ثم اخذ بيدي فلما اراد ان يخرج قلت له الم تقل لاعلمنك سورة هي اعظم سورة في القران قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته ورواه مالك في الموطاء عنه وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم نادى ابي بن كعب وهو يصلي فذكر نحوه وفيه حتى تعلم وهي سورة ما انزل في التورة ولا في الانجيل ولا في الزبور مثلها ورواه الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي وهو يصلي وذكر نحو رواية الموطاء وقال فيه حديث حسن صحيح عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله في التورية والانجيل مثل ام القران وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال اخرجه الترمذي والنسائي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين ام القران وام الكتاب السبع المثاني اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح م عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع راسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن يقراء بحرف منها الا اعطيته **قوله** سمع نقيضا هو بالقاف والضاد المعجمة اي صوتا كصوت فتح الباب عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى لم يقرأ فيها بام القران فهي خداج هي خداج هي خداج غير تمام قال فقلت يا ابا هريرة انا احيانا نكون وراء الامام فغمز ذراعي وقال اقراء بها في نفسك يا فارسي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سال فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي وقال مرة فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سال **قوله** فهي خداج اي ناقصة فغمز ذراعي اي كبس ساعدي بيده **قوله** فقسمت الصلوة اراد بالصلوة هنا القراءة لانه فسره بها ولان القراءة ركن من اركانها وجزء من اجزائها **قوله** نصفين حقيقة هذه القسمة التي جعلها بينه وبين عبده ~~السورة~~ راجعة الى المعنى لا الى اللفظ لان هذه السورة من جهة المعنى نصفها ثناء ونصفها مسالة ودعاء وقسم الثناء انتهى عند قوله اياك نعبد وقوله واياك نستعين من قسم الدعاء ولهذا قال هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال **قوله** تعالى حمدني عبدي ومجدني اي اثنى علي لان الحمد هو الثناء بجميل الفعال والتمجيد الثناء بصفات الجلال وقيل التمجيد التعظيم **قوله** وربما فوض الي عبدي وجه مطابقة هذا لقوله مالك يوم الدين يقال فوض فلان امره الى فلان اذا رده اليه وعول فيه عليه وفي الحديث دليل على وجوب قراءة الفاتحة وانها متعينة وهو مذهب الشافعي وجماعة وسياتي هذه المسالة ان شاء الله تعالى بعد ذكر تفسير الفاتحة والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الباء

الباء في بسم الله حرف خافض يخفض ما بعده مثل من وعن والمتعلق به مضمر محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره ابدأ بسم الله او بسم الله ابدأ او اقراء وانما طولت الباء في بسم الله واسقطت الالف طلبا للخفة وقيل لما اسقطوا الالف ردوا طولها على الباء ليدل طولها على الالف المحذوفة واثبت الالف في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لقلة استعماله وقيل انما طولوا الباء لانهم ارادوا ان يستفتحوا كتاب الله بحرف معظم وقيل الباء حرف منخفض الصورة فلما اتصلت ببسم الله ارتفعت واستعلت وقيل ان عمر بن عبد العزيز كان يقول لكتابه طولوا الباء من بسم الله واظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لاسم الله عز وجل والاسم هو المسمى عينه وذاته قال تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال يا يحيى وقال سبح اسم ربك وهذا القول ليس بقوي والصحيح المختار ان الاسم غير المسمى وغير التسمية فالاسم ما يعرف به ذات الشيء وذلك لان الاسم هو الاصوات المقطعة والحروف المؤلفة الدالة على ذات ذلك الشيء المسمى به فثبت بهذا ان الاسم غير المسمى وايضا قد تكون الاسماء كثيرة والمسمى واحد كقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقد يكون الاسم واحدا والمسميات به كثيرة كالاسماء المشتركة وذلك يوجب المغايرة وايضا فقوله فادعوه بها امر ان يدعى الله باسمائه فالاسم آلة الدعاء والمدعو هو الله تعالى فالمغايرة حاصلة بين ذات المدعو وبين اللفظ المدعو به واجيب عن قوله انا نبشرك بغلام اسمه يحيى بان المراد ذات الشخص المعبر عنه بيحيى لا نفس الاسم واجيب عن قوله تعالى سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك بان معنى هذه الالفاظ تقتضي اضافة الاسم الى الله تعالى واضافة الشيء الى نفسه محال وقيل كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى عن النقص فكذلك يجب تنزيه اسمائه وكون الاسم غير التسمية هو ان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف ذات الشيء والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر واختلفوا في اشتقاق الاسم فقال البصريون هو من السمو وهو العلو فاسم الشيء ما علاه حتى ظهر به وعلا عليه فكانه علا على معناه وصار علما له وقال الكوفيون من السمة وهو العلامة فكانه علامة لمسماه وحجة البصريين لو كان اشتقاقه من السمة لكان تصغيره وسيم وجمعه اوسام واجمعوا على ان تصغيره سمي وجمعه اسماء واسامي **الله** هو اسم علم خاص لله تعالى تفرد به البارئ سبحانه وتعالى ليس بمشتق ولا يشركه فيه احد وهو الصحيح المختار دليله قوله عز وجل هل تعلم له سميا يعني لا يقال لغيره الله وقيل هو مشتق من اله بالهة مثل عبد الرجل يعبد عبادة دليله ويذرك والهتك اي وعبادتك ومعناه المستحق للعبادة دون غيره وقيل من الوله اي الفزع لان الخلق يالهون اليه اي يفزعون اليه في حوائجهم **قال الشاعر** ولهت اليكم في بلايا تنوبني فالفيتكم فيها كراما امجدا وقيل اصله اله يقال الهت الى فلان اي سكنت اليه فكان الخلق يسكنون اليه ويطمئنون بذكره وقيل اصله ولاه فابدلت الواو همزة سمي بذلك لان كل مخلوق واله نحوه اما بالتسخير او بالارادة ومن هذا قيل الله محبوب كل الاشياء يدل عليه وان من شيء الا يسبح بحمده ومن خصايص هذا الاسم الشريف انك اذا حذفت منه شيئا بقي الباقي يدل عليه فان حذفت الالف بقي لله وان حذفت اللام واثبت الالف بقي اله وان حذفتهما بقي له وان حذفت الالف واللامين معا بقي هو والواو عوض من الضمة وذهب بعضهم الى ان هذا الاسم هو الاسم الاعظم لانه يدل على الذات وباقي الاسماء على الصفات **الرحمن الرحيم** قال ابن عباس هما اسمان رقيقان احدهما ارق من الاخر قيل هما بمعنى مثل ندمان ونديم ومعناهما ذو الرحمة وانما جمع بينهما للتاكيد وقيل ذكر احدهما بعد الاخر تطميعا لقلوب الراغبين اليه وقيل الرحمن فيه معنى العموم والرحيم فيه معنى الخصوص فالرحمن بمعنى الرازق في الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق المؤمن والكافر والرحيم بمعنى العفو والكافي للمؤمنين في الاخرة فهو على الخصوص ولذلك رحمن الدنيا ورحيم الاخرة ورحمة الله ارادة الخير والاحسان لاهله وقيل هي ترك عقوبة من يستحق العقاب واسداء الخير الى من لا يستحق فهي على الاول صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل وقيل الرحمن يكشف الكروب والرحيم يغفر الذنوب وقيل الرحمن تبيين الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق والله اعلم

فصل في حكم البسملة وفيه مسالتان المسالة الاولى في كون البسملة من الفاتحة وغيرها من السور سوى سورة البراءة اختلف العلماء في ذلك فذهب الشافعي وجماعة من العلماء الى انها من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت في اولها سوى سورة براءة وهو قول ابن عباس وابن عمر وابي هريرة وسعيد بن جبير وعطا وابن المبارك واحمد في احدى الروايتين عنه واسحق ونقل البيهقي هذا القول عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه والزهري والثوري ومحمد بن كعب وذهب الاوزاعي ومالك وابو حنيفة الى ان البسملة ليست باية من الفاتحة زاد ابو داود ولا من غيرها من السور وانما هي بعض اية في سورة النمل وانما كتبت للفصل والتبرك قال مالك ولا يستفتح بها في الصلوة المفروضة وللشافعي قول انها ليست من اوايل السور مع القطع بانها من الفاتحة فاما حجة من منع كون البسملة

الذي خلق ولم يذكر البسملة في اولها فدل على انها ليست منها قالوا ولان محل القرآن لا يثبت الا بالتواتر والاستفاضة ولان الصحابة
اجمعوا على عد كثير من السور منها سورة الملك ثلثون آية وسورة الكوثر ثلث آيات وسورة الاخلاص اربع آيات فلو كانت البسملة
منها لكانت خمسا واما حجة من ذهب الى اثباتها في اوائل السور من جهة النقل فقد صح عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة
في اول الفاتحة في الصلوة وعدها آية وعن ابن عباس في قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال هي فاتحة الكتاب
قيل فاين السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم اخرجه ابن خزيمة وغيره وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان لا يعلم فصل السورة وفي رواية انقضاء السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم اخرجه ابو داود والحاكم ابو عبد الله في
مستدركه وقال هذا صحيح على شرط الشيخين وروى الدارقطني عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأتم
الحمد فاقرأوا بسم الله الرحمن الرحيم فانها ام القرآن وام الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها قال الدارقطني
في رجال اسناده كلهم ثقات وروى الدارقطني عن ام سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسم الله
الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى آخرها قطعها آية آية وعدها عد الاعراب وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية ولم يعد عليهم واخرج
مسلم في افراده عن انس رضي الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا
ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر الحديث قال البيهقي احسن ما احتج
اصحابنا في ان بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وانها من فاتحة فواتح السور سوى سورة براءة ما رويناه في جمع الصحابة
كتاب الله عز وجل في المصاحف وانهم كتبوا فيها بسم الله الرحمن الرحيم على رأس كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم متوهم انهم
كتبوا فيها مائة وثلاث عشرة آية ليست من القرآن قال وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عباس انه كان يعد بسم الله
الرحمن الرحيم من الفاتحة وروى الشافعي بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لام القرآن وللسورة
بعدها وعن غيره انه كان يقول لم كتبت في المصحف ان لم تقرأ وروى الشافعي ايضا عن ابن عباس انه كان يفعل ويقول انتزع الشيطان
منهم خير آية في القرآن وقد زاد البخاري من حديث انس انه سئل كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله
الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم فقد ثبت بهذه الادلة الصحيحة الواضحة ان البسملة من الفاتحة ومن كل موضع ذكرت فيه
وايضا فاجماع الصحابة على اثباتها في المصاحف وانهم طلبوا بكتابة المصاحف تجريد كلام الله عز وجل المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم
وتدوينه من غير زيادة فيه ونقصانه ولهذا لم يكتبوا لفظة امين وان كان ورد انه كان يقولها بعد الفاتحة فلو لم تكن
البسملة من القرآن في اوائل السور لما كتبوها وكان حكمها حكم امين المسألة الثانية في حكم الجهر بالبسملة والاسرار اذا ثبت بما تقدم من الادلة
ان البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها من السور حيث كتبت كان حكمها في الجهر والاسرار حكم الفاتحة فيجهر بها مع الفاتحة في الصلوة
الجهرية ويسر بها مع الفاتحة في الصلوة السرية وممن قال بالجهر بالبسملة من الصحابة ابو هريرة رضي الله عنه وابن عباس وابن عمر
وابن الزبير ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبير وابو قلابة والزهري وعكرمة وعطاء وطاوس ومجاهد وعلي بن الحسين
وسالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي وابن سيرين وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمر وزيد بن اسلم ومكحول وعمر بن عبد العزيز وعمرو بن
دينار ومسلم بن خالد واليه ذهب الشافعي واحد قولي ابن وهب صاحب مالك وحكي ايضا عن ابن المبارك وابي ثور وممن ذهب
الى الاسرار بها من الصحابة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعمار بن ياسر وابن مغفل وغيرهم ومن التابعين فمن
بعدهم الحسن والشعبي وابراهيم النخعي وقتادة والاعمش والثوري واليه ذهب مالك وابو حنيفة واحمد وغيرهم اما حجة
من قال بالجهر فقد روى جمع من الصحابة منهم ابو هريرة وابن عباس وانس وعلي بن ابي طالب وسمرة بن جندب وام سلمة
ان النبي صلى الله عليه وسلم جهر بالبسملة فمنهم من صرح بذلك ومنهم من ذكره عبارة ولم يرد في صريح الاسرار بها عن النبي
صلى الله عليه وسلم الا روايتان احداهما ضعيفة وهي رواية عن عبد الله بن مغفل والاخرى عن انس وهي في الصحيح وهي
معللة بما اوجب سقوط الاحتجاج بها وروى نعيم بن عبد الله المجمر قال صليت وراء ابي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ

بام

بام القرآن وذكر الحديث وفيه ثم يقول اذا سلم اني لاشبهكم صلوة برسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه النسائي وابن خزيمة
في صحيحه وقال اما الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقد ثبت وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى الدارقطني بسنده عن
ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ وهو يؤم الناس افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم وذكر الحديث قال
الدارقطني رجال اسناده كلهم ثقات وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الدارقطني
وقال ليس في رواته مجروح واخرجه الحاكم ابو عبد الله وقال اسناده صحيح وليس له علة وفي رواية عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفتتح الصلوة ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الدارقطني وقال صحيح ليس في اسناده مجروح واخرجه الترمذي وقال ليس اسناده بذاك
قال الشيخ ابو شامة اي لانه لا يماثل اسناده ما في الصحيح ولكن اذا انضم الى ما تقدم من الادلة ترجح عليها في الصحيح وعن انس رضي
الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الدارقطني وقال اسناده صالح وفيه عن محمد بن
ابي السري العسقلاني قال صليت خلف المعتمر بن سليمان ما لا احصي صلوة الصبح والمغرب فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة
الكتاب وبعدها وسمعت المعتمر يقول ما آلو ان اقتدي بصلوة انس بن مالك وقال انس ما آلو ان اقتدي بصلوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخرجه الدارقطني وقال كلهم ثقات واخرجه الحاكم ابو عبد الله وقال رواة هذا الحديث عن آخرهم كلهم ثقات
قلت وفي الباب احاديث وادلة وايراد واجوبة من الجانبين يطول ذكرها وفي هذا القدر كفاية والله اعلم **قوله عز وجل الحمد لله**
لفظه خبر كانه سبحانه وتعالى يخبر ان المستحق للحمد هو الله تعالى ومعناه الامر اي قولوا الحمد لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمدونه والحمد
والمدح اخوان وقيل بينهما فرق وهو ان المدح قد يكون قبل الاحسان وبعده والحمد لا يكون الا بعد الاحسان وذلك ان المدح
قد يكون منهيا عنه واما الحمد فمأمور به والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء بجميل الافعال تقول حمدت الرجل
على علمه وكرمه والشكر لا يكون الا على النعمة فالحمد اعم من الشكر اذ لا تقول شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر وقيل الحمد باللسان
قولا والشكر بالاركان فعلا والحمد ضد الذم واللام في لله لام الاستحقاق كقولك الدار لزيد يعني انه المستحق للحمد لانه المتفضل
المحسن على كافة الخلق على الاطلاق **رب العالمين** الرب بمعنى المالك كما يقال رب الدار ورب الشيء اي مالكه ويكون بمعنى التربية
والاصلاح رب فلان الضيعة يربها اذا اصلحها فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم ومصلحهم ولا يقال الرب للمخلوق معرفا بل
يقال رب الشيء مضافا والعالمين جمع عالم لا واحد له من لفظه وهو اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع الخلق وقال
ابن عباس هم الجن والانس لانهم المكلفون بالخطاب وقيل العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والجن والانس ولا يقال للبهائم
عالم لانها لا تعقل واختلف في مبلغ عددهم فقيل لله الف عالم ستمائة في البحر واربعمائة في البر وقيل ثمانون الف عالم اربعون
الفا في البر ومثلهم في البحر وقيل ثمانية عشر الف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران في الخراب الا كفسطاط في صحراء والفسطاط
الخيمة واشتقاق العالم من العلم وقيل من العلامة وانما سمي بذلك لانه دال على الخالق سبحانه وتعالى **الرحمن الرحيم** فالرحمن
هو المنعم بما لا يتصور صدور تلك النعم من العباد والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور تلك النعم من العباد فلا يقال لغير الله رحمن
ويقال لغيره من العباد رحيم فان قلت قد تسمى مسيلمة الكذاب برحمان اليمامة وهو قول شاعره وانت غيث الورى لا زلت رحمانا
قلت هو من باب تعنتهم في كفرهم ومبالغتهم في مدح صاحبهم فلا يلتفت الى قولهم هذا فان قلت قد ذكر الرحمن الرحيم في البسملة
فما فائدة تكريرهما مرة ثانية قلت ليعلم ان العناية بالرحمة اكثر من غيرها من الامور وان الحاجة اليها اكثر فنبه سبحانه وتعالى
بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها وانه هو المتفضل بها على خلقه **قوله تعالى مالك يوم الدين** يعني انه تعالى صاحب ذلك اليوم الذي يكون
فيه الجزاء والملك هو المتصرف بالامر والنهي وقيل هو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر على ذلك الا الله
وقيل مالك اوسع من ملك لانه يقال مالك العبد والدابة ولا يقال ملك هذه الاشياء ولانه لا يكون مالكا للشيء الا وهو يملكه
وقد يكون ملكا للشيء ولا يملكه وقيل ملك اولى لان كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا وقيل هما بمعنى واحد مثل فرهين وفارهين
قال ابن عباس مالك يوم الدين قاضي يوم الحساب وقيل الدين الجزاء ويقع على الخير والشر يقال كما تدين تدان وقيل
هو يوم لا ينفع الا الدين وقيل الدين القهر يقال دنته فدان اي قهرته فذل فان قلت لم خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للايام قلت لان ملك الاملاك يومئذ زائلة فلا ملك ولا امر يومئذ

الا الله تعالى كما قال تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقد يسمى في دار الدنيا احاد الناس بالملك وذلك على المجاز لا على الحقيقة **قوله عز وجل اياك نعبد** رجع من الخبر الى الخطاب وفائدة ذلك ان من اول السورة الى هنا ثناء والثناء في الغيبة اولى ومن قوله اياك نعبد خطاب والخطاب في الدعاء اولى وقيل فيه ضمير اى قولوا اياك نعبد والمعنى اياك نخص بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين لك والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل وسمى العبد عبدا لذلته وانقياده وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذى يؤدى به الغرض لتعظيم الله تعالى فقول العبد اياك نعبد معناه لا اعبد احدا سواك والعبادة غاية التذلل من العبد ونهاية التعظيم للرب سبحانه لانه العظيم المستحق للعبادة الا في الخضوع لله تعالى لانه مولى اعظم النعم وهو ايجاد العبد من العدم الى الوجود ثم هداه الى دينه فكان العبد حقيقا بالخضوع والتذلل له **واياك نستعين** اى منك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع امورنا فان قلت الاستعانة على العمل انما تكون قبل الدخول فيه فلم اخر الاستعانة على العبادة وما الحكمة فيه قلت ذكر فيه وجوها احدها ان هذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن بحمد الله نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتاخير الثاني ان الاستعانة نوع تعبد فكانه ذكر جملة العبادة اولا ثم ذكر ما هو من تفاصيلها ثانيا الثالث كان العبد يقول شرعت في العبادة فانا استعين بك على تمامها فلا يمنعني من اتمامها مانع الرابع ان العبد اذا قال اياك نعبد حصل له الفخر وذلك منزلة عظيمة فيحصل بسبب ذلك العجب فاردف ذلك بقوله واياك نستعين ليزول ذلك العجب الحاصل بسبب تلك العبادة **اهدنا الصراط المستقيم** اى ارشدنا وقيل ثبتنا وهو كما تقول للقائم قم حتى اعود اليك ومعناه دم على ما انت عليه وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى سؤال التثبت وطلب مزيد الهداية لان الالطاف والهدايات من الله تعالى لا تتناهى وهذا مذهب اهل السنة والصراط الطريق قال جرير امير المؤمنين على صراط اذا اعوج الموارد مستقيم اى على طريق حسنة قال ابن عباس هو دين الاسلام وقيل هو القران وروى ذلك مرفوعا وقيل السنة والجماعة وقيل معناه اهدنا صراط المستحقين للجنة **صراط الذين انعمت عليهم** هذا بدل من الاول اى الذين مننت عليهم بالهداية والتوفيق وهم الانبياء والمؤمنون الذين ذكرهم الله في قوله اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا وقيل هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واهل بيته **غير المغضوب عليهم** يعنى غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب في الاصل ثوران دم القلب ارادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب فانه جمرة توقد في قلب ابن ادم الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه واذا وصف الله به فالمراد منه الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لا يلحق عصاة المؤمنين انما يلحق الكافرين **ولا الضالين** اى وغير الضالين عن الهدى واصل الضلال الغيبوبة والهلاك يقال ضل الماء في اللبن اذا غاب فيه وهلك وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى عن عدى بن حاتم عن النبى صلى الله عليه وسلم اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال اخرجه الترمذى وذلك لان الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على النصارى بالضلال فقال ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة والله اعلم **فصل في امين وحكم الفاتحة وفيه مسالتان** الاولى السنة للقارى بعد قراءة الفاتحة ان يقول امين مفصولا عنها بسكتة وهو مخفف وفيه لغتان المد والقصر قال في المد ويرحم الله عبدا قال امينا وقال في القصر امين وزاد الله ما بيننا بعدا ومعنى امين اللهم اسمع واستجب وقال ابن عباس معناه كذلك يكون وقيل هو اسم من اسماء الله تعالى وقيل هو خاتم الله على عباده يدفع به عنهم الافات ق عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا امن الامام فامنوا فان من وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه قال ابن شهاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول امين وفى رواية للبخارى ان الامام اذا قرا غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا امين فان الملائكة تقول امين وان الامام يقول امين فمن وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه

قوله فمن وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه معناه وافقهم في وقت التامين فامن مع تامينهم وقيل وافقهم في الصفة والخشوع والاخلاص والقول الاول هو الصحيح واختلفوا في هؤلاء الملائكة فقيل هم الحفظة وقيل غيرهم من الملائكة **وقوله** غفر له ما تقدم من ذنبه يعنى يغفر له الذنوب الصغاير دون الكبائر وقوله ابن شهاب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول امين معناه ان هذه صيغة تامينه صلى الله عليه وسلم **المسالة الثانية** في حكم الفاتحة اختلف العلماء في وجوب قراءة الفاتحة فذهب مالك والشافعى واحمد وجمهور العلماء الى وجوب الفاتحة وانها متعينة في الصلوة ولا تجزى الا بها واحتجوا بما روى عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلوة لمن لم يقرا بفاتحة الكتاب اخرجاه في الصحيحين وبحديث ابى هريرة رضى الله عنه من صلى صلوة لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب فهى خداج ثلاثا غير تمام الحديث وقد تقدم في فضل سورة الفاتحة وذهب ابو حنيفة الى ان الفاتحة لا تتعين على المصلى بل الواجب عليه قراءة اية من القران طويلة او ثلاث ايات قصار واحتج بقوله تعالى فاقرءوا ما تيسر منه وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابى المسيء صلاته ثم اقرا بما تيسر معك من القران اخرجاه في الصحيحين دليل الجمهور ما تقدم من الاحاديث فان قيل ان المراد من الحديث لا صلاة كاملة قلنا هذا خلاف ظاهر لفظ الحديث ومما يدل عليه حديث ابو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزى صلاة لمن لم يقرا بفاتحة الكتاب اخرجه الدار قطنى وقال اسناده صحيح وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امره ان يخرج فينادى لا صلاة الا بفاتحة الكتاب فما زاد اخرجه احمد وابو داود واجيب عن حديث الاعرابى بانه محمول على الفاتحة فانها متيسرة او على ما زاد على الفاتحة او على العاجز عن قراءة الفاتحة والله اعلم

تفسير سورة البقرة

قال ابن عباس هى اول ما نزل بالمدينة قيل سوى اية وهى قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فانها نزلت يوم النحر بمكة في حجة الوداع وهى مائتان وست وقيل وسبع وثمانون اية وستة الاف ومائة واحدى وعشرون كلمة وخمسة وعشرون الف حرف وخمسمائة حرف **فصل في فضلها** م عن ابى امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرءوا القران فانه ياتى يوم القيمة شفيعا لاصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وال عمران فانهما ياتيان يوم القيمة كانهما غمامتان او غيايتان او كانهما فرقان من طير صواف يحاجان على صاحبهما اقرءوا البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال معاوية بن سلام بلغنى ان البطلة السحرة **قوله** اقرءوا الزهراوين سميتا بذلك لنورهما وهدايتهما يقال لكل مستنير زاهر **قوله** كانهما غمامتان او غيايتان قال اهل اللغة الغمامة والغياية كل شىء اظل الانسان من فوق راسه من سحابة وغيرها والمعنى ان ثوابهما ياتى كغمامتين **قوله** فرقان من طير صواف والصواف جمع صافة وهى التى تصف اجنحتها عند الطيران تحاجان المحاجة المجادلة والمخاصمة واظهار الحجة والبطلة السحرة كما جاء في الحديث مبينا يقال ابطل اذا جاء بالباطل وفى الحديث دليل على جواز قول سورة البقرة وسورة ال عمران وانه لا كراهة في ذلك وكره بعض المفسرين وقال انما يقال السورة التى يذكر فيها البقرة وكذا باقى السور والصواب هو الاول وبه قال الجمهور لورود النص به م عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم مقابر ان الشيطان يفر من البيت الذى يقرا فيه سورة البقرة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شىء سنام وان سنام القران سورة البقرة وفيها اية هى سيدة اى القران اية الكرسى اخرجه الترمذى وقال حديث غريب

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله عز وجل**

الم قيل ان حروف الهجاء في اوايل السور من المتشابه الذي استاثر الله به وهي سر الله في القران فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى وفائدة الذكر طلب الايمان بها قال ابو بكر الصديق في كل كتاب سر وسر الله اوايل السور وقال علي بن ابي طالب ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي واورد على هذا القول بانه لا يجوز ان يخاطب الله عباده بما لا يعلمون واجيب عنه بانه يجوز ان يكلف الله عباده بما لا يعقل معناه كرمي الجمار فانه مما لا يعقل والحكمة فيه هو كمال الانقياد والطاعة فكذلك هذه الحروف يجب الايمان بها ولا يلزم البحث عنها وقال اخرون من اهل العلم هي معروفة المعاني ثم اختلفوا فيها فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من اسماء الله تعالى فالالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وقيل الالف الاء الله واللام لطفه والميم ملكه ويؤيد هذا ان العرب تذكر حرفا من كلمة تريد كلها قال الراجز قلت لها قفي فقالت قاف لا تحسبي انا نسينا الايجاف قولها قاف اي وقفت فاكتفت بجزء الكلمة عن كلها والايجاف الاسراع في السير قال ابن عباس الم انا الله اعلم وقيل هي اسماء الله مقطعة لو علم الناس تاليفها لعلموا اسم الله الاعظم الا ترى انك تقول الر وحم ون فيكون مجموعها الرحمن وكذلك سايرها ولكن لم يتهيا تاليفها جميعا وقيل اسماء السور وبه قال جماعة من المحققين وقال ابن عباس هي اقسام قيل اقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لانها مباني كتبه المنزلة واسمائه الحسنى وصفاته العلى وانما اقتصر على بعضها وان كان المراد كلها فهو كما تقول قرات الحمد لله وتريد انك قرات السورة بكمالها فكانه تعالى اقسم بهذه الحروف ان هذا الكتاب هو الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ وقيل ان الله تعالى لما تحداهم بقوله فاتوا بسورة من مثله بعشر سور مثله فعجزوا عنه انزل هذه الحروف ومعناه ان القران ليس هو الا من هذه الاحرف وانتم قادرون عليها فكان يجب ان تاتوا بمثله فلما عجزتم عنه دل ذلك على انه من عند الله لا من عند البشر وقيل انهم لما اعرضوا عن سماع القران واراد الله صلاح بعضهم انزل هذه الحروف فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين اسمعوا الى ما يجي به محمد فاذا اصغوا اليه وسمعوه رسخ في قلوبهم فكان ذلك سببا لايمانهم وقيل ان الله تعالى حير عقول الخلق في ابتداء خطابه ليعلموا ان لا سبيل لاحد الى معرفة خطابه الا باعترافهم بالعجز عن معرفة كنه حقيقة خطابه واعلم ان مجموع الاحرف المنزلة في اوائل السور اربعة عشر حرفا في تسع وعشرين سورة وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون وهي نصف حروف المعجم وسياتي الكلام على معانيها في مواضعها ان شاء الله تعالى

قوله عز وجل ذلك الكتاب اي هذا الكتاب هو القران وقيل فيه اضمار والمعنى هذا الكتاب ذلك الذي وعدتكم به وكان الله قد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم بان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يخلق على كثرة الرد فلما انزل القران قال هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك به وقيل ان الله وعد بني اسرائيل ان ينزل كتابا ويرسل رسولا من بني اسمعيل فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وبها من اليهود خلق كثير انزل الله هذه الاية الم ذلك الكتاب اي هذا ذلك الكتاب الذي وعدت به على لسان موسى ان انزله على النبي الامي الذي من ولد اسمعيل والكتاب مصدر بمعنى المكتوب واصله الضم والجمع ومنه يقال للجند كتيبة لاجتماعها فسمي الكتاب كتابا لانه يجمع الحروف بعضها الى بعض والكتاب اسم من اسماء القران لا ريب فيه اي لا شك فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق وقيل هو خبر بمعنى النهي اي لا ترتابوا فيه فان قلت قد ارتاب به قوم فما معنى لا ريب فيه قلت معناه انه في نفسه حق وصدق ومن حقق النظر عرف حقيقة ذلك هدى للمتقين الهداية عبارة عن الدلالة وقيل هي دلالة بلطف وقيل الهداية الارشاد والمعنى هو هدى للمتقين وقيل هو هاديا لا ريب في هدايته والمتقي اسم فاعل من وقاه فاتقى والتقوى جعل النفس في وقاية مما تخاف وقيل التقوى في عرف الشرع حفظ النفس مما يؤثم وذلك بترك المحظور وبعض المباحات قال ابن عباس المتقي من يتقي الشرك والكبائر والفواحش وهو ماخوذ من الاتقاء واصله الحجز بين الشيئين يقال اتقى بترسه اذا جعله حاجزا

بينه وبين النار وقيل المتقي هو من لا يرى نفسه خيرا من احد وقيل التقوى ترك ما حرم الله واداء ما افترض وقيل التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وقيل التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك وقيل التقوى الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وفي الحديث جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وقيل المتقي هو الذي يترك ما لا باس به حذرا مما به باس وخص المتقين بالذكر تشريفا لهم لان مقام التقوى مقام شريف عزيز لانهم هم المنتفعون بالهداية ولو لم يكن للمتقين فضل الا قوله هدى للمتقين لكفاهم فان قلت كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون قلت هو كقولك للعزيز الكريم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة له الى ما هو ثابت فيه كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم

الذين يؤمنون بالغيب اي يصدقون بالغيب واصل الايمان في اللغة التصديق قال تعالى وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق فاذا فسر الايمان بهذا فانه لا يزيد ولا ينقص لان التصديق لا يتجزى حتى يتصور كماله مرة ونقصانه اخرى والايمان في لسان الشرع عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان فاذا فسر بهذا فانه يزيد وينقص وهو مذهب السنة من اهل الحديث وغيرهم وفائدة هذا الخلاف تظهر في مسالة وهي ان المصدق بقلبه اذا لم يجمع الى تصديقه العمل بموجب الايمان من الصلوة والزكوة والصوم والحج ونحو ذلك من اركان الدين هل يسمى مؤمنا ام لا فيه خلاف والمختار عند اهل السنة انه لا يسمى مؤمنا لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فنفى عنه اسم الايمان او كمال الايمان وانكر اكثرهم زيادة الايمان ونقصانه وقالوا متى قبل الزيادة والنقص كان ذلك شكا وكفرا قال المحققون من متكلمي اهل السنة ان نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والايمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة الاعمال ونقصانها وبهذا امكن الجمع بين ظواهر نصوص الكتاب والسنة التي جاءت بزيادة الايمان ونقصانه وبين اصله من اللغة وقال بعض المحققين ان نفس التصديق قد يزيد وينقص بكثرة النظر والادلة والبراهين وقلة امعان النظر في ذلك ولهذا يكون ايمان الصديقين اقوى واثبت من ايمان غيرهم لانهم لا تعتريهم شبهة في ايمانهم ولا تزلزل واما غيرهم من احاد الناس فليس كذلك اذ لا يشك عاقل ان نفس ابي بكر لا يساوي تصديق غيره من احاد الامة وقيل انما سمي الاقرار والعمل ايمانا لوجه من المناسبة لانه من شرايعه والدليل على ان الاعمال من الايمان ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان اخرجاه في الصحيحين البضع بكسر الباء بين الثلثة الى العشرة والشعبة القطعة من الشيء واماطة الاذى عن الطريق هو عزل الحجر والشوك ونحو ذلك عنه والحياء بالمد هو انقباض النفس عن فعل القبيح وانما جعل من الايمان وهو اكتساب لان المستحي ينزجر باستحيائه عن المعاصي فصار من الايمان وقيل الايمان ماخوذ من الامن فسمي المؤمن مؤمنا لانه يؤمن نفسه من عذاب الله والاسلام هو الانقياد والخضوع وكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا اذا لم يكن معه تصديق وذلك ان الرجل قد يكون مسلما في الظاهر غير مصدق في الباطن

ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فاتاه رجل فقال يا رسول الله ما الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الاخر قال يا رسول الله ما الاسلام قال ان تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلوة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال يا رسول الله ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فانك ان لا تراه فانه يراك قال يا رسول الله متى الساعة قال ما المسئول عنها باعلم من السائل ولكن ساحدثك عن اشراطها اذا ولدت الامة ربها فذلك من اشراطها واذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس فذاك من اشراطها واذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من اشراطها في خمس لا يعلمهن الا الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام الى قوله ان الله عليم خبير قال ثم ادبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا علي الرجل فاخذوا ليردوه فلم يروا شيئا فقال صلى الله عليه وسلم هذا جبريل اتى ليعلم الناس دينهم وفي افراد مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه

نحو هذا الحديث وبمعناه وقد تقدم الكلام على معنى الايمان والاسلام وبقي اشياء تتعلق بمعنى الحديث • فقوله كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوما بارزا اي ظاهرا وقوله وتؤمن بالله ولقائه وتؤمن بالبعث الاخر هو بكسر الخاء وقيل في الجمع
بين قوله وتؤمن بلقاء الله وبالبعث فان اللقاء يحصل بمجرد الانتقال الى الدار الاخرة وهو الموت والبعث هو بعده
عند قيام الساعة وفي تقييده بالاخر وجهان وهو ان خروجه الى الدنيا بعث من الارحام وخروجه من القبر الى الاخرة بعث اخر
قوله ما الاحسان وهو هنا الاخلاص في العمل وهو شرط في صحة الايمان والاسلام لان من اتى بلفظ الشهادة واتى بالعمل
من غير اخلاص لم يكن محسنا وقيل اراد بالاحسان المراقبة وحسن الطاعة فان من راقب حسن عمله وهو المراد بقوله فان لم تكن
تراه فانه يراك واشراط الساعة علاماتها التي تظهر قبل قيامها • قوله اذا ولدت الامة ربها يعني سيدها والمعنى ان الرجل
يكون له الامة فتلد له ولدا فيكون ذلك الولد ابنها وسيدها ورعاء البهم بكسر الراء وفتح الباء واسكان الهاء من البهم وهو الصغار
من اولاد الضان والمعنى انه يبسط المال على اهل البادية واشباههم حتى يتباهون في البناء ويسودون الناس فذلك
من اشراط الساعة والله اعلم وقوله تعالى بالغيب الغيب مصدر وضع موضع الاسم فقيل للغائب غيب وهو ما كان
مغيبا عن العيون • قال ابن عباس رضي الله عنهما الغيب هنا كلما امرت بالايمان به مما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث
والجنة والنار والصراط والميزان وقيل الغيب هنا هو الله تعالى وقيل القران وقيل بالاخرة وقيل بالوحي وقيل بالقدر
وقال عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فذكرنا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن راه والذي
لا اله غيره ما من احد قط افضل من ايمان بغيب ثم قرا الم ذلك الكتاب الى قوله واولئك هم المفلحون • ويقيمون الصلوة
اي يداومون عليها في مواقيتها بحدودها واتمام اركانها وحفظها من ان يقع فيها خلل في فرايضها وسننها وادابها والمراد
به الصلوات الخمس والصلوة في اللغة الدعاء والرحمة ومنه قوله وصل عليهم اي ادع لهم واصله من صليت العود اذا لينته
فكان المصلي يلين ويخشع وفي الشرع اسم لافعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء مع النية • ومما رزقناهم
اي اعطيناهم من الرزق وهو اسم لما ينتفع به من مال وولد واصله الحظ والنصيب • ينفقون • اي يخرجون ويتصدقون
في طاعة الله تعالى وسبيله ويدخل فيه انفاق الواجب كالزكاة والنذر والانفاق على النفس وعلى من تجب نفقته عليه والانفاق
في الجهاد اذا وجب عليه والانفاق في المندوب وهو صدقة التطوع ومواساة الاخوان وهذه كلها تمامدح بها وادخل
من التي هي للتبعيض صيانة لهم وكفا عن السرف والتبذير المنهي عنهما في الانفاق • قوله عز وجل والذين يؤمنون بما انزل
اليك وما انزل من قبلك اي يصدقون بالقران المنزل عليك وبالكتب المنزلة على الانبياء من قبل كالتوراة والانجيل والزبور
وصحف الانبياء كلها فيجب الايمان بذلك كله • وبالاخرة يعني بالدار الاخرة سميت اخرة لتاخرها عن الدنيا وكونها بعدها
هم يوقنون • من الايقان وهو العلم والمعنى يستيقنون ويعلمون انها كائنة • اولئك اي الذين هذه صفتهم على
هدى من ربهم اي على هدى ورشاد ونور من ربهم وقيل على استقامة • واولئك هم المفلحون • اي الناجون الفائزون
نجوا من النار وفازوا بالجنة والمفلح الظافر بالمطلوب الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه ويكون الفلاح بمعنى
البقاء فيكون المعنى اولئك هم الباقون في النعيم المقيم والفلاح الظفر وادراك البغية من السعادة والفوز والبقاء والغنى
واصل الفلاح الشق كما قيل ان الحديد بالحديد يفلح اي يقطع فعلى هذا يكون المعنى اولئك المقطوع لهم بالخير
في الدنيا والاخرة • واعلم ان الله عز وجل صدر هذه السورة باربع ايات انزلها في المؤمنين وبايتين
انزلهما في الكافرين وثلث عشرة اية انزلها في المنافقين • فاما التي في الكفار • فقوله تعالى ان الذين
كفروا • اي جحدوا وانكروا • واصل الكفر في اللغة الستر والتغطية ومنه سمي الليل كافرا لانه يستر الاشياء بظلمته
قال الشاعر • في ليلة كفر النجوم غمامها • اي سترها والكفر على اربعة اضرب كفر انكار وهو ان لا يعرف الله
اصلا ككفر فرعون وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري • وكفر جحود وهو ان يعرف الله

بقلبه

الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس وكفر عناد وهو ان يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه ولا يدين به ككفر امية ابن ابي الصلت
وابي طالب حيث يقول في شعر له ولقد علمت بان دين محمد من خير اديان البرية دينا لولا الملامة او حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا
وكفر نفاق وهو ان يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه فجميع هذه الانواع كفر وحاصله ان من جحد الله او انكر وحدانيته او انكر شيئا مما انزله على رسوله
او انكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم او احدا من الرسل فهو كافر فان مات على ذلك فهو في النار خالدا فيها ولا يغفر الله له نزلت في مشركي العرب وقيل في اليهود •
سواء عليهم اي معتدل ولديهم ءانذرتهم اي خوفتهم وحذرتهم والانذار اعلام مع تخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا • ام لم تنذرهم
لا يؤمنون اي لا يصدقون وهذه الآية في اقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم الله الازلي انهم لا يؤمنون ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقال
تعالى ختم الله على قلوبهم اي طبع عليها فلا تعي خيرا ولا تفهمه واصل الختم وحقيقته الاستيثاق من الشيء لكي لا يخرج منه ما حصل فيه ولا يدخله
ما خرج منه ومنه ختم الكتاب قال اهل السنة حكم الله على قلوبهم بالكفر لما سبق من علمه الازلي فيهم وانما خص القلب بالختم لانه محل الفهم والعلم •
وعلى سمعهم اي ختم على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به لانها مجة وتنبو عن الاصغاء اليه كانها مستوثق منها بالختم ايضا وذكر
السمع بلفظ التوحيد ومعناه الجمع قيل انما وحده لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع • وعلى ابصارهم غشاوة هذا ابتداء كلام والغشاوة
الغطاء ومنه غاشية السرج اي وجعل على ابصارهم غشاوة فلا يرون الحق وهو غطاء التعامي عن ايات الله ودلائل توحيده •
ولهم عذاب عظيم يعني في الآخرة وقيل الاسر والقتل في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى وحقيقة العذاب هو كل ما يولم الانسان ويغمه
ويشق عليه وقيل هو الايجاع الشديد وقيل هو ما يمنع الانسان من مراده ومنه الماء العذب لانه يمنع العطش والعظيم ضد الحقير
قوله عز وجل ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي بن سلول ومعتب بن قشير
وجد بن قيس واصحابهم وذلك انهم اظهروا كلمة الاسلام ليسلموا من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه واسروا الكفر واعتقدوه واكثرهم
من اليهود وصفة المنافق ان يعترف بلسانه بالايمان ويقره وينكره بقلبه ويصبح على حال ويمسي على غيرها والناس جمع انسان سمي به لانه عهد
اليه فنسي قال الشاعر وسميت انسانا لانك ناسي وقيل سمي انسانا لانه يستانس بمثله • وباليوم الآخر اي وآمنا باليوم الآخر وهو يوم القيامة سمي بذلك لانه
باخر ايام الدنيا وهو آخر الايام المحدودة وما بعده فلا حد له ولا آخر قال الله تعالى ردا على المنافقين وما هم بمؤمنين نفى عنهم الايمان بالكلية •
يخادعون الله اي يخالفون الله والخديعة الحيلة والمكر واصلها الاخفاء والمخادع يظهر ضد ما يضمر ليتخلص فهو منزلة النفاق • والذين آمنوا اي ويخادعون المؤمنين
ان يظهر لهم نعيم الدنيا ويجعله لهم بخلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة فان قلت المخادعة مفاعلة وانما تجيء في الفعل المشترك والله تعالى منزه
عن المشاركة قلت المخادعة قد ترد للفعل في جهة التارك كقولك عافاك الله وطارقت النعل وعاقبت اللص والمخادعة هنا عبارة عن
فعل الواحد والله تعالى منزه عن ان يكون منه خداع فان قلت كيف يخادع احد وهو يعلم الضمائر والاسرار فما معنى قوله
تعالى يخادعون الله قلت ان الله تعالى ذكر نفسه واراد به رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك لتفخيم الامر وتعظيم الشأن وقيل اراد به المؤمنين
وان خادعوا المؤمنين فكانهم خادعوا الله تعالى وذلك انهم ظنوا ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لا يعلمون احوالهم ولتجري عليهم احكام المسلمين في الظاهر
وهم على خلافه في الباطن • وما يخادعون الا انفسهم اي ان الله تعالى يجازيهم على ذلك ويعاقبهم عليه فلا يكونون في الحقيقة الا خادعين
انفسهم وقيل ان وبال ذلك الخداع راجع اليهم لان الله يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب
في العقبى والنفس ذات الشيء وحقيقته وقيل الدم نفس لان به قوة البدن • وما يشعرون اي لا يعلمون ان وبال خداعهم راجع اليهم
في قلوبهم مرض اي شك ونفاق واصل المرض الضعف والخروج عن الاعتدال الخاص بالانسان وسمي الشك في الدين والنفاق مرضا لانه يضعف الدين كالمرض يضعف
البدن • فزادهم الله مرضا يعني ان الآيات كانت تنزل تترى آية بعد آية فكلما كفروا بآية ازدادوا بذلك كفرا ونفاقا • ولهم عذاب اليم اي موجع يخلص
وجعه الى قلوبهم • بما كانوا يكذبون اي بتكذيبهم الله ورسوله في السر وقرئ بالتخفيف اي بكذبهم اذ قالوا آمنا وهم غير مؤمنين • واذا قيل لهم يعني
للمنافقين وقيل لليهود والمعنى اذا قال لهم المؤمنون لا تفسدوا في الارض اي بالكفر وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن •
قالوا انما نحن مصلحون يعني يقولون ذلك كذبا الا انهم هم المفسدون يعني في الارض بالكفر وهو اشد الفساد • ولكن لا يشعرون
وذلك لانهم يظنون ان ما هم عليه من النفاق وابطان الكفر صلاح وهو عين الفساد وقيل لا يشعرون بما اعد الله لهم من العذاب • واذا قيل لهم يعني

للمنافقين وقيل لليهود آمنوا كما آمن الناس يعني المهاجرين والانصار وقيل عبد الله بن سلام واصحابه من مؤمني اهل الكتاب والمعنى اخلصوا في ايمانكم كما اخلص هؤلاء في
ايمانهم لان المنافقين كانوا يظهرون الايمان قالوا انؤمن كما آمن السفهاء اي الجهال فان قلت كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم انؤمن كما آمن السفهاء قلت كانوا يظهرون
هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك فرد الله ذلك عليهم بقوله الا انهم هم السفهاء يعني الجهال واصل السفه خفة
العقل ورقة العلم وانما سمى الله المنافقين سفهاء لانهم كانوا عند انفسهم عقلاء رؤساء فقلب ذلك عليهم وسماهم سفهاء ولكن لا يعلمون يعني انهم
كذلك قوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا يعني هؤلاء المنافقين اذا لقوا المهاجرين والانصار قالوا آمنا كايمانكم واذا خلوا اي رجعوا وقيل هو من
الخلوة الى شياطينهم يعني الى رؤسائهم وكهنتهم وقيل يعني الى شياطينهم والمراد بشياطينهم رؤساؤهم وكهنتهم قال ابن عباس هم خمسة نفر
كعب بن الاشرف من اليهود بالمدينة وابو بردة في بني اسلم وعبد الدار في جهينة وعوف بن عامر في بني اسد وعبد الله بن السوداء بالشام ولا يكون كاهن الا ومعه شيطان
تابع له وقيل هم رؤساؤهم الذين شابهوا الشياطين في تمردهم قالوا انا معكم اي على دينكم انما نحن مستهزئون اي بمحمد واصحابه بما نظهر لهم من الاسلام لنأمن من
شرهم ونقف على سرهم ونأخذ من غنائمهم وصدقاتهم قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبد الله بن ابي واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم
واستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن ابي لاصحابه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فاخذ
بيد ابي بكر الصديق فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله ثم
اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علي يا
عبد الله لا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال مهلا يا ابا الحسن الي تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم
ثم تفرقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا الله يستهزئ بهم اي يجازيهم جزاء استهزائهم بالمؤمنين وسمي الجزاء
باسمه لانه مقابلة قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة فاذا انتهوا اليه سد عنهم وردوا الى النار ويمدهم اي يتركهم ويمهلهم والمد والامداد
واحد واصله الزيادة واكثر ما يأتي المد في الشر والامداد في الخير في طغيانهم اي في ضلالتهم واصل الطغيان مجاوزة الحد يعمهون اي يترددون
في الضلالة متحيرين اولئك يعني المنافقين الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي استبدلوا الكفر بالايمان وانما اخرجه بلفظ الشرى
والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لان الشرى فيه اعطاء بدل واخذ آخر فان قلت كيف قال اشتروا الضلالة بالهدى وما
كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه كانه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوه به والضلالة الجور عن القصد
وفقد الاهتداء فما ربحت تجارتهم اي ما ربحوا في تجارتهم والربح الفضل عن رأس المال واضاف الربح الى التجارة لان الربح فيها يكون
وما كانوا مهتدين اي مصيبين في تجارتهم لان رأس المال هو الايمان فلما اضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى وقيل
وما كانوا مهتدين في ضلالتهم قوله عز وجل مثلهم المثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة
ليبين احدهما الآخر ويصوره وهذا ضرب الله تعالى الامثال في كتابه وهو احد اقسام القرآن السبعة ولما ذكر الله تعالى حقيقة
وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان لانه يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه ولان المثل تشبيه
الشيء الخفي بالجلي فيتأكد الوقوف على ماهيته وذلك هو النهاية في الايضاح وشرطه ان يكون قولا فيه غرابة من بعض الوجوه كمثل
الذي استوقد نارا اي اوقد نارا لينتفع بها فلما اضاءت يعني النار ما حوله يعني حول المستوقد ذهب الله بنورهم فان قلت كيف
وحد الذي ثم جمع ثانيا قلت يجوز وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا وقيل انما شبه قصتهم بقصة المستوقد الزيادة
وقيل معناه مثل كل واحد منهم كمثل الذي استوقد نارا وتركهم في ظلمات لا يبصرون قال ابن عباس نزلت في المنافقين يقول مثلهم في
نفاقهم كمثل رجل اوقد نارا في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفأ ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف فبينما هو كذلك اذ طفئت ناره فبقي في ظلمة
حائرا متحيرا فكذلك حال المنافقين اظهروا كلمة الايمان فأمنوا بها على انفسهم واموالهم واولادهم وناكحوا المؤمنين وقاسموهم الغنائم فذلك نورهم
فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهاب نورهم ظهور عقيدتهم للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ذهاب نورهم
في القبر او على الصراط فان قلت ما وجه تشبيه الايمان بالنور والكفر بالظلمة قلت وجه تشبيه الايمان بالنور ان النور ابلغ الاشياء

في الهداية الى الحق المقصود والى الطريق المستقيم دار الحق وكذا الايمان هو الطريق الواضح الى الله تعالى والى جنته وشبه الكفر بالظلمة لان الضال عن الطريق المثل
المسلوك في الظلمة لا يزداد الا حيرة وكذا الكفر لا يزداد صاحبه في الآخرة الا حيرة وفي ضرب المثل للمنافقين بالنار تكملة حكم احدها ان المستضيء بالنار مستضيء
بنور غيره فاذا ذهب ذلك النور بقي في ظلمة فكانهم لما اقروا بالايمان من غير اعتقاد قلوبهم كان ايمانهم كالمستعار الثانية ان النار تحتاج في دوامها الى مادة
الحطب لتدوم فكذا الايمان يحتاج الى مادة الاعتقاد ليدوم الثالث ان الظلمة الحادثة بعد الضوء اشد على الانسان مما قبلها من ظلمة لم يجد قبلها
ضياء فشبه حالهم بذلك ثم وصفهم الله تعالى فقال صم اي عن سماع الحق لانهم لا يقبلونه واذا لم يقبلوه فكأنهم لم يسمعوه بكم اي خرس عن النطق
بالحق فهم لا يقولونه عمي اي لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له فهو اعمى كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا
عن سماع الحق آذانهم وابوا ان تنطق به السنتهم وان ينظروا اليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت حواسه وذهب ادراكه قال الشاعر صم اذا صم ما
سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذن فهم لا يرجعون اي عن ضلالتهم ونفاقهم قوله تعالى او كصيب اي كاصحاب
صيب وهو المطر وكل ما نزل من الاعلى الى الاسفل فهو صيب من السماء اي من ناحية السماء لان كل ما علاك واظلك فهو سماء ومنه قيل
لسقف البيت سماء وقيل من السماء بعينها وانما ذكر الله تعالى السماء وان كان المطر لا ينزل الا منها ليدل على من زعم ان المطر ينعقد من
بخار الارض وابطل مذهب الحكماء بقوله من السماء ليعلم ان المطر ليس من بخار الارض كما زعم الحكماء فيه اي في الصيب ظلمات جمع ظلمة
ورعد وهو الصوت الذي يسمع من السحاب وبرق يعني النار التي تخرج منه قال ابن عباس الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوط النوء
من نور يزجر به السحاب وقيل الرعد اسم ملك يزجر السحاب اذا تبددت جمعها وضمها فاذا اشتد غضبه خرج من فيه النار فهي البرق والصواعق
وقيل الرعد تسبيح الملك وقيل اسمه يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت من يسمعها
او يغشى عليه وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على من يشاء عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد
والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب حذر الموت اي
مخافة الهلاك والله محيط بالكافرين اي عالم بهم وقيل يجمعهم ويعذبهم يكاد البرق اي يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل يخطف ابصارهم
اي يختلسها والخطف استلاب الشيء بسرعة كلما اضاء لهم يعني البرق مشوا فيه اي في ضوئه ونوره واذا اظلم عليهم قاموا اي
وقفوا متحيرين وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين ووجه التمثيل ان الله عز وجل شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة
في ليلة مظلمة اصابهم مطر فيه ظلمات وهي ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفة تلك الظلمات ان الساري لا يمكنه المشي فيها ورعد
من صفته ان يصم سامعه اصابعهم في آذانهم من هوله وبرق من صفته ان يخطف ابصارهم ويعميها من شدته فهذا مثل
ضربه الله تعالى للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه فالمطر هو القرآن لانه حياة القلوب كما ان المطر حياة الارض والظلمات
ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك والنفاق والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد
وذكر الجنة فالكافرون والمنافقون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن وسماعه مخافة ان يميل قلوبهم اليه لان الايمان به عندهم
كفر والكفر موت وقيل هذا مثل ضربه الله للاسلام فالمطر هو الاسلام والظلمات ما فيه من البلاء والمحن والرعد ما فيه من
ذكر الوعيد والمخاوف في الآخرة والبرق ما فيه من الوعد يجعلون اصابعهم في آذانهم يعني المنافقين اذا رأوا في الاسلام بلاء
وشدة هربوا حذرا من الهلاك والله محيط بالكافرين يعني لا ينفعهم الهرب لان الله من ورائهم يجمعهم ويعذبهم يكاد البرق
يعني دلائل الاسلام تزعجهم الى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلما اضاء لهم يعني للمنافقين واضاءته لهم تركهم بلا ابتلاء وامتحان
مشوا فيه يعني على المسالمة باظهار كلمة الايمان وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة في الاسلام ثبتوا وقالوا انا معكم واذا اظلم عليهم
قاموا يعني اذا رأوا شدة وبلاء تأخروا ولو شاء الله لذهب بسمعهم اي بصوت الرعد وابصارهم بوميض البرق وقيل لذهب
باسماعهم وابصارهم الظاهرة كما ذهب باسماعهم وابصارهم الباطنة ان الله على كل شيء قدير اي هو الفاعل لما يشاء لا منازع
له فيه قوله عز وجل يا ايها الناس قال ابن عباس خطاب لاهل مكة ويا ايها الذين آمنوا خطاب لاهل المدينة وهو هنا خطاب عام لسائر
المكلفين اعبدوا ربكم قال ابن عباس وحدوا ربكم وكل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد واصل العبودية التذلل

والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها الا من له غاية الافضال والانعام وهو الله تعالى الذي خلقكم اي ابتدع خلقكم على غير مثال سبق والذين من قبلكم اي وخلق الذين من قبلكم لعلكم لعل وعسى حرفا ترج وهي من الله واجب تتقون اي لكي تنجوا من العذاب وقيل معناه تكونوا على رجاء التقوى بان تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الذي جعل لكم الارض فراشا اي خلق لكم الارض بساطا ووطاء مذللة ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها والحزن الغليظ من الارض والسماء بناء اي سقفا مرفوعا قيل اذا تامل الانسان المتفكر في هذا العالم وجده كالبيت المعمور فيه كلما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والانسان كالمالك للبيت وفيه ضروب النبات المهيأة لمنافعه واصناف الحيوان مصروفة في مصالحه فيجب على الانسان المسخر له هذه الاشياء شكر الله تعالى عليها وانزل من السماء يعني السحاب ماء يعني المطر فاخرج به اي بذلك الماء من الثمرات اي من الوان الثمرات واصناف النبات رزقا لكم اي وعلفا لدوابكم فلا تجعلوا لله اندادا يعني امثالا تعبدونهم كعبادة الله والند المثل وانتم تعلمون يعني انكم بعقولكم تعلمون ان هذه الاشياء والامثال لا يصح جعلها انداد الله وانه واحد خالق لجميع الاشياء وانه لا مثل له ولا ضد قوله تعالى وان كنتم في ريب اي وان كنتم في شك لان الله علم انهم شاكون مما نزلنا على عبدنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لما تقرر اثبات الربوبية لله تعالى وانه الواحد الخالق وانه لا ضد له ولا ند اعقبه باقامة الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة وانه من عند الله لا من عند نفسه كما يدعونه فيه وقوله على عبدنا اضافة تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم وان القرآن منزل عليه من عند الله تعالى فاتوا امر تعجيز بسورة والسورة قطعة من القرآن معلومة الاول والآخر وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة ومنه سور البلد لارتفاعه سميت سورة لان القارئ ينال بقراءتها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن من مثله اي من مثل القرآن وقيل الضمير في مثله راجع الى عبدنا يعني من مثل محمد صلى الله عليه وسلم امي لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلماء ولم ياخذ العلم عن احد ورد الضمير الى القرآن اوجه واولى ويدل عليه ان ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة في التحدي وانما وقع الكلام في المنزل لا في المنزل عليه وان ارتبتم في ان القرآن منزل من عند الله فاتوا انتم بسورة مما يماثله ويجانسه ولو كان الضمير مردودا الى محمد صلى الله عليه وسلم لقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثل محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على كون القرآن معجزة ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة في طرفي الايجاز والاطالة فتارة ياتي بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود وانه فارقت اساليبه اساليب الكلام واوزانه اوزان الاشعار والخطب والرسائل حتى قال الوليد بن المغيرة في وصف القرآن والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اصله لعذق وان اعلاه لمثمر وادعوا شهداءكم من دون الله اي استعينوا بالهتكم التي تعبدونها من دون الله والمعنى ان كان الامر كما تقولون انها تستحق العبادة فتجعلوا الاستعانة بها في دفع ما نزل بكم من امر محمد والا فاعلموا انكم مبطلون في دعواكم انها الهة وقيل معناه وادعوا ناسا يشهدون لكم ان كنتم صادقين ان محمدا صلى الله عليه وسلم تقوله من تلقاء نفسه فان لم تفعلوا اي فيما مضى ولن تفعلوا اي فيما بقي وهذه الآية دالة على عجزهم وانهم لم ياتوا بمثله ولا بمثل شيء منه وذلك ان النفوس الابية اذا قرعت بمثل هذا التقريع استفرغت الوسع في الاتيان بمثل القرآن او بمثل سورة منه ولو قدروا على ذلك لتوافرت فحيث لم ياتوا بشيء ظهرت المعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وبان عجزهم وهم اصل الفصاحة والبلاغة والقرآن من جنس كلامهم وكانوا حراصا في اطفاء نوره وابطال امره ثم مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة من احد منهم ورضوا بسبي الذراري واخذ الاموال والقتل واذ ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك وجب ترك العناد وهو قوله فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة قال ابن عباس يعني حجارة الكبريت لانها اكثر التهابا وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها وقيل اراد بها الاصنام لان اكثر اصنامهم كانت من حجارة وانما قرن الناس مع الحجارة لانهم كانوا يعبدونها معتقدين فيها انها تنفعهم وتشفع لهم فجعلها الله عذابا في نار جهنم اعدت للكافرين قوله عز وجل وبشر الذين آمنوا اي اخبر المؤمنين يا محمد صلى الله عليه وسلم والبشارة ايراد الخبر السار على سامعه ليستبشر به ويظهر السرور في بشرة وجهه لان الانسان اذا فرح بشيء سره ظهر ذلك على بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع موضع الخبر سرا او ساء ومنه قوله فبشرهم بعذاب اليم ولكن هو في السرور والخير اغلب وعملوا الصالحات اي الفعلات الصالحات وهي الطاعات قيل العمل الصالح ما كان فيه اربعة اشياء العلم والنية والصبر والاخلاص وقال عثمان بن عفان وعملوا الصالحات اي اخلصوا الاعمال يعني عن الرياء ان لهم جنات جمع جنة وهي البستان

الذي فيه اشجار مثمرة سميت جنة لاجتنانها وتسترها بالاشجار والاوراق وقيل الجنة ما فيه نخل والفردوس ما فيه كرم تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها ومساكنها التي تجري المياه في الانهار لان الانهار لا تجري وقيل معناه تجري بامرهم وفي الحديث ان انهار الجنة تجري في غير اخدود وانهارها غير مشقوق والاخدود الشق كلما رزقوا اي طعموا منها اي من الجنة من ثمرة رزقا اي طعاما قالوا هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا وقيل ان ثمار الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم فاذا رزقوا ثمرة بعد اخرى ظنوا انها الاولى واتوا به اي بالرزق متشابها قال ابن عباس مختلفا في الطعوم وقيل يشبه بعضه بعضا في الجودة لا رداءة فيه وقيل يشبه ثمار الدنيا في الاسم لا في الطعم عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة ياكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبزقون يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم جشاء ورشح كرشح المسك لا يشغلهم عن شيء كما ان النفس لا يشغلهم عن شيء قوله طعامهم جشاء يعني ان فضول طعامهم تخرج في الجشاء وهو تنفس المعدة والرشح العرق وقوله تعالى ولهم فيها اي في الجنان ازواج اي من الحور العين مطهرة يعني من البول والغائط والحيض والولد وسائر الاقذار وقيل هو عام في ازواجهم العجائز الغمص العمش طهرن من قذرات الدنيا وقيل طهرن من مساوئ الاخلاق قيل في الجنة جماع ما شئت ولا ولد وهم فيها خالدون اي لا يخرجون منها ولا يموتون لان كمال النعم الواصل اليهم لا انقطاع له عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على اشد كوكب دري في السماء اضاءة لا يبصقون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون امشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة الالنجوج عود الطيب ازواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم ستون ذراعا في السماء وفي رواية ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا عن ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا للمؤمن فيها اهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله مم خلق الخلق قال من الماء قلت الجنة ما بناؤها قال لبنة فضة ولبنة ذهب وملاطها المسك الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يباس ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم اخرجه الترمذي بزيادة وقال ليس اسناده بذاك القوي عن عبادة ابن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس اعلاها درجة ومنها تتفجر انهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا سالتم الله فاسالوه الفردوس اخرجه الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لسوقا ياتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى اهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم اهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وانتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا عن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن باصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نباس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها سبب نزول هذه الآية ان الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت وذكر النحل والنمل قالت اليهود ما اراد الله بذكر هذه الاشياء الخسيسة وقيل قال المشركون انا لا نعبد الها يذكر هذه الاشياء وذلك ان الكفار واليهود كانوا ينتقصون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذلك فانزل الله تعالى ان الله لا يستحيي الحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به ويذم عليه وقيل هو انقباض النفس عن القبائح هذا اصله في وصف الانسان والله تعالى منزه عن ذلك كله فاذا وصف الله تعالى به يكون معناه الترك وذلك لان لكل فعل بداية ونهاية فبداية الحياء هو التغير الذي يلحق الانسان من خوف ان ينسب اليه ذلك الفعل القبيح ونهايته ترك ذلك الفعل القبيح فاذا ورد وصف الحياء في حق الله تعالى فليس المراد منه بدايته وهو التغير والخوف بل المراد منه ترك الفعل الذي هو نهاية الحياء وغايته فيكون معنى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا اي لا يترك المثل لقول الكفار واليهود ما قيل ما صلة فيكون المعنى ان يضرب مثلا بعوضة وقيل ليس هي بصلة بل هي للابهام والنكرة والبعوض صغار البق وهو من عجيب خلق الله فانه في غاية الصغر وله خرطوم مجوف وهو مع صغره يغوص خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية حتى ان الجمل يموت من قرصته فما فوقها يعني الذباب والعنكبوت وما هو اعظم منها في الخلقة وقيل

معناه فما دونها واصغر منها وهذا القول اشبه بالاية لان الغرض بيان ان الله تعالى لا يستحيي من التمثيل بالشيء الصغير الحقير وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم
مثلا للدنيا بجناح البعوضة وهو ما فوقها وقد ضرب العرب المثل بالمحقرات فقيل هو احقر من ذرة واجمع من نملة واطيش من ذبابة
فاما الذين امنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن فيعلمون انه يعني ضرب المثل الحق يعني الصدق الثابت الذي لا يجوز انكاره لان ضرب الامثال من الامور
المستحسنة في العقل عند العرب واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا اي بهذا المثل يضل به كثيرا اي من الكفار وذلك
انهم يكذبونه فيزدادون به ضلالا ويهدي به كثيرا يعني المؤمنين يصدقونه ويعلمون انه حق وما يضل به الا الفاسقين يعني الكافرين وقيل
المنافقين وقيل اليهود والفسق الخروج عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ثم وصفهم الله تعالى فقال تعالى الذين ينقضون اي يخالفون ويتركون واصل النقض
الفسخ وفك التركيب عهد الله اي امر الله واصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال من بعد ميثاقه اي من بعد عقده وتوكيده وفي
معنى هذا العهد اقوال احدها انه الذي اخذه عليهم يوم الميثاق وهو قوله تعالى الست بربكم قالوا بلى شهدنا الثاني المراد به الذي
اخذه على احبار اليهود في التوراة ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويبينوا نعته وصفته الثالث المراد به الكفار والمنافقين الذين
نقضوا عهد الله تعالى والحكم بما انزل في كتبه من الآيات الدالة على توحيده ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يعني الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
وجميع الرسل امنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود وقيل اراد به قطع الارحام التي امر الله بوصلها ويفسدون في الارض يعني بالمعاصي
وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن اولئك هم الخاسرون اي المغبونون واصل الخسار النقص ثم قال تعالى للمشركين العرب على وجه
التعجب لكن فيه تبكيت وتعنيف لهم كيف تكفرون بالله يعني بعد نصب الدلائل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته ثم ذكر الدليل فقال تعالى
وكنتم امواتا يعني نطفا في اصلاب ابائكم فاحياكم يعني في الارحام والدنيا ثم يميتكم اي عند انقضاء اجالكم ثم يحييكم يعني للبعث ثم اليه ترجعون
اي تردون في الاخرة فيجزيكم باعمالكم قوله عز وجل هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا يعني من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار والمعنى
كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في الارض جميعا لتنتفعوا به في مصالح الدين والدنيا اما مصالح الدين فهو الاعتبار والتفكر في عجائب مخلوقاته
الدالة على وحدانيته واما مصالح الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها ثم استوى الى السماء اي قصد واقبل على خلقها وقيل عمد وقال
ابن عباس ارتفع وفي رواية عنه صعد وقال الاول معناه صعد امره وكذا ذكره صاحب المحكم وذلك ان الله خلق الارض ولم يدحها ثم استوى الى السماء خلق
فان قلت كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها قلت الوجه الصحيح ان الله تعالى خلق جرم الارض ولم يبسطها
ثم خلق السماء وبسط جرم الارض بعد ذلك فان قلت هذا مشكل ايضا لان قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا يقتضي ان ذلك لا يكون
الا بعد الدحو قلت الدحو البسط يحتمل انه ليس هنا ترتيب وانما هو على سبيل تعديد النعم كقول الرجل لمن يذكر ما انعم عليه الم
اعطك الم ارفع قدرك الم ادفع عنك ولعل بعض هذه النعم متقدم على بعض والله اعلم فسواهن سبع سموات خلقهن سبع سموات
مستويات لا صدع فيها ولا فطور وسياتي ذكر خلق الارض والسماء عند قوله قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين في سورة حم السجدة
ان شاء الله تعالى وهو بكل شيء عليم يعني بعلم الجزئيات كما يعلم الكليات قوله تعالى واذ قال ربك اي واذكر يا محمد اذ قال ربك وكلما
ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله وقيل اذ زائدة والاول اوجه للملائكة جمع ملك واصله مالك من المالكة وهي الرسالة واراد بالملائكة الذين
كانوا في الارض وذلك ان الله تعالى خلق الارض والسماء وخلق الملائكة والجن فاسكن الملائكة السماء واسكن الجن الارض فعبدوا دهرا
طويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فافسدوا واقتتلوا فبعث الله اليهم جندا من الملائكة يقال لهم الجان ورأسهم ابليس وهم خزان الجنان
فهبطوا الى الارض وطردوا الجن الى جزائر البحور وشعوب الجبال وسكنوا هم الارض وخفف الله عنهم العبادة واعطى الله تعالى ابليس
ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان ابليس يعبد الله تارة في الارض وتارة في السماء
وتارة في الجنة فدخله العجب وقال في نفسه ما اعطاني الله هذا الملك الا لاني اكرم الملائكة عليه فقال الله له ولجنده اني جاعل في الارض خليفة
اي خالق خليفة يعني بدلا منكم ورافعكم الي فكرهوا ذلك لانهم كانوا اهون الملائكة عبادة والمراد بالخليفة هنا ادم لانه خلف الجن
وجاء بعدهم وقيل لانه يخلفه غيره والصحيح انه انما سمي خليفة لانه خليفة الله في ارضه لاقامة حدوده وتنفيذ قضاياه قالوا
اتجعل فيها من يفسد فيها بالمعاصي ويسفك الدماء بغير حق كما فعل بنو الجان فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى قالوا هذا

القول قلت يحتمل ان يكون عرفوا ذلك بالاخبار من الله اياهم او قاسوا الشاهد على الغائب وقيل انهم لما راوا ان ادم خلق من اخلاط الارض مركبة علموا
انه قد يكون فيه الحقد والغضب فيتولد منهما الفساد وسفك الدماء فلهذا قالوا ذلك وقيل لما خلق الله النار خافت الملائكة وقالوا لمن خلقت
هذه النار قال لمن عصاني فلما قال اني جاعل في الارض خليفة قالوا ذلك فان قلت الملائكة معصومون فكيف وقع منهم هذا الاعتراض
قلت ذهب بعضهم الى انهم غير معصومين واستدلوا على ذلك بوجوه منها قوله اتجعل فيها من يفسد فيها ومن ذهب الى
عصمتهم اجاب عنه بان هذا السؤال انما وقع على سبيل التعجب لا على سبيل الانكار والاعتراض فانهم تعجبوا من كمال حكم الله تعالى
واحاطة علمه بما خفي عليهم ولهذا اجابهم بقوله اني اعلم ما لا تعلمون وقيل ان العبد المخلص في حب سيده يكره ان يكون له عبد
اخر يعصيه فكان سؤالهم على وجه المبالغة في اعظام الله عز وجل ونحن نسبح بحمدك اي نقول سبحان الله وبحمده وهي صلاة الخلق وعليها
يرزقون عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اي الكلام افضل قال ما اصطفى الله لملائكته او لعباده سبحان الله وبحمده [illegible]
كل ما جاء في القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة فيكون المعنى ونحن نصلي لك وقيل اصل التسبيح تنزيه الله عما لا يليق بجلاله فيكون
المعنى نحن ننزهك عن كل سوء ونقيصة ومعنى بحمدك حامدين لك او متلبسين بحمدك وقيل نسبح بحمدك فانه لولا انعامك
علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك ونقدس لك اصل التقديس التطهير اي نطهرك عن النقائص ونصفك بما يليق بعزك وجلالك
من العلو والعظمة واللام صلة وقيل معناه نطهر انفسنا لطاعتك وعبادتك قال اني اعلم ما لا تعلمون قيل انه جواب
لقول الملائكة اتجعل فيها فقال تعالى اعلم من وجوه المصالح والحكمة ما لا تعلمون وقيل اعلم ان منهم من يعبدني ويطيعني
وهم الانبياء والاولياء والصالحون ومن يعصيني منكم وهو ابليس وقيل اعلم انهم يذنبون ويستغفرون فاغفر لهم فصل في صفة
الملائكة وقصة خلق ادم عليه السلام قيل ان الملائكة اجسام لطيفة هوائية خلقوا من النور تقدر ان تتشكل باشكال مختلفة مسكنهم في
السموات عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما
فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا اخرجه الترمذي بزيادة وقال حديث حسن غريب واما صفة
خلق ادم عليه السلام فقال وهب بن منبه لما اراد الله تعالى ان يخلق ادم اوحى الى الارض اني خالق منك خليقة منهم من
يطيعني ومنهم من يعصيني فمن اطاعني ادخلته الجنة ومن عصاني ادخلته النار قالت الارض اتخلق مني خلقا يكون للنار قال
نعم فبكت الارض فانفجرت منها العيون الى يوم القيامة فبعث الله اليها جبريل لياتيه بقبضة منها من احمرها واسودها وطيبها
وخبيثها فلما اتاها ليقبض منها قالت اعوذ بعزة الله الذي ارسلك الي ان تاخذ مني شيئا فرجع جبريل الى مكانه وقال يا رب
استعاذت بك مني فكرهت ان اقدم عليها فقال الله لميكائيل انطلق فاتني بقبضة منها فلما اتاها ليقبض منها قالت له مثل
ما قالت لجبريل فرجع الى ربه فقال ما قالت له فقال لعزرائيل انطلق فاتني بقبضة من الارض فلما اتاها قالت له الارض اعوذ
بعزة الله الذي ارسلك ان تاخذ مني شيئا فقال وانا اعوذ بعزة الله الذي ارسلني ان تاخذ مني شيئا فقال وانا اعوذ بعزته
ان اعصي له امرا وقبض منها قبضة من جميع بقاعها من عذبها ومالحها وحلوها ومرها وطيبها وخبيثها وصعد بها
الى السماء فسأله ربه عز وجل وهو اعلم بما صنع فاخبره بما قالت له الارض وبما رد عليها فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لاخلقن
مما جئت به خلقا ولاسلطنك على قبض ارواحهم لقلة رحمتك ثم جعل الله تلك القبضة نصفها في الجنة ونصفها في
النار ثم تركها ما شاء الله ثم اخرجها فعجنها طينا لازبا مدة ثم حمأ مسنونا مدة ثم صلصالا ثم جعلها جسدا والقاه
على باب الجنة فكانت الملائكة يعجبون من صفة صورته لانهم لم يكونوا راوا مثله وكان ابليس يمر عليه ويقول لامر ما خلق هذا
ونظر اليه فاذا هو اجوف فقال هذا خلق لا يتمالك وقال يوما للملائكة ان فضل هذا عليكم ما تصنعون قالوا نطيع ربنا
ولا نعصيه فقال ابليس في نفسه لئن فضل علي لاعصينه ولئن فضلت عليه لاهلكنه فلما اراد الله تعالى ان ينفخ فيه
الروح امرها ان تدخل في جسد ادم فنظرت فرأت مدخلا ضيقا فقالت يا رب كيف ادخل هذا الجسد قال الله عز وجل لها
ادخليه كرها وستخرجين منه كرها فدخلت في يافوخه ثم وصلت الى عينيه فجعل ينظر الى سائر جسده طينا فصارت الى ان وصلت

مغوبه فعطس فلما بلغت لسانه قال الحمد لله رب العالمين وهي اول كلمة قالها فناداه الله تعالى يرحمك ربك يا ابا محمد ولهذا
خلقتك ولما بلغت الروح الى الركبتين هم ليقوم فلم يقدر قال تعالى خلق الانسان من عجل فلما بلغت الى الشوى
والقدمين استوى قايما بشرا سويا لحما وعظاما وعروقا وعصبا واحشا وكسي لباسا من ظفر يزداد جوده
وحسنا كل يوم وجعل في جسده تسعة ابواب سبعة في راسه وهي الاذنان يسمع بهما والعينان يبصر بهما والمنخران يشم
بهما والفم فيه اللسان يتكلم به والاسنان يطحن بها ما ياكله ويجد لذة المطعومات وبابين في اسفل جسده وهما
القبل والدبر يخرج منهما ثفل طعامه وشرابه وجعل عقله في دماغه وفكرته وحرامته في قلبه وشرهه في
كليته وغضبه في كبده ورغبته في ريته ويبصر ويشم وينطق بلحم ويعرف بعظم وركب فيه الشهوة وحجبه بالحياء ق
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال خلق الله ادم عليه السلام طوله ستون ذراعا ثم قال اذهب فسلم على اولئك نفر من الملائكة فاستمع
ما يحيونك فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من
يدخل الجنة على صورة ادم قال فلم يزل الخلق ينقص حتى الان م عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صور الله ادم
تركه ما شاء الله ان يتركه فجعل ابليس يطيف به ينظر ما هو فلما راه اجوف عرف انه لا يتمالك عن ابي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله تبارك وتعالى خلق ادم من قبضة قبضها من جميع الارض فجا بنو ادم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود
وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب اخرجه الترمذي وابو داود قوله عز وجل وعلم ادم الاسما كلها سمي ادم
لانه خلق من اديم الارض وقيل لانه كان ادم اللون وكنيته ابو محمد وقيل ابو البشر ولما خلق الله ادم وتم خلقه علمه
اسماء الاشيا وذلك ان الملائكة قالوا ليخلق ربنا ما شا فلن يخلق خلقا اكرم عليه منا وان كان فنحن اعلم منه لانا خلقنا قبله
ورأينا ما لم يره فاظهر الله تعالى فضل ادم عليهم بالعلم وفيه دليل لمذهب اهل السنة ان الانبيا افضل من الملائكة وان
كانوا رسلا قال ابن عباس علمه اسم كل شي حتى القصعة والقصيعة وقيل خلق الله كل شي من الحيوان والجماد وغير ذلك وعلم ادم
اسماءها كلها فقال يا ادم هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى اتى على اخرها وقيل علم ادم اسما الملائكة وقيل اسما ذريته وقيل علمه
اللغات كلها ثم عرضهم يعني تلك الاشيا وانما قال عرضهم ولم يقل عرضها لان المسميات اذا جمعت من يعقل وما لا يعقل عبر عنه
بلفظ من يعقل لتغليب العقلا عليهم كما يعبر عن الذكور والاناث بلفظ الذكور على الملائكة فقال يعني تعجيزا لهم انبئوني اي اخبروني
باسما هولا يعني تلك الاشيا ان كنتم صادقين اني لم اخلق خلقا الا كنتم افضل منهم واعلم قالوا يعني الملائكة
سبحانك تنزيها لك عن ذلك لما ظهر عجزهم لا علم لنا الا ما علمتنا انك اجل من ان نحيط بشي من علمك الا ما علمتنا انك انت
العليم يعني بخلقك وهو من اسما الصفات التامة وهو المحيط بكل المعلومات الحكيم اي في امرك وله معنيان احدهما انه القاضي
العدل والثاني المحكم للامور كي لا يتطرق اليها الفساد قال يعني الله تعالى الم اقل لكم يا ادم انبئهم باسمائهم وذلك لما ظهر عجز
الملائكة فسمى كل شي باسمه وذكر وجه الحكمة التي خلق لها فلما انباهم باسمائهم قال يعني الله تعالى الم اقل لكم يعني يا ملائكتي اني اعلم
غيب السموات والارض يعني ما كان وما سيكون وذلك انه سبحانه وتعالى علم احوال ادم قبل ان يخلقه حيث قالوا اتجعل اي اعلم ما لا
تعلمون واعلم ما تبدون يعني قول الملائكة اتجعل فيها وما كنتم تكتمون يعني قولكم لن يخلق الله خلقا اكرم عليه منا وقال ابن عباس
اعلم ما تبدون من الطاعة وما كنتم تكتمون يعني ابليس من المعصية قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم قيل
هذا خطاب مع الملائكة الذين كانوا سكان الارض والاصح انه خطاب مع جميع الملائكة بدليل قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس
فسجدوا يعني الملائكة وفي هذا السجود قولان اصحهما انه كان لادم على الحقيقة ولم يكن فيه وضع الجبهة على الارض انما هو الانحناء كان
سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف له في قوله وخروا له سجدا فلما جاء الاسلام ابطل ذلك بالسلام وفي سجود
الملائكة لادم معنى الطاعة لله تعالى وامتثال الامر والقول الثاني ان ادم كان كالقبلة وكان السجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة
والصلاة لله تعالى وفي هذه الاية دليل لمذهب اهل السنة في تفضيل الانبيا على الملائكة الا ابليس سمي به لانه ابلس من رحمة الله اي يئس وكان اسمه

ينظر

عزازيل بالسريانية وبالعربية الحارث فلما عصى غير اسمه فسمي ابليس وغيرت صورته قال ابن عباس كان من الملائكة بدليل انه استثناه منهم
وقيل انه من الجن لانه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور ولانه اصل الجن كما ان ادم اصل الانس والاول اصح لان الخطاب كان مع الملائكة فهو داخل
فيهم ثم استثناه منهم ابى اي امتنع من السجود فلم يسجد واستكبر اي تكبر وتعظم عن السجود لادم وكان من الكافرين اي في علم الله تعالى انه وجبت
له النار لسابق علم الله بشقاوته م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان
يبكي يقول يا ويله وفي رواية يا ويلي امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار قوله عز وجل وقلنا يا
ادم اسكن انت وزوجك الجنة اي اتخذاها ماوى ومنزلا وليس معناه الاستقرار لانه لم يقل اسكنا الجنة لانه خلق ليعمر
الارض ولما اسكن الله ادم في الجنة بقي وحده ليس معه من يستانس به ولا من يسكن اليه فالقى الله عليه النوم ثم اخذ ضلعا من اضلاع
شقه الايسر وهو الاقصر فخلق منه زوجته حوا ووضع مكان الضلع لحما من غير ان يحس بذلك ادم ولم يجد الما ولو وجد
الما لما عطف رجل على امراة قط وسميت حوا لانها خلقت من حي فلما استيقظ ادم من نومه راها جالسة كاحسن ما خلق الله فقال
لها من انت قالت انا زوجتك حوا قال ولماذا خلقت قالت لتسكن الي واسكن اليك ثم اختلفوا في الجنة التي امر ادم بسكناها
فقيل انها جنة كانت في الارض بدليل انه لو كانت الجنة التي هي دار الجزاء والثواب لما اخرج منها واجاب صاحب هذا القول
عن قوله قال اهبطا بان المراد من الهبوط التحول والانتقال فهو كقوله اهبطوا مصرا والقول الصحيح انها الجنة التي هي دار
الجزاء والثواب لان الالف واللام للعهد والجنة بين المسلمين في عرفهم انها التي هي دار الجزاء والثواب وقيل كلا القولين ممكن
فلا وجه للقطع وكلا منها رغدا اي واسعا كثيرا هنيئا حيث شئتما اي كيف شئتما ومتى شئتما واين شئتما والمقصود منه
الاطلاق في الاكل من الجنة بلا منع الا ما نهى عنه وهو قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة يعني بالاكل قيل انه وقع هذا النهي
على جنس من الشجر وقيل على شجرة مخصوصة قال ابن عباس هي السنبلة وقيل الكرمة وقيل هي شجرة التين وقيل
هي شجرة العلم وقيل الكافور وقيل [illegible] ظاهر الكلام ما يدل على التعيين اذ لا حاجة اليه لانه ليس المقصود تعريف عين
تلك الشجرة وما لا يكون مقصودا لا يجب بيانه فتكونا من الظالمين يعني ان اكلتما من هذه الشجرة ظلمتما انفسكما فمن
جوز ارتكاب الذنوب على الانبيا قال ظلم نفسه بالمعصية واصل الظلم وضع الشي في غير موضعه ومن لم يجوز ذلك
على الانبيا حمل الظلم على انه فعل ما كان الاولى ان لا يفعله وقيل حمل على انه فعل هذا قبل النبوة فان قلت
هل يجوز وصف الانبيا بالظلم او بظلم انفسهم قلت لا يجوز ان يطلق عليهم ذلك لما فيه من الذم قوله تعالى
فازلهما الشيطان اي استزل ادم وحوا ودعاهما الى الزلة وهي الخطيئة وسياتي الكلام ان شا الله تعالى على عصمة
الانبيا والجواب عما صدر منهم عند قوله عز وجل وعصى ادم ربه فغوى في سورة طه فاخرجهما مما كانا فيه يعني
من النعيم وذلك ان ابليس اراد ان يدخل الجنة ليوسوس لادم وحوا فمنعه الخزنة فاتى الحية وكانت صديقة لابليس
وكانت من احسن الدواب لها اربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة فسالها ان تدخله الجنة في فيها فادخلته
ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون وقيل انما راهما على باب الجنة لانهما كانا يخرجان منها وكان ابليس يقرب الباب فوسوس
لهما وذلك ان ادم لما دخل الجنة وراى ما فيها من النعيم قال لو ان خلودا فاغتنم ذلك الشيطان منه واتاه من قبل
الخلد وقيل لما دخل الجنة وقف على ادم وحوا وهما لا يعلمان انه ابليس فبكى وناح نياحة احزنتهما وهو اول من
ناح فقالا له ما يبكيك قال ابكي عليكما لانكما تموتان فتفارقان ما انتما فيه من النعيم فوقع ذلك في انفسهما واغتما ومضى
ابليس ثم اتاهما بعد ذلك وقال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد فابى ان يقبل منه فقاسمهما بالله انه لهما لمن الناصحين
فاغترا وما ظنا ان احدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حوا الى اكل الشجرة ثم ناولت ادم فاكل منها قال [illegible] ادم
ادرستنا ملكا لا كلها حزنا طويلا قال ابن عباس قال الله تعالى يا ادم الم يكن فيما ابحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى
رب وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش فيها الا كدا قال فاهبط

رجل علو

من الجنة وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وزرع وسقى حتى اذا بلغ واشتد حصده ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه وعجنه
ثم اكله فلم يبلغه حتى بلغ منه الجهد وفي رواية اخرى عن ابن عباس ان ادم لما اكل من الشجرة التي نهي عنها قال الله تعالى يا ادم ما حملك
على ما صنعت قال يا رب زينته لي حواء قال فاني اعقبتها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها وادميتها في الشهر مرتين فرنت
حواء عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك فلما اكلا من الشجرة تهافتت عنهما ثيابهما وبدت سواتهما
واخرجا من الجنة فذلك قوله تعالى وقلنا اهبطوا اي انزلوا الى الارض يعني ادم وحواء وابليس والحية فهبط ادم بسرنديب
من ارض الهند على جبل يقال له نود واهبطت حواء بجدة وابليس بالابلة من اعمال البصرة والحية باصبهان بعضكم
لبعض عدو يعني العداوة التي بين المؤمنين من ذرية ادم وبين ابليس واليه الاشارة بقوله عز وجل ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا والعداوة التي بين ذرية ادم والحية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الحيات
مخافة طلبهن فليس منا ما سالمناهن منذ حاربناهن اخرجه ابو داود وله عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اقتلوا الحيات كلهن فمن خاف من ثارهن فليس مني وفي رواية اقتلوا الحيات كلها الا الجان الابيض الذي
كانه قضيب فضة عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بالمدينة جنا قد اسلموا فاذا
رايتم منهم شيئا فاذنوه ثلثة ايام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان وفي رواية ان لهذه البيوت
عوامر فاذا رايتم منها شيئا فحرجوا عليها ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر ولكم في الارض مستقر اي موضع قرار ومتاع وبلغة
ومستمتع الى حين اي الى وقت انقضاء اجالكم قوله عز وجل فتلقى ادم اي فتلقن والتلقي هو قبول عن فطنة وفهم وقيل
هو التعلم من ربه كلمات اي كانت سبب توبته وقيل ان تلك الكلمات هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل قال لا اله الا انت
سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا
وظلمت نفسي فاغفر لي انك انت الغفور الرحيم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني انك انت ارحم الراحمين
وقيل قال ادم يا رب ارايت ما اتيت اشيء ابتدعته من تلقاء نفسي ام شيء قدرته
علي قبل ان تخلقني قال بل شيء قدرته عليك قبل ان اخلقك قال يا رب فكما قدرته علي فاغفر لي وقيل ان الله تعالى امر ادم
بالحج وعلمه اركانه فطاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربوة حمراء ثم صلى ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي
فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سولي وتعلم ما في نفسي فاغفر ذنوبي فاوحى الله اليه يا ادم قد غفرت لك ذنوبك وقيل ان ادم
لما اهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع راسه الى السماء حياء من الله تعالى وقيل هي ثلاثة اشياء الحياء والدعاء
والبكاء قال ابن عباس بكى ادم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم ياكلا ولم يشربا اربعين يوما وقيل
لو ان دموع اهل الارض جمعت لكانت دموع داود اكثر حيث اصاب الخطيئة ولو ان دموع داود ودموع اهل الارض جمعت
لكانت دموع ادم اكثر حيث اخرجه الله من الجنة فتاب عليه اي فتجاوز عنه وعن ذلك واصل التوبة من تاب يتوب
اذا رجع فكان التائب رجع عن ذلك الذنب الذي كان عليه ولا تتحقق التوبة منه الا بثلاثة امور علم وحال وعمل اما
العلم فهو ان يعلم العبد ضرر الذنب وانه حجاب عن الله فاذا تحصل هذا العلم تالم القلب فعند ذلك يحصل الندم وهو الحال
فيترك العبد الذنب ويعزم في المستقبل ان لا يعود اليه وهو العمل فاذا تحققت هذه الثلاثة امور حصلت التوبة ويأتي بقسمها
عند قوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا في سورة التحريم ان شاء الله تعالى انه هو التواب اي الرجاع على عباده بقبول
التوبة والتواب في صفة الله تعالى المبالغ في قبول توبة عباده الرحيم اي بخلقه وصف سبحانه وتعالى نفسه مع كونه توابا
بانه رحيم قلنا اهبطوا منها جميعا يعني هؤلاء الاربعة وقيل ان الهبوط الاول من الجنة الى سماء الدنيا والهبوط الثاني من سماء الدنيا
الى الارض وفيه ضعف لانه قال في الهبوط الاول ولكم في الارض مستقر فدل على انه كان من الجنة الى الارض والاصح انه للتاكيد فاما
ياتينكم مني هدى فيه تنبيه على عظيم نعم الله على ادم وحواء كانه قال وان اهبطتكم من الجنة الى الارض فقد انعمت عليكم بهدايتي

التي تؤديكم الى الجنة مرة اخرى على الدوام الذي لا ينقطع وقيل المخاطب هم ذرية ادم يعني يا ذرية ادم اما ياتينكم مني رشد وبيان
وشريعة وقيل كتاب ورسول فمن تبع هداي فلا خوف عليهم يعني فيما يستقبلهم ولا هم يحزنون اي على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون في الاخرة والذين كفروا اي جحدوا وكذبوا باياتنا اي بالقرآن اولئك اصحاب النار اي يوم القيامة هم فيها خالدون
اي لا يخرجون منها ولا يموتون فيها قوله تعالى يا بني اسرائيل يعني اولاد يعقوب وهو اسرائيل بن اسحاق بن ابراهيم صلى الله عليهم وسلم
ومعنى اسرائيل عبد الله وقيل صفوة الله والمعنى اولاد يعقوب اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي اشكروا نعمتي وانما عبر عنه بالذكر
لان من ذكر النعمة فقد شكرها ومن جحدها فقد كفرها وقيل الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان وحد النعمة انها
المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير ومعناه ان المنفعة المحضة لا تكون نعمة ولو فعل الانسان منفعة
وقصد نفسه لها لا تسمى نعمة اذا لم يقصد بها الغير ثم ان النعم ثلاثة نعمة تفرد بها الله تعالى وهي ايجاد الانسان
ورزقه ونعمة وصلت الى الانسان بواسطة الغير لكن الله مكنه من ذلك فالمنعم بها في الحقيقة لان اصول النعم كلها
منه وانما النعم المختصة ببني اسرائيل فكثيرة لان قوله اذكروا نعمتي لفظها واحد ومعناها الجمع فمن النعم ان الله انقذهم
من فرعون وفلق البحر لهم واغرق فرعون وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى في التيه عليهم وانزال التوراة في
نعم غير هذه كثيرة فان قلت اذا فسرت النعمة بهذه فما كانت على المخاطبين لان فخر الاباء فخر الابناء ولان الابناء
اذا تشرفوا ان الله قد انعم على ابائهم بهذه النعم فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها وقيل ان هذه النعم هي ادراك
المخاطبين لهم زمن محمد صلى الله عليه وسلم وذكرها الايمان به واوفوا بعهدي اي امتثال امري اوف بعهدكم اي
بالقبول والثواب واصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال ومنه سمي الموثق الذي تلزم مراعاته عهدا
قيل اراد بالعهد جميع ما امر الله به من غير تخصيص بعض التكاليف دون بعض وقيل اراد به ما ذكره في سورة
المائدة وهو قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله لاكفرن عنكم سيئاتكم
فهذا قوله اوف بعهدكم وقيل هو قوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة يعني شريعة
التوراة وقيل هو قوله واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وقيل اراد بهذا العهد ما اثبته في كتب
الانبياء المتقدمة من وصف محمد صلى الله عليه وسلم وانه مبعوث في اخر الزمان وذكر ان الله عهد الى بني اسرائيل على
لسان موسى عليه السلام اني باعث من بني اسمعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدق النور الذي ياتي به غفرت له ذنبه وادخلته
الجنة وجعلت له اجرين اثنين وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس يعني امر محمد صلى
الله عليه وسلم وصفته واياي فارهبون اي خافوني في نقض العهد وامنوا بما انزلت يعني بالقرآن مصدقا لما
معكم يعني ان القرآن موافق لما في التوراة من التوحيد والنبوة والاخبار ونعت النبي صلى الله عليه وسلم فالايمان بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقرآن تصديقا للتوراة لان التوراة فيها الاشارة الى نعت النبي صلى الله عليه وسلم وانه نبي مبعوث فمن
امن به فقد امن بما في التوراة ومن كذبه وكفر به فقد كذب التوراة وكفر بها ولا تكونوا اول كافر به الخطاب
لليهود نزلت في الاشراف ورؤساء اليهود والمعنى ولا تكونوا يا معشر اليهود اول من كفر به فان قلت كيف
جعلوا اول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركوا العرب من اهل مكة وغيرهم قلت هذا تعريض بهم والمعنى
ولا تكونوا يا معشر اليهود اول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركوا العرب من اهل مكة وغيرهم قلت
هذا تعريض بهم والمعنى كان يجب ان تكونوا اول من امن به لانكم تعرفون صفته ونعته بخلاف غيركم وكنتم
تستفتحون به على الكفار فلما بعث كان امر اليهود بالعكس وقيل معناه ولا تكونوا اول كافر به من
اليهود فيتبعكم غيركم على ذلك فتبوؤوا باثمكم واثم غيركم ممن يتبعكم على ذلك ولا تشتروا اي ولا تستبدلوا
باياتي اي ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي في التوراة ثمنا قليلا اي عوضا يسيرا من الدنيا لان الدنيا

بالنسبة الى الآخرة كالشيء اليسير الحقير الذي لا قيمة له والذي كانوا يأخذونه من الدنيا كالشيء اليسير بالنسبة الى جميعها فهو قليل
القليل فهو اقل القليل ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وذلك ان كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود وعلماءهم كانوا يصيبون
المآكل من سفلتهم وجهالهم فكانوا يأخذون منهم في كل سنة شيئا معلوما من زروعهم وثمارهم ونقودهم وخرجوا عنهم فخافوا
ان هم بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه ان تفوتهم تلك المآكل فغيروا نعته وكتموا اسمه واختاروا الدنيا على الآخرة
وإياي فاتقون اي خافوني في امر محمد صلى الله عليه وسلم والتقوى قريب من معنى الرهبة والفرق بينهما ان الرهبة
خوف مع حزن واضطراب والتقوى جعل النفس في وقاية مما تخاف قوله عز وجل ولا تلبسوا الحق بالباطل اي لا تخلطوا في التورية
ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم وقيل معناه ولا تخلطوا الحق الذي انزلت عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم
في التورية بالباطل الذي تكتبونه بايديكم من تغيير صفته وقيل لا تخلطوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي الحق بالباطل
اي بصفة الدجال وذلك انه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده اليهود وقالوا ليس هو هذا الذي ننتظره وانما هو المسيح ابن داود
يعني الدجال وكذبوا فيما قالوه وانتم تعلمون يعني ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبي مرسل وفيه تنبيه لسائر الخلق وتحذير من مثله
فصار هذا الخطاب وان كان خاصا في الصورة لكنه عام في المعنى فعلى كل احد ان لا يلبس الحق بالباطل ولا يكتم الحق لما فيه من الضرر والفساد
وفيه دلالة ايضا على ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه وأقيموا الصلاة يعني الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها
وجميع اركانها وآتوا الزكوة اي ادوا الزكاة المفروضة عليكم في اموالكم واركعوا مع الراكعين اي صلوا مع المصلين يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم واصحابه وعبر عن الصلاة بالركوع لانه ركن من اركانها وهذا خطاب لليهود ولان صلاتهم ليس فيها ركوع فكانه قال لهم
صلوا صلاة ذات ركوع فلهذا المعنى اعاده بعد قوله واقيموا الصلاة لان الاول خطاب الكافة والثاني خطاب قوم مخصوصين
وهم اليهود وفيه حث على اقامة الصلاة في الجماعة فكانه قال صلوا مع المصلين في الجماعة قوله تعالى أتأمرون الناس
بالبر الاستفهام فيه للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر اسم جامع لجميع اعمال الخير والطاعات نزلت هذه الآية في علماء
اليهود وذلك ان الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المسلمين اذا ساله عن امر محمد صلى الله عليه وسلم اثبت
على دينه فانه حق وقوله صدق وقيل ان جماعة من اليهود قالوا لمشركي العرب ان رسولا سيظهر منكم
ويدعوكم الى الحق وكانوا يرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به فبكتهم
الله تعالى ووبخهم بذلك حيث انهم كانوا يأمرون الناس باتباعه قبل ظهوره فلما ظهر تركوه واعرضوا عنه
وقيل كانوا يأمرون الناس بالطاعة والصلاة والزكاة وانواع البر ولا يفعلونه فوبخهم بذلك وتنسون انفسكم
اي تغفلون عما لها فيه نفع والنسيان عبارة عن السهو الحادث بعد حصول العلم والمعنى اي تتركون انفسكم ولا تتبعون محمدا
صلى الله عليه وسلم وانتم تتلون الكتاب يعني تقرؤون التورية وتدرسونها وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وفيه
ايضا الحث على الافعال الحسنة والاعراض عن القبيحة والآثام افلا تعقلون يعني انه حق فتتبعونه والحق صح (?) والعقل
قوة تهيئ قبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ومنه قول علي بن ابي طالب العقل عقلان
مطبوع ومسموع ولا ينفع مطبوع اذا لم يك مسموع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع واصل العقل
الامساك لانه ماخوذ من عقال الدابة كعقل البعير بالعقال ليمنعه من الشرود فكذلك العقل يمنع صاحبه من
الكفر والجحود والافعال القبيحة ومعنى الآية ان المقصود من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو ارشاد الغير الى تحصيل
المصالح وتحذيره عما يوقعه في المفسدة والاحسان الى النفس اولى من الاحسان الى الغير وذلك لان الانسان
اذا وعظ غيره ولم يتعظ هو فكانه اتى بفعل متناقض لا يقبله العقل فلهذا قال افلا تعقلون وقيل ان من وعظ
الناس يحبهم (?) ان تنفذ موعظته الى القلوب فاذا خالف قوله فعله كان ذلك سببا لنفور القلوب عن قبول موعظته
ق عن اسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه

فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا فيجتمع اليه اهل النار فيقولون يا فلان ما لك الم تكن تأمر الناس بالمعروف وتنهى عن المنكر
فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وانهى عن المنكر وآتيه قوله فتندلق اي تخرج اقتاب بطنه اي امعاء بطنه واحدها
قتب وروى البغوي بسنده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض
من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء من امتك يأمرون الناس بالبر وينسون انفسهم وهم يتلون الكتاب افلا يعقلون قيل مثل
الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت
سهامه وقال بعضهم ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فانت حكيم فهناك يسمع ما تقول ويقتدى بالقول
منك وينفع التعليم قوله عز وجل واستعينوا بالصبر والصلاة قيل ان المخاطبين بهذا المؤمنون لان من
ينكر الصلاة والصبر على دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يقال له استعن بالصبر والصلاة فلا جرم وجب صرفه الى
من صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لبني اسرائيل لان صرف الخطاب الى غيرهم
يوجب تفكيك نظم القرآن ولان اليهود لم ينكروا اصل الصلاة لكن صلاتهم غير صلاة المؤمنين فعلى هذا القول
ان الله لما امرهم بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتزام شريعته وترك الرياسة وحب الجاه والمال فقال لهم استعينوا بالصبر
اي بحبس النفس عن اللذات وضممتم الى ذلك الصلاة هان عليكم ترك ما انتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال وعلى القول
الاول يكون معنى الآية واستعينوا على حوائجكم الى الله وقيل على ما يشغلكم من انواع البلاء وقيل على طلب الآخرة
بالصبر وهو حبس النفس عن اللذات وترك المعاصي وقيل بالصبر على اداء الفرائض وقيل الصبر هو الصوم لان فيه
حبس النفس عن المفطرات وعن سائر اللذات وفيه انكسار النفس والصلاة اي اجمعوا بين الصبر والصلاة
وقيل معناه واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى ما يجب فيها من تصحيح النية واحضار القلب
ومراعاة الاركان والآداب مع الخشوع والخشية فان من اشتغل بالصلاة ترك ما سواها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا حزبه امر فزع الى الصلاة اي اذا اهمه امر لجأ الى الصلاة عن ابن عباس انه نعي له اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع
ثم تنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما السجود ثم قام الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة وانها يعني
الصلاة وقيل الاستعانة لكبيرة اي لثقيلة الا على الخاشعين يعني المؤمنين وقيل الخائفين وقيل المطيعين المتواضعين
لله تعالى واصل الخشوع السكون والخاشع ساكن الى الطاعة وقيل الخشوع الضراعة واكثر ما يستعمل في الجوارح
وانما كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين لان من لا يرجو لها ثوابا ولا يخاف على تركها عقابا فهي ثقيلة عليه اي على
الذي يرجو لها ثوابا ويخاف على تركها العقاب فهي سهلة عليه الذين يظنون اي يستيقنون وقيل يعلمون انهم ملاقوا
ربهم يعني في الآخرة وفيه دليل على ثبوت رؤية الله تعالى في الآخرة وانهم اليه راجعون يعني بعد الموت فيجزيهم باعمالهم
قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم انما اعاد هذا الكلام مرة اخرى توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا
من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم واني فضلتكم على العالمين يعني على عالمي زمانهم وهذا التفضيل وان كان
في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف للابناء واتقوا يوما اي واخشوا عذاب يوم لا تجزي اي لا تقضي نفس عن
نفس شيئا يعني حقا لزمها وقيل معناه لا تغني نفس عن نفس يوم القيمة ولا تدفع عنها شيئا مما اصابها بل
يفر المرء من اخيه وامه وابيه ولا يقبل منها شفاعة اي في ذلك اليوم والمعنى لا تقبل الشفاعة اذا كانت
النفس كافرة وذلك ان اليهود قالوا ليشفع لنا آباؤنا فرد الله عليهم ذلك بقوله ولا يقبل منها شفاعة
وقيل ان طاعة المطيع لا تقضي عن العاصي ما كان عليه وقيل معناه ان النفس الكافرة لو جاءت بشفيع لا يقبل
منها ولا يؤخذ منها عدل اي فدية وهو من مماثلة الشيء بالشيء ولا هم ينصرون اي يمنعون من العذاب قوله عز وجل واذ نجيناكم
اي واذكروا اذ خلصناكم يعني اسلافكم واجدادكم فاعتدها نعمة منه عليهم لانهم نجوا بنجاة اسلافهم من آل فرعون اي من اتباعه

واجبا صح

واهل دينه وفرعون اسم علم لمن كان يملك مصر من القبط من العماليق وكان اسمه الوليد بن مصعب بن الريان وعمر اكثر
من اربعمائة سنة ﴿يسومونكم﴾ اي يكلفونكم ويذيقونكم ﴿سوء العذاب﴾ اي اشد العذاب واسواه وقيل يصرفونكم في العذاب اي اشد
العذاب مرة كذا ومرة كذا وذلك ان فرعون جعل بني اسرائيل خدما وخولا وصنفهم في الاعمال اصنافا صنف يبنون ويزرعون له
وصنف يخدمونه ومن لم يكن في عمل وضع عليه الجزية وقال وهب كانوا اصنافا في اعمال فرعون فذوو القوة ينحتون
السواري من الجبال والطين يبنون له القصور وطايفة يضربون اللبن ويطبخون الاجر وطايفة نجارون وحدادون والضعفة
منهم يضرب عليهم الخراج يعني الجزية ضريبة يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل ان يؤدي ضريبته غلت يمينه
الى عنقه شهرا والنساء يغزلون الكتان وينسجون وقيل تفسيره يسومونكم سوء العذاب ما بعده وهو قوله تعالى
﴿يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم﴾ اي يتركونهن احياء وذلك ان فرعون راى في منامه كان نارا اقبلت من بيت المقدس
فاحاطت بمصر واحرقت كل قبطي بها ولم تتعرض لبني اسرائيل فهاله ذلك وسال الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد غلام يكون
على يده هلاكك وزوال ملكك فامر فرعون بقتل كل غلام في بني اسرائيل ووكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قتل في
طلب موسى اثنا عشر الفا وقيل سبعين الفا واسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون وقالوا ان
الموت قد وقع في بني اسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون ان يذبحوا سنة
ويتركوا سنة فولد هرون في السنة التي لا يذبح فيها وولد موسى في السنة التي يذبح فيها ﴿وفي ذلكم بلاء من ربكم
عظيم﴾ اي اختبار وامتحان والبلاء يطلق على النعمة العظيمة وعلى المحنة الشديدة ليختبر الله العبد على النعمة
بالشكر وعلى الشدة بالصبر فان حمل قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم على صنيع فرعون كان من البلاء المحنة وان حمل
على الانجاء كان من النعمة قوله تعالى ﴿واذ فرقنا بكم البحر﴾ اي فصلنا بعضه من بعض وجعلنا فيه مسالك لسبب
دخولكم البحر وسمي بحرا لاتساعه ذكر سياق القصة وذلك انه لما دنا هلاك فرعون امر الله عز وجل موسى ان
يسري ببني اسرائيل من مصر بالليل فامر موسى قومه ان يسرجوا في بيوتهم السرج الى الصبح وان يستعيروا لحلي القبط
ليتخذوا او ليبيعوها لاجل المال واخرج الله كل ولد زنا كان في القبط من بني اسرائيل الى بني اسرائيل وكل ولد زنا كان
في بني اسرائيل من القبط الى القبط حتى يرجع كل ولد الى ابيه والقى الله تعالى الموت على القبط فمات كل بكر لهم فاشتغلوا
بدفنهم وقيل بلغ ذلك فرعون فقال لا يخرج معهم حتى يصيح الديك فما صاح تلك الليلة ديك وخرج موسى في
بني اسرائيل وهم ستمائة الف وعشرون الفا لا يعدون ابن عشرين سنة لصغره ولا ابن ستين سنة لكبره وكانوا يوم
دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين انسانا ما بين رجل وامراة فلما ارادوا السير ضرب عليهم التيه
فلم يدروا اين يذهبون فدعا موسى مشيخة بني اسرائيل وسالهم عن ذلك فقالوا ان يوسف لما حضره الموت اخذ على
اخوته عهدا ان لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد علينا الطريق فسالهم عن موضع قبره فلم يعلموا فقام
موسى ينادي انشد الله كل من يعلم اين قبر يوسف الا اخبرني به ومن لم يعلم صمت اذناه عن سماع قولي فكان يمر
بالرجل وهو ينادي فلا يسمع صوته حتى سمعته عجوز منهم فقالت له ارايتك ان دللتك على قبره اتعطيني كل ما اسالك فابى عليها
وقال حتى اسال ربي فامره الله ان يعطيها سؤلها فقالت اني عجوز لا استطيع المشي فاحملني معك واخرجني من مصر
هذا في الدنيا واما في الاخرة فاسالك ان لا تنزل غرفة من غرف الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت انه في النيل في جوف الماء فادع الله حتى يحسر عنه الماء
فدعا الله فحسر عنه الماء ودعا الله ان يؤخر عنه طلوع الفجر حتى يفرغ من امر يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجه
وهو في صندوق من مرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام فعند ذلك فتح لهم الطريق فسار موسى ببني اسرائيل هو على
ساقتهم وهرون في مقدمتهم ثم خرج فرعون في طلبهم في الف الف وسبعمائة الف وكان منهم سبعون الفا من دهم الخيل
سوى سائر الشيات وقيل كان معهم مائة الف حصان ادهم وكان فرعون في الدهم وكان على مقدمة عسكره

هامان

هامان وكان فرعون في سبعة آلاف الف وكان بين يديه مائة الف ناشب ومائة الف حراب ومائة الف معهم الاعمدة
وسار بنو اسرائيل حتى وصلوا البحر والماء في غاية الزيادة ونظروا حين اشرقت الشمس فاذا هم بفرعون في جنوده فبقوا
متحيرين وقالوا يا موسى اين ما وعدتنا به كيف نصنع هذا فرعون خلفنا ان ادركنا قتلنا والبحر امامنا ان دخلناه
غرقنا فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فاوحى الله اليه ان كنه فضربه وقال انفلق ابا خالد فانفلق
فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط منهم طريقا وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وارسل
الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا وخاضت بنو اسرائيل البحر كل سبط في طريق وعن جوانبهم الماء كالجبل
الضخم لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط منهم قد هلك اخواننا فاوحى الله الى جبال الماء ان تشبكي فصار
الماء كالشبابيك يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى ﴿واذ فرقنا بكم البحر
فانجيناكم﴾ يعني من فرعون ﴿واغرقنا آل فرعون﴾ وذلك ان فرعون لما وصل الى البحر فراه منفلقا قال لقومه انظروا
الى البحر كيف انفلق من هيبتي حتى ادرك عبيدي الذين ابقوا مني ادخلوا البحر فهاب قومه ان يدخلوه وقيل قالوا
له ان كنت ربا فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان ادهم ولم يكن في خيل فرعون فرس انثى فجاء
جبريل عليه السلام على فرس انثى وديق فتقدمهم وخاض البحر فلما شم ادهم فرعون ريحها اقتحم البحر في اثرها ولم يملك
فرعون من امره شيئا واقتحمت الخيول خلفه في البحر وجاء ميكائيل عليه السلام خلفهم يسوقهم ويقول الحقوا باصحابكم
حتى خاضوا كلهم في البحر وخرج جبريل من البحر وهم اولهم بالخروج امر الله البحر ان ياخذهم فالتطم عليهم واغرقهم
اجمعين وكان بين طرفي البحر اربع فراسخ وهو بحر القلزم وهو طرف من بحر فارس وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له
اساف وكان ذلك بمراى من بني اسرائيل فذلك قوله ﴿وانتم تنظرون﴾ يعني الى اهلاكهم وقيل الى مصارعهم
وقيل ان البحر قذفهم حتى نظروا اليهم وكان ذلك يوم عاشوراء فصام موسى ذلك اليوم شكرا لله تعالى قوله عز وجل
﴿واذ واعدنا﴾ من المواعدة ومعنى الله موعده من موسى القبول وذلك ان الله وعده ليجي الميقات ﴿موسى﴾ اسم عبري معرب
مو بالعربية الماء وشا هو الشجر سمي موشى لانه اخذ من بين الماء والشجر ثم قلبت الشين سينا فسمي موسى ﴿اربعين ليلة﴾
اي انقضاء اربعين ليلة ثلثين من ذي القعدة وعشرا من ذي الحجة وقرن التاريخ بالليل دون النهار لان شهور العرب
وضعت على سير القمر والظلمة اقدم من الضوء ذكر القصة في ذلك قال العلماء لما انجى الله بني اسرائيل وقيل
من البحر واغرق عدوهم لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها وعد الله موسى ان ينزل عليه التورية فقال موسى
لقومه اني ذاهب الى ميقات ربي لاتيكم منه بكتاب فيه بيان ما تاتون وما تذرون وواعدهم اربعين ليلة واستخلف
عليهم اخاه هرون فلما جاء الموعد اتاه جبريل عليه السلام على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيئا الا حيي ليذهب بموسى الى ميقات
ربه فراه السامري وكان صائغا اسمه ميخا وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وقيل كان من اهل باجرما وقيل كرمان
وقيل من بني اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة وكان منافقا يظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فلما راى جبريل
على ذلك الفرس وراى موضع قدم الفرس تخضر في الحال فقال في نفسه ان لهذا شانا وقيل راى جبريل حين دخل
البحر قدام فرعون فقبض قبضة من تراب فرسه والقي في روعه انه اذا القي في شيء حيي ولما ذهب موسى الى الميقات
ومكث على الطور اربعين ليلة وانزل الله عليه التوراة في الالواح وكانت الالواح من زبرجد وقربه نجيا واسمعه كلامه
صرير الاقلام وقيل انه بقي اربعين ليلة لم يحدث فيها حدثا حتى هبط من الطور وكانت بنو اسرائيل قد استعاروا حليا
كثيرا من القبط حين ارادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم فلما هلك فرعون وقومه بقي ذلك الحلي في ايديهم فلما
فصل موسى قال لهم هرون ان الحلي التي استعرتموها من القبط غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفيرة وادفنوها
فيها حتى يرجع موسى ويرى فيها رايه وقيل ان هرون امرهم بذلك فلما اجتمعت الحلي اخذها السامري وصاغها

عجلاً في ثلاثة أيام ثم ألقى القبضة التي أخذها من تراب فرس جبريل فخرج عجلاً من ذهب مرصعاً بالجواهر وخار خورة
وقيل كان يخور ويمشي وقال لهم السامري هذا إلهكم وإله موسى فنسي أي فتركه هاهنا وخرج يطلبه وكانت بنو إسرائيل قد أخلفوا
الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوماً ولم يرجع موسى وقعوا في الفتنة وقيل كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة
ثم زيدت العشر فكانت فتنتهم في تلك العشر فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا أنه قد مات ورأوا العجل وسمعوا
قول السامري عكف عليه ثمانية آلاف رجل يعبدونه وقيل عبده كلهم إلا هارون مع اثني عشر ألف رجل وهذا أصح
فذلك قوله تعالى ثم اتخذتم العجل يعني إلهاً من بعده من بعد موسى وأنتم ظالمون أي وأنتم ضارون لأنفسكم
بالمعصية حيث وضعتم العبادة في غير موضعها ثم عفونا عنكم أي محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم من بعد ذلك أي من
بعد عبادتكم العجل لعلكم تشكرون أي لكي تشكروا عفوي عنكم وحسن صنيعي إليكم وأصل الشكر هو تصور النعمة وإظهارها
ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها والشكر على ثلاثة أضرب شكر القلب وهو تصور النعمة وشكر اللسان
وهو الثناء على المنعم وشكر بسائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقها وقيل الشكر هو الطاعة
بجميع الجوارح في السر والعلانية وقيل حقيقة الشكر العجز عن الشكر وحكي أن موسى عليه السلام قال إلهي أنعمت
علي النعم السوابغ وأمرتني بالشكر وإنما شكري إياك نعمة منك فأوحى الله تعالى إليه يا موسى تعلمت العلم
الذي لا فوقه علم حسبي من عبدي أن يعلم أن ما به من نعمة فهي مني وقال داود عليه السلام سبحان من جعل اعتراف
العبد بالعجز عن شكره شكراً كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة وقال الفضيل شكر كل نعمة أن
لا تعصي الله بعدها بالنعمة وقيل شكر النعمة ذكرها وقيل شكر النعمة أن لا تراها البتة وترى المنعم وقيل
الشكر لمن فوقك بالطاعة والثناء ولنظيرك بالمكافأة ولمن دونك بالإحسان والإفضال قوله عز وجل
وإذ آتينا موسى الكتاب يعني التوراة والفرقان قيل هو نعت الكتاب والواو زائدة والمعنى الكتاب
الفرقان بين الحلال والحرام والكفر والإيمان وقيل الفرقان هو النصر على الأعداء والواو على أصلها لعلكم تهتدون
يعني بالتوراة وإذ قال موسى لقومه يعني الذين عبدوا العجل يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل يعني إلهاً تعبدونه
قالوا فأي شيء نصنع فتوبوا إلى بارئكم أي ارجعوا إلى خالقكم بالتوبة قالوا كيف نتوب قال فاقتلوا أنفسكم يعني
ليقتل البريء منكم المجرم فإن قلت التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح والعزم على أن لا يعود إليه وهذا مغاير
للقتل فكيف يجوز تفسير التوبة بالقتل قلت ليس المراد تفسير التوبة بالقتل بل بيان أن توبتهم
لا تتم إلا بالقتل وإنما كان كذلك لأن الله أوحى إلى موسى عليه السلام أن توبة المرتد لا تتم إلا بالقتل فإن قلت
التائب من الردة لا يقتل فكيف استحقوا القتل وقد تابوا من الردة قلت ذلك مما اختلفت فيه الشرائع
فلعل شرع موسى كان يقتضي أن يقتل التائب عن الردة إما عاماً في حق الكل وخاصاً في حق الذين عبدوا
العجل ذلكم خير لكم عند بارئكم يعني القتل وتحمل هذه الشدة لأن الموت لا بد منه فلما أمرهم موسى بالقتل
قالوا نصبر لأمر الله تعالى فجلسوا محتبين وهو ضم الساق إلى البطن بثوب وقيل لهم من حل حبوته
أو مد طرفه إلى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته وأصلت القوم الخناجر والسيوف
وأقبلوا عليهم فكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره فيرق له فلم يمكنهم المضي لأمر الله تعالى
فقالوا يا موسى كيف نفعل فأرسل الله عليهم سحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضاً فكانوا يقتلون إلى المساء فلما كثر القتل دعا
موسى وهارون الله وبكيا وتضرعا إليه وقالا يا رب هلكت بنو إسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم
أن يكفوا عن القتل فتكشفت عن ألوف من القتلى قال علي بن أبي طالب كان عدد القتلى سبعين ألفاً فاشتد ذلك على موسى
فأوحى الله تعالى إليه أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيداً ومن بقي مكفراً عنه ذنوبه فذلك قوله فتاب عليكم أي

أي فعلتم ما أمرتم به فتجاوز عنكم إنه هو التواب أي الرجاع بالمغفرة القابل للتوبة الرحيم بخلقه قوله عز وجل وإذ قلتم يا موسى
لن نؤمن لك أي لن نصدقك حتى نرى الله جهرة أي عياناً وذلك أن الله عز وجل أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون
إليه من عبادة العجل فاختار موسى من قومه سبعين رجلاً من خيارهم وقال لهم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا وخرج بهم موسى إلى
طور سيناء لميقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا أن نسمع كلام ربنا فقال أفعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل
كله فدخل موسى في الغمام وقال للقوم ادنوا حتى دخلوا في الغمام وخروا سجداً وكان موسى إذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع فلا يستطيع
أحد أن ينظر إليه فضرب دونه بالحجاب فسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه وأسمعهم الله تعالى إني أنا الله لا إله إلا أنا ذو بكة أخرجتكم من
أرض مصر بيد شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل إليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة إنما قالوا جهرة توكيداً لئلا يتوهم متوهم أن المراد بالرؤية العلم فأخذتكم الصاعقة قيل هي الموت وفيه ضعف
لأن قوله وأنتم تنظرون يرده إذ لو كان المراد منها الموت لامتنع كونهم ناظرين إليها وقيل إن الصاعقة هي سبب الموت واختلفوا
في ذلك السبب فقيل إنها نار نزلت من السماء فأحرقتهم وقيل جاءت صيحة من السماء وقيل أرسل جنوداً من الملائكة
فسمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين وأنتم تنظرون أي ينظر بعضكم إلى بعض كيف يأخذه الموت فلما هلكوا جعل موسى يبكي
ويتضرع ويقول إلهي ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل
السفهاء منا فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم الله رجلاً بعد رجل بعد ما ماتوا يوماً وليلة ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون
فذلك قوله تعالى ثم بعثناكم أي أحييناكم من بعد موتكم أي لتستوفوا بقية آجالكم وأرزاقكم ولو أنهم كانوا قد ماتوا لانقضاء آجالهم
لم يبعثوا إلى يوم القيامة لعلكم تشكرون قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام في التيه يقيكم حر الشمس وذلك أنهم لم يكن لهم في التيه شيء
يستترون به ولا يستظلون به فشكوا إلى موسى فأرسل الله غماماً أبيض رقيقاً يسترهم من الشمس وجعل لهم عموداً من
نور يضيء لهم بالليل إذا لم يكن قمر وأنزلنا عليكم المن أي في التيه والأكثرون على أن المن هو الترنجبين وقيل هو شيء كالصمغ
يقع على الشجر طعمه كالشهد وقال وهب هو الخبز الرقاق وأصل المن هو ما من الله به من غير تعب ق عن سعيد بن زيد قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين ومعنى الحديث أن الكمأة شيء أنبته الله من غير سعي أحد ولا مؤنة فهو يشبه المن
الذي كان ينزل على بني إسرائيل وقوله وماؤها شفاء للعين معناه أن يخلط مع الأدوية فينتفع به لا أنه يقطر ماؤها وحده في
العين وقيل إن تقطيره في العين ينفع لكن لوجع مخصوص وليس يوافق كل وجع في العين وكان هذا المن ينزل على أشجارهم في التيه
في كل ليلة من وقت السحر إلى طلوع الشمس كالثلج لكل إنسان صاع فقالوا يا موسى قد قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك أن يطعمنا
اللحم فأرسل الله عليهم السلوى وهو طائر يشبه السماني وقيل هو السماني بعينه فكان الرجل منهم يأخذ ما يكفيه يوماً
وليلة فإذا كان يوم الجمعة أخذ ما يكفيه ليومين لأنه لم يكن ينزل يوم السبت شيء كلوا أي فقلنا لهم كلوا من طيبات أي حلالات
ما رزقناكم ولا تدخروا لغد فادخروا لغد فدود وفسد فقطع الله عنهم ذلك ق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر قوله لم يخنز اللحم أي لم ينتن ولم يتغير وما
ظلمونا أي وما بخسونا حقنا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون يعني بأخذهم أكثر مما أخرج لهم فاستحقوا بذلك عذابي وقطع مادة الرزق
الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا تعب في الدنيا ولا حساب في العقبى قوله تعالى وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية سميت قرية
لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس هي أريحا وهي قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج
ابن عنق فعلى هذا يكون القائل يوشع بن نون لأنه هو الذي فتح أريحا بعد موت موسى لأن موسى مات في التيه وقيل
هي بيت المقدس فعلى هذا يكون القائل موسى والمعنى إذا خرجتم من التيه بعد مضي الأربعين سنة ادخلوا بيت المقدس فكلوا منها
حيث شئتم رغداً أي موسعاً عليكم وادخلوا الباب فمن قال إن القرية أريحا قال ادخلوا أي باب كان من أبوابها وكان
لها سبعة أبواب ومن قال إن القرية بيت المقدس قال هو باب حطة سجداً منحنين خضعاً متواضعين كالراكع ولم يرد به نفس

ينزل

كو

السجود وقولوا حطة اي حط عنا خطايانا امروا بالاستغفار وقال ابن عباس قولوا لا اله الا الله لانها تحط الذنوب والخطايا على
تقدير مسألتنا حطة نغفر لكم خطاياكم اي نسترها عليكم من الغفر وهو الستر لان المغفرة تستر الذنوب وسنزيد المحسنين يعني
ثوابا فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم اي قالوا قولا غير ما قيل لهم وذلك انهم بدلوا قول الحطة بالحنطة فقالوا بلسانهم
هطانا سمقاثا اي حنطة حمراء وذلك استخفافا منهم بامر الله تعالى وقيل طوطئ الباب لهم ليخفضوا رؤوسهم فابوا ذلك
ودخلوا زحفا على استاههم وقالوا حبة في شعرة فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء يعني عذابا من السماء
قيل ارسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون الفا بما كانوا يفسقون اي يعصون ويخرجون
عن امر الله تعالى قوله عز وجل واذ استسقى موسى لقومه اي طلب السقيا لقومه وذلك انهم عطشوا في التيه فسالوا موسى ان يستسقي
لهم ففعل فاوحى الله اليه كما قال فقلنا اضرب بعصاك وكانت العصا من آس الجنة طولها عشرة اذرع على طول
موسى ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا واسمها عليق وقيل نبعة حملها آدم معه من الجنة فتوارثها الانبياء حتى
وصلت الى شعيب فاعطاها موسى الحجر قال وهب لم يكن حجرا معينا بل كان موسى يضرب اي حجر كان فتنفجر عيونا لكل سبط
عين وكانوا اثني عشر سبطا وقيل كان حجرا معينا بدليل انه عرفه بالالف واللام قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا على قدر
راس الرجل وكان موسى يضعه في مخلاته فاذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه وقيل كان للحجر اربعة وجوه في
كل وجه ثلاثة اعين لكل سبط عين وقيل كان من الرخام وقيل كان من الكذان وهو الحجارة اللينة وقيل هو
الحجر الذي وضع موسى عليه ثوبه ليغتسل ففر به فاتاه جبريل وقال ان الله يامرك ان ترفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك
فيه معجزة فوضعه في مخلاته فلما سالوا السقيا قيل اضرب بعصاك الحجر فكان اذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه
بعصاه فيتفجر منه عيون لكل سبط عينا تسيل في جدول وكان اذا اراد حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وييبس الحجر
فذلك قوله فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا والمعنى فضربه فانفجرت قال المفسرون انفجرت وانبجست بمعنى واحد وقيل
انبجست اي عرقت وانفجرت سالت قد علم كل اناس مشربهم اي موضع شربهم لا يدخل سبط على غيره كلوا واشربوا
اي وقلنا لهم كلوا واشربوا من رزق الله يعني المن والسلوى والماء فهذا كله من رزق الله كان ياتيهم بلا مشقة ولا
كلفة ولا تعثوا في الارض مفسدين العيث اشد الفساد وفي هذه الآية معجزة عظيمة لموسى عليه السلام حيث انفجر من الحجر الصغير
ما روي منه الجمع الكثير ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اعظم لانه انفجر الماء من بين اصابعه فروي منه الجمع الغفير لان انفجار
الماء من اللحم والدم اعظم من انفجاره من الحجر قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد وذلك انهم سئموا من المن
والسلوى وملوه فاشتهوا غيره لان المواظبة على الطعام الواحد يكون سببا لنقصان الشهوة فان قلت هما
طعامان فلم قالوا على طعام واحد قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل عدة
الوان يداوم عليها في كل يوم لا يبدلها كانت بمنزلة الطعام الواحد فادع لنا ربك اي فسل لنا ربك يخرج لنا مما تنبت
الارض من بقلها وقثائها وفومها قال ابن عباس الفوم الخبز وقيل هو الحنطة وقيل هو الثوم وعدسها وبصلها انما
طلبوا هذه الانواع لانها تعين على تقوية الشهوة او لانهم ملوا من البقاء في التيه فسالوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد
وكان غرضهم الوصول الى البلاد لا تلك الاطعمة قال يعني موسى اتستبدلون الذي هو ادنى اي الذي هو اخس وادنى وهو الذي
طلبوه بالذي هو خير يعني بالذي هو اشرف وافضل وهو ما هم فيه اهبطوا مصرا البلد يعني فان ابيتم الا ذلك فانزلوا مصرا
من الامصار وقيل بل هو مصر الذي كانوا فيه ودخول التنوين عليه كدخوله على نوح ولوط والقول هو الاول فان لكم
ما سالتم يعني من نبات الارض وضربت عليهم الذلة اي جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم وقيل الزموا الذل والهوان وقيل
الذلة الجزية وزي اليهود وفيه بعد لانه لم يكن ضربت عليهم الجزية بعد والمسكنة اي الفاقة والفقر وسمي الفقير مسكينا لان الفقر
اسكنه واقعده عن الحركة فترى اليهود وان كانوا اغنياء كانهم فقراء فلا ترى احدا من اهل الملل اذل ولا احرص

على المال من اليهود وباؤا اي رجعوا ولا يقال باء الا بشر بغضب من الله وغضب الله ارادة الانتقام ممن عصاه ذلك اي الغضب بانهم
كانوا يكفرون بآيات الله اي بصفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم التي في التوراة ويكفرون بالانجيل والقرآن ويقتلون النبيين النبي
معناه المخبر من انبأ ينبئ وقيل هو بمعنى الرفيع ماخوذ من النبوة وهو المكان المرتفع بغير الحق اي بغير جرم فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير حق
فما فائدة ذكره قلت ذكره وصفا للقتل والقتل موصوف تارة بالحق وهو ما امر الله به وتارة بغير الحق وهو قتل العدوان فهو كقوله قال رب
احكم بالحق فالحق وصف للحكم لا ان حكمه ينقسم الى جور وحق ويروى ان اليهود قتلت سبعين نبيا في اول النهار وقامت سوق بقلهم في آخره وقتلوا
زكريا ويحيى وشعيا وغيرهم من الانبياء ذلك بما عصوا اي ذلك الكفر والقتل بعصيانهم امر الله وكانوا يعتدون اي يتجاوزون امره ويرتكبون
محارمه قوله عز وجل ان الذين آمنوا والذين هادوا يعني اليهود سموا بذلك لقولهم انا هدنا اليك اي ملنا اليك وقيل هادوا اي تابوا من عبادة العجل وقيل
لانهم مالوا عن دين الاسلام وعن دين موسى والنصارى سموا بذلك لقول الحواريين نحن انصار الله وقيل لاعتزائهم الى قرية يقال لها ناصرة وكان المسيح
ينزلها والصابئين اصله من صبأ اذا خرج من دين الى دين آخر سموا بذلك لخروجهم من الدين قال عمر وابن عباس هم قوم من اهل
الكتاب قال عمر ذبائحهم ذبائح اهل الكتاب وقال ابن عباس لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم وقيل هم قوم بين اليهود والمجوس لا تحل ذبائحهم
ولا مناكحتهم وقيل هم بين اليهود والنصارى يحلقون اوساط رؤوسهم وقيل هم يقرون بالله ويقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة
ويصلون الى الكعبة اخذوا من كل دين شيئا والاقرب انهم قوم كانوا يعبدون الكواكب وذلك انهم يعتقدون ان الله تعالى خلق هذا
العالم وجعل الكواكب مدبرة فيه على سبيل التفويض وان عبادتها وتعظيمها هي التي تعبد الله تعالى ولما ذكر الله تعالى هذه الطوائف
قال من آمن بالله واليوم الآخر فان قلت كيف قال في اول الآية ان الذين آمنوا وقال في آخرها من آمن بالله واليوم الآخر فما فائدة
التكرير قلت اختلف العلماء في حكم الآية فلهم فيه طريقان احدهما انه اراد ان الذين آمنوا على التحقيق
ثم اختلفوا فيهم فقيل هم الذين آمنوا في زمن الفترة وهم طلاب الدين مثل حبيب وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وبحيرا
الراهب وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي فمنهم من ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه فكانه تعالى قال ان الذين آمنوا
قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل المبدل من اليهود والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر
وبمحمد صلى الله عليه وسلم فلهم اجرهم عند ربهم وقيل هم المؤمنون من الامم الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الامة والذين هادوا
يعني الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا والصابئين يعني في زمن استقامة
امرهم من آمن منهم ومات وهو مؤمن لان حقيقة الايمان يكون بالوفاة والطريقة الثانية فيه قوله ان الذين آمنوا المذكورين بالايمان
في اول الآية انما هو على طريق المجاز دون الحقيقة وهم الذين آمنوا بالانبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل هم المنافقون الذين آمنوا
بالسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصابئين فكانه قال تعالى هؤلاء المبطلون كل من آمن منهم الايمان الحقيقي
صار مؤمنا عند الله وقيل ان المراد من قوله تعالى ان الذين آمنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة في الماضي وثبتوا على
ذلك في المستقبل وهو المراد من قوله من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا اي في ايمانه فلهم اجرهم عند ربهم اي جزاء اعمالهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون اي في الآخرة قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم اي عهدكم يا معشر اليهود ورفعنا فوقكم الطور يعني الجبل العظيم قال ابن عباس
امر الله جبلا من جبال فلسطين فانقلع من اصله حتى قام على رؤوسهم وسبب ذلك ان الله تعالى لما انزل التوراة على موسى وامرهم
ان يعملوا باحكامها فابوا ان يقبلوها لما فيها من الآصار يعني الاثقال والتكاليف الشاقة امر الله تعالى جبريل ان يقلع جبلا على قدر
عسكرهم وكان قدره فرسخا في فرسخ فرفع فوق رؤوسهم قدر قامة كالظلة وقيل لهم ان لم تقبلوا ما في التوراة والا ارسلت هذا
الجبل عليكم خذوا ما آتيناكم اي وقلنا لهم خذوا ما آتيناكم اي ما اعطيناكم بقوة اي بجد واجتهاد واذكروا ما فيه اي
ادرسوا ما فيه لعلكم تتقون اي لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى والا رضخت رؤوسكم بهذا الجبل فلما راوا ذلك نازلا
قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار ذلك سنة في سجود اليهود لا يسجدون الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا
السجود رفع عنا العذاب ثم توليتم اي اعرضتم من بعد ذلك اي من بعد ما قبلتم التوراة فلولا فضل الله عليكم ورحمته اي بالامهال

لكنتم من الخاسرين اي المغبونين بذهاب الدنيا والعوائد في العقبى قوله عز وجل ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم اي جاوزوا الحد في السبت تجاوزت
اليهود لانهم يعظمونه ويتقطعون فيه اعمالهم واصل السبت القطع ذكر الاشارة الى القصة قال العلما بالاخبار كانت في زمن داود عليه السلام
بقرية يقال لها ايلة حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك حتى لا يرى الما من كثرتها فاذا مضى
السبت تفرقت الحيتان ولزمن قعر البحر فذلك قوله اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم ثم ان الشيطان وسوس اليهم
وقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت ولم تنهوا عن اخذها في غيره فعمد رجال منهم فحفروا حياضا كبارا حول البحر وشرعوا منه اليها انهارا فاذا كان
عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج بالحيتان الى تلك الحياض فيقع فيها ولا تقدر على الخروج منها لبعد عمقها فاذا كان يوم الاحد اخذوها
وقيل انهم كانوا ينصبون الشصوص والحبايل يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا ولم تنزل بهم عقوبة فتجرؤا على السبت
وقالوا ما نرى السبت الا قد احل لنا فاخذوا وملحوا واكلوا وباعوا واثروا فلما فعلوا ذلك صار اهل القرية ثلاثة اصناف وكانوا نحو سبعين الفا صنف
امسك ونهى وصنف امسك ولم ينه وصنف انتهك الحرمة وكان الصنف الناهون اثنا عشر الفا فلما ابى المجرمون قبول نصحهم قالوا والله لا نساكنكم في
قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار فغبروا على ذلك سنين ثم لعنهم داود وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم
يخرج من المجرمين احد ولم يفتحوا الباب فلما ابطوا تسوروا عليهم الحايط فاذا هم جميعا قردة لها اذناب يتعاوون وقيل صار الشباب
قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاث ولم يتوالدوا قال الله تعالى فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين
امر تحويل وتكوين ومعنى خاسئين مبعدين مطرودين وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره كونوا خاسئين قردة ولهذا لم يقل خاسيات
فجعلناها يعني عقوبتهم بالمسخ نكالا اي عقوبة وعبرة لما بين يديها وما خلفها قيل معناه عقوبة لما مضى من
ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم وقيل جعلنا عقوبة قرية اصحاب السبت عبرة لما بين يديها من القرى التي كانت عامرة في
الحال وما خلفها اي ما يحدث بعدها من القرى ليتعظوا بذلك وهو قوله تعالى وموعظة للمتقين اي للمومنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم
لئلا يفعلوا مثل فعلهم قوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة البقرة واحدة البقر وهي الانثى واصلها
البقر وهو الشق سميت بذلك لانها تشق الارض للحراثة الاشارة الى القصة في ذلك قال علما السير والاخبار انه كان رجل غني
في بني اسرائيل له ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية اخرى والقاه على بابها ثم اصبح يطلب ثاره وجاء بناس
الى موسى يدعي عليهم بالقتل فجحدوا واشتبه امر القتيل على موسى فسالوا موسى ان يدعو الله ليبين لهم ما اشكل عليهم فسال موسى
ربه في ذلك فامره بذبح بقرة وامره ان يضربه ببعضها فقال لهم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا اي تستهزئ بنا نسالك عن امر القتيل وانت
تستهزئ بنا وتامرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لبعد ما بين الامرين في الظاهر ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه قال يعني موسى اعوذ بالله اي
امتنع بالله ان اكون من الجاهلين اي من المستهزئين بالمومنين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السوال فلما علموا ان ذبح البقرة
عزم من الله استوصفوها ولو انهم عمدوا الى اي بقرة كانت فذبحوها لاجزات عنهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم وكان
في حكمة الله عز وجل وذلك انه كان رجل صالح في بني اسرائيل وله ابن طفل وله عجلة فاتى بها غيضة وقال اللهم استودعك هذه العجلة
لابني حتى يكبر ومات ذلك الرجل وصارت العجلة في الغيضة عوانا وكانت تهرب من الناس فلما كبر ذلك الطفل كان برا بامه وكان يقسم ليله ثلاثة اجزا
يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند راس امه ثلثا فاذا اصبح انطلق فيحتطب وياتي به السوق فيبيعه بما شا الله ثم يتصدق
بثلثه وياكل ثلثه ويعطي امه ثلثه فقالت له امه يوما يا بني ان اباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع
اله ابراهيم واسمعيل واسحق ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت
تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فاتى الفتى الغيضة فراها ترعى فصاح بها وقال اعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحق فاقبلت
البقرة حتى وقفت بين يديه فقبض على قرنها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت ايها الفتى البار بامه اركبني فانه
اهون عليك فقال الفتى ان امي لم تامرني بذلك فقالت البقرة والله لو ركبتني ما كنت تقدر علي ابدا فانطلق فانك لو امرت الجبل ان ينقلع من اصله لانقلع لبرك بامك
فسار الفتى بها الى امه فقالت له امه انك رجل فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع البقرة فقال بكم ابيعها

العجين

قالت بثلاثة دنانير ولا تبعها بغير مشورتي وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الفتى الى السوق وبعث الله تعالى ملكا ليري خلقه
قدرته وليختبر الفتى كيف بره بامه وهو اعلم فقال له الملك بكم هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضى امي فقال له الملك لك ستة دنانير ولا تستامر
امك فقال له الفتى لو اعطيتني وزنها ذهبا لم اخذه الا برضى امي ورجع الفتى الى امه فاخبرها بالثمن فقالت له ارجع فبعها بستة دنانير ولا تبعها
الا برضاي فرجع بها الى السوق واتى الملك فقال استامرت امك فقال الفتى نعم انها امرتني ان لا انقصها من ستة على رضاها فقال الملك اني اعطيك اثني
عشر دينارا ولا تستامرها فابى الفتى ورجع الى امه فاخبرها بذلك فقالت له ان الذي ياتيك ملك في صورة ادمي ليجربك فاذا اتاك فقل له اتامرنا ان نبيع هذه
البقرة ام لا ففعل فقال له الملك اذهب الى امك وقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منكم لقتيل يقتل في بني اسرائيل فلا تبيعوها الا بملء مسكها
ذهبا والمسك الجلد فامسكتها وقدر الله تعالى على بني اسرائيل ذبح البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون البقرة بعينها مكافاة لذلك الفتى على بره بامه فضلا من
الله ورحمة فذلك قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ما سنها قال يعني موسى انه يقول يعني الله عز وجل انها بقرة لا فارض ولا بكر اي لا كبيرة ولا صغيرة
والفارض المسنة التي لا تلد والبكر الفتية التي لم تلد عوان اي نصف بين ذلك اي بين السنين فافعلوا ما تومرون اي من ذبح البقرة ولا تكثروا السوال
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها قال ابن عباس شديدة الصفرة وقيل لونها صاف وقيل الصفراء السوداء والاول اصح
لانه تعالى اكده وافقع واسود حالك تسر الناظرين اي يعجبهم حسنها وصفاء لونها قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي اسايمة هي ام عاملة ان البقر تشابه علينا
التبس واشتبه امرها علينا وانا ان شا الله لمهتدون اي الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الدهر قال انه يقول انها
بقرة لا ذلول اي لم يذللها العمل تثير الارض تقلبها للزراعة ولا تسقي الحرث اي ليست بسانية والسانية هي التي يستقى عليها من البير لسقي الارض
مسلمة اي بريئة من العيوب لا شية فيها اي لا لون فيها غير لونها قالوا الان جيت بالحق اي بالبيان التام الذي لا اشكال فيه فطلبوها فلم
يجدوا بقرة بكمال وصفها الا بقرة ذلك الفتى فاشتروها منه بملء مسكها ذهبا فذبحوها وما كادوا يفعلون اي وما قاربوا ان يفعلوا ما امروا به
قيل لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة وقيل لعزة وجودها بهذه الاوصاف جميعا قوله عز وجل واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة بذلك لوجود
القتل فيهم فادارأتم فيها قال ابن عباس اي اختلفتم واختصمتم من الدرء وهو الدفع لان المتخاصمين يدفع بعضهم بعضا والله مخرج
ما كنتم تكتمون اي مظهر ما كتمتم من امر القتيل لا محالة ولا تتركه مكتوما فقلنا اضربوه يعني القتيل ببعضها اي ببعض البقرة
قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل ضربوه بالعظم الذي يليها وقيل بعجب الذنب وقيل بلحم
اليمين والاذن ثم كانوا مخيرين في ذلك البعض لانهم اذا ضربوه باي جزء منها اجزا وحصل المقصود ولانه ليس في القران ما يدل على ذلك
البعض ما هو وذلك يقتضي التخيير وفي الاية اضمار تقديره فضربوه فحيي وقام باذن الله عز وجل واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان
يعني ابن عمه ثم سقط ميتا مكانه فحرم قاتله الميراث وفي الحديث ليس لقاتل ميراث قاتل بعد صاحب البقرة كذلك اي كما احيا الله هذا القتيل صاحب
البقرة يحيي الله الموتى يعني يوم القيامة ويريكم اياته لعلكم تعقلون اي تمنعون انفسكم عن المعاصي فان قلت كان حق هذه القصة ان يقدم
ذكر القتيل اولا ثم ذكر ذبح البقرة بعد ذلك فما وجه ترتيب هذه القصة على هذا الترتيب قلت وجهه ان الله تعالى لما ذكر
من قصص بني اسرائيل وما وجد من جناياتهم تقريعا لهم على ذلك وما وجد فيهم من الايات العظيمة وهاتان قصتان كل واحدة
منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين في نفس الامر فالاولى لتقريعهم على ترك المسارعة الى امتثال
الامر وما يتبعه والثانية لتقريعهم على قتل النفس المحرمة فلو قدم ذكر قصة القتيل على قصة الذبح لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض
من تثنية التقريع فلهذا قدم ذكر الذبح اولا ثم عقبه بذكر القتيل فان قلت فما فايدة ضرب القتيل ببعض البقرة والله تعالى قادر على ان يحييه
ابتدا من غير ضرب بشي قلت الفايدة فيه ان تكون الحجة اوكد وعن الحيلة ابعد لاحتمال ان يتوهم متوهم ان موسى انما احياه بضرب من السحر
او الحيلة فاذا حيي القتيل عند ما ضرب ببعض البقرة وقد ذبحوها انتفت الشبهة وعلم ان ذلك من عند الله وباذنه كان ذلك فان قلت هلا
امروا بذبح غير البقرة قلت الكلام في غير البقرة لو امروا به كالكلام في البقرة ثم في ذبح البقرة فوايد منها التقرب بالقربان على ما كانت العادة
جارية عندهم ومنها ان هذا القربان كان عندهم من اعظم القرابين ومنها تحمل المشقة العظيمة في تحصيلها بتلك الصفة ومنها حصول ذلك المال
العظيم الذي اخذه صاحبها في ثمنها فصل في حكم هذه المسالة في شريعة الاسلام اذا وقعت وذلك انه اذا وجد قتيل في موضع ولا

يعرف قاتله فإن كان ثم لوث على أهل محلة ادعى به واللوث أن يغلب على الظن صدق المدعي بأن اجتمع جماعة في بيت وصحراء ثم تفرقوا عن قتيل
فيغلب على الظن أنهم قتلوه فإن ادعى الولي على بعضهم حلف خمسين يمينا على من يدعي عليه وإن كان الأولياء جماعة توزع الأيمان عليهم
فإذا حلفوا أخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه إن ادعوا قتل خطأ وإن ادعوا قتل عمد فمن مال المدعى عليه ولا قود عليه في قول الأكثر
وذهب عمر بن عبد العزيز إلى وجوب القود وبه قال مالك وأحمد فإن لم يكن ثم لوث فالقول قول المدعى عليه لأن الأصل براءة ذمته من القتل
وهل يحلف يمينا واحدة أم خمسين يمينا فيه قولان أحدهما أنه يحلف يمينا واحدة كما في سائر الدعاوى والثاني يحلف خمسين يمينا
تغليظا لأمر القتل وعند أبي حنيفة لا حكم للوث ولا يبدأ بيمين المدعي إذا وجد قتيل في محلة يختار الإمام خمسين رجلا
من صلحاء أهلها فيحلفهم أنهم ما قتلوه ولا يعرفون له قاتلا فإن حلفوا أخذ الدية من سكانها والدليل على أن البداية بيمين
المدعي عند وجود اللوث ما روي عن سهل بن أبي حثمة أن عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود خرجا إلى خيبر وهي يومئذ صلح فتفرقا
فأتى محيصة إلى عبد الله بن سهل وهو يتشحط في دمه قتيلا فدفنه ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة
ابنا مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن ليتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر كبر وهو أحدث القوم سنا فسكت فتكلما
فقال أتحلفون وتستحقون دم قاتلكم أو صاحبكم قالوا وكيف نحلف ولم نشهد ولم نر قال فتبرئكم يهود بأيمان خمسين منهم قالوا وكيف
نأخذ بأيمان قوم كفار فعقله النبي صلى الله عليه وسلم من عنده وفي رواية يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته وذكر نحوه وزاد في
رواية فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطل دمه فوداه بمائة من إبل الصدقة أخرجاه في الصحيحين وجه الدليل من هذا الحديث
أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ بأيمان المدعين لتقوى جانبهم باللوث لأن اليمين أبدا تكون لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث يقوى من جانب
المدعى عليه من حيث أن الأصل براءة ذمته فكان القول قوله مع يمينه والله أعلم قوله تعالى ثم قست قلوبكم أي يبست وجفت وقسوة
القلب انتزاع الرحمة منه وقيل معناه غلظت واسودت من بعد ذلك أي من بعد ظهور الدلالات التي جاء بها موسى وقيل هو إشارة إلى إحياء القتيل
بعد ضربه ببعض البقرة فهي يعني القلوب في الغلظ والشدة كالحجارة أي كالشيء الصلب الذي لا تخلخل فيه وقيل أو بمعنى بل وقيل بمعنى الواو
أي وأشد قسوة فإن قلت لم شبه قلوبهم بالحجارة ولم يشبهها بالحديد وهو أشد من الحجارة والطيب قلت لأن الحديد قابل للين بالنار وقد لان لداود
عليه السلام والحجارة ليست قابلة للين فلا تلين قط ثم فضل الحجارة على القلب القاسي فقال وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار قيل أراد به
جميع الحجارة وقيل أراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى ليسقي الأسباط والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء يعني
العيون الصغار التي هي دون الأنهار وإن منها لما يهبط من خشية الله أي ينزل من أعلا الجبل إلى أسفله وخشيتها مجاز عن انقيادها لأمر الله
وأنها لا تمتنع عما يريد منها وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع فإن قلت الحجر جماد لا يعقل ولا يفهم فكيف يخشى قلت إن الله تعالى قادر
على إفهام الحجر والجماد فتعقل وتخشى بإلهامه لها ومذهب أهل السنة أن لله تعالى في الجمادات والحيوانات علما وحكمة لا يقف عليها غيره
فلها صلاة وتسبيح وخشية يدل عليه قوله وإن من شيء إلا يسبح بحمده وقال تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فيجب على المرء الإيمان به
ويكل علمه إلى الله تعالى م عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث وإني لأعرفه الآن
عن علي قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله أخرجه
الترمذي وقال حديث غريب خ عن جابر بن عبد الله قال كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جذع في قبلته يقوم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
جذع في قبلته يقوم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته فلما وضع المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشار حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع
يده عليه وفي رواية صاحت النخلة صياح الصبي فنزل النبي صلى الله عليه وسلم فضمها إليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت
تسمع من الذكر قال مجاهد ما تردى حجر من أعلى إلى أسفل إلا من خشية الله ونزل بذلك القرآن وما الله بغافل عما تعملون فيه تهديد ووعيد
والمعنى أن الله بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لأعمالهم حتى يجازيهم بها في الآخرة قوله عز وجل أفتطمعون خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
لأنه هو الداعي إلى الإيمان وإنما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لأنهم كانوا يدعونهم إلى الإيمان ومعنى
أفتطمعون أفترجون أن يؤمنوا لكم أن تصدقكم اليهود بأخباركم وقيل معناه أفتطمعون أن يؤمنوا لكم أي تصدقكم اليهود بأخباركم

حتى اخذها

وقيل معناه أفتطمعون أن يؤمنوا لكم مع أنهم لم يؤمنوا لموسى عليه السلام وكان هو السبب في خلاصهم من الذل وظهور المعجزات على يديه وقد كان فريق منهم
يسمعون كلام الله قيل المراد بالفريق هم الذين كانوا مع موسى يوم الميقات وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى وقيل المراد هم الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
وهو الأقرب لأن الضمير راجع إليهم في أفتطمعون أن يؤمنوا لكم فعلى هذا يكون معنى يسمعون كلام الله يعني التوراة لأنه يصح أن يقال لمن يسمع التوراة يسمع
كلام الله ثم يحرفونه أي يغيرون كلام الله ويبدلونه فمن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله بالفريق الذين كانوا مع موسى استدل بقول ابن عباس أنها
نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه وذلك أنهم لما رجعوا إلى قومهم بعد ما سمعوا كلام الله أما الصادقون منهم فأدوا كما سمعوا وقالت
طائفة منهم سمعنا الله يقول في آخر كلامه إن استطعتم أن تفعلوا فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا فكان هذا تحريفهم ومن فسر الفريق الذين يسمعون
كلام الله بالذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان تحريفهم وتبديلهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم وآية الرجم من التوراة من بعد ما عقلوه
أي علموا صحة كلام الله تعالى ومراده فيه ثم مع ذلك خالفوه وهم يعلمون أي فساد ما فعلوه ويعلمون أيضا أنهم كاذبون قوله تعالى وإذا لقوا
الذين آمنوا الآية نزلت في اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس إن منافقي اليهود كانوا إذا لقوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا لهم آمنا بالذي آمنتم به وإن صاحبكم صادق وقوله حق وإنا نجد نعته وصفته في كتابنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض يعني كعب بن الأشرف وكعب
بن أسد ووهب بن يهوذا ورؤساء اليهود لاموا منافقي اليهود على ذلك وقالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم يعني قص الله عليكم في كتابكم من
محمد صلى الله عليه وسلم وأنه حق وقوله صدق ليحاجوكم به أي ليخاصموكم يعني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا عليكم بقولكم فيقولون لكم قد أقررتم أنه نبي
حق في كتابكم ثم لا تتبعونه وذلك أن اليهود قالوا لأهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به فإنه نبي حق ثم لام بعضهم
بعضا وقالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم عند ربكم أي في الدنيا والآخرة وقيل هو ليهود بني قريظة بعضهم لبعض
حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا إخوان القردة والخنازير فقالوا من أخبر محمدا بهذا ما خرج هذا إلا منكم وقيل إن اليهود أخبروا المؤمنين
بما عذبهم الله به على الجنايات فقال بعضهم لبعض أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لأنفسهم عليكم عند الله أفلا تعقلون
أي إنه لا يليق بما أنتم عليه أولا يعلمون يعني اليهود أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون أي ما يجحدون وما يظهرون قوله عز وجل
ومنهم أميون أي من اليهود أي لا يحسنون الكتابة ولا القراءة جمع أمي وهو المنسوب إلى أمه كأنه باق على ما انفصل من الأم لم يتعلم كتابة ولا قراءة لا يعلمون
الكتاب إلا أماني جمع أمنية وهي التلاوة ومنه قول الشاعر تمنى كتاب الله أول ليله تمني داود الزبور على رسل أي تلا كتاب الله وقال ابن عباس معناه غير عارفين
بمعاني كتاب الله وقيل الأماني الأحاديث الكاذبة المختلقة وهي الأشياء التي كتبها علماؤهم من عند أنفسهم وأضافوها إلى الله وذلك من تغيير نعت النبي
صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك وقيل هو من التمني وهو قولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودة وغير ذلك مما تمنوا فعلى هذا يكون المعنى لا يعلمون
الكتاب لكن يتمنون أشياء لا تحصل لهم وإن هم إلا يظنون أي يقولون على الظن فويل الويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة وأصلها
في اللغة العذاب والهلاك وقال ابن عباس الويل شدة العذاب وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل واد في جهنم يهوي
فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره أخرجه الترمذي وقال حديث غريب الخريف سنة للذين يكتبون الكتاب بأيديهم تأكيدا
للكتابة لأنه يحتمل أن يأمر بأن يكتب فقال بأيديهم لنفي هذه الشبهة والمراد بالذين يكتبون الكتاب اليهود وذلك أن رؤساء
اليهود خافوا ذهاب مأكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق سفلتهم عن الإيمان
به وعمدوا إلى صفته في التوراة فغيروها وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر فكانوا إذا سألهم سفلتهم عن صفته
قرأوا عليهم ما كتبوا ثم يقولون هذا من عند الله يعني هذه الصفة التي كتبوها فإذا نظروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى
تلك الصفة يجدونه مخالفا لها فيكذبونه ويقولون إنه ليس به ليشتروا به أي بما كتبوه ثمنا قليلا أي المآكل والرشى التي كانوا
يأخذونها من سفلتهم قال الله تعالى فويل لهم مما كتبت أيديهم من الكتاب وويل لهم مما يكسبون قوله تعالى وقالوا
أي اليهود لن تمسنا النار إلا أياما معدودة أي قدرا مقدرا ثم يزول عنا العذاب قال ابن عباس قالت اليهود
مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب بكل ألف سنة يوما ثم ينقطع عنا العذاب بعد سبعة أيام وقيل إنهم عنوا بالأيام الأربعين يوما

الى ان عبدوا فيها العجل وقيل ان اليهود زعموا ان الله عتب عليهم في امر فاقسم ليعذبنا اربعين يوما تحلة القسم فقال الله ردا عليهم وتكذيبا لهم قل اي يا محمد قل لليهود أتخذتم عند الله عهدا يعني موثقا ان لا يعذبكم الا هذه المدة فلن يخلف الله عهده اي وعده ام تقولون على الله ما لا تعلمون بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا والمعنى بلى تمسكم النار ابدا من كسب سيئة السيئة اسم يتناول جميع المعاصي كبيرة كانت او صغيرة والسيئة هنا الشرك في قول ابن عباس واحاطت به خطيئته اي احدقت به من جميع جوانبه قال ابن عباس حتى الشرك يموت عليه صاحبه وقيل احاطت به اي اهلكته خطيئته واحبطت ثواب طاعاته تعلق بهذا مذهب اهل السنة يتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية بالكفر والشرك لقوله فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فان الخلود في النار هو للكفار والمشركين والذين امنوا وعملوا الصالحات فان قلت العمل الصالح خارج عن اسم الايمان لانه تعالى قال والذين امنوا وعملوا الصالحات فلو دل الايمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بعد الايمان تكرارا قلت اجاب بعضهم بان الايمان وان كان يدخل فيه جميع الاعمال الصالحة الا ان قوله امنوا لا يفيد الا انه فعل فعلا واحدا من اعمال الايمان فلهذا احسن ان يقول والذين امنوا وعملوا الصالحات وقيل ان قوله امنوا يفيد الماضي وعملوا الصالحات يفيد المستقبل فكانه تعالى قال امنوا اولا ثم داوموا عليها اخرا فدخل فيه جميع الاعمال الصالحة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون قوله عز وجل واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل يعني في التوراة والميثاق العهد الشديد لا تعبدون الا الله اي امرهم تعالى بعبادته ونهاهم عن عبادة غيره لان الله تعالى هو المستحق للعبادة لا غيره وبالوالدين احسانا اي برا بهما وحنوا عليهما ولا تعذرهما فيما لا يخالف امر الله تعالى ويوصل اليهما ما يحتاجان اليه ولا يؤذيهما البتة وان كانا كافرين بل يجب عليه الاحسان اليهما ومن الاحسان اليهما ان يدعوهما الى الايمان بالرفق واللين وكذا ان كانا فاسقين يأمرهما بالمعروف بالرفق واللين من غير عنف وانما عطف بر الوالدين على الامر بعبادته لان شكر المنعم واجب ولله على عبده اعظم النعم لانه هو الذي خلقه واوجده بعد العدم فيجب تقديم شكره على شكر غيره ثم للوالدين على الولد نعمة عظيمة لانهما السبب في كون الولد ووجوده ثم ان لهما عليه حق التربية ايضا فيجب شكرهما ثانيا وذي القربى اي القرابة لان حق القرابة تابع لحق الوالدين والاحسان اليهم انما هو بواسطة الوالدين فلهذا احسن عطف القرابة على الوالدين واليتامى جمع يتيم لان اليتيم هو الذي مات ابوه وهو طفل فاذا بلغ الحلم زال عنه اليتم ويجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة امور لصغره ويتمه ولخلوه عمن يقوم بمصلحته اذ لا يقدر هو ان ينتفع بنفسه ولا يقوم بحوائجه والمساكين جمع مسكين وسيأتي بيانه ان شاء الله تعالى وانما تأخرت درجته في الذكر عن اليتامى لانه قد يمكن ان ينتفع بنفسه وينفع غيره بالخدمة وقولوا للناس حسنا فيه وجهان احدهما انه خطاب للحاضرين من اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فلهذا عدل من الغيبة الى الحضور والمعنى قولوا حقا وصدقا في شأن محمد صلى الله عليه وسلم فمن سألكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته ولا تكتموا قاله ابن عباس الوجه الثاني ان المخاطبين بهم الذين كانوا في زمن موسى واخذ عليهم الميثاق وانما عدل عن الغيبة الى الحضور على طريق الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقيل فيه حذف تقديره وقلنا لهم في الميثاق وقولوا للناس حسنا وامروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقيل هو اللين في القول والمعاشرة وحسن الخلق واقيموا الصلاة واتوا الزكاة وانما امرهم الله تعالى بهذه التكاليف الثمانية ليكون لهم المنزلة عنده بما التزموا واخبر عنهم انهم ما وفوا بذلك بقوله تعالى ثم توليتم اي اعرضتم عن العهد الا قليلا منكم يعني من الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام واصحابه فانهم وفوا بالعهد وانتم معرضون اي كاعراض ابائكم قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم قيل هو خطاب لابائكم الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وقيل هو خطاب لابائهم وفيه تقريع لهم لا تسفكون اي لا تريقون دماءكم اي لا يسفك بعضكم دم بعض وقيل معناه لا تسفكوا دماء غيركم فتسفك دماؤكم فكأنكم انتم سفكتم دماء انفسكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم اي لا يخرج بعضكم بعضا من داره وقيل لا تفعلوا شيئا تخرجوا بسببه من دياركم ثم اقررتم اي بهذا العهد انه حق وانتم تشهدون يعني انتم يا معشر اليهود اليوم تشهدون على ذلك ثم انتم هؤلاء يعني يا هؤلاء اليهود تقتلون انفسكم اي يقتل بعضكم بعضا وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اي يخرج بعضكم بعضا من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان اي تتعاونون عليهم بالمعصية والظلم وان يأتوكم اسارى جمع اسير تفدوهم اي تستنقذوهم بالمال وهو استنقاذهم بالشراء وقرئ تفادوهم اي تبادلوهم وهو مفاداة

الاسير

الاسير بالاسير ومعنى الآية ان الله تعالى اخذ على بني اسرائيل في التوراة ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد او امة من بني اسرائيل وجدتموه فاشتروه بما قام من ثمنه واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وكان بين الاوس والخزرج حروب فكانت بنو النضير تقاتل مع حلفائهم وبنو قريظة تقاتل مع حلفائهم فاذا غلبوا خربوا بيوتهم واخرجوهم من ديارهم واخربوها وكانوا اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا فيفدونه به فعيرتهم العرب وقالوا كيف تقاتلونهم وتفدونهم فقالوا انا امرنا ان نفديهم فقالوا لم تقاتلونهم فقالوا انا نستحيي ان نستذل حلفاءنا فعيرهم الله تعالى فقال ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وفي الآية تقديم وتأخير تقديره وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وهو محرم عليكم اخراجهم وان يأتوكم اسارى تفدوهم فكان الله تعالى اخذ عليهم اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة مع اعدائهم وفك اسراهم فاعرضوا عن الكل الا الفداء قال الله تعالى أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض معناه ان وجدتموهم في يد غيركم فديتموهم وانتم تقتلونهم بايديكم فكان ايمانهم الفداء وكفرهم قتل بعضهم بعضا فذمهم على المناقضة في افعالهم لانهم اتوا ببعض ما وجب عليهم وتركوا البعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم يعني يا معشر اليهود الا خزي في الحياة الدنيا اي عذاب وهوان فكان خزي بني قريظة القتل والسبي وخزي بني النضير الاجلاء والنفي من منازلهم الى اريحا واذرعات من ارض الشام ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب يعني عذاب النار وما الله بغافل عما تعملون فيه وعيد وتهديد عظيم اولئك الذين اشتروا اي استبدلوا الحياة الدنيا بالاخرة لان الجمع بين لذات الدنيا والاخرة غير ممكن فمن اشتغل بتحصيل لذات الدنيا فاتته لذات الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب اي فلا يهون عليهم ولا هم ينصرون اي لا يمنعون من عذاب الله تعالى قوله عز وجل ولقد آتينا موسى الكتاب يعني التوراة جملة واحدة وقفينا اي واتبعنا من التقفية وهو ان يقفو اثر الآخر من بعده اي من بعد موسى بالرسل يعني رسولا بعد رسول وكانت الرسل من بعد موسى الى زمن عيسى عليهما السلام متواترة يظهر بعضهم في اثر بعض والشريعة واحدة قيل ان الرسل بعد موسى يوشع بن نون واشمويل وداود وسليمان وارميا وحزقيل والياس ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وكانوا يعملون ويحكمون بشريعة موسى الى ان بعث الله تعالى عيسى عليه السلام فجاءهم بشريعة جديدة وغير بعض احكام التوراة فذلك قوله تعالى وآتينا عيسى ابن مريم البينات اي الدلالات الواضحات وهي المعجزات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وقيل هي الانجيل واسم عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل انه اسم علم لها كزيد من الرجال وايدناه اي قويناه بروح القدس وقيل اراد بالروح الذي نفخ فيه والقدس هو الله تعالى اضاف روح عيسى اليه تشريفا وتكريما وتخصيصا له كما تقول عبد الله وامة الله وبيت الله وناقة الله وقال ابن عباس هو اسم الله الاعظم الذي كان عيسى يحيي به الموتى وقيل هو الانجيل لانه به حياة القلوب سماه روحا كما سمى القرآن روحا وقيل هو جبريل ووصف بالقدس وهو الطهارة لانه لم يقترف ذنبا قط وقيل القدس هو الله تعالى والروح جبريل كما تقول عبد الله سمي جبريل روحا للطافته ولانه من الوحي الذي هو سبب حياة القلوب وحمل روح القدس هنا على جبريل اولى لانه تعالى قال وايدناه اي قويناه بجبريل وذلك انه امر ان يكون مع عيسى ويسير معه حيث سار فلم يفارقه حتى صعد الى السماء فلما سمعت اليهود ذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما تقص علينا من اخبار الانبياء فعلت فائتنا بما اتى به عيسى ان كنت صادقا قال الله تعالى افكلما جاءكم يعني يا معشر اليهود رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم اي تعظمتم عن الايمان به ففريقا كذبتم يعني مثل عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وفريقا تقتلون يعني مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوا وذلك ان اليهود كانوا اذا جاءهم رسول بما لا يهوون كذبوه فان لقيتاهم قتلوه وانما كانوا كذلك لارادتهم الدنيا وطلب الرياسة فيها وقالوا يعني اليهود قلوبنا غلف جمع اغلف اي ذات غلف وهو

اي اعطيناه

الذين على غشاوة فلا يعي ولا يفقه وقال ابن عباس غلف بضم اللام جمع غلاف والمعنى ان قلوبنا اوعية من العلم لا تسع حديثا الا وعته الا حديثك
فانها لا تعيه ولا تعقله ولو كان خيرا لفهمته ووعته قال الله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم اي طردهم وابعدهم من كل خير بسبب كفرهم فانهم اعترفوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم
ثم انكروه وجحدوه فلهذا لعنهم الله فقليلا ما يؤمنون اي لا يؤمن منهم الا قليل لان من آمن من المشركين كان اكثر منهم قوله تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله
يعني القرآن مصدق لما معهم يعني التورية وهو التصديق في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان نبوته وصفته ثابتة في التورية وكانوا يعني اليهود من قبل
اي من قبل مبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم يستفتحون اي يستنصرون به على الذين كفروا يعني مشركي العرب وذلك انهم كانوا اذا حزبهم امر او دهمهم عدو
يقولون اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التورية فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل
زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا اي الذي عرفوه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وعرفوا نعته وصفته وانه من غير
بني اسرائيل كفروا به اي جحدوه وانكروه بغيا وحسدا فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به انفسهم اي بئس شيئا الذي اختاروا
لانفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق واشتروا اي باعوا والمعنى بئس ما باعوا به حظ انفسهم ان يكفروا بما انزل الله يعني القرآن
بغيا اي حسدا ان ينزل الله من فضله يعني الكتاب والنبوة على من يشاء من عباده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فباءوا اي رجعوا
بغضب على غضب اي مع غضب قال ابن عباس الغضب الاول بتضييعهم التورية وتبديلها والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وللكافرين اي جاحدي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم عذاب مهين اي يهانون فيه واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله يعني القرآن يعني
وقيل بكل ما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا يعني التورية قل يا محمد فلم تقتلون انبياء الله من قبل انما اضاف القتل الى الذين ليس
من اليهود وان كان سلفهم قتلوا الانبياء لانهم رضوا بفعلهم قيل اذا عملت المعصية في الارض فمن كرهها وانكرها كمن غاب عنها ومن رضيها كان من
اهلها ان كنتم مؤمنين اي بالتورية وقد نهيتم فيها عن قتل الانبياء قوله عز وجل ولقد جاءكم موسى بالبينات اي بالدلالات الواضحة
والمعجزات الباهرة ثم اتخذتم العجل من بعده اي من بعد موسى لما ذهب الى الميقات وانتم ظالمون انما كرر هذا تبكيتا لهم وتاكيدا
للحجة عليهم واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي استجيبوا واطيعوا اي فيما امرتم به قالوا سمعنا يعني قولك
وعصينا يعني امرك قيل انهم لم يقولوا هذا بالسنتهم ولكن لما سمعوه وتلقوه تلقوه بالعصيان نسب ذلك اليهم واشربوا في قلوبهم
العجل اي تداخل حبه في قلوبهم والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ في الثوب وقيل ان موسى امر ان يبرد العجل ويذرى في النهر وامرهم
ان يشربوا منه فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهر سحالة الذهب على شاربه قل بئسما يأمركم به ايمانكم اي ان تعبدوا العجل والمعنى
بئس الايمان ايمان يأمر بعبادة العجل ان كنتم مؤمنين اي بزعمكم وذلك انهم قالوا نؤمن بما انزل علينا فكذبهم الله تعالى بذلك قوله تعالى قل ان كانت لكم الدار
الآخرة عند الله خالصة من دون الناس وذلك ان اليهود ادعوا دعاوي باطلة منها قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقولهم نحن ابناء
الله واحباؤه فكذبهم الله والزمهم الحجة فقال قل يا محمد لليهود ان كانت لكم الدار الآخرة يعني الجنة خالصة اي خاصة لكم من دون الناس
فتمنوا الموت اي فاطلبوه واسألوه لان من علم ان الجنة مأواه وانه صائر اليها ولا سبيل الى دخولها الا بعد الموت فاستعجلوا بالتمني
ان كنتم صادقين اي في قولكم ودعواكم روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه وما بقي على
وجه الارض يهودي الا مات قال الله تعالى ولن يتمنوه ابدا اي لعلمهم انهم في دعواهم كاذبون بما قدمت ايديهم يعني من الاعمال السيئة
وانما اضاف العمل الى اليد لان اكثر جنايات الانسان تكون من يده والله عليم بالظالمين فيه تخويف وتهديد لهم وانما خصهم بالظلم لانه اعم من
الكفر لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافرا فلهذا كان اعم وكانوا اولى به ولتجدنهم اللام للقسم والنون للتوكيد تقديره والله لتجدنهم يا محمد ظالم
يعني اليهود احرص الناس على حياة اي حياة متطاولة والحرص اشد الطلب ومن الذين اشركوا فان قلت الذين اشركوا
قد دخلوا تحت الناس في قوله احرص الناس فلم افردهم بالذكر قلت افردهم بالذكر لشدة حرصهم وفيه توبيخ عظيم لليهود لان
الذين لا يؤمنون بالمعاد ولا يعرفون الا الحياة الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر
بالبعث والجزاء كان حقيقا بالتوبيخ العظيم وقيل ان الواو واو استيناف تقديره ومن الذين اشركوا ناس يود احدهم وهم
المجوس سموا بذلك لانهم يقولون بالنور والظلمة يود اي يتمنى احدهم لو يعمر الف سنة اي تعمير الف سنة وانما خص الالف لانه نهاية العقود

وقيل

وقيل لانها تحية المجوس فيما بينهم يقولون زه هزار سال اي عش الف سنة او الف نيروز والف مهرجان فهذه تحيتهم والمعنى
ان اليهود احرص من المجوس الذين يقولون ذلك وما هو بمزحزحه اي بمباعده من العذاب اي النار ان يعمر اي لو عمر طول عمره لا ينقذه من
العذاب والله بصير بما يعملون اي لا يخفى عليه خافية من احوالهم قوله عز وجل قل من كان عدوا لجبريل قال ابن عباس سبب نزول
هذه الآية ان عبد الله بن صوريا حبر من احبار اليهود قال للنبي صلى الله عليه وسلم اي ملك يأتيك من السماء قال جبريل قال ذاك عدونا ولو كان
ميكائيل لآمنا بك ان جبريل ينزل بالعذاب والشدة والخسف وانه عادانا مرارا واشد ذلك علينا ان الله انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب
على يد رجل يقال له بختنصر فلما كان وقته بعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فاخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال ان كان الله امركم بهلاكه
فلن تسلطوا عليه وان لم يكن هو فعلى اي حق تقتله فلما كبر ذلك الغلام وقوي غزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا فانزل الله هذه وقيل قالوا
ان الله امر ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا فلذلك اتخذناه عدوا وقيل ان عمر بن الخطاب كان له ارض باعلى المدينة وكان ممره اليها على مدارس اليهود
فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر ما في اصحاب محمد احب الينا منك وانا لنطمع فيك فقال عمر والله ما آتيكم لحبكم ولا اسألكم لاني شاك
في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد صلى الله عليه وسلم واري آثاره في كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذي يأتيه من الملائكة قال
جبريل قالوا ذاك عدونا يطلع محمدا صلى الله عليه وسلم على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وشدة وان ميكائيل يجيء بالخصب
والسلامة فقال لهم تعرفون جبريل وتنكرون محمدا قالوا نعم قال فاخبروني عن منزلة جبريل وميكائيل من الله تعالى قالوا جبريل
عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر اشهد انه من كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان
الله عدوا له ثم رجع عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وقال لقد وفقك
ربك يا عمر فقال عمر والله لقد رأيتني بعد ذلك في دين الله اصلب من الحجر والاقرب انه سبب هذه العداوة كون جبريل كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم
بالوحي لان قوله فانه نزله على قلبك مشعر بذلك وقوله فانه نزله يعني جبريل نزل بالقرآن كناية عن غير مذكور على قلبك يا محمد وانما
خص القلب بالذكر لانه محل الحفظ باذن الله اي بامر الله اي باذنه مصدقا اي موافقا لما بين يديه اي لما قبله من الكتب وهدى
وبشرى للمؤمنين اي في القرآن هداية للمؤمنين الى الاعمال الصالحة التي يترتب عليها الثواب وبشرى لهم بثوابها اي اذا اتوا بها من كان
عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل المعنى في الآية الاولى ان من كان عدوا لجبريل لاجل انه نزل بالقرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم
وجب ان يكون عدوا لله لان الله تعالى هو الذي نزله على محمد صلى الله عليه وسلم فبين بهذه الآية ان كل من كان عدوا لاحد هؤلاء فانه عدو لجميعهم
وبين ان الله عدو له بقوله فان الله عدو للكافرين فاما عداوتهم لله تعالى فانها لا تضره ولا تؤثر وعداوته لهم تؤديهم الى العذاب
الدائم الذي لا ضرر اعظم منه وقيل المراد من عداوتهم لله عداوة اوليائه واهل طاعته فهو كقوله ان الذين يحادون
الله ورسوله اي يحاربون اولياء الله واهل طاعته وقوله وملائكته ورسله يعني ان من عادى واحدا من هؤلاء فقد عادى
جميعهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بجميعهم وجبريل وميكائيل انما خصهما بالذكر وان كانا داخلين في جملة الملائكة لبيان
شرفهما وفضلهما وعلو منزلتهما وقدم جبريل على ميكائيل لفضله عليه ولان جبريل ينزل بالوحي الذي هو غذاء الارواح وميكائيل
ينزل بالمطر الذي هو سبب غذاء الابدان وجبريل وميكائيل اسمان اعجميان ومعناهما عبد الله وعبيد الله لان جبر وميك بالسريانية
هو العبد وايل هو الله ولقد انزلنا اليك آيات بينات قال ابن عباس هو جواب لابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية بينة فنتبعك لها فانزل الله هذه الآيات ومعنى بينات اي واضحات مفصلات
بالحلال والحرام والحدود والاحكام وما يكفر بها اي وما يجحد هذه الآيات الا الفاسقون اي الخارجون عن طاعتنا وما امروا به
او كلما عاهدوا عهدا قال ابن عباس لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخذ عليهم من العهود في محمد صلى الله عليه وسلم وان
يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله ما عهد الينا في محمد عهدا فانزل الله هذه الآية او كلما استفهام انكار عاهدوا عهدا
اي هو قولهم انه قد اظل زمان نبي مبعوث وانه في كتابنا وقيل انهم عاهدوا الله عهودا كثيرة ثم نقضوها نبذه اي طرح العهد
ونقضه فريق منهم يعني من اليهود بل اكثرهم لا يؤمنون يعني كفر فريق منهم بنقض العهد وكفر اكثرهم بالجحد للحق

ولما جاءهم رسول من عند الله يعني محمداً صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم يعني مصدق بصحة التوراة وبنبوة موسى
وقيل ان التوراة بشرت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كان مجرد مبعثه مصدقاً للتوراة نبذ
فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم قيل اراد بالكتاب القرآن وانما نبذهم التوراة فانهم كانوا يقرؤونها ولا يعملون بها وقيل
انهم ادرجوها في الحرير وحلوها بالذهب ولم يحلوا ما فيها كأنهم لا يعلمون يعني انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم به ومعرفة
وانما حملهم على ذلك عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وهم علماء اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكتموا امره وكان اولئك
النفر القليل قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين ومعنى تتلوا تقرأ من التلاوة وقيل معناه تتبع وتروي وتكذب
على ملك سليمان يعني قولهم ان سليمان ملك الناس بالسحر وقيل على ملك سليمان اي على عهده وزمانه وقصة ذلك
ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجات على لسان آصف هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك ثم دفنوه تحت كرسيه وذلك
حين نزع الله عنه الملك ولم يشعر بذلك سليمان وقيل ان بني اسرائيل اشتغلوا بتعلم السحر في زمانه فمنعهم من ذلك سليمان واخذ
كتبهم ودفنها تحت سريره فلما مات استخرجها الشياطين وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا فتعلموا فاما صلحاء بني اسرائيل
وعلماؤهم فانكروا ذلك وقالوا معاذ الله ان يكون هذا من علم سليمان واما السفلة منهم فقالوا هذا هو علم سليمان واقبلوا
على تعلمه وتركوا كتب انبيائهم وفشت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم الى ان بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم وانزل عليه براءة سليمان
عليه السلام فقال تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان يعني بالسحر ولم يعمل به وفيه تنزيه سليمان عن السحر وذلك ان اليهود
انكروا نبوة سليمان وقالوا انما حصل له هذا الملك وسخرت له الجن والانس بسبب السحر وقيل ان السحرة من اليهود زعموا انهم اخذوا السحر عن
سليمان فبرأه الله عن ذلك وقيل ان بعض احبار اليهود قال الا تعجبون من محمد يزعم ان سليمان كان نبياً وما كان الا ساحراً
فانزل الله وما كفر سليمان يعني ان كون سليمان نبياً ينافي كونه ساحراً كافراً ثم بين تعالى ان الذي برأه منه لاحق بغيره فقال
ولكن الشياطين كفروا يعني ان الذين اتخذوا السحر لانفسهم هم الذين كفروا ثم بين سبب كفرهم فقال تعالى يعلمون الناس السحر
يعني ما كتب لهم الشياطين من كتب السحر وقيل يحتمل ان يكون يعلمون يعني اليهود الذين عنوا بقوله واتبعوا وسمي السحر
سحراً لخفاء سببه ولانه يفعل في خفية وقيل معنى السحر الازالة وصرف الشيء عن جهته تقول العرب ما سحرك عن كذا اي ما صرفك عنه
فكأن الساحر لما ارى الباطل في صورة الحق فقد سحر الشيء عن وجهه اي صرفه هذا اصله من حيث اللغة واما حقيقته فقد قيل
انه عبارة عن التمويه والتخييل ومذهب اهل السنة ان له وجوداً وحقيقة والعمل به كفر وذلك اذا اعتقد ان الكواكب هي المؤثرة في قلب
الاعيان وروي عن الشافعي انه قال السحر يخيل ويمرض وقد يقتل حتى اوجب القصاص على من قتل به وقيل ان السحر يؤثر في
قلب الاعيان فيجعل الانسان على صورة الحمار والحمار على صورة الكلب وقد يطير الساحر وهذا القول ضعيف عند اهل
السنة لانهم قالوا ان الله تعالى هو الخالق الفاعل لها المؤثر لهذه الاشياء عند عمل الساحر لذلك لا ان الساحر هو الفاعل
لها المؤثر فيها والاصح ان السحر يخيل ويؤثر في الابدان بالامراض والجنون والموت ويدل على ذلك ان للكلام تأثيراً في الطباع
والنفوس فيسمع الانسان ما يكره فيحمى ويغضب وربما حم منه وقد مات قوم بكلام سمعوه فالسحر بمنزلة العلل في الابدان واما حكمه فانه من الكبائر
التي نهي عنها ويحرم تعلمه لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما
هن قال الاشراك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم والربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات
الغافلات المؤمنات اخرجاه في الصحيحين فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر من الكبائر وقرنه بالشرك وامر باجتنابه وقوله
الموبقات يعني المهلكات والسحر على قسمين احدهما يكفر به صاحبه وهو ان يعتقد ان القدرة لنفسه في ذلك وهو المؤثر او يعتقد
ان الكواكب هي المؤثرة الفاعلة لذلك فاذا تعدى السحر الى هذه الغاية صار كافراً باتاً ووجب قتله لما روي عن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حد الساحر ضربة بالسيف
اخرجه الترمذي القسم الثاني من السحر وهو التخييل الذي يشاكل النيرنجات والشعبذة ولا يعتقد صاحبه لنفسه فيه قدرة ولا ان الكواكب
هي المؤثرة ويعتقد ان القدرة لله تعالى وانه هو المؤثر فهذا القدر لا يكفر به صاحبه ولكنه معصية وهو من الكبائر ويحرم فعله فان قتل بالسحر

قتل قصاصاً لما روي عن مالك بلغه ان حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها وقد كانت دبرتها فامرت بها فقتلت اخرجه في
الموطأ قوله عز وجل وما انزل على الملكين اي ويعلمون الذي انزل على الملكين والانزال هنا بمعنى الالهام والتعليم اي ما الهما وعلما وقرئ في الشاذ الملكين
بكسر اللام قيل هما رجلان ساحران ببابل وقيل علجان ووجهه ان الملائكة لا يعلمون السحر والقراءة المشهورة بفتح اللام فان قلت
كيف يجوز ان يضاف الى الله تعالى انزال السحر على الملائكة وكيف يجوز للملائكة تعليم السحر قلت قال ابن جرير الطبري ان الله تعالى
عرّف عباده جميع ما امرهم به وجميع ما نهاهم عنه ثم امرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه ولو كان الامر
على غير ذلك لما كان للامر والنهي معنى مفهوم والسحر مما قد نهى عباده من بني آدم عنه فغير منكر ان يكون الله تعالى علمه الملكين اللذين
سماهما في تنزيله وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم كما اخبر عنهما انهما يقولان لمن جاء يتعلم ذلك منهما انما نحن فتنة فلا تكفر ليختبر
بهما عباده الذين نهاهم عن السحر ... فيتمحص المؤمن بتركه التعلم منهما ويخزى الكافر بتعلمه السحر والكفر
منهما ويكون الملكان في تعليمهما من علما مطيعين لله تعالى اذ كانا عن اذن الله تعالى لهما بتعليم ذلك وعصى من تعلم
من تعلم ذلك منهما بعد نهيهما اياه عنه بقولهما انما نحن فتنة فلا تكفر اذا كانا قد اديا ما امرا به وقال غيره ان الله تعالى انزلهما ليصفان
السحر ويذكران بطلانه ويأمران باجتنابه فالشقي من ترك نصحهما وتعلم السحر من صنعتهما والسعيد من قبل نصحهما وترك تعلم السحر
منهما وقيل ان الله تعالى امتحن الناس بالملكين في ذلك الزمان فالشقي من تعلم السحر منهما فيكفر به والسعيد من تركه فيبقى على ايمانه
ولله تعالى ان يمتحن عباده بما شاء كما امتحن بني اسرائيل بنهر طالوت بقوله فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني ببابل قيل
هي بابل العراق بارض الكوفة سميت بذلك لتبلبل الالسنة بها عند سقوط صرح نمرود وقيل انها بابل دنباوند والاول اصح
واشهر هاروت وماروت اسمان سريانيان وقصة الآية على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما قالوا ان الملائكة لما رأوا
ما يصعد الى السماء من اعمال بني آدم الخبيثة في زمن ادريس عليه السلام عيروهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم في الارض اخترتهم
يعصونك فقال الله عز وجل لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم مثل ما ركبوا فقالوا سبحانك ما كان ينبغي
لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلح
الملائكة واعبدهم وكان اسم هاروت عزا وماروت عزابيا فغير اسمهما لما قارفا الذنب وركب الله فيهما الشهوة واهبطهما
الى الارض وامرهما ان يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فكانا يقضيان بين الناس يومهما
فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا الى السماء فما مر عليهما شهر حتى افتتنا وقيل بل افتتنا في اول يوم وذلك انه اختصم
اليهما امرأة يقال لها الزهرة وكانت من اجمل اهل فارس وقيل كانت ملكة فلما رأياها اخذت بقلوبهما فقال احدهما لصاحبه
هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي قال نعم فراوداها عن نفسها فابت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا
مثل ذلك فابت وقالت لا الا ان تعبدا هذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان الله تعالى نهانا عنها
فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح خمر وفي انفسهما من الميل اليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا
الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم واهون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة فزنيا بها فرآهما انسان فقتلاه خوف
الفضيحة وقيل انهما سجدا للصنم وقيل جاءتهما امرأة من احسن الناس تخاصم زوجها فقال احدهما للآخر هل سقط في نفسك
مثل الذي سقط في نفسي قال نعم قال هل لك ان تقضي لها على زوجها فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له
صاحبه اما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فسألاها نفسها فقالت لا الا ان تقضيا لي على زوجي فقضيا لها ثم سألاها نفسها قالت
لا الا ان تقتلاه فقال احدهما لصاحبه اما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فقتلاه
ثم سألاها نفسها فقالت لا الا ان لي صنماً اعبده ان انتما صليتما معي عنده فعلت فقال احدهما لصاحبه مثل القول الاول فرد
عليه مثله فصليا معها عنده فمسخت شهاباً وقال علي بن ابي طالب قالت لهما لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به الى السماء
فقالا اسم الله الاكبر قالت فما انتما بمدركي حتى تعلمانيه فقال احدهما للآخر علمها فقال اني اخاف الله فقال الآخر فاين رحمة الله فعلماها ذلك

فتكلم به وصعدت الى السماء فمسخها الله كوكبا فذهب بعضهم الى انها الزهرة بعينها وانكر الاخرون هذا وقالوا ان الزهرة من الكواكب السبعة
السبعة التي اقسم الله بها فقال فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والتي فتنت هاروت وماروت كانت امراة تسمى الزهرة لجمالها وحسنها فلما بغت
مسخها الله تعالى شهابا قالوا فلما امسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما اجنحتهما
فعلما ما حل بهما فقصدا ادريس النبي عليه السلام فاخبراه بامرهما وسالاه ان يشفع لهما الى الله عز وجل وقالا له انا راينا يصعد لك من العبادة
مثل ما يصعد لجميع اهل الارض فاشفع لنا الى ربك ففعل ذلك ادريس فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا عذاب الدنيا
اذ علما انه ينقطع فهما ببابل يعذبان قيل انهما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقيل انهما منكوسان يضربان بسياط الحديد وقيل
ان رجلا قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة اعينهما مسودة جلودهما ليس بين السنتهما وبين الماء الا قدر اربع اصابع
وهما يعذبان بالعطش فلما راى ذلك هاله فقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا لا اله الا الله من انت قال رجل من الناس فقالا من اي امة انت قال من
امة محمد صلى الله عليه وسلم قالا وقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فقالا الحمد لله واظهرا الاستبشار فقال الرجل مم استبشاركما قالا انه نبي
الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا **فصل** في القول بعصمة الملائكة اجمع المسلمون على ان الملائكة مؤمنون معصومون فضلاء واتفق ائمة المسلمين
على ان حكم الرسل من الملائكة حكم النبيين سواء في العصمة في باب البلاغ عن الله عز وجل وفي كل شيء ثبتت فيه عصمة الانبياء فكذلك الملائكة والانبياء
في التبليغ اليهم كالانبياء مع اممهم ثم اختلفوا في غير المرسلين من الملائكة فذهبت طائفة من المحققين وجميع المعتزلة الى عصمة جميع الملائكة
عن جميع الذنوب والمعاصي واحتجوا على ذلك بوجوه سنعيدها وعكس ذلك ذهبت طائفة الى ان غير المرسلين من الملائكة غير معصومين واحتجوا
على ذلك بوجوه سنعيدها ايضا منها قصة هاروت وماروت وما نقله اهل الاخبار والتفسير فقد نقل ابن جرير الطبري في تفسيره
عن جماعة من الصحابة والتابعين فنقل قصة هاروت وماروت بالفاظ متقاربة عن علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس وكعب الاحبار
والسدي والربيع ومن ذهب الى عصمة جميع الملائكة عن قصة هاروت وماروت بان ما نقله المفسرون واهل الاخبار في ذلك لم يصح
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شيء وهذه الاخبار انما اخذت من اليهود وقد علم افتراؤهم على الانبياء والملائكة وقد ذكر الله عز وجل في هذه
الاية افتراء اليهود على سليمان عليه السلام ثم عطف على ذلك قصة هاروت وماروت ثانيا قالوا ومعنى الاية وما كفر سليمان بعمل السحر ولكن — او انتم
الشياطين فانتفى عنه في ذلك اليهود فاخبر عن افترائهم وكذبهم وذكروا ايضا في الجواب عن هذه القصة انها باطلة وجوه الاول ان — عليه
في القصة ان الله تعالى قال للملائكة لو ابتليتم بما ابتليت به بنو ادم لعصيتموني قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك وفيه
رد على الله تعالى وذلك كفر وقد ثبت انهم كانوا معصومين قبل ذلك فلا يقع هذا منهم الوجه الثاني انهما خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة
وذلك فاسد لان الله تعالى لم يخير من اشرك وان كانت قد صحت توبتهما فلا عقوبة عليهما الوجه الثالث ان المراة لما فجرت كيف يعقل
انها صعدت الى السماء وصارت كوكبا وعظم الله قدرها بحيث اقسم بها في قوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس فبان ان هذه الوجوه ركيكة
هذه القصة والله اعلم بصحة ذلك وسقمه والاول تنزيه الملائكة عن كل ما لا يليق بمنصبهم وقوله تعالى وما يعلمان من احد حتى
يقولا احدا حتى ينصحاه اولا ويقولا انما نحن فتنة اي ابتلاء ومحنة فلا تكفر اي لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر قيل انهما كانا يقولان انما نحن فتنة فلا تكفر
سبع مرات فان ابى قبول نصحهما وصمم على التعلم قالا له ائت هذا الرماد فبل عليه فاذا فعل ذلك خرج منه نور ساطع في السماء فذلك نور
الايمان والمعرفة وينزل شيء اسود شبه الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله فيتعلمون منهما يعني من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه
اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين كالتمويه والتخييل والنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله تعالى عنده البغض والنشوز
والخلاف بين الزوجين ابتلاء من الله تعالى لا ان السحر له تاثير في نفسه بدليل قوله وما هم يعني السحرة بضارين به اي بالسحر من احد
الا باذن الله اي بعلمه وقضائه وتكوينه فالساحر يسحر والله تعالى يكون ويكون وذلك بقضاء الله وقدرته ومشيئته ويتعلمون ما يضرهم — من اليهود
ولا ينفعهم يعني السحر لانهم يقصدون به الشر ولقد علموا لمن اشتراه اي اختار السحر ما له في الاخرة من خلاق يعني ما له نصيب في الجنة ولبئس ما
شروا به انفسهم اي باعوا به حظ انفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق لو كانوا يعلمون فان قلت كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله
ولقد علموا على التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم اخرا في قوله لو كانوا يعلمون قلت قد علموا ان من اشتراه ما له في الاخرة من خلاق ثم مع هذا العلم

خالفوا واشتغلوا بالسحر وتركوا العمل بكتاب الله وما جاءت به الرسل عنادا منهم وبغيا وذلك على معرفة منهم بما في فعل
ذلك من العقاب فجعلهم حين لم يعملوا بعلمهم كانهم منسلخون عنه ولو انهم يعني اليهود امنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران
واتقوا يعني اليهودية والسحر وما يؤثمهم لمثوبة من عند الله اي لكان ثواب الله اياهم خير لهم يعني الثواب لو كانوا يعلمون
يعني ذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا سبب نزول هذه الاية ان المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول الله — قاله
من المراعاة اي ارعنا سمعك وفرغه لكلامنا وكانت هذه اللفظة شيئا قبيحا بلغة اليهود ومعناها عندهم اسمع
لا سمعت وقيل هي من الرعونة اذا ارادوا ان يحمقوا انسانا قالوا راعنا يعني احمق فلما سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين
قالوا فيما بينهم كنا نسب محمدا سرا فاعلنوا به الان فكانوا ياتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها
سعد بن معاذ رضي الله عنه ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود لئن سمعتها من احد منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا اي لكيلا يجد اليهود بذلك سبيلا الى
شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولوا انظرنا اي انظر الينا وقيل معناه انتظرنا وتان بنا واسمعوا اي ما تؤمرون
به واطيعوا نهى الله تعالى عباده المؤمنين ان يقولوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم راعنا لئلا يتطرق احد الى شتمه وامرهم بتوقيره
وتعظيمه وان يتخيروا لخطابه صلى الله عليه وسلم من الالفاظ احسنها ومن المعاني ارقها وان سالوه يسالوه بتبجيل وتعظيم
ولين ولا يخاطبوه بما يسر اليهود وللكافرين يعني اليهود عذاب اليم ما يود اي ما يحب الذين كفروا من اهل الكتاب يعني اليهود
ولا المشركين يعني عبدة الاوثان لان الكفر اسم جنس تحته نوعان اهل كتاب وهم الذين بدلوا كتابهم وكذبوا الرسل وعبدة الاوثان
ومن عبد غير الله ان ينزل عليكم من خير من ربكم يعني ما انزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم من الوحي والنبوة وانما كرهت اتباعهم
من المشركين ذلك حسدا وبغيا منهم على المؤمنين وذلك ان المسلمين قالوا لحلفائهم من اليهود امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا
ما هذا الذي تدعوننا اليه بخير مما نحن عليه ولوددنا لو كان خيرا فانزل الله هذه الاية تكذيبا لهم والله يختص برحمته
من يشاء يعني انه تعالى يختص بنبوته ورسالته من يشاء من عباده ويتفضل بالايمان والهداية على من احب من خلقه رحمة
منه لهم والله ذو الفضل العظيم يعني ان كل خير ناله العباد في دينهم ودنياهم فانه منه ابتداء وتفضلا عليهم من غير استحقاق
منهم ذلك بل له الفضل والمنة على خلقه قوله عز وجل ما ننسخ من اية او ننسها الاية وسبب نزولها ان المشركين قالوا ان
محمدا يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا ما يقول الا من تلقاء نفسه كما اخبر الله تعالى
عنهم بقوله واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وانزل ما ننسخ من اية فبين بهذه الاية وجه الحكمة في النسخ
وانه من عنده لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم واصل النسخ في اللغة يكون بمعنى النقل والتحويل ومنه نسخ الكتاب وهو ان ينقل من كتاب الى كتاب
اخر وذلك لا يقتضي ازالة الصورة الاولى بل يقتضي اثبات مثله في كتاب اخر فعلى هذا المعنى يكون القران كله منسوخا وذلك انه نسخ من
اللوح المحفوظ ونزل جملة واحدة الى سماء الدنيا وقد يكون النسخ بمعنى الرفع والازالة وهو ازالة شيء بشيء يعقبه كنسخ الشمس
الظل والشيب الشباب فعلى هذا المعنى يكون بعض القران منسوخا وبعضه ناسخا وهو المراد من حكم الاية وهو ازالة الحكم بحكم يعقبه **فصل**
في حكم النسخ النسخ في اصطلاح العلماء عبارة عن رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متاخر عنه والنسخ جائز عقلا وواقع سمعا خلافا
لليهود فان منهم من لم ينكره عقلا لكنه منعه سمعا وشذت طائفة قليلة من المسلمين فانكرت النسخ احتج الجمهور من المسلمين
على جواز النسخ ووقوعه بان الدلائل قد دلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لا تصح الا مع القول بالنسخ وهو نسخ شرع من قبله
فوجب القطع بالنسخ وايضا على اليهود الزامات منها ان الله تعالى حرم عليهم العمل في السبت ولم يحرمه على من كان قبلهم
ومنها انه جاء في التوراة ان الله تعالى قال لنوح عليه السلام عند خروجه من الفلك اني جعلت لك كل دابة ماكولا لك ولذريتك
واطلقت ذلك لهم ثم انه تعالى حرم على موسى عليه السلام وعلى بني اسرائيل كثيرا من الحيوانات ومنها ان ادم عليه السلام كان يزوج الاخ للاخت وقد حرمه
على من بعده وعلى موسى عليه السلام فثبت بهذا جواز النسخ وحيث ثبت جواز النسخ فقد اختلفوا فيه على وجوه احدها ان القران نسخ جميع الشرائع والقول به

كالتوراة والانجيل وغيرها الوجه الثاني المراد من النسخ هو نسخ القرآن ونقله من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا الوجه الثالث
وهو الصحيح الذي عليه جمهور العلماء ان المراد من النسخ هو رفع بعض الآيات بدليل آخر يأتي بعده وهو المراد بقوله تعالى ما ننسخ
من آية او ننساها نات بخير منها او مثلها لان الآية اذا اطلقت فالمراد بها آية القرآن لانه هو المعهود عندنا مسئلة قال الشافعي
رحمه الله الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة واستدل بهذه الآية وهو انه تعالى قال ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او مثلها وذلك يفيد انه
هو الآتي بما هو من جنس القرآن وما كان من جنس القرآن فهو قرآن وقوله نات بخير منها يفيد انه هو المنفرد بالاتيان
بذلك الخير وهو القرآن الذي هو كلام الله دون السنة وان السنة لا تكون خيرا من القرآن ولا مثله ولصحيح الجمهور على جواز نسخ الكتاب
بالسنة بان آية الوصية للاقربين منسوخة بقوله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث اجاب الشافعي بان هذا ضعيف لان كون الميراث حقا
للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان آية الميراث مانعة من الوصية وتقريره ابسط معروف في اصول الفقه ثم النسخ في القرآن على
وجوه احدها ما رفع حكمه وتلاوته كما روي عن ابي امامة بن سهل ان قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرؤوا سورة فلم يذكروا منها الا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا
الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك سورة رفعت بتلاوتها وحكمها اخرجه البغوي بغير سند وقيل ان سورة الاحزاب
كانت مثل سورة البقرة فرفع بعضها تلاوة وحكما الوجه الثاني ما رفع تلاوته وبقي حكمه مثل آية الرجم روي عن ابن عباس قال
قال عمر وهو جالس على منبر ان الله بعث محمدا بالحق وانزل عليه الكتاب فكان فيما انزل الله عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها وعقلناها
ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخشى ان طال بالناس زمان ان يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله
فيضلوا بترك فريضة انزلها الله وان الرجم في كتاب الله حق على من زنى اذا احصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة او كان
الحبل او الاعتراف اخرجه مسلم والبخاري بمعناه الوجه الثالث ما رفع حكمه وثبت خطه وتلاوته وهو كثير في القرآن مثل آية الوصية
للاقربين نسخت بآية الميراث عند الشافعي وبالسنة عند غيره وآية عدة الوفاة بالحول نسخت بآية اربعة اشهر وعشرا وآية
القتال وهو قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين الآية نسخت بقوله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا الآية ومثل هذا
كثير في القرآن واما معنى الآية فقوله ما ننسخ من آية اي نرفعها او نرفع حكمها او ننسها قرئ بضم النون وكسر السين ومعناه
ننسيها على قلبك وقال ابن عباس نتركها لا ننسخها وقيل معناه نامر بتركها فعلى هذا يكون النسخ الاول رفع الحكم واقامة غيره مقامه
والانساء ان يتركه من غير اقامة غيره مقامه وقرئ ننساها بفتح النون والسين والهمزة ومعناه نؤخرها فلا ننزلها او نرفع
تلاوتها ونؤخر حكمها كآية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الاول رفع التلاوة والحكم وقال سعيد بن المسيب وعطاء ما ننسخ من آية
فهو ما نزل من القرآن جعلاه من نسخ الكتاب اذا نقلته الى كتاب آخر او ننساها اي نؤخرها ونتركها في اللوح المحفوظ
فلا ننزلها نات بخير منها اي بما هو انفع لكم واسهل عليكم واكثر لاجوركم وليس معناه ان آية خير من آية لان كلام الله تعالى كله
واحد او مثلها اي في المنفعة والثواب فالنسخ الى الايسر كان اسهل في العمل كالذي كان على المؤمنين من فرض قيام
الليل ثم نسخ ذلك فكان خيرا لهم في عاجلهم لسقوط التعب والمشقة عليهم وما نسخ الى الاشق كان اكثر في الثواب كالذي كان
عليهم من صيام ايام معدودات في السنة فنسخ ذلك وفرض صيام شهر رمضان فكان صوم شهر كامل في كل سنة اثقل
على الابدان واشق من صيام ايام معدودات فكان ثواب الكل اكثر واما المثل فكنسخ التوجه الى بيت المقدس وصرفه
الى المسجد الحرام واستواء الاجر في ذلك لان على المصلي التوجه الى حيث امره الله تعالى الم تعلم ان الله على كل شيء قدير اي من
النسخ والتبديل المعنى الم تعلم يا محمد اني قادر على تعويضك مما نسخت من احكامي وغيرته من فرائضي التي كنت افترضتها
عليك بما اشاء مما هو خير لك ولعبادي المؤمنين انفع لكم في عاجلكم وآجلكم الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعني انه تعالى هو
المتصرف في السموات والارض وله سلطانها دون غيره يحكم فيهما وفيما فيهما بما يشاء من امر ونهي ونسخ وتبديل وهذا الخبر وان
كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب لليهود الذين انكروا النسخ وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام
فاخبرهم الله ان له ملك السموات والارض وان الخلق كلهم عبيده وتحت تصرفه يحكم فيهم بما يشاء وعليهم السمع والطاعة وما لكم

يعني يا معشر الكفار عند نزول العذاب من دون الله اي مما سوى الله من ولي اي من قريب وصديق وقيل من وال وهو القيم بالامور ولا نصير اي ناصر يمنعكم
من العذاب وقيل معنى الآية وليس لكم ايها المؤمنون بعد الله من قيم بامركم ولا نصير يؤيدكم ويقويكم على اعدائكم قوله تعالى ام تريدون ان تسألوا رسولكم نزلت
في اليهود وذلك انهم قالوا يا محمد ائتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى موسى بالتوراة وقيل انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن نؤمن لك حتى تأتي بالله
والملائكة قبيلا كما سأل قوم موسى موسى فقالوا ارنا الله جهرة فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى اتريدون وقيل بل تريدون
ان تسألوا رسولكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم كما سئل موسى من قبل وذلك ان موسى سأله قومه فقالوا ارنا الله جهرة ففي الآية منعهم من السؤالات
المقترحة بعد ظهور الدلالات والمعجزات وثبوت الحجج والبراهين على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومن يتبدل الكفر بالايمان اي يستبدل فقد ضل سواء السبيل
اي اخطأ قصد الطريق وقيل ان قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان خطاب للمؤمنين واعلامهم ان اليهود اهل غش وحسد وانهم يتمنون للمؤمنين المكاره فنهاهم تعالى
ان يقبلوا من اليهود شيئا ينصحونهم به في الظاهر واخبرهم ان من ارتد عن دينه فقد اخطأ قصد السبيل قوله عز وجل ود كثير من اهل الكتاب
نزلت هذه الآية في نفر من اليهود وذلك انهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد لو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا
فنحن اهدى سبيلا منكم فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد فقال اني عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت قالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال
حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبراه بذلك فقال اصبتما الخير وافلحتما فانزل الله تعالى ود كثير من اهل الكتاب يعني اليهود لو يردونكم يا معشر
المؤمنين من بعد ايمانكم كفارا اي ترجعوا الى ما كنتم عليه من الكفر حسدا اي يحسدونكم حسدا واصل الحسد تمني زوال النعمة عن مستحقها
وربما يكون مع ذلك سعي في ازالتها والحسد مذموم بما روي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل
النار الحطب او قال العشب اخرجه ابو داود فاذا انعم الله على عبد نعمة فتمنى آخر زوالها فهذا هو الحسد وهو حرام فان كان مستعانا بتلك
النعمة على الكفر والمعاصي فتمنى آخر زوالها عنه فليس بحسد ولا يحرم ذلك فانه لم يحسده على تلك النعمة من حيث انها نعمة بل من حيث انه يتوصل
بتلك النعمة الى الشر والفساد وقوله من عند انفسهم اي من تلقاء انفسهم لم يأمرهم الله بذلك من بعد ما تبين لهم الحق يعني في
التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وسلم ودينه حق لا يشكون فيه فكفروا به حسدا وبغيا فاعفوا واصفحوا اي فتجاوزوا واعرضوا عما كان
منهم من اساءة وحسد وكان هذا الامر بالعفو والصفح قبل ان يؤمر بالقتال حتى ياتي الله بامره اي بعذابه وهو القتل والسبي
لبني قريظة والاجلاء والنفي لبني النضير قال ابن عباس هو امر الله لنبيه بقتالهم في قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
الآية ان الله على كل شيء قدير فيه وعيد وتهديد لهم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة امر الله المؤمنين بالعفو والصفح عن اليهود وامرهم
بما فيه صلاح انفسهم من اقام الصلاة وايتاء الزكاة الواجبتين ونبه بذلك على سائر الواجبات ثم قال تعالى وما تقدموا لانفسكم
من خير اي من طاعة وعمل صالح وقيل اراد بالخير المال يعني صدقة التطوع لان الزكاة تقدم ذكرها تجدوه عند الله يعني ثوابه
واجره حتى التمرة واللقمة مثل احد ان الله بما تعملون بصير اي لا يخفى عليه شيء من قليل الاعمال وكثيرها ففيه ترغيب في الطاعات واعمال البر
وزجر عن المعاصي قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا اي يهوديا ولا دين الا دين اليهود وقالت النصارى لن يدخل
الجنة الا من كان نصرانيا ولا دين الا دين النصرانية قيل نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا مع اليهود في مجلس رسول الله
فكذب بعضهم بعضا قال الله تعالى تلك امانيهم اي شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغير حق قل يعني يا محمد هاتوا
برهانكم اي حجتكم على دعواكم ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى ان كنتم صادقين يعني فيما تدعون ثم قال تعالى ردا
عليهم بلى اي ليس الامر كما تزعمون ولكن من اسلم وجهه لله اخلص دينه لله وقيل اخلص عبادته لله وقيل خضع وتواضع
لله لان اصل الاسلام الاستسلام وهو الخضوع وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء واذا ذل الانسان بوضع وجهه
على الارض في السجود فقد جاد بجميع اعضائه قال عمرو بن نفيل واسلمت وجهي لمن اسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا يعني بذلك
استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته الارض والمزن وهو محسن اي في عمله فله اجره عند ربه اي ثواب عمله ولا خوف عليهم اي في
الآخرة ولا هم يحزنون اي على ما فاتهم من الدنيا قوله عز وجل وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست

اليهود على شيء نزلت في يهود المدينة ونصارى نجران وذلك ان وفد نجران لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود
فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود للنصارى ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى
لليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بموسى والتوريه فانزل الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شيء
وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب يعني وكلا الفريقين يقرؤن الكتاب وليس في كتابهم هذا الاختلاف
فدل تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم لما فيه على كونهم على الباطل وقيل ان الانجيل الذي تدين بصحته النصارى يحقق ما
في التوراة من نبوة موسى وما فرض الله فيها على بني اسرائيل من الفرائض وان التورية التي يدين بصحتها اليهود تحقق نبوة
عيسى وما جاء به من عند ربه من احكام ثم كلا الفريقين قالوا ما اخبر الله عنهم بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت
النصارى ليست اليهود على شيء مع علم كل واحد من الفريقين ببطلان ما قاله كذلك قال الذين لا يعلمون يعني مشركي العرب
قالوا في نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ليسوا على شيء مثل قولهم يعني مثل قول اليهود للنصارى والنصارى لليهود
وقيل انهم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا في نبيهم ليسوا على شيء
فالله يحكم اي يقضي بينهم يعني بين المحق والمبطل فيما كانوا فيه يختلفون يعني من امر الدين قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله
نزلت في خراب بيت المقدس وذلك ان طيطوس الرومي غزا بني اسرائيل فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وحرق التوريه
وخرب بيت المقدس فلم يزل خرابا الى ان بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب فانزل الله ومن اظلم اي ومن اكفر واعتى
ممن منع مساجد الله يعني بيت المقدس ومحاريبه ان يذكر فيها اسمه ان يعبد ويصلى له فيها وسعى في خرابها وقيل
ان بخت نصر المجوسي من اهل بابل هو الذي غزا بني اسرائيل وخرب بيت المقدس واعانه على ذلك النصارى من اجل ان اليهود
قتلوا يحيى بن زكريا اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين وذلك ان بيت المقدس موضع حج النصارى ومزارهم قال
ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها رومي الا خائفا لو علم به قتل وقيل اخيفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذمي
والقتل على الحربي وقيل خزيهم هو فتح مدائنهم الثلث قسطنطينية ورومية وعمورية لهم في الدنيا خزي يعني الصغار
والذل والقتل والسبي ولهم في الآخرة عذاب عظيم يعني النار وقيل ان الآية نزلت في مشركي مكة واراد بالمساجد المسجد الحرام وذلك انهم
منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ان يصلوا فيه في ابتداء الاسلام ومنعوهم من الحج والصلاة فيه عام الحديبية واذا منعوا من يعمره بذكر الله تعالى
والصلاة فيه فقد سعوا في خرابه يعني مشركي مكة لقول الله تعالى فتحها عليكم ايها المسلمون حتى تدخلوها وتكونوا اولى بها منهم ففتحها
عليهم وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان ينادي في الموسم لما نزلت سورة براءة الا لا يحج البيت بعد هذا العام مشرك فهذا خوفهم وثبت في الشرع ان لا يمكن
مشرك من دخول الحرم فان قلت كيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو اما بيت المقدس او المسجد الحرام قلت يجوز
ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن آذى الصالحين فان قلت اي القولين ارجح
قلت رجح الطبري القول الاول وقال لان النصارى هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس بدليل ان مشركي مكة لم يسعوا في خراب
المسجد الحرام وان كانوا قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات من الصلاة فيه وايضا فان الآية التي قبل هذه وبعدها
في ذم اهل الكتاب ولم يجر للمشركين ذكر ولا للمسجد الحرام فتعين ان يكون المراد بها بيت المقدس ورجح غيره القول الثاني بدليل ان النصارى
معظمون لبيت المقدس اكثر من اليهود فكيف يسعون في خرابه وهو موضع حجهم وذكر ابن العربي في احكام القرآن قولا ثالثا وهو انه كل مسجد قال وهو
الصحيح لان اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد وببعض الازمنة محال قوله عز وجل ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله
سبب نزول هذه الآية قال ابن عباس خرج نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قبل تحويل القبلة الى الكعبة فاصابهم الضباب وحضرت الصلاة
فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم انهم لم يصيبوا فلما قدموا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية وعن
عامر بن ربيعة عن ابيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر اين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله فلما اصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت فاينما تولوا فثم وجه الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال ابن عمر نزلت في المسافر يصلي التطوع حيث ما توجهت به راحلته فعن ابن عمر

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه يومي وكان ابن عمر يفعله وفي رواية لمسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم
يصلي على دابته وهو مقبل من مكة الى المدينة حيثما توجهت وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله الآية وقيل نزلت في تحويل القبلة الى الكعبة
وذلك ان اليهود عيرت المؤمنين وقالوا ليست لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة يستقبلون هكذا فانزل الله هذه
الآية وقيل انها نزلت في تخيير النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ان يصلوا حيث شاؤا من النواحي ثم انها نسخت بقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام ومعنى
الآية ان لله المشرق والمغرب وما بينهما خلقا وملكا وانما خص المشرق والمغرب بالذكر لانه عبر عن جميع الجهات لان له كلها وما فيها خلقه وعبيده وان
على جميعهم طاعته فيما امرهم به ونهاهم عنه فامرهم باستقبال ما شاء من القبلة فان القبلة ليست قبلة لذاتها بل لان الله تعالى جعلها قبلة وامر
بالتوجه اليها فاينما تولوا فثم وجه الله اي فهناك قبلة الله التي وجهكم اليها وقيل معناه فثم الله تعالى بعلمه وقدرته والوجه صلة كقوله
تعالى لا من حيث الصورة وقيل فثم رضا الله اي تريدون بالتوجه اليه رضاه ان الله واسع من السعة وهو الغني اي يسع خلقه كلهم
بالكفاية والافضال والجود والتدبير وقيل هو واسع المغفرة عليم اي عالم بنياتكم حيثما تصلوا وتدعوا لا يغيب عنه منها شيء مسئلة
تتعلق بحكم الآية وهي ان المسافر اذا كان في صحراء او بلاد الشرك واشتبهت عليه القبلة فانه يجتهد في طلبها بنوع من الدلايل ويصلي الى الجهة التي ادى
اليها اجتهاده ولا اعادة عليه وان لم يصادف القبلة فان جهة الاجتهاد قبلته وكذا الغريق في البحر اذا بقي على اللوح فانه يصلي على
حسب حاله وتصح صلاته وكذا المشدود على جذع حيث لا يمكنه الاستقبال قوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت في يهود المدينة
حيث قالوا عزير ابن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفي مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه اي
تنزيها لله فنزه الله تعالى نفسه عما زعموا من اتخاذ الولد وعن قولهم وافترائهم عليه خ عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم
ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فزعم اني لا اقدر ان اعيده كما كان واما شتمه اياي فقوله لي ولد فسبحاني
ان اتخذ صاحبة او ولدا بل له ما في السموات والارض يعني عبيدا وملكا فكيف ينسب اليه الولد وهو داخل فيهما وقيل
ان الولد لا بد وان يكون من جنس الوالد والله تعالى منزه عن الشبه والنظير وقيل ان الولد انما يتخذ للحاجة اليه والانتفاع
به عند عجز الوالد والله تعالى منزه عن ذلك فاضافة الولد اليه محال كل له قانتون يعني ان اهل السموات والارض مطيعون له ومقرون
له بالعبودية واصل القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع وقيل اصله القيام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القنوت
فعلى هذا يكون معنى الآية كل له قائمون بالشهادة مقرون له بالوحدانية وقيل قانتون مذللون مسخرون لما خلقوا له واختلف
العلماء في حكم الآية فقال بعضهم هو خاص ثم سلكوا في تخصيصه طريقين احدهما قالوا هو راجع الى عزير والمسيح والملائكة الثاني قال ابن عباس
هو راجع الى اهل طاعته دون ساير الكفار وذهب جماعة الى ان حكم الآية عام لان لفظة كل تقتضي الشمول والاحاطة ثم سلكوا
في الكفار طريقين احدهما ان ظلالهم تسجد لله وتطيعه الثاني ان هذه الطاعة تكون في يوم القيامة ومن ذهب الى تخصيص حكم الآية
اجاب عن لفظة كل بانها لا تقتضي الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى واوتيت من كل شيء ولم تؤت ملك سليمان فقول
على ان لفظة كل لا تقتضي ذلك قوله عز وجل بديع السموات والارض اي خالقها ومنشئها على غير مثال سبق وقيل البديع
الذي يبدع الاشياء اي يحدثها مما لم تكن واذا قضى امرا اي قدره واراد خلقه وقيل اذا قضى امرا احكمه واتقنه واصل
القضاء الحكم والفراغ والقضاء في اللغة على وجوه كلها ترجع الى انقطاع الشيء وتمامه والفراغ منه فانما يقول له كن فيكون
اي اذا احكم امرا وحتمه فانما يقول له كن فيكون ذلك الامر على ما اراد الله تعالى وجوده فان قلت المعدوم لا يخاطب
فكيف قال فانما يقول له كن فيكون قلت ان الله تعالى عالم بكل ما هو كائن قبل تكوينه واذا كان كذلك كانت الاشياء التي لم تكن
كائنة لعلمه تعالى بها فجاز ان يقول لها كوني ويامرها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود وقيل اللام في قوله له لام اجل فيكون المعنى
واذا قضى امرا فانما يقول لاجل تكوينه وارادته كن فيكون فعلى هذا يذهب معنى الخطاب قوله تعالى وقال الذين لا يعلمون
قال ابن عباس هم اليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم النصارى وقيل هم مشركوا العرب لولا اي هلا يكلمنا الله عيانا
بانك رسوله او تاتينا آية اي دلالة وعلامة على صدقك كذلك قال الذين من قبلهم اي كفار الامم الخالية مثل قولهم وذلك ان اليهود سالوا

موسى ان يريهم الله جهرة وان يسمعهم كلام الله وسالوا من الآيات ما ليس لهم مسئلة فاخبر الله عن الذين كانوا في زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا مثل ما قال من كان قبلهم تشابهت قلوبهم يعني ان المكذبين للرسل تشابهت
اقوالهم وافعالهم وقيل تشابهت في الكفر والقسوة والتكذيب وطلب المحال قد بينا الآيات اي الدلالات على نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم لقوم يوقنون يعني ان ايات القرآن وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات الباهرات
كافية لمن كان طالبا لليقين وانما خص اهل الايقان بالذكر لانهم هم المتثبتون في الامور ومعرفة الاشياء على يقين قوله عز وجل
انا ارسلناك بالحق اي بالصدق وقال ابن عباس بالقرآن وقيل بالاسلام وقيل معناه انا لم نرسلك عبثا
بل انا ارسلناك بالحق بشيرا اي مبشرا لاوليائي واهل طاعتي بالثواب العظيم ونذيرا اي منذرا ومخوفا لاعدائي
واهل معصيتي بالعذاب ولا تسأل قرئ بفتح التاء على النهي قال ابن عباس وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ذات يوم ليت شعري ما فعل ابواي فنزلت هذه الآية والمعنى انا ارسلناك لتبليغ ما ارسلت به لا لتسأل
عن اصحاب الجحيم وقرئ ولا تسأل بضم التاء ورفع اللام على الخبر وقيل على النفي والمعنى انا ارسلناك بالحق
تبليغ ما ارسلت به وانما عليك البلاغ ولست مسئولا عمن كفر عن اصحاب الجحيم اي عن اهل الجحيم سميت النار جحيما لشدة
تاججها وقيل الجحيم معظم النار قوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وذلك انهم
كانوا يسالون النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه انه ان امهلهم اتبعوه فانزل الله هذه الآية والمعنى انك وان هادنتهم
فلا يرضون بها وانما يطلبون ذلك تعللا ولا يرضون منك الا باتباع ملتهم وقال ابن عباس هذا في امر القبلة
وذلك ان يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي الى بيت المقدس فلما صرف
الله القبلة الى الكعبة ايسوا منه ان يوافقهم على دينهم فانزل الله تعالى ولن ترضى عنك اليهود يعني الا
باليهودية ولا النصارى الا بالنصرانية وهذا شيء لا يتصور اذ لا يجتمع في رجل واحد شيئان في وقت واحد وهو
قوله حتى تتبع ملتهم يعني دينهم وطريقتهم قل اي يا محمد ان هدى الله يعني دين الله الذي هو الاسلام نعوذ
هو الهدى اي يصح ان يسمى هدى ولئن اتبعت يا محمد اهواءهم يعني اهواء اليهود والنصارى فيما يرضيهم
عنك وقيل اهواءهم اقوالهم التي هي اهواء وبدع بعد الذي جاءك من العلم اي البيان بان دين الله هو الاسلام وان
القبلة هي قبلة ابرهيم عليه السلام وهي الكعبة ما لك من الله من ولي يعني يلي امرك ويقوم به ولا نصير اي ينصرك
ويمنعك من عقابه وقيل في قوله ولئن اتبعت اهواءهم انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته والمعنى اياكم
اخاطب ولكم اوجب وانتم قد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق والصدق وقد عصمه فلا تتبعوا
انتم اهواء الكافرين ولئن اتبعتم اهواءهم بعد الذي جاءكم من العلم والبيان ما لكم من الله من ولي ولا نصير قوله عز وجل
الذين آتيناهم الكتاب قال ابن عباس نزلت في اهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب وكانوا اربعين رجلا اثنان وثلاثون
من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب وقيل هم مؤمنو اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عامة يتلونه حق تلاوته اي يقرؤونه
كما انزل لا يغيرونه ولا يحرفونه ولا يبدلون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يتبعونه حق اتباعه
فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويقفون عنده ويكلون علمه الى الله تعالى
وقيل يتدبرونه حق تدبره ويتفكرون في معانيه وحقائقه واسراره اولئك يعني الذين يتلونه حق تلاوته يؤمنون به
اي يصدقون به فان قلت ان الآية في اهل الكتاب فيكون المعنى المؤمن بالتوراة الذي يتلوها حق تلاوتها هو المؤمن بمحمد صلى
الله عليه وسلم لان في التوراة نعته وصفته وان قلنا انها نزلت في المؤمنين عامة فظاهر ومن يكفر به اي يجحد ما فيه من فرائض الله ونعت
محمد صلى الله عليه وسلم فاولئك هم الخاسرون اي خسروا انفسهم حيث استبدلوا الكفر بالايمان قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي

التي

التي انعمت عليكم اي اياديَّ لديكم وصنعي بكم واستنقاذي اياكم من ايدي عدوكم من نعم كثيرة انعمت بها عليكم واني فضلتكم على العالمين اي
واذكروا تفضيلي اياكم على عالمي زمانكم وفي هذه الآية موعظة لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكررها في اول السورة وههنا للتوكيد
وتذكير النعم واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا وفي هذه الآية ترهيب لهم والمعنى يا معشر بني اسرائيل المبدلين كتابي المحرفين له خافوا
عذاب يوم لا تغني فيه نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة اي ولا يقبل منها فدية ولا يشفع لها شافع وهذا من
العام الذي يراد به الخاص لقوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ومعنى الآية ولا يشفع شفاعة اذا وجب عليها العذاب حتى
تستوفي سواه وقيل انه رد على اليهود في قولهم ان اباءنا تشفع لنا ولا هم ينصرون اي ولا ناصر لهم يمنعهم من الله اذا انتقم منهم قوله عز وجل
واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن ابراهيم اسم اعجمي ومعناه اب رحيم وهو ابراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناحور بن ساروغ بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن
ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وكان مولد ابراهيم بالسوس من ارض الاهواز وقيل ببابل وقيل بكوثى وهي قرية من سواد الكوفة وقيل بحران ولكن اباه
نقله الى ارض بابل وهي ارض نمرود الجبار وابراهيم عليه السلام يعترف بفضله جميع الطوائف قديما وحديثا فاما اليهود والنصارى فانهم مقرون
بفضله ويتشرفون بالنسبة اليه وانهم من اولاده واما العرب في الجاهلية فانهم ايضا يعترفون بفضله ويتشرفون على غيرهم به لانهم من
اولاده ومن ساكني حرمه وخدام بيته فلما جاء الاسلام زاده شرفا وفضلا فحكى الله تعالى عن ابراهيم امورا توجب على المشركين واليهود والنصارى
قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه لان ما اوجبه الله على ابراهيم هو من خصائص دين محمد صلى الله عليه وسلم
وفي ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركي العرب في وجوب الانقياد لمحمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وتصديقه واصل الابتلاء
الامتحان والاختبار ليعرف حال الانسان فاذا قيل ابتلى فلان بكذا يتضمن امرين احدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل
من امره والثاني ظهور جودته ورداءته وابتلاء الله العباد ليس ليعلم احوالهم والوقوف على ما يجهل منها لانه عالم بجميع المعلومات
التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد ولكن ليعلم العباد احوالهم من ظهور جودة ورداءة وعلى هذا ينزل قوله تعالى
واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات واختلفوا في تلك الكلمات التي ابتلى الله بها ابراهيم عليه السلام فقال ابن عباس هي ثلاثون سهما
هن شرائع الاسلام لم يبتل بها احد فاقامها كلها الا ابراهيم فكتبت له البراءة فقال وابراهيم الذي وفى ومعنى هذا الكلام
انه لم يبتل احد قبل ابراهيم فاتمها بعده فقد اتى الانبياء بجميع ما امر به من الدين خصوصا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد
اتى بجميع ما امر به وهي عشرة مذكورة في سورة براءة في قوله التائبون العابدون الآية وعشر في سورة الاحزاب في قوله ان المسلمين
والمسلمات الآية وعشر في سورة المؤمنون في قوله قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الآيات وهي مذكورة ايضا في سورة
سأل سائل وعن ابن عباس ايضا قال ابتلاه الله بعشرة اشياء هي الفطرة خمس في الراس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق
والسواك وفرق الراس وخمس في الجسد تقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء عن ابي هريرة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفطرة خمس او خمس من الفطرة الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط عن عائشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك والاستنشاق بالماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف
الابط وحلق العانة وانتقاص الماء قال مصعب ونسيت العاشرة الا ان تكون المضمضة قال وكيع انتقاص الماء يعني الاستنجاء
قال العلماء الفطرة السنة وقيل الملة وقيل الطريقة وهذه الاشياء المذكورة في الحديث من خصال الفطرة قيل كانت على ابرهيم عليه السلام مقدم
فرضا وهي لنا سنة والمتفق على الامة عليها انها من الملة واما معانيها فقيل قص الشارب واعفاء اللحية فمخالفة للاعاجم
فانهم كانوا يقصون لحاهم ويوفرون شواربهم او يوفرونهما معا وذلك عكس الجمال والنظافة واما السواك والمضمضة والاستنشاق فلتنظيف
الفم والانف من الطعام والقلح والوسخ واما قص الاظفار فللجمال والزينة فانها اذا طالت قبح منظرها واجتمع الوسخ فيها واما غسل
البراجم وهي العقد التي في ظهور الاصابع فانه يجتمع فيها الوسخ ويشين المنظر واما حلق العانة ونتف الابط فللتنظيف عما يجتمع من الوسخ
في الشعر واما الاستنجاء فللتنظيف وكذلك المحل عن الاذى واما الختان فلتنظيف الغلفة عما يجتمع فيها من البول واختلف العلماء في وجوبه
فذهب الشافعي الى ان الختان واجب لانه تكشف له العورة ولا يباح ذلك الا في الواجب وذهب غيره الى انه سنة وان اول من اختتن ابرهيم عليه السلام ولم يختتن احد قبله

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن ابرهيم بالقدوم يروى القدوم بالتخفيف والتشديد فمن خفف ذهب
الى انه اسم للآلة التي يقطع بها ومن شدده قال هو اسم موضع عن يحيى بن سعيد انه سمع سعيد بن المسيب يقول كان ابرهيم خليل الرحمن اول الناس
ضيف الضيف واول الناس قص شاربه واول الناس راى الشيب فقال يا رب ما هذا فقال الرب تبارك وتعالى وقار يا ابرهيم فقال رب زدني
وقارا اخرجه مالك في الموطا وقيل في الكلمات انها مناسك الحج وقيل ابتلاه الله تعالى بسبعة اشيا بالكوكب والقمر والشمس فاحسن النظر فيهن
وبالنار والهجرة وذبح ولده والختان فصبر عليها وقيل ان الله اختبر ابرهيم بكلمات اوحاها اليه وامره ان يعمل بهن فاتمهن اي اداهن
حق التادية وقام بموجبهن حق القيام وعمل بهن من غير تفريط وتوان ولم ينتقص منهن شيا واختلفوا هل كان هذا الابتلا بعد النبوة
لان المكلف لا يعلم الا من جهة الوحي وذلك بعد النبوة والصواب انه ان فسر الابتلا بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وانه
ان فسر بما وجب عليه من شرايع الدين كان ذلك بعد النبوة وقوله تعالى قال اني جاعلك للناس اماما اي يقتدى بك في الخير ياتمون بسنتك وهديك
والامام هو الذي يؤتم به قال ومن ذريتي اي قال ابرهيم واجعل من ذريتي اولادي ائمة يقتدى بهم قال لا ينال اي لا يصيب عهدي اي نبوتي وقيل
الامامة الظالمين يعني من ذريتك والمعنى لا ينال ما عهدت اليك من النبوة والامامة من كان ظالما من ذريتك وولدك قوله تعالى واذ جعلنا
البيت يعني البيت الحرام يعني الكعبة ويدخل فيه الحرم فانه تعالى وصفه بكونه امنا وهذه صفة جميع الحرم مثابة للناس اي مرجعا من ثاب
يثوب اذا رجع والمعنى يثوبون اليه من كل جانب يحجونه وامنا اي موضع ذا امن يامنون فيه من اذى المشركين فانهم كانوا لا يتعرضون لاهل مكة
ويقولون هم اهل الله وقال ابن عباس معاذا وملجا ق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات
والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيمة وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلي ولم يحل لي الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيمة لا يعضد شوكه
ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقينهم وبيوتهم فقال الا الاذخر معنى
الحرمة انه لا يحل لاحد ان ينصب القتال والحرب في الحرم وانما احل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقط ولا تحل لاحد بعده وقوله لا يعضد
شوكه اي لا يقطع شوك الحرم واراد به ما لا يوذي فاما الموذي منه كالعوسج فلا باس بقطعه قوله ولا ينفر صيده اي لا يتعرض له بالاصطياد
ولا بالهاج قوله ولا يلتقط لقطته الا من عرفها اي ينشدها والمنشد رافع الصوت بالمعرف واللقطة في جميع الارض لا تحل الا لمن
يعرفها حولا فان جا صاحبها اخذها والا انتفع بها الملتقط بشرط الضمان وحكم مكة في اللقطة ان يعرفها على الدوام بخلاف غيرها من
البلاد فانه يحدد بسنة قوله ولا يختلى خلاه الخلا مقصور الرطب من النبات الذي يرعى وقيل هو اليابس من الحشيش وخلاه
قطعه قوله لقينهم القين الحداد قوله تعالى واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى قيل الحرم كله مقام ابرهيم وقيل اراد بمقام ابرهيم جميع مشاهد
الحج مثل عرفة والمزدلفة والرمي وساير المشاهد والصحيح ان مقام ابرهيم هو الحجر الذي يصلي عنده الايمة وذلك الحجر هو الذي قام ابرهيم عليه
عند بنا البيت وقيل كان اثر اصابع رجلي ابرهيم عليه السلام فيه فاندرس بكثرة المسح بالايدي قيل انما امروا بالصلاة عنده ولم يومروا بالمسح
وتقبيله ق عن انس بن مالك قال قال عمر وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابرهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابرهيم
مصلى الحديث وكان بدو قصة المقام على ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال اول ما اتخذ النسا المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها
على سارة ثم جا بها ابرهيم وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس
بها ما فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقا فيه ما ثم قفى ابرهيم منطلقا فتبعته ام اسمعيل فقالت يا ابرهيم اين تذهب
وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شي فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا
ثم رجعت فانطلق ابرهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهولا الدعوات ورفع يديه فقال رب اني اسكنت
من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الما حتى اذا نفد ما في السقا عطشت
وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه
ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود
حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم

فذلك سعي الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث
فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الما فجعلت تحوضه قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسمعيل
لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الما لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ها هنا
بيت الله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه وعن شماله
فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم او اهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كدا فنزلوا في اسفل مكة فراوا طايرا عايفا
فقالوا ان هذا الطاير ليدور على ما لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ما فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالما فرجعوا فاخبروهم
فاقبلوا وام اسمعيل عند الما فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الما قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى
الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسمعيل وهي تحب الانس فنزلوا وارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها اهل ابيات منهم وشب الغلام
وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه امراة منهم وماتت ام اسمعيل فجا ابرهيم بعد ما تزوج اسمعيل
يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسال امراته عنه فقالت خرج يبتغي لنا وفي رواية ذهب يصيد لنا ثم سالها عن عيشهم وهيئتهم فقالت
نحن بشر نحن في ضيق وشدة وشكت اليه قال فاذا جا زوجك اقري عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جا اسمعيل كانه انس
شيا فقال هل جاكم من احد قالت نعم جانا شيخ كذا وكذا فسالنا عنك فاخبرته فسالني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة قال فهل
اوصاك بشي قالت نعم امرني ان اقرا عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك ابي وقد امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج
منهم اخرى فلبث عنهم ابرهيم ما شا الله ان يلبث ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل على امراته فسالها عنه فقالت خرج يبتغي لنا
قال كيف انتم وسالها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل فقال ما طعامكم قالت اللحم
قال فما شرابكم قالت الما قال اللهم بارك لهم في اللحم والما قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو
كان لهم حب دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو عليهما احد بغير مكة الا لم يوافقاه وفي رواية فقال اين اسمعيل فقالت امراته ذهب يصيد
فقالت امراته الا تنزل فتطعم وتشرب قال وما طعامكم وما شرابكم قالت طعامنا اللحم وشرابنا الما قال اللهم بارك لهم في طعامهم
وشرابهم قال فقال ابو القاسم بركة دعوة ابرهيم قال فاذا جا زوجك فاقري عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه فلما جا اسمعيل
قال هل اتاكم من احد قالت نعم شيخ حسن الهيئة واثنت عليه فسالني عنك فاخبرته فسالني كيف عيشنا فاخبرته انا بخير قال فاوصاك
بشي قالت نعم هو يقرا عليك السلام ويامرك ان تثبت عتبة بابك قال ذاك ابي وانت العتبة امرني ان امسكك ثم لبث عنهم ما شا
الله ثم جا بعد ذلك واسمعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما راه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد
ثم قال يا اسمعيل ان الله امرني بامر قال فاصنع ما امرك ربك قال وتعينني قال واعينك قال فان الله امرني ان ابني بيتا ها هنا واشار
الى اكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل ياتي بالحجارة وابرهيم يبني حتى اذا ارتفع البنا
جا ابرهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت
السميع العليم قال فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وفي رواية
حتى اذا ارتفع البنا وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يبني واسمعيل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا انك انت
السميع العليم وقيل ان امراة اسمعيل قالت لابرهيم انزل اغسل راسك فلم ينزل فجاته بالمقام فوضعته عن شقه
الايمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق راسه الايسر فبقي اثر قدميه عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا ان طمس نورهما لاضا ما بين
المشرق والمغرب اخرجه الترمذي وقال هذا يروى عن ابن عمر موقوفا واختلفوا في قوله مصلى فمن فسر المقام بمشاهد
الحج ومشاعره قال مصلى مدعى من الصلاة التي هي الدعا ومن فسر المقام بالحجر قال معناه واتخذوا من مقام ابرهيم قبلة

امروا بالصلاة عنده وهذا القول هو الصحيح لان لفظ الصلاة اذا اطلق لا يعقل منه الا الصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود
ولان مصلى الرجل هو الموضع الذي يصلي فيه وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل اي امرناهما والزمناهما واوجبنا عليهما قيل انما سمي
لان ابرهيم كان يدعو الله ان يرزقه ولدا ويقول في دعائه اسمع يا ايل وايل بلسان السريانية هو الله فلما رزق الولد سماه به ان طهرا
بيتي يعني الكعبة اضافه اليه تشريفا وتفضيلا وتخصيصا اي ابنياه على الطهارة والتوحيد وقيل طهراه من سائر الاقذار
والانجاس وقيل طهراه من الشرك والاوثان وقول الزور للطائفين يعني الدائرين حوله والعاكفين يعني المقيمين المجاورين
والركع السجود جمع راكع وساجد وهم المصلون وقيل الطائفين الغرباء الواردين الى مكة والعاكفين يعني اهل مكة
المقيمين بها قيل ان الطواف للغرباء افضل والصلاة لاهل مكة افضل قوله تعالى واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا
اي مكة وقيل الحرم بلدا امنا اي ذا امن يامن فيه اهله وانما دعا ابرهيم لهم بالامن لانه بلد ليس فيه زرع ولا ثمر فاذا لم
يكن امنا لم يجلب اليه شيء من النواحي فيتعذر المقام به فاجاب الله تعالى دعا ابرهيم وجعله بلدا امنا فما قصده
جبار الا قصمه الله تعالى كما فعل باصحاب الفيل وغيرهم من الجبابرة فان قلت قد غزا مكة الحجاج واخرب الكعبة قلت
لم يكن قصده بذلك مكة ولا اهلها ولا اخراب الكعبة وانما كان قصده خلع ابن الزبير من الخلافة ولم يتمكن من ذلك الا بذلك
فلما حصل قصده اعاد بناء الكعبة فبناها وشيدها وعظم حرمتها واحسن الى اهلها واختلفوا هل كانت مكة
محرمة قبل دعوة ابرهيم عليه السلام او حرمت بدعوته على قولين احدهما انها كانت محرمة قبل دعوته بدليل قوله
صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وقول ابرهيم عليه السلام اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع
عند بيتك المحرم فهذا يقتضي ان مكة كانت محرمة قبل دعوة ابرهيم القول الثاني انها حرمت بدعوة ابرهيم بدليل قوله صلى الله
عليه وسلم ان ابرهيم حرم مكة واني حرمت المدينة وهذا يقتضي ان مكة كانت قبل دعوة ابرهيم حلالا كغيرها من البلاد
وانما حرمت بدعوة ابرهيم ووجه الجمع بين القولين وهو الصواب ان الله تعالى حرم مكة يوم خلقها كما اخبر النبي صلى
الله عليه وسلم في قوله ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولكن لم يظهر ذلك التحريم على لسان احد من انبيائه ورسله
وانما كان تعالى يمنعها ممن ارادها بسوء ويدفع عنها وعن اهلها الافات والعقوبات فلم يزل ذلك امرها حتى بواها الله تعالى
ابرهيم عليه السلام واسكن بها اهله فحينئذ سال ابرهيم ربه عز وجل ان يظهر تحريم مكة لعباده على لسانه فاجاب الله دعوته
والزم عباده بتحريم مكة فصارت مكة حراما بدعوة ابرهيم وفرض على الخلق تحريمها والامتناع من استحلالها واستحلال
صيدها وشجرها فهذا وجه الجمع بين القولين وهو الصواب والله اعلم وارزق اهله من الثمرات انما سال ابرهيم ذلك
لان مكة لم يكن بها زرع ولا ثمر فاستجاب الله تعالى له وجعل مكة حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء من امن منهم بالله واليوم الاخر يعني ارزق
المؤمنين من اهله خاصة وسبب هذا التخصيص ان ابرهيم عليه السلام لما سال ربه عز وجل ان يجعل النبوة والامامة في ذريته
فاجابه الله بقوله لا ينال عهدي الظالمين فصار ذلك تاديبا له في المسالة فلا جرم خص هنا بدعائه المؤمنين دون الكافرين
ثم اعلمه ان الرزق في الدنيا يستوي فيه المؤمن والكافر بقوله ومن كفر فامتعه قليلا اي سارزق الكافر ايضا
قليلا اي في الدنيا الى منتهى اجله وذلك قليل لانه ينقطع ثم اضطره الى عذاب النار اي الجئه وادفعه
الى عذاب النار والمضطر هو الذي لا يملك لنفسه الامتناع مما اضطر اليه وبئس المصير اي وبئس المال الذي يصير
اليه الكافر وهو العذاب قوله عز وجل واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت وكانت قصة بناء البيت على ما ذكره العلماء
واصحاب السير ان الله خلق موضع البيت قبل ان يخلق الارض بالفي عام فكانت زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض
من تحتها فلما اهبط الله ادم عليه السلام الى الارض استوحش فشكا الى الله تعالى فانزل الله تعالى البيت المعمور وهو من ياقوتة من يواقيت
الجنة له بابان من زمرد اخضر باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع البيت وقال يا ادم اني اهبطت لك بيتا تطوف به كما

يطاف

يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما يصلى عند عرشي وانزل عليه الحجر الاسود وكان ابيض فاسود من لمس الحيض في الجاهلية فتوجه ادم من الهند
ماشيا الى مكة وارسل اليه ملكا يدله على البيت فحج ادم البيت واقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا بر حجك يا ادم لقد حججنا
هذا البيت قبلك بالفي عام قال ابن عباس حج ادم اربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ايام الطوفان فرفعه
الله الى السماء الرابعة وهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه وبعث الله جبريل حتى خبا الحجر الاسود في
جبل ابي قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمن ابرهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى امر ابرهيم بعدما ولد له اسمعيل
واسحق ببناء بيت يذكر فيه ويعبد فسال الله ان يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهي ريح خجوج لها
راسان تشبه الحية والخجوج من الرياح هي الشديدة السريعة الهبوب وقيل هي الملتوية فهبت وامر ابرهيم حيث تستقر
السكينة فتبعها ابرهيم حتى اتت موضع البيت فتطوقت عليه كتطوق الحجفة وقال ابن عباس بعث الله تعالى سحابة على قدر الكعبة فجعلت
تسير وابرهيم يمشي في ظلها الى ان وقفت على موضع البيت ونودي منها يا ابرهيم ابن على قدر ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل ان الريح
كنست لهما حول الكعبة حتى ظهر له اساس البيت الاول فذلك قوله تعالى واذ بوانا لابرهيم مكان البيت فبنى ابرهيم واسمعيل
البيت فكان ابرهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجر فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد جمع قاعدة وهي اساس البيت وقيل
جدر من البيت قال ابن عباس بنى ابرهيم البيت من خمسة اجبل من طور سينا وطور زيتا ولبنان جبل بالشام والجودي
جبل بالجزيرة وبنى قواعده من حرا جبل بمكة فلما انتهى ابرهيم الى موضع الحجر الاسود قال لاسمعيل ائتني بحجر حسن يكون للناس
علما فاتاه بحجر فقال ائتني باحسن منه فمضى اسمعيل ليطلب حجرا احسن منه فصاح ابو قبيس يا ابرهيم ان لك عندي وديعة فخذها
فقذف بالحجر الاسود فاخذه ابرهيم فوضعه مكانه وقيل ان الله تعالى امد ابرهيم واسمعيل بسبعة املاك يعينونهما على بناء البيت
فلما فرغا من بنائه قالا ربنا تقبل منا وفي الاية اضمار تقديره ويقولان ربنا تقبل منا اي ما عملنا لك وتقبل طاعتنا اياك وعبادتنا
لك انك انت السميع اي لدعائنا العليم اي بنياتنا قوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك يعني موحدين مخلصين خاضعين
لك فان قلت الاسلام اما ان يكون المراد منه الدين والاعتقاد او الاستسلام والانقياد وقد كانا كذلك حالة هذا الدعا فما
فائدة هذا الطلب قلت فيه وجهان احدهما ان الاسلام عرض قايم بالقلب وقد لا يبقى فقوله واجعلنا مسلمين لك يعني في
المستقبل وذلك لا ينافي حصوله في الحال الوجه الثاني يحتمل ان يكون المراد منه طلب الزيادة في الايمان فكانا طلبا زيادة
اليقين والتصديق وذلك لا ينافي حصوله في الحال ومن ذريتنا اي ومن اولادنا امة اي جماعة مسلمة اي خاضعة
منقادة لك وانما ادخل من التي هي للتبعيض لان الله تعالى اعلمهما بقوله لا ينال عهدي الظالمين ان في ذريتهما الظالم
فلهذا احض بعض الذرية بالدعاء فان قلت لم خص ذريتهما بالدعاء قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة قال الله تعالى
قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبياء اذا صلحوا اصلح بهم غيرهم الا ترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا
على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله وابعث
فيهم رسولا منهم وارنا اي علمنا وبصرنا مناسكنا اي شرائع ديننا واعلام حجنا وقيل مناسكنا يعني مذابحنا
والنسك الذبح وقيل متعبداتنا واصل النسك العبادة والناسك العابد فاجاب الله دعاهما وبعث جبريل
فاراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال عرفت يا ابرهيم قال نعم فسمي ذلك الوقت عرفة والموضع عرفات وتب علينا
اي تجاوز عنا انك انت التواب اي المتجاوز عن عباده الرحيم بهم واحتج بقوله وتب علينا من جوز الذنوب على الانبياء
ووجه الجواب التوبة لا تطلب الا بعد تقدم الذنب فلولا تقدم الذنب لم يكن لطلب التوبة وجه واجيب عنه بان العبد وان اجتهد
في طاعة ربه عز وجل فانه لا ينفك عن التقصير في بعض الاوقات اما على سبيل السهو او ترك الاولى او الافضل فكان هذا
الدعا لاجل ذلك وقيل يحتمل ان الله تعالى لما اعلم ابرهيم ان في ذريته من هو ظالم فلا جرم سال لهم التوبة لا ولكن الظلم
والعفو تب على الظلمة من اولادنا حتى يرجعوا الى طاعتك فيكون ظاهر الكلام الدعا لانفسهما والمراد به ذريتهما وقيل يحتمل

انما لم ترفع قواعد البيت وكان ذلك المكان احرى الاماكن بالاجابة فدعوا الله بذلك الدعا ليجعلا ذلك سنة وليقتدى من بعدهما
بهما في ذلك الدعا لان ذلك المكان هو موضع التنصل من الذنوب وسوال التوبة والعفو من الله تعالى قوله عز وجل ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم يعني وابعث في الامة المسلمة او الذرية وهم العرب من ولد اسمعيل بن ابرهيم عليهما السلام وقوله رسولا منهم يعني ليدعوهم
الى الاسلام ويكمل الدين والشرع واذا كان الرسول منهم يعرفون نسبه ومولده ومنشاه كان اقرب لقبول قوله ويكون هو اشفق عليهم من غيره
واجمع المفسرون على ان المراد بقوله رسولا منهم محمدا صلى الله عليه وسلم لان ابرهيم عليه السلام انما دعا للذرية وهو بمكة ولم يبعث من ذريته بمكة غير محمد
صلى الله عليه وسلم فدل على ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم وروى البغوي باسناده عن عرباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اني عند الله مكتوب خاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وساخبركم باول امري انا دعوة ابرهيم وبشارة عيسى ورويا امي
التي رات حين وضعتني وقد خرج لها نور ساطع اضاءت لها منه قصور الشام قوله لمنجدل في طينته معناه انه مطروح على الارض
صورة من طين لم تجر فيه الروح واراد بدعوة ابرهيم قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاستجاب الله دعا ابرهيم وبعث محمدا
صلى الله عليه وسلم في اخر الزمان وانقذهم به من الكفر والظلم واراد ببشارة عيسى عليه السلام قوله في سورة الصف ومبشرا
برسول ياتي من بعدي اسمه احمد يتلو عليهم ايتك يعني ما توحي اليه وهو القرآن الذي انزل على محمد صلى الله عليه وسلم
لان الذي كان يتلو عليهم هو القرآن فوجب حمله عليه ويعلمهم الكتاب يعني معاني الكتاب وحقايقه لان المقصود الاعظم
تعليم ما في القرآن من دلايل التوحيد والنبوة والاحكام الشرعية فلما ذكر الله تعالى اولا امر التلاوة وهي حفظ القرآن ودراسته ليبقى
مصونا عن التحريف والتبديل ذكر بعده تعليم حقايقه واسراره والحكمة اي ويعلمهم الحكمة وهي الاصابة في القول والعمل ولا يسمى الرجل
حكيما الا اذا اجتمع فيه الامران وقيل الحكمة هي التي ترد عن الجهل والخطا وذلك انما يكون بما ذكرناه من الاصابة في القول والعمل
ووضع كل شي موضعه وقيل الحكمة معرفة الاشيا بحقايقها واختلف المفسرون في المراد بالحكمة ههنا فروى ابن وهب قال قلت
لمالك ما الحكمة قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له وقال قتادة الحكمة هي السنة وذلك ان الله تعالى ذكر تلاوة الكتاب
وتعليمه ثم عطف عليه الحكمة فوجب ان يكون المراد بها شيا اخر وليس ذلك الا السنة وقيل الحكمة هي العلم باحكام الله التي لا يدرك
علمها الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم والمعرفة بها منه وقيل الحكمة هي الفصل بين الحق والباطل وقيل هي معرفة الاحكام
والقضا وقيل هي فهم القرآن والفقه ويعلمهم ما في القرآن من الاحكام والحكمة وهي ما فيه من المصالح الدينية والاحكام الشرعية وقيل كل
كلمة وعظتك فهي حكمة ويزكيهم اي يطهرهم من الشرك وعبادة الاوثان وساير الارجاس والرذايل والنقايص وقيل — او دعتك الى مكرمة او نهتك عن قبيح
يزكيهم من التزكية اي يشهد لهم يوم القيمة بالعدالة اذا شهدوا للانبيا بالبلاغ ثم ختم ابرهيم الدعا بالثنا على الله تعالى
فقال انك انت العزيز قال ابن عباس الذي لا يوجد مثله وقيل هو الذي يقهر ولا يقهر وقيل هو المنيع الذي لا تناله الايدي
وقيل العزيز القوي والعزة القوة من قولهم ارض عزاز اي صلبة قوية الحكيم اي الذي لا يخلق ما فيه قوله تعالى ومن يرغب عن ملة — العلم
ابرهيم الا من سفه نفسه سبب نزول هذه الاية ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه الى الاسلام مهاجرا وسلمة فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى
قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر
ان يسلم فانزل الله ومن يرغب عن ملة ابرهيم اي يترك دينه وشريعته وفيه توبيخ لليهود والنصارى ومشركي العرب لان اليهود والنصارى يفتخرون
بالانتساب الى ابرهيم والوصلة اليه لانهم من بني اسرايل وهو يعقوب بن اسحق بن ابرهيم والعرب يفتخرون به لانهم من ولد اسمعيل بن ابرهيم واذا
كان كذلك فان ابرهيم هو الذي طلب بعثة هذا الرسول في اخر الزمان فمن رغب عن الايمان بهذا الرسول فقد رغب عن ملة ابرهيم ومعنى رغب
عن ملة ابرهيم اي ترك دينه وشريعته يقال رغب في الشي اذا اراده ورغب عنه اذا تركه الا من سفه نفسه قال ابن عباس
خسر نفسه وقيل اهلك نفسه وقيل امتهنها واصل السفه الخفة وقيل الجهل وضعف الراي فكل سفيه جاهل لان من عبد غير الله — اثم
فقد جهل نفسه لانه لم يعرف ان الله خالقها وقد جا من عرف نفسه فقد عرف ربه ومعناه ان يعرف نفسه بالذل والضعف والعجز
والفنا ثم يعرف ربه بالعز والقدرة والبقا ويدل على هذا ان الله تعالى اوحى الى داود اعرف نفسك واعرفني قال يا رب كيف اعرف نفسي

والمولاه ٢

اي اخترناه

وكيف اعرفك قال اعرف نفسك بالضعف والعجز والفنا واعرفني بالقوة والقدرة والبقا ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين
يعني الفايزين وقيل مع الانبيا في الجنة اذ قال له ربه اسلم اي استقم على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلما لان الانبيا انما نشاوا على الاسلام
والتوحيد قال ابن عباس قال له ذلك حين خرج من السرب وذلك عند استدلاله بالكوكب والقمر والشمس واطلاعه على امارات الحدوث فيها
وافتقارها الى محدث مدبر فلما عرف ذلك قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين اي قال ابرهيم خضعت بالطاعة واخلصت
العبادة لمالك الخلايق ومدبرها ومحدثها وقيل معنى اسلم اخلص دينك وعبادتك لله واجعلها سليمة وقيل الايمان من
صفات القلب والاسلام من صفة الجوارح وان ابرهيم كان مومنا بقلبه عارفا بالله فامره الله ان يعمل بجوارحه وقيل معناه
اسلم نفسك الى الله تعالى وفوض امرك اليه قال اسلمت اي فوضت امري لرب العالمين قال ابن عباس وقد حقق ذلك حيث لم يستعن
باحد من الملايكة حين القي في النار قوله عز وجل ووصى بها ابرهيم بنيه يعني بكلمة الاخلاص وهي لا اله الا الله وقيل بالسنة الحنيفية
وكان لابرهيم ثمانية اولاد اسمعيل وامه هاجر القبطية واسحق وامه سارة ومدن ومداين ويقشان وزمران ويشبق وشوح وامهم
قطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابرهيم بعد وفاة سارة فان قلت لم قال ووصى بها ابرهيم بنيه ولم يقل امرهم قلت لان لفظ الوصية
اوكد من لفظ الامر لان الوصية انما تكون عند الخوف من الموت وفي ذلك الوقت يكون احتياط الانسان لولده اشد واعظم وكانوا الى القبول وصية
اقرب وانما خص بنيه بهذه الوصية لان شفقة الرجل على بنيه اكثر من شفقته على غيرهم وقيل لانهم كانوا ايمة يقتدى بهم وكان صلاحهم صلاحا
لغيرهم ويعقوب اي ووصى يعقوب بمثل ما وصى به ابرهيم وسمي يعقوب لانه والعيص كانا توامين في بطن واحد فتقدم العيص وقت الولادة في الخروج
من بطن امه وخرج يعقوب على اثره اخذا بعقبه قاله ابن عباس وقيل سمي يعقوب لكثرة عقبه وكان له من الولد اثنا عشر وهم روبيل وشمعون
ولاوي ويهودا ويشجر وزبالون ودان ونفتالي وجاد واشر ويوسف وبنيامين ثم خاطب يعقوب بنيه فقال يا بني ان الله اصطفى لكم الدين
اي اختار لكم دين الاسلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون اي مومنون مخلصون والمعنى دوموا على الاسلام حتى ياتيكم الموت وانتم مسلمون
اي مخلصون لانه لا يعلم في اي وقت ياتي الموت على الانسان وقيل في معنى وانتم مسلمون اي محسنون الظن بالله عز وجل يدل عليه ما
روي عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة ايام يقول لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه اخرجاه في الصحيح قوله تعالى
ام كنتم شهدا جمع شاهد وهو بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت اي حين حضره قرب من الموت نزلت في اليهود وذلك — علم
انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية فانزل الله هذه الاية تكذيبا لهم والمعنى ان كنتم يا معشر اليهود شهودا
يعقوب اذ حضره الموت اي انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على انبيايي ورسلي الاباطيل وتنسبوهم الى اليهودية فاني ما بعثت خليلي ابرهيم — نعي يعقوب
وولده واولادهم الا بدين الاسلام وبذلك وصوا اولادهم وبه عهدوا اليهم ثم بين ما قال يعقوب لبنيه فقال تعالى اذ قال لبنيه يعني
لاولاده الاثني عشر ما تعبدون من بعدي اي اي شي تعبدون من بعد موتي قيل ان الله تعالى لم يقبض نبيا الا خيره بين الموت والحياة
فلما خير يعقوب وكان قد راى اهل مصر يعبدون الاوثان والنيران فقال انظروني حتى اسال ولدي واوصيهم فامهل فجمع ولده
وولد ولده وقال لهم قد حضر اجلي ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابايك ابرهيم واسمعيل واسحق انما قدم اسمعيل
لانه كان اكبر من اسحق وادخله في جملة الابا وان كان عما لان العرب تسمي العم ابا والخالة اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عم الرجل صنو ابيه وقال في عمه العباس ردوا علي ابي الها واحدا ونحن له مسلمون اي مخلصون العبودية
تلك امة قد خلت اشارة الى الامة المذكورة يعني ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب واولادهم قد خلت اي مضت لسبيلها
والمعنى يا معشر اليهود والنصارى لا تدعوا ذكر ابرهيم واسمعيل واسحق والمسلمين من اولادهم ولا تنقلوا عليهم ما ليس فيهم
لها ما كسبت يعني من العمل ولكم يعني يا معشر اليهود والنصارى ما كسبتم اي من العمل ولا تسالون عما كانوا يعملون يعني
كل فريق يسال عن عمله لا عن عمل غيره قوله عز وجل وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قال ابن عباس نزلت في روسا اليهود
كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وابي ياسر بن اخطب وفي نصارى نجران السيد والعاقب واصحابهما وذلك
انهم خاصموا المومنين في الدين فكل فريق منهم يزعم انه احق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى افضل الانبيا وكتابنا التورية افضل

الكتب ودينا افضل الاديان وكونوا بعيسى والانجيل ومحمد والقرآن وقالت النصارى كذلك فقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين
كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك فانزل الله عز وجل قل يعني يا محمد بل ملة ابرهيم يعني اذا كان لا بد من الاتباع فنتبع ملة ابرهيم لانه مجمع على فضله
حنيفا اصله من الحنف وهو ميل واعوجاج يكون في القدم قال ابن عباس الحنيف هو المائل عن الاديان كلها الى دين الاسلام قال الشاعر
ولكنا خلقنا اذ خلقنا حنيفا ديننا عن كل دين والعرب تسمي كل من حج او اختتن حنيفا تنبيها على انه على دين ابرهيم وقيل الحنيفية
الختان واقامة المناسك ❊ مسلما يعني ان الحنيفية هي دين الاسلام وهو دين ابرهيم عليه السلام ❊ وما كان من المشركين يعني ابرهيم وفيه
تعريض باليهود والنصارى وغيرهم ممن يدعي اتباع ملة ابرهيم وهو على الشرك ثم علم المؤمنين طريق الايمان فقال تعالى قولوا امنا بالله
يعني قولوا ايها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم كونوا هودا او نصارى تهتدوا امنا بالله اي صدقنا بالله
وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم اي وامنا بما انزل الى ابرهيم وهي عشر صحائف ❊ واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهم
اولاد يعقوب الاثنا عشر واحدهم سبط وكانوا انبياء وقيل السبط هو ولد الولد وهو ابن البنت ومنه قيل للحسن والحسين سبطا
رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط في بني اسرائيل كالقبائل في العرب من بني اسمعيل وكان في الاسباط انبياء ❊ وما اوتي موسى يعني
التوراة ❊ وما اوتي عيسى يعني الانجيل ❊ وما اوتي النبيون من ربهم والمعنى امنا بالتوراة والانجيل والكتب التي اوتي جميع
النبيين وصدقنا ان ذلك كله حق وهدى ونور وان الجميع من عند الله وان جميع من ذكر الله من انبيائه كانوا على هدى وحق ❊
لا نفرق بين احد منهم اي لا نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعض كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم واقرت ببعض الانبياء
وكما تبرأت النصارى من محمد صلى الله عليه وسلم واقرت ببعض الانبياء بل نؤمن بكل الانبياء وان جميعهم كانوا على حق وهدى ❊
ونحن له مسلمون اي ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة مذعنون له بالعبودية خ عن ابي هريرة قال كان اهل الكتاب يقرؤن
التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا
امنا بالله وما انزل الينا الآية قوله تعالى فان امنوا يعني اليهود والنصارى بمثل ما امنتم به اي بما امنتم به ومثل صلة
كقوله ليس كمثله شيء اي ليس مثله شيء وقيل فان اتوا بايمان كايمانكم وتوحيد كتوحيدكم فقد اهتدوا والمعنى ان حصلوا دينا
آخر يساوي هذا الدين في الصحة والسداد فقد اهتدوا واستحالة الاهتداء بغيره لان هذا الدين مبناه على التوحيد والاقرار بكل
الانبياء وما انزل اليهم وقيل معناه فان امنوا بكل كما امنتم بكلها ❊ فقد اهتدوا وان تولوا اي عرضوا ❊ فانما هم في شقاق
اي خلاف ومنازعة وقيل في عداوة ومحاربة وقيل في ضلال واصله من الشق كانه صار في شق غير شق صاحبه بسبب عداوته وقيل
هو من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه ❊ فسيكفيكهم الله اي يكفيك الله يا محمد شر اليهود والنصارى
وهو ضمان من الله تعالى لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اذا تكفل بشيء انجزه وهو اخبار بغيب ففيه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم
وقد انجز الله ما وعده بقتل بني قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى ❊ وهو السميع
لاقوالهم العليم باحوالهم فيسمع جميع ما ينطقون به ويعلم جميع ما يضمرون من الحسد والغل وهو مجازيهم ومعاقبهم عليه قوله تعالى
صبغة الله قال ابن عباس دين الله وانما سماه صبغة لان اثر الدين يظهر على المتدين كما يظهر اثر الصبغ على الثوب وقيل
فطرة الله وقيل سنة الله وقيل اراد به الختان لانه يصبغ المختتن بالدم قال ابن عباس ان النصارى اذا ولد لاحدهم
مولود واتى عليه سبعة ايام غمسوه في ماء لهم اصفر يسمونه ماء المعمودية وصبغوه به ليطهروه به مكان الختان فاذا فعلوا ذلك
به قالوا الآن صار نصرانيا حقا فاخبر الله ان دينه الاسلام لا ما تفعله النصارى ❊ ومن احسن من الله صبغة اي دينا وقيل
تطهيرا لانه يطهر من اوساخ الكفر ❊ ونحن له عابدون اي مطيعون ❊ قل يعني يا محمد لليهود والنصارى الذين قالوا ان دينهم خير
من دينكم وامروكم باتباعهم ❊ اتحاجوننا في الله اي اتخاصموننا وتجادلوننا في دين الله الذي امرنا ان نتدين به والمحاجة والمجادلة
لاظهار الحجة وذلك انهم قالوا ان ديننا اقدم من دينكم وان الانبياء منا وعلى ديننا فنحن اولى بالله منكم فامر الله المؤمنين ان يقولوا
لهم اتحاجوننا في الله ❊ وهو ربنا وربكم اي نحن وانتم في الله سواء فانه ربنا وربكم ❊ ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان لكل واحد

جزاء عمله ❊ ونحن له مخلصون اي مخلصوا الطاعة والعبادة لله وفيه توبيخ لليهود والنصارى والمعنى وانتم به مشركون والاخلاص
ان يعاقبنا الله عليها وهذه الآية منسوخة بآية السيف قوله عز وجل ام تقولون يعني اليهود والنصارى وهو استفهام ومعناه
التوبيخ ❊ ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى يعني انكم تدعون ان ابرهيم وبنيه كانوا على دينكم
وملتكم وانما حدثت اليهودية والنصرانية بعدهم فثبت كذبكم يا معشر اليهود والنصارى على ابرهيم وبنيه ❊ قل يا محمد ءانتم اعلم
يعني بدينهم ❊ ام الله اي الله اعلم بذلك وقد اخبر ان ابرهيم وبنيه لم يكونوا على اليهودية والنصرانية ولكن كانوا حنفاء مسلمين ❊
ومن اظلم ممن كتم يعني اخفى شهادة ❊ عنده من الله وهي علمهم بان ابرهيم وبنيه كانوا مسلمين وان محمدا حق بنعته وصفته يجدونه
ذلك في كتبهم فكتموه وجحدوه والمعنى من اظلم ممن كتم شهادة جاءته من عند الله فكتمها واخفاها ❊ وما الله بغافل عما تعملون يعني
من كتمانكم الحق فيما الزمكم في كتابه من ان ابرهيم وبنيه كانوا مسلمين حنفاء وان الدين هو الاسلام لا اليهودية والنصرانية والمعنى
وما الله بغافل عما تعملون بل هو محصيه عليكم ثم يجازيكم عليه في الآخرة ❊ تلك امة قد خلت يعني ابرهيم وبنيه
لها ما كسبت اي جزاء ما كسبت ❊ ولكم ما كسبتم اي جزاء ما كسبتم ❊ ولا تسألون عما كانوا يعملون يعني ان كل انسان انما يسأل
يوم القيامة عن كسبه وعمله لا عن كسب غيره وعمله وفيه وعظ وزجر لليهود ولمن يتكل على فضل الآباء وشرفهم اي لا تتكلوا على فضل
الآباء فكل يؤخذ بعمله وانما كررت هذه الآية لانها اذا اختلفت مواطن الحجاج والمجادلة حسن تكريرها للتذكير به وتاكيده وقيل
انما كررت تنبيها لليهود لئلا يغتروا بشرف آبائهم قوله تعالى سيقول السفهاء من الناس اي الجهال من الناس والسفه خفة
في النفس لنقصان العقل في الامور الدينية والدنيوية ولا يشكل ان ذلك في باب الدين اعظم لان العائد عن الامر الواضح
في امر دنيا معه سفيها فمن كان كذلك في امر دينه كان اولى بهذا الاسم فلا كافر الا وهو سفيه ولهذا امكن حمل هذا اللفظ
على اليهود والمشركين والمنافقين فقيل نزلت هذه الآية في اليهود وذلك انهم طعنوا في تحويل القبلة عن بيت المقدس الى
الكعبة لانهم لا يرون النسخ وقيل نزلت في مشركي مكة وذلك انهم قالوا قد تردد على محمد امره واشتاق مولده وقد توجه الى نحو
بلدكم فلعله يرجع الى دينكم وقيل نزلت في المنافقين وانما قالوا ذلك استهزاء بالاسلام وقيل يحتمل ان لفظ السفهاء للعموم
فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود ويحتمل وقوع هذا الكلام من كلهم اذ لا فائدة في التخصيص ولا اعتبار بالغير في الطعن
والقدح فاذا وجدوا مقالا قالوا ❊ ما ولاهم يعني اي شيء صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة هي الجهة التي
يستقبلها الانسان وانما سميت قبلة لان المصلي يقابلها وتقابله ولما قال السفهاء ذلك رد الله تعالى عليهم بقوله قل يا محمد ❊
لله المشرق والمغرب يعني له قطرا المشرق والمغرب وما بينهما ملكا فلا يستحق شيء ان يكون لذاته قبلة لان الجهات كلها شيء واحد وانما تصير
قبلة لان الله هو الذي جعلها قبلة فلا اعتراض عليه ❊ يهدي من يشاء يعني من عباده ❊ الى صراط مستقيم يعني الى جهة الكعبة وهي
قبلة ابرهيم عليه السلام قوله عز وجل وكذلك جعلناكم امة وسطا الكاف في قوله وكذلك كاف التشبيه جاء لمشبه به وفيه وجوه احدها
انه معطوف على ما تقدم من قوله في حق ابرهيم ولقد اصطفيناه في الدنيا فكذلك جعلناكم امة وسطا الثاني انه معطوف على
قوله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم فكذلك هديناكم وجعلناكم امة وسطا الثالث قيل معناه كما جعلنا قبلتكم وسطا
بين المشرق والمغرب كذلك جعلناكم امة وسطا يعني عدولا خيارا وخير الامور اوساطها قال زهير هم وسط يرضى الانام بحكمهم اذا نزلت
احدى الليالي بمعظم وقيل متوسطة والمعنى اهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان في امر الدين لا كغلو النصارى في عيسى
ولا كتقصير اليهود في الدين وتحريفهم وتبديلهم وسبب نزول هذه الآية ان رؤساء اليهود قالوا لمعاذ بن جبل ما ترك محمد قبلتنا
الا حسدا وان قبلتنا قبلة الانبياء ولقد علم محمد انا اعدل الناس فقال معاذ انا على حق وعدل فانزل الله هذه الآية ❊ خ عن
ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا وان هذه الامة توفي سبعين امة هي آخرها واكرمها على الله عز وجل ❊ قوله تعالى لتكونوا شهداء
على الناس يعني يوم القيامة ان الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم وقيل ان امة محمد صلى الله عليه وسلم شهدوا على من ترك الحق من الناس اجمعين ويكون الرسول يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم عليكم شهيدا يعني عدلا مزكيا لكم وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والآخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم الم ياتكم نذير فينكرون

ويقولون ما جاءنا من نذير فيسأل الله الأنبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو أعلم بهم إقامة للحجة فيقولون أمة محمد تشهد لنا فيؤتى بأمة
محمد عليه السلام فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا فتقول الأمم الماضية من أين علموا وإنما أتوا بعدنا فيسأل هذه الأمة فيقولون أرسلت إلينا رسولا وأنزلت عليه كتابا أخبرتنا
فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأله عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم (خ) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجاء بنوح وأمته يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم أي رب فيسأل أمته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير فيقال لنوح من يشهد لك
فيقول محمد وأمته فيجاء بكم فتشهدون ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
زاد الترمذي وسطا قال عدلا قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها أي وما جعلنا صرف القبلة التي كنت عليها وهي بيت المقدس وإنما حذف
ذكر الصرف وجعل القبلة التي كنت عليها اكتفاء بدلالة اللفظ عليه وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة وقيل معناه وما
جعلنا القبلة التي كنت عليها وهي الكعبة إلا لنعلم من يتبع الرسول فإن قلت ما معنى قوله إلا لنعلم وهو عالم بالأشياء كلها قبل كونها قلت
أراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب فإنه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب إنما يتعلق بما يوجد والمعنى لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه
الثواب والعقاب وقيل العلم هنا بمعنى الرؤية أي لنرى ونميز من يتبع الرسول في القبلة ممن ينقلب على عقبيه وقيل معناه إلا لنعلم رسلي
وحزبي وأوليائي من المؤمنين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكان من شأن العرب إضافة ما فعله الأتباع إلى الأكابر كقولهم
فتح عمر العراق وجبى خراجها وإنما فعل ذلك أتباعه عن أمره وقيل إنما قال إلا لنعلم وهو بذلك عالم قبل كونه على وجه الرفق بعباده والمعنى
إلا لتعلموا أنتم إذ كنتم جهالا به قبل كونه فأضاف العلم إلى نفسه رفقا بعباده المخاطبين وقيل معناه لنعلمنا كأنه تعالى سبق في علمه أن تحويل
القبلة سبب لهداية قوم وضلالة آخرين ومعنى من يتبع الرسول أي يطيعه في أمر القبلة وتحويلها ممن ينقلب على عقبيه أي يرجع إلى ما كان
عليه من الكفر فيرتد وفي الحديث إنه لما حولت القبلة إلى الكعبة ارتد قوم إلى اليهودية وقالوا رجع محمد إلى دين آبائه وإن كانت أي وقد
كانت لكبيرة يعني تولية القبلة ثقيلة شاقة وقيل هي التولية من بيت المقدس إلى الكعبة وقيل الكبيرة هي القبلة التي وجه النبي
قبل التحويل وهي بيت المقدس وأنث الكبيرة لتأنيث القبلة وقيل لتأنيث التولية إلا على الذين هدى الله يعني هداهم وثبتهم في اتباع
الرسول وما كان الله ليضيع إيمانكم يعني صلاتكم إلى بيت المقدس وذلك أن حيي بن أخطب وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين أخبرونا
عن صلاتكم إلى بيت المقدس إن كانت على هدى فقد تحولتم عنه وإن كانت ضلالة فقد دنتم الله بها مدة ومن مات عليها
فقد مات على ضلالة فقال المسلمون إنما الهدى فيما أمر الله به والضلالة فيما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على
قبلتنا وكان قد مات قبل أن تحول القبلة إلى الكعبة أسعد بن زرارة من بني النجار والبراء بن معرور من بني سلمة وكانا من النقباء ورجال
آخرون فانطلق عشائرهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد صرفك الله إلى قبلة إبراهيم فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون
إلى بيت المقدس فأنزل الله وما كان الله ليضيع إيمانكم يعني صلاتكم إلى بيت المقدس إن الله بالناس لرؤوف رحيم يعني لا يضيع أجورهم
والرأفة أخص من الرحمة وأرق وقيل الرأفة أشد الرحمة وقيل الرأفة والرحمة أن الرأفة مبالغة في رحمة خاصة
وهي دفع المكروه وإزالة الضرر وأما الرحمة فإنها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه أيضا جميع الإفضال والإنعام فذكر
الله الرأفة أولا بمعنى أنه لا يضيع أعمالهم ثم ذكر الرحمة ثانيا لأنها أعم وأشمل قوله عز وجل قد نرى تقلب وجهك في السماء سبب نزول هذه
الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة إلى الكعبة فلما هاجر إلى المدينة أحب أن يستقبل بيت المقدس يتألف بذلك اليهود
وقيل إن الله تعالى أمره بذلك ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى إلى قبلتهم مع ما يجدون من نعته وصفته في التوراة
فصلى إلى بيت المقدس بعد الهجرة ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يحب أن يوجه إلى الكعبة لأنها قبلة أبيه إبراهيم وقيل كان
يحب ذلك من أجل أن اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت لو حولني الله
إلى الكعبة فإنها قبلة أبي إبراهيم فقال جبريل عليه السلام إنما أنا عبد مثلك وأنت كريم على ربك فسل أنت ربك فإنك عند الله بمكان
ثم عرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر إلى السماء رجاء أن ينزل جبريل بما يحب من أمر القبلة فأنزل الله عز وجل
قد نرى تقلب وجهك يعني تردد وجهك وتصرف نظرك في السماء أي إلى جهة السماء وهذه الآية وإن كانت متأخرة في التلاوة فهي

متقدمة في المعنى لأنها رأس القصة وأول ما نسخ من أحكام الشرع أمر القبلة فلنولينك أي فلنحولنك ولنصرفنك قبلة
أي فلنحولنك عن بيت المقدس إلى قبلة ترضاها أي تحبها وتميل إليها فول وجهك شطر المسجد الحرام أي نحوه وتلقاءه وأراد
به الكعبة (ق) عن ابن عباس قال لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع ركعتين
قبل الكعبة وقال هذه القبلة يعني أن أمر القبلة قد استقر على هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم فصلوا إلى الكعبة أبدا فهي قبلتكم
(ق) عن البراء أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الأنصار وأنه صلى قبل بيت المقدس
ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه
قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل
الكعبة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس وهي قبلة أهل الكتاب فلما ولى وجهه
قبل البيت أنكروا ذلك قال البراء في حديثه هذا وإنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله
وما كان الله ليضيع إيمانكم واختلف العلماء في وقت تحويل القبلة فقال الأكثرون كان في يوم الاثنين بعد الزوال للنصف من
رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان يوم الثلاثاء لثمانية عشر شهرا وقيل كان لستة عشر
شهرا وقيل لثلاثة عشر شهرا وقيل نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين
من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي ذلك المسجد
مسجد القبلتين ووصل الخبر إلى أهل قباء في صلاة الصبح (ق) عن ابن عمر قال بينما الناس بقباء في صلاة الصبح فاستداروا
إلى الكعبة وقوله تعالى وحيث ما كنتم يعني من بر أو بحر مشرق أو مغرب فولوا وجوهكم شطره أي نحو البيت وتلقاءه
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبلة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح قيل أراد بالمشرق مشرق الشتاء في أقصر يوم من السنة وبالمغرب مغرب الصيف في أطول يوم من أيام السنة
فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت عن يمينه ومشرق الشتاء عن يساره كان مستقبلا للقبلة وهذا في حق
أهل المشرق لأن المشرق الشتوي جنوبي متباعد عن خط الاستواء بمقدار الميل والمغرب الصيفي شمالي متباعد عن خط
الاستواء والذي بينهما فهو سمت مكة والغرض لمن بمكة في القبلة إصابة عين الكعبة ولمن بعد عن مكة إصابة الجهة ويعرف
ذلك بدلائل القبلة وليس هذا موضع ذكرها ولما تحولت القبلة إلى الكعبة قالت اليهود يا محمد ما هو إلا شيء ابتدعته
من تلقاء نفسك فتارة تصلي إلى بيت المقدس وتارة إلى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون صاحبنا
الذي ننتظر فأنزل الله تعالى وإن الذين أوتوا الكتاب يعني اليهود ليعلمون أنه الحق من ربهم يعني أمر القبلة وتحويلها
إلى الكعبة ثم هددهم فقال تعالى وما الله بغافل عما يعملون يعني وما أنا بساه عما يفعل هؤلاء اليهود فأنا أجازيهم
عليه في الدنيا والآخرة وقرئ تعملون بالتاء قال ابن عباس يريد أنكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما أنا بغافل
عن ثوابكم وجزائكم فأنا أثيبكم على طاعتكم أفضل الثواب وأجزيكم أحسن الجزاء قوله تعالى ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب
بكل آية يعني اليهود والنصارى بكل آية أي بكل معجزة وقيل بكل حجة وبرهان وذلك أنهم قالوا ائتنا بآية على ما تقول
فأنزل الله تعالى هذه الآية ما تبعوا قبلتك يعني الكعبة وما أنت بتابع قبلتهم يعني أن اليهود تصلي إلى بيت المقدس
والنصارى إلى المشرق وأنت يا محمد تصلي إلى الكعبة فكيف يكون سبيل إلى اتباع قبلة أحدهم مع اختلاف جهتها فالزم
أنت قبلتك التي أمرت بالصلاة إليها وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني وما اليهود بتابعة قبلة النصارى
ولا النصارى بتابعة قبلة اليهود لأن اليهود والنصارى لا يجتمعون على قبلة واحدة ولئن اتبعت أهواءهم
يعني مرادهم ورضاهم لو رجعت إلى قبلتهم من بعد ما جاءك من العلم أي بأن أمر القبلة وقيل معناه من بعد ما وصل إليك
من العلم بأن اليهود والنصارى مقيمون على باطل وعناد للحق إنك إذا لمن الظالمين يعني إنك إن فعلت ذلك كنت بمنزلة من

ظلم لنفسه وزجرها قيل هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة لانه صلى الله عليه وسلم لا يتبع اهواءهم ابدا وقيل هو خطاب
له خاصة فيكون ذلك على سبيل التذكير والتنبيه قوله عز وجل الذين آتيناهم الكتاب يعني علماء اليهود والنصارى وقيل اراد
به مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه يعرفونه قيل يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم معرفة جلية بالوصف المعين الذي
يجدونه عندهم كما يعرفون ابناءهم اي لا يشكون فيه ولا يشتبه عليهم كما لا تشتبه عليهم ابناؤهم من بين ابناء غيرهم روي ان عمر
ابن الخطاب قال لعبد الله بن سلام ان الله انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف
هذه المعرفة فقال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رايته كما اعرف ابني ومعرفتي بمحمد صلى الله عليه وسلم اشد من معرفتي بابني فقال
عمر كيف ذلك فقال اشهد انه رسول الله حق من الله وقد نعته الله في كتابنا ولا ادري ما تصنع النساء فقبل عمر راس عبد الله
وقال وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت وقيل الضمير في يعرفونه يعود الى امر القبلة والمعنى ان علماء اليهود
والنصارى يعرفون ان القبلة التي حولت اليها هي قبلة ابرهيم وقبلة الانبيا قبلك كما يعرفون ابناءهم لا يشكون
في ذلك وان فريقا منهم يعني من علماء اهل الكتاب ليكتمون الحق يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل امر القبلة
وهم يعلمون يعني ان كتمان الحق معصية وقيل يعلمون ان صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم في التورية
والانجيل وهم مع ذلك يكتمونه الحق اي الذي يكتمونه هو الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اي من الشاكين
في ان الذين تقدم ذكرهم علموا صحة نبوتك وقيل يرجع الى امر القبلة والمعنى اي بعضهم عاند وكتم الحق فلا
تشكن في ذلك فان قلت النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن شاكا فما معنى هذا النهي قلت هذا الخطاب وان كان
للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد به غيره والمعنى فلا تشكوا انتم ايها المؤمنون وقد تقدم نظير هذا قوله تعالى
ولكل وجهة اي ولكل اهل ملة قبلة والوجهة اسم للمتوجه اليه وقيل الوجهة الجهة والمراد في التوجه الى القبلة
وقيل في قوله ولكل وجهة ان المراد به جميع المسلمين اي ولكل اهل جهة من الآفاق وجهة من الكعبة يصلون
اليها وقيل المراد بالوجهة المنهاج والشرع والمعنى ولكل قوم شريعة وطريقة لان الشرايع مصالح للعباد فلهذا
اختلفت الشرايع بحسب اختلاف الازمان والاشخاص هو موليها اي مستقبلها والمعنى ان لكل اهل ملة وجهة
هو مولي وجهه اليها وقيل موليها اي مختارها وقيل ان هو عائد على اسم الله تعالى والمعنى ان الله تعالى
هو موليها اياه وقرئ مولاها اي مصروف اليها فاستبقوا الخيرات اي بادروا بالطاعات وقبول الاوامر وفيه
حث على المبادرة الى الاولوية والافضلية فعلى هذا يكون الآية دليلا لمذهب الشافعي في ان الصلاة في اول الوقت
افضل لقوله فاستبقوا الخيرات لان ظاهر الامر الوجوب فاذا لم يتحقق الوجوب فلا اقل من الندب اينما تكونوا يعني انتم
واهل الكتاب يات بكم الله جميعا يعني يوم القيمة فيجزي اهل الطاعة بالثواب ويعذب اهل المعصية بالعقاب
ان الله على كل شيء قدير اي على الاعادة بعد الموت والاثابة لاهل الطاعة والعقوبة لمستحقي العقوبة قوله عز وجل ومن حيث
خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام اي من اي موضع خرجت في سفر وغيره فول وجهك يا محمد قبل المسجد الحرام
وانه يعني التوجه اليه للحق من ربك اي الحق الذي لا شك فيه فحافظ عليه وما الله بغافل عما تعملون اي ليس هو بساه عن اعمالكم ولكنه
محصيها لكم وعليكم فيجزيكم بها يوم القيمة ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
فان قلت هل في هذا التكرار فائدة قلت فيه فائدة عظيمة جليلة وهي ان هذه الواقعة اول الوقايع التي ظهر النسخ فيها
في شرعنا فدعت الحاجة الى التكرار لاجل التاكيد والتقرير وازالة الشبهة وايضاح البيان فحسن التكرار فيه لتنقلهم من جهة
الى جهة لئلا يكون للناس عليكم حجة قيل اراد بالناس اهل الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش واليهود فاما
قريش فيقول رجع محمد الى الكعبة لانه علم انها الحق وانها قبلة ابيه وسيرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا وقالت اليهود لم ينصرف محمد
عن [illegible] مع علمه انه حق الا انه يعمل برايه فعلى هذا يكون الاستثناء في قوله الا الذين ظلموا منهم متصلا والمعنى لا حجة لاحد عليكم

الامشركوا

الا مشركوا قريش واليهود فانهم يجادلونكم بالباطل والظلم وانما سمي الاحتجاج بالباطل حجة لان اشتقاقها من حجه اذا غلبه فكما تكون صحيحة
فكذلك قد تسمى حجة وتكون باطلة كما قال الله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وقيل هذا الاستثناء منقطع عن الكلام الاول ومعناه
لكن الذين ظلموا منهم يجادلونكم بالباطل كما قال النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب اي لكن سيوفهم
بهن فلول وليس بعيب وقيل في معنى الآية ان اليهود عرفوا ان الكعبة قبلة ابرهيم ووجدوا في التورية ان محمدا سيحول اليها فكانت
حجتهم انهم يقولون ان النبي الذي نجده في كتابنا سيحول الى الكعبة ولم تحول انت فلما حول الى الكعبة ذهبت حجتهم الا الذين ظلموا اي
الا ان يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق فلا تخشوهم اي فلا تخافوهم في انحرافكم الى الكعبة وتظاهرهم عليكم بالمجادلة بالباطل فاني وليكم وناصركم
اظهركم عليهم بالحجة والنصرة واخشوني اي احذروا عقابي ان انتم عدلتم عما امرتكم به وفرضته عليكم ولاتم نعمتي عليكم اي ولكي اتم نعمتي
عليكم بهدايتي اياكم الى قبلة ابرهيم لتتم لكم الملة الحنيفية وقيل تمام النعمة الموت على الاسلام ثم دخول الجنة ولعلكم تهتدون
اي لكي تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب قوله تعالى كما ارسلنا فيكم الكاف للتشبيه يحتاج الى شيء يرجع اليه
فقيل يرجع الى ما قبلها ومعناه ولاتم نعمتي عليكم كما ارسلنا فيكم وقيل ان ابرهيم قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال ربنا واجعلنا
مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فبعث الله فيهم رسولا منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعده اجابة الدعوة الثانية بان يجعل
في ذريته امة مسلمة والمعنى كما اجبت دعوته ببعثة الرسول كذلك اجبت دعوته بان اهديكم لدينه واجعلكم مسلمين واتم نعمتي
عليكم ببيان شرايع الملة الحنيفية وقيل ان الكاف متعلقة بما بعدها وهو قوله فاذكروني اذكركم والمعنى كما ارسلنا فيكم رسولا
منكم فاذكروني وجه التشبيه ان النعمة بالذكر جارية مجرى النعمة بارسال الرسول وان قلنا انها متعلقة بما قبلها كان وجه
التشبيه ان النعمة في امر القبلة كالنعمة بالرسالة فيكم خطاب لاهل مكة والعرب وكذا قوله منكم وفي رسالة رسول منهم
نعمة عظيمة عليهم لما فيه من الشرف ولان المعروف من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد لغيرهم فكان بعثة الرسول
منهم وفيهم اقرب الى قبول قوله والانقياد له والمعنى كما ارسلنا فيكم يا معشر العرب رسولا منكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يتلوا عليكم اياتنا
يعني القرآن وذلك من اعظم النعم لانه معجزة باقية على الدهر ويزكيكم اي يطهركم من دنس الشرك والذنوب وقيل يعلمكم ما اذا فعلتموه
صرتم ازكياء مثل محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ويعلمكم الكتاب يعني احكام الكتاب وهو القرآن وقيل ان التعليم غير التلاوة
فليس بتكرار والحكمة يعني السنة والفقه في الدين ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون يعني يعلمكم من اخبار الامم الماضية والقرون الخالية وقصص
الانبياء والخبر عن الحوادث المستقبلة ما لم تكونوا تعلمون ذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذكروني قيل الذكر يكون باللسان
وهو ان تسبح وتحمد وتمجد ونحو ذلك من الاذكار ويكون بالقلب وهو ان تتفكر في عظمة الله وفي الدلائل الدالة على وحدانيته
ويكون بالجوارح وهو ان تكون مستغرقة في الاعمال التي امروا بها مثل الصلاة وسائر الطاعات التي للجوارح فيها فعل اذكركم
بالثواب والرضى عنكم قال ابن عباس اذكروني بطاعتي اذكركم بمعونتي وقيل اذكروني في النعم والرخاء اذكركم في الشدة والبلاء وقال اهل
المعاني اذكروني بالتوحيد والايمان اذكركم بالجنان والرضوان وقيل اذكروني بالاخلاص اذكركم بالخلاص اذكروني بالقلوب اذكركم
بغفران الذنوب اذكروني بالدعاء اذكركم بالعطاء عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وانا
معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا
وان تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة قوله عز وجل انا عند ظن عبدي بي قيل معناه بالغفران اذا
استغفر وبالقبول اذا تاب وبالاجابة اذا دعا وبالكفاية اذا طلب الكفاية وقيل المراد به تحقيق الرجاء وتامل العفو وهذا اصح
قوله وانا معه حين يذكرني يعني بالرحمة والتوفيق والهداية والاعانة وقوله فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي النفس في اللغة لها معان
منها ذات الشيء والله تعالى له ذات حقيقة ومنها الغيب فعلى هذا يكون المعنى ان ذكرني خاليا ذكرته بالاثابة والرحمة سرا بما لا يطلع عليه احد
قوله وان ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم الملا اشراف الناس وعظماؤهم الذين يرجع الى قولهم وهذا مما استدلت به المعتزلة
ومن وافقهم على تفضيل الملائكة على الانبياء واجيب عنه بان الذكر غالبا يكون في جماعة لا نبي فيهم قوله وان تقرب الي شبرا تقربت

الله ذراعا الى اخره وهذا من احاديث الصفات ويستحيل ارادة ظاهرها فلا بد من التاويل فعلى هذا يكون ذكر الشبر والذراع والباع
والمشي والهرولة استعارات وتمثيلا فيكون المراد بتقرب العبد من الله تعالى التقرب بالذكر والطاعة والعمل الصالح والمراد بتقرب
الله من العبد قربه بالطاعة وبره وكرمه واحسانه اليه وفيضه مواهب رحمته عليه والمعنى كلما زاد العبد بالطاعة والذكر زدت بالبر والاحسان
وان اتاني يمشي بالطاعة اتيته هرولة اي صببت عليه الرحمة صبا وسبقته بها فلا يحتاج الى المشي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الله عز وجل انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وعن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل
الحي والميت وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا
والذاكرات المفردون الذين ذهب القرن الذي كانوا فيه وبقوا هم يذكرون الله ويقال تفرد الرجل اذا تفقه واعتزل قوله تعالى واشكروا لي
يعني بالطاعة ولا تكفرون اي بالمعصية لان من اطاع الله شكره ومن عصاه فقد كفره قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلاة
انما خصهما بالذكر لما فيهما من المعونة على العبادات اما الصبر فهو حبس النفس على احتمال المكاره في ذات الله وتوطينها على تحمل المشاق في
العبادات وسائر الطاعات وتجنب الجزع وتجنب المحظورات ومن الناس من حمل الصبر على الصوم وفسره به ومنهم من حمله على الجهاد
واما الاستعانة بالصلاة فلانها يجب ان تفعل على طريق الخضوع والتذلل للمعبود والاخلاص له وقيل استعينوا على طلب الاخرة
بالصبر على الفرائض وبالصلوات الخمس في مواقيتها على تمحيص الذنوب ان الله مع الصابرين يعني بالعون والنصرة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله
اموات نزلت في قتلى بدر من المسلمين وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وعمير بن ابي وقاص بن وهيب
ابن عبد مناف من بني زهرة اخو سعد بن ابي وقاص وذو الشمالين واسمه عمير بن عبد عمرو بن نضلة بن عمرو من خزاعة ثم من بني غبشان وعاقل
ابن البكير من بني سعد بن ليث من كنانة ومهجع مولى عمر بن الخطاب وصفوان بن بيضاء من بني الحارث بن فهر ومن الانصار ثمانية وهم سعد بن
خيثمة ومبشر بن عبد المنذر ويزيد بن الحارث بن فسحم وعمير بن الحمام ورافع بن المعلى وحارثة بن سراقة وعوف ومعوذ ابنا الحارث
بن رفاعة بن سواد وهما ابنا عفراء في امهما كان الناس يقولون لمن يقتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها
فانزل الله هذه الاية وقيل ان الكفار والمنافقين قالوا ان الناس يقتلون انفسهم لمرضاة محمد من غير فائدة فنزلت هذه
الاية واخبر ان من قتل في سبيل الله فانه حي بقوله بل احياء وانما احياهم الله عز وجل في الوقت لايصال الثواب اليهم وعن
الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعالى تعرض ارزاقهم على ارواحهم ويصل اليهم الروح والريحان والفرح كما تعرض النار على ارواح ال
فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع فبينه دليل على ان المطيعين يصل اليهم ثوابهم وهم في قبورهم في البرزخ وكذا العصاة
يعذبون في قبورهم فان قلت نحن نراهم موتى فما معنى قوله بل احياء وما وجه النهي في قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات قلت
معناه لا تقولوا اموات كغيرهم من الاموات بل هم احياء تتصل ارواحهم الان كما ورد ان ارواح الشهداء في حواصل
طير خضر تسرح في الجنة فهم احياء من هذه الجهة وان كانوا اموات من جهة خروج الروح من اجسادهم وجواب اخر هو انهم احياء عند الله
في علم الغيب لانهم صاروا الى الاخرة فهي لا تنتهي وهم كذلك ويدل على ذلك قوله تعالى ولكن لا تشعرون اي لا ترونهم احياء فتعلموا ذلك حقيقة
وانما تعلمون باخبار الله اياكم به فان قلت اليس سائر المطيعين من المسلمين يصل اليهم من نعيم الجنة في قبورهم فلم خص الشهداء
بالذكر قلت انما خصهم لانهم فضلوا على غيرهم بمزيد النعيم وهو انهم يرزقون من مطاعم الجنة ومآكلها وغيرهم منعم بما دون ذلك
وجواب اخر وهو انه رد لقول من قال ان من قتل في سبيل الله مات وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فاجاب الله بقوله بل احياء بان لهم نعيما دائما قوله عز وجل
ولنبلونكم اي ولنختبرنكم يا امة محمد واللام جواب القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلاء الاختبار لاظهار الطائع من العاصي لا ليعلم شيئا لم يكن عالما به لانه تعالى عالم
بجميع الاشياء قبل كونها وحدوثها فان قلت لم قال بشيء ولم يقل باشياء بالبلاء قلت انما قال بشيء ليدل على ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل عنده وهو كذا الباقي فلذلك قال بشيء كان التقدير بشيء من
الخوف وبشيء من الجوع وقيل معناه بشيء قليل من هذه الاشياء من الخوف قال ابن عباس يعني خوف العدو والخوف توقع مكروه يحصل منه الم في القلب
والجوع يعني القحط وتعذر حصول القوت ونقص من الاموال يعني بالهلاك والخسران والانفس يعني ونقص من الانفس بالموت او القتل والثمرات يعني الجوائح
في الثمار وقيل قد يكون بالجدب ايضا وبترك العمل والعمارة لاشتغال الانسان بالجهاد وحكي عن الشافعي انه قال في معنى هذه الاية قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام شهر رمضان

ونقص من الاموال يعني اخراج الزكاة والصدقات والانفس يعني الامراض والثمرات يعني موت الاولاد لان الولد ثمرة القلب
عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول
اقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول ماذا قال فيقولون حمدك واسترجع فيقول ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن فان قلت ما الحكمة في تقديم تعريف هذا الابتلاء في قوله ولنبلونكم قلت فيه حكم منها ان العبد
اذا علم انه مبتلى بشيء وطن نفسه على الصبر فاذا نزل به ذلك البلاء لم يجزع ومنها ان الله تعالى الكفار اذا شاهدوا المؤمنين
مقيمين على دينهم ثابتين عند نزول البلاء صابرين علموا ان ذلك لصحة الدين فيدعوهم ذلك الى متابعته والدخول فيه ومنها
ان الله تعالى اخبر بهذا الابتلاء قبل وقوعه فاذا وقع كان ذلك اخبارا عن غيب فيكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان
المنافقين انما اظهروا الايمان طمعا في المال وسعة الرزق من الغنائم فلما اخبر الله انه مبتلي عباده فعند ذلك يتميز المؤمن من المنافق
والصادق من الكاذب ومنها ان الانسان في حال الابتلاء اشد اخلاصا لله من حال الرخاء فاذا علم انه مبتلى دام على التضرع
والابتهال الى الله تعالى لينجيه مما عسى ان ينزل به من البلاء ثم قال تعالى وبشر الصابرين يعني عند نزول البلاء والمعنى
وبشر يا محمد الصابرين على امتحاني بما امتحنهم به من المكاره والشدائد ثم وصفهم بقوله تعالى الذين اذا اصابتهم مصيبة
اي نائبة وابتلاء قالوا انا لله يعني عبيدا وملكا وانا اليه راجعون يعني في الاخرة عن ام سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اجره الله
في مصيبته واخلف له خيرا منها قيل ما اعطي احد ما اعطيت هذه الامة يعني الاسترجاع عند المصيبة ولو اعطيها
احد لاعطيها يعقوب الا تسمع الى قوله عند فقد يوسف يا اسفى على يوسف وقيل في قول العبد انا لله وانا اليه راجعون
تفويض منه الى الله وانه راض بكل ما نزل به من المصائب اولئك يعني من هذه صفتهم عليهم صلوات من ربهم قال ابن عباس
اي مغفرة من ربهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى اي اغفر لهم وارحمهم وانما جمع الصلوات لانه عنى
بها مغفرة بعد مغفرة ورحمة بعد رحمة لهم ورحمة قال ابن عباس ونعمة والرحمة من الله انعام وافضال واحسان
ومن الادميين رقة وتعطف وقيل انما ذكر الرحمة بعد الصلاة لان الصلاة من الله الرحمة لاتساع المعنى واتساع
اللفظ وتفعل ذلك العرب كثيرا اذا اختلف اللفظ واتفق المعنى وقيل كررها للتاكيد اي عليهم رحمة بعد رحمة
واولئك هم المهتدون يعني الى الاسترجاع وقيل الى الجنة الفائزون بالثواب وقيل المهتدون الى الحق والصواب
وقال عمر بن الخطاب نعم العدلان ونعمت العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية فصل في ذكر احاديث
وردت في ثواب اهل البلاء واجر الصابرين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه
يعني يبتليه بالمصايب حتى ياجره على ذلك عن ابي سعيد وابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المسلم من نصب
ولا وصب ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله عنه بها خطاياه النصب التعب والاعياء
والوصب المرض عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصيبه اذى من مرض فما سواه
الا حط الله به عنه سيئاته كما تحط الشجرة ورقها عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن
كمثل الزرع لا تزال الريح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجر الارز لا تهتز حتى تستحصد
الارزة شجر معروف بالشام ويعرف في العراق بالصنوبر والصنوبر ثمر الارز وقيل الارزة الثابتة في الارض عن انس رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبده خيرا عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد بعبده الشر امسك عنه حتى يوافي
به يوم القيامة وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط
فله السخط اخرجه الترمذي وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يود اهل العافية يوم القيامة حين يعطى اهل البلاء الثواب لو ان جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض
وله عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وقال حديث حسن صحيح خ

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ما لعبدي المؤمن عندي جزاء اذا قبضت صفيه من اهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة وعن سعد بن ابي وقاص قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة هون عليه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل ان الصفا والمروة من شعائر الله الصفا جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة الملساء وقيل هي الحجارة الصافية والمروة الحجر الرخو وجمعها مرو ومروات وهذا اصلهما في اللغة وانما عنى بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرفي المسعى ولذلك ادخل فيهما الالف واللام وشعائر الله اعلام دينه واصلها من الاشعار وهو الاعلام واحدها شعيرة وكل ما كان معلما لقربان يتقرب به الى الله من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة فالمطاف والموقف والنحر كلها شعائر والمراد بالشعائر هنا المناسك التي جعلها الله اعلاما لطاعته فالصفا والمروة منها حيث يسعى بينهما فمن حج البيت اي قصد البيت هذا اصله في اللغة وفي الشرع عبارة عن افعال مخصوصة لاقامة المناسك او اعتمر اي زار البيت والعمرة الزيارة ففي الحج والعمرة المشروعين قصد وزيارة فلا جناح عليه فلا اثم عليه واصله من جنح اذا مال عن القصد المستقيم ان يطوف بهما اي يدور بهما ويسعى بينهما وسبب نزول هذه الآية انه كان على الصفا والمروة صنمان يقال لهما اساف ونائلة فكان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون عن السعي بين الصفا والمروة فانزل الله هذه الآية واذن في السعي بينهما واخبر انه من شعائر الله (ق) عن عاصم بن سليمان الاحول قال قلت لانس اكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة فقال نعم لانها كانت من شعائر الجاهلية حتى انزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما وفي رواية قال كانت الانصار يكرهون ان يطوفوا بين الصفا والمروة حتى نزلت ان الصفا والمروة من شعائر الله (فصل) اختلف العلماء في حكم السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن واليه ذهب مالك والشافعي وذهب قوم الى انه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين وذهب الثوري وابو حنيفة الى انه ليس بركن وعلى من تركه دم وروي عن ابن الزبير ومجاهد وعطاء ان من تركه فلا شيء عليه واختلفت الرواية عن احمد في ذلك فروي عنه ان من ترك السعي بين الصفا والمروة لم يجزه حجه وروي عنه انه لا شيء عليه في تركه عمدا ولا سهوا ولا ينبغي ان يتركه ونقل الجمهور عنه انه تطوع وسبب هذا الاختلاف ان قوله تعالى فلا جناح عليه يصدق عليه انه لا اثم في فعله فدخل تحته الواجب والمندوب والمباح فظاهر هذه الآية لا يدل على ان السعي بين الصفا والمروة واجب وليس بواجب لان اللفظ الدال على القدر المشترك بين الاقسام الثلاثة لا دلالة فيه على خصوصية احدها فاذن لا بد من دليل خارج يدل على ان السعي واجب او غير واجب فحجة من اوجب السعي وان فقدان السعي بين الصفا والمروة ركن من اركان الحج والعمرة ما روى الشافعي بسنده عن صفية بنت شيبة قالت اخبرتني بنت ابي تجراة واسمها حبيبة احدى نساء بني عبد الدار قالت دخلت مع نسوة من قريش دار آل ابي حسين ننظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرايته يسعى وان مئزره ليدور من شدة السعي حتى لاقول اني ارى ركبتيه وسمعته يقول اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وصححه الدارقطني (ق) عن عروة بن الزبير قال قلت لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ارأيت قول الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما فما ارى على احد شيئا ان لا يطوف بهما فقالت عائشة كلا لو كان كما تقول كانت فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما انما انزلت هذه الآية في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون ان يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية (م) عن جابر في حديثه الطويل في صفة حجة الوداع قال ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ ان الصفا والمروة من شعائر الله ابدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا الحديث فاذا ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم سعى وجب علينا السعي لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله عليه السلام خذوا عني مناسككم والامر للوجوب ومن القياس ان السعي اشواط شرعت في بقعة من بقاع الحرم ويؤتى به في احرام كامل فكان ركنا كطواف الزيارة

واحتج ابو حنيفة ومن لا يرى وجوب السعي بقوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما وهذا لا يقال في الواجبات ثم انه تعالى اكد ذلك بقوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فبين انه تطوع وليس بواجب واجيب عن الاول بان قوله تعالى فلا جناح عليه ليس فيه الا انه لا اثم على فاعله وهذا القدر مشترك بين الواجب وغيره كما تقدم بيانه فلا يكون فيه دلالة على نفي الوجوب وعن الثاني وهو التمسك بقوله ومن تطوع خيرا فضعيف لان هذا لا يقتضي ان يكون المراد من هذا التطوع هو الطواف المذكور اولا بل يجوز ان يكون المقصود منه شيئا آخر يدل على ذلك قول الحسن ان المراد بقوله ومن تطوع خيرا جميع الطاعات في الدين يعني فعل فعلا زائدا على ما فرض عليه من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمرة وطواف وغير ذلك من انواع الطاعات وقال مجاهد ومن تطوع خيرا بالطواف بهما وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما فرضا وقيل معناه ومن تطوع خيرا بالطواف بهما فزاد في الطواف بعد الواجب والقول الاول اولى للعموم فان الله شاكر اي مجاز على الطاعة عليم اي بنيته وحقيقة الشكر في اللغة هو المظهر للانعام والشكر هو تصور النعمة واظهارها والله تعالى لا يوصف بذلك لانه لا يلحقه المنافع والمضار فالشاكر في صفة الله تعالى مجاز فاذا وصف به اريد به انه المجازي على الطاعة بالثواب الا ان اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد مظاهرة في الاحسان اليهم قوله تعالى ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى نزلت في علماء اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغيرها من الاحكام التي كانت في التوراة وقيل ان الآية على العموم فيمن كتم شيئا من امر الدين لان اللفظ عام والعموم للفظ لا لخصوص السبب ومن قال بالقول الاول وانها في اليهود قال ان الكتم لا يصح الا منهم لانهم كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الكتمان ترك اظهار الشيء مع الحاجة الى بيانه واظهاره فمن كتم شيئا من امر الدين فقد عظمت مصيبته (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال لولا آيتان انزلهما الله في كتابه ما حدثت شيئا ابدا ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى الى آخر الآيتين وهل اظهار علوم الدين فرض كفاية او فرض عين فيه خلاف والاصح انه اذا ظهر للبعض بحيث يتمكن كل احد من الوصول اليه لم يبق مكتوما وقيل متى سئل العالم عن شيء يعلمه من امر الدين يجب عليه اظهاره والا فلا من بعد ما بيناه للناس في الكتاب يعني في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المراد بالناس علماء بني اسرائيل ومن قال ان المراد بالكتاب جميع ما انزل الله على انبيائه من الاحكام قال المراد بالناس العلماء كافة اولئك يعني الذين يكتمون ما انزل الله من البينات والهدى يلعنهم الله اي يبعدهم الله من رحمته واصل اللعن في اللغة الطرد والابعاد ويلعنهم اللاعنون قال ابن عباس جميع الخلائق الا الجن والانس وذلك ان البهائم تقول انما منعنا المطر بمعاصي بني آدم وقيل اللاعنون هم الجن والانس لانه وصفهم بوصف من يعقل وقيل ما تلاعن اثنان من المسلمين الا رجعت الى اليهود والنصارى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم استثنى فقال تعالى الا الذين تابوا اي ندموا على ما فعلوا فرجعوا عن الكفر الى الاسلام واصلحوا يعني الاعمال فيما بينهم وبين ربهم تعالى وبينوا يعني ما كتموا من العلم فاولئك اتوب عليهم اي اتجاوز عنهم واقبل توبتهم وانا التواب اي المتجاوز عن عبادي الرجاع بقلوبهم المنصرفة عني الي الرحيم يعني بهم بعد اقبالهم علي قوله عز وجل ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قيل هذا اللعن يكون يوم القيامة يوقف الكافر فيوقف فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس اجمعون فان قلت الكافر لا يلعن نفسه ولا يلعن اهل دينه وملته فما معنى قوله والناس اجمعين قلت فيه اوجه احدها انه اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون الثاني ان الكفار يلعن بعضهم بعضا يوم القيامة الثالث انهم يلعنون الظالمين والكافرين من الظالمين فيكون قد لعن نفسه خالدين فيها اي مقيمين في اللعنة وقيل في النار وانما اضمرت لعظم شأنها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي لا يمهلون ولا يؤجلون وقيل لا ينظرون ليعتذروا وقيل لا ينظرون اليهم نظر رحمة (فصل) فيما يتعلق بهذه الآية من الحكم قال العلماء لا يجوز لعن كافر معين لان حاله عند الوفاة لا يعلم فلعله يموت على الاسلام وقد شرط الله في هذه الآية اطلاق اللعنة على من مات على الكفر ويجوز لعن الكفار بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها

وذهب بعضهم الى جواز لعن انسان معين من الكفار بدليل جواز قتاله واما العصاة من المومنين فلا يجوز لعن احد منهم على التعيين
واما على الاطلاق فيجوز لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة والحبل فتقطع يده ولعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة واكل الربا وموكله ولعن من غير منار الارض ومن انتسب لغير ابيه وكل هذا في الصحيح قوله تعالى
والهكم اله واحد سبب نزول هذه الاية ان كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فانزل الله هذه الاية وسورة الاخلاص
ومعنى الواحد الانفراد وحقيقة الواحد هو الشي الذي لا يتبعض ولا ينقسم والواحد في صفة الله انه واحد لا نظير له وليس
كمثله شي وقيل واحد في الالهية وربوبيته ليس له شريك لان المشركين اشركوا معه الالهة فكذبهم الله بقوله والهكم اله
واحد يعني لا شريك له في الالهية ولا نظير له في الربوبية والتوحيد هو نفي الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى
واحد في افعاله لا شريك له يشاركه في مصنوعاته وواحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا يشبهه شي من خلقه
لا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره من الالوهية واثباتها له سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم يعني انه المولي لجميع النعم
اصولها وفروعها فلا شي سواه بهذه الصفة لان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وهو المنعم على خلقه الرحيم لهم
عن اسما بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الاعظم في هاتين الايتين والهكم اله واحد
لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة ال عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث صحيح
وقيل لما نزلت هذه الاية قال المشركون ان محمدا يقول الهكم اله واحد فليأتنا باية ان كان صادقا فانزل الله ان في خلق
السموات والارض وعلمهم كيفية الاستدلال على وحدانية الصانع وردهم الى التفكر في اياته والنظر في عجايب مصنوعاته
واتقان افعاله ففي ذلك دليل على وحدانيته ولا منتهى في افعاله النشاه في صفة الكمال فثبت بذلك ان خالق هذا
العالم والمدبر له واحد قادر مختار فبين سبحانه وتعالى من عجايب مخلوقاته ثمانية انواع اولها قوله ان في خلق السموات
والارض وانما جمع السموات لانها اجناس مختلفة كل سما من جنس غير جنس الاخرى ووحد الارض لانها جنس
واحد وهو التراب والاية في السما سمكها وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والاية في
الارض مدها وبسطها وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والاية في الارض مدها وبسطها على الما وما يرى
فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والانهار والاشجار والثمار والنبات النوع الثاني قوله تعالى واختلاف
الليل والنهار اي تعاقبهما في المجي والذهاب وقيل اختلافهما في الطول والقصر والزيادة والنقصان والنور والظلمة
وانما قدم الليل على النهار لان الظلمة اقدم والاية في الليل والنهار ان انتظام احوال العباد بسبب طلب الكسب
والمعيشة يكون في النهار وطلب النوم والراحة يكون في الليل فاختلاف الليل والنهار انما هو لتحصيل مصالح العباد
النوع الثالث قوله والفلك التي تجري في البحر اي السفن واحده وجمعه سوا وسمي البحر بحرا لاتساعه وانبساطه
والاية في الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الما وهي موقرة بالاثقال والرجال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة
وتسخير البحر لحمل الفلك مع قوة سلطان الما وهيجان البحر فلا ينجي منه الا الله تعالى النوع الرابع قوله تعالى بما
ينفع الناس يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات لطلب الارباح والاية في ذلك ان الله تعالى لو لم يقو قلوب من يركب
هذه السفن لما تم الغرض في تجاراتهم ومنافعهم وايضا فان الله تعالى خص كل قطر من اقطار العالم بشي معين واحوج
الكل الى الكل فصار ذلك سببا يدعوهم الى اقتحام الاخطار في الاسفار من ركوب السفن وخوف البحر وغير ذلك فالحامل
ينتفع لانه يربح والمحمول اليه ينتفع بما حمل اليه النوع الخامس قوله وما انزل الله من السما من ما يعني المطر وقيل اراد
بالسما السحاب يسمى سما لان كل ما علاك واظلك فهو سما خلق الله الما في السحاب ومنه ينزل الى الارض وقيل اراد السما
بعينها خلق الله الما في السما ومنه ينزل الى السحاب ثم منه الى الارض فاحيا به اي بالما الارض بعد موتها اي بعد يبسها
وجدوبها سماه موتا مجازا لانها اذا لم تنبت شيئا ولم يصبها المطر فهي كالميتة والاية في انزال المطر واحيا الارض به ان الله تعالى

جعله

جعله سببا لحياة الجميع من حيوان ونبات ونزوله عند وقت الحاجة اليه بقدر المنفعة وعند الاستسقا والدعا وانزاله بمكان
دون مكان النوع السادس قوله وبث فيها اي فرق اي في الارض من كل دابة قال ابن عباس يريد كل ما دب على وجه الارض من جميع الخلق
من الناس وغيرهم والاية في ذلك ان جنس الانسان يرجعون الى اصل واحد وهو ادم ثم ما فيهم من الاختلاف في الصور والاشكال والالوان والالسنة
والطبايع والاخلاق والاوصاف الى غير ذلك ثم يقاس على بني ادم ساير الحيوان النوع السابع قوله وتصريف الرياح يعني في مهابها قبولا
ودبورا وشمالا وجنوبا ونكبا وهي الريح التي تاتي من غير مهب صحيح فكل ريح تختلف مهابها تسمى نكبا وقيل تصريفها في احوالها
لينة وعاصفة وحارة وباردة وسميت ريحا لانها تريح قال ابن عباس اعظم جنود الله الريح وقيل ما هبت ريح الا لشفا
سقيم او ضده وقيل البشارة في ثلث رياح الصبا والشمال والجنوب والدبور هي الريح العقيم التي اهلكت عادا فلا بشارة
فيها والاية في الريح انها جسم لطيف لا يمسك ولا يرى وهي مع ذلك في غاية القوة تقلع الشجر والصخر وتخرب البنيان العظيم وهي
مع ذلك حياة الوجود فلو امسكت طرفة عين لمات كل ذي روح ولنتن ما على وجه الارض النوع الثامن قوله والسحاب
المسخر بين السما والارض اي الغيم المذلل سمي سحابا لسرعة سيره كانه يسحب والاية في ذلك ان السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة
التي تسيل منها الاودية العظيمة يبقى معلقا بين السما والارض ففي هذه الانواع الثمانية المذكورة في هذه الاية دلالة
عظيمة على وجود الصانع القادر المختار وانه الواحد في ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد من قوله والهكم اله واحد لا اله
الا هو وقوله لايات اي فيما ذكر من دلايل مصنوعاته الدالة على وحدانيته قيل انما جمع ايات لان في كل واحد مما ذكر من هذه
الانواع ايات كثيرة تدل على ان لها خالقا مختارا لقوم يعقلون اي ينظرون بعيون عقولهم ويتفكرون بقلوبهم فيعلمون
ان لهذه الاشيا خالقا ومدبرا مختارا وصانعا قادرا على ما يريد قوله عز وجل ومن الناس يعني المشركين من يتخذ
من دون الله اندادا يعني اصناما يعبدونها والند المثل المنازع فعلى هذا الاصنام انداد بعضها لبعض وليست
انداد الله تعالى الله ان يكون له ند او له مثل منازع وقيل الانداد الاكفا من الرجال وهم رؤساهم وكبراؤهم
الذين يطيعونهم في معصية الله يحبونهم اي يودونهم ويميلون اليهم والحب نقيض البغض واحببت فلانا اي جعلته
معرضا بان احبه والمحبة الارادة كحب الله اي كحب المومنين الله والمعنى يحبون الاصنام كما يحب المومنون الله عز وجل وقيل
معناه يحبونهم كحبهم الله فيكون المعنى انهم يسوون بين الاصنام وبين الله في المحبة فمن قال بالقول الاول لم يثبت للكفار
محبة لله تعالى ومن قال بالقول الثاني اثبت للكفار محبة لله لكن جعلوا الاصنام شركا له في الحب والذين امنوا اشد
حبا لله اي اثبت وادوم على محبته لانهم لا يختارون مع الله سواه والمشركون اذا اتخذوا صنما ثم راوا احسن
منه طرحوا الاول واختاروا الثاني وقيل ان الكفار يعدلون عن اصنامهم في الشدايد ويقبلون الى الله تعالى كما
اخبر عنهم فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمومنون لا يعدلون عن الله تعالى في السرا والضرا
ولا في الشدة ولا في الرخا وقيل ان المومنين يوحدون ربهم والكفار يعبدون اصناما كثيرة فتنقص المحبة لصنم واحد وقيل
انما قال والذين امنوا اشد حبا لله لان الله احبهم اولا فاحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته اتم وسياتي بسط
الكلام في معنى المحبة عند قوله يحبهم ويحبونه ولو يرى الذين ظلموا قرئ بالتا والمعنى ولو ترى يا محمد الذين ظلموا يعني
اشركوا في شدة العذاب لرايت امرا عظيما وقرئ بالياء ومعناه ولو يرى الذين ظلموا انفسهم عند روية العذاب حين يقذفهم
في النار لعرفوا مضرة الكفر وان ما اتخذوا من الاصنام لا ينفعهم اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا معناه
لو راى الذين كانوا يشركون في الدنيا عذاب الاخرة لعلموا حين يرون العذاب ان القوة ثابتة لله جميعا والمعنى
انهم شاهدوا من قدرة الله تعالى ما تيقنوا معه ان القوة لله جميعا وان الامر ليس على ما كانوا عليه من الشرك والجحود
وان الله شديد العذاب قوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا اي القادة من مشركي الانس ممن اتبع وذلك يوم القيامة حين
يجمع القادة والاتباع فيتبرأ بعضهم من بعض عند نزول العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن انفسهم فكيف عن غيرهم

اي بقوة ومساعدة

وقيل هم الشياطين يتبرأون من الانس والقول هو الاول ۝ وتقطعت بهم الاسباب يعني الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا
يتواصلون بها من قرابة وصداقة وقيل الاعمال التي كانوا يعملونها في الدنيا وقيل العهود والحلف التي كانت بينهم يتوادون
عليها واصل السبب في اللغة معهم الحبل الذي يصعد به النخل وسمي كل ما يتوصل به الى شي من ذريعة او قرابة او مودة
سببا تشبيها بالحبل الذي يصعد به ۝ وقال الذين اتبعوا يعني الاتباع ۝ لو ان لنا كرة اي رجعة الى الدنيا فنتبرأ
منهم اي من المتبوعين كما تبرأوا منا اليوم ۝ كذلك يريهم الله اي كما اراهم العذاب يريهم الله ۝ اعمالهم حسرات عليهم لانهم
ايقنوا بالهلاك والحسرة الغم على ما فاته وشدة الندم عليه كانه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه والمعنى
ان الله تعالى يريهم السيئات التي عملوها وارتكبوها في الدنيا فيتحسرون لم عملوها وقيل يريهم ما تركوا من الحسنات
فيندمون على تضييعها وقيل ترفع لهم منازلهم من الجنة فيقال لهم تلك مساكنكم لو اطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين
فذلك حين يتحسرون ويندمون على ما فاتهم ولا ينفعهم الندم ۝ وما هم بخارجين من النار ۝ قوله عز وجل يا ايها الناس كلوا
مما في الارض حلالا طيبا نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبني مدلج فيما حرموا على انفسهم من الحرث والانعام البحيرة
والسائبة والوصيلة والحام والحلال المباح الذي احله الشرع وانحلت عقدة الحظر عنه واصله من الحل الذي هو
نقيض العقد وانحلت عقدة الحظر عنه واصله من الحل الذي هو نقيض العقد والطيب ما يستلذ والمسلم
لا يستطيب الا الحلال ويعاف الحرام وقيل الطيب ما يستلذ ولكنه لا يستطيب الا الحلال هو الطاهر لان النجس
تكرهه النفس وتعافه ۝ ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا سبيله وقيل معناه لا تأتموا به ولا تتبعوا آثاره وزلاته
والمعنى احذروا ان تتعدوا ما احل لكم الى ما يدعوكم اليه الشيطان قيل هي النذور في المعاصي وقيل هي المحرمات
من الذنوب ثم بين علة وجه التحذير بقوله تعالى انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة وقد اظهر الله عداوته بابائه السجود
لآدم ثم بين عداوته ما هي فقال تعالى ۝ انما يأمركم بالسوء يعني بالاثم والسوء ما يسوء صاحبه ويحزنه ۝ والفحشاء يعني
المعاصي وما قبح من قول او فعل قال ابن عباس السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وقيل الفحشاء الزنا وقيل
هو البخل ۝ وان تقولوا على الله ما لا تعلمون يعني من تحريم الحرث والانعام وقيل ذلك جميع المذاهب الفاسدة التي
لم يأذن فيها الله ولم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان امر الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر التي
يجدها الانسان في قلبه وماهية هذه الخواطر حروف واصوات منتظمة خفية تشبه الكلام في الخارج ثم ان
فاعل هذه الخواطر هو الله تعالى المحدث لها في باطن الانسان وانما الشيطان كالسبب لتحريكها والله هو المقدر له على
ذلك وقد ورد في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن آدم وانما قدر على ذلك لايصال هذه الخواطر الى
باطن الانسان ۝ قوله تعالى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله هذه قصة مستانفة والضمير في لهم يعود على غير مذكور قال
ابن عباس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع ما الفينا عليه
اباءنا فهم كانوا خيرا منا واعلم منا فانزل الله هذه الآية وقيل ان الآية متصلة بما قبلها والضمير في لهم يعود على قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله
اندادا وهم مشركو العرب قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا يعني من عبادة الاصنام وقيل ان الضمير في لهم يعود على قوله يا ايها
الناس كلوا والمعنى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله يعني في تحليل ما حرموا على انفسهم ۝ قالوا بل نتبع ما الفينا يعني وجدنا عليه اباءنا
يعني من التحريم والتحليل قال الله تعالى اولو كان اباؤهم يعني الذين يتبعونهم ۝ لا يعقلون شيئا يعني لا يعلمون شيئا من امر الدين
لفظه عام ومعناه خاص وذلك انهم كانوا يعقلون امر الدنيا ۝ ولا يهتدون الى الصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى
ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء النعيق صوت الراعي بالغنم ولا يقال نعق الا للراعي بالغنم
وحدها ومعنى الآية ومثلك يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم الى الله كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي لا تسمع
الا صوتا فصار الداعي الى الله وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الراعي وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها ووجه المثل ان الغنم

ان الغنم لتسمع الصوت ولا تفطن للمراد وكذلك الكفار يسمعون صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن لا ينتفعون به وقيل معناه ومثل الذين كفروا في قلة
عقلهم وفهمهم عن الله ورسوله كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفقه من الامر والنهي الا الصوت فيكون المعنى بالمثل المنعوق به خارج
عن الناعق وقيل معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم في دعائهم الاصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعق بالغنم فهو لا ينتفع
من نعيقه بشيء غير انه في عناء من الدعاء والنداء وكذلك الكافر ليس له من دعاء الاصنام وعبادتها الا العناء والبلاء والفرق بين هذا
القول والقول الذي قبله ان المحذوف هنا هو المدعو وهي الاصنام وفي القول الاول المحذوف هو الداعي وهو الرسول صلى الله عليه وسلم ۝
صم بكم عمي لما شبههم بالبهائم زاد في تبكيتهم فقال صم لانهم اذا سمعوا الحق ودعاء الرسول ولم ينتفعوا به صاروا بمنزلة الاصم الذي لا يسمع
فقال لمن لم يسمع ولم ينتفع كانه اصم ۝ بكم عن الخير ۝ عمي عن طريق الهدى ۝ فهم لا يعقلون قيل المراد به العقل الكسبي لان العقل الطبيعي كان حاصلا
فيهم قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم قيل ان الامر في قوله كلوا قد يكون للوجوب كالاكل لحفظ النفس
ودفع الضرر عنها وقد يكون للندب كالاكل مع الضيف وقد يكون للاباحة اذا خلا من هذه العوارض والطيب هو الحلال م عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يده الى السماء يا رب
يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك قوله اشعث اغبر هو البعيد العهد بالدهن والغسل
والنظافة وقيل الطيب المستلذ من الطعام فلعل قوما تنزهوا عن اكل المستلذ من المطاعم فاباح الله لهم ذلك ۝ واشكروا لله يعني
على نعمه ۝ ان كنتم اياه تعبدون اي اشكروا الله الذي رزقكم هذه النعم ان كنتم تخصونه بالعبادة وتقرون انه المنعم وقيل
ان كنتم عارفين بالله وبنعمه فاشكروه عليها قوله تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير لما امر الله تعالى في الآية التي تقدمت
باكل الطيبات التي هي الحلالات بين في هذه الآية انواع المحرمات اما الميتة فكل ما فارقته الروح من غير ذكاة مما
يذبح واما الدم فقد كانت العرب تجعل الدم في المصارين ثم تشويه وتاكله فحرم الله الدم واما الخنزير
فانه اراد به جميع اجزائه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود بالاكل ولذاته ۝ وما اهل به لغير الله يعني وما ذبح للاصنام
والطواغيت واصل الاهلال رفع الصوت وذلك انهم كانوا يرفعون اصواتهم بذكر آلهتهم اذا ذبحوا لها فجرى ذلك
من امرهم وحالهم حتى قيل لكل ذابح مهل وان لم يجهر بالتسمية ۝ فمن اضطر يعني الى اكل الميتة واحوج اليها غير باغ اصل
البغي الفساد ۝ ولا عاد اصله من العدوان وهو الظلم ومجاوزة الحد ۝ فلا اثم عليه اي فاكل فلا اثم عليه اي فلا حرج
عليه ۝ ان الله غفور اي لما اكل في حال الضرورة ۝ رحيم يعني حيث رخص للعباد في ذلك فصل في حكم الآية وفيه مسائل
الاولى في حكم الميتة اجمعت الامة على تحريم اكل الميتة وانها نجسة واستثنى الشرع منها السمك والجراد اما السمك فلقوله صلى
الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه الجماعة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الترمذي فيه هو حديث حسن
صحيح واما الجراد فلما روي عن ابن ابي اوفى قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات او ستا وكنا ناكل الجراد وكنا
معه اخرجاه في الصحيحين واختلف في السمك الميت الطافي على الماء فذهب مالك والشافعي الى انه لا باس به وقال ابو حنيفة
واصحابه والحسن بن صالح انه مكروه وروي عن علي بن ابي طالب انه قال ما طفا من صيد البحر فلا تاكله وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله
مثله وروي عن ابي بكر الصديق وابي ايوب اباحته واختلف في الجراد فقال الشافعي وابو حنيفة لا باس باكل الجراد كله ما اخذته
وما وجدته ميتا فلا اكل وما اخذ حيا فذكه فذكاته ان يقطع راسه ويشوى فان غفل عنه حتى يموت فلا ياكله المسلم
الثانية في حكم الدم اتفق العلماء على ان الدم حرام نجس لا يؤكل ولا ينتفع به وقال الشافعي يحرم جميع الدماء سواء كان مسفوحا
او غير مسفوح وقال ابو حنيفة دم السمك ليس بحرام قال لانه اذا يبس ابيض واستثنى الشرع من الدم الكبد والطحال
روى الدارقطني عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احل لنا من الدم دمان ومن الميتة
ميتتان الحوت والجراد ومن الدم الكبد والطحال وفي لفظ احلت لنا ميتتان ودمان فاما الميتتان فالجراد والحوت واما الدمان

فالطحال والكبد اخرجه ابن ماجه واحمد بن حنبل قال احمد وعلي بن المديني عبد الرحمن بن زيد ضعيف واخوه عبد الله بن زيد اقوى منه
وقد اخرج الدارقطني هذا الحديث من رواية عبد الله بن ابي عمير عن ابيه عن ابن عمر مرفوعا وضعف ابو بكر بن العربي هذا الحديث وقال يروى عن
ابن عمر بلا صحيح سنده وقال البيهقي يروى هذا الحديث عن ابن عمر موقوفا ومرفوعا والصحيح الموقوف واختلف في تخصيص هذا
العموم في الكبد والطحال فقال مالك لا تخصص لان الكبد والطحال لحم ويشهد لذلك العيان الذي لا يفتقر الى برهان وقال الشافعي
هما دمان ويشهد له الحديث فهو مخصص من العموم المسئلة الثالثة في الخنزير اجمعت الامة على ان الخنزير بجميع اجزائه محرم وانما ذكر
الله تعالى اللحم لان معظم الانتفاع متعلق به ثم اختلفوا في نجاسته فقال جمهور العلماء انه نجس وقال مالك انه طاهر وكذا كل حيوان عنده لان
علة الطهارة هي الحياة وللشافعي قولان في ولوغ الخنزير الجديد منهما انه كالكلب والقديم يكفي ولوغه غسلة واحدة والفرق بينهما
ان التغليظ في الكلب لان العرب كانت تالفه بخلاف الخنزير وقيل ان التغليظ في الكلب تعبد لا يعقل معناه فلا يتعدى الى غيره
المسئلة الرابعة في حكم قوله وما اهل به لغير الله من الناس من زعم ان المراد بذلك ذبائح عبدة الاوثان الذين كانوا يذبحونها
لاصنامهم واجاز ذبيحة النصارى اذا سمى عليها باسم المسيح وهو مذهب عطاء ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب لعموم قوله وطعام
الذين اوتوا الكتاب حل لكم وقال مالك والشافعي وابو حنيفة لا يحل ذلك والحجة فيه انهم اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد اهلوا به لغير الله
فوجب ان يحرم وروي عن علي بن ابي طالب انه قال اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تاكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا
فان الله قد احل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون المسئلة الخامسة في حكم المضطر المضطر هو المكلف بالشيء الملجأ اليه
المكره عليه والمراد بالمضطر في قوله فمن اضطر اي خاف التلف حتى قيل من اضطر الى اكل الميتة فلم ياكل منها حتى مات دخل النار
والمضطر على ثلاثة اقسام اما باكراه او بجوع في مخمصة او بفقر لا يجد شيئا البتة فان التحريم يرتفع مع وجود هذه الاقسام
بحكم الاستثناء في قوله فلا اثم عليه وتباح له الميتة فاما الاكراه فيبيح ذلك الى زوال الاكراه واما المخمصة فلا تخلو ان تكون دائمة
فلا خلاف في جواز الشبع منها وان كانت نادرة فقد اختلف العلماء فيه ولهم فيه قولان احدهما انه ياكل ما يسد به الرمق
وبه قال ابو حنيفة والثاني ياكل قدر الشبع وبه قال مالك المسئلة السادسة في قوله غير باغ ولا عاد قال ابن عباس
معناه غير باغ غير خارج على السلطان ولا عاد اي متعد بعصيانه بان يخرج لقطع الطريق او ابق من مولاه فلا يجوز
للعاصي بسفره ان ياكل من الميتة اذا اضطر اليها ولا يترخص بالرخص حتى يتوب وبه قال الشافعي لان اباحة الميتة
له اعانة له على فساده وذهب قوم الى ان الباغي والعادي يرخص لهما الاكل وبه قال ابو حنيفة واباح اكل الميتة للمضطر وان كان
عاصيا وقيل في معنى قوله غير باغ اي غير طالب الميتة وهو يجد غيرها ولا عاد اي غير متعد ما حد له وقيل غير مستحل لها ولا
متزود منها والله اعلم قوله عز وجل ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب نزلت في علماء اليهود ورؤسائهم وذلك انهم كانوا
يصيبون من سفلتهم الهدايا والماكل وكانوا يرجون ان يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو من غيرهم خافوا
على ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتموها فانزل الله ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب
اي في الكتاب من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعته ووقت نبوته هذا قول المفسرين قال الامام فخر الدين الرازي
وعند المتكلمين هذا ممتنع لان التوراة والانجيل قد بلغا من الشهرة والتواتر الى حيث يتعذر ذلك فيهما بل كانوا يكتمون
التاويل لانه قد كان منهم من يعرف الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا يذكرون لها تاويلات باطلة ويصرفونها عن
محاملها الصحيحة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهذا هو المراد بالكتمان فيصير المعنى ان الذين يكتمون معاني ما انزل
الله من الكتاب ويشترون به اي بالكتمان وقيل يعود الضمير الى ما انزل الله من الكتاب ثمنا قليلا اي عوضا يسيرا وهي
الماكل التي كانوا ياخذونها من سفلتهم اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار يعني ما يؤديهم الى النار وهو الرشوة والحرام فلما كان
يفضي ذلك بهم الى النار فكانهم اكلوا النار ولا يكلمهم الله اي كلام رحمة وما يسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ وهو قوله اخسؤا فيها وقيل
اراد به الغضب يقال فلان لا يكلم فلانا اذا غضب عليه ولا يزكيهم اي ولا يطهرهم من دنس الذنوب ولهم عذاب اليم اي وجيع

يصل

يصل المه الى قلوبهم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة معناه انهم اختاروا الضلالة على الهدى واختاروا
العذاب على المغفرة لانهم كانوا عالمين بالحق ولكن كتموه واخفوه وكان في اظهاره الهدى والمغفرة وفي كتمانه الضلالة والعذاب فلما
اقدموا على اخفاء الحق وكتمانه كانوا بائعين الهدى بالضلالة والمغفرة بالعذاب فما اصبرهم على النار ما الذي صبرهم اي شيء
شجعهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل فهو استفهام بمعنى التوبيخ وقيل انه بمعنى التعجب من حالهم في التباسهم بموجب
النار من غير مبالاة منهم فلما اقدموا على ما يوجب النار مع علمهم بذلك صاروا كالراضين بالعذاب والصابرين عليه فيتعجب من حالهم
بقوله فما اصبرهم على النار ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق يعني ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فكفروا به وانكروه وقيل معناه
فعلنا بهم ذلك لان الله نزل الكتاب بالحق فحرفوه فعلى هذا يكون المراد بالكتاب التوراة وان الذين اختلفوا في الكتاب يعني اختلفوا في معانيه
وتاويله فحرفوها وبدلوها وقيل امنوا ببعض وكفروا ببعض لفي شقاق اي خلاف ومنازعة بعيد يعني عن الحق قوله عز وجل
ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب هو خطاب لاهل الكتاب لان النصارى تصلي قبل المشرق واليهود قبل المغرب بيت
المقدس وزعم كل طائفة منهم ان البر في ذلك فاخبر الله تعالى ان البر ليس فيما زعموا ولكن فيما بينه في هذه الاية وقال ابن عباس
هو خطاب للمؤمنين وذلك ان الرجل كان في ابتداء الاسلام اذا اتى بالشهادتين وصلى الى اي جهة كانت ثم مات على ذلك
وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرائض وحولت القبلة الى الكعبة انزل الله هذه الاية فقال تعالى
ليس البر ان تولوا وجوهكم اي في صلاتكم قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا ذلك ولكن البر يعني ما بينته لكم والبر اسم جامع
لكل الطاعات واعمال الخير المقربة الى الله الموجبة للثواب المؤدية الى الجنة ثم بين خصال البر فقال تعالى من امن بالله واليوم
الاخر اي ولكن البر بر من امن بالله فالمراد بالبر هنا الايمان بالله والتقوى من الله واليوم الاخر وانما ذكر الايمان باليوم الاخر لان عبدة
الاوثان كانوا ينكرون البعث بعد الموت والملائكة اي ومن البر الايمان بالملائكة كلهم لان اليهود قالوا ان جبريل عدونا والكتاب
قيل اراد به القرآن وقيل جميع الكتب المنزلة لسياق ما بعده وهو قوله والنبيين يعني اجمع وانما خص الايمان بهذه الامور الخمسة
لانه يدخل تحت كل واحد منها اشياء كثيرة مما يلزم المؤمن ان يصدق بها واتى المال على حبه يعني من اعمال البر انفاق المال على حبه قيل ان
الضمير راجع الى المال فالتقدير على حب المال اي اعطى المال على حبه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا
رسول الله اي الصدقة اعظم اجرا قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت
لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان قوله حتى اذا بلغت الحلقوم يعني الروح وان لم تتقدم لها ذكر وقوله لفلان كذا
هو كناية عن الموصى له وقوله وقد كان لفلان كناية عن الوارث وقيل الضمير في حبه راجع الى الله اي واتى المال على حب الله وطلب
مرضاته ذوي القربى يعني اهل قرابة المعطي وانما قدمهم لانهم احق بالاعطاء عن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة اخرجه النسائي عن ميمونة انها اعتقت وليدة ولم تستاذن
النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت اشعرت يا رسول الله اني اعتقت وليدتي قال او فعلت قالت
نعم قال اما انك لو اعطيتها اخوالك كان اعظم لاجرك اخرجه البخاري ومسلم واليتامى اليتيم هو الذي لا اب له مع الصغر وقيل يقع
على الصغير والبالغ اي واتى المال اليتامى والمساكين جمع المسكين سمي بذلك لانه دائم السكون الى الناس لانه لا شيء
له وابن السبيل يعني المسافر المنقطع عن اهله سمي المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل لانه انما
وصل اليه من السبيل وهو الطريق والاول اشبه لان ابن السبيل اسم جامع لهما والسائلين يعني الطالبين المستطعمين عن علي بن ابي طالب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسائل حق ولو جاء على فرس اخرجه ابو داود عن زيد بن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطوا السائل ولو
جاء على فرس اخرجه مالك في الموطا عن ام بجيد قالت قلت يا رسول الله ان المسكين ليقوم على بابي فما اجد شيئا اعطيه اياه قال ان لم تجدي الا ظلفا
محرقا فادفعيه اليه في يده اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية مالك في الموطا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ردوا المسكين ولو بظلف محرق قوله ردوا المسكين لم يرد به رد الحرمان وانما اراد به رده بشيء يعطوه اياه ولو كان قليلا وهو ظلف الشاة

وذلك لكونه محرقاً مبالغة في قتله ما يعطي وفي الرقاب يعني المكاتبين وقيل هو فك النسمة وعتق الرقبة وفداء الأسارى
وأقام الصلاة يعني المفروضة في أوقاتها وآتى الزكاة يعني الواجبة والموفون بعهدهم يعني ما أخذه الله من العهود على
عباده بالقيام بحدوده والعمل بطاعته وقيل أراد بالعهد ما يجعله الإنسان على نفسه ابتداء من نذر وغيره وقيل
العهد الذي كان بينه وبين الناس مثل الوفاء بالمواعيد وأداء الأمانات إذا عاهدوا يعني إذا وعدوا أنجزوا وإذا نذروا
وفوا وإذا حلفوا بروا في أيمانهم وإذا قالوا صدقوا في أقوالهم وإذا ائتمنوا أدوا والصابرين في البأساء أي الشدة
والفقر والفاقة والضراء يعني المرض والزمانة وحين البأس يعني القتال والحرب في سبيل الله وسمي الحرب بأساً لما فيه من الشدة
وعن البراء قال كنا والله إذا احمر البأس نتقي به وإن الشجاع منا الذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم قوله احمر البأس
أي اشتدت الحرب ونتقي به أي نجعله وقاية لنا من العدو أولئك الذين صدقوا أي أهل هذه الأوصاف هم الذين صدقوا
في إيمانهم وأولئك هم المتقون قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى نزلت في حيين من أحياء العرب
اقتتلوا في الجاهلية بسبب قتيل فكانت بينهم قتلى وجراحات كثيرة ولم يأخذ بعضهم من بعض حتى جاء الإسلام
وقيل نزلت في الأوس والخزرج وكان لأحد الحيين طول على الآخر في الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهر وأقسموا
ليقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم ضعف جراحات
أولئك فرفعوا أمرهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وأمر بالمساواة فرضوا وسلموا وقيل إنما نزلت هذه الآية لإزالة الأحكام
التي كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن اليهود كانوا يوجبون القتل فقط بلا عفو والنصارى يوجبون بلا اقتصار الدية
في الجاهلية كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون أخذ الدية تارة وكانوا يتعدون في الحكم فإن وقع القتل على شريف قتلوا
عدداً ويأخذون دية الشريف أضعاف دية الخسيس فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم أوجب رعاية العدل وسوى بين
عباده في حكم القصاص فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم أي فرض عليكم القصاص في القتلى فإن قلت كيف يكون القصاص
فرضاً والولي مخير فيه بين العفو والقصاص وأخذ الدية قلت إن القصاص هو فرض على القاتل للولي لا على الولي وقيل إذا أرادوا القصاص
فقد فرض عليكم القصاص والقصاص المساواة والمماثلة في القتل والدية والجراح وأصل القصاص قص الأثر وهو اتباعه فالمفعول به يتبع ما فعل به فيفعل
مثله ثم لو قتل رجل رجلاً بعصا أو خنقه أو شدخ رأسه بحجر فإنه يقتل القاتل بمثل الذي قتل به وهو قول مالك
والشافعي وإحدى الروايتين عن أحمد وقيل يقتل بالسيف وهو قول أبي حنيفة والرواية عن أحمد الحر بالحر والعبد بالعبد
والأنثى بالأنثى يعني أنه إذا تكافأ الدمان من الأحرار المسلمين أو العبيد من المسلمين أو الأحرار من المعاهدين أو العبيد منهم قتل
كل صنف إذا قتل بمثله الذكر بالذكر والأنثى بالأنثى وبالذكر ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولد ويقتل الذمي بالمسلم
والعبد بالحر والولد بالوالد وهذا مذهب مالك والشافعي وأحمد ويدل عليه ما روي البخاري في صحيحه عن أبي جحيفة قال سألت علياً
هل عندكم من النبي صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن وما في هذه
الصحيفة قلت وما في الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مؤمن بكافر وقد أخرج مسلم على نحو هذا من غير رواية أبي جحيفة
العقل هنا هو الدية والعاقلة الجماعة من أولياء القاتل الذين يعقلون عنه عن ابن عباس أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقام الحدود
في المساجد ولا يقتل الوالد بالولد أخرجه الترمذي وذهب أصحاب الرأي إلى أن المسلم يقتل بالذمي وأن الحر يقتل بالعبد وهذه الآية
مع الأحاديث حجة لمذهب [illegible] ومن وافقه ويقولون هي مفسرة لما أبهم في قوله النفس بالنفس وأن تلك إنما
حكاية ما كتب على بني إسرائيل في التوراة وهذه الآية خطاب للمسلمين بما كتب عليهم وذهب أصحاب الرأي إلى أن هذه منسوخة
بقوله النفس بالنفس وتقتل الجماعة بالواحد يدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر أن غلاماً قتل غيلة فقال
عمر لو اشترك فيها أهل صنعاء لقتلتهم قال البخاري وقال مغيرة بن حكيم عن أبيه أن أربعة قتلوا صبياً فقال عمر
مثله وروى مالك في الموطأ عن ابن المسيب أن عمر قتل نفراً خمسة أو سبعة برجل واحد قتلوه قتل غيلة وقال لو تمالأ عليه

أهل صنعا

أهل صنعاء لقتلتهم قال البخاري [illegible] الغيلة أن يقتل الرجل خديعة ومكراً من غير أن يعلم ما يراد به وقوله لو تمالأ عليه أي
تعاونوا واجتمعوا عليه وقوله تعالى فمن عفي له من أخيه شيء أي ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في القتل العمد ورضي
بالدية والعفو هنا قبول الدية في قتل العمد من أخيه أي من دم أخيه وأراد بالأخ ولي المقتول وإنما قيل له أخ لأنه لابسه من قبل
أنه ولي الدم والمطالب به وقيل إنما ذكره بلفظ الأخ ليعطف أحدهما على صاحبه بما هو ثابت بينهما من الجنسية وأخوة
الإسلام وفي قوله شيء دليل على أن بعض الأولياء إذا عفى سقط القود وثبتت الدية لأن شيئاً من الدم قد بطل فاتباع
بالمعروف أي فليتبع الولي القاتل بالمعروف فلا يأخذ أكثر من حقه ولا يعنفه وأداء إليه بإحسان أي على القاتل أداء الدية
إلى ولي الدم من غير مماطلة أمر كل واحد منهما بالإحسان فيما له وعليه وقيل في تقدير الآية إذا عفى ولي الدم عن شيء
يتعلق بالقاتل وهو وجوب القصاص فليتبع القاتل ذلك العفو بمعروف وليؤد ما وجب عليه من الدية إلى ولي الدم بإحسان
من غير مطل ولا مدافعة وفي الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافراً وأن الفاسق مؤمن لقوله يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص
فسماه مؤمناً حال ما وجب عليه القصاص وإنما وجب عليه بعد صدور القتل منه وقتل العمد العدوان من الكبائر بالإجماع
فدل على أن صاحب الكبيرة مؤمن ووجه ذلك من وجوه الأول أن الله تعالى خاطبه بعد القتل بالإيمان وسماه مؤمناً الوجه
الثاني أنه تعالى أثبت الأخوة بين القاتل وولي الدم بقوله فمن عفي له من أخيه شيء وأراد بالأخوة أخوة الإيمان فلولا أن الإيمان
باق على القاتل لم يثبت له الأخوة الوجه الثالث أنه تعالى ندب إلى العفو عن القاتل والعفو لا يليق إلا عن المؤمن لا عن الكافر
وقوله تعالى ذلك تخفيف من ربكم ورحمة يعني الذي ذكر من الحكم بشرع القصاص والعفو عن القصاص وأخذ الدية تخفيف
من ربكم ورحمة يعني خصكم ورحمكم بذلك لأن العفو وأخذ الدية كان حراماً على اليهود وكان القصاص حتماً في التوراة
وكان في شرع النصارى أخذ الدية ولم يكتب عليهم القصاص وقيل كان عليهم العفو دون القصاص وأخذ الدية
فخير الله هذه الأمة بين القصاص والعفو وأخذ الدية توسعة عليهم وتيسيراً وتفضيلاً لهم على غيرهم فمن اعتدى بعد ذلك
يعني بعد هذا التخفيف فقتل الجاني بعد العفو وقبول الدية فله عذاب أليم وهو أن يقتل قصاصاً ولا يقبل منه دية
ولا يعفى عنه وقيل المراد بالعذاب الأليم عذاب الآخرة قوله تعالى ولكم في القصاص حياة أي بقاء وذلك أن القاصد
للقتل إذا علم أنه إذا قتل قتل ترك القتل وامتنع عنه فيكون فيه بقاؤه وبقاء من هم بقتله وقيل إن نفس القصاص
سبب للحياة وذلك أن القاتل إذا اقتص منه ارتدع غيره ممن كان هم بالقتل واعلم أن هذا الحكم ليس مختصاً بالقصاص
الذي هو القتل بل يدخل فيه الجراح والشجاج وغير ذلك لأن الجارح إذا علم أنه إذا جرح جرح مثله فيصير ذلك
سبباً لبقاء الجارح والمجروح وربما أفضت الجراحة إلى الموت فيقتص من الجارح وقيل في معنى الآية الحياة سلامة
من قصاص الآخرة فإنه إذا اقتص منه في الدنيا لم يقتص منه في الآخرة وذلك حياة وإذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص
منه في الآخرة يا أولي الألباب يا ذوي العقول الذين يعرفون الصواب لأن العاقل إذا تدبر ما تلي بعقله عرف
لعلكم تتقون يعني لعلكم تتقون القتل خوف القصاص قوله عز وجل كتب عليكم أي فرض ووجب عليكم إذا حضر
أحدكم الموت أي قرب ودنا منه وظهرت أماراته عليه من العلل والأمراض المخوفة وليس المراد منه معاينة الموت لأن
في ذلك الوقت يعجز عن الإيصاء إن ترك خيراً يعني مالاً وقيل يطلق على القليل والكثير وهو قول الزهري فتجب
الوصية في الكل وقيل إن لفظ الخير لا يطلق إلا على المال الكثير وهو قول الأكثرين واختلفوا في مقدار الكثير الذي
تقع فيه الوصية فقيل ألف درهم فما أعلى وقيل سبعمائة فما فوقها وقيل ستون ديناراً فما فوقها وقيل إنه
من [illegible] إلى ألف وقيل إنه المال الكثير الفاضل عن العيال روي أن رجلاً قال لعائشة إني أريد أن أوصي فقالت
كم مالك قال ثلاثة آلاف درهم قالت كم عيالك قال أربعة قالت إنما قال الله إن ترك خيراً وهذا شيء يسير فاتركه لعيالك الوصية
أي الإيصاء والوصية التقدم إلى الغير بما يعمل به وقيل هي القول المبين لما يستحق من العمل والقيام به بعد الموت

للوالدين والاقربين كانت الوصية في ابتداء الاسلام فريضة للوالدين والاقربين على من مات وله مال وسبب ذلك ان اهل الجاهلية
كانوا يوصون للاباعدين طلبا للفخر والشرف والرياء ويتركون الاقربين فقراء فاوجب الله تعالى الوصية للاقربين على من مات وله
مال وسبب ذلك ان اهل الجاهلية كانوا يوصون للاباعدين طلبا للفخر والشرف ثم نسخت هذه الاية باية المواريث وبما روي عن عمرو
ابن خارجة قال كنت آخذا بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فسمعته يقول ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث اخرجه
النسائي والترمذي بمعناه وذهب ابن عباس الى ان وجوبها صار منسوخا في حق من يرث وبقي وجوبها في حق من لا يرث من الوالدين
والاقربين وهو قول الحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار وحجة هؤلاء ان الاية على وجوب الوصية للوالدين
والاقربين ثم نسخ ذلك الوجوب في حق من يرث باية الميراث وبالحديث المتقدم فوجب ان يبقى الاية دالة على وجوب الوصية
للقريب الذي لا يرث فعلى قول هؤلاء النسخ يتناول بعض احكام الآية وذهب الاكثرون من المفسرين والعلماء وفقهاء
الحجاز والعراق الى ان وجوبها صار منسوخا في حق الكافة وهي مستحبة في حق من لا يرث ويدل على استحباب الوصية
والحث عليها ما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء يريد ان يوصي
فيه ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول ما مرت علي ليلة منذ
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا ووصيتي مكتوبة عندي اخرجه الجماعة قوله ما حق امرئ الحق يشتمل معناه على
الواجب والندب والحث فيحمل هنا على الحث في الوصية لانه لا يدري متى يأتيه الموت فربما اتاه بغتة فيمنعه من الوصية وقوله
تعالى بالمعروف اي بالعدل الذي لا وكس فيه ولا شطط فلا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويدع الفقير عن سعد بن ابي وقاص
قال جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت يا رسول الله اني قد بلغ بي من الوجع
ما ترى وانا ذو مال ولا يرثني الا ابنة لي افاتصدق بثلثي مالي قال لا قلت فالشطر يا رسول الله فقال لا قلت فالثلث قال
الثلث والثلث كثير او قال كبير انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس العالة الفقراء وقوله
يتكففون الناس اي يسألون الناس بأكفهم من التكفف المسألة من الناس كانه من الطلب بالالف وعن ابن عباس قال في الوصية لو ان الناس
غضوا من الثلث الى الربع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الثلث والثلث كثير وقال علي بن ابي طالب لان
اوصي بالخمس احب الي من ان اوصي بالربع وان اوصي بالربع احب الي من ان اوصي بالثلث فمن اوصى بالثلث فلم يترك وقيل
يوصي بالسدس او الخمس او الربع حقا اي ثابتا ثبوت ندب لا ثبوت فرض ووجوب على المتقين اي على المؤمنين الذين
يتقون الشرك فمن بدله اي غير الوصية من الاولياء والاوصياء وذلك التغيير يكون اما في الكتابة او في قسمة الحقوق
او الشهود بان يكتموا الشهادة او يغيروها وانما ذكر الكناية في بدله مع ان الوصية مؤنثة لان الوصية بمعنى الايصاء
كقوله فمن جاءه موعظة اي وعظ والتقدير فمن بدل قول الميت او ما اوصى به بعد ما سمعه اي من الموصي وحققه
فانما اثمه على الذين يبدلونه اي ان اثم ذلك التبديل لا يعود الا على المبدل والوصي والموصى له بريان منه ان الله سميع
يعني لما اوصى به الموصي عليم يعني بتبديل المبدل فمن خاف اي علم وهو خطاب عام لجميع المسلمين من موص جنفا اي جورا
في الوصية وعدولا عن الحق والجنف الميل او اثما فاصلح بينهم وقيل الجنف الخطأ في الوصية والاثم العمد وقيل
في معنى الاية انه حضر رجل مريضا وهو يوصي فرآه يميل في وصيته اما بتقصير او اسراف او وضع الوصية في غير موضعها
فلا حرج على من حضره ان يعظه او الى امور المسلمين ان يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم ويرد الوصية الى العدل
والحق فلا اثم عليه اي فلا حرج عليه في الصلح ان الله غفور رحيم اي لمن اصلح وصيته بعد الجنف والميل عن
ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما
الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ ابو هريرة من بعد وصية يوصى بها او دين الى قوله ذلك الفوز العظيم
اخرجه ابو داود والترمذي بقوله فيضاران المضارة الايصال ومعنى المضارة في الوصية ان لا تمضي او ينقص بعضها او يوصي

بغير

بلغ

من ذكر الجماع ودواعيه فنزله فلا رفث يحتمل ان يكون نفيا عن تعاطي الجماع وان يكون نهيا عن الحديث في ذلك لانه من دواعيه
وقيل الرفث هو الفحش والخنا والقول القبيح وقيل الرفث اللغو من الكلام ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم احدكم فلا
يرفث يومئذ ولا يصخب ولا فسوق اصله الخروج عن الطاعة قال ابن عباس هو المعاصي كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير
وقتادة والزهري والربيع والقرظي وقال ابن عمر هو ما نهي عنه المحرم في حال الاحرام من قتل الصيد وتقليم الاظفار واخذ الشعر وما اشبه ذلك
وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج فلم يرفث ولم
يفسق رجع كيوم ولدته امه ولا جدال في الحج قال ابن عباس الجدال المراء وهو ان يماري الرجل صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه وقيل
هو قول الرجل الحج اليوم ويقول الآخر الحج غدا وقيل هو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع وقد احرموا بالحج اجعلوا
اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدي فقالوا كيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج فكان هذا جدالهم وقيل هو ما كان عليه اهل
الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بالمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي الحجة وبعضهم في ذي القعدة وكل يقول الصواب فيما فعلته
فانزل الله ولا جدال في الحج واخبر ان امر الحج قد استقر على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا اختلاف فيه بعده وذلك معنى قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض وقيل معناه ولا شك في الحج انه في ذي الحجة فابطل النسيء
وقيل ظاهر الآية خبر ومعناه نهي اي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحج وانما نهى عن ذلك في الحج وان كان اجتناب
ذلك في كل الاحوال والازمان واجبا لان الرفث والفسوق والجدال في الحج اسمج واقطع منه في غيره وما تفعلوا من خير يعلمه الله اي
لا يخفى عليه شيء من اعمالكم وهو الذي يجازيكم عليها حث الله على فعل الخير عقيب النهي عن الشر وهو ان يستعملوا مكان الرفث
الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة وقيل جعل فعل الخير عبارة عن
ضبط الانفس عن الشر حتى لا يوجد منهم ما هو منهي عنه وقيل انما ذكر الخير وان كان عالما بجميع افعال العباد من الخير والشر لفائدة
وهي انه تعالى اذا علم من العبد الخير ذكره واشهره واذا علم منه الشر ستره واخفاه فاذا كان هذا فعله مع عبده في
الدنيا فكيف يكون في العقبى وهو ارحم الراحمين واكرم الاكرمين وتزودوا فان خير الزاد التقوى نزلت في ناس من
اهل اليمن كانوا يخرجوا الى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج بيت ربنا افلا يطعمنا فاذا قدموا
مكة سألوا الناس وربما افضى بهم الحال الى النهب والغصب فانزل الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي ما
تتبلغون به وتكفون به وجوهكم عن الناس واتقوا ابرامهم والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى وقيل في
معنى الآية وتزودوا من التقوى فان الانسان لا بد له من سفر في الدنيا ولا بد فيه من زاد ايضا وهو تقوى
الله والعمل بطاعته وهذا الزاد افضل من الزاد الاول فان زاد الدنيا يوصل الى مراد النفس وشهواتها وزاد الآخرة يوصل
الى النعيم المقيم في الآخرة وفي هذا المعنى قال الاعشى اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من
قد تزودا ندمت على ان لا تكون كمثله وانك لم ترصد كما كان ارصدا واتقون اي وخافوا عقابي وقيل
معناه واشتغلوا بتقواي وفيه تنبيه على كمال عظمة الله جل جلاله يا اولي الالباب اي يا ذوي العقول
الذين يعلمون حقائق الامور قوله عز وجل ليس عليكم جناح اي حرج ان تبتغوا فضلا من ربكم يعني رزقا ونفعا
وهو الربح في التجارة عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا في الجاهلية فلما كان الاسلام
فكأنهم تأثموا ان يتجروا في المواسم فنزلت ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج وقرأها ابن عباس
هكذا وفي رواية ان تبتغوا في مواسم الحج فضلا من ربكم عكاظ سوق معروفة تقرب مكة ومجنة بفتح الميم وكسرها
سوق تقرب مكة ايضا قال الازرقي هي باسفل مكة على بريد منها وذو المجاز سوق عند عرفة كانت العرب في
الجاهلية يتجرون في هذه الاسواق ولها مواسم فكانوا يقيمون بعكاظ عشرين يوما من ذي القعدة ثم ينتقلون الى مجنة
فيقيمون بها ثمانية عشر يوما عشرة ايام من آخر ذي القعدة وثمانية ايام من اول ذي الحجة ثم يخرجون الى عرفة

ويحتاج فيه الى الطعام والشراب
والمركب ويتقى من الدنيا الى الآخرة
ولا بد فيه من زاد

في يوم التروية وقال الداودي لحنه عند عرفة وعن ابي امامة التيمي قال كنت رجلا اكري في هذا الوجه وان ناسا يقولون انه
ليس لك حج فلقيت ابن عمر فقلت يا ابا عبد الرحمن اني رجل اكري في هذا الوجه وان ناسا يقولون انه ليس لك حج فقال ابن عمر
اليس تحرم وتلبي وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات وترمي الجمار قلت بلى قال فان لك حجا جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسأله عن مثل ما سألتني عنه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه حتى نزلت هذه الاية ليس عليكم جناح ان
تبتغوا فضلا من ربكم فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليه وقال لك حج اخرجه ابو داود وقال بعض العلماء
ان التجارة ان اوقعت نقصا في اعمال الحج لم تكن مباحة وان لم توقع نقصا فيه كانت التجارة من المباحات التي
الاولى تركها لتجريد العبادة عن غيرها لان الحج بدون التجارة اكمل وافضل وقوله تعالى فاذا افضتم اي دفعتم
والافاضة دفع بكثرة من عرفات جمع عرفة سميت بذلك وانه كانت بقعة واحدة كانه كل موضع من تلك المواضع عرفة فسمي
مجموع تلك المواضع عرفات وقيل ان اسم الموضع عرفات واسم اليوم عرفة قال عطا كان جبريل يري ابرهيم المناسك
ويقول له عرفت فيقول عرفت فسمي ذلك المكان عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك ان آدم لما اهبط وقع
بالهند وحوا بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات في يوم عرفة فتعارفا فسمي اليوم عرفة والموضع
عرفات وقال السدي ان ابرهيم لما اذن في الناس بالحج واجابوه بالتلبية واتى مكة امره الله ان يخرج
الى عرفات ونعتها له فخرج فلما بلغ الشجرة استقبله الشيطان يرده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة
فطار فوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فطار فلما راى الشيطان انه لا يطيعه
ذهب فانطلق ابرهيم حتى اتى ذا المجاز فنظر اليه فلم يعرفه فجاز فسمي ذا المجاز ثم انطلق ابرهيم حتى وقف بعرفات
فعرفها بالنعت فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات حتى اذا امسى ازدلف الى جمع فسمي ذلك الموضع المزدلفة وفي رواية
عن ابن عباس ان ابرهيم رأى ليلة التروية في منامه انه يؤمر بذبح ابنه فلما اصبح تروى يومه اجمع اي تفكر هل هذه
الرؤيا من الله ام من الشيطان فسمي يوم التروية ثم رأى ذلك ليلة عرفة ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله فسمي اليوم
عرفة وقيل سمي بذلك لان الناس يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم وقيل سمي يوم عرفة من العرف وهو الطيب
وسمي منى لما يمنى فيها من الدماء اي تصب فيكون فيه الفروث والدماء فلا يكون الموضع طيبا وعرفات
طاهر عن مثل هذا فتكون طيبة واعلم ان الوقوف بعرفة ركن من اركان الحج ولا يتم الحج الا به ومن فاته الوقوف
في وقته فقد فاته الحج ويدخل وقت الوقوف بعرفة بزوال الشمس من يوم عرفة ويمتد الى طلوع الفجر الثاني من
يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة فمن وقف بعرفات في هذا الوقت ولو لحظة واحدة من ليل او نهار فقد
حصل له الوقوف وتم حجه وقال احمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوع الفجر من يوم النحر ووقت
الافاضة من عرفات من بعد غروب الشمس فاذا غربت الشمس دفع من عرفات واخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين
العشاء بمزدلفة عن اسامة بن زيد قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضأ
ولم يسبغ الوضوء فقلت الصلاة يا رسول الله فقال الصلاة امامك فركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فاسبغ الوضوء ثم
اقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم اناخ كل انسان بعيره في منزله ثم اقيمت العشاء فصلى ولم يصل بينهما شيئا وقوله
فاذكروا الله عند المشعر الحرام سمي مشعرا من الشعار وهي العلامة لانه من معالم الحج واصل الحرام المنع فهو ممنوع
من ان يفعل فيه ما لم يؤذن فيه والمشعر الحرام هو ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر ثم ليس من المشعر
الحرام وقيل المشعر الحرام هو المزدلفة وسماه الله بذلك لان الصلاة والمبيت به والدعاء عنده من معالم الحج وقيل المشعر
الحرام هو قزح وهو قبر اخر المزدلفة والاول اصح وسميت المزدلفة من الازدلاف وهو الاقتراب لانها منزل من الله وقربة
وقيل لنزول الناس بها في زلف الليل وقيل لاجتماع الناس بها وتسمى المزدلفة جمعا لانه يجمع فيها بين المغرب والعشاء

ليس المازمان ولا وادي محسر

قيل المراد بالذكر عند المشعر الحرام هو الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء هناك ويدل عليه ان قوله واذكروا الله امر وهو للوجوب
ولا يجب هناك الا الصلاة والذي عليه جمهور العلماء ان المراد بالذكر هو الدعاء والتلبية والتسبيح والتحميد والتهليل
والتكبير عن ابن عباس ان اسامة بن زيد كان ردف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم اردف الفضل من
المزدلفة الى منى فكلاهما قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة عن جابر قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى اتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء باذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى
الفجر حين تبين له الصبح باذان واقامة ثم ركب القصواء حتى اتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده
ولم يزل واقفا حتى اسفر جدا ودفع قبل ان تطلع الشمس هذا الحديث ذكره البغوي بغير سند ولم اجده في الاصول
قال طاوس كان اهل الجاهلية يدفعون من عرفة قبل ان تغيب الشمس ومن المزدلفة بعد طلوعها وكانوا يقولون
اشرق ثبير كيما نغير فنسخ الله تعالى احكام اهل الجاهلية يدفعون من عرفة قبل ان تغيب الشمس ومن
المزدلفة بعد طلوعها وكانوا يقولون اشرق ثبير كيما نغير فنسخ الله تعالى احكام الجاهلية فاخر الافاضة من عرفة الى
بعد غروب الشمس وقدم الافاضة من المزدلفة الى قبل طلوعها وثبير جبل بمكة ومعنى قولهم اشرق ثبير اي ادخل
ايها الجبل في الشروق وهو اول نور الشمس وقولهم كيما نغير اي ندفع للنحر وقال الاغارة الاسراع ودفع في عدو وعن
عمرو بن ميمون قال قال عمر كان اهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس وكانوا يقولون اشرق ثبير فخالفهم
النبي صلى الله عليه وسلم فافاض قبل طلوع الشمس قوله تعالى واذكروه كما هداكم اي واذكروه بالتوحيد والتعظيم
كما ذكركم بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حجه وان كنتم من قبله لمن الضالين اي لا تعرفون كيف تذكرونه
وتعبدونه والهاء في من قبله راجعة الى الهدى وقيل الى الرسول اي من قبل ارسال الرسول لمن الضالين
وهو كناية عن غير مذكور وقيل يرجع الى القرآن والمعنى واذكروه كما هداكم بكتابه الذي انزله عليكم وان كنتم من قبل
انزاله لمن الضالين قوله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس
وفي المخاطبين بهذا قولان احدهما انه خطاب لقريش قال اهل التفسير كانت قريش ومن دان بدينها وهم الحمس
يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه ويتعاظمون ان يقفوا مع
ساير الناس بعرفات وكان ساير الناس يقفون بعرفات فاذا افاض الناس من عرفات افاض الحمس من
المزدلفة فامرهم الله ان يقفوا بعرفات مع ساير الناس ثم يفيضوا منها الى جمع واخبرهم انه سنة ابرهيم واسمعيل
عليهم السلام ق عن عائشة قالت كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكان
ساير العرب يقفون بعرفة فلما جاء الاسلام امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياتي عرفات فيقف بها ثم يفيض منها
فذلك قوله ثم افيضوا من حيث افاض الناس قولها كانوا يسمون الحمس هو جمع احمس واصله من الشدة والشيء عنه
وانما سميت قريش وكنانة حمسا لتشددهم في دينهم فعلى هذا القول الناس هنا هم جميع العرب سوى الحمس
والقول الثاني انه خطاب لساير المسلمين امرهم الله ان يفيضوا من حيث افاض ابرهيم وهو المراد بقوله من حيث افاض الناس
وقيل الناس هنا آدم وحده يدل له قراءة سعيد بن جبير ثم افيضوا من حيث افاض الناسي بالياء وهو آدم
عهد الله فنسي ووجه هذا ان الوقوف بعرفات والافاضة منها شرع قديم وما سواه مبتدع محدث وقيل المراد
من هذه الاية الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس ووجه هذا القول ان الافاضة من عرفات قد تقدم
ذكرها في قوله فاذا افضتم من عرفات ثم قال بعد ذلك ثم افيضوا من حيث افاض الناس فدل على ان هذه الافاضة من
المزدلفة الى منى لكن القول الاول هو الاصح الذي عليه جمهور المفسرين فان قلت على القول الاول الذي عليه قول جمهور
المفسرين اشكال وهو ان ظاهر الكلام لا يقتضي ذلك لان قوله فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله والافاضة من عرفات

قبل الافاضة من جمع لكنه قال ثم افيضوا من حيث افاض الناس فكانه قال فاذا افضتم من عرفات فافيضوا من عرفات
وذلك غير جائز وقيل حيث عن هذا الاشكال بان فيه تقديما وتاخيرا تقديره ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا
الله ان الله غفور رحيم ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله فعلى هذا التقدير
يكون هذه الافاضة تلك الافاضة بعينها وقيل ان ثم في قوله ثم افيضوا بمعنى الواو اي وافيضوا كقوله ثم كان من الذين امنوا والاكام
الوقف ق عن هشام بن عروة عن ابيه قال سئل اسامة بن زيد وانا جالس كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في حجة الوداع
قال كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق العنق نوع من السير سريع وهو اشد
من المشي والفجوة الفرجة وهي المتسع من الارض والنص السير السريع حتى يستخرج من الناقة اقصى وسعها خ عن ابن عباس انه السير
دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وراءه زجرا شديدا وضربا للابل فاشار بسوطه اليهم
وقال يا ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع والايضاع السير السريع الشديد وقوله تعالى واستغفروا
الله اي من مخالفتكم في الموقف وجميع ذنوبكم ان الله غفور رحيم يعني ان الله هو الساتر لذنوب عباده برحمته والغفور يفيد المبالغة في الغفر
وكذا الرحيم وفيه دليل على ان الله تعالى يقبل التوبة من عباده الناس يغفر لهم لانه تعالى امر المومنين بالاستغفار ثم وصف نفسه تعالى بانه كثير الغفر
كثير الرحمة فدل ذلك على انه تعالى يغفر للمستغفرين ويرحم المومنين منه وكرمه قوله عز وجل فاذا قضيتم مناسككم اي فرغتم من حجكم
وعبادتكم وذبحتم نسائككم اي ذبائحكم وذلك بعد رمي جمرة العقبة والاستقرار بمنى فاذكروا الله يعني بالتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير
والثناء عليه كذكركم اباءكم وذلك ان اهل الجاهلية كانت العرب اذا فرغوا من حجهم وقفوا بمنى بين المسجد وبين الجبل وقيل عند
البيت يذكرون مفاخر ابائهم ومآثرهم وفضائلهم ومحاسنهم ومناقبهم يقول احدهم كان ابي كبير الجفنة رحب الفناء
يقري الضيف وكان كذا وكذا يعدون مفاخرهم ومناقبهم وينشدون في ذلك الاشعار ويتكلمون بالمنثور والمنظوم
من الكلام الفصيح وغرضهم بذلك الشهرة والسمعة والرفعة بذكر مناقب سلفهم واباءهم فلما من الله عليهم بالاسلام
امرهم ان يكون ذكرهم لله لا لابائهم وقال اذكروني فانا الذي فعلت ذلك بكم وباباكم واحسنت اليكم واليهم وقال ابن عباس معناه
فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الاباء وذلك ان الصبي اول ما يفصح بالكلام يقول ابه امه لا يعرف غير ذلك فامرهم ان
يذكروه كذكر الصبيان الصغار الاباء فهو المستحق للذكر والحمد مطلقا وسئل ابن عباس عن هذه الاية وقيل
له قد ياتي على الرجل اليوم لا يذكر اباه قال ليس كذلك ولكن ان تغضب لله عز وجل اذا عصي اشد من غضبك لوالدك
اذا شتما ف من الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا يعني ان المشركين كانوا يسالون الله تعالى في حجهم الدنيا ونعيمها
وكانوا يقولون اللهم اعطنا غنما واجعلها ابلا وبقرا وعبيدا واماء وكان احدهم يقوم فيقول اللهم ان ابي كان عظيم القبة
كبير الجفنة كثير المال فاعطني مثل ما اعطيته قال قتادة هذا عبد نيته الدنيا لها انفق ولها عمل ونصب خ
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ان اعطي رضي وان لم يعط سخط
تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش قوله تعس عبد الدينار هذا دعاء عليه بالهلاك وهو الوقوع على الوجه
من العثار والخميصة ثوب من خز او صوف معلم قوله وانتكس هذا دعاء عليه ايضا لان من انتكس على راسه
او قفاه فقد خاب وخسر قوله واذا شيك هذا فعل ما لم يسم فاعله معناه شاكته الشوكة اذا دخلت في جسمه
والانتقاش اخراج الشوكة من الجسم وانما كان سوال المشركين للدنيا ولم يطلبوا التوبة والمغفرة ونعيم الاخرة لانهم كانوا
ينكرون البعث ف وما له في الاخرة من خلاق اي ما له في الاخرة من حظ ولا نصيب ف ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا
حسنة وفي الاخرة حسنة يعني المومنين واعلم ان الله تعالى قسم الداعين فريقين فريقا اقتصروا في الدعاء على طلب الدنيا
وهم الكفار لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والاخرة والفريق الثاني وهم المومنون الذين جمعوا في الدعاء بين طلب
الدنيا والاخرة وذلك ان الانسان خلق ضعيفا محتاجا لا طاقة له بالام الدنيا ومتاعبها فالاولى ان تستعيذ

بالله من شرها والامها لانه لو اضطرب على الانسان عرق من عروقه لتشوش عليه حياته في الدنيا وتعطل عن الاشتغال
بطاعة الله تعالى فثبت بذلك ان طلب الدنيا في الدعاء من امر الدين فلذلك قال تعالى اخبارا عن المومنين ومنهم من يقول ربنا
اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة فقيل ان الحسنة في الدنيا عبارة عن الصحة والامن والكفاية والتوفيق الى الخير والنصر على
الاعداء والولد الصالح والزوجة الصالحة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها
المراة الصالحة وقيل الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة وقيل الحسنة في الدنيا الرزق الحلال والعمل
الصالح وفي الاخرة المغفرة والثواب وقيل من اتاه الله الاسلام والقران واهلا ومالا فقد اوتي في الدنيا حسنة وفي الاخرة
حسنة وقيل عذاب النار في الدنيا حسنة يعني عافية وفي الاخرة عافية م عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عاد رجلا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعو الله بشيء او تساله
اياه قال نعم كنت اقول اللهم ما كنت معاقبي به في الاخرة فعجله لي في الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله
لا تطيقه ولا تستطيعه افلا قلت اللهم اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار قال
فدعا الله به فشفاه ق عن انس بن مالك قال كان اكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اتنا في الدنيا حسنة
وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار عن عبد الله بن السائب قال سمعت رسول الله يقول بين الركنين ربنا
اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار اخرجه ابو داود ف اولئك اشارة الى المومنين
الداعين بالحسنتين ووجه هذا القول ان الله ذكر حكم الفريق الكافر فقال وما له في الاخرة من خلاق
وقيل يرجع الى الفريقين جميعا اي لكل فريق من هولاء نصيب اي حظ ف مما كسبوا يعني من الخير والدعاء بالثواب
والجزاء على الدعاء بالدنيا من جنس ما كسب ودعاه والله سريع الحساب ذكروا في معنى الحساب ان الله تعالى
يعلم العباد ما لهم وعليهم يعني ان الله تعالى يخلق العلوم الضرورية في قلوبهم بمقادير اعمالهم وكيفياتها وبمقادير
ما لهم من الثواب وعليهم من العقاب وقيل ان المحاسبة عبارة عن المجازاة ويدل عليه قوله تعالى وكاين
من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وقيل ان الله تعالى يكلم عباده يوم
القيامة ويعرفهم احوال اعمالهم وما لهم من الثواب والعقاب وقيل انه تعالى اذا حاسب عباده فحسابه سريع
لانه تعالى لا يحتاج الى عقد يد ولا روية وفكر ووصف نفسه تعالى بسرعة الحساب مع كثرة الخلائق وكثرة اعمالهم
ليدل بذلك على كمال قدرته لانه تعالى لا يشغله شان عن شان ولا يحتاج الى الة ولا مادة ولا مساعد فلا جرم
كان قادرا على ان يحاسب جميع الخلائق في اقل من لمحة البصر وروي انه تعالى يحاسب الخلائق في قدر
حلب شاة او ناقة وقيل في معنى كونه تعالى سريع الحساب اي سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وذلك
انه تعالى يساله السائلون في الوقت الواحد كل واحد منهم اشياء مختلفة من امور الدنيا والاخرة فيعطي
كل واحد مطلوبه من غير ان يشتبه عليه شيء من ذلك لانه تعالى عالم بجميع احوال عباده واعمالهم وقيل
في معنى الاية ان اتيان القيامة قريب لان كل ما هو ات قريب لا محالة وفيه اشارة الى المبادرة
بالدعاء والذكر وسائر الطاعات وطلب الاخرة قوله تعالى واذكروا الله يعني بالتوحيد والتعظيم والتكبير في
ادبار الصلوات وعند رمي الجمرات وذلك انه يكبر مع كل حصاة ف في ايام معدودات يعني اياما معدودات
يعني ايام التشريق وهي ايام منى ورمي الجمار سميت معدودات لقلتهن وهي ثلاثة ايام بعد يوم النحر واولها يوم
الحادي عشر من ذي الحجة وهو قول ابن عمر وابن عباس والحسن وعطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب الشافعي
وقيل ان الايام المعدودات يوم النحر ويومان بعده وهو قول علي بن ابي طالب وروي عن ابن عمر ايضا
وهو مذهب ابي حنيفة م عن نبيشة الهذلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام التشريق ايام اكل وشرب

وذكر الله ومن الذكر في هذه الايام التكبير (خ) عن ابن عمر كان يكبر بمنى تلك الايام وخلف الصلوات وعلى فراشه وفي فسطاطه
وفي مجلسه وفي ممشاه في تلك الايام جميعا وفي رواية انه كان يكبر في قبته فيسمعه اهل المسجد فيكبرون ويكبر اهل
الاسواق حتى ترتج منى تكبيرا اخرجه البخاري بغير اسناد اجمع العلماء على ان المراد بهذا هو التكبير عند رمي الجمار وهو
ان يكبر مع كل حصاة يرمي بها في جميع ايام التشريق واجمعوا ايضا على ان التكبير في عيد الاضحى وفي هذه الايام
في ادبار الصلوات سنة واختلفوا في وقت التكبير فقيل يبتدئ به من صلاة الظهر يوم النحر الى صلاة الصبح
من اخر ايام التشريق فيكون التكبير على هذا القول في خمسة عشر صلاة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال
الشافعي في اصح اقواله قال الشافعي لان الناس فيه تبع للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت هو التلبية ويأخذون في التكبير
يوم النحر من صلاة الظهر وقيل انه يبتدئ به من صلاة المغرب ليلة النحر ويختم بصلاة الصبح من اخر ايام التشريق
وهو القول الثاني للشافعي فيكون التكبير على هذا القول في ثمانية عشر صلاة والقول الثالث للشافعي انه يبتدئ
بالتكبير من صلاة الصبح يوم عرفة ويختم به من صلاة العصر من اخر ايام التشريق فيكون التكبير على هذا القول في ثلاث
وعشرين صلاة وهو قول علي بن ابي طالب ومكحول وبه قال ابو يوسف ومحمد وقال ابن مسعود يبتدئ به من صبح
يوم عرفة ويختم بصلاة العصر من يوم النحر فعلى هذا القول يكون التكبير في ثمان صلوات وبه قال ابو حنيفة وقال احمد بن
حنبل ان كان محلا كبر عقيب ثلاث وعشرين صلاة اولها صلاة الصبح من يوم عرفة واخرها صلاة من اخر ايام التشريق وان كان محرما
كبر عقيب سبع عشرة صلاة اولها الظهر من يوم النحر واخرها عصر اخر ايام التشريق ولفظ التكبير عند الشافعي ثلاثا
نسقا الله اكبر الله اكبر الله اكبر وهو قول سعيد بن جبير والحسن وهو قول اهل المدينة قال الشافعي وما زاد من ذكر فحسن ويروى عن ابن مسعود انه
كبر مرتين فيقول الله اكبر الله اكبر وهو قول اهل العراق وقوله تعالى فمن تعجل في يومين اي فمن تعجل النفر الاول وهو في الثاني من ايام
التشريق فلا اثم عليه اي فلا حرج عليه وذلك انه يجب على الحاج المبيت بمنى الليلة الاولى والثانية من ليالي ايام التشريق ويرمي
كل يوم بعد الزوال احدى وعشرين حصاة يرمي عند كل جمرة سبع حصيات ثم من رمى في اليوم الثاني واراد ان ينفر ويدع
البيتوتة الليلة الثالثة ورمي يومها فذلك واسع له لقوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه يعني فلا اثم على من تعجل فنفر في
اليوم الثاني في تعجيله ومن تأخر فلا اثم عليه يعني ومن تأخر عن النفر الثاني وهو اليوم الثالث من ايام التشريق فلا اثم في تأخره
واعلم انه انما يجوز التعجيل لمن نفر بعد الزوال من اليوم الثاني من ايام التشريق وقبل غروب الشمس من ذلك اليوم فان غربت
عليه الشمس وهو بمنى لزمه المبيت بها لرمي اليوم الثالث هذا مذهب الشافعي واكثر الفقهاء وقال ابو حنيفة يجوز له ان ينفر
ما لم يطلع الفجر لانه لم يدخل وقت الرمي بعد ورخص لرعاء الابل واهل سقاية الحاج ترك المبيت بمنى ليالي منى فان قلت قوله
ومن تأخر فلا اثم عليه فيه اشكال وهو ان الذي اتى بافعال الحج كاملة تامة فقد اتى بما يلزمه فما معنى قوله فلا اثم عليه انما يخاف
من الاثم من قصر فيما يلزمه قلت فيه اجوبة احدها انه تعالى لما اذن في التعجيل على سبيل الرخصة
احتمل ان يخطر ببال قوم ان من لم يجر على موجب هذه الرخصة فانه يأثم فازال الله تعالى هذه الشبهة وبين انه لا اثم عليه
في الامرين فان شاء عجل وان شاء اخر الجواب الثاني ان من الناس من كان يتعجل ومنهم من كان يتأخر وكل
فريق يصوب فعله على فعل الفريق الاخر فبين الله تعالى ان كل واحد من الفريقين مصيب في فعله وانه لا اثم عليه
الجواب الثالث انما قال ومن تأخر فلا اثم عليه لمشاكلة اللفظة الاولى فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها
ومعلوم ان جزاء السيئة ليس بسيئة الجواب الرابع ان فيه دلالة على جواز الامرين فكأنه تعالى قال فتعجلوا
او تأخروا فلا اثم في التعجيل ولا في التأخير لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم للحاج المتقي وقيل لمن اتقى
ان يصيب في حجه شيئا مما نهاه الله عنه من قتل صيد وغيره مما هو محظور في الحج وقيل معناه انه ذهب اثمه
ان اتقى فيما بقي من عمره وذلك ان الحاج يرجع مغفورا له بشرط ان لا يرتكب ما نهي عنه فما جرى عنها وهو قوله

واتقوا الله اي في التعجيل والتأخير بعد اتيانكم بفعل الواجبات وترك المحظورات واعلموا انكم اليه تحشرون اي فيجزيكم باعمالكم
وفيه حث على التقوى قوله عز وجل ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه ابي وسمي
الاخنس لانه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه اشار على بني زهرة بالرجوع يوم بدر
وقال لهم ان محمدا ابن اختكم فان يك كاذبا كفاكموه الناس وان يك صادقا كنتم اسعد الناس به قالوا نعم ما رأيت قال اني ساخنس
بكم فاتبعوني فخنس فسمي الاخنس بذلك وكان الاخنس حلو الكلام حلو المنظر وكان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجالسه
ويظهر الاسلام ويقول اني لاحبك ويحلف بالله على ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدني مجلسه وكان الاخنس
منافقا فانزل الله فيه ومن الناس من يعجبك قوله اي يروقك قوله وتستحسنه ويعظم في قلبك في الحياة الدنيا يعني ان حلاوة كلامه
فيما يتعلق بامر الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه يعني قوله والله اني بك مؤمن ولك محب وهو الد الخصام اي شديد الجدال في الباطل
وقيل هو كاذب القول وقيل هو شديد القسوة في المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة (ق) عن عائشة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم يعني الشديد في الخصومة واذا تولى اي ادبر واعرض عنك لانه
القول وحلاوة المنطق سعى في الارض اي سار ومشى في الارض ليفسد فيها يعني بقطع الارحام وسفك دماء المسلمين
ويهلك الحرث والنسل وذلك ان الاخنس بن شريق كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا فاحرق زروعهم واهلك
مواشيهم وقيل خرج الى الطائف مقتضيا دينا كان له على غريم فاحرق له كدسا وعقر له اتانا وقيل معناه
وقيل معناه اذا تولى اي صار واليا وملك الامر سعى في الارض ليفسد فيها يعني بالظلم والعدوان كما يفعله ولاة
السوء والظلمة وقيل يظهر ظلمه حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل بسبب منع المطر وقيل
ان الاية عامة في حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات والله لا يحب الفساد قال ابن عباس لا يرضى بالمعاصي
واحتجت المعتزلة بهذه الاية على ان المحبة عبارة عن الارادة واجيب عنه بان الارادة معنى غير المحبة فان الانسان قد يريد
شيئا ولا يحبه وذلك بان يتناول الدواء المر ولا يحبه فبان الفرق بين الارادة والمحبة وقيل ان المحبة مدح الشيء
وتعظيمه والارادة بخلاف ذلك واذا قيل له اتق الله اي خف الله في سرك وعلانيتك اخذته العزة بالاثم اي حملته
العزة وحمية الجاهلية على فعل الاثم وقيل بان يعمل الاثم وهو الظلم وترك الالتفات الى الواعظ وعدم الاصغاء اليه
واصل العزة الانفة والتكبر فحسبه جهنم اي كافيه له جهنم جزاء وعذابا وجهنم اسم من اسماء النار التي يعذب
بها الكفار في الاخرة قيل هو اسم اعجمي وقيل عربي سميت النار به لبعد قعرها ولبئس المهاد اي الفراش
والمهاد التوطئة ايضا والمعنى ان العذاب بالنار يجعل الجنة فوقه قال ابن مسعود ان من اكبر الذنوب عند الله تعالى
ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك وروي انه قيل لعمر اتق الله فوضع خده على الارض تواضعا لله تعالى قوله تعالى
ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله قال ابن عباس نزلت هذه الاية في سرية الرجيع وكانت بعد احد (خ)
عن ابي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية عينا وامر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى
اذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا اثارهم حتى
اتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا اثارهم حتى لحقوهم فلما احس بهم
عاصم واصحابه لجأوا الى فدفد فجاء القوم فاحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا ان لا نقتل منكم
رجلا فقال عاصم اما انا فلا انزل في ذمة كافر اللهم اخبر عنا رسولك فقاتلوهم فرموهم حتى قتلوا عاصما في سبعة
نفر بالنبل وبقي خبيب وزيد ورجل اخر فاعطوهم العهد والميثاق فلما اعطوهم العهد والميثاق نزلوا اليهم
فلما استمكنوا منهم حلوا اوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذي معهم هذا اول الغدر فابى ان
يصحبهم فجروه وعالجوه على ان يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيبا

بنو الحرث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر فلبث عندهم اسيرا حتى اذا اجمعوا قتله استعار موسى من
بعض بنات الحرث ليستحد بها فاعارته قالت فغفلت عن صبي لي فدرج اليه حتى اتاه فوضعه على فخذه فلما رايته فزعت فزعة
عرف ذلك مني وفي يده الموسى فقال اتخشين ان اقتله ما كنت لافعل ذلك ان شاء الله وكانت تقول ما رايت اسيرا قط خيرا
من خبيب لقد رايته ياكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وانه لموثق في الحديد وما كان الا رزقا رزقه الله خبيبا فلما
خرجوا به من الحرم ليقتلوه قال دعوني اصلي ركعتين ثم انصرف اليهم فقال لولا ان تروا ان ما بي جزع من الموت لزدت فكان اول
من سن الركعتين عند القتل وقال اللهم احصهم عددا ثم قال فلست ابالي حين اقتل مسلما على اي شق كان لله مصرعي الركعتين عندم
وذلك في ذات الاله وان يشا يبارك على اوصال شلو ممزع ثم قام اليه عقبة بن الحرث فقتله وبعثت قريش الى عاصم ليؤتوا
بشي من جسده بعد موته وكان قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليهم مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم
فلم يقدروا منه على شي زاد في رواية واخبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه يوم اصيبوا خبرهم الفدفد الموضع الذي فيه غلظ وارتفاع
وقوله علي الحول اي ما حول واراد به انه خادعهم ليستتبعهم فابى وقوله ليستحد اي ليحلق العانة والقطف العنقود من العنب وقوله
على اوصال شلو الشلو العضو من اعضاء الانسان والممزع المفرق والظلة الشي الذي يظلل من فوق الانسان والدبر جماعة من
النحل والزنابير وقال اهل التفسير ان كفار قريش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة انا قد اسلمنا فابعث الينا
نفرا من علماء اصحابك يعلموننا دينك وكان ذلك مكرا منهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب بن عدي الانصاري ومرثد بن ابي
مرثد الغنوي وخالد بن بكير وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوي وزيد بن الدثنة وامر عليهم عاصم بن ثابت بن ابي الافلح
الانصاري وذكر نحو حديث البخاري وزاد فيه فقالوا فصلبوا خبيبا حيا فقال اللهم انك تعلم انه ليس لي احد حولي يبلغ
سلامي رسولك فابلغه سلامي فقام اليه ابو سروعة عقبة بن الحرث فقتله وقال كان رجل من المشركين يقال له ابو ميسرة
سلامان معه رمح فوضعه بين ثديي خبيب فقال له خبيب اتق الله فما زاده ذلك الا عتوا فطعنه فانفذه فذلك قوله تعالى
واذا قيل له اتق الله اخذته العزة يعني سلامان واما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن امية ليقتله بابيه امية
ابن خلف فبعثه مع مولى له يسمى نسطاس الى التنعيم ليقتله في الحل واجتمع رهط من قريش فيهم ابو سفيان
ابن حرب فقال له ابو سفيان حين قدم ليقتل انشدك الله يا زيد اتحب ان محمدا عندنا الان مكانك نضرب عنقه وانك في
اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان
ما رايت احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لاصحابه
ايكم يحتمل خبيبا عن خشبته وله الجنة فقال الزبير انا يا رسول الله وصاحبي المقداد بن الاسود فخرجا يمشيان بالليل
ويكمنان بالنهار حتى اتيا التنعيم ليلا فاذا حول الخشبة اربعون من المشركين نشاوى وهم نيام فانزلاه من خشبته
فاذا هو رطب ينثني ولم يتغير منه شي بعد اربعين يوما ويده على جراحته وهي تبض دما اللون لون الدم والريح ريح المسك
فحمله الزبير على فرسه وسارا فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيبا فاخبروا قريشا فركب منهم سبعون فارسا فلما
لحقوهم قذف الزبير خبيبا فابتلعته الارض فسمي بليع الارض وقال الزبير ما جراكم علينا يا معشر قريش ثم رفع العمامة
عن راسه وقال انا الزبير بن العوام وامي صفية بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الاسود اسدان ضاريان يدفعان
عن اشبالهما فان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم وان شئتم انصرفتم فانصرفوا الى مكة وقدم الزبير وصاحبه على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده فقال يا محمد ان الملائكة لتباهي بهذين من اصحابك فنزل في الزبير والمقداد ومن الناس
من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله حين شريا انفسهما لانزال خبيب عن خشبته وقال اكثر المفسرين نزلت في صهيب
ابن سنان الرومي وانما نسب الى الروم لان منازلهم كانت بارض الموصل فاغارت الروم على تلك الناحية فسبته وهو غلام
صغير فنشا بالروم وانما هو من العرب من النمر بن قاسط قال سعيد بن المسيب وعطاء اقبل صهيب مهاجرا

الى النبي صلى

الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ونثل ما كان في كنانته وقال والله لا تصلون
الي او ارمي بكل سهم معي ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي وان شئتم دللتكم على مال دفنته بمكة وخليتم سبيلي قالوا
نعم ففعل فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله الاية فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع ابا يحيى وتلا عليه هذه الاية وقال الحسن اتدرون فيم نزلت هذه الاية نزلت
في المسلم يلقى الكافر فيقول له قل لا اله الا الله فيابى ان يقولها فيقول المسلم والله لاشرين نفسي لله فيتقدم فيقاتل وحده
حتى يقتل وقيل نزلت هذه الاية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ابن عباس اري من يشري نفسه ابتغاء
مرضات الله يقوم فيامر هذا بتقوى الله فاذا لم يقبل واخذته العزة بالاثم قال هذا وانا اشتري نفسي لله فقاتله
وكان علي اذا قرا هذه الاية يقول اقتتلا ورب الكعبة وسمع عمر رجلا يقرا هذه الاية ومن الناس من يشري نفسه
ابتغاء مرضات الله فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل عن ابي سعيد قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب واما تفسير الاية فذكر المفسرون ان المراد بهذا الشرى البيع ومنه قوله وشروه اي باعوه والمعنى ان المسلم
باع نفسه بثواب الله تعالى في الدار الاخرة وهذا البيع هو ان يبذل نفسه في طاعة الله تعالى من صلاة
وصيام وحج وجهاد وامر بمعروف ونهي عن منكر فكان ما يبذله من نفسه كالسلعة فصار كالبائع والله تعالى المشتري
والثمن هو ثواب الله في الاخرة ابتغاء مرضات الله اي طلب رضا الله والله رءوف بالعباد اي من رافته
بعباده ان جعل النعيم الدائم في الجنة جزاء على العمل القليل المنقطع ومن رافته انه يقبل توبة عبده
ومن رافته ان انفس العباد واموالهم له ثم انه يشتري ملكه بملكه فضلا منه ورحمة واحسانا قوله عز وجل يا
ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة نزلت في مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وذلك انهم لما
اسلموا اقاموا على تعظيم موسى فعظموا السبت وكرهوا لحوم الابل والبانها وقالوا ان ترك هذه الاشياء
مباح في الاسلام وواجبة في التورية وقالوا ايضا يا رسول الله ان التورية كتاب الله دعنا فلنقم بها في صلاتنا بالليل
فانزل الله هذه الاية وامرهم ان يدخلوا في السلم اي في شرائع الاسلام ولا يتمسكوا بالتورية فانها منسوخة والمعنى
استسلموا لله واطيعوه فيما امركم به وقيل هو خطاب لمن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمعنى
يا ايها الذين امنوا بموسى وعيسى ادخلوا في السلم اي الاسلام وروي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم حين اتاه
عمر فقال انا نسمع احاديث من يهود تعجبنا فترى ان نكتب بعضها فقال النبي صلى الله عليه وسلم امتهوكون كما تهوكت
اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو ان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي قوله امتهوكون اي متحيرون
انتم في دينكم حتى تاخذوه من اليهود والنصارى وقوله لقد جئتكم بها يعني بالملة الحنيفية بيضاء نقية اي لا
تحتاج الى شي وقيل يحتمل ان يكون خطابا للمنافقين من المؤمنين والمعنى يا ايها الذين امنوا بالسنتهم ادخلوا في
السلم اي في الانقياد والطاعة لان اصل السلم الاستسلام وهو الانقياد كافة اي بجمعكم ولا تتفرقوا وقيل
يحتمل ان ترجع الى الاسلام والمعنى ادخلوا في احكام الاسلام وشرائعه كافة وهذا المعنى اليق بظاهر التفسير لانهم
امروا بالقيام بها كلها قال حذيفة بن اليمان في هذه الاية الاسلام ثمانية اسهم فعد الصلاة والزكاة والصوم
والحج والعمرة والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال وقد خاب من لا سهم له ولا تتبعوا خطوات الشيطان
يعني اثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغير ذلك وقيل لا تلتفتوا الى الشبهات التي يلقيها اليكم
اصحاب الضلالة والغواية والاهواء المضلة لان من اتبع سنة انسان فقد تبع اثره انه لكم عدو مبين يعني الشيطان
فان قلت عداوته بايصال الضرر والقاء الوسوسة فكيف يصح ذلك مع الاعتقاد بان الله هو الفاعل لجميع الاشيا

قلت انه كان اولا ايضا اذا العز والبلاء اليه ولكن الله منعه عن ذلك وانما الوسوسة فمعلوم انه يزين للعاصي
والقاء الشبهات وكل سبب لو فرع الانسان في نهي لعنه الله تعالى فيصده بذلك عن الثواب فهذا من اعظم جهات العداوة
فان قلت كيف وصف الشيطان بانه مبين مع انا لا نراه قلت ان الله تعالى بين عداوته ما هي فكانه مبين وان شاء هو
فان زللتم اي ملتم وضللتم وقال ابن عباس اشركتم من بعد ما جاءتكم البينات اي الدلالات الواضحات فاعلموا ان الله
عزيز اي في نقمته ممن خالفه غالب لا يعجزه شيء حكيم يعني انه لا ينتقم الا بحق والحكيم ذو الاصابة في الامور كلها وفي
الآية وعيد وتهديد لمن في قلبه شك ونفاق او عنده شبهة في الدين قوله تعالى هل ينظرون اي ينتظرون
التاركون للدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان الا ان يأتيهم الله في ظلل جمع ظلة من الغمام يعني
السحاب الابيض الرقيق سمي غماما لانه يغم اي يستر وقيل هو شيء غير السحاب ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم وهو كهيئة
الضباب الابيض والملائكة اي وتأتيهم الملائكة وروى الطبري في تفسيره بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من الغمام طاقات يأتي الله عز وجل فيها محفوفا وذلك قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله
في ظلل من الغمام طاقات يأتي الله عز وجل والملائكة وقضي الامر قال عكرمة والملائكة حوله وقيل معناه حول الغمام وقيل
حول الرب تبارك وتعالى واعلم ان هذه الآية من آيات الصفات وللعلماء في آيات الصفات واحاديث الصفات مذهبان
احدهما وهو مذهب سلف هذه الامة واعلام اهل السنة الايمان والتسليم لما جاء في آيات الصفات واحاديث الصفات
وانه يجب علينا الايمان بظاهرها ونمرها كما جاءت ونكل علمها الى الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم مع الايمان والاعتقاد
بان الله تعالى منزه عن سمات الحدث وعن الحركة والسكون قال الكلبي هذا من الذي لا يفسر وقال سفيان بن عيينة كل
ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عليه ليس لاحد ان يفسره الا الله ورسوله وكان الزهري والاوزاعي
ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه يقولون في هذه الآية وفي امثالها امروها
كما جاءت بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل هذا مذهب اهل السنة ومعتقد سلف الامة وانشد بعضهم في المعنى عقيدتنا
ان ليس مثل صفاته ولا ذاته شيء عقيدة صائب نسلم آيات الصفات بامرها واخبارها للظاهر المتقارب
ونؤيس عنها كنه فهم عقولنا وتأويلنا فعل اللبيب المغالب ونركب للتسليم سفنا فانها لتسليم دين المرء خير المراكب
المذهب الثاني هو قول جمهور المتكلمين وذلك انه اجمع جميع المتكلمين من العقلاء والمعتبرين من اصحاب النظر
انه تعالى منزه عن المجيء والذهاب ويدل على ذلك ان كل ما يصح عليه المجيء والذهاب لا ينفك عن الحركة والسكون وهما
محدثان وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث والله تعالى منزه عن ذلك فيستحيل ذلك في حقه تعالى فثبت بذلك
ان ظاهر الآية ليس مرادا فلا بد من التأويل على سبيل التفصيل فعلى هذا قيل معنى الآية هل ينظرون الا ان يأتيهم
الله بالآيات فيكون مجيء الآيات مجيئا له على سبيل التفخيم لشأن الآيات وقيل معناه الا ان يأتيهم امر الله ويصح
هذا التأويل ان الله تعالى قال في آية اخرى فقال هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي امر ربك فصار هذا المحكم مفسرا
لهذا المجمل في هذه الآية وقيل معناه يأتيهم الله بما وعد من الحساب والعقاب فحذف ما يأتي به تهويلا عليهم
ان لو ذكر ما يأتي به كان اسهل عليهم في باب الوعيد واذا لم يذكر كان ابلغ وقيل يحتمل ان يكون الفاء بمعنى الباء
لان بعض الحروف تقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله بظلل من الغمام والملائكة والمراد العذاب الذي
يأتي من الغمام مع الملائكة وقيل معناه ما ينظرون الا ان يأتيهم قهر الله وعذابه في ظلل من الغمام فان قلت
لم كان اتيان العذاب في الغمام قلت لان الغمام مظنة الرحمة ومنه ينزل المطر فاذا نزل منه العذاب كان اعظم وافظع وقيل
ان نزول الغمام علامة لظهور اهوال القيامة واهوالها وقضي الامر اي وجب العذاب وفرغ من الحساب وذلك فصل الله
القضاء بين العباد يوم القيامة والى الله ترجع الامور اي الى الله تصير امور العباد في الآخرة فان قلت هل كانت ترجع

اليه

اليه قلت ان امور جميع العباد ترجع اليه في الدنيا والآخرة لكن المراد من هذا اعلام الخلق انه المجازي على الاعمال بالثواب
والعقاب وجواب آخر وهو انه لما عبد قوم غيره في الدنيا واضافوا افعاله الى سواه ثم اذا كان يوم القيامة انكشف الغطاء ردوا الى الله
ما اضافوا الى غيره في الدنيا قوله عز وجل سل بني اسرائيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امر ان يسأل اليهود الذين هم بالمدينة
وليس المراد بهذا السؤال العلم بالآيات لانه كان صلى الله عليه وسلم قد علمها باعلام الله اياه ولكن المراد بهذا السؤال التوبيخ
والتقريع والمبالغة والزجر عن الاعراض عن دلائل الله وترك الشكر وقيل المراد بهذا السؤال التقرير وتذكير النعم
التي انعم بها على سلفهم كم آتيناهم من آية بينة اي من دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصا واليد البيضاء
وفلق البحر وانزال المن والسلوى ومن يبدل نعمة الله يعني يغير الآيات التي جاءته من الله لانها هي سبب الهدى والنجاة
من الضلالة وقيل هي حجج الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم انكروها وبدلوها وقيل المراد بنعمة الله
عهده الذي عهد اليهم فلم يفوا به فان الله شديد العقاب يعني لمن بدل نعمة الله قوله عز وجل زين للذين كفروا
الحياة الدنيا نزلت في مشركي العرب ابي جهل واصحابه لانهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم في الدنيا من المال ويكذبون
بالمعاد وقيل نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه وقيل نزلت في رؤساء اليهود ويحتمل انها نزلت
في الكل والمزين هو الله تعالى ويدل عليه قراءة من قرأ زين بفتح الزاي وذلك لاشعار بكون الله تعالى هو المزين لهم بما اظهره في
الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وخلق الاشياء المعجبة والمناظر الحسنة وانما فعل ذلك ابتلاء لعباده
وذلك انه جعل الدنيا دار ابتلاء وامتحان وركب في الطباع الميل الى اللذات وحب الشهوات لا على سبيل الالجاء
بل على سبيل التحبيب الذي تميل النفس اليه مع امكان ردها عنه فنظر الخلق الى الدنيا اكثر من نظرهم فاعجبهم حسنها
وزهوها وزينتها فاحبوها وفتنوا بها وقيل ان المراد من التزيين انه تعالى امهلهم في الدنيا حتى اقبلوا عليها وحرصوا
فكان هذا الامهال هو التزيين وقيل ان المزين هو الشيطان وغواة الجن والانس وذلك انهم زينوا للكفار الحرص
على الدنيا وطلبها وقبحوا لهم امر الآخرة وقالوا هو ان لا آخرة ليقبلوا على لذات الدنيا والحرص عليها وهذا
التأويل ضعيف لان قوله تعالى زين للذين كفروا الحياة يعم جميع الكفار فيدخل فيه الشيطان وغواة الجن والانس
وان لكلهم مزين بدون لهم وهذا المزين لا بد وان يكون مغايرا لهم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة ويسخرون من
الذين آمنوا يعني ان الكفار يستهزئون بفقراء المؤمنين قال ابن عباس مثل عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر
وصهيب وبلال ونظرائهم وقيل كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين يزعم محمد انه يغلب بهم والذين اتقوا يعني الفقراء
من المؤمنين فوقهم اي فوق الكفار يوم القيامة لان الفقراء في عليين والكفار مردودون في اسفل السافلين ق
عن حارثة بن وهب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ جعظري مستكبر
العتل الفظ الغليظ الشديد في الخصومة الذي لا ينقاد لخير والجواظ الفاجر المختال في مشيته وقيل
هو القصير البطين والجعظري الفظ الغليظ وقيل هو الذي يتمدح بما ليس فيه او عنده ق عن اسامة بن زيد عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين واصحاب الجد محبوسون غير ان اصحاب النار قد امر
بهم الى النار وقمت على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء الجد بفتح الجيم هو الحظ والغنى وكثرة المال والله يرزق
من يشاء بغير حساب قال ابن عباس يعني كثيرا بغير مقدار لان كل ما يدخل عليه الحساب فهو قليل والمعنى انه يوسع
على من يشاء من عباده وقيل يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة وقيل معناه انه يرزق من يشاء من حيث
لا يحتسب وقيل معناه انه يرزقه بغير استحقاق وقيل معناه انه تعالى لا يخاف نفاد ما في خزائنه لانه الكافي
حتى يحتاج الى حساب ما يخرج منها لان الحساب انما يكون ليعلم قدر ما يعطي والله عز وجل عالم بما يعطي ولا يخاف نفاد
خزائنه لانها بين الكاف والنون وقيل معناه انه تعالى يقتر الرزق على من يشاء ويبسط الرزق لمن يشاء ولا يعطي كل

احد على قدر حاجته بل يعطي الكثير لمن لا يحتاج اليه ولا معارض له في حكمه ولا سبب فيما رزق ولا يقال له لم اعطيت هذا
وحرمت هذا ولم اعطيت هذا اكثر من ذاك لانه تعالى لا شريك له في ملكه ينازعه ولا يسال عما يفعل وقيل يحتمل ان يكون المراد
منه ما يعطي الله المتقين في الاخرة من الثواب والكرامة بغير حساب منه لهم على ما عملوه بل يتفضل عليهم وذلك ان نعيم الجنة لا
نفاد له ولا انقطاع وقيل انه تعالى يعطي اهل الجنة الثواب والاجر بقدر اعمالهم ثم يتفضل عليهم فذلك التفضل
منه عليهم بغير حساب قوله تعالى كان الناس امة واحدة اي على دين واحد قيل هو ادم وذريته كانوا مسلمين
على دين واحد قيل هو ادم وذريته كانوا الى ان قتل قابيل هابيل وقيل كان الناس على شريعة واحدة
من الحق والهدى من وقت ادم الى مبعث نوح ثم اختلفوا فبعث الله تعالى اليهم نوحا وهو اول رسول بعث ثم بعث
بعده الرسل وقيل هم اهل السفينة الذين كانوا مع نوح كانوا مومنين ثم اختلفوا بعد وفاته وقيل كانت
العرب على دين ابرهيم عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحي وقيل كان الناس امة واحدة حين اخرجوا من ظهر ادم لاخذ الميثاق
فقال الست بربكم قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا امة واحدة غير ذلك اليوم ثم لما ظهروا الى الوجود اختلفوا
بسبب البغي والحسد وقيل ان ادم وحده كان امة واحدة يعني اماما وقدوة يقتدى به وانما ظهر الاختلاف
بعده وقيل كان الناس امة واحدة على الكفر والباطل بدليل قوله فبعث الله النبيين فان قيل اليس قد كان
فيهم من هو مسلم نحو هابيل وشيث وادريس ونحوهم قلت الجواب ان الغالب في ذلك الزمان كان الكفر والحكم
للغالب وقيل ان الاية دلت على ان الناس كانوا امة واحدة وليس فيها ما يدل على انهم كانوا على ايمان
او كفر فهو موقوف على دليل من خارج فبعث الله النبيين وجملتهم مائة الف واربعة وعشرون الفا الرسل
منهم ثلثمائة وثلاثة عشر المذكورون منهم في القران باسمائهم الاعلام ثمانية وعشرون نبيا مبشرين يعني بالثواب
لمن امن واطاع ومنذرين يعني مخوفين بالعقاب لمن كفر وعصى وانما قدم البشارة على الانذار لان البشارة
تجري مجرى حفظ الصحة للابدان والانذار يجري مجرى ازالة المرض ولا شك ان المقصود هو الاول فكان احق
بالتقديم وانزل معهم الكتاب اي الكتب او يكون التقدير وانزل مع كل واحد الكتاب بالحق اي بالعدل والصواب والصدق
وجملة الكتب المنزلة من السماء مائة واربعة كتب انزل على ادم عشر صحايف وعلى [illegible] عشر صحايف وعلى ادريس خمسين
صحيفة وعلى نوح عشر صحيفة وعلى ابرهيم عشر صحايف وعلى موسى عشر صحايف والتوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسى
الانجيل وعلى محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم الفرقان ليحكم بين الناس يعني الكتاب وانما اضيف الحكم الى الكتاب
وان كان الحاكم هو الله تعالى لانه انزله والمعنى ليحكم الله بالكتاب الذي انزله وقيل معناه ليحكم بين الناس كل نبي بكتابه
المنزل عليه فاسناد الحكم الى الكتاب او النبي مجاز والله هو الحاكم في الحقيقة فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا فيه
بعدما كانوا متفقين عليه وما اختلف فيه اي في الحق الا الذين اوتوه اي اعطوا الكتاب والمراد به التورية والانجيل والذين اوتوا
اليهود والنصارى واختلافهم هو تكفير بعضهم بعضا بغيا وحسدا وقيل اختلافهم هو تحريفهم وتبديلهم وقيل الكناية راجعة
الى محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اختلف في امر محمد صلى الله عليه وسلم بعد وضوح الدلالات على صحة نبوته الا اليهود والنصارى الذين اوتوا الكتاب بغيا منهم وحسدا
من بعد ما جاءتهم البينات اي الدلالات الواضحات على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بغيا بينهم يعني انه لم يبق لهم عذر في العدول
عنه وتركهم ما جاءهم وانما تركوا ذلك بغيا وحسدا وهو طلب الدنيا وطلب الرياسة فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا
فيه اي الى ما اختلفوا فيه من الحق والمعنى فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق وقيل هو من المقلوب والمعنى
فهدى الله الذين امنوا للحق الذي اختلفوا فيه وكان اختلافهم الذي اختلفوا فيه الجمعة فهدى الله تعالى هذه الامة الاسلامية
اليها ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون السابقون يوم القيمة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا
واوتيناه من بعدهم فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له فغدا لليهود وبعد غد للنصارى زاد في رواية قال سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول نحن الاخرون السابقون يوم القيمة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا
الله له والناس لنا فيه تبع يعني يوم الجمعة ثم اتفقا فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد م عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اضل الله
عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد
وكذلك هم تبع لنا يوم القيمة نحن الاخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيمة المقضي لهم يوم القيمة قبل الخلايق وقيل اختلفوا في شان القبلة
فصلت اليهود نحو الغرب الى بيت المقدس وصلت النصارى الى المشرق وهدانا الله الى الكعبة وقيل اختلفوا في الصيام فهدانا الله
لشهر رمضان واختلفوا في ابرهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا الله للحق فقلنا كان حنيفا
مسلما واختلفوا في عيسى فاليهود فرطوا فيه والنصارى افرطوا فيه فهدانا الله في ذلك كله للحق والمعنى فهدى الله الذين امنوا الى
الحق الذي اختلف فيه من اختلف باذنه يعني بعلمه وارادته والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم قوله عز وجل ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة نزلت في غزوة الاحزاب وهي غزوة الخندق وذلك ان المسلمين اصابهم ما اصابهم من الجهد والشدة والخوف
والبرد وضيق العيش الذي كانوا فيه يومئذ وقيل نزلت في غزوة احد وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
في اول الهجرة اشتد عليهم الضر لانهم خرجوا بلا مال وتركوا اموالهم وديارهم بايدي المشركين واثروا رضا الله ورسوله
واظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسر قوم النفاق فانزل الله هذه الاية تطييبا لقلوبهم ومعنى الاية احسبتم
والميم صلة وقيل هل حسبتم والمعنى اظننتم ايها المومنون ان تدخلوا الجنة بمجرد الايمان ولم يصبكم مثل ما اصاب
من كان قبلكم من اتباع الانبياء والرسل من الشدايد والمحن والابتلاء والاختبار وهو قوله ولما ياتكم مثل
الذين خلوا من قبلكم اي شبه الذين مضوا من قبلكم من النبيين واتباعهم من المومنين ومثل محنتهم مستهم
البأساء اي اصابتهم الفقر والشدة والمسكنة وهو اسم من البوس والضراء يعني المرض والزمانة وضروب
الخوف وزلزلوا اي حركوا بانواع البلايا والرزايا واصل الزلزلة الحركة وذلك لان الخايف لا يستقر بل لا
يزال يضطرب ويتحرك لقلقه حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله وذلك ان الرسل اثبت من
غيرهم واصبر واضبط للنفس عند نزول البلاء وكذلك اتباعهم من المومنين والمعنى انه بلغ بهم الجهد والشدة
والبلاء ولم يبق لهم صبر وذلك هو الغاية القصوى في الشدة فلما بلغ بهم الحال في الشدة الى هذه الغاية واستبطاوا
النصر قيل لهم الا ان نصر الله قريب اجابة لهم الى طلبتهم والمعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلاء والشدة حتى
الى ان ياتيهم نصر الله فكونوا يا معشر المومنين كذلك وتحملوا الاذى والشدة والمشقة في طلب الحق فان نصر الله قريب
خ عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا
الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يوتى بالمنشار
فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن
الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذيب على غنمه ولكنكم تستعجلون
قوله تعالى يسالونك ماذا ينفقون نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال يا رسول الله بماذا
نتصدق وعلى من ننفق فانزل الله تعالى يسالونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير اي من مال والمعنى وما تفعلوا من
انفاق شيء من المال قل او كثر فللوالدين وانما قدم الانفاق على الوالدين لوجوب حقهما على الولد لانهما كانا السبب
في اخراجه من العدم الى الوجود والاقربين وانما ذكر بعد الوالدين الاقربين لان الانسان لا يقدر ان يقوم بمصالح جميع
الفقراء فتقديم القرابة اولى من غيرهم واليتامى وانما ذكر بعد الاقربين اليتامى لصغرهم ولانهم لا يقدرون على الاكتساب
ولا لهم احد ينفق عليهم والمساكين وانما اخرهم لان حاجتهم اقل من حاجة غيرهم وابن السبيل يعني المسافر فانه بسبب
انقطاعه عن بلده قد يقع في الحاجة والفقر فانظر الى هذا الترتيب الحسن العجيب في كيفية الانفاق ثم لما فصل الله تعالى هذا

واصحابه

التفصيل الحسن الكامل استغنى عن الاجمال فقال تعالى وما تفعلوا من خير مع هولاء او غيرهم طلبا لوجه الله تعالى ورضوانه فان الله به
عليم فيجازيكم عليه ذكر اكثر علماء التفسير ان هذه الآية منسوخة قال ابن مسعود نسختها آية الزكوة وقال الحسن انها محكمة ووجه
احكامها ان الله ذكر فيها من تجب النفقة عليه من قرابته وهما الوالدان وقال ابن زيد هذه في النفل وهو ظاهر الآية فمن احب التقرب الى الله تعالى
بالانفاق فالاولى به ان ينفق من الوجوه المذكورة في الآية فيقدم الاولى فالاولى ليس في الآية سؤال وهو انهم سألوا عن بيان ما ينفقون فاجيبوا
ببيان المصرف واجيب عن هذا السؤال بانه قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو المال ثم ضم الى جواب السؤال ما
بكليه المقصود وهو بيان المصروف لان النفقة لا تعتد نفقة الا ان تقع موقعها قال الشاعر ان الصنيعة لا تكون صنيعة
حتى يصاب بها طريق المصنع قوله عز وجل كتب عليكم القتال اي فرض عليكم الجهاد واختلف العلماء في حكم الآية
فقال عطاء الجهاد تطوع والمراد من الآية اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه ذهب الثوري وحكي عن الاوزاعي
نحوه وحجة هذا القول ان قوله كتب يقتضي الايجاب ويكفي العمل به مرة واحدة وحجة من اوجبه على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان قوله عليكم يقتضي تخصيص الكاف اي هذا الخطاب بالموجودين في ذلك الوقت وقيل بل الآية على ظاهرها والجهاد
فرض على كل مسلم ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد واجب عليكم
مع كل امير برا كان او فاجرا اخرجه ابو داود بزيادة فيه ق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية
واذا استنفرتم فانفروا وقيل ان الجهاد فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط الفرض عن الباقين وهذا القول هو المختار الذي عليه جمهور العلماء
قال الزهري كتب الله القتال على الناس جاهدوا او لم يجاهدوا فمن غزا فبها ونعمت ومن قعد فهو عدة ان استعين به اعان
وان استنفر نفر وان استغني عنه قعد قال الله تعالى فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان
القاعد تاركا فرضا لما وعده بالحسنى واختلف العلماء في الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على ثلاثة اقوال احدها انها محكمة ناسخة
للعفو عن المشركين القول الثاني انها منسوخة لان فيها وجوب الجهاد على الكافة ثم نسخ بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة
القول الثالث انها ناسخة من وجه والناسخ منها ايجاب الجهاد مع المشركين بعد المنع منه والمنسوخ ايجاب الجهاد على
الكافة وقوله وهو كره لكم اي القتال شاق عليكم وهذا الكره انما حصل من حيث نفور الطبع عن القتال لما فيه من
مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح والخوف لا انهم كرهوا امر الله وقيل نسخ هذا الكره بقوله تعالى اخبارا
عنهم وقالوا سمعنا واطعنا وقيل انما كان كراهتهم القتال قبل ان يفرض عليهم لما فيه من الخوف والشدة
وكثرة الاعداء فبين الله تعالى ان الذي تكرهونه من القتال هو خير لكم من تركه لئلا يكرهوه بعد ان فرض عليهم وعسى ان
تكرهوا شيئا وهو خير لكم لفظة عسى توهم الشك مثل لعل وهي من الله يقين وقيل انها كلمة مطمعة فهي لا تدل
على حصول الشك للمستمع والمعنى انها للترجية احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وقيل
ربما كان الشيء شاقا في الحال وهو سبب المنافع الجليلة في المستقبل ومثله شرب الدواء المر فانه ينفر عنه الطبع
في الحال ويكرهه لكن يتحمل هذه الكراهة والمشقة لتوقع حصول الصحة في المستقبل وعسى ان تحبوا شيئا يعني
القعود عن الغزو وهو شر لكم يعني لما فيه من فوت الغنيمة والاجر وطمع العدو فيكم لانه اذا علم ميلكم الى الراحة والدعة
والسكون قصد بلادكم وحاول قتالكم واذا علم ان فيكم شهامة وجلادة على القتال كف عنكم والله يعلم
يعني ما في الجهاد من الاجر والغنيمة والخير وانتم لا تعلمون يعني ذلك والمعنى ان العبد اذا علم قصور علمه وكمال علم
الله ثم ان الله تعالى لا يأمر بامر الا وفيه مصلحة عظيمة يجب على العبد امتثال امر الله وان كان يشق على
النفس في الحال قوله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه سبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمته في سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين وامره على السرية وكتب
له كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب واقرأه على اصحابك

ثم امض لما امرتك ولا تستكرهن احدا منهم على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر
على بركة الله بمن معك من اصحابك حتى تنزل بطن نخلة فارصد عير قريش لعلك تأتينا منها بخير فقال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه
نهاني ان استكره احدا منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كره فليرجع ثم مضى ومضى اصحابه معه وكانوا ثمانية رهط لم يتخلف
عنه احد منهم حتى اذا كانوا بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له بحران اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه
فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ببقية اصحابه حتى نزل بطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة
من تجارة الطائف وفي العير عمرو بن الحضرمي فلما راوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فقال عبد الله بن جحش
ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم وليتعرض لهم فاذا راوه محلوقا امنوا فحلقوا راس عكاشة بن محصن ثم اشرف عليهم
فلما راوه امنوا وقالوا قوم عمار فلا باس علينا وكان ذلك في اخر يوم من جمادى وكانوا يرون انه من جمادى وهو من رجب فتشاوروا
القوم فيهم وقالوا لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم وليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله
السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله فكان اول قتيل من المشركين واسر الحكم وعثمان فكانا اول اسيرين في الاسلام وافلت نوفل
فاعجزهم واستاق المسلمون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر
الحرام وسفك الدماء واخذ الحرائب يعني المال وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحللتم
الشهر الحرام وقاتلتم فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعبد الله بن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال في الشهر
الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان ياخذ شيئا من ذلك وعنف المسلمون اصحاب السرية فيما صنعوا وقالوا لم صنعتم ما لم تؤمروا
به فعظم ذلك على اصحاب السرية فيما صنعوا وظنوا انهم قد هلكوا وسقط في ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا
فنظرنا هلال رجب فلا ندري افي رجب اصبناه ام في جمادى واكثر الناس في ذلك فانزل الله هذه الآية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
العير فعزل منها الخمس فكان اول خمس في الاسلام واول غنيمة قسمت فقسم الباقي على اصحاب السرية وبعث اهل مكة في فداء اسيريهم فقال
بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن
فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية فاما التفسير فقوله تعالى يسألونك يا محمد عن الشهر
الحرام يعني رجبا سمي بذلك لتحريم القتال فيه وفي السائلين رسول الله صلى الله عليه وسلم قولان احدهما انهم المسلمون سألوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل اخطأوا ام اصابوا وقيل ان المسلمين كانوا يعلمون ان القتال في الاشهر الحرم لا يحل فلما كتب
عليهم القتال سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال في الشهر الحرام فنزلت هذه الآية والقول الثاني ان السائلين هم المشركون
وانما سألوه على وجه العيب على المسلمين فنزلت هذه الآية يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير اي عظيم
مستنكر واختلف العلماء في حكم هذه الآية على قولين احدهما انها محكمة وانه لا يجوز الغزو في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه
فيقاتلوا على سبيل الدفع روي عن عطاء انه كان يحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الشهر الحرام ولا ان يقاتلوا فيه
وما نسخت والقول الثاني الذي عليه جمهور العلماء وهو الصحيح انها منسوخة قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار القتال
جائز في الشهر الحرام وهذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة
يعني في الاشهر الحرم وغيرها وصد عن سبيل الله هذا ابتداء كلام والمعنى وصدكم المسلمين عن الحج او وصدكم عن الاسلام
من يريده وكفر به اي بالله والمسجد الحرام اي وصدكم عن المسجد الحرام واخراج اهله منه يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقسم الباقي على اصحاب السرية وبعث اهل مكة في فداء اسيريهم فقال بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما
والمؤمنين حين آذوهم حتى هاجروا وتركوا مكة وانما جعلهم اهله لانهم كانوا هم القائمين بحقوق المسجد الحرام دون المشركين اكبر عند الله اي

٢٢ من ح

اي قتل با بحدم

اعظم وزرا عند الله من القتال في الشهر الحرام والفتنة اي الشرك الذي انتم عليه اكبر من القتل يعني قتل ابن الحضرمي
في الشهر الحرام فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن انيس وقيل عبد الله بن جحش الى مؤمني مكة ان عيركم المشركون بالقتال
في الشهر الحرام فعيروهم انتم بالكفر وباخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة والمسلمين ومنعكم اياهم من البيت ولا يزالون يعني
مشركي مكة يقاتلونكم يا معشر المؤمنين حتى يردوكم عن دينكم يعني الى دينهم وهو الكفر ان استطاعوا يعني ان قدروا
على ذلك وفيه استبعاد لاستطاعتهم فهو كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق انه لا يظفر به
ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر يعني ومن يطاوعهم منكم فيرجع الى دينهم فيمت على ردته قبل ان يتوب
فاولئك حبطت اعمالهم اي بطلت اعمالهم في الدنيا والآخرة وهو ان المرتد يقتل وتبين زوجته منه ولا يستحق الميراث
من اقاربه المؤمنين ولا ينصر ان استنصر ولا يمدح ولا يثنى عليه ويكون ماله فيئا للمسلمين هذا في الدنيا ولا يستحق
الثواب على اعماله ويحبط اجرها في الآخرة وظاهر الآية يقتضي ان الارتداد انما يتفرع عليه الاحكام اذا مات المرتد على
الكفر اما اذا اسلم بعد الردة لم يثبت عليه شيء من احكام الردة وفيه دليل للشافعي ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت
المرتد على ردته وعند ابي حنيفة ان الردة تحبط العمل وان اسلم واولئك اصحاب النار يعني الذين ماتوا على الردة
والكفر هم اصحاب النار هم فيها خالدون اي لا يخرجون منها ابدا ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله
نزلت في عبد الله بن جحش واصحابه وذلك ان اصحاب السرية قالوا يا رسول الله هل نؤجر على وجهنا هذا ونطمع ان يكون لنا غزو فانزل الله هذه
الآية وعن جندب بن عبد الله قال لما كان من امر عبد الله بن جحش واصحابه وامر ابن الحضرمي ما كان قال بعض المسلمين ان لم يكونوا
اصابوا في سفرهم وزرا فليس لهم فيه اجر فانزل الله هذه الآية ان الذين آمنوا والذين هاجروا اي فارقوا مساكنهم وعشائرهم
واموالهم وفارقوا مساكنة المشركين في امصارهم ومجاورتهم في ديارهم فتحولوا عن المشركين وعن بلادهم الى غيرها
وجاهدوا يعني المشركين في سبيل الله اي في طاعة الله فجعل الله لاصحاب هذه السرية جهادا اولئك يرجون
رحمة الله اي يطمعون في نيل رحمة الله اخبر انهم على رجاء الرحمة وقيل المراد من الرجاء هنا القطع في اصل الثواب وانما دخل
الظن في كميته ووقته وقال قتادة اثنى الله تعالى على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم احسن الثناء فقال ان الذين آمنوا
والذين هاجروا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون
وانه من رجا طلب ومن خاف هرب والله غفور اي لذنوب عباده رحيم بهم والمعنى انه تعالى عفا لعبد الله
ابن جحش واصحابه ما لم يعلموا به قوله عز وجل يسألونك عن الخمر والميسر الآية نزلت في عمر بن الخطاب ومعاذ
ابن جبل وجماعة من الانصار اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله افتنا في الخمر والميسر فانها مذهبة
للعقل مسلبة للمال فانزل الله هذه الآية واصل الخمر في اللغة الستر والتغطية وسميت الخمر خمرا لانها
تخامر العقل اي تخالطه وقيل لانها تستره وتغطيه وحكمة القول في تحريم الخمر ان الله عز وجل انزل في الخمر اربع
آيات نزل بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها في اول الاسلام وهي لهم
حلال ثم نزلت بالمدينة في جواب سؤال عمر ومعاذ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فتركها قوم لقوله اثم كبير
وشربها قوم لقوله ومنافع للناس ثم ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما ودعا اليه ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاطعمهم وسقاهم الخمر وحضرت صلاة المغرب فقدموا احدهم ليصلي بهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون
بحذف حرف لا الى آخر السورة فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما
تقولون فحرم السكر في اوقات الصلاة فترك قوم شربها اي مطلقا وترك قوم شربها في اوقات الصلاة فكان
الرجل يشربها بعد صلاة الصبح فيصحو وقت صلاة الظهر ثم ان عتبان اتخذ صنيعا ولهم ودعا رجالا من المسلمين ابن مالك
فيهم سعد بن ابي وقاص وكان قد شوى لهم رأس بعير فاكلوا وشربوا الخمر حتى اخذت منهم فافتخروا عند ذلك

وانتشوا

وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فانشد سعد قصيدة فيها فخر قومه وهجاء الانصار فاخذ رجل من الانصار لحي
البعير فضرب به رأس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الانصاري فقال عمر اللهم
بين لنا في الخمر بيانا شافيا ويروى ان حمزة بن عبد المطلب شرب الخمر يوما وخرج فلقي رجلا من الانصار وبيده
العاشرة ناضح والانصاري يتمثل ببيتين من شعر كعب بن مالك يمدح قومه وهي جمعنا مع الايواء نصرا وهجرة فلم نر
حيا مثلنا في العشيرة نجيبا وناس خيارا تستمر مضي وامواتنا من خير اهل المقابر فقال حمزة اولئك
المهاجرون وقال الانصاري بل نحن الانصار فتنازعا فجرد حمزة سيفه وعدا على الانصاري فهرب الانصاري
وترك ناضحه فقطعه حمزة وجاء الانصاري مستعديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بفعل حمزة فغرم
رسول الله صلى الله عليه وسلم له ناضحه فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فانزل الله تعالى الآية التي في
المائدة الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وذلك بعد غزوة الاحزاب بايام والحكمة في وقوع التحريم على
هذا الترتيب ان الله تعالى علم ان القوم كانوا قد الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فعلم انه لو منعهم من
الخمر دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فلا جرم استعمل هذا التدريج وهذا الرفق قال انس حرمت الخمر ولم يكن
يومئذ للعرب عيش اعجب منها وما حرم عليهم شيء اشد من الخمر وعن انس قال ما كان لنا خمر غير فضيخكم
واني لقائم اسقي ابا طلحة وابا ايوب وفلانا وفلانا اذ جاء رجل فقال حرمت الخمر فقالوا اهرق هذه القلال يا انس
فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل الفضيخ بالضاد والخاء المعجمتين شراب يتخذ من بسر مطبوخ
والمفتوح المشدوخ والمكسور والاهراق الصب والقلال جمع قلة وهي الجرة الكبيرة فصل
في تحريم الخمر ووعيد من شربها اجمعت الامة على تحريم الخمر وانه يحد من شربها ويفسق بذلك مع اعتقاد
تحريمها فان استحلها كفر بذلك ووجب قتله ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر
وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو يدمنها لم يتب منها لم يشربها في الآخرة لفظ مسلم
م عن جابر ان رجلا قدم من جيشان وجيشان من اليمن فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شراب
يشربونه بارضهم من الذرة يقال له المزر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مسكر هو قال نعم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان على الله عهدا لمن يشرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قالوا
يا رسول الله وما طينة الخبال قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار عن ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا بخست صلاته اربعين
صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال
قيل وما طينة الخبال يا رسول الله قال صديد اهل النار اخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن
العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر فجعلها في بطنه لم تقبل منه صلاة سبعا
وان مات فيها مات كافرا فان اذهبت عقله عن شيء من الفرائض وفي رواية عن القرآن لم
تقبل صلاته اربعين يوما وان مات فيها مات كافرا اخرجه النسائي عن عثمان بن عفان
قال اجتنبوا الخمر فانها ام الخبائث فانها والله لا يجتمع الايمان وادمان الخمر الا يوشك ان يخرج احدهما
صاحبه اخرجه النسائي موقوفا عليه وفيه قصة عن انس قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة اليه وساقيها وبائعها
ومبتاعها واكل ثمنها اخرجه الترمذي فصل في احكام تتعلق بالخمر وفيه مسائل الاولى في ماهيتها
قال الشافعي الخمر عبارة عن عصير العنب النيء الشديد الذي قذف بالزبد وكذلك نقيع الزبيب والتمر

والنبيذ من العسل والحنطة والشعير والارز والذرة وكل ما اسكر فهو خمر وقال ابو حنيفة الخمر من العنب والرطب ونقيع التمر والزبيب فان طبخ حتى ذهب ثلثاه حل شربه بشرط ان لا يسكر والسكر منه حرام واحتج على ذلك بما روي عن عمر بن الخطاب انه كتب الى بعض عماله ان ارزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه وفي رواية اما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحدا اخرجه النسائي الطلاء بكسر الطاء والمد الشراب المطبوخ من عصير العنب الذي ذهب ثلثاه وبقي ثلثه واحتج ايضا بما روي عن ابن عباس قال حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها والسكر من كل شراب اخرجه النسائي واستدل ايضا على ان السكر حرام بما روي عن ابي الاحوص عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي بردة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اشربوا ولا تسكروا وعن عائشة نحوه اخرجه النسائي وقال هذا حديث غير ثابت واستدل الشافعي على كون الخمر من عدة اشيا بما روي عن ابن عمر ان عمر قال على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بعد ايها الناس انه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل وثلاث وددت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهي اليه الجد والكلالة وابواب من ابواب الربا اخرجه البخاري ومسلم وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن البتع فقال كل شراب اسكر فهو حرام البتع شراب يتخذ من العسل كان اهل اليمن يشربونه عن النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من العنب خمرا وان من التمر خمرا وان من العسل خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا اخرجه ابو داود في روايته والذرة وانا انهاكم عن كل مسكر وللترمذي نحوه وزاد وان من العسل خمرا عن ابن عباس سئل عن الباذق فقال سبق محمد الباذق فما اسكر فهو حرام عليك الشراب الحلال الطيب ليس بعد الحلال الا الحرام الخبيث قال صاحب المطالع الباذق بفتح الذال المعجمة وهو الطلاء المطبوخ من عصير العنب كان اول من صنعه وسماه بنو امية ليغيروه عن اسم الخمر وكل ما اسكر فهو خمر لان الاسم لا ينقله عن معناه الموجود فيه وقال ابن الاثير في النهاية الباذق الخمر تعريب باذه وهو اسم الخمر بالفارسية اي لم يكن في زمانه او سبق قوله فيها وفي غيرها من جنسها وقيل معناه سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم ان ما اسكر فهو حرام عن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر اخرجه ابو داود المفتر كل شراب احمى الجسد وصار فيه فتور وضعف وانكسار واستدل الشافعي على ما اسكر كثيره فقليله حرام بما روي عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اسكر كثيره فقليله حرام اخرجه الترمذي وابو داود عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما اسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام اخرجه ابو داود والترمذي وفي رواية له والحسوة منه حرام الفرق بالتحريك مكيال يسع ستة عشر رطلا بالبغدادي واجيب عن حديث عمر في الطلاء بانه معارض بما روي عن السائب بن يزيد ان عمر قال وجدت من فلان ريح شراب وزعم انه شرب الطلاء وانا سائل عنه فان كان يسكر جلدته فسال عنه فقيل له انه يسكر فجلده عمر الحد تاما اخرجه مالك في الموطا واما حديث ابن عباس فموقوف عليه ومعارض بما روي عنه في الباذق وقوله والسكر من كل شراب فقد رواه الحفاظ المسكر بفتح السين قال صاحب الغريبين السكر خمر الاعاجم ويقال لما يسكر المسكر ورواه هذا الحديث احمد بن حنبل وقال فيه والمسكر من كل شراب قال موسى بن هرون وهو الصواب واما حديث ابي الاحوص فقيد وهمان احدهما في سنده حيث قال عن ابي بردة وانما يرويه سماك عن القاسم عن ابن بريدة عن ابيه والوهم الثاني في متنه حيث قال اشربوا ولا تسكروا وانما يرويه الناس ولا تشربوا مسكرا ويدل على صحة هذا ما روى مسلم في صحيحه عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن الاشربة في ظروف الادم فاشربوا في كل وعاء غير ان لا تشربوا

قوله

ورد

مسكرا وقال النسائي في حديث ابي الاحوص هذا حديث منكر غلط فيه ابو الاحوص سلام بن سليم الحنفي لا نعلم احدا تابعه عليه من اصحاب سماك واما حديث عائشة فهو غير ثابت كما تقدم من قول النسائي المسألة الثانية في الحكم بنجاسة الخمر وما يتعلق بها نجاسة العين ويدل على نجاستها قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه والرجس في اللغة النجس والشيء المستقذر ولقوله تعالى فاجتنبوه فامر باجتنابها فكانت نجسة العين ويدل على نجاستها ايضا تحريم التناول لا للاحترام ولان الناس مشغوفون بها فينبغي ان يحكم بنجاستها تاكيدا للزجر عنها المسألة الثالثة في تحريم بيعها والانتفاع بها اجمعت الامة على تحريم بيع الخمر والانتفاع بها وتحريم ثمنها ويدل على ذلك ما روي عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام فتح مكة ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام اخرجاه في الصحيحين مع زيادة في اللفظ عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت التجارة في الخمر عن ابن عباس قال بلغ عمر بن الخطاب ان فلانا باع خمرا فقال قاتل الله فلانا الم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها عن المغيرة بن شعبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من باع الخمر فليشقص الخنازير اخرجه ابو داود قوله فليشقص الخنازير اي فليقطعها قطعا كما يقطع الشاة للبيع والمعنى من يستحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنازير فانهما في التحريم سواء عن ابي طلحة قال يا نبي الله اني اشتريت خمرا لايتام في حجري فقال اهرق الخمر واكسر الدنان اخرجه الترمذي قال وقد روي عن انس ان ابا طلحة كان عنده خمر لايتام وهو اصح فان قلت ما وجه قوله تعالى ومنافع للناس قلت منافعها اللذة التي توجد عند شربها والفرح والطرب معها وما كانوا يصيبون من الربح في ثمنها وكان ذلك قبل التحريم فلما حرمت الخمر حرم ذلك كله فصل واما الميسر فهو القمار واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال بسهولة من غير تعب وكد قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على اهله وماله فايهما قمر صاحبه ذهب باهله وماله فانزل الله هذه الاية واصل الميسر ان اهل الثروة من العرب في الجاهلية كانوا يشترون جزورا فينحرونها ويجزئونها اجزاء ثم يسهمون عليها بعشرة اقداح يقال لها الازلام والاقلام واسماؤها الفذ والتوام والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد وكانوا يسهمون بسبعة منها انصباء فللفذ سهم وللتوام سهمان وللرقيب ثلاثة اسهم وللحلس اربعة اسهم وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة وثلاثة من القداح لا انصباء لها وهي المنيح والسفيح والوغد وقال بعضهم لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربح اسمهن وغد ومنيح وسفيح ثم يجعلون القداح في خريطة يسمونها الربابة ويضعونها على يد رجل عدل عندهم يسمونه المجيل والمفيض فيجيلها في الخريطة ويخرج منها قدحا باسم رجل منهم فايهم خرج اسمه اخذ نصيبه على قدر ما خرج من القداح وان خرج له قدح من الثلاثة التي لا انصباء لها لم ياخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وقيل لا ياخذ ولا يغرم ويسمون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور الى الفقراء ولا ياكلون منه شيئا وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لا يفعله ويسمونه البرم يعني البخيل الذي لا يخرج شيئا من الاصحاب لبخله واما حكم الاية فالمراد به جميع انواع القمار فكل شيء فيه قمار فهو من الميسر وروي عن ابن سيرين ومجاهد وعطاء كل شيء فيه خطر يعني الرهن فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب واما النرد فيحرم اللعب به سواء كان بخطر او بغير خطر يدل على تحريمه ما روي عن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لعب بالنردشير فكانما صبغ يده في لحم خنزير ودمه اخرجه مسلم وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بالنرد او بالنردشير فقد عصى الله ورسوله اخرجه ابو داود وروي عن علي بن ابي طالب قال النرد والشطرنج من الميسر واختلفوا في الشطرنج فذهب ابو حنيفة الى انه يحرم اللعب به سواء كان برهن او بغير رهن ومذهب الشافعي انه مباح بشرط ذكرها ان قعد فقال اذا خلا الشطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان والصلاة عن النسيان لم يكن حراما وهو خارج عن الميسر لان الميسر ما يوجب دفع مال واخذ مال وهذا ليس كذلك وقوله تعالى قل فيهما اثم كبير اي وزر عظيم وقيل ان الخمر عدو للعقل فاذا غلبت على عقل الانسان

لعله يقامر (?)

ثمانية عشر (?)

أو ثلثه كل قبيح فمن ذلك الإثم الكبير من الإقدام على شرب الخمر والقمار وما يترتب عليهما من الشتم والمخاصمة والمعاداة وكل ذلك فيه إثم
كبير ومنافع للناس يعني أنهم كانوا يربحون في بيع الخمر قبل تحريمها وأما منافع الميسر فهو أخذ مال الغير بلا كد ولا تعب
قيل إن الواحد منهم كان ربما قمر في المجلس الواحد مائة بعير فيحصل له المال الكثير وربما كان يصرفه إلى المحتاجين فيكتسب
بذلك الثناء والمدح وهو النفع وإثمهما أكبر من نفعهما يعني أن إثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم وقيل إثمهما قوله
إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فكل هذه ذنوب
تترتب عليهما إثما مرتكبها بسبب الخمر والميسر قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حثهم
على الصدقة فقالوا ماذا ننفق فقال الله تعالى قل العفو يعني الفضل والعفو ما يفضل عن قدر الحاجة فكانت الصحابة
يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل بحكم هذه الآية ثم نسخ ذلك بالزكاة وقيل هو التصدق بالفاضل
عن ظهر غنى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى
وابدأ بمن تعول وقيل هو الوسط في الإنفاق من غير إسراف ولا إقتار وقيل هو في صدقة التطوع إذ لو كان المراد به الإنفاق الواجب
لبين الله قدره فلما لم يبينه دل ذلك على أن المراد به صدقة التطوع كذلك يبين لكم الآيات أي يبين لكم الأمور التي سألتم عنها من
وجوه الإنفاق ومصارفه لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة يعني فتأخذون ما يصلح لكم في الدنيا وتنفقون الباقي
فينفعكم في الآخرة وقيل لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا فتزهدون فيها وفي إقبال الآخرة وبقائها فترغبون فيها قوله عز وجل
ويسألونك عن اليتامى قال ابن عباس لما نزلت إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما تحرج المسلمون من أموال اليتامى تحرجا شديدا
حتى عزلوا أموالهم عن أموالهم وتركوا مخالطتهم وربما كان يصنع لليتيم الطعام فيفضل منه فيتركونه ولا يأكلونه فاشتد ذلك
عليهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير أي إصلاح أموال اليتامى
من غير أخذ أجرة ولا عوض خير لكم أي أعظم أجرا وقيل هو أن يوسع على اليتيم من طعام نفسه ولا يتوسع من طعام
اليتيم وإن تخالطوهم يعني في الطعام والخدمة والسكنى وهذه إباحة المخالطة أي شاركوهم في أموالهم بأموالكم ونفقاتكم
ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من أموالهم عوضا من قيامكم بأمورهم أو تكافئوهم على ما تصيبون من أموالهم فإخوانكم
أي فهم إخوانكم والإخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من بعض على وجه الإصلاح والرضا والله يعلم المفسد
من المصلح يعني المفسد لمال اليتيم والمصلح له ويعلم الذي يقصد بالمخالطة الخيانة وأكل مال اليتيم بغير حق والذي
يقصد الإصلاح ولو شاء الله لأعنتكم أي لضيق عليكم وما أباح لكم مخالطتهم وأصل العنت الشدة والمشقة
والمعنى لكلفكم في كل شيء ما يشق عليكم إن الله عزيز حكيم أي غالب يقدر أن يشق على عباده ويعنتهم ولكنه
حكيم لا يكلف عباده إلا ما تتسع فيه طاقتهم قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن نزلت في أبي مرثد بن أبي مرثد
الغنوي واسم أبي مرثد كناز بن حصين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها
سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته في الجاهلية فأتته فقالت ألا تخلو معي فقال ويحك يا عناق
إن الإسلام حال بيننا وبين ذلك فقالت هل لك أن تتزوج بي قال نعم ولكن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمره فقالت
أبي تتبرم واستغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة وانصرف إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أعلمه بما كان من أمره وأمر عناق وما لقي بسببها وقال يا رسول الله أيحل لي أن أتزوجها
فأنزل الله هذه الآية وأصل النكاح في اللغة الوطء ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح ومعنى الآية ولا تنكحوا أيها المؤمنون
المشركات حتى يؤمن أي يصدقن بالله ورسوله وهو الإقرار بالشهادة والتزام أحكام المسلمين واختلف العلماء في حكم هذه الآية
فقيل إنها تدل على أن كل مشركة يحرم نكاحها على كل مسلم من أي أجناس الشرك كانت كالوثنية والمجوسية والنصرانية أو غيرهن من أصناف
المشركات ثم استثنى الله تعالى من ذلك نكاح الحرائر الكتابيات بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم فأباح الله تعالى

نكاح

نكاحهن بهذه الآية قال ابن عباس في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ثم استثنى نساء أهل الكتاب فقال والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب
من قبلكم وقيل إن حكم الآية نزل في مشركات العرب الوثنيات خاصة ولم ينسخ منها شيء ولم يستثن وإنما حكمها عام مخصوص فالمراد
في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن يعني مشركات العرب اللاتي ليس لهن كتاب يقرأنه وبيان هذا في مسألة وهي أن لفظ الشرك
على من يطلق فالأكثرون من العلماء وهو القول الصحيح المختار أن لفظ الشرك يندرج فيه أهل الكتاب من اليهود والنصارى
وكذلك عبدة الأصنام والمجوس وغيرهم ويدل على أن اليهود والنصارى يطلق عليهم اسم الشرك قوله تعالى وقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا
ليعبدوا إلها واحدا سبحانه عما يشركون فهذه الآية صريحة في شرك اليهود والنصارى وقيل كل كافر بالنبي صلى الله عليه وسلم لأنه
زعم أن الله تعالى لم يرسله فهو مشرك وذلك أن من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم مع صحة نبوته وظهور معجزاته فقد زعم أن ما أتى به النبي
صلى الله عليه وسلم هو من عند غير الله فقد أشرك مع الله غيره فعلى هذا القول أيضا يدخل فيه اليهود والنصارى لإنكارهم نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وقيل إن اسم الشرك لا يتناول إلا عبدة الأوثان خاصة والأول أصح لما تقدم من الأدلة فعلى قول من قال إن اسم الشرك لا يتناول
إلا الوثنيات تكون الآية محكمة وعلى قول الأكثرين إن اسم الشرك يتناول الوثنيات والكتابيات وغيرهن تكون الآية محكمة
وعلى قول الأكثرين في حق الوثنيات منسوخة في حق الكتابيات وقوله تعالى ولأمة مؤمنة خير من مشركة يعني أنفع
وأصلح وأفضل من مشركة حرة ولو أعجبتكم يعني بجمالها ومالها ونسبها فالأمة المؤمنة خير وأفضل عند الله من
الحرة المشركة نزلت في خنساء وليدة كانت لحذيفة بن اليمان قال يا خنساء قد ذكرت في الملأ الأعلى على سوادك
ودمامتك ثم أعتقها وتزوجها وقيل نزلت في عبد الله بن رواحة كانت عنده أمة سوداء فغضب عليها يوما
فلطمها ثم فزع فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال له ما هي يا عبد الله قال هي تشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وتصوم
رمضان وتحسن الوضوء وتصلي قال هذه مؤمنة قال عبد الله فوالذي بعثك بالحق لأعتقنها ولأتزوجنها ففعل
فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا أتنكح أمة وعرضوا عليه حرة مشركة فأنزل الله هذه الآية ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا
هذا خطاب للأولياء أي لا تزوجوا المسلمة من المشرك لأنه حرم على المؤمنات أن ينكحن مشركا من أي أصناف الشرك كان وانعقد
الإجماع على أنه لا يجوز للمسلمة أن تتزوج بالمشرك ولعبد مؤمن خير من مشرك يعني ولو أعجبكم بحسنه وجماله وماله
أولئك يدعون إلى النار يعني يدعون إلى الشرك الذي يؤدي إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه يعني أنه تعالى لما بين
هذه الأحكام وأباح بعضها وحرم بعضها فاعملوا بما أمركم به واتقوا ما نهاكم عنه فإن من عمل بذلك استحق الجنة
والمغفرة بإذنه أي بتيسير الله وإرادته وتوفيقه ويبين آياته للناس أي يوضح أدلته وحججه في أوامره ونواهيه
وأحكامه لعلهم يتذكرون أي فيتعظون قوله عز وجل ويسألونك عن المحيض عن أنس أن اليهود
كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي
صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض إلى آخر الآية فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شيء إلا النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا
شيئا إلا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا أفلا
نجامعهن فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أن قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية من
لبن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل في آثارهما فسقاهما فعرفنا أنه لم يجد عليهما الوجد الغضب وأصل
الحيض السيلان والانفجار يقال حاض الوادي إذا سال وفاض ماؤه قل هو أذى أي هو شيء قذر
والأذى في اللغة ما يكره من كل شيء فاعتزلوا النساء في المحيض أي فاجتنبوا مجامعتهن ولا تقربوهن يعني
بالوطء والجماع معهن فهو كالتوكيد لقوله فاعتزلوا النساء في المحيض حتى يطهرن يعني من المحيض والغسل

تقربوهن حتى يزول عنهن الدم وقرئ يطهرن بالتشديد الطاء ومعناه حتى يغتسلن ﴿فاذا تطهرن﴾ اي اغتسلن
من حيضهن ﴿فأتوهن من حيث امركم الله﴾ قال ابن عباس طؤوهن في الفرج ولا تعدوه الى غيره فانه هو الذي امر الله به وهو
الطهر وقيل معناه فأتوهن من حيث يحل لكم غشيانهن وذلك بان لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات فصل
في حكم الآية وفيه مسائل المسئلة الاولى اجمع المسلمون على تحريم الجماع في زمن الحيض ومستحله كافر عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من اتى حائضا او امراة في دبرها او كاهنا فقد كفر بما انزل على محمد اخرجه الترمذي قال انما معنى هذا عند اهل العلم على التغليظ
ومن فعله وهو عالم بالتحريم عزره الامام وفي وجوب الكفارة عليه قولان احدهما انه يستغفر الله ويتوب اليه ولا كفارة عليه وهو قول ابي حنيفة
ومالك وهو الجديد والقول الثاني انه يجب عليه الكفارة وهو القول القديم للشافعي وبه قال احمد بن حنبل لما روي عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يقع على امراته وهي حائض قال يتصدق بنصف دينار وفي رواية قال اذا كان دما احمر فدينار
وان كان دما اصفر فنصف دينار اخرجه الترمذي وقال رفعه بعضهم عن ابن عباس ووقفه بعضهم المسئلة الثانية
اجمع العلماء على جواز الاستمتاع بالمراة الحائض فوق السرة ودون الركبة وجواز مضاجعتها وملامستها
ويدل على ذلك ما روي عن عائشة قالت كانت احدانا اذا كانت حائضا واراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يباشرها امرها
ان تتزر بازار في فور حيضتها ثم يباشرها وايكم يملك اربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك اربه وفي قالت كنت اغتسل
انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من اناء واحد وكلانا جنب وكان يامرني فاتزر فيباشرني وانا حائض اخرجاه في الصحيحين المراد بالمباشرة — وفور كل شيء اوله
هنا الاستمتاع بما دون الفرج وفور كل شيء اوله وابتداؤه وقوله يملك اربه يروى بسكون الراء وهو العضو
ويعني به وهو الحاجة م عن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ناوليني الخمرة من المسجد قالت فقلت
اني حائض قال ان حيضتك ليست في يدك الخمرة حصير صغير مضفور من سعف النخل وخوص بقدر الكف وقوله من
المسجد يعني ناوليها من المسجد لانه صلى الله عليه وسلم كان معتكفا في المسجد وعائشة في حجرتها فطلب منها
الخمرة وهي حائض المسئلة الثالثة يحرم على الحائض الصلاة والصوم ودخول المسجد وقراءة القرآن
ومس المصحف وحمله فلو امنت التلويث في عبورها المسجد جاز في اصح الوجهين قياسا على الجنب والثاني — الحايض ه
لا لان حدثها اغلظ ويجب على الحائض قضاء الصوم دون الصلاة لما روي عن معاذة العدوية قالت
سالت عائشة فقلت ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة قالت احرورية انت قلت لست بحرورية ولكني
اسال قالت كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة اخرجاه في الصحيحين المسئلة
الرابعة لا يرتفع شيء مما منعه الحيض بانقطاع الدم ما لم تغتسل او تتيمم عند عدم الماء الا الصوم فانها اذا
انقطع دمها بالليل نوت الصوم فانه يصح وان اغتسلت في النهار وذهب ابو حنيفة الى انه يجوز للزوج
غشيانها اذا انقطع الدم لاكثر الحيض وهو عشرة ايام عنده قبل الغسل ومذهب الشافعي وعامة من
العلماء انه لا يجوز للزوج غشيانها ما لم تغتسل من الحيض او تتيمم عند عدم الماء لان الله تعالى علق جواز وطء
الحائض بشرطين انقطاع الدم والثاني الغسل فقال ولا تقربوهن حتى يطهرن يعني من الحيض ﴿فاذا
تطهرن﴾ يعني اغتسلن فأتوهن من حيث امركم الله فدل على ان الوطء لا يحل قبل الغسل وقوله تعالى ﴿ان الله
يحب التوابين﴾ يعني من الذنوب والتواب الذي كلما اذنب جدد توبة وقيل التواب هو الذي لا يعود الى
الذنب ﴿ويحب المتطهرين﴾ يعني من الاحداث وسائر النجاسات بالماء وقيل المتطهرين من الشرك وقيل هم
الذين لم يصيبوا الذنوب قوله تعالى ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ الآية ق عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا جامعها
من ورائها جاء الولد احول فنزلت نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وفي رواية الترمذي كانت اليهود تقول من اتى امراته
في قبلها من دبرها وذكر الحديث وعن ابن عباس قال جاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما

اهلكك

اهلكك قال حولت رحلي الليلة فلم يرد عليه شيئا فاوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم
انى شئتم اقبل وادبر واتق الدبر والحيضة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله حولت رحلي هو كناية عن الاتيان
في غير المحل المعتاد وهذا ظاهر ويجوز انه يريد انه اتاها في المحل المعتاد ولكن من جهة ظهرها وعن ابن عباس قال كان
هذا الحي من الانصار وهم اهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم اهل كتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا
يقتدون بكثير من افعالهم وكان من شان اهل الكتاب ان لا ياتوا النساء الا على حرف وذلك استر ما تكون المراة فكان
هذا الحي من الانصار قد اخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحا منكرا ويتلذذون
منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امراة من الانصار
فذهب يصنع بها ذلك فانكرته عليه وقالت انا كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبني حتى شري امرهما
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم اي مقبلات ومدبرات ومستلقيات
يعني بذلك موضع الولد اخرجه ابو داود الوثن الصنم وقيل الصورة لا جثة لها وقوله على حرف الحرف الجانب وحرف كل شيء
جانبه وقوله يشرحون النساء يقال شرح فلان جاريته اذا وطئها على قفاها واصل الشرح البسط وقوله
شري امرهما اي ارتفع وعظم وتفاقم واصله من شري البرق اذا لج في اللمعان عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم في صمام واحد ويروى سماما بالسين اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن وقوله تعالى حرث لكم معناه مزرع لكم ومنبت للولد وهذا على سبيل التشبيه فجعل فرج المراة
كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات الخارج ﴿فأتوا حرثكم انى شئتم﴾ يعني كيف شئتم وحيث شئتم اذا
اذا كان في القبل والمعنى كيف شئتم مقبلة ومدبرة وعلى كل حال اذا كان في الفرج وفي الآية دليل على تحريم
اتيان النساء في ادبارهن لان محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر ويؤيد ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امراة في دبرها اخرجه ابو داود وقال سعيد بن المسيب هذا في العزل يعني ان شئتم
فاعزلوا وان شئتم لا تعزلوا وسئل ابن عباس عن العزل فقال حرثك ان شئت فعطش وان شئت فارو ويروى
عنه انه قال تستامر الحرة في العزل ولا تستامر الجارية وبه قال احمد وكره جماعة العزل وقالوا هو الواد الخفي وروى
نافع قال كنت امسك على ابن عمر المصحف فقرا هذه الآية نساؤكم حرث لكم قال تدري فيم انزلت هذه الآية قلت لا قال
نزلت في رجل اتى امراته في دبرها فشق ذلك عليه فنزلت هذه الآية ويروى عن عبد الله بن الحسن انه لقي سالم بن عبد الله
ابن عمر فقال له يا ابا عمر ما حديث يحدث نافع عن عبد الله انه لم يكن يرى باسا باتيان النساء في ادبارهن فقال كذب
العبد واخطا انما قال عبد الله يؤتون في فروجهن من ادبارهن ويحكى عن مالك اباحة ذلك وانكره اصحابه
واجمع جمهور العلماء على تحريم اتيان النساء في ادبارهن وقالوا لان الله حرم الفرج في حال الحيض لاجل النجاسة
العارضة وهو الدم فدل ان تحريم الدبر لاجل النجاسة اللازمة اولى ولان الله تعالى نص في ذكر الحرث والحرث به يكون نبات
الولد فلا يحل العدول عنه الى غيره وقوله تعالى ﴿وقدموا لانفسكم﴾ يعني الولد وقيل قدموا التسمية والدعاء
عند الجماع ق عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان احدهم اذا اراد ان ياتي اهله قال بسم الله اللهم جنبنا
الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان ابدا وقيل اراد به تقديم الافراط
فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد
فتمسه النار الا تحلة القسم قوله الا تحلة القسم يعني الا قدر ما يبر الله قسمه فيه وهو قوله تعالى وان منكم الا واردها
فاذا وردها جاوزها فقد ابر قسمه وقيل وقدموا لانفسكم يعني الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية ﴿واتقوا الله﴾ اي احذروا
ان تاتوا شيئا مما نهاكم الله عنه ﴿واعلموا انكم ملاقوه﴾ اي صائرون اليه في الآخرة فيجازيكم باعمالكم ﴿وبشر المؤمنين﴾ يعني بالكرامة

من الله تعالى قوله عز وجل ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختنه بشير بن النعمان شيء فحلف
عبد الله ان لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصم له فكان اذا قيل له فيه يقول قد حلفت بالله ان لا افعل فلا يحل لي الا
ان تبر يميني فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في ابي بكر الصديق حين حلف ان لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الافك
والعرضة ما يجعل معرضا للشيء وقيل العرضة الشدة والقوة وكل ما يعترض فيمنع عن الشيء فهو عرضة والمعنى ولا
تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى احدكم الى بر او صلة رحم فيقول قد حلفت بالله لا افعله
فيعتل بيمينه في ترك البر والاصلاح ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس وقيل معناه لا تحلفوا بالله ان لا تبروا
ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها
فليات الذي هو خير وليكفر عن يمينه وقيل معناه لا تكثروا الحلف بالله وان كنتم بارين صادقين مصلحين فان كثرة الحلف بالله ضرب
من الجراة عليه والله سميع اي لحلفكم عليم يعني بنياتكم قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو كل ساقط مطرح
من الكلام وما لا يعتد به وهو الذي يورد لا عن روية وفكر واللغو في اليمين هو الذي لا عقد معه كقول القائل لا والله وبلى
والله على سبق اللسان من غير قصد ونية وبه قال الشافعي لما روي عن عائشة قالت نزل قوله لا يؤاخذكم الله
باللغو في ايمانكم في قول الرجل لا والله وبلى والله اخرجه البخاري موقوفا ورفعه ابو داود فقال قالت عائشة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال هو قول الرجل في بيته كلا والله وبلى والله ورواه عنها ايضا موقوفا وقيل ان معنى اللغو هو ان يحلف
الرجل على شيء يرى انه صادق ثم يتبين له خلاف ذلك وبه قال ابو حنيفة ولا كفارة فيه ولا اثم عنده قال مالك في الموطا عليه
احسن ما سمعت في ذلك اللغو حلف الانسان على الشيء يستيقن انه كذلك ثم يوجد على خلافه فلا كفارة فيه قال والذي
يحلف على الشيء وهو يعلم انه فيه آثم كاذب ليرضي به احدا او يعتذر لمخلوق او يقتطع به مالا فهذا اعظم من ان يكون هو
فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف ان لا يفعل الشيء المباح له فعله ثم يفعله او ان يفعله ثم لا يفعله مثل ان حلف لا
يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك او حلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه وفائدة الخلاف الذي بين الشافعي وابي حنيفة
في لغو اليمين ان الشافعي لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجبها فيما اذا حلف على شيء يعتقد انه كان
ثم بان انه لم يكن وابو حنيفة يحكم بضد ذلك ومذهب الشافعي هو قول عائشة والشعبي وعكرمة ومذهب ابي حنيفة هو
قول ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعي والزهري وسليمان بن يسار وقتادة ومكحول وقيل في معنى اللغو انه
اليمين في الغضب وقيل هو ما يقع سهوا من غير قصد البتة ومعنى لا يؤاخذكم الله اي لا يعاقبكم بلغو اليمين
وقيل لا يؤاخذكم اي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم يعني ولكن يؤاخذكم
بما عزمتم عليه وقصدتم له وكسب القلب هو العقد والنية فصل في بيان حكم الاية وفيه مسائل
المسئلة الاولى لا تنعقد اليمين الا بالله وباسمائه وصفاته فاما اليمين بالله فهو قول الرجل والذي
نفسي بيده والذي اعبده ونحو ذلك والحلف باسمائه كقوله والله والرحمن والمهيمن ونحوه والحلف بصفاته
فهو كقوله وعزة الله وقدرة الله وعظمة الله ونحو ذلك فاذا حلف بشيء من ذلك ثم حنث فعليه الكفارة المسئلة
الثانية لا يجوز الحلف بغير الله كقوله والكعبة والنبي ونحو ذلك فان حلف بشيء من ذلك لا تنعقد يمينه ولا
كفارة عليه ويكره الحلف به لما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرك عمر وهو يسير في ركب وهو يحلف
بابيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بابائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت اخرجاه
في الصحيحين المسئلة الثالثة اذا حلف على امر في المستقبل فحنث فعليه الكفارة وان حلف على امر ماض
ولم يكن او على انه لم يكن فكان فان كان عالما به حال حلفه بان يقول والله ما فعلت وقد فعل او لقد فعلت
وما فعل فهذه اليمين الغموس وهي من الكبائر وسميت غموسا لانها تغمس صاحبها في الاثم وكسب بها

الكفارة عند الشافعي سواء كان عالما او جاهلا وذهب ابو حنيفة الى انه لا كفارة عليه فان كان عالما فهي كبيرة وان كان جاهلا فهي من
لغو اليمين والله غفور يعني لعباده فيما لغوا من ايمانهم التي اخبر انه لا يؤاخذهم عليها ولو شاء واخذهم والزمهم الكفارة
في العاجل والعقوبة عليها في الآجل حليم يعني في تركه معاجلة اهل العصيان بالعقوبة قال الحليمي في معنى
الحليم انه الذي لا يحبس انعامه وافضاله عن عباده لاجل ذنوبهم ولكنه يرزق العاصي كما يرزق المطيع ويبقيه
وهو منهمك في معاصيه كما يبقي البر التقي وقد يقيه الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره فضلا عن ان يدعوه كما
يقيها الناسك الذي يدعوه ويسأله وقال ابو سليمان الخطابي الحليم ذو الصفح والاناة الذي لا يستفزه غضب
ولا يستخفه جهل جاهل ولا عصيان عاص ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحلم انما الحليم هو الصفوح
مع القدرة على الانتقام المتاني الذي لا يعجل بالعقوبة قوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم يؤلون اي
يحلفون والالية اليمين قال كثير قليل الالايا حافظ ليمينه وان بدرت منه الالية برت والايلاء في عرف الشرع هو
اليمين على ترك الوطء كما اذا قال والله لا اجامعك او لا اباضعك او لا اقربك قال ابن عباس كان اهل الجاهلية
اذا طلب الرجل من امراته شيئا فابت ان تعطيه حلف ان لا يقربها السنة والسنتين والثلاث فيدعها لا ايما ولا
ذات بعل فلما كان الاسلام جعل الله ذلك للمسلمين اربعة اشهر وانزل هذه الاية وقال سعيد بن المسيب
كان الايلاء ضرار اهل الجاهلية فكان الرجل لا يريد المراة ولا يحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها
ابدا فيتركها كذلك لا ايما ولا ذات بعل وكانوا عليه في ابتداء الاسلام فجعل الله تعالى له الاجل الذي
به ما عند الرجل في المراة اربعة اشهر وانزل هذه الاية للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر انتظاره
والتربص التثبت والانتظار فان فاءوا اي رجعوا عن اليمين بالوطء والمعنى فان رجعوا عما حلفوا
عليه من ترك جماعها فان الله غفور رحيم للزوج اذا تاب من اضراره بامراته فانه غفور رحيم لكل التائبين
فروع تتعلق بحكم الاية الفرع الاول اذا حلف انه لا يقرب زوجته ابدا او سمى مدة هي اكثر من اربعة اشهر يوقف
الزوج ويؤمر بالفيء وهو الرجوع او الطلاق وذلك بعد مطالبة الزوجة فان رجع عما قال بالوطء ان قدر عليه
او بالقول مع العجز عنه فان لم يف ولم يطلق طلق عليه الحاكم واحدة وهو قول عمر وعثمان وابي الدرداء وابن عمر
قال سليمان بن يسار ادركت بضعة عشر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يقول يوقف المولي وذهب
سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعي واحمد واسحق وقال ابن عباس وابن
مسعود اذا مضت مدة اربعة اشهر يقع عليها طلقة بائنة وبه قال سفيان الثوري وابو حنيفة
وقال سعيد بن المسيب والزهري يقع عليها طلقة رجعية الفرع الثاني لو حلف ان لا يطاها اقل من
اربعة اشهر فليس بمول بل هو حالف فان وطيها قبل مضي المدة لزمته كفارة يمين الفرع الثالث
لو حلف ان لا يطاها اكثر من اربعة اشهر فليس بمول بعد مضي المدة عند الشافعي لان بقاء المدة شرط
للوقوف وثبوت المطالبة بالفيء او الطلاق وقد مضت المدة وعند ابي حنيفة يكون موليا ويقع الطلاق
بمضي المدة الفرع الرابع مدة الايلاء اربعة اشهر في حق الحر والعبد جميعا عند الشافعي لانها مدة ضربت
لمعنى يرجع الى الطبع وهو قلة صبر المراة عن الزوج فيستوي فيه الحر والعبد كمدة العنة وعند مالك وابي حنيفة
تتنصف مدة الايلاء بالرق غير ان عند ابي حنيفة تتنصف المدة برق المراة وعند مالك برق الزوج كما قالا
في الطلاق الفرع الخامس اذا وطئ خرج عن الايلاء وتجب عليه كفارة يمين وهو اصح اقوال العلماء وقيل لا كفارة
عليه لان الله وعد المغفرة فقال فان فاءوا فان الله غفور رحيم ومن قال بوجوب الكفارة عليه قال ذلك في اسقاط
العقوبة عنه لا في الكفارة وقوله تعالى وان عزموا الطلاق اي حققوه بالايقاع فان الله سميع يعني لاقوالهم

عليم يعني بنيتها ثم وفيه دليل على أنها لا تطلق ما لم يطلقها زوجها لأنه تعالى شرط فيه العزم قوله عز وجل ﴿والمطلقات﴾
أي المخليات من حبال أزواجهن والمطلقة هي التي أوقع الزوج عليها الطلاق ﴿يتربصن بأنفسهن﴾ أي
ينتظرن ﴿ثلاثة قروء﴾ جمع قرء والقرء اسم يقع على الحيض والطهر قال أبو عبيدة الأقراء من الأضداد
كالشفق اسم للحمرة والبياض وقيل إنه حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقيل بالعكس واختلفوا في أصله فقيل
أصله الجمع من قرأ أي جمع لأن في وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع في البدن وقيل
أصله الوقت يقال رجع فلان لقرئه أي لوقته الذي كان فيه لأن الحيض يأتي لوقت والطهر يأتي لوقت
وبحسب اختلاف أهل اللغة في الأقراء اختلف الفقهاء على قولين أحدهما أن الأقراء هي الحيض
يروى ذلك عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وأبي موسى وعبادة بن الصامت وأبي الدرداء
وبه قال عكرمة والضحاك والسدي والأوزاعي وسفيان الثوري وأبو حنيفة وأصحابه وقال أحمد بن حنبل كنت
أقول إن الأقراء وأنا اليوم أذهب إلى أنها الحيض القول الثاني أنها الأطهار يروى ذلك عن زيد بن ثابت
وابن عمر وعائشة وبه قال الزهري وأبان بن عثمان ومالك والشافعي فحجة من يقول إن الأقراء هي
الحيض قوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة دعي الصلاة أيام أقرائك يعني أيام حيضك لأن المرأة لا
تدع الصلاة إلا أيام حيضها وحجة من يقول إنها الأطهار أن ابن عمر لما طلق امرأته وهي حائض قال
النبي صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم إن شاء أمسكها وإن شاء طلق قبل أن يمس
فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها فأخبر أن زمان العدة هو الطهر لا الحيض ويعضده من اللغة قول
الأعشى ففي كل عام أنت جاشم غزوة تشد لأقصاها عزيم عزائكا مورثة مالا وفي الحي رفعة لما
ضاع فيها من قروء نسائكا أراد أنه كان يخرج للغزو ولم يعش نساءه فتضيع أقراؤهن وإنما يضيع
بالسفر زمان الطهر لا زمان الحيض وفائدة الخلاف أن مدة العدة عند الشافعي أقصر وعند غيره
أطول وذلك أن المعتدة إذا شرعت في الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للأزواج وتحسب
بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرءا على قول من يجعل الأقراء أطهارا قالت عائشة إذا دخلت المطلقة
في الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها وحلت للأزواج وروي عنها أنها قالت القرء الطهر ليس بالحيضة
قال الشافعي والنساء بهذا أعلم لأن هذا إنما يبتلى به النساء وإن طلقها في حال الحيض فإذا شرعت في الحيضة
الرابعة انقضت عدتها على قول من يجعل الأقراء حيضا وهو مذهب أبي حنيفة لا تنقضي عدتها وعلى قول
من يجعل الأقراء حيضا وهو مذهب ٢ ما لا تنقضي ما لم تطهر من الحيضة الثالثة إن كان وقع الطلاق
في حال الطهر أو من الحيضة الرابعة إن وقع في حال الحيض فإن قلت ما معنى الإخبار عنهن بالتربص
في قوله والمطلقات يتربصن بأنفسهن قلت هو خبر في صورة معنى الأمر وأصل الكلام وليتربص المطلقات
وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله فكأنهن امتثلن
الأمر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونظيره قولهم في الدعاء يرحمك الله أخرج في صورة الخبر ثقة بالإجابة فكأنما
وجدت الرحمة فهو يخبر عنها **فصل في أحكام العدد** وفيه مسائل المسألة الأولى عدة الحامل
تنقضي بوضع الحمل سواء المطلقة والمتوفى عنها زوجها وسواء في ذلك الحرة والأمة المسألة الثانية عدة
المتوفى عنها زوجها سوى الحامل أربعة أشهر وعشرة أيام سواء مات عنها زوجها قبل الدخول أو بعده
وسواء في ذلك الحائض والآيسة المسألة الثالثة عدة المطلقة المدخول بها وهي ضربان أحدهما الحيض
فعدتها بالأقراء وهي ثلاثة أقراء والضرب الثاني الآيسات من الحيض إما لكبر أو لم تكن تحيض قط

فعدتها ثلاثة أشهر وأما المطلقة قبل الدخول فلا عدة عليها المسألة الرابعة عدة الإماء نصف عدة الحرائر
فيما له نصف وفي الأقراء قرءان لا تتنصف قال عمر بن الخطاب ينكح العبد اثنتين ويطلق تطليقتين وتعتد الأمة حيضتين
وقوله تعالى ﴿ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن﴾ قال ابن عباس يعني الولد وقيل الحيض والمعنى أنه
لا يحل للمرأة كتمان ما خلق الله في رحمها من الحيض والحمل لتبطل بذلك الكتمان حق الزوج من الرجعة والولد
﴿إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ هذا وعيد شديد لتأكيد تحريم الكتمان وإيجاب أداء الأمانة في الإخبار عما في الرحم
من الحيض أو الولد والمعنى أن هذا من فعل المؤمنات وإن كانت المؤمنة والكافرة فيه سواء فهو كقولك أد
حقي إن كنت مؤمنا فلا تظلمني والمعنى ينبغي أن يمنعك إيمانك من الظلم وفي سبب وعيد النساء بهذا قولان
أحدهما أنه لأجل ما يستحقه الزوج من الرجعة قاله ابن عباس والثاني لأجل إلحاق الولد بغير أبيه قاله قتادة
وقيل كانت المرأة إذا رغبت في زوجها تقول إني حائض وإن كانت قد طهرت ليراجعها وإن كانت زاهدة فيه كتمت
حيضها وتقول قد طهرت لتفوته فنهاهن الله عن ذلك وأمرهن بأداء الأمانة ﴿وبعولتهن أحق بردهن في ذلك﴾
يعني أزواجهن سمي الزوج بعلا لقيامه بأمر زوجته وأصل البعل السيد والمالك والمعنى وأزواجهن أولى
برجعتهن وردهن إليهم في ذلك أي في حال العدة فإذا انقضى وقت العدة فقد بطل حق الرد والرجعة
﴿إن أرادوا إصلاحا﴾ يعني إن أرادوا إصلاحا يعني أراد الزوج بالرجعة الإصلاح وحسن العشرة لا الإضرار
بهن وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يراجعون ويريدون بذلك الإضرار فنهى الله المؤمنين عن مثل ذلك وأمرهم
بالإصلاح وحسن العشرة بعد الرجعة ﴿ولهن﴾ يعني وللنساء على الأزواج ﴿مثل الذي عليهن﴾ يعني للأزواج
﴿بالمعروف﴾ وذلك أن حق الزوجية لا يتم إلا إذا كان كل واحد منهما يراعي حق الآخر فيما له وعليه فيجب على الزوج
أن يقوم بجميع حقها ومصالحها ويجب على الزوجة الانقياد والطاعة له قال ابن عباس في معنى الآية إني
أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي لأن الله تعالى قال ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف م عن
جابر أنه ذكر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وقال فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله
في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم
أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف قوله
فاتقوا الله في النساء فيه الحث على الوصية بهن ومراعاة حقوقهن ومعاشرتهن بالمعروف قوله
فإنكم أخذتموهن بأمان الله ويروى بأمانة الله قوله واستحللتم فروجهن بكلمة الله معناه بإباحة الله
والكلمة هي قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقيل الكلمة هي قوله فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان
وقيل الكلمة هي كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله إذ لا تحل مسلمة لغير مسلم وقوله ولا يوطئن
فرشكم أحدا تكرهونه معناه ولا يأذن لأحد يتحدث إليهن وكان من عادة العرب أن يتحدث الرجال
مع النساء ولا يرون ذلك عيبا ولا يعدونه ريبة إلى أن نزلت آية الحجاب فنهوا عن ذلك وليس المراد
بوطء الفرش نفس الزنا فإن ذلك محرم على كل الوجوه فلا معنى لاشتراط الكراهة فيه ولو كان المراد ذلك لم
يكن الضرب فيه ضربا غير مبرح إنما كان فيه الحد والضرب المبرح هو الشديد وقوله ولهن عليكم رزقهن
وكسوتهن بالمعروف يعني بالعدل وفيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وذلك ثابت بالإجماع قوله تعالى
﴿وللرجال عليهن درجة﴾ أي منزلة ورفعة قال ابن عباس بما ساق إليها من المهر وأنفق عليها من المال
وقيل إن فضل الرجال على النساء بأمور منها العقل والشهادة والميراث والدية وصلاحية الإمامة
والقضاء وللرجل أن يتزوج عليها ويتسرى وليس لها ذلك وبيد الرجل الطلاق فهو قادر على تطليقها وإذا

وإذا طلقها رجعية فهو قادر على رجعتها وليس شيء من ذلك بيدها والله عزيز أي غالب لا يمتنع عليه شيء حكيم في جميع أفعاله وأحكامه
روى البغوي بسنده عن أبي ظبيان أن معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجع فرأى رجالا
يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة
أن تسجد لزوجها قوله عز وجل الطلاق مرتان عن عروة بن الزبير قال كان الرجل إذا طلق زوجته ثم ارتجعها قبل أن تنقضي
عدتها كان له ذلك وإن طلقها ألف مرة فعمد رجل لامرأة فطلقها حتى إذا شارفت انقضاء عدتها ارتجعها ثم قال والله
لا آويك إلي ولا تحلين أبدا فأنزل الله الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان فاستقبل الناس الطلاق
جديدا من ذلك اليوم من كان طلق أو لم يطلق أخرجه الترمذي وله عن عائشة قالت كان الناس والرجل يطلق
امرأته ما شاء الله أن يطلقها وهي امرأته إذا ارتجعها وهي في العدة وإن طلقها مائة مرة أو أكثر حتى قال رجل لامرأته والله لا أطلقك
فتبيني مني ولا آويك أبدا قالت وكيف ذلك قال أطلقك فكلما همت عدتك أن تنقضي راجعتك فذهبت المرأة
حتى دخلت على عائشة فأخبرتها فسكتت حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل القرآن
الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان قالت عائشة فاستأنف الناس الطلاق مستقبلا من
كان طلق ومن لم يطلق ومعنى الآية أن الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثالثة إلا أن تنكح زوجا آخر وهذا
التفسير هو قول من جوز الجمع بين الطلاق الثلاث في دفعة واحدة وهو الشافعي وقيل في معنى الآية أن التطليق
الشرعي يجب أن يكون تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والإرسال دفعة واحدة وهذا التفسير هو
قول من قال إن الجمع بين الثلاث حرام إلا أن أبا حنيفة قال يقع الثلاث وإن كان حراما وقيل إن الآية دالة على عدد الطلاق
الذي يكون للرجل فيه الرجعة على زوجته والذي تبين به زوجته منه والمعنى أن عدد الطلاق الذي لكم الرجوع على أزواجكم إذا كن العدد
مدخولا بهن تطليقتان وإنه لا رجعة له بعد التطليقتين إن سرحها فطلقها الثالثة فإمساك بمعروف يعني بعد الرجعة
وذلك أنه إذا راجعها بعد التطليقة الثانية فعليه أن يمسكها بالمعروف وهو كل ما عرف في الشرع من أداء حقوق النكاح وحسن
الصحبة أو تسريح بإحسان يعني أنه يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها من غير مضارة وقيل هو أنه إذا طلقها أدى
إليها جميع حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها فروع تتعلق بأحكام الطلاق الفرع الأول
صريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلاث الطلاق والفراق والسراح وعند أبي حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق
فقط الفرع الثاني الحر إذا طلق زوجته طلقة أو طلقتين بعد الدخول فله مراجعتها من غير رضاها ما دامت
في العدة فإذا لم يراجعها حتى انقضت عدتها أو طلقها قبل الدخول بها أو خالعها فلا تحل له إلا بنكاح جديد بإذنها
وإذن وليها الفرع الثالث العبد يملك على زوجته الأمة طلقتين واختلفوا فيما إذا كان أحد الزوجين حرا فالحر يملك
على زوجته الأمة ثلاث تطليقات والعبد يملك على زوجته الحرة طلقتين ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن يعني
أعطيتموهن شيئا يعني من مهر ونحوه ثم استثنى الخلع فقال تعالى إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله نزلت في جميلة
بنت عبد الله بن أبي ويقال حبيبة بنت سهل الأنصارية كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه
وهو يحبها فكان بينهما كلام فأتت أباها فشكت إليه زوجها وقالت إنه يسيء إلي ويضربني فقال ارجعي إلى زوجك
فإني أكره للمرأة أن لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها قال فرجعت إليه الثانية وبها أثر الضرب فقال لها
ارجعي إلى زوجك فلما رأت أن أباها لا يشكيها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت إليه زوجها وأرته آثارا بها
من ضربه وقالت يا رسول الله لا أنا ولا هو فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثابت فقال ما لك ولأهلك فقال والذي
بعثك بالحق نبيا ما على وجه الأرض أحب إلي منها غيرك فقال لها ما تقولين فكرهت أن تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين سألها فقالت صدق يا رسول الله ولكن قد خشيت أن يهلكني فأخرجني منه وقالت يا رسول الله ما كنت أحدثك

حديثا ينزل عليك خلافه هو أكرم الناس حبا لزوجته ولكني أبغضه فلا أنا ولا هو فقال ثابت أعطيتها حديقة فتلك
أمرك قالت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما أعطيتها وخل سبيلها ففعل (خ) عن ابن عباس أن
امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين ولكني
أكره الكفر في الإسلام قال أبو عبد الله يعني تبغضه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتردين عليه حديقته قالت نعم فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة قولها ما أعتب يعني ما أجد عليه والغضب لموجدة والحديقة
البستان من النخل إذا كان عليه الحائط ومعنى قوله تعالى إلا أن يخافا أي يعلما الزوجان من أنفسهما أن لا يقيما حدود
الله والمعنى تخاف المرأة أن تعصي الله في أمر زوجها ويخاف الزوج أنه إذا لم تطعه أن يعتدي عليها فنهى الله الرجل أن يأخذ
من امرأته شيئا مما أعطاها إلا أن يكون النشوز من قبلها وذلك أن تقول لا أطيع لك أمرا ولا أطأ لك مضجعا ونحو ذلك وقرئ يخافا
بضم الياء ومعناه إلا أن يعلم ذلك من حالهما يعني يعلم القاضي والوالي فإن خفتم يعني فإن خشيتم وأشفقتم وقيل معناه فإن
ظننتم ألا يقيما حدود الله يعني ما أوجب الله على كل واحد منهما من طاعته فيما أمره به من حسن الصحبة والمعاشرة
بالمعروف وقيل هو يرجع إلى المرأة وهو سوء خلقها واستخفافها بحق زوجها فلا جناح عليهما فيما افتدت به
أي لا جناح على المرأة في النشوز إذا خشيت الهلاك والمعصية فيما افتدت به نفسها وأعطت من المال لأنها ممنوعة
من إتلاف المال بغير حق ولا على الزوج فيما أخذ من المال إذا أعطته المرأة طائعة راضية فصل في حكم الخلع وفيه
مسائل المسألة الأولى قال الزهري والنخعي وداود لا يباح الخلع إلا عند الغضب والخوف من أن لا يقيما حدود الله فإن
وقع الخلع في غير هذه الحالة فهو فاسد وحجة هذا القول أن الآية صريحة في أنه لا يجوز للزوج أن يأخذ من المرأة
عند طلاقها شيئا ثم استثنى الله تعالى حالة مخصوصة فقال إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فكانت هذه صريحة
في أنه لا يجوز الأخذ في غير حالة الغضب والخوف من أن لا يقيما حدود الله وذهب جمهور العلماء إلى أنه يجوز
الخلع من غير نشوز ولا غضب غير أنه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب (ق) عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيما امرأة
سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة أخرجه أبو داود والترمذي عن ابن عمر عن النبي صلى
الله عليه وسلم أبغض الحلال إلى الله الطلاق أخرجه أبو داود ودليل الجمهور على جواز الخلع من غير نشوز قوله تعالى
فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فإذا جاز لها أن تهب مهرها من غير أن يحصل لها شيء بإزاء ما
بذلت كان ذلك في الخلع الذي تصير بسببه مالكة نفسها أولى وأجيب عن الاستثناء المذكور في هذه الآية أنه
محمول على الاستثناء المنقطع المسألة الثانية الخلع جائز على أكثر مما أعطاها به قال أكثر العلماء وقيل
لا يجوز أن يأخذ أكثر مما أعطاها وهو قول علي وبه قال الشعبي والزهري والحسن وعطاء وطاوس وقال سعيد
ابن المسيب بل يأخذ دون ما أعطاها حتى يكون الفضل له وحجة الجمهور أن الخلع عقد على معاوضة
فوجب أن لا يتقيد بمقدار معين كما أن للمرأة أن لا ترضى عند عقد النكاح إلا بالكثير فكذلك للزوج أن لا يرضى
عند الخلع إلا بالبذل الكثير لا سيما وقد أظهرت الاستخفاف بالزوج حيث أظهرت بغضه وكراهته
المسألة الثالثة اختلف العلماء في الخلع هل هو فسخ أو طلاق فقال الشافعي في القديم إنه فسخ وهو قول
ابن عباس وطاوس وعكرمة وبه قال أحمد وإسحاق وأبو ثور وقال الشافعي في الجديد إنه طلاق وهو الأظهر
وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود والحسن والشعبي والنخعي وعطاء وابن المسيب ومجاهد ومكحول والزهري
وبه قال أبو حنيفة ومالك وسفيان الثوري وحجة القول القديم أن الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده
الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال فإن طلقها فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ولو كان الخلع طلاقا لكان الطلاق
أربعا وحجة القول الجديد أنه لو كان فسخا فإذا خالعها ولم يذكر وجب أن يجب المهر عليها كالإقالة فإن

التي هي له وان لم يذكره فثبت ان الخلع ليس بفسخ واذا بطل ذلك ثبت انه طلاق وايضاً فان المطلقة الثالثة قوله او
تسريح باحسان وفائدة الخلاف انا اذا جعلناه طلاقاً نقص به عدد الطلاق فان تزوجها بعده كانت معه ينقص
على طلقتين وان جعلناه فسخاً بانت منه بثلاث قوله تعالى تلك حدود الله يعني هذه اوامر الله ونواهيه وهو ما
تقدم من احكام الطلاق والرجعة والخلع وحدود الله ما منع من مجاوزتها وهو قوله فلا تعتدوها اي تتجاوزوها
ومن يتعد حدود الله اي يجاوزها فاولئك هم الظالمون قوله تعالى فان طلقها يعني الطلقة الثالثة فلا تحل له من بعد
اي لا تحل له رجعتها بعد الثلاث حتى تنكح زوجاً غيره يعني حتى تتزوج زوجاً آخر غير المطلق فيجامعها والنكاح يتناول
العقد والوطء جميعاً والمراد هنا الوطء نزلت في تميمة وقيل عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي كانت تحت ابن عمها
رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي فطلقها ثلاثاً ق عن عائشة قالت جاءت امرأة رفاعة القرظي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت اني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وانما معه مثل هدبة الثوب
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك
قولها فبت طلاقي اي قطعه والبت القطع وقولها مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله اي طرفه وهو كناية عن استرخاء
الذكر قوله حتى تذوقي عسيلته بضم العين تصغير عسلة شبه لذة الجماع بالعسل وهو كناية عنه وانما
انث العسل لان من العرب من يؤنثه وقيل انثه حملاً له على المعنى لان المراد منه النطفة وعبد الرحمن المذكور
هو عبد الرحمن بن الزبير بفتح الزاي وكسر الباء المشددة وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي قد مسني فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلن نصدقك في الآخر فلبثت حتى
قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر فقالت يا خليفة رسول الله ارجع الى زوجي الاول فان زوجي الآخر قد مسني
وطلقني فقال لها ابو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اتيته وقال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر
اتت عمر وقالت له مثل ما قالت لابي بكر فقال لها لئن رجعت اليه لارجمنك وقوله تعالى فان طلقها يعني الزوج
الثاني بعد وطئها فلا جناح عليهما يعني على المرأة والزوج الاول ان يتراجعا يعني بنكاح جديد ان ظنا
اي علما وايقنا وقيل ان رجوا لان احداً لا يعلم ما هو كائن الا الله تعالى ان يقيما حدود الله يعني يقيما بينهما
الصلاح وحسن العشرة والصحبة وقيل معناه ان علم ان نكاحها على غير دلسة والمراد بالدلسة التحليل [illegible]
الاول مذهب جمهور العلماء ان المطلقة بالثلاث لا تحل للزوج المطلق منه الا بثلاث شرائط وهي ان تعتد منه ثم
تتزوج بزوج آخر ويطأها ثم يطلقها ثم تعتد منه فاذا حصلت هذه الشرائط فقد حلت والا فلا وقال سعيد بن
جبير وسعيد بن المسيب تحل بمجرد العقد والمذهب الاول هو الاصح واختلف العلماء في اشتراط الوطء هل ثبت
بالكتاب او بالسنة على ثلاثة اقوال الثالث وهو المختار انه ثبت بهما الثاني اذا تزوج بالمطلقة ثلاثاً
ليحللها للاول فهذا النكاح باطل وعقد فاسد قاله مالك واحمد لما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه لعن المحلل والمحلل له اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وروي انه قال هو التيس المستعار وان تزوجها
ولم يشترط في النكاح انه يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل اذا طلقها وانقضت العدة الا انه يكره اذا كان غيره
في عزمهما ذلك وبه قال الشافعي وابو حنيفة ودليل ذلك ان الآية دلت على ان الحرمة تنتهي بوطء مسبوق
بعقد وقد وجد ذلك فوجب القول بانتهاء الحرمة وقال نافع اتى رجل الى ابن عمر فقال ان رجلاً طلق امرأته
ثلاثاً فانطلق اخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للاول فقال ان رجلاً طلق امرأته ثلاثاً ثم انطلق [illegible]
لا الا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون
يعني يعلمون ما امرهم به ونهاهم عنه وانما خص العلماء لانهم هم الذين ينتفعون بذلك البيان قوله عز وجل واذا طلقتم
النسا

٥٧
النساء فبلغن اجلهن نزلت في ثابت بن يسار رجل من الانصار طلق امرأته حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم
طلقها يقصد بذلك مضارتها فبلغن اجلهن اي قاربن انقضاء عدتهن وشارفن منتهاها ولم يرد انقضاء العدة
لانه لو انقضت عدتها لم يكن للزوج امساكها فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة كما يقال بلغ فلان البلد اذا قاربه وشارفه
فهذا من باب المجاز الذي يطلق اسم الكل فيه على الاكثر وقيل ان الاجل اسم للزمان فيحمل على الزمان الذي
هو آخر ما يمكن ايقاع الرجعة فيه بحيث اذا فات لا يبقى بعده مكنة الرجعة وعلى هذا التأويل فلا حاجة
بنا الى المجاز فامسكوهن اي راجعوهن بمعروف وهو ان يشهد على رجعتها وان يراجعها بالقول لا بالوطء
او سرحوهن بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن انفسهن ولا تمسكوهن ضراراً اي لا تقصدوا بالرجعة
المضارة بتطويل الحبس وقيل كانوا يضارونهن لتفتدي المرأة منه بمالها لتعتدوا اي لتظلموهن بمجاوزتكم في امرهن
حدود الله التي بينها لكم وقيل معناه لا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه [illegible] امر الله
وتعريضها عذاب الله ولا تتخذوا آيات الله هزواً يعني بذلك ما بين من حلاله وحرامه وامره ونهيه في وحيه وتنزيله فلا تتخذوا
ذلك استهزاء ولعباً فمن وجب عليه طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصل اليه هذه الاحكام التي تقدم ذكرها في العدة والرجعة
والخلع وترك المضارة فلا تتخذوها هزواً فانه تهديد عظيم ووعيد شديد وقيل هو راجع الى قوله فامساك بمعروف
او تسريح باحسان فكل من خالف امراً من امور الشرع فهو متخذ آيات الله هزواً وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج
ويقول كنت لاعباً فنهوا عن ذلك عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث جدهن جد وهزلهن جد
النكاح والطلاق والرجعة اخرجه ابو داود والترمذي وقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم يعني بالايمان الذي انعم الله به عليكم وهداكم
له وسائر نعمه التي انعم بها عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة اي واذكروا ما انزل عليكم من الكتاب يعني القرآن والحكمة يعني السنة نعمه
التي علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنها لكم وقيل اراد بالحكمة مواعظ القرآن يعظكم به اي بالكتاب الذي انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم
واتقوا الله يعني خافوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه واعلموا ان الله بكل شيء عليم يعني انه تعالى يعلم ما اخفيتم من طاعة ومعصية
في سر وعلن لا يخفى عليه شيء من ذلك قوله تعالى واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن نزلت في معقل بن يسار المزني
عضل اخته جميلة وكانت تحت ابي البداح عاصم بن عدي فطلقها خ عن معقل بن يسار قال كانت لي اخت تخطب الي وامنعها
من الناس فاتاني ابن عم لي فانكحتها اياه فاصطحبا ما شاء الله ثم طلقها طلاقاً له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها
فلما خطبت الي اتاني يخطبها مع الخطاب فقلت له خطبت الي فمنعتها الناس واثرتك بها فزوجتكها ثم طلقتها
طلاقاً لك رجعة ثم تركتها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي جئتني تخطبها مع الخطاب والله لا انكحتها ابداً ففي نزلت
نزلت هذه الآية واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن الآية فكفرت عن يميني
وانكحتها اياه اخرجه البخاري وقيل ان جابر بن عبد الله كانت له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة فلما انقضت عدتها
اراد ان يرجعها فابى جابر وقال طلقت ابنة عمنا ثم تريد ان تنكحها الثانية وكانت المرأة تريد زوجها قد رضيته
فنزلت هذه الآية واراد ببلوغ الاجل في قوله فبلغن اجلهن انقضاء العدة بخلاف الآية التي قبل هذه
قال الشافعي دل اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن خطاب للاولياء والمعنى
لا تضيقوا عليهن لان الاولياء كانوا يمنعوهن من مراجعة ازواجهن بنكاح جديد يبتغون بذلك مضارتهن فهو
خطاب عام لجميع الاولياء وان كان سبب الآية خاصاً واصل العضل المنع والتضييق ومنه قول اوس بن حجر
وليس اخوك الدائم العهد بالذي يذمك ان ولى ويرضيك مقبلاً ولكنه النائي اذا كنت آمناً وصاحبك الادنى اذا
الامر اعضلا يعني اذا ضاق الامر وفي الآية دليل [illegible] في ان المرأة لا تلي عقد النكاح ولولا ذلك
اذ لو كانت تملك ذلك لم يكن عضل ولا لنهي الولي عن العضل معنى ومن [illegible] اذا تراضوا بينهم بالمعروف يعني اذا تراضى

الخطاب والنساء والمعروف هنا ما وافق الشرع من عقد حلال ومهر جائز وقيل هو ان يرضى كل واحد منهما بما التزمه لصاحبه
بحق العقد حتى تحصل الصحبة الحسنة والعشرة الجميلة ﴿ذلك يوعظ به﴾ يعني ذلك الذي ذكر من النهي ﴿يوعظ به من كان منكم
يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ يعني ان المؤمن هو الذي ينتفع بالوعظ دون غيره ﴿ذلكم ازكى لكم واطهر﴾ يعني انه خير لكم واطهر لقلوبكم
والطيب عند الله ﴿والله يعلم﴾ يعني ما في ذلك من الزكاء والتطهير ﴿وانتم لا تعلمون﴾ يعني ذلك قوله عز وجل ﴿والوالدات﴾ يعني
المطلقات اللاتي لهن اولاد من ازواجهن وقيل المراد هن جميع الوالدات سواء كن مطلقات او مزوجات ويدل
عليه ان اللفظ عام وما قام دليل التخصيص فوجب تركه على عمومه ولانه ظاهر اللفظ فوجب حمله عليه ﴿يرضعن
اولادهن﴾ هذا خبر بمعنى الامر والتقدير والوالدات يرضعن اولادهن في حكم الله الذي اوجبه وهذا الامر ليس امر ايجاب
وانما هو امر ندب واستحباب لان تربية الطفل بلبن الام اصلح له من لبن غيرها ولكمال شفقتها عليه ويدل على انه لا
يجب على الوالدة ارضاع الولد قوله فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن ولو وجب عليها الرضاع لما استحقت الاجرة وقال
تعالى فان تعاسرتم فسترضع له اخرى وهذا النص صريح في ذلك فاذا لم يوجد من يرضع الطفل او لم يقبل غير لبنها
امه وجب عليها ارضاعه كما يجب على كل احد مواساة المضطر فاذا رغبت الام في ارضاع ولدها فهي اولى من
غيرها ﴿حولين كاملين﴾ الحول السنة واصله من حال الحول اذا انقلب وانما قال كاملين للتوكيد لانهما يتسامح
فيه تقول اقمت عند فلان حولا وان لم تستكمله فبين الله انهما حولان كاملان اربعة وعشرون شهرا وهذا التحديد
بالحولين ليس تحديد ايجاب ويدل على ذلك قوله بعده ﴿لمن اراد ان يتم الرضاعة﴾ فلما علق الاتمام بارادتنا علمنا ان هذا
الاتمام غير واجب فثبت ان المقصود من هذا التحديد قطع التنازع بين الزوجين في مقدار زمن الرضاعة
فقدر الله تعالى ذلك بالحولين حتى يرجعا اليه عند التنازع قال ابن عباس في رواية عكرمة اذا وضعت الولد
لستة اشهر ارضعته حولين وان وضعته لسبعة اشهر ارضعته ثلاثة وعشرين شهرا وان وضعته لتسعة اشهر ارضعته
احدا وعشرين شهرا كل ذلك تمام ثلثين شهرا لقوله وحمله وفصاله ثلثون شهرا وقال في رواية الوالبي عنه هو حد لكل مولود
في اي وقت ولد لا ينقص رضاعه من حولين الا باتفاق من الابوين فايهما اراد فطام الولد قبل الحولين فليس له ذلك
الا ان يتفقا عليه يدل على ذلك قوله فان ارادا فصالا عن تراض منهما وقيل فرض الله على الوالدات ارضاع الولد
حولين ثم انزل التخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اي هذا منتهى الرضاع لمن اراد اتمام الرضاعة وليس فيما دون
ذلك حد محدود وانما هو على مقدار اصلاح الطفل وما يعيش به ﴿وعلى المولود له﴾ يعني الاب وانما عبر عنه بهذا لان
الوالدات انما ولدن للآباء ولذلك ينسب الولد للاب دون الام قال بعضهم انما امهات الناس اوعية مستودعات
وللآباء ابناء وقيل ان هذا تنبيه على ان الولد انما يلتحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه فكانه قال اذا ولدت المرأة
الولد لاجل الرجل وعلى فراشه وجب عليه رعاية مصالحه ﴿رزقهن﴾ يعني طعامهن ﴿وكسوتهن﴾ اي لباسهن
﴿بالمعروف﴾ اي على قدر الميسرة ﴿لا تكلف نفس الا وسعها﴾ يعني طاقتها والمعنى ان ابا الولد لا يكلف في الانفاق
عليه وعلى امه الا قدر ما يتسع به مقدرته ولا يبلغ استغراق القدرة ﴿لا تضار والدة بولدها﴾ يعني لا ينزع الولد
من امه بعد ان رضيت بارضاعه ولا يدفع الى غيرها وقيل معناه لا تكره الام على ارضاع الولد وقيل الصبي
لبن غيرها لان ذلك ليس بواجب عليها ﴿ولا مولود له بولده﴾ يعني لا تلقي المرأة الولد الى ابيه وقد الفها تضارا
بذلك وقيل معناه لا يلزم الاب ان يعطي ام الولد اكثر مما يجب عليه لها اذا لم يرضع الولد من غير امه فعلى هذا
يرجع الضرار الى الوالدين فيكون المعنى لا يضار كل واحد صاحبه بسبب الولد وقيل يحتمل ان يكون
الضرار راجعا الى الولد والمعنى لا يضار كل واحد من الابوين الولد فلا ترضعه حتى يموت فيتضرر بذلك ولا ينفق عليه الاب
او ينزعه من امه فيتضرر بذلك فعلى هذا يكون الباء صلة والمعنى لا تضار والدة ولدها ولا اب ولده ﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾ يعني

وعلى وارث الاب الولد اذا مات مثل ما كان يجب عليه من النفقة والكسوة فيلزم وارث الاب ان يقوم مقامه في القيام بحق الولد وقيل
المراد بالوارث وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه فعلى هذا الوارث مثل ما كان يجب على ابي الصبي حال حياته واختلفوا في اي وارث هو فقيل هم عصبة الصبي
كالجد والاخ والعم وابنه وقيل هو كل وارث له من الرجال والنساء وبه قال احمد فيجبر وارث الصبي على نفقته كل على قدر سهمه منه وقيل هو
من كان ذا رحم محرم منه وبه قال ابو حنيفة وقيل المراد بالوارث الصبي نفسه فعلى هذا تكون اجرة رضاع الصبي في ماله فان
لم يكن له مال فعلى الام ولا يجبر على نفقة الصبي غير الابوين وبه قال مالك والشافعي وقيل معناه وعلى الوارث ترك المضارة
﴿فان ارادا﴾ يعني الوالدين ﴿فصالا﴾ يعني فطام الولد قبل الحولين ﴿عن تراض منهما وتشاور﴾ اي لا يضر بالولد والمشاورة استخراج الراي بما فيه مصلحة
﴿فلا جناح عليهما﴾ اي فلا حرج ولا اثم على الوالدين في الفطام قبل الحولين اذا لم يضر بالولد ﴿وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم﴾
اي لاولادكم مراضع غير امهاتهم اذا ماتت امهاتهم او ابين ارضاعهم او تعذر ذلك لعلة لهن من انقطاع لبن وغيره لكن اردن
التزويج ﴿فلا جناح عليكم اذا سلمتم﴾ يعني الى المراضع ﴿ما آتيتم﴾ يعني الى المراضع اجورهن من اجرة الرضاع وقيل
اذا سلمتم الى امهاتهم من اجرة الرضاع بقدر ما ارضعن ﴿بالمعروف﴾ اي بالاحسان والاجمال امروا ان يكونوا عند
تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن من تفريطهن
بقطع معاذيرهن ﴿واتقوا الله﴾ اي وخافوا الله فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما اوجب عليكم لاولادكم ﴿واعلموا
ان الله بما تعملون بصير﴾ يعني لا يخفى عليه خافية من جميع اعمالكم سرها وعلانيتها فانه تعالى يراها ويعلمها قوله تعالى
﴿والذين يتوفون منكم﴾ واصل التوفي اخذ الشيء وافيا فمن مات فقد استوفى عمره كاملا ويقال توفي فلان بمعنى قبض
واخذ ﴿ويذرون﴾ اي ويتركون ﴿ازواجا﴾ والمراد بالازواج هنا النساء لان العرب تطلق اسم الزوج على الرجل
والمرأة ﴿يتربصن﴾ اي ينتظرن ﴿بانفسهن اربعة اشهر وعشرا﴾ يعني فيتربصن هذه المدة وانما قال عشرا بلفظ التانيث
لان العرب اذا ابهمت العدد من الليالي والايام غلبوا الليالي حتى ان احدهم ليقول صمت عشرا من الشهر لكثرة تغليبهم
الليالي على الايام فاذا اظهروا الايام قالوا صمنا عشرة ايام وقيل ان هذه الايام ايام حزن ولبس حداد فشبهها
بالليالي على سبيل الاستعارة ووجه الحكمة في ان الله تعالى حد العدة بهذا القدر لان الولد يركض في بطن امه لنصف
مدة الحمل يعني يتحرك وقيل ان الروح تنفخ في الولد في هذه العشرة ايام ويدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود
قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة
مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اليه ملكا فيكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح
الحديث اخرجاه في الصحيحين بزيادة فدل هذا الحديث ان خلق الولد يجمع في مدة اربعة اشهر ويتكامل خلقه
وينفخ الروح فيه في هذه الايام الزائدة **فصل** في حكم عدة المتوفى عنها زوجها والاحداد وفيه مسائل
المسألة الاولى عدة المتوفى عنها زوجها اربعة اشهر وعشر وعدة الامة على نصف عدة الحرة شهران
وخمسة ايام وبه قال جمهور العلماء وقال ابو بكر الاصم عدة الامة كعدة الحرة وتمسك بظاهر هذه الاية
وعدة الحامل بوضع الحمل سواء فيه الحرة والامة ولو وضعت بعد وفاة زوجها بلحظة حل لها ان تتزوج ويدل على ذلك
ما روي عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرا فتوفي
عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل
عليها ابو السنابل بن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال لها ما لي اراك تجملت للخطاب لعلك ترجين النكاح وانك
والله ما انت بناكح حتى يمر عليك اربعة اشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين امسيت
واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فافتاني باني قد حللت حين وضعت حملي وامرني بالتزوج
ان بدا لي اخرجاه في الصحيحين وفيه قال ابن شهاب ولا ارى باسا ان تتزوج حين وضعت وان كانت في دمها غير

انه لا يقربها حتى تطهر فعلى هذا يكون حكم الاية عاما في كل من توفي عنها زوجها بان تعتد اربعة اشهر وعشرا ثم خصص
من هذا العموم اولات الاحمال بهذا الحديث وبقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن المسألة الثانية
يجب على من توفي عنها زوجها الاحداد وهو ترك الزينة والطيب والدهن للراس بكل دهن والكحل للطيب فان
اضطرت الى الكحل فيه زينة فرخص لها فيه قال مالك وابو حنيفة وقال الشافعي تكتحل به بالليل وتمسحه
بالنهار عن ام سلمة قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفي ابو سلمة وقد جعلت على صبرا فقال ما هذا
يا ام سلمة فقلت انما هو صبر يا رسول الله ليس فيه طيب فقال انه يشب الوجه فلا تجعليه الا بالليل وتنزعيه بالنهار
ولا تمتشطي بالطيب ولا بالحناء فانه خضاب قلت باي شيء امتشط يا رسول الله قال بالسدر تغلفين به راسك
اخرجه ابو داود وللنسائي نحوه قوله فانه يشب الوجه اي يوقده ويحسنه وينوره من شب النار اذا
اوقده قوله تغلفين به راسك اي تلطخين به راسك والتغلف هو الطرح على وجه المراة وكذا راسها اذا لطخته بشيء
فاكثرت منه ولا يجوز لها لبس الديباج والحرير والحلي والمصبوغ للزينة كالاحمر والاصفر ويجوز ما صبغ لغير
الزينة كالاسود والازرق ويجوز ان تلبس البياض من الثياب والصوف والوبر عن زينب بنت
ابي سلمة قالت دخلت على ام حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها
ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامراة تؤمن
بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا قالت زينب ثم دخلت على
زينب بنت جحش حين توفي اخوها فدعت بطيب فمست منه ثم قالت اما والله ما لي بالطيب من حاجة
غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت
فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا م عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامراة تؤمن بالله
واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوجها ق عن ام عطية قالت كنا ننهى ان نحد على ميت فوق
ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا ولا نكتحل ولا نتطيب ولا نلبس ثوبا مصبوغا الا ثوب عصب وقد
رخص لنا عند الطهر اذا اغتسلت احدانا من حيضها في نبذة من كست اظفار قولها الا ثوب عصب العصب
بالعين والصاد المهملتين من البرود التي صبغ غزلها قبل النسج قولها نبذة من كست النبذة الشيء اليسير
والكست لغة في القسط وهو شيء معروف يتبخر به عن ام سلمة قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم المتوفى عنها
زوجها لا تلبس المعصفر ولا الممشقة ولا الحلي ولا تختضب ولا تكتحل اخرجه ابو داود قوله ولا الممشقة الثياب الممشقة
هي المصبوغة بالمشق وهو المغرة عن نافع ان صفية بنت ابي عبيد اشتكت عينيها وهي حاد على زوجها ابن عمر
فلم تكتحل حتى كادت عيناها ترمصان اخرجه مالك في الموطا المسألة الثالثة اختلفوا في ان هذه
المدة سببها الوفاة او العلم بالوفاة فقال بعضهم ما لم تعلم بوفاة زوجها لا تعتد بانقضاء الايام في العدة واحتجوا
على ذلك بان الله تعالى قال يتربصن بانفسهن وذلك لا يحصل الا بالقصد الى التربص ولا يحصل ذلك الا مع العلم
وقال الجمهور السبب هو الموت فلو انقضت المدة او اكثرها او بعضها ثم بلغها خبر موت الزوج وجب
ان تعتد بما انقضى ويدل على ذلك ان الصغيرة التي لا علم لها يكفي في انقضاء عدتها انقضاء هذه الازمنة يعني
المدة المسألة الرابعة اجمع العلماء على ان هذه الاية ناسخة لما بعدها من الاعتداد بالحول وان كانت هذه
الاية متقدمة في التلاوة وسنذكر تمام الكلام عليه بعون الله في موضعه ان شاء الله تعالى والله اعلم وقوله تعالى فاذا
بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم خطاب للاولياء الذين يتولون العقد فيما فعلن في
انفسهن بالمعروف يعني من التزين والتطيب والنقلة من المسكن الذي كانت معتدة فيه ونكاح من والتطيب

يجوز لها نكاحه وقيل انما عنى بذكر النكاح خاصة وقيل معنى قوله بالمعروف هو النكاح الحلال الطيب واحتج اصحاب ابي حنيفة
على جواز النكاح بغير ولي بهذه الاية لان اضافة الفعل الى الفاعل محمول على المباشرة واجاب اصحاب الشافعي بان قوله تعالى
فلا جناح عليكم خطاب للاولياء ولو صح العقد بغير ولي لما كان مخاطبا واجيب عن قوله فيما فعلن في انفسهن انما هو التزين
والتطيب بعد انقضاء العدة لا انها تزوج نفسها والله بما تعملون خبير يعني انه تعالى لا يخفى عليه خافية والخبير
في صفة الله تعالى هو العالم بكنه الشيء وحقيقته من غير شك والخبير في صفة المخلوقين انما يستعمل في نوع
من العلم وهو الذي يتوصل اليه بالاجتهاد والفكر والله تعالى منزه عن ذلك كله قوله عز وجل ولا جناح اي لا حرج
عليكم فيما عرضتم به اي لوحتم واشرتم به والتعريض ضد التصريح ومعناه ان يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على
مقصوده ويصلح للدلالة على غير مقصوده ولكن اشعاره بجانب المقصود اتم وارجح وقيل هو الاشارة الى الشيء
يفهم السامع مقصوده من غير تصريح وقيل التعريض من الكلام ما له ظاهر وباطن من خطبة النساء يعني
المعتدات في عدتهن والخطبة بالكسر طلب النكاح والتماسه وقيل هو ذكر النساء والخطبة بالضم
كلام منظوم له اول وآخر ومعنى الاية فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن والتعريض بالخطبة في العدة
مباح وهو ان يقول انك لجميلة وانك لصالحة ومن غرضي التزوج واني فيك لراغب وعسى الله ان ييسر لي امراة
صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم من غير تصريح بان يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك ونحو ذلك ويدل
على صحة هذا التاويل ما روي عن ابن عباس في قوله تعالى فيما عرضتم به من خطبة النساء هو ان يقول
اني اريد التزويج وان النساء لمن حاجتي ولوددت انه تيسر لي امراة صالحة اخرجه البخاري وروي ان سكينة
بنت حنظلة تأيمت فدخل عليها ابو جعفر محمد بن علي الباقر في عدتها فقال قد علمت قرابتي من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقالت سكينة غفر الله لك تخطبني في عدتي وانت يؤخذ
عنك فقال انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة
وهي في عدة زوجها ابي سلمة فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده
من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة او اكننتم يعني اضمرتم في انفسكم يعني من نكاحهن وقيل هو ان يدخل
ويسلم ويهدي ان شاء ولا يتكلم بشيء والمقصود انه لا حرج عليكم في التعريض للمراة في عدة الوفاة ولا فيما
يضمر الرجل في نفسه من الرغبة فيها علم الله انكم ستذكرونهن يعني بقلوبكم لان شهوة النفس
والتمني لا يخلو منه احد فلما كان هذا الخاطر كالشيء الشاق اسقط عنه الحرج ولكن لا تواعدوهن
سرا اختلفوا في معنى هذا السر المنهي عنه فقيل هو الزنا كان الرجل يدخل على المراة يعرض بالنكاح
ومراده الزنا ويقول لها دعيني فاذا وفيت عدتك اظهرت نكاحك فنهوا عن ذلك وقيل هو قول الرجل
للمراة لا تفوتيني بنفسك فاني ناكحك وقيل هو ان يأخذ عليها العهد والميثاق ان لا تتزوج غيره وقيل
هو ان لا يخطبها في العدة وقال الشافعي السر الجماع وهو رواية عن ابن عباس قال الكلبي لا تصفوا انفسكم
لهن بكثرة الجماع ويدل على ان لفظ السر كناية عن الجماع قول امرئ القيس الا زعمت بسباسة القوم انني كبرت
وان لا يحسن السر امثالي بسباسة اسم امراة وانما وقع الكناية عن الجماع بالسر لانه مما يسر والله تعالى حيي
كريم فكنى به عن لفظ الجماع الصريح ومعنى الاية ان الله تعالى اذن في اول الاية في التعريض بالخطبة ومنع في
آخرها عن التصريح بالخطبة الا ان تقولوا قولا معروفا يعني هو ما ذكر من التعريض بالخطبة وقيل هو اعلام
ولي المراة انه راغب في نكاحها ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله اي لا تحققوا العزم
على عقد النكاح في العدة حتى تنقضي وانما سماها كتابا لانها فرض واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه

اي فيه واعلموا ان الله غفور حليم لا يعجل بالعقوبة على من جاهره بالمعصية بل يستر عليه قوله تعالى لا جناح
عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة يعني ولم تعينوا لهن صداقا ولم توجبوه على
نزلت في رجل من الانصار تزوج امراة من بني حنيفة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل ان يمسها فنزلت هذه
الاية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم امتعها ولو بقلنسوتك فان قلت هل على من طلق امراته جناح بعد المسيس
حتى يوضع عنه الجناح قبل المسيس قلت وجه نفي الحرج والجناح عنه قلت فيه قطع سبب الوصلة وما جاء في الحديث
ان ابغض الحلال الى الله الطلاق فنفى الله الجناح عنه اذا كان الفراق اروح من الامساك وقيل معناه لا جناح
عليكم في تطليقهن قبل المسيس في اي وقت شئتم حائضا كانت المراة او طاهرا لانه لا سنة في طلاقهن قبل
الدخول ومتعوهن اي اعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمتاع ما يتبلغ به من الزاد على الموسع قدره
اي الغني الذي يكون في سعة من غناه قدره اي قدر امكانه وعلى المقتر اي الفقير الذي هو في ضيق من فقره
قدره اي قدر امكانه وطاقته متاعا بالمعروف يعني متعوهن تمتيعا بالمعروف يعني من غير ظلم ولا حيف حقا
اي ذكر التمتع حقا واجبا لازما على المحسنين يعني الى المطلقات بالتمتيع وانما خص المحسنين بالذكر لانهم
هم الذين ينتفعون بهذا البيان وقيل معناه من اراد ان يكون من المحسنين فهذا شانه وطريقه
والمحسن هو المؤمن فصل في بيان حكم الاية وفيه فروع الفرع الاول اذا تزوج امراة ولم يفرض لها
مهرا ثم طلقها قبل المسيس يجب لها عليه المتعة وبه قال الشافعي وابو حنيفة واحمد وقال مالك المتعة
مستحبة ولو طلقها قبل الدخول وقد فرض لها مهرا وجب لها عليه نصف المهر المفروض ولا متعة لها الفرع
الثاني المطلقة المدخول بها ففيها قولان قال في القديم لا متعة لها لانها تستحق المهر كاملا وبه قال ابو حنيفة
وهو احدى الروايتين عن احمد وقال في الجديد لها المتعة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وهو
الرواية الاخرى عن احمد قال ابن عمر لكل مطلقة متعة الا التي فرض لها المهر ولم يدخل بها زوجها فحسبها نصف
المهر الفرع الثالث في قدر المتعة قال ابن عباس اعلاها خادم واوسطها ثلاثة اثواب درع وخمار
وازار واقلها دون ذلك وقاية او مقنعة او شيء من الورق وهو مذهب الشافعي لانه قال اعلاها على الموسع
خادم واوسطها ثوب واقلها ما له ثمن وحسن ثلاثون درهما وروي ان عبد الرحمن بن عوف طلق امراته وحممها
يعني متعها جارية سوداء ومتع الحسن بن علي امراة بعشرة الاف درهم فقالت متاع قليل من حبيب مفارق وقال ابو حنيفة
مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوز وقال احمد في احدى الروايتين عنه يعتبر بحال
الزوجة وقال في الرواية الاخرى يقدرها الحاكم والاية تدل على ان المتعة تعتبر بحال الزوج في اليسر والعسر وانه مفوض الى اجتهاد
لانها كالنفقة التي اوجبها الله تعالى للزوجات وبين حال الموسع من حال المعسر في ذلك كله الفرع الرابع
ومن حكم الاية ان من تزوج امراة بالعقد برضاها على غير مهر صح النكاح ولها مطالبته بان يفرض لها صداقا
فان دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وان طلقها قبل الفرض والدخول فلها المتعة قوله عز وجل وان طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن يعني تجامعوهن وهذا في المطلقة بعد تسمية المهر وقبل الدخول حكم الله لها بنصف
المهر ولا عدة عليها وهو قوله وقد فرضتم لهن فريضة اي سميتم لهن مهرا فنصف ما فرضتم اي فلهن نصف المهر
المسمى ومذهب الشافعي ان الخلوة من غير مسيس لا توجب الا نصف المهر المسمى لان المسيس اما حقيقة
في المس باليد او جعل كناية عن الجماع وايهما كان فقد وجد الطلاق قبله وقال ابو حنيفة الخلوة
الصحيحة تقرر المهر والخلوة ان يخلو بها وليس هناك مانع حسي ولا شرعي فالحسي نحو الرتق والقرن او يكون معهما
معهما ثالث والشرعي نحو الحيض والنفاس وصوم الفرض وصلاة الفرض والاحرام فرضا كان او نفلا

يمسها

والاية حجة لمذهب الشافعي قال شريح لم يسمع الله ذكر في كتابه بابا ولا سترا ان زعم انه لم يمسها فلها نصف الصداق وقال
ابن عباس اذا خلا بها ولم يمسها فلها نصف المهر فرع لو مات احد الزوجين بعد التسمية وقبل المسيس فلها
المهر كاملا وعليها العدة سواء كان الزوج هو الميت او هي وقوله الا ان يعفون يعني النساء المطلقات والمعنى الا ان
تترك المراة نصيبها من الصداق فتهبه للزوج فيعود جميع الصداق الى الزوج او يعفو الذي بيده عقدة النكاح فيه
قولان احدهما انه الولي وهو قول ابن عباس في رواية عنه والحسن وعلقمة وطاوس والشعبي والنخعي والزهري والسدي
وبه قال الشافعي في القديم ومالك والقول الثاني انه الزوج وهو قول علي وابن عباس في الرواية الاخرى وجبير بن مطعم وسعيد
ابن المسيب وابن جبير ومجاهد والربيع وقتادة ومقاتل والضحاك ومحمد بن كعب القرظي وهو قول ابي حنيفة والشافعي في
الجديد واحمد وجمهور الفقهاء فعلى القول الاول يكون معنى الاية الا ان تعفو المراة اذا كانت ثيبا بالغة من اهل العفو
عن نصيبها للزوج او يعفو وليها اذا كانت المراة بكرا صغيرة او غير جائزة التصرف فيجوز عفو وليها فيترك نصيبها
للزوج وانما يجوز عفو الولي بشروط وهي ان تكون بكرا صغيرة ويكون الولي ابا او جدا لان غيرهما لا يزوج الصغيرة
وعلى القول الثاني ان الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج وصحح هذا القول الطبري والواحدي فيكون معنى الاية
او يعفو الذي بيده عقدة النكاح يعني الزوج فيعطي المراة الصداق كاملا لان الله تعالى لما ذكر عفو المراة
النصف الواجب لها ذكر عفو الزوج عن النصف الساقط عنه فيحسن للمراة ان تعفو ولا تطالب بشيء من
الصداق وللرجل ان يعفو فيوفي لها المهر كاملا روي ان جبير بن مطعم تزوج امراة ثم طلقها قبل
الدخول بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولان المهر حق المراة فليس لوليها ان يهب من مالها
شيئا فكذلك المهر لانه مال لها وان تعفوا اقرب للتقوى هذا خطاب للرجال والنساء جميعا وانما غلب
جانب التذكير لان الذكورة هي الاصل والتانيث فرع عليه والمعنى وعفو بعضكم عن بعض ايها
الرجال والنساء اقرب الى حصول التقوى وقيل هو خطاب للزوج والمعنى وليعف الزوج فيترك حقه
الذي ساق من المهر اليها قبل الطلاق فهو اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم يعني ليتفضل بعضكم على بعض
فيعطي الرجل الصداق كاملا او تترك المراة نصيبها من الصداق حثهما جميعا على الاحسان ومكارم الاخلاق
ان الله بما تعملون يعني من عفو بعضكم لبعض عما وجب له عليه من حق بصير اي لا يخفى عليه شيء من ذلك
قوله عز وجل حافظوا على الصلوات اي داوموا وواظبوا على الصلوات يعني الخمس المكتوبات امر
الله عز وجل عباده بالمحافظة على الصلوات الخمس بجميع شروطها وحدودها واتمام اركانها وفعلها في اوقاتها
المختصة بها والصلاة الوسطى تانيث الاوسط ووسط كل شيء خيره واعدله وقيل الوسطى يعني الفضلى
من قولهم للافضل اوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وقيل سميت وسطى
لانها اوسط الصلوات محلا فصل في ذكر اختلاف العلماء في الصلاة الوسطى وقد اختلف العلماء من
الصحابة فمن بعدهم في الصلاة الوسطى على مذاهب الاول ان الصلاة الوسطى هي صلاة الفجر وهو قول عمر
وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر وعطاء وعكرمة ومجاهد والربيع بن انس كانوا يقولون ان الصلاة
الوسطى صلاة الفجر اخرجه مالك في الموطا واخرجه الترمذي عن ابن عباس وابن عمر تعليقا ولانها
بين صلاتي جمع فالظهر والعصر يجمعان وهما صلاتا نهار والمغرب والعشاء يجمعان وهما صلاتا
ليل وصلاة الفجر لا تقصر ولا تجمع الى غيرها ولانها تاتي في وقت مشقة بسبب برد الشتاء وطيب النوم
في الصيف وفتور الاعضاء وكثرة النعاس وغفلة الناس عنها فخصت بالمحافظة عليها لكونها معرضة للضياع

ولان الله تعالى خصها بالذكر في قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا يعني يشهده ملائكة الليل
وملائكة النهار فهي تكتب في ديوان حفظة الليل وديوان حفظة النهار وقد دل ذلك على مزيد فضلها
المذهب الثاني انها صلاة الظهر وهو قول زيد بن ثابت واسامة بن زيد وابي سعيد الخدري ورواية
عائشة وبه قال عبد الله بن شداد وهو رواية عن ابي حنيفة ويدل على ذلك ما روى عروة عن زيد بن ثابت
قال الصلاة الوسطى صلاة الظهر اخرجه مالك في الموطا عن زيد والترمذي عنها تعليقا واخرجه ابو داود
عن زيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلي صلاة اشد على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
منها فنزلت حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقال ان قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ولان صلاة
الظهر في وسط النهار وفي شدة الحر ولانها تاتي بين البردين يعني صلاة الفجر وصلاة العصر
المذهب الثالث انها صلاة العصر وهو قول علي وابن مسعود وابي ايوب وابي هريرة وابن عمر وابن عباس
وابي سعيد الخدري وعائشة وهو قول عبيدة السلماني والحسن البصري وابراهيم النخعي وقتادة
والضحاك والكلبي ومقاتل وبه قال ابو حنيفة واحمد وداود وابن المنذر وقال الترمذي هو قول اكثر
الصحابة فمن بعدهم وقال الماوردي نص اصحابنا هذا مذهبه في صحة الاحاديث ثم قال انما نص على انها الصبح لانه لم
يبلغه الاحاديث الصحيحة في العصر ومذهبه اتباع الحديث ويدل على صحة هذا المذهب ما روي عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
يوم الاحزاب وفي رواية يوم الخندق ملا الله قبورهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس
وفي رواية شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وذكر نحوه وزاد في اخرى ثم صلاها بين المغرب والعشاء اخرجاه
في الصحيحين م عن ابن مسعود قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس
او اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملا الله اجوافهم وقبورهم نارا
او حشا الله اجوافهم وقبورهم نارا عن سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلاة الوسطى
صلاة العصر اخرجه الترمذي وله عن ابن مسعود مثله وقال في كل واحد منهما حسن صحيح م
عن ابي يونس مولى عائشة قال امرتني عائشة ان اكتب لها مصحفا وقالت اذا بلغت هذه الاية فآذني
حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى قال فلما بلغتها آذنتها فاملت علي حافظوا على الصلوات
والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين قالت عائشة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويروى عن حفصة
نحو ذلك ولان صلاة العصر تاتي في وقت اشتغال الناس بمعايشهم فكان الامر بالمحافظة عليها اولى ولانها تاتي بين
صلاتي نهار وهي الفجر والظهر وصلاتي ليل وهي المغرب والعشاء وقد خصت بمزيد التاكيد والامر بالمحافظة
والتغليظ لمن ضيعها ويدل على ذلك ما روي عن ابي المليح قال كنا مع بريدة في غزوة فقال في يوم ذي غيم بكروا
بصلاة العصر فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله اخرجه البخاري قوله بكروا
بصلاة العصر اي قدموها في اول وقتها ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذي تفوته صلاة العصر فكانما
وتر اهله وماله قوله وتر اي نقص وسلب اهله وماله فبقي فردا بلا اهل ولا مال ومعنى الحديث ليكن حذره من
فوت العصر كحذره من ذهاب اهله وماله المذهب الرابع انها صلاة المغرب قاله قبيصة بن ذؤيب ووجه هذا صلاة و
المذهب ان صلاة المغرب تاتي بين بياض النهار وسواد الليل ولانها ازيد من ركعتين كما في الصبح واقل من اربع
لا تقصر في السفر وهي وتر النهار ولان صلاة الظهر تسمى الاولى لان ابتدا جبريل بها واذا كانت الظهر اول الصلوات كانت المغرب
هي الوسطى المذهب الخامس انها صلاة العشاء ولم ينقل عن احد من السلف فيها شي وانما ذكرها بعض المتاخرين

ووجه هذا المذهب انها متوسطة بين صلاتين لا تقصران وهي المغرب والصبح ولانها اثقل صلاة على المنافقين المذهب
السادس ان الصلاة الوسطى هي احدى الصلوات الخمس لا بعينها لان الله امر بالمحافظة على الصلوات
الخمس ثم عطف بالصلاة الوسطى وليس في الاية ذكر بيانها واذا كان كذلك امكن ان يقال في كل واحدة من
الصلوات الخمس انها هي الوسطى اخفاها الله على عباده مع ما خصها بمزيد التوكيد تحريضا لهم في المحافظة على
اداء جميع الصلوات على صفة الكمال والتمام ولهذا السبب اخفى الله تعالى ليلة القدر في شهر رمضان واخفى
ساعة الاجابة في يوم الجمعة واخفى اسمه الاعظم في جميع اسمائه ليحافظوا على كل كله وهذا المذهب اختاره جمع من
العلماء قال محمد بن سيرين ان رجلا سال زيد بن ثابت عن الصلاة الوسطى ثم قال ارايت لو علمتها بعينها
الست محافظا عليها ومضيعا سائرهن قال الرجل لا فقال الربيع ان انت حافظت عليهن فقد حافظت
على الوسطى والصحيح من هذه الاقوال قولان قول من قال انها الصبح وقول من قال انها العصر واصح الاقوال
كلها انها العصر للاحاديث الصحيحة الواردة فيها والله اعلم وقوله تعالى وقوموا لله قانتين قال ابن عباس يعني مطيعين
فهو عبارة عن اكمال الطاعة واتمامها والاحتراز عن ايقاع الخلل في اركانها وسننها وقيل لكل اهل دين
يقومون فيها عاصين فقوموا انتم لله قانتين في صلاتكم طائعين وقيل القنوت هو الدعا والذكر بدليل امن هو
قانت ولما امر بالمحافظة على الصلوات وجب ان يحمل هذا القنوت على ما فيها من الذكر والدعا فمعنى الاية وقوموا
لله داعين ذاكرين وقيل انما خص القنوت بصلاة الصبح والوتر لهذا المعنى وقيل القنوت هو السكوت
ولا يجوز التكلم في الصلاة ويدل عليه ما روي عن زيد بن ارقم قال كنا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل صاحبه
وهو الى جنبه في الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام اخرجاه
في الصحيحين وقيل القنوت هو طول القيام في الصلاة ويدل عليه ما روي عن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القنوت اخرجه مسلم ومن القنوت ايضا طول الركوع والسجود وغض
البصر والركود في الصلاة وخفض الجناح والخشوع فيها وكان العلماء اذا قام احدهم يصلي يهاب الرحمن ان
يلتفت او يقلب الحصى او يعبث بشي او يحدث نفسه بشي من امور الدنيا الا ناسيا قوله تعالى فان
خفتم فرجالا اي رجالة او ركبانا يعني على الدواب والمعنى ان لم يمكنكم ان تصلوا قانتين موفين حقوق
الصلاة من اتمام الركوع والسجود والخضوع والخشوع لخوف عدو او غيره فصلوا مشاة على ارجلكم
او ركبانا على دوابكم مستقبلي القبلة وغير مستقبليها وهذا في حال المقاتلة والمسايفة في وقت الحرب
وصلاة الخوف قسمان احدهما ان يكون في حال القتال وهو المراد بهذه الاية وقسم في غير حال القتال
وهو المذكور في سورة النساء في قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة وسياتي الكلام عليها ان شاء الله
في موضعه فاذا التحم القتال ولم يمكن تركه لاحد فمذهب الشافعي انهم يصلون ركبانا على الدواب ومشاة
على الارجل الى القبلة والى غير القبلة يومون بالركوع والسجود ويكون السجود اخفض من الركوع ويحترزون
عن الصياح فانه لا حاجة اليه وقال ابو حنيفة لا يصلي الماشي بل يوخر الصلاة ويقضيها لان النبي صلى الله
عليه وسلم اخر الصلاة يوم الخندق فصلى الظهر والعصر والمغرب بعدما غربت الشمس فيجب علينا الاقتدا
به في ذلك واحتج الشافعي لمذهبه بهذه الاية واجيب عن تاخير النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم الخندق
بانه لم يكن نزل حكم صلاة الخوف فلما نزلت صلاة الخوف لم يوخر النبي صلى الله عليه وسلم
بعد ذلك صلاة قط اما الخوف الذي صلى لا في القتال بل بسبب اخر كالهارب من العدو او قصده سبع هائج او
غشيه سيل يخاف على نفسه الهلاك لو صلى صلاة امن فله ان يصلي صلاة شدة الخوف بالايماء في حال العدو

لان قوله تعالى فان خفتم مطلق يتناول الكل فان قلت قوله تعالى فرجالا او ركبانا يدل على ان المراد منه خوف العدو
حال القتال قلت هو كذلك الا انه هناك ثابت لدفع الضرر وهذا المعنى موجود هنا فوجب ان يكون الحكم كذلك
ها هنا وروى عن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر اربعا وفي السفر
ركعتين وفي الخوف ركعة اخرجه مسلم وقد عمل بظاهره جماعة من السلف منهم الحسن البصري وعطاء وطاوس ومجاهد
وقتادة والضحاك واسحق بن راهويه قالوا يصلى في حال شدة الخوف ركعة وقال الشافعي ومالك وجمهور
العلماء صلاة الخوف كصلاة الامن في عدد الركعات فان كان الخوف في الحضر وجب عليه ان يصلى اربع ركعات
وان كان في السفر صلى ركعتين ولا يجوز الاقتصار على ركعة واحدة في حال من الاحوال وتأولوا حديث ابن عباس
هذا على ان المراد به ركعة مع الامام وركعة اخرى ياتي بها منفردا كما جاءت الاحاديث الصحيحة في صفة صلاة النبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه في صلاة الخوف وهذا التأويل لا بد منه للجمع بين الاحاديث وقوله تعالى فاذا امنتم يعني من
خوفكم فاذكروا الله اي فصلوا لله الصلاة الخمس تامة باركانها وسننها كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون
فيه اشارة الى انعام الله علينا بالعلم ولولا هدايته وتعليمه ايانا لم نعلم شيئا ولم نصل الى معرفة شيء فله الحمد على ذلك
قوله عز وجل والذين يتوفون منكم يعني يا معشر الرجال ويذرون ازواجا يعني زوجات وصية لازواجهم
قرئ بالنصب على معنى فليوصوا وصية وبالرفع على معنى كتب عليكم الوصية متاعا الى الحول يعني متعوهن متاعا
وقيل جعل الله ذلك لهن متاعا والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها وسكناها وما تحتاج اليه غير اخراج
اي غير مخرجات من بيوتهن نزلت هذه الاية في رجل من اهل الطائف يقال له حكيم بن الحارث هاجر الى
المدينة ومعه ابواه وامراته وله اولاد فمات فرفع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية فاعطى
النبي صلى الله عليه وسلم ابويه واولاده ميراثه ولم يعط امراته شيئا وامرهم ان ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا
كاملا وكان الحكم في ابتداء الاسلام انه اذا مات الرجل اعتدت زوجته حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من
البيت قبل تمام الحول وكان نفقتها وسكناها واجبة في مال زوجها تلك السنة وليس لها من الميراث شيء
ولكنها تكون مخيرة فان شاءت اعتدت في بيت زوجها ولها النفقة والسكنى وان شاءت خرجت قبل
تمام الحول وليس لها سكنى ولا نفقة وكان يجب على الرجال ان يوصي بذلك فدلت هذه الاية على مجموع امرين
احدهما ان لها النفقة والسكنى من مال زوجها سنة والثاني ان عليها عدة سنة ثم ان الله تعالى نسخ
هذين الحكمين اما الوصية بالنفقة والسكنى فنسخ باية الميراث فجعل لها الربع والثمن عوضا عن النفقة
والسكنى ونسخ عدة الحول باربعة اشهر وعشر الخ فان قلت كيف نسخت الاية المتقدمة المتاخرة قلت قد
تكون الاية متقدمة في التلاوة متاخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء من الناس مع
قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء وقوله تعالى فان خرجن فلا جناح عليكم يعني يا معشر اولياء
الميت فيما فعلن في انفسهن من معروف يعني التزين للنكاح ولرفع الحرج عن الورثة وجهان احدهما انه لا
جناح عليكم في قطع النفقة عنهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول والوجه الثاني لا جناح عليكم في ترك
منعهن من الخروج لان مقامها في بيت زوجها حولا غير واجب عليها خيرها الله تعالى بين ان تقيم في بيت
زوجها حولا ولها النفقة والسكنى ثم نسخ الله تعالى ذلك باربعة اشهر وعشر والله عزيز اي غالب قوي
في انتقامه ممن خالف امره ونهيه وتعدى حدوده حكيم يعني فيما شرع من الشرائع وبين من الاحكام قوله تعالى
وللمطلقات متاع بالمعروف انما اعاد الله تعالى ذكر المتعة هنا لزيادة معنى وهو ان في غير هذه الاية بيان حكم غير
الممسوسة وفي هذه الاية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة وقيل انه لما نزل قوله ومتعوهن على الموسع قدره

الى

الى قوله حقا على المحسنين فقال رجل من المسلمين ان فعلت احسنت وان لم ارد افعل فانزل الله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف
فجعل المتعة لهن بلام التمليك وقال تعالى حقا على المتقين يعني المؤمنين الذين يتقون الشرك وقد تقدم احكام المتعة كذلك
يبين الله لكم اياته يعني يبين لكم ما يلزمكم ويلزم ازواجكم ايها المؤمنون وعرفتكم احكامي والحق الذي يجب لبعضكم على بعض
في هذه الايات كذلك ابين لكم سائر احكامي في اياتي التي انزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب لعلكم تعقلون
اي لكي تعقلوا ما بينت لكم من الفرائض والاحكام وما فيه صلاحكم وصلاح دينكم قوله عز وجل الم تر الى الذين خرجوا
من ديارهم قال اكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فسلم
الذين خرجوا وهلك اكثر من بقي بالقرية فلما ارتفع الطاعون رجع الذين خرجوا سالمين فقال الذين بقوا كان اصحابنا
احزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا كما بقوا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى ارض لا وباء فيها فرجع الطاعون
من قابل فهرب عامة اهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا افيح فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من
اسفل الوادي وملك اخر من اعلاه ان موتوا فماتوا جميعا ق عن ابن عمر خرج الى الشام فلما جاء سرغ بلغه ان الوباء
قد وقع بها فاخبره عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع
بارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه فحمد الله عمر ثم انصرف وقيل انما فروا من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك
بني اسرائيل امرهم ان يخرجوا الى قتال عدوهم فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا لملكهم ان الارض
التي ناتيها بها وباء فلا نخرج حتى ينقطع منها الوباء فارسل الله عليهم الموت فخرجوا فرارا منه فلما راى الملك ذلك
قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فارهم اية في انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون
الفرار منك فلما خرجوا قال لهم الله موتوا عقوبة لهم فماتوا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فاتى عليهم ثمانية ايام
حتى انتفخوا واروحت اجسادهم فخرج الناس اليهم فعجزوا عن دفنهم فحظروا حظيرة دون السباع فذلك قوله تعالى
الم تر المعنى الم تعلم يا محمد باعلامي اياك وهو من رؤية القلب قال اهل المعاني هو تعجيب يقول هل رايت مثلهم كما تقول
الم تر الى صنيع فلان وكل ما في القران من قوله الم تر ولم يعاينه النبي صلى الله عليه وسلم فهذا معناه الى الذين خرجوا
من ديارهم وهم الوف قيل هو من العدد واختلفوا في مبلغ عددهم فقيل ثلاثة الاف وقيل عشرة الاف وقيل
بضع وثلاثون الفا وقيل اربعون الفا وقيل سبعون الفا واصح الاقاويل قول من قال انهم كانوا زيادة
على عشرة الاف لان الله تعالى قال وهم الوف والالوف جمع الكثرة وجمع القليل الاف وقيل معنى وهم الوف مؤتلفون
جمع الف والاول اصح قالوا فاتى عليهم مدة فبليت اجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم حزقيل بن بوذي وهو
ثالث خلفاء بني اسرائيل بعد موسى وذلك ان القيم بامر بني اسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون ثم بعده كالب بن يوفنا
ثم قام بعده حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لان امه كانت عجوزا فسالت الله الولد بعدما كبرت وعقمت فوهبه الله
لها حزقيل وكان يقال له ذو الكفل سمي به لانه تكفل سبعين نبيا وانجاهم من القتل فلما مر حزقيل على اولئك الموتى
وقف عليهم وجعل يتفكر فيهم فاوحى الله تعالى اليه اتريد ان اريك اية قال نعم يا رب فاحياهم الله تعالى وقيل دعا
حزقيل ربه ان يحييهم فاحياهم الله تعالى وقيل انهم كانوا قوم حزقيل احياهم الله بعد ثمانية ايام وذلك انه لما اصابهم ذلك
خرج في طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال يا رب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فاوحى الله
اليه اني قد جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا باذن الله تعالى فعاشوا وقيل انهم قالوا حين احيوا سبحانك ربنا
وبحمدك لا اله الا انت ثم رجعوا الى قومهم وعاشوا دهرا طويلا وسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد
دسما مثل الكفن حتى ماتوا لاجالهم التي كتبت لهم قال ابن عباس وانها لتوجد اليوم تلك الريح في ذلك السبط من اليهود

قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت فاماتهم عقوبة لهم ثم بعثهم ليستوفوا بقية آجالهم ولو جاءت آجالهم ما بعثوا
فان قلت كيف اميتوا مرتين في الدنيا وقد قال الله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى قلت ان موتهم كان
عقوبة لهم كما قال قتادة وقيل ان موتهم واحياءهم كان معجزة من معجزات ذلك النبي ومعجزات الانبياء خوارق للعادات
ونوادر فلا يقاس عليها فيكون تقدير قوله الا الموتة الاولى عام مخصوص بمعجزات الانبياء فيكون تقدير قوله الا الموتة
الاولى التي ليست من معجزات الانبياء ولا من خوارق العادات وفي هذا احتجاج على اليهود ومعجزة عظيمة
لنبينا صلى الله عليه وسلم حيث اخبرهم بامر لم يشاهدوه وهم يعلمون صحة ذلك وفيه احتجاج على منكري البعث ايضا
اذ قد اخبر الله تعالى وهو الصادق في خبره انه اماتهم ثم احياهم في الدنيا فهو تعالى قادر على ان يحييهم يوم القيامة
وقوله تعالى حذر الموت اي مخافة الموت وكان قد نزل بهم وقيل انهم امروا بالجهاد ففروا منه حذر الموت فقال الله
لهم موتوا يحتمل انهم ماتوا عند قوله تعالى موتوا ويحتمل ان يكون ذلك امر تحويل فهو كقوله كونوا قردة خاسئين ثم احياهم
يعني بعد موتهم ان الله لذو فضل على الناس يعني ان الله تعالى متفضل على اولئك الذين اماتهم باحيائهم لانهم ماتوا
على معصية فتفضل عليهم باعادتهم الى الدنيا ليتوبوا وقيل هو على العموم فهو تعالى متفضل على كافة الخلق
في الدنيا ويخص المؤمنين بفضله يوم القيامة ولكن اكثر الناس لا يشكرون يعني ان اكثر من انعم عليه لا يشكره اما الكافر
فانه لم يشكر اصلا واما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله قيل هو خطاب للذين
احيوا احياهم الله ثم امرهم بالجهاد فعلى هذا القول فيه اضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا في سبيل الله وقيل هو خطاب
لامة محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه لا تهربوا من الموت كما هرب هؤلاء فلم ينفعهم ذلك ففيه تحريض للمؤمنين على
الجهاد واعلموا ان الله سميع عليم يعني لما يقوله المتعلل عن القتال عليم بما يضمره قوله عز وجل من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا القرض اسم لكل ما يعطيه الانسان ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له قرضا على رجائهم
وعدهم به من الثواب لانهم يعملون لطلب الثواب وقيل القرض ما اسلفت من عمل صالح او سيئ قال امية بن
ابي الصلت كل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا او سيئا او مدينا كالذي دانا واصل القرض في اللغة
القطع سمي به لان المقرض يقطع من ماله شيئا فيعطيه ليرجع اليه مثله ومعنى الاية من ذا الذي يقدم لنفسه الى الله
ما يرجو ثوابه عنده وهذا تلطف من الله تعالى في استدعاء عباده الى اعمال البر والطاعة وقيل في الاية اختصار
تقديره من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه فهو كقوله ان الذين يؤذون الله اي يؤذون عباد الله
وكما جاء في الحديث الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة يا ابن ادم
استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما
علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي الحديث واختلفوا في المراد بهذا القرض فقيل هو الانفاق في سبيل الله
وقيل هو الصدقة الواجبة وقيل هو صدقة التطوع لان الله تعالى سماه قرضا والقرض لا يكون الا تبرعا
روى الطبري بسنده عن ابن مسعود قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال ابو الدحداح وان الله
يريد منا القرض قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم يا ابا الدحداح قال ارني يدك قال فناوله يده قال فاني اقرضت
ربي حائطي حائطا فيه ستمائة نخلة ثم جاء يمشي حتى اتى الحائط وام الدحداح فيه في عيالها فناداها يا ام الدحداح
قالت لبيك قال اخرجي من الحائط فاني قد اقرضته ربي زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم من عذق رداح
لابي الدحداح وقيل في معنى يقرض الله ينفق في طاعته فيدخل فيه الواجب والتطوع وهو الاقرب حسنا
يعني محتسبا طيبة بها نفسه وقيل هو الانفاق من المال الحلال في وجوه البر وقيل هو ان لا يمن بالقرض
ولا

ولا يؤذي وقيل هو ان لا يكون فيه رياء ولا سمعة فيضاعفه له يعني ثواب ما انفق اضعافا كثيرة
قيل هو مضاعفة الى سبعمائة ضعف وقال السدي هذا التضعيف لا يعلمه الا الله تعالى وهذا هو الاصح وانما
ابهم الله ذلك لان ذكر المبهم في باب الترغيب اقوى من ذكر المحدود والله يقبض ويبسط قيل يقبض بامساك
الرزق والتقتير على من يشاء ويبسط يعني يوسع على من يشاء وقيل يقبض باخذ الصدقة ويبسط
بالخلف والثواب وقيل انه تعالى لما امرهم بالصدقة وحثهم على الانفاق اخبر انه لا يمكنهم ذلك الا بتوفيقه وارادته
واعانته والله يقبض بعض القلوب على الانفاق في الطاعة وعمل الخير ويبسط بعض القلوب حتى
تقدر على فعل الطاعات والانفاق في البر وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
قلوب بني آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك اخرجه مسلم وهذا الحديث من احاديث الصفات التي يجب
الايمان بها والسكوت عنها وامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا اثبات جارحة هذا مذهب
اهل السنة وسلف هذه الامة واليه ترجعون يعني في الاخرة فيجزيكم باعمالكم قوله تعالى الم تر الى الملا من بني اسرائيل
الملا الاشراف القوم ووجوههم واصله الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط من بعد موسى اي من بعد موت
موسى او من بعد زمنه اذ قالوا لنبي لهم يعني اولئك الملا لنبي لهم واختلفوا في ذلك النبي فقيل هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف
ابن يعقوب وقيل هو شمعون بن صفية من علقمة من ولد لاوي بن يعقوب وانما سمي شمعون لان امه دعت الله ان يرزقها غلاما
فاستجاب الله لها فولدت غلاما فسمته شمعون ومعناه سمع الله دعائي وتقلب السين بالعبرانية شينا وقال
اكثر المفسرين هو اشمويل بن بالي وقيل ابن هلقانا قيل انه من ولد هارون ومعرفة حقيقة ذلك النبي بعينه
ليست مرادة انما المراد منها الترغيب في الجهاد وذلك حاصل ذكر الاشارة الى القصة كان سبب مسألة
اولئك الملا لذلك النبي انه لما مات موسى عليه السلام وخلف من بعده في بني اسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم امر الله ويحكم بالتوراة
حتى قبضه الله ثم خلف من بعده كالب بن يوقنا كذلك حتى قبضه الله ثم خلف حزقيل حتى قبضه الله فعظمت الاحداث بعده في بني اسرائيل ونسوا
عهد الله حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله تعالى وكانت الانبياء من بني اسرائيل بعد
موسى يبعثون اليهم بتجديد ما انسوا من التوراة ويامرونهم بالعمل باحكامها ثم خلف من بعد الياس اليسع
فكان فيهم ما شاء الله تعالى ثم قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده خلوف وعظمت فيهم الخطايا وظهر
لهم عدو يقال له البلسانا وهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم
العمالقة فظهروا على بني اسرائيل وغلبوا على كثير من ارضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم واسروا من ابناء
ملوكهم اربعمائة واربعين غلاما فضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم ولقي بنو اسرائيل منهم بلاء وشدة
ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا كلهم الا امراة حبلى فحبسوها في بيت رهبة ان
تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها فجعلت المراة تدعو الله ان يرزقها
غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل ومعناه بالعبرانية اسمعيل تقول سمع الله دعائي فلما كبر الغلام
اسلمته لتعلم التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام اتاه جبريل وهو
نائم الى جانب الشيخ وكان الشيخ لا يأمن عليه احدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فزعا
الى الشيخ وقال يا ابتاه رايتك تدعوني فكره الشيخ ان يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم فرجع فنام
ثم دعاه الثانية فقال الغلام دعوتني فقال نم ان دعوتك فلا تجبني فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل عليه السلام وقال اذهب
الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما اتاهم كذبوه وقالوا استعجلت بالنبوة ولم تنلك وقالوا

وقالوا له ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله آية على نبوتك وانما كان قوام امر بني اسرائيل بالاجتماع على
الملوك وطاعة الملوك انبياءهم وكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي هو الذي يقيم له امره ويشير عليه ويرشده ويأتيه
بالخبر من ربه قال وهب فبعث الله اشمويل نبيا فلبثوا اربعين سنة باحسن حال ثم كان من امر جالوت والعمالقة ما
كان فذلك قوله تعالى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله جزم على جواب الامر فلما قالوا له ذلك قال يعني قال
النبي هل عسيتم هذا استفهام شك يقول لعلكم ان كتب اي فرض عليكم القتال معه ه قالوا وما لنا ان لا نقاتل
في سبيل الله فان قلت ما وجه دخول ان والعرب لا تقول ما لك ان لا تفعل كذا ولكن تقول ما لك لا تفعل
قلت دخول ان وحذفها لغتان صحيحتان فالاثبات كقوله ما لك ان لا تكون مع الساجدين والحذف كقوله ما لكم لا تؤمنون
وقيل معناه وما لنا في ان لا نقاتل فحذف حرف الجر وقيل ان هنا زائدة ومعناه وما لنا لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا
من ديارنا وابنائنا اي اخرج من غلب عليهم من ديارهم فظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لان الذين قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا كانوا
في ديارهم واوطانهم وانما اخرج من اسر منهم ومعنى الاية انهم قالوا لنبيهم انما تركنا الجهاد لانا كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا
عدونا فاما اذ بلغ ذلك منا فنطيع ربنا في الجهاد ونمنع نساءنا واولادنا قال الله تعالى ه فلما كتب عليهم القتال في
الكلام حذف وتقديره فسأل الله ذلك النبي فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم القتال ه تولوا اي
اعرضوا عن الجهاد وضيعوا امر الله ه الا قليلا منهم يعني الذين عبروا النهر مع طالوت
واقتصروا على الغرفة على ما سيأتي قصتهم ان شاء الله تعالى والله عليم بالظالمين يعني هو عالم بمن ظلم نفسه
حين خالف امر ربه ولم يف بما قال قوله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وذلك ان اشمويل
سأل الله عز وجل ان يبعث لهم ملكا فاتى بعصى وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا
طوله طول هذه العصى وانظر الى القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن في القرن فهو ملك بني اسرائيل
فادهن راسه بالدهن وملكه عليهم واسم طالوت بالعبرانية شاول بن قيس من سبط بنيامين بن يعقوب
وانما سمي طالوت لطوله وكان اطول من جميع الناس براسه ومنكبيه وكان طالوت رجلا دباغا يدبغ الادم قاله
وهب وقيل كان سقاء يستقي الماء على حمار فضل حماره فخرج يطلبه وقال وهب ضلت حمر لآل طالوت فارسل
ابوه معه غلاما في طلبها فمر على بيت اشمويل النبي فقال الغلام لطالوت لو دخلت على هذا النبي فسألناه
عن الحمر ليرشدنا او يدعو لنا فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له حاجتهما اذ نش الدهن فقام اشمويل
فقاس طالوت بالعصى فكانت على طوله فقال لطالوت قرب راسك فقربه اليه فدهنه بدهن القدس وقال
له انت ملك بني اسرائيل الذي امرني الله ان املكك عليهم فقال طالوت او ما علمت ان سبطي ادنى اسباط
بني اسرائيل قال بلى قال فبأي آية قال بآية انك ترجع وقد وجد ابوك حمره فكان كذلك ثم قال لبني اسرائيل ان الله
قد بعث لكم طالوت ملكا وقيل انه جلس عنده وقال الناس ملك طالوت فاتت عظماء بني اسرائيل الى نبيهم
اشمويل وقالوا له ما شأن طالوت يملك علينا وليس هو من بيت النبوة ولا المملكة وقد عرفت ان
النبوة في سبط لاوي بن يعقوب والمملكة في سبط يهوذا ابن يعقوب فقال اشمويل ان الله قد بعث لكم طالوت
ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا اي من اين يكون له الملك وكيف يستحقه ونحن احق بالملك منه انما
قالوا ذلك لانه كان في بني اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة فسبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنه
كان موسى وهرون عليهما السلام وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما السلام ولم
يكن طالوت من احدهما وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب فلهذا السبب انكروا كونه ملكا لهم وزعموا انهم احق
بالملك منه ثم اكدوا ذلك بقولهم ولم يؤت سعة من المال يعني انه فقير والملك يحتاج الى المال فقال اشمويل النبي ه

ان الله اصطفاه عليكم اي اختاره عليكم وخصه بالملك وفي هذه الاية دليل على بطلان قول من زعم من الشيعة ان الامامة موروثة
وذلك لان بني اسرائيل انكروا ان يكون ملكهم من غير بيت المملكة فرد الله عليهم واعلمهم ان هذا شرط فاسد وان المستحق للملك
من خصه الله به وزاده بسطة اي فضيلة وسعة في العلم وذلك انه كان من اعلم بني اسرائيل وقيل انه اوحي اليه حين اوتي الملك
وقيل هو العلم في الحرب والجسم يعني بالطول وذلك لانه كان اطول الناس براسه ومنكبيه وقيل بالجمال وكان
طالوت من اجمل بني اسرائيل وقيل المراد به القوة لان العلم بالحروب والقوة على الاعداء بهما يحفظ الملك
والله يؤتي ملكه من يشاء يعني انه تعالى واسع الفضل والرزق والرحمة وسعت رحمته كل شيء ووسع فضله
ورزقه كل خلقه والمعنى انكم طعنتم في طالوت بكونه فقيرا والله تعالى واسع الفضل والرزق فاذا فوض اليه الملك
فتح عليه ابواب الرزق والمال من فضله وسعته وقيل الواسع ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى عليم
يعني انه تعالى مع قدرته على اغناء الفقير عالم بما يحتاج اليه في تدبير نعمه وملكه والعليم هو العالم بما يكون وبما كان
قوله عز وجل وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت وذلك انهم سألوا اشمويل النبي فقالوا ما آية ملكه
فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت وكانت قصة التابوت على ما ذكره علماء السير والاخبار ان الله تعالى
انزل على آدم عليه السلام تابوتا فيه صورة الانبياء عليهم السلام وكان التابوت من خشب الشمشار طوله
ثلاثة اذرع في عرض ذراعين فكان عند آدم ثم صار الى شيث ثم توارثه اولاد آدم الى ان بلغ الى ابراهيم عليه السلام
ثم كان عند اسمعيل لانه كان اكبر اولاده ثم صار الى يعقوب ثم كان في بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام
فكان يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه فكان عنده الى ان مات ثم تداوله انبياء بني اسرائيل الى وقت اشمويل
وكان في التابوت ما ذكر الله وهو قوله تعالى فيه سكينة من ربكم واختلفوا في تلك السكينة ما هي فقال علي بن ابي طالب
هي ريح خجوج هفافة لها راسان ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد هي شيء يشبه الهرة له راس كراس الهرة وذنب
كذنب الهرة وله جناحان من زمرد وزبرجد وكان اذا سمعوا صوته تيقنوا النصر فكانوا اذا خرجوا وضعوا التابوت
قدامهم فاذا سار ساروا واذا وقف وقفوا وقال ابن عباس هي طست من ذهب من الجنة كان يغسل
فيه قلوب الانبياء وقال وهب هي روح من الله تعالى يتكلم اذا اختلفوا في شيء فتخبرهم ببيان ما يريدونه وقال
عطاء بن ابي رباح هي ما يعرفون من الآيات التي يسكنون اليها وقال قتادة والكلبي هي فعيلة من السكون اي طمأنينة
من ربكم ففي اي مكان كان التابوت اطمأنوا وسكنوا اليه وهذا القول اولى بالصحة فعلى هذا كل شيء كانوا يسكنون
اليه فهو سكينة فيحمل على جميع ما قيل فيه لان كل شيء يسكن القلب اليه فهو سكينة ولم يرد فيه نص صريح فلا
يجوز تصويب قول وتضعيف آخر وقوله تعالى وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة يعني موسى
وهرون انفسهما بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري لقد اوتيت مزمارا من مزامير آل داود والمراد
به داود نفسه واختلفوا في تلك البقية التي ترك آل موسى وآل هرون فقيل هي رضاض من الالواح وعصى
موسى قاله ابن عباس وقيل عصى موسى وعصى هرون وشيء من الواح التوراة وقيل كانت العلم والتوراة وقيل
كان فيه عصى موسى ونعلاه وعمامة هرون وعصاه وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل فكان
التابوت عند بني اسرائيل يتوارثونه قرنا بعد قرن وكانوا اذا اختلفوا في شيء تحاكموا اليه فيتكلم ويحكم
بينهم وكانوا اذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم ليستفتحون به على عدوهم فينصرون فلما عصوا
وافسدوا سلط الله عز وجل عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت واخذوه منهم وكان السبب
في ذلك انه كان لعيلي وهو الشيخ الذي ربى اشمويل ابنان شابان وكان عيلي حبر بني اسرائيل وصاحب قربانهم في
زمنه فاحدث ابناه في القربان شيئا لم يكن فيه وذلك انه كان مشوط القربان الذي كانوا يشوطونه به كلابين

فاخرجاه كان للكاهن الذي يسوطه فجعلاه كلاليب وكانت النساء يصلين في بيت المقدس فيتشيطان بهن
فاوحى الله الى اشمويل ان انطلق الى عيلي وقل له منعك حب الولد من ان تزجر ابنيك عن ان يحدثا في قرباني وقدسي
شيا وان يعصياني فلانزعن الكهانة منك ومن ولدك ولاهلكنك واياهما فاخبر اشمويل بذلك عيلي ففزع وسار اليهم
عدوهم من حولهم فامر عيلي ابنيه ان يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو واخرجا معهما التابوت فلما تهيوا للقتال جعل
عيلي يتوقع الخبر فجاء رجل فاخبره ان الناس قد انهزموا وقد قتل ابناه قال فما فعل التابوت قال اخذه العدو وكان
عيلي قاعدا على كرسيه فشهق ووقع على قفاه فمات فمرج امر بني اسرائيل وتفرقوا الى ان بعث الله طالوت ملكا فسالوا
اشمويل البينة على ملك طالوت فقال لهم نبيهم يعني اشمويل ان اية ملكه يعني علامة ملكه التي تدل على صحته ان ياتيكم التابوت
وكانت قصة رجوع التابوت على ما ذكره اصحاب الاخبار ان الذين اخذوا التابوت من بني اسرائيل اتوا به قرية
من قرى فلسطين يقال لها ازدود فجعلوه في بيت اصنام لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فاصبحوا من الغد والصنم
تحته فاخذوه ووضعوه فوقه وسمروا قدمي الصنم على التابوت فاصبحوا وقد قطعت يد الصنم ورجلاه واصبح
الصنم ملقى تحت التابوت واصبحت اصنامهم منكسة فاخرجوا التابوت من بيت الاصنام ووضعوه في ناحية من
مدينتهم فاخذ اهل تلك الناحية وجع في اعناقهم حتى هلك اكثرهم فقال بعضهم لبعض اليس قد علمتم ان اله بني اسرائيل
لا يقوم له شي فاخرجوه الى قرية اخرى فبعث الله تعالى على اهل تلك الناحية فارا فكانت الفارة تبيت
الرجل فيصبح ميتا قد اكلت ما في جوفه فاخرجوه الى الصحراء فدفنوه في مخراة لهم فكان كل من تبرز هناك
اخذه الباسور والقولنج فتحيروا فيه فقالت لهم امراة من بني اسرائيل كانت عندهم وهي من بنات الانبياء
لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم فاخرجوه عنكم فاتوا بعجلة باشارة تلك المراة وحملوا
عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بالثورين اربعة
املاك يسوقونهما فاقبلا حتى وقفا على ارض بني اسرائيل فكسرا نيرهما وقطعا حبالهما ووضعا التابوت في
ارض فيها حصاد لبني اسرائيل ورجعا الى ارضهما فلم يرع بني اسرائيل الا التابوت عندهم فكبروا وحمدوا
الله تعالى وقال ابن عباس جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند
طالوت وقال الحسن كان التابوت مع الملائكة في السماء فلما ولي طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم وقال
قتادة بل كان التابوت في التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقي هناك فاحتملته الملائكة حتى
وضعته في دار طالوت فاصبح في داره فاقروا بملكه ان في ذلك لاية لكم يعني قال لهم نبيهم اشمويل ان مجيء
التابوت تحمله الملائكة لاية لكم يعني لعلامة ودلالة على صدقي فيما اخبرتكم به ان الله بعث لكم طالوت ملكا ان كنتم
مومنين يعني مصدقين بذلك قال المفسرون فلما جاءهم التابوت واقروا بالملك لطالوت تاهبوا للخروج
الى الجهاد فاسرعوا في طاعته وخرجوا معه فذلك قوله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود اي خرج
واصل الفصل القطع يعني قطع مستقره شاخصا الى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم
سبعون الف مقاتل وقيل ثمانون الفا وقيل مائة وعشرون الفا ولم يتخلف عنه الا كبير لكبره
او مريض لمرضه او معذور لعذره وذلك انهم لما راوا التابوت لم يشكوا في النصر فسارعوا الى الخروج في
الجهاد وكان مسيرهم في حر شديد فشكوا الى طالوت قلة الماء بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا
فادع الله ان يجري لنا نهرا فقال لهم طالوت ان الله مبتليكم بنهر اي مختبركم به ليتبين طاعتكم وهو اعلم بذلك قال
ابن عباس هو نهر فلسطين وقيل هو نهر عذب بين الاردن وفلسطين فمن شرب منه فليس مني اي فليس من
اهل ديني وطاعتي ومن لم يطعمه اي لم يذقه يعني الماء فانه مني يعني من اهل طاعتي الا من اغترف غرفة

بيده

يعصياني

صحته

بيده قرئ بفتح الغين وضمها لغتان وقيل الغرفة بالضم الذي يحصل في الكف من الماء والغرفة بالفتح الاغتراف فالضم اسم
والفتح مصدر فشربوا منه يعني من النهر الا قليلا منهم قيل هم اربعة الاف لم يشربوا منه وقيل كانوا ثلاثمائة وبضعة
عشر رجلا وهو الصحيح ويدل على ذلك ما روي عن البراء بن عازب قال كان اصحاب محمد يتحدثون ان عدة اصحاب بدر
على عدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه الا مومن بضعة عشر وثلاثمائة اخرجه البخاري
قيل البضع هنا ثلاثة عشر فلما وصلوا الى النهر القي عليهم العطش فشرب منه الكل الا هذا العدد القليل وكان من اغترف
منه غرفة كما امر الله تعالى كفته لشربه وشرب دوابه وقوي قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سالما والذين شربوا منه وخالفوا
امر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش ولم يرووا وجبنوا وبقوا على شط النهر ولم يجاوزوا وقيل جاوزوا
كلهم ولكن الذين شربوا لم يحضروا القتال وانما قاتل اولئك القليل الذين لم يشربوا وهو قوله تعالى فلما جاوزه
هو والذين امنوا معه يعني جاوز النهر طالوت والذين امنوا معه يعني اولئك القليل قالوا يعني الذين شربوا
من النهر وخالفوا امر الله وكانوا اهل شك ونفاق فعلى هذا يكون قد جاوز النهر مع طالوت المومنون والمنافقون
والطائع والعاصي فلما راوا العدو قال المنافقون لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فاجابهم المومنون بقولهم
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة وقيل لم يجاوز النهر مع طالوت الا المومنون خاصة لقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين
امنوا معه فان قلت فعلى هذا القول من القائل لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قلت يحتمل ان يكونوا اهل
الايمان وهم الثلاثمائة وبضعة عشر انقسموا الى قسمين لما حضروا العدو فقسم قالوا لما راوا العدو وكثرته
وقلة المومنين لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فاجابهم القسم الاخر بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة
كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومعنى لا طاقة لنا لا قوة لنا بجالوت وجنوده قال الذين يظنون اي
يستيقنون ويعلمون انهم ملاقوا الله اي ملاقوا ثواب الله ورضوانه في الدار الاخرة كم من فئة قليلة الفئة
الجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط غلبت فئة كثيرة باذن الله اي بقضاء الله وقدرته وارادته والله مع
الصابرين يعني بالنصر والمعونة قوله عز وجل ولما برزوا لجالوت يعني طالوت وجنده المومنين لجالوت وجنوده
يعني المشركين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ما ظهر واستوى منها قالوا يعني المومنين اصحاب
طالوت ربنا افرغ اي اصبب علينا صبرا وثبت اقدامنا اي قو قلوبنا لتثبت اقدامنا وانصرنا على
القوم الكافرين وذلك ان جالوت وقومه كانوا يعبدون الاصنام فسال المومنون الله ان ينصرهم على
القوم الكافرين فهزموهم باذن الله يعني ان الله تعالى استجاب دعاء المومنين فافرغ عليهم الصبر
وثبت اقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين حين التقوا فهزموهم باذن الله يعني بقضائه وارادته
واصل الهزم في اللغة الكسر اي كسروهم وردوهم وقتل داود جالوت وكانت قصة قتله
على ما ذكره اهل التفسير واصحاب الاخبار انه عبر النهر فيمن عبر مع طالوت ايشا ابو داود في ثلاثة عشر
ابنا له وكان داود اصغرهم وكان يرمي بالقذافة فقال داود لابيه يوما يا ابتاه ما ارمي بقذافتي
شيئا الا صرعته فقال له ابوه ابشر يا بني فان الله تعالى جعل رزقك في قذافتك ثم اتاه مرة اخرى فقال
يا ابتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت اسدا رابضا فركبته واخذت باذنه فلم يهجني فقال له ابوه
ابشر يا بني فان هذا خير يريده الله بك ثم اتاه يوما فقال له يا ابتاه اني لامشي بين الجبال فاسبح فما
يبقى جبل الا سبح معي قال يا بني ابشر فان هذا خير اعطاكه الله تعالى قالوا فارسل جالوت الى طالوت
ملك بني اسرائيل ان ابرز الي او ابرز الي من يقاتلني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم

فشق ذلك على طالوت ونادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي فهاب الناس جالوت فلم يجبه أحد
فسأل طالوت نبيهم أن يدعو الله في ذلك فدعا الله فأتي بقرن فيه دهن القدس وتنور حديد وقيل له إن صاحبكم
الذي يقتل جالوت هو الذي إذا وضع هذا القرن على رأسه غلى حتى يدهن به منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون
على رأسه كهيئة الإكليل ويدخل في هذا التنور فيملأه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت بني إسرائيل وجربهم فلم يوافقه
أحد منهم فأوحى الله إلى نبيهم أن في ولد إيشا من يقتل جالوت فدعا طالوت إيشا وقال له اعرض علي
بنيك فأخرج له اثني عشر رجلا أمثال السواري فجعل يعرضهم واحدا واحدا على القرن فلا يرى شيئا فقال
لإيشا هل بقي لك ولد غير هؤلاء قال لا فقال النبي عليه السلام إنه قد زعم أن لا ولد له غيرهم فقيل له كذب فقال النبي
إن ربي كذبك فقال إيشا صدق ربي يا نبي الله إن لي ولدا صغيرا يقال له داود استحييت أن يراه الناس
لقصر قامته وحقارته فخلفته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكان داود عليه السلام رجلا قصيرا مسقاما
أزرق العين مصفرا فدعا به طالوت ويقال إنه خرج إليه فوجده في الوادي وقد سال الوادي ماء وهو يحمل شاتين
يعبر بهما السيل إلى الزريبة التي يريح فيها غنمه فلما رآه طالوت قال هذا هو الرجل المطلوب لا شك
فيه هذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم فدعاه طالوت ووضع القرن على رأسه ففاض فدنا منه فقال له
طالوت هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأجري خاتمك في ملكي قال نعم فقال له هل آنست من
نفسك شيئا تتقوى به على قتله قال نعم أنا أرعى الغنم فيجيء الأسد أو النمر أو الذئب فيأخذ شاة من
الغنم فأقوم فأفتح لحييه عنها وأخرقها إلى قفاه فأخذ طالوت داود ورده إلى العسكر فمر داود عليه السلام
في طريقه بحجر فناداه يا داود احملني فإني حجر هارون فحمله ثم مر بحجر آخر فقال له يا داود احملني فإني حجر موسى
فحمله ثم مر بحجر آخر فقال له يا داود احملني فإني حجرك الذي تقتل به جالوت فحمله فوضع الثلاثة في مخلاته فلما
طالوت إلى العسكر ومعه داود وتصافوا للقتال برز جالوت يطلب المبارزة فانتدب له داود عليه السلام
فأعطاه طالوت فرسا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريبا ثم رجع إلى طالوت فقال من حوله جبن الغلام فجاء فوقف على
طالوت فقال ما شأنك فقال داود عليه السلام إن لم ينصرني الله لم يغن هذا السلاح عني شيئا وإن ينصرني فلا حاجة لي به فدعني
أقاتل كما أريد قال نعم فأخذ داود مخلاته وتقلدها وأخذ المقلاع بيده ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد
الناس وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة حديد وزنها ثلاثمائة رطل فلما نظر إلى داود وهو يريده
وقع الرعب في قلبه فقال له جالوت وأنت تبرز لي قال نعم وكان جالوت على فرس أبلق عليه السلاح التام فقال أتيتني
بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب فقال نعم أنت شر من الكلب قال جالوت لا جرم لأقسمن لحمك بين سباع الأرض
وطير السماء فقال داود عليه السلام أو يقسم الله لحمك ثم قال داود بسم إله إبراهيم وأخرج حجرا ثم قال باسم إله
إسحاق وأخرج حجرا ثم قال باسم إله يعقوب وأخرج حجرا ووضعها في مقلاعه فصارت الثلاثة حجرا واحدا وأدار
داود المقلاع ورمى به جالوت فسخر الله له الريح فحملت الحجر حتى أصابت أنف البيضة فخالط المخ دماغ جالوت
وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا وخر جالوت صريعا قتيلا فأخذه داود فجره حتى ألقاه بين
يدي طالوت ففرح بنو إسرائيل بذلك فرحا شديدا وهزم الله الجيش فرجع طالوت بالناس إلى المدينة
سالمين غانمين وجعل الناس يذكرون داود فجاء داود إلى طالوت فقال له أنجز لي ما وعدتني به فقال أتريد
ابنة الملك بغير صداق فقال داود ما شرطت علي صداقا وليس لي شيء فقال لا أكلفك إلا ما تطيق أنت رجل جريء وفي
جبالنا أعداء لنا غلف فإن قتلت منهم مائتي رجل وجئتني بغلفهم زوجتك ابنتي فأتاهم فجعل كلما قتل واحدا
منهم نظم غلفته في خيط حتى نظم مائتي غلفة فجاء بها إلى طالوت وألقاها بين يديه وقال ادفع إلي امرأتي فزوجه

ابنته وأجرى خاتمه في ملكه فمال الناس إلى داود عليه السلام وأحبوه وأكثروا ذكره فحسده طالوت وأراد قتله
فأخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال له ذو العينين فأخبرت بذلك داود وقالت له إنك مقتول الليلة قال ومن
يقتلني قالت أبي قال وهل أجرمت جرما يوجب القتل قالت حدثني بذلك من لا يكذب ولا عليك أن تغيب
الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال إن كان يريد ذلك فلا أستطيع خروجا ولكن ائتيني بزق خمر فأتته به
فوضعه في مضجعه على سريره وسجّاه ودخل داود تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته
أين بعلك قالت هو نائم على سريره فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال يرحم الله داود ما أكثر
شربه للخمر وخرج فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيئا فقال إن رجلا طلبت منه ما طلبت لحقيق أن لا يدعني حتى يدرك
ثأره مني فاشتد حجابه وحراسه وأغلق دونه أبوابه ثم إن داود أتاه ليلة وقد هدأت العيون وأعمى الله
عنه الحجبة ففتح الأبواب ودخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجليه وسهما
عن يمينه وسهما عن شماله وخرج فلما استيقظ طالوت بصر بالسهام فعرفها فقال يرحم الله داود هو خير مني ظفرت
به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما بالذي آمنه فلما كان من الليلة
القابلة أتاه ثانيا فأعمى الله عنه الحجاب فدخل وهو نائم فأخذ إبريق وضوئه وكوز الذي يشرب منه وقطع
شعرات من لحيته وشيئا من طرف ثوبه ثم خرج وتوارى فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون
وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه ثم إن طالوت ركب يوما فوجد داود يمشي في البرية فقال اليوم أقتله وركض في إثره
فاشتد داود في عدوه وكان إذا فزع لم يدرك فدخل غارا فأوحى الله تعالى إلى العنكبوت فنسجت عليه فلما انتهى
طالوت إلى الغار ونظر إلى بناء العنكبوت فنسجت عليه فلما انتهى طالوت إلى الغار ونظر إلى بناء العنكبوت قال لو
كان دخل هنا لتخرق هذا النسج وانطلق طالوت وتركه فخرج داود حتى أتى جبل المتعبدين فتعبد معهم وطعن
العلماء والعباد على طالوت بشأن داود فجعل طالوت لا ينهاه أحد عن قتل داود إلا قتله فقتل خلقا كثيرا
من العلماء والعباد حتى أتي بامرأة تعلم الاسم الأعظم فأمر خبازه بقتلها فرحمها الخباز فلم يقتلها وقال لعلنا نحتاج
إلى عالم فتركها ثم وقع في قلب طالوت التوبة والندم على ما فعل وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة
يخرج إلى المقابر ويبكي وينادي أنشد الله عبدا يعلم لي توبة إلا أخبرني بها فلما كثر ذلك منه ناداه مناد من
المقابر يا طالوت أما ترضى أن قتلتنا حتى تؤذينا أمواتا فازداد حزنا وبكاء فوجه الخباز إلى
طالوت لما رأى من حاله ما لك أيها الملك فأخبره وقال هل تعلم لي توبة أو تعلم في الأرض عالما أسأله عن توبتي
فقال له الخباز أيها الملك إن دللتك على عالم يوشك أن تقتله فقال لا فتوثق منه بالعهود وأخبره أن تلك
المرأة العالمة عنده فقال انطلق بي إليها لأسألها عن توبتي قال نعم فانطلق به فلما قربا من الباب قال له
الخباز أيها الملك إذا رأتك فزعت ولكن ائت خلفي فلما دخلا عليها قال لها الخباز يا هذه ألست
تعلمين حقي عليك قالت بلى قال فإن لي إليك حاجة فتقضيها قالت نعم قال هذا طالوت قد جاء يسأل
هل له من توبة فلما سمعت بذكر طالوت غشي عليها فلما أفاقت قالت والله لا أعلم له توبة ولكن دلوني على
قبر نبي فانطلق بها إلى قبر أشمويل فوقفت عليه ودعت وكانت تعلم الاسم الأعظم ثم نادت يا صاحب
القبر فخرج ينفض التراب عن رأسه فلما نظر إلى ثلاثتهم قال ما لكم أقامت القيامة قالت المرأة لا ولكن هذا
طالوت قد جاء يسألك هل له من توبة فقال أشمويل يا طالوت ما فعلت بعدي قال لم أدع من الشر شيئا إلا
فعلته وجئت أطلب التوبة فقال أشمويل يا طالوت كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ما أعلم لك توبة إلا أن
تتخلى من ملكك وتخرج أنت وولدك في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل أنت حتى تقتل

اخرجوه ثم ان اشمويل استقامت رجع طالوت احزن ما كان رهبة ان لا يأتيه نبي على ما يريده وكان قد بكى حتى سقطت
اشفار عينيه ونحل جسمه فجمع اولاده وقال لهم ارأيتم لو دفعت الى النار هل كنتم تنقذوني منها فقالوا بلى ننقذك
بما نقدر عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما امركم به قالوا اعرض علينا ما اردت فذكر لهم القصة قالوا وانك
لمقتول قال نعم قالوا فلا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت انفسنا بالذي سألت فتجهز هو وولده فخرج طالوت
مجاهدا في سبيل الله فتقدم اولاده فقاتلوا حتى قتلوا ثم شد هو من بعدهم فقاتل حتى قتل فجاء قاتل طالوت
الى داود ليبشره بقتله وقال له قد قتلت عدوك فقال داود ما انت بالذي تحيا بعده فقتله فكان ملك طالوت الى ان
قتل مدة اربعين سنة واتى بنو اسرائيل الى داود فملكوه عليهم واعطوه خزائن طالوت قال الكلبي والضحاك
ملك داود بعد قتل جالوت لسبع سنين ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد الا على داود فذلك قوله تعالى وآتاه
الله الملك والحكمة يعني النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل بل كان الملك في سبط وقيل الحكمة
هي العلم مع العمل به وعلمه مما يشاء اي وعلمه الله صنعة الدروع فكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل
الا من عمل يده وقيل علمه منطق الطير وقيل علمه الزبور وقيل هو الصوت الطيب والالحان ولم يعط
الله احدا من خلقه مثل صوت داود فكان اذا قرأ الزبور تدنو منه الوحوش حتى يؤخذ باعناقها
وتظله الطير مصيخة له ويركد الماء الجاري وتسكن الريح عند قراءته وقيل علمه سياسة الملك وضبطه وذلك
لانه لم يكن من بيت الملك حتى يتعلم من آبائه وقال ابن عباس هو ان الله اعطاه سلسلة موصولة بالمجرة ورأسها
عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النور وحلقها مستديرة مفصلة بالجوهر مدسرة بقضبان
اللؤلؤ الرطب فكان لا يحدث في الهواء حدث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحدث ولا يمسها
ذو عاهة الا برئ وكانوا يتحاكمون اليها بعد داود الى ان رفعت فمن تعدى على صاحبه وانكره حقا
اتى السلسلة فمن كان صادقا مد يده الى السلسلة فنالها ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت
كذلك الى ان ظهر فيهم المكر والخديعة فبلغنا ان بعض ملوكهم اودع رجلا جوهرة ثمينة فلما طلبها
انكره اياها فتحاكما الى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة الى عكاز فنقرها وجعل الجوهرة فيها
واعتمد عليها حتى اتيا السلسلة فقال صاحب الجوهرة رد علي الوديعة فقال لصاحبه ما اعرف لك عندي
وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده وقيل للمنكر قم انت فتناولها
فقال لصاحب الجوهرة امسك عكازي فاخذها الرجل منه وقام المنكر الى السلسلة وقال اللهم ان كنت
تعلم ان الوديعة التي يدعيها قد وصلت اليه فقرب السلسلة مني فمد يده فتناولها فتعجب القوم
من ذلك وشكوا فيها فاصبحوا وقد رفع الله السلسلة قوله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
يعني ولولا ان الله يدفع ببعض الناس وهم اهل الايمان والطاعة له بعضا وهم اهل الكفر والمعاصي
قال ابن عباس ولولا دفع الله بجنود المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا المؤمنين وخربوا
المساجد والبلاد وقيل معناه ولولا دفع الله بالمؤمنين والابرار عن الكفار والفجار لفسدت
الارض يعني لهلكت بمن فيها ولكن يدفع الله بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر وروى احمد بن
حنبل عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل بيت من
جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على
العالمين يعني ان دفع الفساد بهذا الطريق انعام وافضال عم الناس كلهم تلك آيات الله يعني القصص
التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك داود واظهاره بالآية في التابوت واهلاك

الجبابرة على يد صبي نتلوها عليك بالحق اي باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم وانك لمن المرسلين يعني حيث تخبر بهذه الاخبار
العجيبة والقصص الغريبة من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار فدل ذلك على انك لمن المرسلين وان الذي تخبر به وحي من الله تعالى
قوله عز وجل تلك الرسل يعني جماعة الرسل الذين تقدم ذكرهم في هذه السورة فضلنا بعضهم على بعض فيه دليل على
زوال الشبهة لمن اوجب التسوية بين الانبياء في الفضل لاستوائهم في القيام بالرسالة واجمعت الامة على ان الانبياء
بعضهم افضل من بعض وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم افضلهم لعموم رسالته وهو قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس
بشيرا ونذيرا منهم من كلم الله اي كلمه الله وهو موسى عليه السلام ورفع بعضهم درجات يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
رفع الله منصبه ومرتبته على سائر الانبياء بما فضله عليهم من الآيات البينات والمعجزات الباهرات فما اوتي نبي من الانبياء
آية او معجزة الا واوتي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وفضل محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبياء بمعجزات وآيات
اخر مثل انشقاق القمر باشارته وحنين الجذع اليه عند مفارقته وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهائم له وشهادته
برسالته ونبع الماء من بين اصابعه وغير ذلك من الآيات والمعجزات التي لا تحصى كثرة واعظمها واظهرها معجزة وآية القرآن
العظيم الذي عجز اهل الارض عن معارضته والاتيان بمثله فهو معجزة باقية الى يوم القيامة ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي
فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة ق عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء
قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت
لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة م عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنائم
وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون فان قلت لم ذكره على سبيل الرمز
والاشارة ولم يصرح باسمه صلى الله عليه وسلم قلت في هذا الابهام والرمز من تفخيم فضله واعلاء قدره صلى الله عليه وسلم
ما لا يخفى لما فيه من الشهادة بانه العلم الذي لا يشتبه ولا يلتبس فهو كما يقول الرجل وقد فعل شيئا فعله بعضكم او احدكم
ويريد نفسه فيكون افخم من التصريح به كما سئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت
الثالث اراد نفسه وقوله تعالى وآتينا عيسى ابن مريم البينات يعني الحجج والادلة والبراهين الباهرة والمعجزات الظاهرة
على نبوته مثل ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وايدناه بروح القدس اي وقويناه بجبريل عليه السلام فكان معه
الى ان رفع الى السماء فان قلت لم خص موسى وعيسى بالذكر من بين سائر الانبياء قلت لما اوتيا من الآيات
العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية عظيمة وتاييد عيسى
بروح القدس آية عظيمة ايضا فلما اوتي موسى وعيسى من الآيات العظيمة خصا بالذكر في باب التفضيل فعلى هذا
كل من كان من الانبياء اعظم آيات واكثر معجزات كان افضل ولهذا احرز نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قصبات
السبق في الفضل لانه اعظم الانبياء آيات واكثرهم معجزات فهو افضلهم صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين ولو شاء
الله اي ولو اراد الله واصل المشيئة الارادة ما اقتتل الذين من بعدهم يعني من بعد الرسل الذين وصفهم الله من بعد
ما جاءتهم البينات اي الدلالات الواضحات من الله بانه حق يجب لمن هداه الله ووفقه ولكن اختلفوا يعني اختلف
هؤلاء الذين من بعد الرسل فمنهم من آمن اي ثبت على ايمانه بالله ورسوله بفضل الله ومنهم من كفر اي
ومنهم من فعل الكفر بعد قيام الحجة وبعثة الرسل ولو شاء الله ما اقتتلوا يعني ولو اراد الله ان يحجزهم عن القتال
والاختلاف لحجزهم عن ذلك ولكن الله يفعل ما يريد يعني انه تعالى يوفق من يشاء لطاعته والايمان به فضلا منه ورحمة
ويخذل من يشاء عدلا منه لا اعتراض عليه في ملكه وفعله سأل رجل علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن القدر فقال ايا

اي من الرسل

امير المومنين اخبرني عن القدر فقال طريق مظلم فلا تسلكه فاعاد السوال فقال بحر عميق فلا تلجه فاعاد السوال فقال سر الله قد
خفي فلا تفتشه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم قيل اراد به الزكوة الواجبة وقيل اراد به صدقة التطوع والانفاق
في وجوه الخير من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه اي لا فدية فيه وانما سماه بيعا لان الفداء اشترا النفس من الهلاك والمعنى قدموا لانفسكم
اليوم من اموالكم من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون فيه على تكسب الانسان ما تفتدونه به من العذاب ولا خلة اي ولا مودة ولا صداقة
ولا شفاعة وظاهر هذا يقتضي نفي الخلة والشفاعة وقد دلت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة بين المومنين فيكون هذا عاما
مخصوصا والكافرون هم الظالمون لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها قوله عز وجل الله لا اله الا هو الحي القيوم فصل في
فضل هذه الاية الكريمة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شي سنام وان سنام القران سورة البقرة وفيها
اية هي سيدة اي القران اية الكرسي اخرجه الترمذي قوله لكل شي سنام سنام كل شي اعلاه تشبيها بسنام البعير والمراد به
تعظيم هذه السورة والسيد الفاضل والشريف والكريم واصله من ساد يسود وقوله هي سيدة اي القران
اي افضله عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا المنذر اتدري اي اية من كتاب الله معك اعظم قلت الله
لا اله الا هو الحي القيوم فضرب في صدري وقال ليهنك العلم ابا المنذر عن واثلة بن الاسقع ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم
في صفة المهاجرين فساله انسان اي اية في القران اعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله لا اله الا هو الحي القيوم اخرجه
ابو داود قال العلما انما تميزت اية الكرسي بكونها اعظم اية في القران لما جمعت من اصول الاسما والصفات من الالهية والوحدانية
والحياة والعلم والقيومية والملك والقدرة والارادة فهذه اصول الاسما والصفات وذلك لان الله تعالى اعظم مذكور
فما كان ذكر الله من توحيد وتعظيم كان اعظم الاذكار وفي هذا الحديث حجة لمن يقول بجواز تفضيل بعض القران
على بعض وتفضيله على سائر كتب الله المنزلة وقد منع من جواز تفضيل بعض القران على بعض وتفضيله على
سائر كتب الله المنزلة بعض ابو الحسن الاشعري وابو بكر الباقلاني قالا لان تفضيل بعضه على بعض يقتضي نقص
المفضول وليس في كلام الله عز وجل نقص وتاول هولاء ما ورد من اطلاق لفظ اعظم وافضل في بعض الايات والسور
بمعنى عظيم وفاضل ومن اجاز تفضيل بعض القران على بعض من العلما والمتكلمين قالوا هذا التفضيل راجع او هذه السورة
الى عظم اجر القاري وجزيل ثوابه وقولنا ان هذه الاية اعظم او افضل يعني ان الثواب المتعلق بها اكثر وهذا
هو المختار وهو معنى الحديث والله اعلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حين يصبح اية
الكرسي وايتين من اول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ يومه ذلك حتى يمسي ومن قراهما حين يمسي حفظ
ليلته تلك حتى يصبح اخرجه الترمذي وقال حديث غريب واما التفسير فقوله عز وجل الله لا اله الا هو يعني نفي الالهية
عن كل ما سواه واثبت الالهية له سبحانه وتعالى فهو كقولك لا كريم الا زيد فانه ابلغ من قولك زيد كريم الحي يعني
الباقي على الابد الدائم بلا زوال والحي في صفة الله هو الذي لم يزل موجودا وبالحياة موصوفا لم تحدث له الحياة بعد موت
ولا يعترضه الموت بعد حياة وسائر الاحيا سواه يعتريهم الموت او العدم فكل شي هالك الا وجهه سبحانه وتعالى
القيوم قال مجاهد القيوم القائم على كل نفس بما كسبت والقيوم فيعول من القيام وهو نعت للمبالغة في القيام على الشي
لا تاخذه سنة ولا نوم السنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى نعاسا وهو النوم الخفيف والوسنان بين النائم
واليقظان والنوم هو الثقيل المزيل للعقل والقوة وقيل السنة في الراس والنعاس في العين والنوم في القلب
فالسنة اول النوم والنوم هو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالاشيا والمعنى لا تاخذه سنة فضلا عن
ان ياخذه نوم لان النوم والسهو والغفلة محال على الله تعالى لان هذه الاشيا عبارة عن عدم العلم وذلك نقص والله تعالى
منزه عن النقص والافات ولان ذلك تغير والله تعالى منزه عن التغير عن ابي موسى الاشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس
كلمات فقال ان الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار

قبل عمل الليل

قبل عمل الليل حجابه النور وفي رواية النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه شرح
ما يتعلق بلفظ هذا الحديث منقول من شرح مسلم للشيخ محيي الدين النواوي قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينام
ولا ينبغي له ان ينام معناه الاخبار بانه سبحانه وتعالى لا ينام وانه مستحيل في حقه لان النوم انغمار وغلبة على العقل
يسقط به الاحساس والله تعالى منزه عن ذلك وقوله يخفض القسط ويرفعه اراد بالقسط الميزان الذي يقع به
العدل ومعناه ان الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن فيه من اعمال العباد المرتفعة اليه وقيل اراد
بالقسط الرزق الذي هو قسط كل مخلوق ومعنى يخفض يقتر ويضيق على من يشا ويرفعه يوسعه
على من يشا وقوله يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار يعني ان الحفظة من الملائكة يصعدون باعمال العباد في
الليل بعد انقضائه في اول النهار ويصعدون باعمال النهار بعد انقضائه في اول الليل قوله حجابه النور لو كشفه
لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه سبحات بضم السين المهملة والباء الموحدة وبضم التاء في اخره
جمع سبحة ومعنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه والحجاب اصله في اللغة المنع والستر وحقيقة الحجاب انما تكون للاجسام المحدودة
والله تعالى منزه عن الجسم والحد فالمراد به هنا المانع من رؤيته وسمي ذلك المانع نورا او نارا لانهما يمنعان من الادراك في العادة
فالمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى اليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لان بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات
ولفظة من لبيان الجنس لا للتبعيض والمعنى لو ازال المانع وهو الحجاب المسمى نورا او نارا وتجلى لخلقه لاحرق
جلال ذاته جميع مخلوقاته هذا اخر كلام الشيخ على هذا الحديث والله اعلم وروى البغوي بسنده عن ابن عباس في قوله لا
تاخذه سنة ولا نوم ان موسى سال الملائكة هل ينام الله فاوحى الله تعالى الى الملائكة وامرهم ان يورقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام
ففعلوا ثم اعطوه قارورتين فامسكهما ثم تركوه وحذروه ان يكسرهما فجعل ينعس وهما في يده في كل يد واحدة فكسرهما
قال فجعل ينعس وينتبه حتى نعس نعسة فضرب احداهما بالاخرى فكسرهما قال معمر انما هو مثل ضربه الله تعالى
يقول فكذلك السموات والارض في يده وروي عن ابي هريرة مرفوعا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى على المنبر
قال وقع في نفس موسى هل ينام الله وذكر نحو حديث ابن عباس قال بعض العلما ان صح هذا الحديث فيحمل على ان هذا
السوال كان من جهال قوم موسى كطلبهم الروية من موسى لان الانبيا عليهم السلام هم اعلم بالله من غيرهم فلا يجوز ان ينسب
الى موسى مثل هذا السوال والله اعلم قوله تعالى له ما في السموات وما في الارض يعني ان الله تعالى مالك جميع ذلك
بغير شريك ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده وفي ملكه فان قلت لم قال له ما في السموات ولم يقل من في السموات
قلت لما كان المراد اضافة كل ما سواه اليه بالخلق والملك وكان الغالب فيهم من لا يعقل اجرى الغالب مجرى الكل
فعبر عنه بلفظة ما من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه اي بامره وهذا استفهام انكار والمعنى لا يشفع عنده
احد الا بامره وارادته وذلك لان المشركين زعموا ان الاصنام تشفع لهم فاخبر انه لا شفاعة لاحد عنده الا ما استثناه
بقوله الا باذنه يريد بذلك شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة بعض الانبيا والملائكة وشفاعة المومنين بعضهم
لبعض يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم يعني ما بين ايديهم من الدنيا وما خلفهم من الاخرة وقيل بعكسه لانهم
يقدمون على الاخرة ويخلفون الدنيا ورا ظهورهم وقيل يعلم ما كان قبلهم وما كان بعدهم وقيل يعلم
ما قدموه بين ايديهم من خير وشر وما خلفهم مما هم فاعلوه والمقصود من هذا انه سبحانه وتعالى عالم بجميع
المعلومات لا يخفى عليه شي من احوال جميع خلقه ولا يحيطون بشي من علمه يقال احاط بالشي اذا علمه وهو ان
يعلم وجوده وجنسه وقدره وحقيقته فمعناه اذا علمه ووقف عليه وجمعه في قلبه قيل فقد احاط به والمراد بالعلم
العلوم والمعنى انهم لا يحيطون بمعلومات الله تعالى الا بما شا يعني ان يطلعهم عليه وهم الانبيا والرسل ليكون
ما يطلعهم عليه من علم غيبه دليلا على نبوتهم كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وسع

كرسيه السموات والارض تقال فلان يسع الشيء سعة اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام به واصل الكرسي في اللغة من تركب
الشيء بعضه على بعض ومنه الكراسة لتركب بعض اوراقها على بعض واختلفوا في المراد بالكرسي هنا على اربعة اقوال
احدها ان الكرسي هو العرش نفسه قاله الحسن لان العرش والكرسي اسم للسرير الذي يصح التمكن عليه القول الثاني
ان الكرسي غير العرش وهو امامه وهو فوق السموات السبع ودون العرش قال السدي ان السموات والارض
في جوف الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقة في فلاة وعن ابن عباس ان السموات السبع في الكرسي كدراهم
سبعة القيت في ترس وقيل ان كل قائمة من قوائم الكرسي طولها مثل السموات والارض وهو ما بين يدي العرش ويحمل
الكرسي اربعة املاك لكل ملك اربعة وجوه واقدامهم على الصخرة التي تحت الارض السابعة السفلى ملك على صورة ابي البشر
آدم وهو يسال الرزق والمطر لبني آدم من السنة الى السنة وملك على صورة الثور وهو يسال الرزق للانعام من السنة
الى السنة وملك على صورة السبع وهو يسال الرزق للوحوش من السنة الى السنة وملك على صورة النسر وهو يسال
الرزق والمطر من السنة الى السنة وفي بعض الاخبار ان بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا
من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام لولا ذلك لاحترقت حملة العرش القول الثالث ان الكرسي هو العلم
لان العلم يعتمد عليه كما ان الكرسي يعتمد عليه قال ابن عباس كرسيه علمه القول الرابع المراد بالكرسي الملك
والسلطان والقدرة لان الكرسي موضع الملك والسلطان فلا يبعد ان يكنى عن الملك بالكرسي على سبيل المجاز
ولا يؤوده اي لا يثقله ولا يجهده ولا يشق عليه حفظهما اي حفظ السموات والارض وهو العلي اي الرفيع فوق خلقه
الذي ليس فوقه شيء فيما يجب له ان يوصف به من معاني الجلال والكمال فهو العلي بالاطلاق المتعالي عن الاشباه
والانداد والاضداد وقيل العلي بالملك والسلطنة والقهر فلا اعلى منه احد وقيل معنى العلو في صفة
الله تعالى منقول الى اقتداره وقهره واستحقاقه صفات المدح جميعها على كل وجه وقيل معناه انه يعلو ان
يحيط به وصف الواصفين العظيم يعني الذي انه ذو العظمة والكبرياء الذي لا شيء اعظم منه قال ابن عباس العظيم
الذي قد كمل في عظمته وقيل العظيم هو ذو العظمة والجلالة والكمال وهو في صفة الله تعالى منصرف الى عظم الشان وجلالة
القدر دون العظم الذي هو من نعوت الاجسام قوله تعالى لا اكراه في الدين في سبب نزول هذه الآية ما روي عن ابن عباس قال كانت
المرأة من الانصار تكون مقلاة وهي التي لا يعيش لها ولد فكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتهودنه فاذا عاش جعلته في اليهود فجاء الاسلام وفيهم منهم
فلما اجليت بنو النضير كان فيهم عدد من اولاد الانصار فارادت الانصار استردادهم وقالوا هم ابناؤنا واخواننا فنزلت
لا اكراه في الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خير اصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فاجلوهم
معهم وقيل كان لرجل من الانصار من بني سالم بن عوف يقال له ابو الحصين ابنان متنصران قبل مبعث النبي
صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الزيت فلزمهما ابوهما وقال لا ادعكما حتى تسلما فاختصموا
الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فانزل الله تعالى لا اكراه في الدين فخلى سبيلهما
وقيل نزلت في اهل الكتاب اذا قبلوا الجزية لم يكرهوا على الاسلام وذلك ان العرب كانت امة امية ولم يكن
لهم كتاب يرجعون اليه فلم يقبل منهم الا الاسلام او القتل ونزل في اهل الكتاب لا اكراه في الدين يعني اذا قبلوا الجزية فمن اعطى الجزية منهم لم يكره على الاسلام فعلى
هذا القول تكون الآية محكمة ليست بمنسوخة وقيل الآية منسوخة وكان ذلك في ابتداء الاسلام قبل ان يؤمر بالقتال ثم نسخت بآية القتال وهو قول
ابن مسعود وقال الزهري سالت زيد بن اسلم عن قول الله تعالى لا اكراه في الدين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين لا يكره احدا
في الدين فابى المشركون الا ان يقاتلوهم فاستاذن الله في قتالهم فاذن له ومعنى لا اكراه في الدين اي دين الاسلام ليس فيه اكراه
عليه قد تبين الرشد من الغي يعني قد ظهر ووضح وتميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الآيات
والبراهين الدالة على صحته فمن يكفر بالطاغوت يعني الشيطان وقيل هو الساحر والكاهن وقيل هو كل ما عبد من

من نور حملة الكرسي

دون الله تعالى وقيل كل ما يطغي الانسان فهو طاغوت فاعول من الطغيان ويؤمن بالله اي ويصدق بالله انه ربه
ومعبوده من دون كل شيء كان يعبده وفيه اشارة الى انه لا بد للكافر ان يتوب اولا من الكفر ويتبرأ منه ثم يؤمن
بعد ذلك بالله فمن فعل ذلك صح ايمانه وهو قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى اي فقد تمسك واعتصم بالعقد الوثيق
المحكم في الدين والوثقى تانيث الاوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل الى رضا الله تعالى وهو دين الاسلام
لا انفصام لها اي لا انقطاع لها حتى تؤديه الى الجنة والمعنى ان المتمسك بالدين الصحيح الذي هو دين الاسلام كالمتمسك
بالشيء الوثيق الذي لا يمكن كسره ولا انقطاعه والله سميع عليم يعني انه تعالى يسمع قول من كفر بالطاغوت واتى
بالشهادتين عليم بما في قلبه من الايمان وقيل معناه سميع لدعائك اياهم الى الاسلام عليم بحرصك على
اسلامهم قوله عز وجل الله ولي الذين آمنوا اي ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم ومتولي امورهم فلا يكلهم
الى غيره وقيل هو متولي هدايتهم يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الكفر الى الايمان وكل ما في القرآن من ذكر
الظلمات والنور فالمراد به الكفر والايمان غير التي في سورة الانعام وهو قوله تعالى وجعل الظلمات والنور فالمراد به
الليل والنهار وانما سمي الكفر ظلمة لالتباس طريقه ولان الظلمة تحجب الابصار عن ادراك الحقائق فكذلك الكفر
يحجب القلوب عن ادراك حقائق الايمان وسمي الاسلام نورا لوضوح طريقه وبيان ادلته والذين كفروا اولياؤهم
الطاغوت يعني كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب وسائر رؤوس الضلالة يخرجونهم من النور الى الظلمات
اي من الهدى الى الضلالة فان قلت كيف قال يخرجونهم من النور الى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط
قلت هم اليهود كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته قبل ان يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته
وصفته فلما بعث كفروا به وجحدوا نبوته وقيل هو على العموم في حق جميع الكفار ومنع الطاغوت اياهم عن
الدخول فيه اخراج من الايمان يعني صدهم الطاغوت عنه وحرمانهم خيره وان لم يكونوا دخلوا فيه قط فهو
كقول الرجل لابيه اخرجتني عن مالك اذا اوصى به لغيره في حياته وحرمه منه وكقول الله تعالى اخبارا
عن يوسف عليه السلام اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن قط في ملتهم اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون يعني الكفار والطاغوت اهل النار الذين هم فيها خالدون قوله عز وجل الم تر
الى الذي حاج ابراهيم في ربه يعني هل انتهى اليك يا محمد خبر الذي خاصم ابراهيم وجادله ولفظ الم تر كلمة
يوقف بها المخاطب على تعجب منها ولفظها لفظ استفهام فهو كما يقال الم تر الى فلان كيف يصنع معناه
هل رأيت كفلان في صنعه والذي حاج ابراهيم هو نمرود بن كنعان الجبار وهو اول من وضع
التاج على راسه وتجبر في الارض وادعى الربوبية ان آتاه الله الملك اي لان آتاه الملك فطغى وتجبر
بسببه وكانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه قال مجاهد ملك الارض اربعة مؤمنان وكافران
فاما المؤمنان فسليمان وذو القرنين واما الكافران فنمرود وبخت نصر واختلفوا في وقت هذه المحاجة
اذم فقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه نمرود ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعونا اليه فقال ابراهيم
ربي الذي يحيي ويميت وقيل كان هذا بعد القائه في النار وذلك ان الناس قحطوا على عهد نمرود وكان
الناس يمتارون من عنده الطعام فكان اذا اتاه الرجل يمتار سأله من ربك فيقول انت فيبيعه فجاء ابراهيم صلى
الله عليه وسلم يمتار لاهله الطعام فاتاه فقال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت
قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر فرده بغير طعام فرجع ابراهيم
الى اهله فمر على كثيب رمل اعفر فاخذ منه تطييبا لقلوب اهله اذا دخل عليهم فلما اتى اهله وضع متاعه
ثم نام فقامت زوجته سارة الى رحله ففتحته فاذا هو طعام اجود ما رآه احد فصنعت منه خبزا

فلما انتهت قريبة اليه فقال ابرهيم من اين هذا وكان عهد اهله وليس عندهم طعام فقالت من الطعام الذي جئت
به فعلم ابرهيم ان الله قد رزقه فحمد الله تعالى ثم ان الله تعالى بعث الى نمرود الجبار ملكا ان آمن بي واتركك في ملكك
قال وهل رب غيري فجاءه الثانية فقال له مثل ذلك ثم اتاه الثالثة فرد عليه مثل ذلك فقال له الملك اجمع جموعك
فجمع الجبار جموعه فامر الله الملك ففتح عليه بابا من البعوض حتى سترت الشمس فلم يروها فبعثها الله عليهم فاكلت
لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام ونمرود ينظر ولم يصبه شي من ذلك ثم بعث الله عليه بعوضة فدخلت
في منخره فمكثت في راسه اربعمائة سنة يضرب راسه بالمطارق وكان ارحم الناس به من يجمع يديه ثم يضرب بهما راسه
فكان كذلك يعذب اربعمائة سنة مدة ملكه حتى اماته الله عز وجل ومعنى ادحض قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت هذا
جواب سؤال غير مذكور تقديره قال له نمرود من ربك قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت قال يعني نمرود انا احيي
وأميت فاكثر المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل احدهما واستحيى الاخر فجعل ترك القتل احياء فانتقل
ابرهيم صلى الله عليه وسلم الى حجة اخرى لا عجزا عن نصر الحجة الاولى فانها كانت لازمة لانه اراد بالاحيا احيا الميت
فكان لابرهيم ان يقول لنمرود فاحي من امته ان كنت صادقا ولكن انتقل الى حجة اخرى اوضح من الاولى لما
راى من قصور فهم نمرود وضعف رايه فانه عارض الفعل بمثله ونسي اختلاف الفعلين قال ابرهيم فان
الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر يعني تحير نمرود ودهش وانقطعت
حجته ولم يرجع اليه شيا وعرف انه لا يطيق ذلك فان قلت كيف بهت الذي كفر وكان يمكنه ان يقول لابرهيم
سل انت ربك حتى ياتي بها من المغرب قلت انما لم يقله لانه خاف ان لو سال ذلك دعا ابرهيم ربه فكان ذلك
زيادة في فضيحة نمرود وانقطاعه وقيل ان الله تعالى صرفه عن تلك المعارضة اظهارا للحجة عليه ومعجزة
لابرهيم صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح والله لا يهدي القوم الظالمين يعني لا يرشدهم الى الحجة يدحضون بها
حجج اهل الحق عند المحاجة والمخاصمة يعني بالظالمين نمرود قوله عز وجل او كالذي مر على قرية هذه
معطوفة على الاية التي قبلها والمعنى الم تر الى الذي حاج ابرهيم او كالذي مر على قرية فيكون هذا عطفا على المعنى وقيل
معناه هل رايت كالذي حاج ابرهيم او كالذي مر على قرية واختلفوا في ذلك المار فقيل هو ... انه كان
كافرا شك في البعث وهو قول ضعيف لقوله تعالى قال كم لبثت والله تعالى لا يخاطب الكافر ولقوله تعالى
ولنجعلك اية للناس وهذا اللفظ لا يستعمل في حق الكافر انما يستعمل في حق الانبيا وقال قتادة وعكرمة والضحاك
والسدي هو عزير بن شرخيا وقال وهب بن منبه هو ارميا بن حلقيا من سبط هرون وهو الخضر ومقصود
القصة تعريف منكري البعث قدرة الله تعالى على احيا خلقه بعد اماتتهم لا التعريف باسم ذلك
المار على انه يجوز ان يكون ذلك المار هو عزير وجائز ان يكون ارميا وفي هذه القصة دلالة عظيمة لنبوة العزير
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر اليهود بما يجدونه في كتبهم ويعرفونه وهو لم يقرا الكتب القديمة واختلفوا في
تلك القرية فقيل هي بيت المقدس وذلك لما خربها بختنصر والمراد باحيائها عمارتها وقيل هي القرية التي اهلك
الله اهلها الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وقيل هي دير سابراباد وقيل سلماباذ وقيل هي دير هرقل
وقيل هي قرية العنب وهي على فرسخين من بيت المقدس وهي خاوية على عروشها اي ساقطة على
سقوفها وذلك ان السقوف سقطت اولا ثم وقعت الحيطان عليها بعد ذلك قال معنى ذلك المار ه
انى يحيي هذه الله بعد موتها من قال ان ذلك المار كان كافرا وهو ضعيف انما حمله على الشك في قدرة الله ومن قال
كان نبيا حمله على سبيل الاستبعاد بحسب مجرى العرف والعادة لا على سبيل الانكار لقدرة الله تعالى
وكان المقصود منه طلب زيادة الدلائل لاجل التاكيد كما قال ابرهيم عليه السلام ارني كيف تحيي الموتى ومعنى انى يحيي هذه

الله

الله من اين يحيي هذه القرية والمراد بالاحيا عمارتها فاحب الله تعالى ان يريه اية في نفسه وفي احيا تلك القرية
وكان سبب القصة في ذلك ما روي عن وهب بن منبه ان الله تعالى بعث ارميا الى ناشية بن اموص ملك
بني اسرائيل ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى فعظمت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا المعاصي فاوحى الله تعالى الى ارميا
ان ذكر قومك نعمي عليهم وعرفهم احداثهم وادعهم الي فقال ارميا يا رب اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تبلغني
مخذول ان لم تنصرني فقال الله فقام ارميا فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه الله تعالى في الوقت خطبة بليغة
طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في اخرها عن الله عز وجل اني احلف بعزتي لاقيضن لهم فتنة
يتحير فيها الحكيم ولاسلطن عليهم جبارا فارسيا البسه الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل
سواد الليل المظلم ثم اوحى الله تعالى اني مهلك بني اسرائيل بيافث ويافث اهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما
سمع ارميا ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على راسه فلما راى الله تعالى تضرعه وبكاه ناداه يا ارميا اشق اشرم
عليك ما اوحيت اليك قال نعم يا رب اهلكني قبل ان ارى في بني اسرائيل ما لا اسر به فقال الله عز وجل
وعزتي وجلالي لا اهلك بني اسرائيل حتى يكون الامر في ذلك من قبلك ففرح ارميا بذلك وطابت نفسه وقال لا والذي بعث
موسى بالحق لا ارضى بهلاك بني اسرائيل ثم اتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح وقال ان
يعذبنا ربنا فبذنوبنا وان يعف عنا فبرحمته ثم انهم لبثوا بعد ذلك الوحي ثلث سنين لم يزدادوا الا معصية
وتماديا في الشر فقل الوحي وذلك حين اقترب هلاكهم فدعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر
البابلي فخرج في ستمائة الف راية يريد اهل بيت المقدس فلما فصل سائرا اتى الخبر الملك من بني اسرائيل فقال لارميا
اين ما زعمت ان الله تعالى اوحى اليك فقال ارميا ان الله لا يخلف الميعاد وانا به واثق فلما قرب الاجل بعث
الله تعالى الى ارميا ملكا قد تمثل له في صورة رجل من بني اسرائيل فقال له ارميا من انت قال انا رجل من
بني اسرائيل اتيتك استفتيك في اهل رحمي وصلت ارحامهم ولم ات اليهم الا حسنا ولا يزيدهم اكرامي اياهم
الا اسخاطا لي فافتني فيهم فقال ارميا احسن فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فمكث
اياما ثم اقبل اليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له ارميا من انت قال انا الذي اتيتك استفتيك في شان
اهلي فقال له ارميا من انت قال انا الذي اتيتك اما طهرت اخلاقهم بعد لك منهم فقال يا نبي الله والذي بعثك
بالحق ما اعلم كرامة ياتيها احد من الناس الى رحمه الا قدمتها اليهم وافضل فقال ارميا ارجع اليهم واحسن
اليهم اسال الله الذي يصلح عباده الصالحين ان يصلحهم فقام الملك فمكث اياما ثم ان بختنصر نزل بجنوده
بيت المقدس ففزع منهم بنو اسرائيل فقال ملكهم لارميا يا نبي الله اين ما وعدك الله تعالى فقال اني بربي
واثق ثم اقبل ذلك الملك الى ارميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده
فقعد بين يديه فقال له ارميا من انت قال انا الذي جئتك في شان اهلي مرتين فقال ارميا الم يان لهم ان يفيقوا
من الذي هم فيه فقال الملك يا نبي الله ان كل شي كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت اصبر عليه فاليوم رايتهم
على عمل عظيم يسخط الله تعالى فغضبت لله عز وجل فاتيتك لاخبرك واني اسالك بالله الذي بعثك بالحق ان
تدعو الله عليهم ليهلكوا فقال ارميا يا مالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا
على عمل لا ترضاه فاهلكهم فاخرجت الكلمة من فيه حتى ارسل الله عز وجل صاعقة من السماء على بيت المقدس
فالتهب مكان القربان واحرقت سبعة ابواب من ابوابه فلما راى ذلك ارميا صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد
على راسه وقال يا ملك السموات والارض اين ميعادك الذي وعدتني به فنودي انه لم يصبهم ما اصابهم الا بفتياك
ودعائك عليهم فاستيقن ارميا انها فتياه وان ذلك السائل كان رسولا من الله اليه فخرج ارميا حتى خالط الوحوش

ودخل بخت نصر وجنوده بيت المقدس ووطئ الشام وقتل من بني اسرائيل حتى افناهم وخرب بيت المقدس وامر جنوده
ان يملا كل رجل منهم ترسه ترابا ويلقيه في بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملاوه ثم امرهم ان يجمعوا من كان في
بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده من كان بقي من بني اسرائيل من صغير وكبير فاختار منهم سبعين الف صبي
فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل اربع غلمة وكان في اولئك الغلمان دانيال وحنانيا
وعزير وفرق من بقي من بني اسرائيل ثلث فرق فثلثا قتلهم وثلثا سباهم وثلثا اقرهم بالشام فكانت هذه
الوقعة الاولى التي انزلها الله ببني اسرائيل بظلمهم فلما ولى بخت نصر راجعا الى بابل ومعه سبايا بني اسرائيل اقبل
ارميا على حمار له ومعه عصير عنب في ركوة وسلة تين حتى غشي ايليا وهي ارض بيت المقدس فلما
راى خرابها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها ومن قال ان المار كان عزيرا قال ان بخت نصر لما خرب بيت المقدس
واقدم بسبي بني اسرائيل وكان فيهم عزير ودانيال وسبعة الاف من اهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل
ارتحل على حمار حتى نزل دير هرقل على شط دجلة فطاف في القرية فلم ير احدا وعامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة
واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق فلما راى خراب القرية
وهلاك اهلها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها وانما قال ذلك تعجبا لا شكا في البعث رجعنا الى حديث
وهب قال ثم ان ارميا ربط حماره بحبل جديد والقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح مائة عام
وامات حماره وبقي عصيره وتينه عنده واعمى الله عنه العيون فلم يره احد وذلك ضحى ومنع لحمه من السباع
والطير فلما مضى من وقت موته سبعون سنة ارسل الله تعالى ملكا الى ملك من ملوك فارس يقال له
يوشك فقال له ان الله يامرك ان تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وايليا حتى يعود اعمر ما كان فانتدب الملك
الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة الف عامل وجعلوا يعمرونها واهلك الله بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه
ونجى الله من بقي من بني اسرائيل وردهم جميعا الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلثين سنة وكثروا كاحسن
ما كانوا فلما مضت المائة احيى الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم احيا الله جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره
فاذا حماره عظامه تلوح بيض متفرقة فسمع صوتا من السماء ايتها العظام البالية ان الله يامرك ان تجتمعي فاجتمع
بعضها الى بعض ثم نودي ان الله يامرك ان تكتسي لحما وجلدا فكان كذلك ثم نودي ان الله يامرك ان تحيي فقام الحمار باذن
الله ثم نهق وعمر الله ارميا فهو يرى في الفلوات فذلك قوله تعالى فاماته الله مائة عام اصل العام من العوم وهو
السباحة سميت السنة عاما لان الشمس تعوم في جميع بروجها ثم بعثه اي ثم احياه واصله من بعثت الناقة
اذا اقمتها من مكانها قال كم لبثت يعني قال الله له كم قدر الزمان الذي مكثت فيه ميتا قبل ان ابعثك من
مماتك حيا ويقال ان الله تعالى لما احياه بعث اليه ملكا فساله كم لبثت قال يعني ذلك المبعوث بعد مماته لبثت
يوما وذلك ان الله تعالى اماته ضحى في اول النهار واحياه بعد مائة سنة في اخر النهار قبل ان تغيب الشمس فقال
لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غابت ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال او بعض يوم قال يعني قال
الله له وقيل قال له الملك بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك يعني التين الذي كان معه قبل موته وشرابك
يعني ذلك العصير لم يتسنه يعني لم تغيره السنون التي اتت عليه فكان التين كانه قد قطف من ساعته والعصير
كانه قد عصر من ساعته لم يتغيرا ولم ينتنا وانظر الى حمارك اي وانظر الى احياء حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض
فركب الله تعالى العظام بعضها على بعض ثم كساه اللحم والجلد واحياه وهو ينظر ولنجعلك اية للناس قيل
الواو زائدة مقحمة وقيل دخول الواو فيه دلالة على انها شرط لفعل بعدها والمعنى فعلت ما فعلت بك من الاماتة
والاحياء لنجعلك اية للناس يعني عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله اكثر المفسرين وقيل انه عاد الى قريته

وهو شاب اسود الراس واللحية واولاده واولاد اولاده شيوخ وعجائز شمط فكان ذلك اية للناس وانظر الى العظام
كيف ننشرها ثم نكسوها لحما قرئ بالراء ومعناه كيف نحييها يقال انشر الله الميت انشارا يعني احياه وقرئ بالزاي
ومعناه كيف نرفعها من الارض ونردها الى اماكنها من الجسد ونركب بعضها على بعض وانشاز الشيء رفعه
وازعاجه يقال انشزته فنشز اي رفعته فارتفع واختلفوا في معنى الاية فقال الاكثرون انه اراد عظام الحمار
فقيل ان الله تعالى لما احيا عزيرا او ارميا على اختلاف القولين فيه ثم قال له انظر الى حمارك قد هلك ثم
وبليت عظامه فنظر وبعث الله ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل فاجتمعت فركب بعضها على بعض
حتى انكسر من العظم رجعت الى موضعها فصار حمارا من عظام ليس عليه لحم ولا فيه دم ثم كسا الله تلك العظام
اللحم والعروق والدم فصارت حمارا من عظام ليس عليه لحم ولا فيه دم ثم كسا الله تلك العظام اللحم والعروق والدم
فصار حمارا ذا لحم ودم لا روح فيه ثم بعث الله ملكا فاقبل اليه يمشي حتى اخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه الروح فقام
الحمار حيا باذن الله ثم نهق وقيل اراد بالعظام عظام هذا الرجل نفسه وذلك ان الله تعالى اماته ثم بعثه
وامات حماره ثم قيل له انظر الى حمارك فنظر فراى حماره حيا كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر
الى الرمة في عنقه جديدة لم تتغير ثم قيل له انظر الى العظام وذلك ان الله اول ما احيى منه عينيه فنظر فراى بسائر
جسده ميتا وفي الاية تقديم وتاخير تقديره وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشرها ولنجعلك اية
للناس وعن ابن عباس رضي الله عنهما من المفسرين لما احيا الله عزيرا بعد ما اماته مائة سنة ركب حماره حتى اتى
المحلة فانكره الناس وانكرهم الناس وانكر منازله فانطلق على وهم حتى اتى منزله فاذا بعجوز عمياء
مقعدة قد اتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت امة لهم لما خرج عزير عنهم كانت بنت عشرين سنة
وكانت قد عرفته وعقلته فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير فقالت نعم وبكت وقالت ما رايت احدا يذكر عزيرا منذ كذا
وكذا فقال انا عزير فقالت سبحان الله ان عزيرا فقدناه من مائة سنة ولم نسمع له بذكر فقال اني عزير ان الله اماتني مائة
سنة ثم احياني فقالت ان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة وكان يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية فادع الله ان يرد
علي بصري حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحتا واخذ بيدها وقال لها قومي باذن
الله فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة فنظرت اليه وقالت اشهد انك عزير وانطلقت الى بني اسرائيل وهم في انديتهم
ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت
انا فلانة مولاتكم فدعا لي عزير ربه فرد علي بصري واطلق رجلي وزعم ان الله قد اماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض
الناس اليه وقال ابنه كان لابي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هي فعرفوا انه
عزير وقيل لما رجع عزير الى قريته وقد احرق بخت نصر التورية ولم يكن من الله عهد بين الخلائق بكى عزير على
التورية فاتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فمثلت التورية في صدره فرجع الى بني اسرائيل وقد علمه
الله التورية وبعثه نبيا فقال انا عزير فلم يصدقوه فقال انا عزير قد بعثني الله اليكم لاجدد لكم توراتكم قالوا
فاملها علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه فقالوا ما جعل الله التورية في قلب رجل بعد ما ذهبت الا انه
ابنه فقالوا عزير ابن الله وسياتي القصة في سورة التوبة ان شاء الله تعالى وقوله تعالى فلما تبين له يعني فلما
اتضح له عيانا ما كان يستنكره من احياء القرية وراه عيانا في نفسه قال اعلم قرئ بجزم موصولا على الامر
يعني قال الله له اعلم وقرئ اعلم على قطع الالف ورفع الميم على الخبر عن نفسه قال اني يحيي هذه الله بعد موتها والمعنى فلما تبين
له وراى ذلك عيانا قال اعلم ان الله على كل شيء قدير يعني الاماتة والاحياء قوله عز وجل واذ قال ابرهيم رب
ارني كيف تحيي الموتى اختلفوا في سبب هذا السؤال من ابرهيم عليه السلام فقيل انه مر على دابة ميتة وقد جيفت

حمار وقيل كانت حوتا ميتة وقيل كان رجلا ميتا بساحل البحر وقيل بحر طبرية فرآها وقد توزعها دواب البحر والبر فاذا
مد البحر جاءت الحيتان فاكلت منها واذا جزر البحر جاءت السباع فاكلت منها فاذا ذهبت السباع جاءت الطير فاكلت
منها فلما راى ابرهيم ذلك تعجب منها وقال يا رب قد علمت انك لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير واجواف الحيتان ودواب
البحر فارني كيف تحييها لاعاين ذلك فازداد يقينا فعاتبه الله تعالى فقال اولم تؤمن يعني اولم تصدق قال بلى يا رب
قد علمت وامنت ولكن ليطمئن قلبي اي ليسكن قلبي بهذه المعاينة اراد ابرهيم عليه السلام ان يصير له علم اليقين عين اليقين
لان الخبر ليس كالمعاينة وقيل لما راى الجيفة على البحر وقد تمزقت وتناولتها السباع والطير ودواب البحر تفكر كيف تجتمع ما تفرق
من تلك الجيفة وتطلعت نفسه الى مشاهدة ميت يحييه ربه ولم يكن ابرهيم عليه السلام شاكا في احياء الله الموتى
ولا دافعا له ولكنه احب ان يرى ذلك عيانا كما كان المؤمنون يحبون ان يروا نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم ويحبون رؤية
الله تعالى ويطلبونه ويسالونه مع علمهم مع الايمان بصحة ذلك وزوال الشك عنهم فكذلك احب ابرهيم ان يصير له
ذلك عيانا وقيل كان سبب هذا السؤال من ابرهيم انه لما احتج على نمرود فقال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت فقال نمرود
انا احيي واميت فقتل احد الرجلين واطلق الاخر فقال ابرهيم ان الله تعالى يقصد الى جسد ميت فيحييه فقال له نمرود
انت عاينته فلم يقدر ابرهيم ان يقول نعم فانتقل الى حجة اخرى ثم سال ابرهيم ربه ان يريه كيف يحيي الموتى قال اولم تؤمن
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بقوة حجتي فاذا قيل انت عاينته فاقول نعم وقال سعيد بن جبير لما اتخذ الله ابرهيم
خليلا استاذن ملك الموت ربه ان ياذن له فيبشر ابرهيم بذلك فاذن له فاتى ابرهيم ولم يكن في الدار فدخل داره وكان
ابرهيم من اغير الناس كان اذا خرج اغلق بابه فلما جاء وجد في الدار رجلا فثار اليه ليأخذه وقال له من اذن لك
ان تدخل داري فقال اذن لي رب الدار فقال ابرهيم صدقت وعرف انه ملك فقال له من انت فقال انا ملك
الموت جئت ابشرك ان الله قد اتخذك خليلا فحمد الله عز وجل وقال ما علامة ذلك قال ان يجيب الله دعاك ويحيي
الموتى بسؤالك فحينئذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بانك اتخذتني
خليلا وتجيبني اذا دعوتك وتعطيني اذا سالتك ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن احق بالشك
من ابرهيم اذ قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ويرحم الله لوطا لقد
كان ياوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لاجبت الداعي القول على معنى الحديث
وما يتعلق به اختلف العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابرهيم على اقوال فاحسنها
واصحها ما نقل المزني وغيره من العلماء ان الشك مستحيل في حق ابرهيم فان الشك في احياء الموتى لو كان
متطرقا الى الانبياء لكنت انا احق به من ابرهيم وقد علمتم اني لم اشك فاعلموا ان ابرهيم لم يشك وانما خص ابرهيم
بالذكر لكون الاية قد تسبق لبعض الاذهان الفاسدة منها احتمال الشك فنفى ذلك عنه وقال الخطابي
ليس في قوله نحن احق بالشك من ابرهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابرهيم لكن فيه نفي الشك عنهما
يقول اذا لم اشك انا في قدرة الله تعالى على احياء الموتى فابرهيم اولى بان لا يشك وقال ذلك على سبيل
التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لاجبت الداعي وفيه الاعلام
بان المسألة من ابرهيم لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل زيادة العلم بالعيان يفيد من المعرفة
والطمانينة ما لا يفيد الاستدلال وقيل لما نزلت هذه الاية قال قوم شك ابرهيم ولم يشك نبينا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابرهيم ومعناه ان هذا الذي تظنونه شكا انا اولى به فانه ليس بشك
وانما هو طلب لمزيد اليقين وانما رجح ابرهيم صلى الله عليه وسلم على نفسه صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وادبا او قبل ان يعلم
انه صلى الله عليه وسلم خير ولد ادم واما تفسير الاية فقوله تعالى واذ قال ابرهيم اي واذكر يا محمد اذ

قال

ابرهيم وقيل انه معطوف على قوله الم تر الى الذي حاج ابرهيم والتقدير الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه الم تر اذ قال
ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال يعني قال الله لابرهيم اولم تؤمن الالف في اولم الف استفهام وايجاب كقول جرير الستم خير من
ركب المطايا اي انتم كذلك والمعنى اولست قد امنت وصدقت ولكن ليطمئن قلبي يعني سالتك لارادة طمانينة
القلب وزيادة اليقين وقوة الحجة وقال ابن عباس معناه ولكن لارى من اياتك واعلم انك قد اجبتني
قال فخذ اربعة من الطير قيل اخذ طاووسا وديكا وحمامة وغرابا وقيل نسرا بدل الحمامة فان قلت لم خص الطير
من جملة الحيوانات بهذه الحالة قلت لان الطير صفته الطيران في السماء والارتفاع في الهواء وكانت همة ابرهيم
عليه السلام كذلك وهو العلو والوصول الى الملكوت فكانت معجزته مشاكلة لهمته فان قلت لم خص هذه الاربعة اجناس
من الطير بالاخذ قلت فيه اشارة ففي الطاووس اشارة الى ما في الانسان من حب الزينة والجاه وفي النسر اشارة الى
شدة الشغف بالاكل وفي الديك اشارة الى شدة الشغف بحب النكاح وفي الغراب اشارة الى شدة الحرص
ففي هذه الطيور مشابهة لما في الانسان من حب هذه الاوصاف وفيه اشارة الى ان الانسان اذا ترك
هذه الشهوات الذميمة لحق باعلى الدرجات وفاز بنيل السعادات فصرهن قرئ بكسر الصاد ومعناه
قطعهن ومزقهن وقرئ بضم الصاد ومعناه املهن اليك ووجههن وقيل معناه اجمعهن واضممهن
اليك فمن فسره بالامالة والضم قال فيه اضمار ومعناه فصرهن اليك ثم قطعهن فحذف اكتفاء بقوله ثم اجعل على كل جبل
منهن جزءا لانه يدل عليه قال المفسرون امر الله تعالى ابرهيم صلى الله عليه وسلم ان يذبح تلك الطيور وينتف ريشها
وان يخلط ريشها ولحومها ودماءها بعضها ببعض ففعل ثم امره ان يجعل على كل جبل منهن جزءا واختلفوا
في عدد الاجزاء والاجبال فقال ابن عباس امر ان يجعل كل طائر اربعة اجزاء وان يجعل على اربعة اجبل على كل
جبل جزءا ربعا من كل طائر فجعل جبلا على جهة المشرق وجبلا على جهة المغرب وجبلا على جهة الشمال
وجبلا على جهة الجنوب وقيل جزاه سبعة اجزاء ووضعها على سبعة اجبل وامسك رؤوسهن بيده
ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله تعالى فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير
الى الريشة الاخرى وكل بضعة تطير الى الاخرى وابرهيم ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها بعضا في السماء بغير
رؤوس ثم اقبلن سعيا الى رؤوسهن كلما جاء طائر مال برأسه فان كان رأسه دنا منه وان لم يكن تاخر
عنه حتى التقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى ثم ادعهن ياتينك سعيا وقيل المراد بالسعي
الاسراع والعدو وقيل المشي والحكمة في سعي الطيور اليه دون الطيران لان ذلك ابعد من الشبهة
لانه لو طارت لتوهم متوهم انها غير تلك الطيور وان ارجلها غير سليمة فنفى الله تعالى هذه الشبهة بقوله
ياتينك سعيا وقيل المراد بالسعي الطيران وفيه ضعف لانه لا يقال للطائر اذا طار سعى وقيل
السعي هو الحركة الشديدة واعلم ان الله عزيز يعني انه تعالى غالب على جميع الاشياء لا يعجزه شيء حكيم
يعني في جميع اموره قوله تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله قيل اراد به الانفاق في
الجهاد وقيل هو الانفاق في جميع ابواب الخير ووجوه البر فيدخل فيه الواجب والتطوع وفيه
اضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون اموالهم كمثل حبة اي كمثل زارع حبة انبتت سبع سنابل
جمع سنبلة في كل سنبلة مائة حبة فان قلت فهل رأيت سنبلة فيها مائة حبة حتى يضرب
المثل بها قلت ذلك غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا لا يضر المثل به جائز وان لم يوجد والمعنى في
كل سنبلة مائة حبة ان جعل الله ذلك فيها وقيل هو موجود في الدخن وقيل ان المقصود من الاية
انه اذا علم الانسان الطالب للزيادة والربح انه اذا بذر حبة واحدة اخرجت له سبع مائة حبة ما كان

كلام

بعد اخرجت سبع تكمل الحبة

ما كان ينبغي له تركه ذلك ولا التقصير فيه فكذلك ينبغي لمن طلب الاجر عند الله في الآخرة ان لا يترك الانفاق في سبيل الله
اذا علم انه يحصل له بالواحد عشرة وماية وسبعماية والله يضاعف لمن يشا يعني انه تعالى يضاعف هذه المضاعفة
لمن يشا وقيل معناه يضاعف على هذا او يزيد لمن يشا من سبع الى سبعين الى سبعماية الى ما يشا من الاضعاف
بما لا يعلمه الا الله والله واسع اي غني يعطي الغني عن سعة وقيل واسع القدرة على المجازاة وعلى الجود وال
عليم يعني بنية من ينفق في سبيله وقيل عليم بمقادير الانفاق وبما يستحق المنفق من الجزاء والثواب عليه قوله
الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله قيل نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف اما عثمان فجهز المسلمين
غزوة تبوك بالف بعير باقتابها واحلاسها فنزلت هذه الآية وقال عبد الرحمن بن سمرة جا عثمان بالف دينار
في جيش العسرة فصبها في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايته يدخل يده فيها ويقلبها ويقول ما ضر عثمان
ما عمل بعد اليوم فانزل الله الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله واما عبد الرحمن فجا باربعة الاف درهم
صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كان عندي ثمانية الاف فامسكت لنفسي ولعيالي اربعة الاف وار
اخرجتها الى ربي عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت وقيل نزلت في الذين يعينون
المجاهدين في سبيل الله بالانفاق عليهم في حوائجهم ومؤنتهم ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى اي منا
نفقتهم التي انفقوها عليهم بالمن والاذى وهو ان يمن عليه بعطايه فيقول قد اعطيتك كذا وكذا فيعدد نعمه
عليه فيكدرها عليه والاذى هو ان يعيره فيقول كم تسأل وانت فقير ابدا وقد بليت بك واراحني الله منك
وامثال ذلك والمن في اللغة الانعام والمنة النعمة الثقيلة يقال من فلان على فلان اذا اثقله بالنعمة
ويكون ذلك القول ايضا ومنه قول الشاعر ان عرفت عليك بالسلام فانما كلامك ياقوت ودر منظم ومن
المن بالقول ما هو مستقبح بين الناس مثل ان يمن على الانسان بما اعطاه قال عبد الرحمن بن زيد كان
ابي يقول اذا اعطيت رجلا شيا ورايت ان سلامك يثقل عليه فلا تسلم عليه والعرب تمدح ترك
المن وكتم النعمة وتذم على اظهارها والمن به قال قايلهم في المدح يتوك المن زاد معروفه عندي عظما انه عندك
مستور حقير تناساه كان لم تاته وهو في العالم مشهور كبير وقال قايلهم يذم المنان بالعطا
اتيت قليلا ثم اسرعت منة فنيلك ممنون لذاك قليل واما الاذى فهو ما يصل الى الانسان من ضرر
بقول او فعل اذا عرفت هذا فقول المن هو اظهار المعروف الى الناس والمن عليهم به والاذى هو ان
يشكو منهم بسبب ما اعطاهم فحرم الله تعالى على عباده المن بالمعروف والاذى فيه وذم فاعله فان قلت
قد وصف الله تعالى نفسه بالمنان فما الفرق قلت المنان في صفة الله تعالى معناه المتفضل فمن الله
افضال على عباده واحسان اليهم بجميع ما هم فيه منه من الله سبحانه وتعالى ومن العباد تعيير وتكدير
فظهر الفرق بينهما وقوله تعالى لهم اجرهم يعني ثواب اعمالهم عند ربهم يعني في الآخرة ولا خوف عليهم يعني يوم
القيمة ولا هم يحزنون يعني على ما خلفوا من الدنيا قول معروف اي كلام حسن ورد جميل على الفقير
السايل وقيل عدة حسنة يعده بها وقيل دعا صالح يدعو له بظهر الغيب ومغفرة اي يستر عليه
خلته وفقره ولا يفشي سره وقيل هو ان يتجاوز عن الفقير اذا استطال عليه حال رده خير من صدقة
يعني هذا القول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التي يدفعها الى الفقير يتبعها اذى وهو ان يعطي
الفقير الصدقة ويمن عليه بها ويعيبه بقول او يوذيه بفعل والله غني اي مستغن عن صدقة العباد والغني
الكامل الغني الذي لا يحتاج الى احد وليس كذلك الا الله تعالى حليم يعني انه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة على
من يمن على عباده ويوذيه بصدقته قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم يعني اجور صدقاتكم

بالمن

الذي يبطل الولد

بالمن والاذى يعني على السائل الفقير وقال ابن عباس بالمن على الله والاذى لصاحبها ثم ضرب الله لذلك مثلا فقال تعالى كالذي ينفق
ماله رئاء الناس اي مراياة لهم وسمعة ليروا نفقته ويقولوا انه سخي كريم ولا يومن بالله واليوم الآخر يعني ان الريا يبطل الصدقة ولا
تكون النفقة مع الريا من فعل المومنين لكن من فعل المنافقين لان الكافر معلن بكفره غير مراي به فمثله اي مثل هذا المرائي
بصدقته وساير اعماله كمثل صفوان هو الحجر الاملس الصلب وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا قال واحده صفوانة ومن — الصفوان
جعله واحدا قال جمعه صفي عليه تراب اي على ذلك الحجر تراب فاصابه وابل يعني المطر الشديد العظيم القطر فتركه
صلدا يعني ترك المطر ذلك الصفوان صلدا املس لا شي عليه من ذلك التراب فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق
والمرائي والمومن المنان بصدقته ويوذي الناس يرى الناس ان لهؤلاء اعمالا في الظاهر كما يرى التراب على هذا الصفوان
فاذا جا المطر اذهبه وازاله كذلك حال هؤلاء يوم القيمة تبطل اعمالهم وتضمحل لانها لم تكن لله تعالى كما اذهب الوابل
ما على الصفوان من التراب لا يقدرون على شي مما كسبوا اي لا يقدرون على ثواب شي مما عملوا في الدنيا
والله لا يهدي القوم الكافرين يعني الذين سبق في علمه انهم يموتون على الكفر روى البغوي بسنده عن محمود بن لبيد ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الريا يقول
الله لهم يوم تجازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء
عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركا عن الشرك من عمل عملا — الله م
اشرك فيه معي غيري تركته وشركه قوله عز وجل ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اي طلب رضا
الله وتثبيتا من انفسهم يعني على الانفاق في طاعة الله وتصديقا بثوابه وقيل معناه ان انفسهم موقنة
مصدقة بوعد الله اياها فيما انفقت وقيل احتسابا وقيل تصديقا والمعنى انهم يخرجون زكاة اموالهم وينفقون
اموالهم في ساير وجوه البر والطاعات طيبة انفسهم بما انفقوا على يقين بثواب الله وتصديق بوعده يعلمون
ان ما انفقوا خير لهم مما تركوا وقيل معناه على يقين باخلاف الله عليهم وقيل معناه انهم يتثبتون
في الموضع الذي يضعون فيه صدقاتهم قيل كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كانت لله خالصة امضاها
وان خالطه شك او ريا امسك كمثل جنة اي بستان قال الفرا اذا كان في البستان نخل فهو جنة
وان كان فيه كرم فهو فردوس بربوة هي المكان المرتفع عن الارض المستوي وانما ارتفع من الارض عن مسيل الما
والاودية لان ثمرها احسن وازكى اذا كان لها من الماء ما يرويها وقيل هي الارض المستوية الجيدة الطيبة اذا
اصابها المطر انتفخت وربت فاذا كانت الارض بهذه الصفة كثر ريعها وحملت اشجارها اصابها وابل
وهو المطر الكثير الشديد قال بعضهم ما روضة من رياض الحزن معشبة خضرا جاد عليها وابل هطل
اراد بالحزن ما غلظ وارتفع من الارض فآتت اكلها ضعفين اي فاعطت ثمرها مثلين فقيل انها
في سنة من الريع ما يحمل غيرها في سنتين وقيل اضعفت فحملت في السنة مرتين فان لم يصبها وابل
فطل اي طش وهو المطر الخفيف الضعيف والمعنى ان لم يكن اصابها وابل واصابها طل فكذلك حال هذه الجنة
في تضاعف ثمرها فانها لا تنقص بالطل عن مقدار ثمرها بالوابل وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المومن
المخلص في انفاقه وساير اعماله يقول الله تعالى كما ان هذه الجنة تريع وتزكو في كل حال ولا تخلف سوا كان
المطر قليلا او كثيرا فكذلك يضعف الله صدقة المومن المخلص في صدقته وانفاقه الذي لا يمن ولا يوذي سوا
قلت نفقته او كثرت والله بما تعملون بصير يعني انه تعالى لا يخفى عليه نفقة المخلص في صدقته الذي
يمن ولا يوذي والذي يمن بصدقته ويوذي قوله تعالى ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب
هذه متصلة بما قبلها وهو قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ايود يعني ايحب احدكم ان تكون

له جنة اى بستان من نخيل واعناب انما خصهما بالذكر لانهما اشرف الفواكه واحسنها ولما فيهما من الغذاء والتفكه
تجرى من تحتها الانهار يعنى ان جرى الانهار فيها من تمام حسنها وسببا لزيادة ثمرها له فيها من كل الثمرات لان ذلك من
تمام كمال البستان وحسنه واصابه الكبر يعنى صاحب هذه الجنة وكثرت حاجاته ولم يكن له كسب غيرها فحينئذ
يكون فى غاية الاحتياج الى تلك الجنة فان قلت كيف عطف واصابه الكبر على ايود وكيف يجوز عطف الماضى على المستقبل
قلت فيه وجهان احدهما ان تكون له جنة حال ما اصابه الكبر والوجه الثانى انه عطف على المعنى فكانه قيل ايود
احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء يعنى له اولاد صغار عاجزون عن الحركة بسبب الضعف والصغر فاصابها
يعنى فاصاب تلك الجنة اعصار فيه نار فاحترقت الاعصار ريح ترتفع الى السماء وتستدير كانها عمود وهذا مثل ضربه
الله تعالى لعمل المنافق والمرائى يقول مثل عمل المنافق والمرائى بعمله فى حسنه كحسن جنة ينتفع بها صاحبها فلما كبر وضعف
وصار له اولاد ضعاف اصاب جنته اعصار فيه نار فاحرقها وهو احوج ما يكون اليها فحصل فى قلبه من الغم والحزن
ما لا يعلمه الا الله لكبره وضعفه وضعف اولاده فهو لا يجد ما يعود به على اولاده وهم لا يجدون ما يعودون به عليه
فبقوا جميعا متحيرين عجزة لا حيلة بايديهم فكذلك حال من اتى يوم القيمة باعمال حسنة ولم يقصد بها وجه الله تعالى فيبطلها
الله تعالى وهو فى حاجته الى ثوابها حين لا مستعتب له ولا توبة وقال عبيد بن عمير قال عمر يوما لاصحاب النبى صلى
الله عليه وسلم فيمن ترون نزلت هذه الآية ايود احدكم قالوا الله اعلم فغضب عمر وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس
فى نفسى منها شئ يا امير المؤمنين فقال عمر قل يا ابن اخى ولا تحقر نفسك فقال ضربت مثلا لعمل قال لاى عمل قال لرجل
غنى يعمل بطاعة الله تعالى ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى احرق اعماله كلها كذلك يبين الله لكم الآيات يعنى كما
بين لكم الله تعالى امر النفقة المقبولة وغير المقبولة كذلك يبين لكم من الآيات سوى ذلك لعلكم تتفكرون وقال ابن عباس
لعلكم تتفكرون يعنى فى زوال الدنيا واقبال الآخرة قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم اى من
خيار ما كسبتم وجيده وقيل من حلالات ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دليل على اباحة الكسب وانه
ينقسم الى طيب وخبيث عن خولة الانصارية قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا المال خضرة حلوة من اصابه بحقه بورك
له فيه ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ليس له فى الآخرة الا النار اخرجه الترمذى المتخوض الذى يوم القيمة تم
يأخذ المال من غير وجهه كالخوض الانسان فى الماء وشبهه خ عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى
على الناس زمان لا يبالى المرء ما اخذ منه امن حلال ام من حرام خ عن المقدام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما اكل احد طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده عن عائشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اطيب ما اكلتم من كسبكم وان اولادكم من كسبكم اخرجه الترمذى والنسائى واختلفوا فى المراد بقوله تعالى
انفقوا فقيل المراد به الزكاة المفروضة لان الامر للوجوب والزكاة واجبة فوجب صرف الآية اليها وقيل المراد به صدقة التطوع
وقيل انه يتناول الفرض والنفل جميعا لان المفهوم من هذا الامر ترجيح جانب الفعل على الترك وهذا المفهوم قدر مشترك
بين الفرض والنفل فوجب ان يدخل تحت هذا الامر فعلى القول الاول ان المراد من هذا الانفاق هو الزكاة فيتفرع
عليه مسائل المسئلة الاولى ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة فى كل مال يكتسبه الانسان فيدخل فيه زكوة
الذهب والفضة والنعم وعروض التجارة لانه ذكر يوصف بانه مكتسب وذهب جمهور العلماء الى وجوب الزكاة
فى مال التجارة وقال داود الظاهرى لا تجب الزكاة وحكم التجارة فى العروض الا ان ينوى به التجارة فحال الحول دليل
الجمهور ما روى عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا باخراج الصدقة من الذى نعد للبيع اخرجه ابو داود
وعن ابى عمرو بن حماس ان اباه قال مررت بعمر بن الخطاب وعلى عنقى ادمة احملها فقال عمر الا تؤدى زكاتك يا حماس
فقلت ما لى غير هذا واهب فى القرظ قال ذاك مال فضعه فوضعتها بين يديه فحسبها فاخذ منها الزكاة فاذا

حال الحول على عروض التجارة قومت فان بلغ قيمته عشرين دينارا او مائتا درهم اخرج منه ربع العشر المسئلة الثانية فى قوله ومما اخرجنا
لكم من الارض ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة فى كل ما خرج من الارض من النبات مما يزرعه الآدميون لكن جمهور العلماء خصصوا
هذا العموم فاوجبوا الزكاة فى النخل والكروم وفيما يقتات ويدخر من الحبوب واوجب ابو حنيفة الزكاة فى كل ما يقصد
من نبات الارض كالفواكه والبقول والخضراوات كالسلجم والقثاء والخيار ونحو ذلك دليل الجمهور ما روى عن معاذ انه
كتب الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله عن الخضراوات وهى البقول فقال ليس فيها شئ اخرجه الترمذى وقال هذا الحديث ليس
بصحيح وليس يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب شئ وانما يروى هذا عن موسى بن طلحة عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسل
والعمل على هذا عند اهل العلم ان ليس فى الخضراوات صدقة قلت وحديث موسى بن طلحة اخرجه الشيخ مجد الدين عبد السلام ابو البركات
ابن عبد الله بن تيمية الحرانى فى احكامه عن عطاء بن السائب قال اراد عبد الله بن المغيرة ان يأخذ من ارض موسى بن طلحة من
الخضراوات صدقة فقال له موسى بن طلحة ليس لك ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ليس فى ذلك صدقة رواه الاثرم فى
سننه وهو اقوى المراسيل لاحتجاج من ارسله به وقال الزهرى والاوزاعى ومالك تجب الزكاة فى الزيتون وتجب الزكاة
فى الثمار عند بدو الصلاح وهو ان تحمر البسر او تصفر ووقت الاخراج بعد الدياس والتنقية المسئلة الثالثة يجب اخراج
العشر فيما سقى بالمطر والانهار والعيون ونصف العشر فيما سقى بنضح او ساقية ويدل على ذلك ما روى عن ابن عمر ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت السماء والعيون او كان عثريا العشر وما سقى بالنضح نصف العشر اخرجه البخارى
ولابى داود والنسائى قال فيما سقت السماء والانهار والعيون او كان بعلا العشر وما سقى بالسوانى والنضح
نصف العشر قال ابو داود البعل ما شرب بعروقه ولم يتعن فى سقيه قال وكيع هو الذى ينبت من ماء السماء
قوله او كان عثريا اراد به العذى من الزرع وهو البعل وقد فسره فى لفظ الحديث والنضح هو الاستقاء والة السانية
وهى الدابة التى يستقى عليها سواء كانت من الابل او البقر ولا يجب العشر فى الثمار والزروع حتى تبلغ خمسة اوسق والوسق
ستون صاعا وقال ابو حنيفة يجب العشر فى كل قليل وكثير من الثمار والزروع واحتج الجمهور فى ايجاب النصاب
بما روى عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة وليس فيما دون خمس
اواق صدقة وليس فيما دون خمس ذود صدقة وفى رواية ليس فيما دون خمسة اوساق من تمر ولا حب
صدقة اخرجاه فى الصحيحين ومن قال ان المراد بقوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض
صدقة التطوع احتج بما روى عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يغرس غرسا او
يزرع زرعا فيأكل منه طير او انسان او بهيمة الا كان له به صدقة اخرجاه فى الصحيحين وقوله تعالى
ولا تيمموا الخبيث اى ولا تقصدوا الخبيث يعنى الردى من اموالكم منه تنفقون اى من الخبيث عن
البراء بن عازب فى قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال نزلت فينا معشر الانصار كنا اصحاب نخل فكان
الرجل يأتى من نخله على قدر كثرته وقلته وكان الرجل يأتى بالقنو فيعلقه فى المسجد وكان اهل الصفة
ليس لهم طعام فكان احدهم اذا جاع اتى القنو فضربه بعصاه فيسقط البسر والتمر فيأكل وكان ناس
ممن لا يرغب فى الخير يأتى بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر فيعلقه فانزل الله تبارك وتعالى يا ايها الذين
آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه
الا ان تغمضوا فيه قال لو ان احدكم اهدى اليه مثل ما اعطى لم يأخذه الا على اغماض وحياء قال فكنا بعد ذلك يأتى
احدنا بصالح ما عنده اخرجه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وقيل كانوا يتصدقون
بشرار ثمارهم ورذالة اموالهم ويعزلون الجيد لانفسهم فانزل الله ولا تيمموا الخبيث يعنى الردى منه تنفقون يعنى
تتصدقون ولستم بآخذيه يعنى ذلك الشئ الخبيث الردى الا ان تغمضوا فيه الاغماض فى اللغة غض البصر واطباق

المغمض المراد به هنا التجوز والمساهلة وذلك ان الانسان اذا رأى ما يكره اغمض عينيه لئلا يرى ذلك قال ابن عباس معناه
لو كان لكم على رجل حق فجاءكم بهذا لم تأخذوه الا وهو يرى انه قد اغمض لكم عن حقه وتركه وقال البراء لو اهدي ذلك لكم ما اخذتموه الا على
استحياء من صاحبه وغيظ انكم بعثتم الي بما لا ترضون لانفسكم اذا كان المال كله جيدا فليس له اعطاء الرديء لان
اهل السهمان شركاؤه فيما عنده وان كان كله رديا فلا بأس باعطاء الرديء واعلموا ان الله غني يعني عن صدقاتكم لم يامركم بها
لعوز واحتياج اليها حميد اي محمود في افعاله وقيل حميد بمعنى حامد اي احمدكم على ما تفعلونه من الخير قوله عز وجل
الشيطان يعدكم الفقر اي يخوفكم بالفقر يقال وعدته خيرا ووعدته شرا واذا لم يذكر الخير والشر قلت في الخير وعدته وفي
الشر اوعدته والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد واصله من كسر فقار الظهر ومعنى الآية ان الشيطان يخوفكم بالفقر
ويقول للرجل امسك عليك مالك فانك اذا تصدقت افتقرت ويأمركم بالفحشاء يعني يوسوس لكم ويحسن لكم
البخل ومنع الزكاة والصدقة قال كل فحشاء في القرآن فهي الزنا الا هذا الموضع وفي هذه الآية لطيفة وهي ان
الشيطان يخوف الرجل اولا بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف الى ان يأمره بالفحشاء وهي البخل وذلك لان البخل صفة
مذمومة عند كل احد فلا يستطيع الشيطان ان يحسن له البخل الا بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر فلهذا قال تعالى
الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه يعني مغفرة لذنوبكم وسترا لها عليكم وفضلا يعني رزقا
وخلفا فالمغفرة اشارة الى منافع الآخرة والفضل اشارة الى منافع الدنيا وما يحصل من الرزق
والخلف عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فاما لمة الشيطان
فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله
ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء اخرجه الترمذي
وقال هذا حديث حسن غريب قوله ان للشيطان لمة بابن آدم اللمة الخطرة الواحدة من الالمام وهو القرب من الشيء
والمراد بهذه اللمة التي تقع في القلب من فعل خير او شر والعزم فاما لمة الشيطان فوسوسة واما لمة
الملك فالهام من الله تعالى والله واسع عليم يعني قادر على اغنائكم واخلاف ما تنفقونه عليم بما تنفقونه
لا يخفى عليه خافية (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح فيه العباد
الا ملكان ينزلان يقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا (ق) عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى انفق ينفق عليك وفي رواية يد الله ملأى لا يغيضها
نفقة سحاء الليل والنهار وقال ارأيتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يده
وفي رواية فانه لم ينقص ما في يمينه وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع وفي رواية وبيده الاخرى
الفيض او القبض يرفع ويخفض (ق) عن اسماء بنت ابي بكر الصديق قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك ولا توعي فيوعي الله عليك قوله ولا توعي اي لا تشحي فيشح عليك اي فيمنع زيادة النعمة في
رزقك ولا يخلف عليك ولا يبارك لك والمعنى لا تجمعي وتمنعي بل انفقي ولا تعدي ولا تشحي قوله تعالى يؤتي الحكمة
من يشاء قال ابن عباس هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله
وحرامه وقال الضحاك القرآن والفهم فيه وانما قال ذلك لان في القرآن الحكم وقال في القرآن مائة وتسع
ناسخة ومنسوخة والف آية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يعلموهن ولا يكونوا كاهل النهروان
يعني الخوارج تأولوا آيات من القرآن في اهل القبلة وانما نزلت في اهل الكتاب فجهلوا علمها فسفكوا بها الدماء
وانتهبوا الاموال وشهدوا على اهل السنة بالضلال فعليكم بعلم القرآن فانه من علم فيم انزل لم يختلف في شيء منه
وقيل هي القرآن والعلم والفقه وقيل هي الاصابة في القول والفعل وحاصل هذه الاقوال الى شيئين العلم

والاصابة

والاصابة فيه ومعرفة الاشياء بذواتها واصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها قال الشاعر بني حنيفة احكموا سفهاءكم
اي امنعوا سفهاءكم وقال السدي الحكمة النبوة لان النبي يحكم بين الناس فهو حاكم وقيل الحكمة الورع في دين الله لان الورع
يمنع صاحبه من ان يقع في الحرام او ما لا يجوز له فعله ومن يؤت الحكمة يعني ومن يؤته الله الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا التنكير
تعظيم معناه فقد اوتي اي خير كثير وما يذكر الا اولو الالباب اي وما يتعظ بما وعظه الله الا ذوو العقول الذين عقلوا
عن الله امره ونهيه قوله عز وجل وما انفقتم من نفقة يعني فيما فرض الله عليكم من اعطاء زكاة ونحوها او نذرتم
من نذر يعني به ما اوجبتموه على انفسكم في طاعة الله تعالى فوفيتم به والنذر ان يوجب الانسان على نفسه شيئا ليس
بواجب يقال نذرت لله نذرا واصله من الخوف لان الانسان انما يعقده على نفسه خوف التقصير في الامر
المهم والنذر في الشرع على ضربين مفسر وغير مفسر فالمفسر ان يقول لله علي صوم او حج او عتق او صدقة فيلزمه
الوفاء به ولا يجزيه غيره وغير المفسر هو ان يقول نذرت لله ان لا افعل كذا ثم يفعله او يقول لله علي نذر من غير
تسمية شيء فيلزمه فيه كفارة يمين (خ) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان
يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر نذرا
لم يسمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا في معصية فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا لا يطيقه فكفارته
كفارة يمين ومن نذر نذرا اطاقه فليف به اخرجه ابو داود وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا نذر في معصية ولا فيما لا يملك ابن آدم اخرجه النسائي (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن
النذر وقال انه لا ياتي بخير وانما يستخرج به من البخيل (م) عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان النذر لا
يقرب من ابن آدم شيئا لم يكن الله قدره له ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل
يريد ان يخرج قال بعض العلماء ويحتمل ان يكون سبب النهي عن النذر كون الناذر يصير ملتزما ما لا يلزمه
فيأتي به تكلفا بغير نشاط او يكون سببه كونه يأتي به على سبيل العوض عن الامر الذي طلبه فينقص
اجره وشأن العبادة ان تكون متمحضة لله تعالى وقال بعضهم يحتمل ان يكون النهي لكونه قد يظن بعض الجهلة
ان النذر يرد القدر او يمنع من حصول المقدور فنهي عنه خوفا من اعتقاد ذلك وسياق الحديث
يؤكد هذا وقوله في بعض روايات الحديث انه لا ياتي بخير معناه انه لا يرد شيئا من القدر وقوله في بعض
فيخرج ذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد ان يخرج معناه انه لا ياتي بهذه القربة تطوعا محضا مبتدئا
وانما ياتي بها في مقابلة شيء يريده كقوله ان شفى مريضي فعلت كذا ونحو ذلك مما يحصل بالنذر والله اعلم قوله تعالى
فان الله يعلمه اي يعلم ما انفقتم ونذرتم فيجازيكم به وانما قال يعلمه ولم يقل يعلمهما لانه رد الضمير على الآخر منهما كقوله
ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وقيل ان الكناية عادت على ما في قوله وما انفقتم لانها اسم فهو كقوله
وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ولم يقل بهما وما للظالمين يعني الواضعين الصدقة في غير موضعها
وقيل الذين يريدون بصدقاتهم الرياء والسمعة ومثلهم الذين يتصدقون بالمال الحرام من انصار اي
اعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى ففيه وعيد عظيم لكل ظالم قوله تعالى ان تبدوا الصدقات
اي تظهروا الصدقات والصدقة ما يخرجه الانسان من ماله على وجه القربة فيدخل فيه الزكاة الواجبة وصدقة
التطوع فنعما هي اي فنعمت الخصلة هي وقيل معناه فنعم الشيء هي وقيل معناه فنعم شيئا ابداء الصدقات
وان تخفوها اي تسروا الصدقة وتؤتوها الفقراء اي وتعطوها الفقراء في السر فهو خير لكم يعني اخفاء الصدقة
افضل من العلانية وكل مقبول اذا كانت النية صادقة واختلفوا في المراد بالصدقة المذكورة في الآية فقال
الاكثرون المراد (ه) صدقة التطوع واتفق العلماء على ان كتمان صدقة التطوع افضل واخفاؤها خير من اظهارها

لان ذلك ابعد من الرياء واقرب الى الاخلاص ولان فيه بعدا عما تؤثره النفس من اظهار الصدقة وفي صدقة السر ايضا فايدة
ترجع الى الفقير الاخذ وهي انه اذا اعطي في السر زال عنه الذل والانكسار واذا اعطي في العلانية يحصل له الذل
والانكسار ويدل على ان صدقة السر افضل ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله
في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشا في عبادة الله ورجل معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه
ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امراة
ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه
اخرجاه في الصحيحين ووجه جواز اظهار الصدقة فقد يكون ذلك ممن قد امن على نفسه من مداخلة الرياء في عمله
او يكون ممن يقتدى به في افعاله فاذا اظهر الصدقة تابعه غيره على ذلك واما الزكوة فاظهار اخراجها
افضل من كتمانها كالصلاة المكتوبة في الجماعة افضل وصلاة التطوع افضل في البيت ولان اظهار الزكوة
نفي التهمة عن المزكي وقيل ان الاية واردة في زكاة الفرض وكان اخفاؤها خيرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا
لا يظنون باحد انه يمنع الزكوة فاما اليوم في زماننا فاظهار الزكوة افضل حتى لا يساء الظن به وقيل ان الاية عامة
في جميع الصدقات الواجبة والتطوع والاخفاء افضل في كل صدقة من زكاة وغيرها وقوله تعالى ويكفر عنكم من
سيئاتكم قيل ان من صلة زايدة تقديره ويكفر عنكم سيئاتكم قال ابن عباس جميع سيئاتكم وقيل ادخل من
للتبعيض ليكون العباد على وجل ولا يتكلوا والمعنى ويكفر عنكم الصغاير من سيئاتكم واصل التكفير في اللغة التغطية
والستر والله بما تعملون خبير يعني من اظهار الصدقات واخفائها قوله تعالى ليس عليك هداهم قيل سبب
نزول هذه الاية ان ناسا من المسلمين كان لهم قرابات واصهار في اليهود وكانوا ينفعونهم وينفقون عليهم
قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وارادوا بذلك ان يسلموا وقيل كانوا يتصدقون على
فقراء اهل الذمة فلما كثر المسلمون نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول
في الاسلام لحرصه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم فنزل ليس عليك هداهم ومعناه ليس عليك هدى من خالفك
حتى تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في الاسلام فحينئذ تصدق عليهم فاعلمه الله تعالى انه تعالى بعثه بشيرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه فاما كونهم مهتدين فليس ذلك اليك ولكن الله يهدي من يشاء يعني ان
الله تعالى يوفق من يشاء فيهديه الى الاسلام واراد بالهداية هنا هداية التوفيق واما هداية البيان
والدعوة فكانت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الاية اعطوهم وتصدقوا عليهم وما
تنفقوا من خير اي من مال فلانفسكم اي تفعلون تنفعون به انفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله لفظه خبر
ومعناه نهي اي ولا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله وقال الزجاج هذا خاص للمؤمنين اعلمهم الله انه قد علم مرادهم
بنفقتهم ما يحتمله معناه ولستم في صدقتكم على اقاربكم من المشركين تقصدون الا وجه الله وقد علم
الله هذا من قلوبكم فانفقوا عليهم اذا كنتم انما تبتغون بذلك وجه الله في صلة الرحم وسد خلة مضطر
قال بعض العلماء لو انفقت على شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واجمع العلماء على انه لا يجوز صرف الزكاة
الا الى المسلمين وهم اهل السهمان المذكورون في سورة التوبة وجوز ابو حنيفة صرف زكاة الفطر الى اهل
الذمة وخالفه سائر العلماء في ذلك فعلى هذا يكون الاية مختصة بصدقة التطوع اباح الله تعالى ان يصرف الى
فقراء المسلمين وفقراء اهل الذمة فاما زكاة الفرض فلا يجوز صرفها الى اهل الذمة بحال وما تنفقوا من
خير يوف اليكم اي يوفر لكم جزاؤه وقال ابن عباس يجازيكم به يوم القيمة ومعناه يؤدي اليكم جزاؤه
ولهذا حسن ادخال الى مع التوفية لانها تضمنت معنى التادية وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون شيا من

ثواب اعمالكم قوله عز وجل للفقراء الذين احصروا في سبيل الله اختلفوا في موضع اللام في قوله للفقراء فقيل هو مردود على موضع
اللام من قوله فلانفسكم كانه قال وما تنفقوا من خير فللفقراء وانما تنفقون لانفسكم وقيل معناه الصدقات
التي سبق ذكرها للفقراء وقيل خبر محذوف تقديره للفقراء الذين من صفتهم كذا وكذا حق واجب وهم فقراء
المهاجرين كانوا نحوا من اربعمائة رجل لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشاير وكانوا ياوون الى الصفة في المسجد يتعلمون
القران بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحث الله تعالى
الناس على مواساتهم فكان من عنده فضل اتاهم به اذا امسى وقوله للذين احصروا في سبيل الله يعني هم الذين
انفسهم على الجهاد في سبيل الله وقيل حبسوا انفسهم على طاعة الله لا يستطيعون ضربا في الارض يعني
لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش والكسب وهم اهل الصفة الذين تقدم ذكرهم وقيل حبسهم الفقر والعدم عن
الجهاد في سبيل الله وقيل هم قوم اصابتهم جراحات في الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمنى احصرهم المرض
والزمانة عن الضرب في سبيل الله يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف اي يظن من لم يختبر حالهم انهم اغنياء من
التعفف وهو تفعل من العفة وهي ترك الشيء والكف عنه يقال تعفف اذا ترك السؤال ولزم القناعة والمعنى يظنهم من
لم يعرف حالهم اغنياء لاظهارهم التجمل وتركهم المسالة تعرفهم بسيماهم السيما والسمة العلامة التي يعرف
بها الشيء واختلفوا في معناها هنا فقيل هي الخشوع والتواضع وقيل هي اثر الجهد من الحاجة والفقر وقيل
هي صفرة الوجه من الجوع ورثاثة ثيابهم من الضر لا يسالون الناس الحافا يعني الحاحا قيل اذا كان عنده غداء لا يسال
عشاء واذا كان عنده عشاء لا يسال غداء وقيل لا يسالون الناس اصلا لانه قال يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف
وهو ترك المسالة ولانه قال تعرفهم بسيماهم ولو كانت المسالة من شانهم لما كانت الى معرفتهم بالعلامة حاجة
فمعنى الاية ليس يصدر منهم سؤال حتى يقع فيه الحاف فهم لا يسالون الناس الحافا ولا غير الحاف ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين الذي ترده اللقمة
واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسال الناس
لفظ البخاري خ عن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان ياخذ احدكم احبله ثم ياتي الجبل فياتي بحزمة من حطب على ظهره
فيبيعها خير له من ان يسال الناس اعطوه ام منعوه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال الناس
وله ما يغنيه جاء يوم القيمة ومسالته في وجهه خموش او خدوش او كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون
درهما او قيمتها من الذهب اخرجه ابو داود والترمذي والنساي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سال وله قيمة اوقية فقد الحف اخرجه ابو داود وقال زاد هشام في حديثه وكانت الاوقية على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم اربعين درهما وفي رواية عطاء بن يسار من سال منكم وله اوقية او عدلها فقد سال الحافا عن عبد الله بن عمرو
ابن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال وله اربعون درهما فهو ملحف اخرجه النسائي م عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال الناس تكثرا فانما يسال جمرا فليستقل او ليستكثر قوله تعالى وما تنفقوا من خير
فان الله به عليم يعني انه تعالى يعلم مقادير الانفاق ويجازي عليه وفيه حث على الصدقة والانفاق في الطاعة قوله تعالى
الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية قال ابن عباس في رواية عنه نزلت هذه الاية في علي بن ابي طالب كانت
عنده اربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وفي رواية عنه قال لما نزل
للفقراء الذين احصروا في سبيل الله بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة الى اهل الصفة وبعث علي بن ابي طالب بوسق
من تمر فانزل الله تعالى فيهما الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار يعني بنفقة الليل نفقة علي وبالنهار نفقة عبد الرحمن
وفي الاية اشارة الى ان صدقة السر افضل من صدقة العلانية لانه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة النهار وقدم السر على العلانية

وقيل نزلت الآية في الذين يربطون الخيل للجهاد في سبيل الله لأنهم يعلفونها بالليل والنهار وفي السر والعلانية خ عن
أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً واحتساباً وتصديقاً بوعده فإن
شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات وقيل إن الآية عامة في الذين ينفقون أموالهم في جميع
الأوقات ويعمون بها أصحاب الحاجات والفاقات فلهم أجرهم عند ربهم أي جزاؤهم ولا خوف عليهم ولا
هم يحزنون يعني في الآخرة قوله عز وجل الذين يأكلون الربا أي يعاملون به وإنما خص الأكل لأنه معظم الأمر المقصود
من المال لأن المال لا يؤكل إنما يصرف في المأكول ثم يؤكل فمنع الله التصرف في الربا بما ذكر فيه من الوعيد م عن جابر قال لعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء وأصل الربا في اللغة الزيادة يقال ربا الشيء يربو
إذا زاد وكثر فالربا زيادة في المال لا يقومون يعني من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان أي يصرعه وأصل
الخبط الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط للتي تضرب الأرض بقوائمها وتطأ الناس بأخفافها
ومنه قولهم يخبط خبط عشواء للرجل الذي يتصرف في الأمور على غير اهتداء ومنه ويتخبطه الشيطان إذا مسه بخبل وجنون
ومعنى الآية أن آكل الربا يبعث يوم القيامة مثل المصروع الذي لا يستطيع الحركة الصحيحة لأن الربا ربا في بطونهم حتى
أثقلهم فلا يقدرون على الإسراع قال سعيد بن جبير تلك علامة آكل الربا إذا استحله يوم القيامة وروى البغوي
بسنده الثعلبي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة الإسراء قال فانطلق جبريل إلى رجال كثير كل رجل
بطنه مثل البيت الضخم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً
فيقبلون مثل الإبل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون فإذا أحس بهم أصحاب تلك البطون
قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون
فيردونهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة قال وآل فرعون يقولون اللهم لا تقم الساعة أبداً
قال ويوم القيامة يقول أدخلوا آل فرعون أشد العذاب قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا
كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قوله بطنه مثل البيت الضخم أي العظيم الكبير الغليظ وقوله مثل الإبل
المنهومة المنهوم بالتحريك إفراط في الشهوة في الطعام من الجوع قوله تعالى ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا أي
ذلك الذي نزل بهم من العذاب بقولهم هذا واستحلالهم إياه وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا حل ماله على غريمه
فطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق زدني في الأجل حتى أزيدك في المال فيفعلان ذلك وكانوا يقولون سواء علينا
الزيادة في أول البيع بالربح أو عند المحل لأجل التأخير فكذبهم الله تعالى ورد عليهم ذلك بقوله وأحل الله البيع
وحرم الربا الذي هو زيادة في المال لأجل تأخير الأجل وذلك أن الله تعالى خلق الخلق وهم عبيده وهو مالكهم
يحكم فيهم بما يشاء ويستعبدهم بما يريد ليس لأحد أن يعترض عليه في شيء مما أحل وحرم وإنما على الخلق
الطاعة والتسليم لحكمه وأمره ونهيه وذكر بعض العلماء الفرق بين البيع والربا فقال إذا باع ثوباً يساوي عشرة
بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلاً للعشرين فلما حصل التراضي على هذا التقابل صار كل واحد
منهما مقابلاً للآخر في المالية عندهما فلم يكن أخذ من صاحبه شيئاً بغير عوض أما إذا باع عشرة دراهم بعشرين
فقد أخذ العشرة الزائدة بغير عوض ولا يمكن أن يقال إن العوض هو الإمهال في مدة الأجل لأن الإمهال ليس مالاً
أو شيئاً يشار إليه حتى يجعله عوضاً عن العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين فصل في
حكم الربا وفيه مسائل المسألة الأولى ذكروا في سبب تحريم الربا وجوهاً أحدها أن الربا يقتضي أخذ مال الغير
بغير عوض لأن من يبيع درهماً بدرهمين نقداً كان أو نسيئة فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام الوجه
الثاني إنما حرم عقد الربا لأنه يمنع الناس عن الاشتغال بالتجارة لأن صاحب الدراهم إذا تمكن من عقد الربا خف

عليه

عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة فيفضي ذلك إلى انقطاع منافع الناس بالتجارات وطلب الأرباح الوجه الثالث
أن الربا هو سبب إلى انقطاع المعروف بين الناس من القرض فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض الدرهم للمحتاج
واسترجاع مثله لطلب الأجر من الله تعالى الوجه الرابع أن تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يلزم أن يكون حكم جميع
التكاليف معلومة للخلق فوجب القطع بتحريم الربا وإن كنا لا نعلم وجه الحكمة في ذلك المسألة الثانية اعلم أن الربا في اللغة
هو الزيادة وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام فثبت أن الربا المحرم هو الزيادة على صفة مخصوصة في مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ق عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالورق ربا إلا هاء وهاء والبر بالبر ربا إلا هاء وهاء والشعير بالشعير
ربا إلا هاء وهاء والتمر بالتمر ربا إلا هاء وهاء وفي رواية الورق بالورق ربا إلا هاء وهاء والذهب بالذهب ربا إلا هاء وهاء
م عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب وزناً بوزن مثلاً بمثل والفضة بالفضة وزناً بوزن مثلاً
بمثل فمن زاد واستزاد فهو ربا وفي رواية التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والملح بالملح مثلاً بمثل يداً
بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى إلا ما اختلفت ألوانه م عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب
بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلاً بمثل سواء بسواء يداً بيد فإذا
اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد فنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على جريان الربا في هذه
الستة أشياء وهي النقدين وأربعة أصناف من المطعومات وهي البر والشعير والتمر والملح فذهب عامة أهل العلم إلى
أن حكم الربا يثبت في هذه الأشياء لأوصاف فيها فيتعدى إلى كل ما يوجد تلك الأوصاف فيه ثم اختلفوا في تلك الأوصاف
فذهب قوم إلى أن المعنى في جميعها واحد وهو النفع فأثبتوا الربا في جميع الأموال وذهب الأكثرون إلى أن الربا يثبت
في الدراهم والدنانير بوصف النقدية وذهب أصحاب الرأي إلى أنه يثبت بعلة الوزن فأثبتوا الربا في جميع الموزونات
مثل الحديد والنحاس والقطن ونحو ذلك وأما الأربعة الأشياء المطعومة فذهب أصحاب الرأي إلى أن الربا يثبت فيها بعلة
الوزن والكيل فأثبتوا الربا في جميع المكيلات والموزونات مطعوماً كان أو غير مطعوم كالجص والنورة ونحوهما
وذهب جماعة إلى أن العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن فكل مطعوم مكيل أو موزون يثبت فيه الربا ولا يثبت
فيما سوى ذلك مما ليس بمكيل أو موزون وهو قول سعيد بن المسيب والشافعي في القديم وقال في الجديد الربا فيها بوصف
الطعم فأثبت الربا في جميع الأشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والأدوية مكيلة كانت أو موزونة لما
روي عن معمر بن عبد الله أنه أرسل غلامه بصاع قمح فقال له بعه ثم اشتر به شعيراً فذهب الغلام فأخذ صاعاً
وزيادة بعض صاع فلما جاء معمراً أخبره بذلك فقال له معمر لم فعلت ذلك انطلق فرده ولا تأخذن إلا مثلاً بمثل فإني
كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلاً بمثل وكان طعامنا يومئذ الشعير قيل له فإنه ليس
بمثله فقال إني أخاف أن يضارع أخرجه مسلم فجعل مال الربا عند الشافعي ما كان ثمناً أو مطعوماً المسألة
الثالثة الربا نوعان ربا فضل وهو الزيادة وربا نسيئة وهو الأجل فإن باع مالاً يدخل فيه الربا بجنسه مثل
أن باع أحد النقدين بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحو ذلك فيشترط فيه المساواة في الوزن وإن كان مكيلاً كالحنطة
والشعير يشترط في بيعه بجنسه المساواة في الكيل ويشترط التقابض في مجلس العقد وإن باع ما يدخل فيه الربا بغير
جنسه نظر فإن باعه بما لا يوافقه في وصف الربا مثل أن باع مطعوماً بأحد النقدين فلا ربا فيه كما لو باعه بغير مال
الربا وإن باعه بما يوافقه في الوصف لا في الجنس مثل أن باع الدراهم بالدنانير أو باع الحنطة بالشعير أو كان مطعوماً
بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا التفاضل فيجوز بيعه متفاضلاً ويثبت فيه ربا النسيئة فيشترط
في بيعه التقابض في المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم إلا يداً بيد وقوله هاء وهاء فيه اشتراط التقابض في المجلس
وتحريم النسيئة وقوله صلى الله عليه وسلم إلا سواء بسواء مثلاً بمثل فيه إيجاب المماثلة وتحريم التفاضل عند اتفاق

الخبر وقوله صلى الله عليه وسلم فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم فيه اطلاق التبايع مع التفاضل عند اختلاف الجنس
مع اشتراط التقابض في المجلس وهو قوله صلى الله عليه وسلم يدا بيد واما علم المسئلة الرابعة
في القرض ومن اقرض شيئا وشرط عليه ان يرد عليه افضل منه فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا يدل
عليه ما روي عن مالك قال بلغني ان رجلا اتى ابن عمر فقال اني اسلفت رجلا سلفا واشترطت عليه افضل مما اسلفته فقال عبد الله
ابن عمر فذلك الربا اخرجه مالك قال بعضهم فان لم يشترط فضلا في رقعة القرض فرد المستقرض افضل مما اخذ جاز
ويدل عليه ما روي عن مجاهد ان ابن عمر استلف دراهم فقضى صاحبها خيرا منها فابى ان ياخذها وقال هذه خير من دراهمي
فقال ابن عمر قد علمت ولكن نفسي بذلك طيبة اخرجه مالك في الموطا وقوله تعالى فمن جاءه موعظة من ربه اي تذكير
وتخويف وانما ذكر الفعل لان تانيثه غير حقيقي فجاز تذكيره ولان الوعظ والموعظة شيء واحد فانتهى اي عن اكل
الربا فله ما سلف اي ما مضى من ذنبه قبل النهي مغفور له وامره الى الله يعني بعد النهي ان شاء عصمه حتى يثبت
على الانتهاء وان شاء خذله فيعود الى اكل الربا وقيل معناه وامره الى الله فيما يامره وينهاه ويحل له ويحرم عليه
وليس من امر نفسه شيء وقيل ان الآية فيمن يعتقد تحريم الربا ثم ياكله فامره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء
عذبه ومن عاد يعني الى اكل الربا بعد التحريم مستحلا له فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قوله عز وجل
يمحق الله الربا اي ينقصه ويهلكه ويذهب بركته قال ابن عباس لا يقبل الله منه صدقة ولا حجا ولا جهادا
ولا صلة ويربي الصدقات اي يثمرها ويزيدها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف اجرها في الآخرة ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق احد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه
وان كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل كما يربي احدكم فلوه او فصيله لفظ مسلم وللبخاري من تصدق
بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله الا الطيب وفي رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها
لصاحبها كما يربي احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل والله لا يحب كل كفار يعني كل مصر على كفره مقيم عليه مستحل لاكل الربا
اثيم يعني متماد في الاثم فيما نهي عنه من اكل الربا لا ينزجر عنه ولا يتوب وقيل يحتمل ان يكون الكفار راجعا الى مستحل الربا
والاثيم راجعا الى من يفعله مع اعتقاد التحريم فتكون الآية جامعة للفريقين قوله تعالى ان الذين امنوا يعني صدقوا
بالله ورسوله وعملوا الصالحات يعني التي امرهم الله بها واقاموا الصلاة اي المفروضة باركانها وحدودها في اوقاتها
واتوا الزكاة يعني المفروضة عليهم في اموالهم لهم اجرهم عند ربهم اي لهم ثواب اعمالهم في الآخرة ولا خوف عليهم ولا
هم يحزنون اي يوم القيامة قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من
الربا قيل نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد اسلفا في التمر فلما حضر وقت الجداد
قال صاحب التمر لهما ان انتما اخذتما حقكما لم يبق لي ما يكفي عيالي فهل لكما ان تاخذا النصف وتؤخرا النصف
واضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا منه الزيادة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنهاهما عن ذلك وانزل
الله عز وجل هذه الآية فسمعا واطاعا واخذا رؤس اموالهما وقيل نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين
في الجاهلية يسلفان في الربا الى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربا فانزل الله تعالى
الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع فيما رواه جابر من افراد مسلم الا كل شيء من امر الجاهلية تحت قدمي موضوع
ودماء الجاهلية موضوعة وان اول دم اضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحرث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته
هذيل وربا الجاهلية موضوع كله وقيل نزلت في اربعة اخوة من ثقيف وهم مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة
ابن عمرو بن عمير الثقفي كانوا يداينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانوا يربون فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم
على الطائف اسلم هؤلاء الاخوة فطلبوا رباهم من بني المغيرة فقال بنو المغيرة والله ما نعطي الربا في الاسلام

وقد وضعه

وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين فاختصموا الى عتاب بن اسيد وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكتب عتاب الى النبي
صلى الله عليه وسلم بقصة الفريقين وكان ذلك مالا عظيما فانزل الله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اي خافوا الله فيما امركم به وانتهوا
عما نهاكم عنه وذروا اي واتركوا ما بقي من الربا والمعنى واتركوا طلب ما بقي لكم من فضل على رؤس اموالكم ان كنتم مؤمنين يعني ان
كنتم محققين لايمانكم قولا وفعلا فان لم تفعلوا اي تتركوا ما بقي من الربا بعد تحريمه فاذنوا قرئ بكسر الذال والمد على
وزن امنوا ومعناه فاعلموا اخبركم انكم حرب لله ورسوله وقرئ فاذنوا بفتح الذال مع القصر ومعناه فاعلموا انتم وايقنوا
بحرب من الله ورسوله قال ابن عباس يقال لآكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال اهل المعاني حرب الله النار وحرب
رسوله السيف واختلفوا في معنى هذه المحاربة فقيل المراد بها المبالغة في الوعيد والتهديد دون نفس الحرب
وقيل المراد منه نفس الحرب وذلك ان من اصر على اكل الربا وعلم به الامام قبض عليه واجرى فيه حكم الله من التعزير
والحبس الى ان تظهر منه التوبة وان كان المربي ذا شوكة وصاحب عسكر حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية
قال ابن عباس من كان مقيما على اكل الربا لا ينزع عنه فحق على امام المسلمين ان يستتيبه فان نزع والا ضرب
عنقه وان تبتم اي فان تركتم اكل الربا ورجعتم عنه فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون يعني لا تظلمون انتم
الغريم بطلب زيادة على راس المال ولا تظلمون انتم بنقصان راس المال فلما نزلت هذه الآية قال بنو عمرو الثقفي
ومن كان يعامل بالربا من غيرهم بل نتوب الى الله تعالى فانه لا يدان لنا يعني لا قوة لنا بحرب الله ورسوله ورضوا برؤس اموالهم
فشكا بنو المغيرة العسرة ومن كان عليه دين وقالوا اخرونا الى ان ندرك الغلات فابوا ان يؤخروهم فانزل الله عز وجل العسرة م
وان كان ذو عسرة يعني وان كان الذي عليه الحق من غرمائكم معسرا والعسرة نقيض اليسرة وهو تعذر وجدان المال
واعسر الرجل اذا ضاق ولم يجد ما يؤديه في دينه فنظرة اي فامهال وتاخير الى ميسرة اي الى زمن اليسار وهو
ضد الاعسار وهو وجدان المال الذي يؤديه في دينه واختلفوا في حكم الآية وهل الانظار مختص بالربا ام
هو عام في كل دين على قولين القول الاول وهو قول ابن عباس وشريح والضحاك والسدي ان الآية في الربا
وذكر عن شريح ان رجلا خاصم رجلا اليه فقضى عليه وامر بحبسه فقال رجل كان عند شريح انه معسر والله
يقول في كتابه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة فقال شريح انما ذلك في الربا وان الله تعالى قال في كتابه ان الله
يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ولا يامرنا الله بشيء ثم يعذبنا عليه
والقول الثاني وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين ان حكم الآية عام في كل دين على معسر واحتجوا بان الله تعالى
قال وان كان ذو عسرة ولم يقل ذا عسرة ليكون الحكم عاما في جميع المعسرين وان تصدقوا خير لكم يعني وان
تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين فتتركوا رؤس اموالكم للمعسر خير لكم وانما جاز هذا الحذف للعلم به لانه
قد جرى ذكر المعسر وذكر راس المال فعلم ان التصدق راجع اليهما ان كنتم تعلمون يعني ان التصدق خير لكم وافضل
لان فيه الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى فصل في ثواب انظار المعسر والوضع عنه والتشديد في امر الدين
والامر بقضائه م عن ابي قتادة انه طلب غريما له فتوارى عنه ثم وجده فقال اني معسر قال آلله قال آلله قال
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر او يضع عنه م
عن ابي اليسر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله في ظله يوم لا ظل الا
ظله ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان تاجر يداين الناس فاذا راى معسرا قال لفتيانه
تجاوزوا عنه لعل الله ان يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه د عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم الذنوب عند الله
ان يلقاه بها عبد بعد الكبائر التي نهى الله عنها ان يموت رجل وعليه دين لا يدع له قضاء اخرجه ابو داود خ عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ اموال الناس يريد اداءها ادى الله عز وجل عنه ومن اخذ اموال الناس

يريد الا ان انفقه الله ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطل الغني ظلم زاد في رواية واذا اتبع
احدكم على ملي فليتبع ق عن كعب بن مالك انه تقاضى ابن ابي حدرد دينا كان له في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فارتفعت
اصواتهما حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وهو في بيته فخرج اليهما حتى كشف سجف حجرته فنادى فقال يا
كعب قلت لبيك يا رسول الله فاشار بيده ان ضع الشطر من دينك قال كعب قد فعلت يا رسول الله قال قم فاقضه ق
عن ابي هريرة قال كان لرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سن من الابل فجاءه يتقاضاه فقال اعطوه فطلبوا سنه فلم
يجدوا الا سنا فوقها فقال اعطوه فقال اوفيتني وفاك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان خيركم احسنكم قضاء
وفي رواية انه اغلظ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين استقضاه حتى هم به بعض اصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق
مقالا اشتروا له بافضل من سنه م عن ابي قتادة الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام فيهم فذكر لهم ان الجهاد
في سبيل الله والايمان بالله افضل الاعمال فقام رجل فقال يا رسول الله ارايت ان قتلت في سبيل الله وانا صابر محتسب
مقبل غير مدبر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت قال ارايت ان قتلت في سبيل الله اتكفر عني خطاياي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر الا الدين فان جبريل قال لي ذلك عن محمد
ابن جحش قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع راسه الى السماء ثم وضع راحته على جبهته ثم قال سبحان الله
ما نزل من التشديد فسكتنا وفزعنا فلما كان من الغد سالته يا رسول الله ما هذا التشديد الذي نزل فقال
والذي نفسي بيده لو ان رجلا قتل في سبيل الله ثم احيي ثم قتل ثم احيي وعليه دين ما دخل الجنة حتى
يقضى عنه دينه اخرجه النسائي قوله تعالى واتقوا يوما اي وخافوا يوما ترجعون فيه الى الله قرئ
بفتح التاء اي تصيرون فيه الى الله وقرئ بضم التاء وفتح الجيم اي تردون فيه الى الله ثم توفى كل نفس
ما كسبت يعني جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون اي في ذلك اليوم وفي هذه الاية وعيد شديد وزجر عظيم
قال ابن عباس هذه اخر اية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل ضعها على راس مائتين
وثمانين من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا وعشرين يوما وقيل تسع
ليال وقيل سبعا ومات صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا من ربيع الاول يوم الاثنين سنة احدى عشرة
من الهجرة وروى الشعبي عن ابن عباس ان اخر اية نزلت اية الربا قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم
بدين قال ابن عباس لما حرم الله الربا اباح السلم وقال اشهد ان السلف المضمون الى اجل مسمى قد احله
الله في كتابه واذن فيه وقوله اذا تداينتم اي تعاملتم بالدين وداين بعضكم بعضا والتداين تفاعل من الدين
يقال داينته اذا عاملته بالدين وانما قال بدين بعد قوله تداينتم لان المداينة قد تطلق على المجازاة وعلى
المعاطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ ويخلص احد المعنيين من الاخر وقيل انما قال بدين ليرجع الضمير
اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكره لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلا يحسن النظم بذلك وقيل انما ذكره
تاكيدا الى اجل مسمى يعني الى مدة معلومة الاول والاخر مثل السنة والشهر ولا يجوز الى غير مدة معلومة
كما لو قال الى الحصاد ونحوه والاجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محل
الاجل بخلاف القرض فانه لا يلزم فيه الاجل عند اكثر اهل العلم ق عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
وهم يسلفون في الثمار العام والعامين فقال من اسلف في تمر فليسلف في كيل معلوم او وزن معلوم الى اجل معلوم
وقوله تعالى فاكتبوه اي اكتبوا الدين الذي تداينتم به بيعا كان او سلما او قرضا واختلفوا في هذه الكتابة
فقيل هي واجبة وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعي واختاره محمد بن جرير الطبري وقيل الامر محمول على
الندب والاستحباب فان ترك فلا باس وهو قول جمهور العلماء وقيل بل كانت الكتابة والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ بقوله تعالى

فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وهو قول الحسن والشعبي والحكم بن عيينة ثم بين الله تعالى كيفية
الكتابة فقال وليكتب بينكم كاتب اي ليكتب الدين بين الطالب والمطلوب كاتب بالعدل اي بالحق من غير زيادة ولا
نقصان ولا تقديم اجل ولا تاخير قيل ان فائدة الكتابة هي حفظ المال من الجانبين لان صاحب الدين اذا
علم ان حقه مقيد بالكتابة تعذر عليه الجحود او التنقص طلب زيادة او تقديم المطالبة قبل حلول الاجل ومن
عليه الدين اذا عرف ذلك تعذر عليه الجحود او التنقص من اصل الدين الذي عليه فلما كانت هذه الفوائد في الكتابة
امر الله تعالى بها ولا ياب اي ولا يمتنع كاتب ان يكتب واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة
على الشاهد فقيل يجب لان ظاهر الكلام النهي عن الامتناع عن الكتابة وايجابها على كل كاتب فاذا طولب
بالكتابة وتحمل الشهادة من هو اهلها وجب عليه ذلك وقيل هو فرض كفاية وهو قول الشعبي فان لم يوجد الا واحد
وجب عليه ذلك وقيل هو على الندب والاستحباب وذلك ان الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بها استحب له ان
يكتب ليقضي حاجة اخيه المسلم وشكر تلك النعمة التي انعم الله بها عليه وقيل كانت الكتابة وتحمل الشهادة واجبين
على الكاتب والشاهد ثم نسخهما الله بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد كما علمه الله فليكتب اي كما شرعه الله وامره
فليكتب وذلك ان يكتب بحيث لا يزيد ولا ينقص ويكتب ما يصلح ان يكون حجة عند الحاجة ولا يخص احد الخصمين
بالاحتياط له دون الاخر ان يكون كل واحد منهما امنا من ابطال حقه وان يكون ما يكتبه متفقا عليه
عند العلماء وان يحترز من الالفاظ التي يقع النزاع فيها وهذه الامور لا تحصل الا لمن هو فقيه عالم باللغة
ومذاهب العلماء وليملل الذي عليه الحق يعني ان المطلوب الذي عليه الحق يقر على نفسه بلسانه ليعلم
ما عليه من الحق فيذكر قدره وجنسه وصفته والاجل ونحو ذلك والاملال والاملاء لغتان فصيحتان معناهما
واحد وليتق الله ربه يعني المملي ولا يبخس اي ولا ينقص منه اي من الحق الذي وجب شيئا فان كان
الذي عليه الحق سفيها اي جاهلا بالاملاء وقيل هو الطفل الصغير وقال الشافعي السفيه هو المبذر المفسد
لماله ودينه او ضعيفا يعني شيخا كبيرا وقيل هو ضعيف العقل لعته او جنون او لا يستطيع ان يمل هو
يعني لخرس او عي او عجمة في كلامه او حبس او غيبة لا يمكنه الحضور عند الكاتب او يجهل ما له وعليه فهؤلاء
كلهم لا يصح اقرارهم فلا بد ان يقوم غيرهم مقامهم وهو قوله تعالى فليملل الذي عليه الحق وليه يعني ولي كل واحد
من هؤلاء الثلاثة المحجور عليهم لانه مقامه في صحة الاقرار وقال ابن عباس اراد بالولي صاحب الدين يعني ان
عجز الذي عليه الحق عن الاملاء فليملل صاحب الحق لانه اعلم بحقه بالعدل اي بالصدق والحق واستشهدوا شهيدين
من رجالكم يعني واشهدوا لصاحب الحق على حقه شاهدين لان المقصود من الكتابة هو الاشهاد من رجالكم يعني
من اهل ملتكم يعني من المسلمين الاحرار دون العبيد والصبيان وهذا قول اكثر اهل العلم واجاز شريح
وابن سيرين شهادة العبيد وحجة هذا القول ان قوله من رجالكم عام يتناول العبيد وغيرهم وذلك لان عقل
الانسان ودينه وعدالته تمنعه من الكذب فاذا اجتمعت هذه الشرائط فيه كانت شهادته معتبرة وحجة جمهور
العلماء ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا وهذا يقتضي ان من تحمل الشهادة وجب عليه الاداء اذا طولب بها
والعبد ليس كذلك فان السيد اذا لم ياذن له في ذلك حرم عليه الذهاب الى اداء الشهادة فوجب ان لا يكون العبد
من اهل الشهادة فان لم يكونا رجلين اي فان لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامراتان اي فليشهد رجل
وامراتان واجمع الفقهاء على ان شهادة النساء مع الرجال جائزة في الاموال فيثبت الحق بشهادة رجل وامراتين
واختلفوا في غير الاموال فذهب سفيان الثوري واصحاب الراي الى انه تجوز شهادة النساء مع الرجال في سائر الحقوق
غير العقوبات وذهب جماعة الى ان غير المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعي الى ان ما يطلع عليه النساء

عالج كالولادة والرضاع والبكارة والثيابة ونحوها تجوز شهادة رجل وامرأتين او شهادة اربع نسوة واتفقوا على
ان شهادة النساء غير جائزة ولا مقبولة في العقوبات والحدود وقوله تعالى ممن ترضون من الشهداء يعني من كان مرضيا
عندكم في دينه وامانته والشرائط المعتبرة في العدالة وقبول الشهادة عشرة وهي الاسلام والحرية والعقل
والبلوغ والعدالة والمروءة وان لا يجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع عنه بها مضرة ولا يكون معروفا
بكثرة الغلط والسهو وان لا يكون بينه وبين من شهد عليه عداوة فشهادة الكافر مردودة لان الكاذب
لا تقبل شهادته فالذي يكذب على الله تعالى اولى بان ترد شهادته وجوز اصحاب الراي شهادة اهل
الذمة بعضهم على بعض ولا تقبل شهادة العبيد واجازها شريح وابن سيرين وهو قول انس ولا قول
للمجنون حتى تصح شهادته ولا تجوز شهادة الصبيان وسئل ابن عباس عن ذلك فقال لا تجوز لان
الله تعالى قال ممن ترضون من الشهداء والعدالة شرط وهو ان يكون الشاهد مجتنبا عن الكبائر غير مصر
على الصغائر والمروءة شرط وهي ما يتصل بآداب النفس مما يعلم ان تاركه قليل الحياء وهي حسن الهيئة والسيرة
والعشرة والصناعة فان كان الرجل يظهر من نفسه شيئا مما يستحي امثاله من اظهاره في الاغلب علم بذلك قلة
مروءته وترد شهادته وانتفاء التهمة شرط فلا تقبل شهادة العدو على العدو وان كان مقبول الشهادة
على غيره لانه متهم في حق عدوه ولا في حق غيره ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وتقبل شهادته عليهما
ولا تقبل شهادة من يجر بشهادته الى نفسه نفعا عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجوز شهادة
خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذي غمر على اخيه ولا مجرب شهادة ولا القانع التابع اخرجه الترمذي
قوله لا تجوز شهادة خائن اراد بالخيانة الخيانة في الدين والمال والامانة فان من ضيع شيئا من اوامر الله تعالى
او ارتكب شيئا مما نهى الله عنه لا يكون عدلا والغمر بكسر الغين الحقد والقانع هو السائل المستطعم وقيل
هو المنقطع الى قوم يخدمهم فترد شهادته للتهمة في جر النفع الى نفسه لان التابع لاهل البيت ينتفع
بما يصير اليهم والظنين بكسر الظاء المتهم وقوله تعالى ان تضل احداهما اي تنسى احدى المرأتين فتذكر
احداهما الاخرى لان الغالب على طباع النساء النسيان فاقيمت المرأتان مقام الرجل الواحد حتى لو
نسيت احداهما تذكرها الاخرى فتقول حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا فيحصل بذلك الذكرى وحكي عن
سفيان بن عيينة انه قال هو من الذكر اي تجعل احداهما الاخرى ذكرا والمعنى ان شهادتهما تصير كشهادة
ذكر والقول الاول اصح لانه معطوف على تضل والنسيان وقوله تعالى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا يعني
اذا دعوا لتحمل الشهادة وسماهم شهداء لانهم يكونون شهداء وهذا الامر ايجاب عند بعضهم وقال قوم
يجب اذا لم يكن غيره فان كان غيره فهو مخير وقيل هو امر ندب فهو مخير في جميع الاحوال وقال بعضهم هذا في
اقامة الشهادة وادائها ومعنى الاية ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة التي تحملوها وقيل
الاية في الامرين جميعا يعني في التحمل والاداء والاقامة اذا كان فارغا وقيل انه بالخيار ما لم يشهد فاذا
شهد وجب عليه الاداء ولا تسأموا اي ولا تملوا ولا تضجروا ان تكتبوه الضمير راجع الى الحق والدين صغيرا
كان او كبيرا يعني قليلا كان الحق او الدين او كثيرا الى اجله يعني الى محل الحق والدين ذلكم يعني ذلك الكتاب اقسط
عند الله يعني اعدل عند الله لانه هو امر به واتباع امره اعدل من تركه واقوم للشهادة يعني ان الكتابة تذكر الشهود
وادنى ان لا ترتابوا يعني واحرى واقرب ان لا تشكوا في الشهادة الا ان تكون تجارة حاضرة اي الا ان تقع تجارة
حاضرة تديرونها بينكم اي تتبايعونها بينكم يدا بيد فليس عليكم جناح اي لا حرج عليكم ان لا تكتبوها يعني التجارة الحاضرة والتجارة
تقليب الاموال وتصريفها لطلب النماء والزيادة بالارباح وانما رخص الله تعالى في الكتابة والاشهاد في هذا النوع

من النبي ص لكثرة ما يجري بين الناس فلو كلفوا فيها الكتابة والاشهاد لشق ذلك عليهم ولانه اذا اخذ كل واحد من البيعين
حقه من صاحبه في ذلك المجلس لم يكن هناك خوف التجاحد فلا حاجة الى الكتابة والاشهاد واشهدوا اذا تبايعتم
يعني فيما جرت العادة بالاشهاد فيه واختلفوا في هذا الامر فقيل هو للوجوب فيجب ان يشهد في صغير الحق وكبيره
ونقده ونسيئه وقيل هو امر ندب واستحباب وهو قول الجمهور وقيل انه منسوخ بقوله فان امن بعضكم بعضا
فليؤد الذي اؤتمن امانته وقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد هذا نهي عن المضارة واصله يضارر بكسر
الراء الاولى ومعناه لا يضارر الكاتب فيأبى ان يكتب او الشاهد فيأبى ان يشهد او يضار الكاتب فيزيد او ينقص
او يحرف ما املي عليه فيضر صاحب الحق او من عليه الحق وكذا الشاهد وقيل اصله يضارر بفتح الراء الاولى ومعناه
ان لا يعمد الرجل الكاتب او الشاهد وهما مشغولين فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعي ان الله امركما
ان تجيبا اذا دعيتما ويلح عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهى عن مضارتهما وامر ان يطلب غيرهما وان تفعلوا
يعني ما نهيتم عنه من الضرار فانه فسوق بكم اي معصية وخروج عن الامر واتقوا الله اي خافوا الله واحذروه فيما
نهاكم عنه من المضارة وغيرها ويعلمكم الله يعني ما يكون ارشادا لكم في امر الدنيا كما يعلمكم ما يكون ارشادا
لكم في امر الدين والله بكل شيء عليم يعني انه تعالى عليم بجميع مصالح عباده لا يخفى عليه شيء من ذلك قوله تعالى وان كنتم
على سفر اي في سفر ولم تجدوا كاتبا يعني ولم تجدوا آلات الكتابة فرهن جمع رهن وقرئ فرهان مقبوضة
يعني فارتهنوا ممن تداينونه رهونا مقبوضة لتكون وثيقة لكم باموالكم واصل الرهن من الدوام يقال رهن الشيء اذا
دام وثبت والرهن ما وضع عند الانسان مما ينوب مناب ما اخذ منه دينا فان قلت لم شرط الارتهان في
السفر مع عدم الكاتب ولا يختص به سفر دون حضر وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند ابي الشحم اليهودي
على طعام اخذه الى اجل ولم يكن ذلك في سفر ولا عند عدم كاتب قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة دون
الحضر ولكن لما كان السفر مظنة لاعواز الكاتب والاشهاد امر الله تعالى به على سبيل الارشاد الى حفظ الاموال لمن
كان على سفر بان يقيم التوثيق بالارتهان مقام الكتابة والاشهاد واتفق العلماء على جواز الرهن في الحضر والسفر
جميعا ومع وجود الكاتب وعدمه وقال مجاهد لا يجوز الا في السفر عند عدم الكاتب لظاهر الاية واجاب الجمهور
عن ظاهر الاية بان الكلام انما خرج على الاعم الاغلب لا على سبيل الشرط واتفق العلماء على ان الرهن لا يتم الا
بالقبض وهو قوله تعالى فرهن مقبوضة يعني ارتهنوا واقبضوا لان المقصود من الرهن هو استيثاق جانب صاحب
الحق وذلك لا يتم الا بالقبض فلو رهن ولم يسلم لم يجبر الراهن على التسليم فاذا سلم الرهن لزم من جهته حتى لا يجوز
له ان يسترجعه ما دام شيء من الحق باقيا وقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا يعني فان كان الذي عليه الحق
امينا عند صاحب الحق ولم يرتهن منه شيئا لحسن ظنه به فليؤد الذي اؤتمن امانته يعني فليؤد المديون
الذي عليه الحق الذي كان امينا في ظن الدائن الذي هو صاحب الحق امانته يعني حقه سمى الدين امانة وان
كان مضمونا لائتمانه عليه حيث امن من جحوده فلم يكتب ولم يشهد عليه ولم يأخذ منه رهنا حثا للمديون على
ان يكون عند ظن الدائن الذي ائتمنه وان يؤدي اليه حقه الذي ائتمنه عليه ولم يرتهن منه عليه شيئا ثم زاد ذلك
توكيدا بقوله وليتق الله ربه اي المديون في اداء الحق عند حلول الاجل من غير مطل ولا جحود بل يعامله المعاملة
الحسنة كما احسن ظنه فيه ثم رجع الى خطاب الشهود فقال تعالى ولا تكتموا الشهادة يعني اذا دعيتم الى اقامتها
وادائها وذلك لان الشاهد متى امتنع من اقامة الشهادة وكتمها فقد ابطل حق صاحب الحق فلهذا نهى عن
كتمان الشهادة وبالغ في الوعيد عليه فقال تعالى ومن يكتمها يعني الشهادة فانه آثم قلبه اي فاجر قلبه والاثم الفاجر
وانما اضيف الاثم الى القلب لان الافعال من الدواعي والصوارف انما تحدث في القلب فلما كان الامر كذلك اضيف

الا اثم القلب قيل ما اوعد الله على شيء كايعاده على كتمان الشهادة فانه قال تعالى فانه اثم قلبه واراد به مسخ
القلب نعوذ بالله من ذلك والله بما تعملون عليم يعني من بيان الشهادة وكتمانها ففيه وعيد وتحذير لمن كتم الشهادة
ولم يظهرها قوله تعالى لله ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا واهلها له عبيد وهو مالكهم وان تبدوا ما
في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وهو ابتداء ولا حديث النفس والخواطر الفاسدة التي ترد على القلب ولا
يتمكن من دفعها فالمواخذة بها تجري مجرى تكليف ما لا يطاق واجيب عن هذا بان الخواطر الحاصلة في
القلب على قسمين فمنها ما وطن الانسان نفسه عليه وعزم على اظهاره الى الوجود فهذا ما يواخذ الانسان
به والقسم الثاني ما خطر بالبال ولا يمكن دفعه عن نفسه لكن يكرهه ولا يعزم على فعله ولا اظهاره الى
الوجود فهذا معفو عنه بدليل قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقال قوم هذه الآية خاصة ثم اختلفوا
في وجه تخصيصها فقال بعضهم هي متصلة بالآية التي قبلها وانما نزلت في كتمان الشهادة ومعنى الآية ان
تبدوا ما في انفسكم ايها الشهود من كتمان الشهادة او تخفوه اي تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهذا ضعيف
لان اللفظ عام وان كان واردا عقيب قضية فلا يلزم صرفه اليها وقال بعضهم ان الآية نزلت فيمن يتولى الكافرين
من دون المؤمنين والمعنى وان تبدوا واي تظهروا ما في انفسكم يعني من ولاية الكفار او تخفوه فلا تظهروه يحاسبكم به الله
وذهب اكثر العلماء الى ان الآية عامة ثم اختلفوا فقال قوم هي منسوخة بالآية التي بعدها ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة
قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه الآية
اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا اي رسول الله
كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد انزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا
سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت بها السنتهم انزل الله في اثرها آمن
الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله
وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فانزل الله عز وجل لا يكلف
الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا قال نعم
ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا
واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم اخرجه مسلم وله عن ابن عباس نحوه
وفيه قد فعلت بدل نعم ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لامتي ما
حدثت به انفسها ما لم يعملوا به او يتكلموا وفي رواية ما وسوست به صدورها وقال قوم ان الآية غير
منسوخة لان النسخ لا يرد الا على الامر والنهي ولا يرد على الاخبار وقول الله تعالى يحاسبكم به الله خبر فلا يرد
عليه النسخ ثم اختلفوا في تاويلها فقال قوم قد اثبت الله تعالى للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم
وليس لله عبد اسر عملا او اعلنه من حركة جارحة او همّ قلب الا يعلمه الله ثم يخبره به ويحاسبه عليه
ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء وقال آخرون في معنى الآية ان الله تعالى يحاسب خلقه بجميع ما ابدوا من
اعمالهم او اخفوه ويعاقبهم عليه غير ان معاقبته على ما اخفوه مما لم يعملوا به هو ما يحدث لهم
في الدنيا من النوائب والمصائب والامور التي يحزنون عليها وهذا قول عائشة عن امية انها سالت
عائشة عن قول الله عز وجل ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وعن قوله من يعمل سوءا يجز به فقالت ما
عنها احد منذ سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى

البضاعة

البضاعة يضعها في يد قميصه فيفقدها فيفزع لها حتى ان العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب وله عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة
في الدنيا واذا اراد بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة وقال قوم في معنى الآية وان تبدوا ما في
انفسكم يعني ما عزمتم عليه او تخفوه اي ولا تبدوه وانتم عازمون عليه يحاسبكم به الله فاما ما حدثت النفس مما لم تعزموا
عليه فان ذلك مما لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يواخذ به قال عبد الله بن المبارك قلت لسفيان ايواخذ العبد بالهمة
فقال اذا كانت عزما اخذ بها وقيل معنى المحاسبة الاخبار والتعريف فيرجع معنى هذه المحاسبة الى كونه تعالى عالما
بكل ما في الضمائر والسرائر مما ظهر او خفي ومعنى الآية وان تبدوا ما في انفسكم فتعملوا به او تخفوه مما اضمرتم ونويتم
يحاسبكم به الله اي يخبركم به ويعرفكم اياه ثم يغفر للمؤمنين اظهارا للفضل ويعذب الكافرين اظهارا للعدل يروى
عن ابن عباس ويدل عليه انه قال يحاسبكم به الله ولم يقل يواخذكم به لان المحاسبة غير المواخذة ويدل
عليه ايضا ما روي عن صفوان بن محرز المازني قال بينما ابن عمر يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابا عبد الرحمن اخبرني ما
سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدني المؤمن من ربه حتى يضع
عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين فيقول سترتها عليك في الدنيا
وانا اغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسناته واما الآخرون او الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق
هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى فيغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء قال ابن عباس يغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا يسأل عما يفعل
وهم يسألون والله على كل شيء قدير يعني انه تعالى قادر على كل شيء كامل القدرة فيغفر للمؤمنين فضلا ويعذب
الكافرين عدلا قوله عز وجل آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون ح عن ابن عباس قال لما نزلت هذه
الآية وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله دخل قلوبهم منه شيء لم يدخل من شيء فقالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون الآية لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما
كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا قال قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا
اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا
انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج
لما ذكر الله في هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والايلاء والحيض والجهاد واقاصيص
الانبياء وما ذكر من كلام الحكم ختم السورة بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بجميع ذلك ومعنى آمن
الرسول صدق الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى صدق الرسول ان هذا القرآن وجملة ما فيه من الشرائع
والاحكام منزل من عند الله عز وجل هو والمؤمنون يعني وصدق المؤمنون بذلك ايضا كل اي كل
واحد من المؤمنين آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فهذه اربع مراتب من اصول الايمان وضروراته
فاما الايمان بالله فهو ان يؤمن بان الله واحد احد لا شريك له ولا نظير ويؤمن بجميع اسمائه الحسنى
وصفاته العليا وانه حي عالم قادر على كل شيء واما الايمان بالملائكة فهو ان يؤمن بوجودهم وانهم
معصومون مطهرون وانهم السفرة الكرام البررة وانهم الوسائط بين الله تعالى وبين رسله واما الايمان
بكتبه فهو ان يؤمن بان الكتب المنزلة من عند الله هي وحي الى رسله وانها حق وصدق من عند الله تعالى
بغير شك ولا ارتياب وان القرآن لم يحرف ولم يبدل ولم يغير وانه مشتمل على المحكم والمتشابه وان محكمه
عن متشابهه واما الايمان بالرسل فهو ان يؤمن بانهم رسل الله الى عباده وامناؤه على وحيه وانهم معصومون وانهم افضل

الخلق وان بعضهم افضل من بعض وقد انكر بعضهم ذلك وتمسك بقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله واجيب
عنه بان المقصود من هذا الكلام شي اخر وهو اثبات نبوة الانبيا والرد على اليهود والنصارى الذين
يقرون بنبوة موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد ثبت بالنص الصريح تفضيل بعض الانبيا
على بعض بقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ومعنى قوله لا نفرق بين احد من رسله فنومن ببعض ونكفر ببعض كما تلكم
فعلت اليهود والنصارى بل نومن بجميع رسله وفي الاية اضمار تقديره وقالوا يعني المومنين لا نفرق بين احد
من رسله وقالوا سمعنا واطعنا يعني سمعنا قول ربنا وفهمنا امره ونهيه واطعناه غفرانك ربنا اي نسالك غفرانك
ربنا او يكون المعنى اغفر لنا ربنا غفرانك واليك المصير يعني قالوا واليك المصير يا ربنا مرجعنا ومعادنا
فاغفر لنا ذنوبنا روى البغوي بغير سند عن حكيم بن جابر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان
الله عز وجل قد اثنى عليك وعلى امتك فسل تعطه فسال بتلقين الله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير قوله تعالى
لا يكلف الله نفسا الا وسعها قيل يحتمل ان يكون ابتدا اخبر من الله ويحتمل ان يكون حكاية عن المومنين
وفيه اضمار كانه قال تعالى عنهم وقالوا لا يكلف الله نفسا الا وسعها يعني طاقتها والوسع اسم لما يسع الانسان
ولا يضيق عليه قال ابن عباس واكثر المفسرين ان هذه الاية نسخت حديث النفس والوسوسة وذلك انه لما
نزل ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه ضج المومنون منها وقالوا يا رسول الله نتوب من عمل اليد والرجل واللسان
فكيف نتوب من الوسوسة وحديث النفس فنزلت هذه الاية والمعنى انكم لا تستطيعون ان تمتنعوا من
الوسوسة وحديث النفس كان ذلك مما لم تطيقوه وقال ابن عباس في رواية عنه هم المومنون خاصة
وسع الله عليهم امر دينهم ولم يكلفهم ما لا يستطيعون كما قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
وقال تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج وسيل سفيان بن عيينة عن قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها قال
الا يسرها ولم يكلفها طاقتها وهذا قول حسن لان الوسع ما دون الطاقة وقيل معناه ان الله تعالى لا يكلف
نفسا وسعها فلا تتعبد بها لا تطيقه لها ما كسبت يعني من الشر وعليها وزرها وعقابها وقيل في
معنى الاية ان الله تعالى لا يواخذ احدا بذنب غيره قوله عز وجل ربنا لا تواخذنا وهذا تعليم من الله تعالى لعباده
المومنين كيف يدعونه ومعناه قولوا ربنا لا تواخذنا اي لا تعاقبنا وانما جا بلفظ المفاعلة وهو فعل واحد
لان المسيء قد امكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله فكانه اعان عليه من يعاقبه بذنبه ويواخذه به
ان نسينا او اخطانا فيه وجهان احدهما انه من النسيان الذي هو السهو وهو ضد التذكر قيل كانوا
بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما امروا به او اخطاوا عجلت لهم العقوبة فحرم عليهم شي مما كان حلالا لهم من مطعم
او مشرب على حسب ذلك الذنب فامر الله المومنين ان يسالوه ترك مواخذتهم بذلك فان قلت النسيان بفعل
الناسي في محل العفو بدليل قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه فاذا كان
النسيان في محل العفو قطعا فما معنى طلب العفو عنه بالدعاء قلت الجواب عنه من وجوه الاول
ان النسيان على ضربين اما الاول فهو ما كان من العبد على وجه التضييع والتفريط وهو ترك ما امر بفعله
كمن راى على ثوبه دما فاخر ازالته عنه ثم نسي فصلى فيه وهو على ثوبه فيعد مقصرا اذ كان يلزمه المبادرة
الى ازالته اما اذا لم يره فيعذر فيه وكذا لو ترك ما امر بفعله على وجه السهو وارتكب منهيا عنه من
غير قصد اليه كاكل ادم عليه السلام من الشجرة التي نهي عنها على وجه النسيان من غير عزم على المخالفة كما قال
تعالى ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما فمثل هذا يجب ان يسال الله ان يعفو عنه واما
الضرب الثاني فهو كمن ترك صلاة ثم نسيها او ترك دراسة القران بعد ان حفظه حتى نسيه فهذا لا يعذر بنسيانه

وسهوه لانه فرط فيثبت ان النسيان على قسمين واذا كان كذلك صح طلب العفو والغفران عن النسيان الوجه
الثاني من الجواب ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا من المتقين حق تقاته فان صدر منهم ما لا ينبغي فلا يكون
الا على سبيل السهو والنسيان فطلبهم العفو والغفران لما يقع منهم على سبيل السهو والنسيان انما هو
لشدة خوفهم وتمام تواضعهم الوجه الثالث ان المقصود من هذا الدعاء هو التضرع والتذلل لله تعالى
واما الخطا ففي قوله او اخطانا فعلى وجهين ايضا احدهما ان ياتي العبد ما نهي عنه بقصد وارادة فذلك خطا
منه وهو به ماخوذ فيحسن طلب العفو والغفران لذلك الفعل الذي ارتكبه الوجه الثاني ان يكون الخطا
على سبيل الجهل والظن بان له فعله كمن ظن ان وقت الصلاة لم يدخل وهو في يوم غيم فاخرها حتى خرج
وقتها فهذا من الخطا الموضوع عن العبد لكن طلب العفو والغفران بسبب تقصيره وقوله ربنا ولا تحمل
علينا اصرا يعني عهدا ثقيلا وميثاقا غليظا فلا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه كما
حملته على الذين من قبلنا يعني اليهود فلم يقوموا به فعذبتهم عليه وقيل معناه ولا تشدد علينا
كما شددت على اليهود من قبلنا وذلك ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وامرهم باداء ربع
اموالهم زكوة ومن اصاب منهم ثوبه نجاسة قطعها ومن اصاب ذنبا اصبح وذنبه مكتوب على بابه
ونحو هذا من الاثقال والاصار التي كتبت عليهم فسال المومنون ربهم ان يصونهم من امثال هذه التغليظات
والعهود الثقيلة وقد اجاب الله تعالى دعاهم برحمته وخفف عنهم بفضله وكرمه فقال تعالى وما
جعل عليكم في الدين من حرج وقيل الاصر ذنب لا توبة له فسال المومنون ربهم ان يعصمهم من مثله
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به يعني لا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيق القيام به لثقل حمله علينا وتكليف
ما لا يطاق على ضربين احدهما ما ليس في قدرة العبد احتماله كتكليف الاعمى النظر والزمن العدو فهذا
النوع من التكليف لا يكلف الله عبده به الوجه الثاني من تكليف ما لا يطاق هو ما في قدرة العبد
احتماله مع المشقة الشديدة والكلفة العظيمة كتكليف الاعمال الشاقة والفرائض الثقيلة كما كان في ابتدا
الاسلام صلاة الليل واجبة ونحو هذا الذي سال المومنون ربهم لا يحملهم ما لا طاقة لهم به واستدل بهذه
الاية من يقول ان تكليف ما لا يطاق جائز اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تخفيفه بالدعاء من الله تعالى وقيل
في قوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو حديث النفس والوسوسة وقيل هو العشق وقيل هو الغلمة وقيل هو الحب
وقيل هو شماتة الاعدا وقيل هو الفرقة والقطيعة وقيل هو مسخ القردة والخنازير نعوذ بالله من ذلك
كله قوله واعف عنا اي تجاوز عن ذنوبنا وامحها عنا واغفر لنا اي استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا
وارحمنا اي تعطف بنا برحمة تتخلصنا بها من عقابك فانه ليس بناج من عقابك الا من رحمته وقيل انا
لا ننال العمل بطاعتك الا بعطائك ولا نترك معصيتك الا برحمتك واصل الرحمة رقة تقتضي الاحسان
الى المرحوم واوصف بها الله تعالى فليس يراد بها الا الاحسان المجرد والتفضل على العباد دون الرقة
وقيل ان طلب العفو هو ان يسقط عنه عقاب ذنوبه وطلب المغفرة هو ان يستر عليه صونا له من
الفضيحة كان العبد يقول اطلب منك العفو واذا عفوت عني فاستره علي فاذا عفا الله تعالى عن
العبد وستره طلب الرحمة التي هي الانعام والاحسان ليفوز بالنعيم والثواب الجسيم انت مولانا اي ناصرنا وحافظنا
ووليّنا ومتولي امرنا فانصرنا على القوم الكافرين يعني اعل حجتنا على من جحد وحدانيتك
قال ابن عباس في قوله تعالى غفرانك ربنا قال قد غفرت لكم وفي قوله لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا قال
لا اواخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال لا احمل عليكم ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا احملكم واعف عنا

واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم
الكافرين كان معاذ إذا ختم سورة البقرة قال آمين م عن عبد الله بن مسعود قال لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم
انتهي به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة وإليها ينتهي ما يعرج من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط
من فوقها فيقبض منها قال إذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب فأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثا أعطي الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئا المقحمات قوله
المقحمات الذنوب العظام التي تولج مرتكبها النار وأصل الاقتحام الولوج ق عن أبي مسعود الأنصاري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه كفتاه معناه
كفتاه من كل ما يحذر من كل ضرها أو شر شيطان فلا يقربه تلك الليلة وقيل كفتاه من قيام الليل
عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل عليه السلام إذ سمع نقيضا من فوقه فرفع جبريل
بصره إلى السماء فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل إلى
الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم
سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله كتب
كتابا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقرآن في دار
ثلاث ليال فيقربها شيطان أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب آخر تفسير سورة البقرة والله أعلم

تفسير سورة آل عمران مدنية

وهي مائتا آية وثلاثة آلاف وأربعمائة وثمانون كلمة وأربعة عشر ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم الله لا إله إلا هو
الحي القيوم قال المفسرون نزلت هذه الآيات في وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم وهم العاقب
وهو أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه والسيد واسمه الأيهم وهو ثمال
القوم [illegible] وصاحب رحلهم الذي يقوم بأمر ظعنهم وشرائهم وأبو حارثة بن علقمة
وهو أسقفهم وحبرهم وكان ملوك الروم يكرمونه لما بلغهم عن علمه واجتهاده في دينهم فدخلوا مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى العصر وعليهم ثياب الحبرات جبب وأردية في جمال رجال بني الحارث
بن كعب يقول من رآهم ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله صلى الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا إلى المشرق فلما فرغوا كلمهم السيد والعاقب فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أسلما قالا قد أسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الإسلام دعواكما لله ولدا وعبادتكما
الصليب وأكلكما الخنزير قالا إن لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه وخاصموه جميعا في عيسى فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن ربنا
حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الموت قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يحفظه
ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض
ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما علم قالوا لا قال ألستم تعلمون أن ربنا صور
عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة
ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال

فكيف

فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فأنزل الله صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها ثم دعاهم
فقالوا يا محمد ألست تزعم أن عيسى كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا حسبنا ثم أبوا إلا جحودا فأنزل
الله تعالى الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم يعني إن كان منازعتكم يا معشر النصارى في معرفة الإله فهو
الله لا إله إلا هو فكيف تثبتون له ولدا فبين تعالى أن أحدا لا يستحق العبادة سواه لأنه الواحد
الأحد ليس معه إله ولا له ولد ثم أتبع ذلك بما يجري مجرى الدلالة عليه فقال تعالى الحي القيوم أما
الحي في صفة الله تعالى فهو الدائم الباقي الذي لا يصح عليه الموت وأما القيوم فهو القائم بذاته والقائم
بتدبير الخلق ومصالحهم فيما يحتاجون إليه في معاشهم ومعادهم نزل عليك الكتاب يعني القرآن
بالحق أي بالصدق والعدل مصدقا لما بين يديه يعني لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوات والأخبار
وبعض الشرائع وقوله لما بين يديه من مجاز الكلام وذلك أن ما بين يديه فهو أمامه فقيل لكل شيء تقدم على لغايه
الشيء هو بين يديه لظهوره واشتهاره وأنزل التوراة والإنجيل من قبل أي من قبل القرآن فإن
قلت لم قال نزل الكتاب وأنزل التوراة والإنجيل قلت لأن القرآن نزل منجما مفصلا في جملة واحدة
هدى للناس يعني أنزل التوراة والإنجيل قبل القرآن كان هدى للناس فإن قلت كيف وصف القرآن
في أول البقرة بأنه هدى للمتقين لأنهم هم الذين انتفعوا به وتبعوه ووصف هنا التوراة والإنجيل بأنهما
هدى للناس لأن المناظرة كانت مع نصارى نجران وهم يعتقدون صحة التوراة والإنجيل فلهذا السبب
قال هنا هدى للناس وقيل إن قوله هدى للناس يعود إلى الكتب الثلاثة يعني القرآن المتقدم
ذكره والتوراة والإنجيل وإنما وصف هذه الكتب بأنها هدى للناس لما فيها من الشرائع والأحكام
وأنزل الفرقان يعني الفارق بين الحق والباطل وقيل أراد به القرآن وإنما أعاد ذكره تعظيما لشأنه
ومدحا له لكونه فارقا بين الحق والباطل وقيل إنما أعاد ذكره ليبين أنه تعالى أنزله بعد التوراة
والإنجيل ليجعله فارقا بين ما اختلف فيه اليهود والنصارى في أمر عيسى عليه السلام وقيل
المراد به الكتب الثلاثة لأن كلها هدى للناس ومفرقة بين الحلال والحرام والحق والباطل وقال
السدي في الآية تقديم وتأخير تقديره وأنزل التوراة والإنجيل والفرقان هدى للناس إن الذين
كفروا بآيات الله يعني الكتب المنزلة وغيرها قيل أراد بهم نصارى وفد نجران كفروا بالقرآن وبمحمد صلى
الله عليه وسلم وقيل إن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ فهو يتناول كل من كفر بشيء من آيات الله
لهم عذاب شديد والله عزيز أي غالب لا يغلب ذو انتقام يعني ممن كفر به والانتقام المبالغة في العقوبة
قوله تعالى إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء أي لا يخفى عليه شيء من أمر العالم وهو المطلع على
أحوالهم فقوله إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء إشارة إلى كمال علمه المتعلق بجميع المعلومات
هو الذي يصوركم في الأرحام التصوير جعل الشيء على صورة والصورة هيئة يكون عليها الشيء بالتأليف
والأرحام جمع رحم كيف يشاء يعني الصور المختلفة المتفاوتة في الخلقة ذكرا وأنثى أبيض وأسود حسنا
أو قبيحا كاملا أو ناقصا والمعنى أنه الذي يصوركم في ظلمات الأرحام مختلفة في الشكل والطبع واللون وذلك
من نطفة ق عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق
إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك
ثم يبعث الله ملكا بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي
لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب

فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها خ عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضي خلقها قال يا رب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك في بطن امه وقيل ان الاية واردة في الرد على النصارى وذلك ان عيسى عليه السلام كان يخبر ببعض الغيب فيقول اكلت في داركم كذا صنعت كذا وانه احيى الموتى وابرأ الاكمه والابرص وخلق الطير باذن الله فادعت النصارى فيه الالهية وقالوا ما قدر على ذلك الا انه اله فرد الله تعالى عليهم ذلك واخبر ان الاله المستحق لهذا الاسم هو الذي لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وانه المصور في الارحام كيف يشاء وان عيسى عليه السلام ممن صور في الرحم فنبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد مخلوق كغيره وانه يخفى عليه ما لا يخفى على الله عز وجل لا اله الا هو العزيز الحكيم هذا ايضا في الرد على النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله كانه تعالى قال كيف يكون ولدا لله وقد صوره الله في الرحم وقوله عز وجل هو الذي انزل عليك الكتاب يعني القران منه ايات محكمات يعني مبينات مفصلات احكمت عبارتها من احتمال التاويل والاشتباه سميت محكمات من الاحكام كانه تعالى احكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها هن ام الكتاب يعني هن اصل الكتاب الذي يعول عليه في الاحكام ويعمل به في الحلال والحرام فان قلت كيف قال هن ام الكتاب ولم يقل امهات الكتاب قلت لان الايات في تكاملها واجتماعها كالاية الواحدة وكلام الله كله شيء واحد وقيل ان كل اية منهن ام الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وامه اية يعني ان كل واحد منهما اية واخر جمع اخرى متشابهات يعني ان لفظه يشبه لفظ غيره ومعناه يخالف معناه فان قلت جعل هنا محكما ومتشابها وجعل في موضع اخر كله متشابها فقال الله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها فكيف الجمع بين هذه الايات قلت حيث جعله كله محكما اراد انه كله حق وصدق ليس فيه عبث ولا هزل وحيث جعله هنا بعضه كله متشابها اراد ان بعضه يشبه بعضا في الحسن والحق والصدق وحيث جعل هنا بعضه محكما وبعضه متشابها فقد اختلفت عبارات العلماء فيه فقال ابن عباس المحكمات الثلاث الايات التي في اخر سورة الانعام وهي قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ونظيرها في بني اسرائيل وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الايات وعنه ان المحكمات هي الناسخ والمتشابهات هي الايات المنسوخة وبه قال ابن مسعود وقتادة والسدي وقيل ان المحكمات ما فيه احكام الحلال والحرام والمتشابهات ما سوى ذلك شبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا وقيل ان المحكمات ما اطلع الله عباده على معناه والمتشابه ما استاثر الله بعلمه فلا سبيل لاحد الى معرفته نحو الخبر عن اشراط الساعة مثل الدجال وياجوج وماجوج ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وفناء الدنيا وقيام الساعة فجميع هذا مما استاثر الله بعلمه وقيل ان المحكم ما لا يحتمل من التاويل الا وجها واحدا والمتشابه ما يحتمل اوجها روي ذلك عن الشافعي وقيل المحكم سائر القران والمتشابه هي الحروف المقطعة في اوائل السور قال ابن عباس ان رهطا من اليهود منهم حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف ونظراؤهما اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له حيي بلغنا انه انزل عليك الم فانشدك الله انزلت عليك قال نعم قال ان كان ذلك حقا فاني اعلم مدة ملك امتك هي احدى وسبعون سنة فهل انزل عليك غيرها قال نعم المص قال فهذه اكثر هي احدى وستون ومائة فهل انزل عليك غيرها قال نعم الر قال هذه اكثر هي مائتان واحدى وثلاثون سنة فهل من غيرها قال نعم المر قال هذه اكثر هي مائتان واحدى وسبعون سنة ولقد خلطت علينا فلا ندري ابكثيره ناخذ ام بقليله ونحن ممن لا يؤمن بهذا فانزل الله هذه الاية قوله فاما الذين في

طيراً

زيغ فيتبعون ما تشابه منه وقيل ان المحكم ما لم يتكرر الفاظه والمتشابه ما تكررت الفاظه وقيل ان المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج الى بيانه وقيل ان المحكم هو الامر والنهي والوعد والوعيد والمتشابه هو القصص والامثال فان قلت انما نزل القران لبيان الدين وارشاد العباد وهدايتهم فما فائدة المتشابه وهلا كان كله محكما قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال اجوبة احدها ان القران نزل بالفاظ العرب ولغاتهم وكلام العرب على ضربين احدهما الايجاز والاختصار والموجز الذي لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره والاطالة لبيان المراد والتوكيد الضرب الثاني المجاز والكنايات والاشارة والتلويحات واغماض بعض المعاني وهذا الضرب هو المستحسن عند العرب والبديع في كلامهم فانزل الله تعالى القران على هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله فكانه قال عارضوه باي الضربين شئتم ولو نزل كله محكما واضحا لقالوا هلا نزل بالضرب المستحسن عندنا الجواب الثاني ان الله تعالى انزل المتشابه لفائدة عظيمة وهي ان يشتغل اهل العلم والنظر بردهم المتشابه الى المحكم فيطول بذلك فكرهم ويتصل بالبحث عن معانيه اهتمامهم فيثابون على تعبهم كما اثيبوا على عبادتهم ولو انزل القران كله محكما لاستوى في معرفته العالم والجاهل ولم يفضل العالم على غيره ولماتت الخواطر وخمدت الفكرة ومع الغموض تقع الحاجة الى الفكرة والحيلة الى استخراج المعاني وقد قيل في عيب الغنا انه يورث البلادة وفي فضيلة الفقر انه يبعث على الحيلة لانه اذا احتاج احتال الجواب الثالث ان اهل كل علم يجعلون في علومهم معان غامضة ومسائل دقيقة ليحتجوا بذلك اذهان المتعلمين منهم على انتزاع الجواب لانهم اذا قدروا على انتزاع المعاني الغامضة كانوا على الواضح اقدر فلما كان ذلك حسنا عند العلماء جاز ان يكون ما انزل الله تعالى من المتشابه على هذا النحو الجواب الرابع ان الله تعالى انزل المتشابه في كتابه مختبرا به عباده ليقف المؤمن عنده ويرد علمه الى عالمه فيعظم بذلك ثوابه ويرتاب به المنافق فيداخله الزيغ فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلي بنو اسرائيل بالنهر والله اعلم بمراده قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق وقيل الزيغ الشك واختلفوا في المعني بهم والمشار اليهم فقيل هم وفد نجران الذين خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام وقالوا الست تزعم ان عيسى روح الله وكلمته قال بلى قالوا حسبنا فانزل الله هذه الاية وقيل هم اليهود لانهم طلبوا معرفة مدة بقاء هذه الامة واستخراجه بحساب الجمل من الحروف المقطعة في اوائل السور وقيل هم المنافقون وقيل هم الخوارج وكان قتادة يقول ان لم يكونوا الحرورية والسبائية فلا ادري من هم وقيل هم جميع المبتدعة فيتبعون ما تشابه منه يعني يحيلون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم ويقولون ما بال هذه الاية عمل بها كذا وكذا ثم نسخت وقيل كل من احتج لباطله بالمتشابه فهو المعني بهذه الاية ق عن عائشة قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات الى وما يذكر الا اولو الالباب فقال فاذا رايتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سماهم الله فاحذروهم وقوله تعالى ابتغاء الفتنة اي طلب الشرك والكفر وقيل طلب الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم وقيل طلب افساد ذات البين وابتغاء تاويله اي تفسيره واصل التاويل في اللغة المرجع والمصير تقول آل الامر الى كذا اذا رجع اليه وتسمى العاقبة تاويلا لان الامر يصير اليه قال ابن عباس في قوله وابتغاء تاويله اي طلب بقاء ملك محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد ان الكفار طلبوا متى يبعثون وكيف احياؤهم بعد الموت

وقيل هو طلب تفسير المتشابه وعلمه وما يعلم تأويله إلا الله يعني تأويل المتشابه وقيل لا يعلم انقضاء ملك
هذه الأمة إلا الله لأن انقضاء ملكها مع قيام الساعة وذلك لا يعلمه إلا الله وقيل يجوز أن يكون للقرآن
تأويل استأثر الله بعلمه لم يطلع عليه أحداً من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها
وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم وعلم الحروف المقطعة وأشباه ذلك مما استأثر الله بعلمه فالإيمان به واجب
وحقائق علومه مفوضة إلى الله تعالى وهذا قول أكثر المفسرين وهو مذهب ابن مسعود وابن عباس
في رواية عنه وأبي بن كعب وعائشة وأكثر التابعين فعلى هذا القول تم الكلام عند قوله إلا الله ثم يوقف
عليه ثم ابتدأ فقال تعالى والراسخون في العلم أي الثابتون في العلم وهم الذين أتقنوا علمهم بحيث لا
يدخل في علمهم شك يقولون آمنا به قال ابن عباس سماهم الله راسخين في العلم بقولهم آمنا
به فرسوخهم في العلم هو الإيمان به وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الآية انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل
القرآن إلى أن قالوا آمنا به كل من عند ربنا يعني المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما
علمنا منه وما لم نعلم فنحن معتقدون في المتشابه بالإيمان به ونكل معرفته إلى الله تعالى وفي المحكم يجب
علينا الإيمان به والعمل بمقتضاه وروي عن ابن عباس أنه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه
فتفسير لا يسع أحداً جهله وتفسير تعرفه العرب بألسنتها وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه
إلا الله وقيل إن الواو في قوله والراسخون في العلم واو عطف يعني أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه
الراسخون في العلم وهم مع علمهم يقولون آمنا به روي عن ابن عباس أنه كان يقول أنا من الراسخين
في العلم وعن مجاهد أنا ممن يعلم تأويله ووجه هذا القول أن الله تعالى أنزل كتابه لينتفع به عباده
ولا يجوز أن يكون في القرآن شيء لا يعرفه أحد من الأمة وفي المراد بالراسخين في العلم هنا قولان أحدهما
أنهم مؤمنو أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه بدليل قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم
والقول الثاني أن الراسخين هم العلماء العاملون بعلمهم سئل أنس بن مالك عن الراسخين في العلم فقال
العالم العامل بما علم المتبع له وقيل الراسخ في العلم من وجد في علمه أربعة أشياء التقوى فيما بينه وبين
الله والتواضع فيما بينه وبين الناس والزهد فيما بينه وبين الدنيا والمجاهدة فيما بينه وبين النفس
وما يذكر إلا أولو الألباب أي وما يتعظ بما في القرآن إلا ذوو العقول وهذا ثناء من الله عز وجل على
الذين قالوا آمنا به كل من عند ربنا قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا أي ويقول الراسخون في العلم ربنا
لا تزغ قلوبنا أي لا تملها عن الهدى والحق كما أزغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ بعد إذ هديتنا
أي وفقتنا لدين الإيمان بالمحكم والمتشابه من كتابك وهب لنا من لدنك رحمة أي أعطنا توفيقاً
وتثبيتاً للذي نحن عليه من الإيمان والهدى وقيل هب لنا تجاوزاً ومغفرة إنك أنت الوهاب الهبة
العطية الخالية عن الأعواض والأغراض والوهاب في صفة الله تعالى أنه يعطي كل أحد على قدر استحقاقه (م)
عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين
من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب
صرف قلوبنا على طاعتك فهذا من أحاديث الصفات وللعلماء فيه قولان أحدهما الإيمان به وإمراره
كما جاء من غير تعرض لتأويل ولا تكييف ولا لمعرفة معناه بل نؤمن بأنه حق ونكل علم المراد به إلى الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم وهذا القول هو مذهب أهل السنة من سلف الأمة وخلفها من أهل الحديث وغيرهم
والقول الثاني أنه يتأول بحسب ما يليق به وأن ظاهره غير مراد قال تعالى ليس كمثله شيء فعلى هذا المراد

هو المجاز كما يقال فلان في قبضتي وفي كفي لا يراد أنه حال في كفه بل المراد أنه تحت قدرته وفي تصرفه فمعنى الحديث أنه سبحانه
وتعالى متصرف في قلوب عباده وغيرها كيف شاء لا يمتنع عليه منها شيء ولا يفوته ما أراده كما لا
يمتنع على الإنسان ما بين إصبعيه فخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بما يفهمونه ويعلمونه من أنفسهم
وإنما ثنى لفظ الإصبعين والقدرة واحدة لأنه جرى على المعهود من التمثيل بحسب ما اعتادوه
وإن كان غير مقصود به التثنية أو الجمع وهذا مذهب جمهور المتكلمين وغيرهم من المتأخرين وإنما خص
القلوب بالذكر لفائدة وهي أن الله تعالى جعل القلوب محلاً للخواطر والإرادات والنيات وهي مقدمات
الأفعال ثم جعل سائر الجوارح تابعة للقلوب في الحركات والسكنات والله أعلم قوله عز وجل ربنا
إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه أي ليوم القضاء وقيل اللام بمعنى في أي في يوم لا ريب فيه أي لا شك فيه
أنه كائن وهو يوم القيامة إن الله لا يخلف الميعاد هذا من بقية دعاء الراسخين في العلم وذلك أنهم لما طلبوا
من الله تعالى أن يصرف قلوبهم عن الزيغ وأن يخصهم بالهداية والرحمة وذلك من مصالح الدين والدنيا
ثم إنهم استعدوا لذلك بقولهم ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ومعناه إنا نعلم أنك جامع للناس
ليوم لا ريب فيه للجزاء في يوم القيامة ونعلم أن وعدك حق وأنك لا تخلف الميعاد فمن زاغ قلبه
فهو هالك ومن مننت عليه بالهداية والرحمة فهو ناج من العذاب سعيد قوله تعالى إن الذين
كفروا يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم قريظة والنضير لن تغني أي لن تنفع ولن تدفع
عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً أي من عذاب الله شيئاً وقيل من تغني عند أي عند الله
شيئاً وأولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون قال ابن عباس كفعل آل فرعون وصنيعهم في الكفر وقيل
كسنة آل فرعون وقيل كعادة آل فرعون والمعنى أن عادة هؤلاء الكفار في تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجحود الحق كعادة آل فرعون فإنهم كذبوا موسى وصدقوا فرعون والذين من قبلهم يعني كفار الأمم الماضية
مثل عاد وثمود وغيرهم كذبوا بآياتنا يعني التي جاءتهم بها الرسل فأخذهم الله بذنوبهم أي فعاقبهم الله
بسبب تكذيبهم والله شديد العقاب وقيل في معنى الآية إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم
ولا أولادهم عند حلول النقمة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار الأمم الخالية فأخذناهم فلم تغن عنهم
أموالهم ولا أولادهم قوله عز وجل قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون قرئ بالياء والتاء فيهما فمن قرأ
بالياء المنقوطة من تحت فمعناه بلغهم يا محمد أنهم سيغلبون ويحشرون ومن قرأ بالتاء المنقوطة من فوق
فمعناه قل لهم ستغلبون وتحشرون إلى جهنم قيل أراد بالذين كفروا مشركي قريش والمعنى قل
لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون في الآخرة إلى جهنم فلما نزلت هذه الآية قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر
إن الله غالبكم وحاشركم إلى جهنم وقيل إن أبا سفيان جمع جماعة من قومه بعد وقعة بدر فأنزل الله هذه الآية وقيل
إن هذه الآية نزلت في اليهود وقال ابن عباس إن يهود المدينة قالوا لما هزم رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين
يوم بدر هذا والله النبي الذي بشر به موسى لا ترد له راية وأرادوا اتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى
تنظروا وقعة أخرى فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا وغلب عليهم الشقاء
فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة فنقضوا العهد وانطلق كعب بن الأشرف في ستين
راكباً إلى مكة ليستنفرهم فأجمعوا أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وقال ابن عباس
وغيره لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً يوم بدر ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع
وقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد

عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم
فرصة وانا والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فانزل الله عز وجل قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون اي
ستهزمون وتحشرون يعني في الاخرة الى جهنم وبئس المهاد اي الفراش والمعنى بئس ما مهد لهم في النار قوله تعالى
قد كان لكم اية في فئتين التقتا قيل الخطاب للمؤمنين يروى ذلك عن ابن مسعود والحسن وقيل هو
خطاب للكفار فيكون عطفا على الذي قبله ويخرج على قول ابن عباس وقيل هو خطاب لليهود قاله
ابن جرير فان قلت لم قال قد كان لكم اية ولم يقل قد كانت لان الاية مؤنثة قلت كلما ليس بمؤنث حقيقي يجوز
تذكيره وقيل انه رد المعنى الى البيان فمعناه قد كان لكم بيان فذهب الى المعنى وترك اللفظ وقال الفرا
انما ذكره لانه حالت الصفة بين الفعل والاسم المؤنث فذكر الفعل وكلما جا من هذا فهذا وجهه ومعنى الاية قد كان
لكم اية اي عبرة ودلالة على صدق ما اقول انكم ستغلبون في فئتين اي فرقتين واصلها في الحرب لان بعضهم يفي
الى بعض اي يرجع التقتا يعني يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله اي في طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلثون رجلا من الانصار
وكان صاحب راية المهاجرين علي بن ابي طالب وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وكان فيهم سبعون بعيرا
وفرسان وكان معهم من السلاح ستة ادرع وثمانية سيوف قوله تعالى واخرى كافرة اي فرقة اخرى
كافرة وهم مشركوا مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة وكان راسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس
وكان فيهم مائة فرس وكانت وقعة بدر اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة قوله تعالى
يرونهم مثليهم راي العين يعني ترون يا اهل مكة ضعفي المسلمين يا معشر اليهود وذلك ان جماعة من اليهود
كانوا قد حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدائرة فلما راوا المشركين مثلي عدد المسلمين
وراوا النصر للمسلمين فكان ذلك معجزة وقرئ ترونهم بالتاء واختلفوا في وجه قراءة الياء فجعل بعضهم الروية
للمسلمين ثم له تاويلات احدها يرون المسلمين المشركين مثليهم كما هم فان قلت كيف قال مثليهم
وانما كانوا ثلاثة امثالهم قلت هذا مثل قول الرجل وعنده دراهم انا محتاج الى مثلي هذه الدراهم
يعني الى مثليه سواه فيكون ثلاثة دراهم ووجه اخر هو ان الله تعالى اظهر للمسلمين من عدد المشركين
القدر الذي يعلم المؤمنون انهم يغلبونهم لازالة الخوف من قلوبهم وهذا التاويل الثاني هو الاصح قلل
الله المشركين في اعين المسلمين حتى راوهم مثليهم فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى يرونهم مثليهم
وبين قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم وكيف يقال ان المشركين استكثروا
المسلمين او المسلمين استكثروا المشركين وان الكثيرين تساويا في استقلال احداهما الاخرى
قلت ان التقليل والتكثير كان في حالتين مختلفتين فان قلنا ان الفئة الرائية هم المسلمون فانهم
راوا عدد المشركين عند بداية القتال على ما هم عليه ثم قلل الله المشركين في اعين المسلمين حتى اجترؤا عليهم
فصبروا على قتالهم بذلك السبب قال ابن مسعود نظرنا الى المشركين فرايناهم يضعفون علينا ثم نظرنا
فما رايناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وفي رواية اخرى عنه قال لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى
جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة قال فاسرنا منهم رجلا فقلنا له كم كنتم قال الفا وان قلنا ان الفئة
الرائية هم المشركون على قول بعضهم ان الروية راجعة الى المشركين بمعنى يرى المشركون المسلمين مثليهم
فقلل الله المسلمين في اعين المشركين في اول القتال ليجترؤا عليهم ولا ينصرفوا فلما اخذوا في القتال كثر الله
المسلمين في اعين المشركين ليجبنوا فيكون ذلك سبب خذلانهم وقد ورد ان المشركين لما اسروا

يوم بدر قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا كنا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا قالوا يعني المشركين ما كنا نراكم الا تضعفون علينا
فكانت في وقعة بدر احوال في التكثير والتقليل وما ذلك الا اظهار للقدرة التامة وقوله تعالى راي العين اي
راي العين والله يؤيد اي يقوي بنصره من يشاء ان في ذلك يعني الذي ذكر من النصر وقيل روية الجيش
مثليهم لعبرة اي لاية والعبرة الدلالة الموصلة الى اليقين المودية الى العلم واصلها من العبور كانه طريق
يعبرونه فيوصلهم الى مرادهم وقيل العبرة هي التي يعبر منها من منزلة الجهل الى منزلة العلم لاولي
الابصار لذوي العقول السليمة قوله عز وجل زين للناس قال اهل السنة المزين هو الله تعالى لانه تعالى
خالق جميع افعال العباد ولان الله خلق جميع ملاذ الدنيا واباحها لعبيده واباحتها للعبد تزيين لها
فان الله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقال تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده
والطيبات من الرزق وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها وقال تعالى كلوا مما رزقناكم حلالا
طيبا فكل ذلك يدل على ان المزين هو الله تعالى ومما يؤكد ذلك قراءة مجاهد زين بفتح الزاي على تسمية
الفاعل وقال الحسن المزين هو الشيطان وهو قول طائفة من المعتزلة ويدل على ذلك ان الله تعالى
زهد في هذه الاشيا بان اعلم عباده زوالها ولان الله تعالى اطلق حب الشهوات فيدخل فيه
الشهوات المحرمة والمزين لذلك هو الشيطان ولان الله تعالى ذكر هذه الاشيا في معرض الذم للدنيا
ويدل عليه اخر الاية وهو قوله تعالى والله عنده حسن الماب ونقل عن ابي علي الجبائي من
المعتزلة ان ما كان حراما كان المزين له هو الشيطان وكل ما كان مباحا من ذلك كان المزين له هو
الله تعالى والصحيح ما ذهب اليه اهل السنة لان الله تعالى خالق كل شي ولا شريك له في ملكه وقوله حب
الشهوات يعني المشتهيات لان الشهوة توقان النفس الى الشي المشتهاة من النسا انما بدا
بذكر النسا لان الالتذاذ بهن اكثر والاستيناس بهن اتم ولانهن حبائل الشيطان واقرب الى
الافتتان والبنين انما خص البنين بالذكر لان حب الولد الذكر اكثر من حب الانثى ووجه
حبه ظاهر لانه يتكثر به ويعضده ويقوم مقامه وقد جعل الله في قلب الانسان حب الزوجة
والولد لحكمة بالغة وهي بقاء التوالد ولولا تلك المحبة لما حصل ذلك والقناطير المقنطرة جمع قنطار
وسمي قنطارا من الاحكام والعقد يقال قنطرت الشي اذا احكمته ومنه القنطرة اي المحكمة الطاق واختلفوا
في القنطار هل هو محدود او غير محدود على قولين احدها انه محدود ثم اختلفوا في حده فروي عن
معاذ بن جبل ان القنطار الف ومائتا اوقية وقال ابن عباس الف ومائتا مثقال وعنه اثنا عشر
الف درهم او الف دينار دية احدكم وبه قال الحسن وقال سعيد بن جبير هو مائة الف ومن ومائة
رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جا الاسلام يوم جا وبمكة مائة رجل قد قنطروا وقال سعيد
ابن المسيب وقتادة هو ثمانون الفا وقال مجاهد سبعون الفا وقال السدي هو اربعة الاف مثقال
والقول الثاني ان القنطار ليس بمحدود قال الربيع بن انس القنطار المال الكثير بعضه على بعض
وروي عن ابي عبيدة انه حكى عن العرب ان القنطار وزن لا يحد وهو اختيار ابن جرير الطبري وغيره
وقال الحكم القنطار ما بين السماء والارض من مال وقال ابو نضرة القنطار ملء مسك ثور ذهبا
او فضة وقال القنطار من المال ما فيه عبور الحياة تشبيها بعبور القنطرة المقنطرة اي المجموعة
وقيل المضاعفة لان المقنطرة مبني من القنطار والمقنطرة تكون تسعة او تسعة وقيل المقنطرة المسكوكة المنقوشة من
الذهب والفضة لانه في اي نفق والخيل المسومة الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم

والرهط سميت الافراس خيلاً لاختيالها في مشيتها وقيل لان الخيل لا يركبها احد الا وجد في نفسه مخيلة
يعني عجباً واختلفوا في معنى المسومة على ثلاثة اقوال القول الاول انها الراعية يقال اسمت الدابة وسومتها
اذا ارسلتها للرعي والمقصود انها اذا رعت زاد حسنها والقول الثاني انها من السيمة وهي العلامة
ثم القايلون بهذا القول اختلفوا في تلك العلامة فقيل هي الغرة والتحجيل التي تكون في الخيل
وقيل هي الخيل البلق وقيل هي المعلمة بالكي والقول الثالث انها المطهمة الحسان وتسويمها
حسنها والانعام جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا للابل خاصة فانها
غلب عليها ه والحرث يعني الزرع ذلك يعني الذي ذكر من هذه الاصناف ه متاع الحياة الدنيا
اي الذي يستمتع به في الحياة الدنيا وهي زايلة فانية يشير الى ان الحياة الدنيا متاع يفنى ه والله عنده
حسن المآب اي المرجع ففيه اشارة الى التزهد في الدنيا والترغيب في الآخرة وقيل فيه اشارة الى
ان من آتاه الله الدنيا كان الواجب عليه ان يصرفها فيما يكون فيه صلاحه في الآخرة لانها السعادة
القصوى قوله تعالى قل اؤنبئكم اي اخبركم ه بخير من ذلكم يعني الذي من متاع الدنيا ه للذين اتقوا
قال ابن عباس في رواية عنه يريد المهاجرين والانصار اراد ان يعرفهم ويشوقهم الى الآخرة قال العلماء
ويدخل في هذا الخطاب كل من اتقى الشرك ه عند ربهم معناه انه تعالى اخبر انما عنده خير مما كان في
الدنيا وان كان محبوباً ليحثهم على ترك ما يحبون لما يرجون ثم فسر ذكر الخير فقال تعالى جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين وازواج مطهرة ورضوان من الله ق عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير
كله في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احداً من خلقك فيقول
الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واي شي افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم
بعده ابداً وقيل ان العبد اذا علم ان الله تعالى قد رضي عنه كان اتم لسروره واعظم لفرحه ه والله
بصير بالعباد يعني انه تعالى عالم بمن يوثر ما عنده ممن يوثر شهوات الدنيا فيجازي كلا على عمله
فيثيب ويعاقب على قدر الاعمال وقيل انه تعالى بصير بالذين اتقوا فلذلك اعد لهم الجنات قوله عز وجل
الذين يقولون ربنا اننا آمنا اي صدقنا ه فاغفر لنا ذنوبنا اي استرها علينا وتجاوز عنا ه
وقنا عذاب النار قوله تعالى الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين يعني على اداء
الواجبات وعن المحرمات والشبهات وفي البأساء والضراء وحين البأس وقيل الصابرين على
دينهم وعلى ما اصابهم ه والصادقين يعني في ايمانهم وقال قتادة هم قوم صدقت نياتهم
واستقامت السنتهم وقلوبهم في السر والعلانية والصدق يكون في الاقوال والافعال والنية
فاما صدق القول فهو مجانبة الكذب والصدق في الفعل هو الانصراف عنه قبل اتمامه والصدق
في النية العزم على الفعل حتى يبلغه ه والقانتين يعني المطيعين لله وقيل هم المصلون وهو
عبارة عن دوام الطاعة والمواظبة عليها ه والمنفقين يعني اموالهم في طاعة الله تعالى ويدخل فيه نفقة
الرجل على نفسه وعلى اهله واقاربه وصلة رحمه والزكوة والنفقة في جميع القربات والمستغفرين
بالاسحار يعني المصلين بالسحر وهو الوقت بعد طلل الى طلوع الفجر وقيل كانوا يصلون بالليل حتى
اذا كان وقت السحر اخذوا في الدعا والاستغفار فكان هذا دابهم في لياليهم قال نافع كان ابن عمر يحيي
الليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر ويدعو حتى يصبح

ق

ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين
يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له
وفي لفظ لمسلم فيقول انا الملك انا الملك من ذا الذي يدعوني الحديث وله في رواية اخرى فيقول هل من
سايل فيعطى هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح هذا الحديث من
احاديث الصفات وللعلماء فيه وفي امثاله مذهبان معروفان مذهب السلف الايمان به واجراؤه
على ظاهره ونفي الكيفية عنه والمذهب الثاني هو مذهب من يتأول احاديث الصفات قال
ابو سليمان الخطابي انما ينكر هذا الحديث من يقيس الامور على ما يشاهده من النزول الذي هو
تدلي من اعلى الى اسفل وانتقال من فوق الى تحت وهذا صفة الاجسام فاما نزول من لا
يستولي عليه صفات الاجسام فان هذه المعاني غير متوهمة فيه وانما هو خبر عن قدرته ورافته
بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته
كيفية ولا على افعاله كمية سبحانه ليس كمثله شي وهو السميع البصير وقيل في قوله والمستغفرين
بالاسحار وصف الله تعالى هؤلاء بما وصف ثم بين انهم مع ذلك لشدة خوفهم ووجلهم انهم يستغفرون
بالاسحار وروي ان لقمان قال لابنه يا بني لا يكن اعجز من الديك فانه يصوت بالاسحار وانت نايم على
فراشك وقيل هم الذين يصلون صلاة الصبح في جماعة فعلى هذا القول انما سميت الصلاة استغفاراً
لانهم طلبوا بفعلها المغفرة قوله عز وجل شهد الله انه لا اله الا هو قيل في سبب نزول هذه الآية ان حبرين
من احبار الشام قدما على النبي صلى الله عليه وسلم فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة
النبي الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة فقالا له انت محمد قال نعم قالا
وانت احمد قال نعم قالا فانا نسألك عن شي فان انت اخبرتنا به آمنا بك وصدقناك قال سلاني قالا اخبرنا عن
اعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فانزل الله هذه الآية فاسلم الحبران وقيل ان هذه الآية نزلت في
نصارى نجران فيما ادعوا في عيسى عليه السلام فقوله تعالى شهد الله يعني بين الله واظهر لان معنى الشهادة
تبيين واظهار وقيل معنى شهد الله حكم الله وقضى وقيل معناه اعلم الله انه لا اله الا هو وذلك بيان
الدلايل لما امكن التوصل الى معرفة الوحدانية فهو تعالى ارشد عباده الى معرفة توحيده بما
بين من عجايب مصنوعاته وغرايب مبتدعاته قيل لبعض الاعراب ما الدليل على وجود الصانع
فقال ان البعرة تدل على البعير وآثار القدم تدل على المسير فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز
سفلي بهذه الكثافة اما يدلان على وجود الصانع الخبير قال ابن عباس خلق الله تعالى
الارواح قبل الاجساد باربعة آلاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح باربعة آلاف سنة فشهد لنفسه
بنفسه قبل ان يخلق الخلق حين كان ولم يكن سما ولا ارض ولا بر ولا بحر فقال تعالى شهد الله انه لا اله الا
هو والملائكة اي وشهدت الملائكة فمعنى شهادة الله الاخبار والاعلام ومعنى شهادة الملائكة والمومنين الاقرار
والاعتراف بانه لا اله الا هو ولما كان كل واحد من هذين الامرين يسمى شهادة حسن اطلاق لفظ الشهادة
عليهما ه واولوا العلم بانه لا اله الا هو واختلفوا في اولي العلم فقيل هم الانبيا عليهم السلام لانهم اعلم الخلق بالله تعالى
وقيل هم علما اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار وقيل هم علما مومني اهل
الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم علما جميع المومنين ه قايماً بالقسط اي بالعدل نصب
على الحال او القطع او المدح ومعناه انه تعالى قايم بتدبير خلقه كما يقال فلان قايم بامر فلان يعني انه مدبر له

ومنه فهو لا سباب وفلان قائم بحق فلان اي انه مجازيه فالله مدبر امر خلقه وقائم بارزاقهم ومجازيهم باعمالهم ٥
لا اله الا هو انما كرره لانه كيد وقيل ان الاول وصف وتوحيد والثاني رسم تعليم اي قولوا لا اله الا هو وقيل فايدة التكرير
الاعلام بان هذه الكلمة اعظم الكلام واشرفه ففيه حث للعباد على تكريرها والاشتغال بها فانه من اشتغل بها
فقد اشتغل بافضل العبادة ٥ العزيز اي الغالب الذي لا يغلب ٥ الحكيم يعني في جميع افعاله ٥ ان الدين عند الله الاسلام
يعني ان الدين المرضي عند الله هو الاسلام كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه رد على اليهود والنصارى وذلك
لما ادعت اليهود انه لا دين افضل من اليهودية وادعت النصارى انه لا دين افضل من النصرانية فرد الله عليهم
ذلك فقال ان الدين عند الله الاسلام وقرئ ان الدين بفتح الهمزة ردا على ان الاولى والمعنى شهد الله انه لا اله الا هو
وشهد ان الدين عند الله الاسلام واصل الدين في اللغة الجزاء يقال كما تدين تدان ثم صار اسما للملة والشريعة
ومعناه الانقياد للطاعة والشريعة قال الزجاج الدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وامرهم بالاقامة
والاسلام هو الدخول في السلم وهو الاستسلام والانقياد والدخول في الطاعة روى البغوي بسند
الثعلبي عن غالب القطان قال اتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من الاعمش فكنت اختلف اليه فلما كان ذات
ليلة اردت ان انحدر الى البصرة قام من الليل فتهجد فمر بهذه الاية شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم
قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الاعمش وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة
وهي لي عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا قلت سمع فيها شيا فصليت الصبح معه وودعته
ثم قلت اني سمعتك ترددها فما بلغك فيها قال والله لا احدثك بها الى سنة فكتبت على بابه ذلك اليوم واقمت
سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد قد مضت السنة فقال حدثني ابو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله عز وجل ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى
بالعهد ادخلوا عبدي الجنة قوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب قال الكلبي نزلت في اليهود
والنصارى حين تركوا الاسلام والمعنى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ٥
الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم يعني بيان نعته وصفته في كتبهم وقال الربيع ان موسى عليه السلام
لما حضره الموت دعا سبعين رجلا من احبار بني اسرائيل واودعهم التورية واستخلف يوشع بن نون فلما
مضى القرن الاول والثاني والثالث وقع الفرقة والاختلاف بينهم ووقع الشر والاختلاف وذلك بعد
ما جاءهم العلم يعني بيان ما في التورية من الاحكام ٥ بغيا بينهم اي طلبا للملك والرياسة فسلط الله عليهم
الجبابرة وقيل نزلت في نصارى نجران ومعناه وما اختلف الذين اوتوا الكتاب يعني الانجيل واختلافهم
كان في امر عيسى عليه السلام وما ادعوا فيه من الالهية الا من بعد ما جاءهم العلم يعني بان الله تعالى واحد احد
وان عيسى عبده ورسوله بغيا بينهم يعني للمعاداة والمخالفة ٥ ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب
فيه وعيد وتهديد لمن اصر على الكفر من اليهود والنصارى الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل
فان حاجوك اي خاصموك يا محمد في الدين وذلك ان اليهود والنصارى قالوا لسنا على ما سميتنا به يا محمد انما
اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه فامر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يحتج
عليهم بانه اتبع امر الله الذي هم مقرون به بقوله فقل اسلمت وجهي لله اي انقدت له بقلبي ولساني
وجميع جوارحي وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف جوارح الانسان الظاهرة فاذا خضع وجهه لشيء فقد
خضع له سائر جوارحه وقيل اراد بالوجه العمل اي اخلصت عملي لله وقصدت بعبادتي الى الله ٥ ومن اتبعن يعني
ومن اسلم كما اسلمت انا ٥ وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين يعني مشركي العرب ٥ ااسلمتم لفظه استفهام

ومعناه

ومعناه امر اي اسلموا ٥ فان اسلموا فقد اهتدوا يعني الى الفوز والنجاة في الاخرة فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه الاية على اهل الكتاب قالوا قد اسلمنا فقال لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله
ان يكون عيسى عبدا فقال الله تعالى وان تولوا اي اعرضوا ٥ فانما عليك البلاغ يعني تبليغ الرسالة وليس عليك هداهم
واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في الاية فذهب طائفة الى انها محكمة والمراد بها تسلية النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان يحرص
على ايمانهم ويتالم من تركهم الاجابة وذهب طائفة الى انها منسوخة باية السيف لان المراد بها الاقتصار على التبليغ وهذا منسوخ
باية السيف ٥ والله بصير بالعباد يعني انه تعالى عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن قوله عز وجل ان الذين يكفرون بايات الله يعني
بمحمد والقران وينكرونه وهم اليهود والنصارى ٥ ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط
من الناس كان انبياء بني اسرائيل ياتيهم الوحي ولم يكن ياتيهم كتاب لانهم كانوا ملتزمين باحكام التورية فكانوا يذكرون
قومهم فيقتلون انبياءهم فيقوم رجال ممن امن وصدقهم فيذكرونهم ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فيقتلونهم
ايضا فهم الذين يامرون بالقسط يعني بالعدل ٥ من الناس روى البغوي بسند الثعلبي عن ابي عبيدة بن الجراح
قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجل امر بالمنكر ونهى عن المعروف
ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس الى ان انتهى
الى قوله وما لهم من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من
اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم
عن المنكر فقتلوهم جميعا من اخر النهار في ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله في كتابه وانزل الاية فيهم ٥ فبشرهم بعذاب
اليم انما دخلت الفاء في قوله فبشرهم بعذاب اليم مع انه خبر ان لانه في معنى الجزاء والتقدير من كفر فبشرهم
بعذاب اليم يوم القيمة وهذا محمول على الاستعارة وهو ان انذار الكفار بالعذاب قام مقام بشرى المحسنين
بالثواب وفي هذه الاية توبيخ لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان اسلافهم الذين
قتلوا الانبياء لانهم رضوا بفعلهم ٥ اولئك الذين حبطت اي بطلت ٥ اعمالهم في الدنيا والاخرة وبطلان العمل
هو ان لا يقبل في الدنيا ولا يجازى عليه في الاخرة ٥ وما لهم من ناصرين يعني يمنعونهم من العذاب قوله تعالى الم
تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب نزلت في اليهود يدعون الى كتاب الله يعني القران وذلك ان اليهود يدعون
الى كتاب الله دعوا الى حكم القران فاعرضوا عنه قال ابن عباس ان الله جعل القران حكما فيما بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم القران على اليهود والنصارى انهم على غير الهدى فاعرضوا عنه وروي عن
ابن عباس ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل
فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على اي دين انت يا محمد فقال على ملة ابرهيم قالا ان ابرهيم كان يهوديا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا الى التورية فهي بيننا وبينكم فابيا عليه فانزل الله هذه الاية فعلى هذا القول
يكون المراد بكتاب الله التورية وروي عنه ايضا ان رجلا وامراة من اهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم
فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا امرهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا ان تكون عنده رخصة فحكم
عليهما بالرجم فقال النعمان بن اوفى وبحري بن عمرو جرت عليهما يا محمد وليس عليهما الرجم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التورية فقالوا قد انصفت فقال من اعلمكم بالتورية قالوا رجل اعور يقال له عبد الله
ابن صوريا يسكن فدك فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود بالتورية قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالتورية وقال له اقرأ فلما اتى على اية الرجم وضع يده عليها وقرأ ما بعدها فقال عبد الله بن سلام

يا رسول الله قد جاوزتها ثم قام ورفع كفه عنها وقرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود وفيها ان المحصن
والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت المرأة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
باليهوديين فرجما فغضبت اليهود لذلك فانزل الله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني علماء اليهود الذين علموا من
التوراة يدعون الى كتاب الله يعني القرآن او التوراة على اختلاف الروايتين ليحكم بينهم اي ليفصل بينهم واضافة
الحكم الى الكتاب هو على سبيل المجاز ثم يتولى فريق منهم يعني الرؤساء والعلماء وهم معرضون يعني عن الحق وقيل
الذين تولوا هم العلماء والذين اعرضوا هم الاتباع ذلك بانهم يعني ذلك التولي والاعراض انما حصل بسبب انهم قالوا لن
تمسنا النار الا اياما معدودات تقدم تفسيره في سورة البقرة وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون اي
يختلقون ويكذبون قيل هو قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقيل هو قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات وقيل غرهم
قولهم نحن على الحق وانتم على الباطل فكيف اذا جمعناهم اي فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم ليوم اي في يوم لا ريب
فيه اي لا شك فيه انه كائن وواقع وهو يوم القيامة ووفيت كل نفس فيه تهديد واستعظام لما اعد لهم في ذلك اليوم
وانهم يقعون فيما لا حيلة لهم فيه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وطمع فيما لا يكون ولا يحصل
لهم وقيل ان اول راية ترفع لاهل الموقف رايات الكفار وراية اليهود فيفضحهم على رؤوس الاشهاد ثم يأمر بهم
الى النار وهم لا يظلمون اي لا ينقص من حسناتهم ان كانت لهم حسنة ولا يزاد على سيئاتهم قوله عز وجل
قل اللهم مالك الملك قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل ان يجعل ملك فارس والروم
في امته فانزل الله هذه الآية وقال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ووعد امته ملك فارس والروم
قال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم وهم اعز وامنع من ذلك الم يكف
محمدا مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم فانزل الله هذه الآية وقيل ان اليهود قالوا والله لا نطيع رجلا جاء
ينقل النبوة من بني اسرائيل الى غيرهم فنزلت هذه الآية قل اللهم معناه يا الله فلما حذف حرف النداء زيدت الميم في آخره وقيل
ان للميم فيه معنى آخر ومعناه يا الله امنا بخير اي اقصدنا وقيل مالك الملك اي مالك العباد وما ملكوا وقيل مالك ملك
السموات والارض وقيل معناه بيده الملك يؤتيه من يشاء وقيل معناه مالك الملوك ووارثهم يوم لا يدعي الملك
غيره فيكون الغني سوى الخير وسوى كل ما سواه الا انه خص الخير بالذكر لانه المنتفع به والمرغوب فيه انك على كل شيء قدير يعني
من ابناء الملوك من تشاء واعزاز من تشاء واذلال من تشاء قوله تعالى تولج الليل في النهار الآية لما ذكر الله تعالى
انه مالك الملك اردفه بذكر قدرته الباهرة في حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال اخراج الحي من الميت ثم عطف
عليه انه يرزق من يشاء بغير حساب وفي ذلك دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة لذوي الافهام والعقول
قادر على ان ينزع الملك من فارس والروم واليهود ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم فقوله تعالى تولج الليل في
النهار يعني تدخل الليل في النهار وهو ان يجعل الليل قصيرا او ما نقص منه زائدا في النهار حتى يكون النهار خمس عشرة
ساعة وذلك غاية طول النهار ويكون الليل تسع ساعات وذلك غاية قصر الليل وتولج النهار في الليل
حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة وذلك غاية طول الليل ويكون النهار تسع ساعات وذلك قصره وقيل المراد انه
تعالى يأتي بسواد الليل عقيب ضوء النهار ويأتي بضوء النهار بعد ظلمة الليل والقول الاول اصح واقرب الى معنى الآية لانه اذا نقص
الليل كان ذلك القدر زيادة في النهار وبالعكس وهو معنى الولوج وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي
يعني انه تعالى يخرج الانسان الحي من النطفة وهي ميتة ويخرج النطفة من الانسان ويخرج الفرخ وهو حي من البيضة وهي ميتة
وبالعكس وهو معنى الولوج وكذلك سائر الحيوان وقيل يخرج النبات الغض الاخضر من الحب اليابس ويخرج الحب اليابس من النبات
وبالعكس وقيل معناه انه تعالى يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لان المؤمن حي الفؤاد والكافر ميته

غاية

وترزق

دونهم

وترزق من تشاء بغير حساب يعني من غير تضييق ولا تقتير بل تبسط الرزق لمن تشاء وتوسعه عليه قوله تعالى
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين قال ابن عباس كان الحجاج بن عمرو بن ابي الحقيق وقيس بن زيد يبطنون
بنفر من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا
هؤلاء اليهود لا يفتنونكم عن دينكم فابى اولئك النفر الا مباطنتهم فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في حاطب بن
ابي بلتعة وغيره ممن كان يظهر المودة لكفار مكة وقيل نزلت في عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتولون
المشركين واليهود ويأتونهم بالاخبار ويرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه
الآية ونهى المؤمنين عن مثل ذلك وقيل ان عبادة بن الصامت كان له حلفاء من اليهود فقال يوم الاحزاب
يا رسول الله ان معي خمسمائة من اليهود وقد رأيت ان استظهر بهم على العدو فانزل الله هذه الآية وقوله
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء يعني انصارا واعوانا من دون المؤمنين يعني من غير المؤمنين والمعنى لا
يجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن نهى الله المؤمنين ان يوالوا الكفار او يلاطفوهم لقرابة بينهم او محبة
او معاشرة والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان ومن يفعل ذلك يعني موالاة
الكفار من نقل الاخبار اليهم واظهار عورة المسلمين او يودهم ويحبهم فليس من الله في شيء اي فليس
من دين الله في شيء وقيل معناه فليس من ولاية الله في شيء وهذا امر معقول من ولاية المولى معاداة اعدائه
وموالاة الله وموالاة الكفار ضدان لا يجتمعان الا ان تتقوا منهم تقاة اي الا ان تخافوا منهم مخافة
ومعنى الآية ان الله نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم الا ان يكون الكفار غالبين ظاهرين
او يكون المؤمن في قوم كفار فيداهنهم بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان دفعا عن نفسه من غير ان يستحل
دما حراما او مالا حراما او غير ذلك من المحرمات او يطلع الكفار على عورة المسلمين والتقاة لا تكون الا مع
خوف القتل مع سلامة النية قال الله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ثم هذه التقية رخصة فلو صبر
على اظهار ايمانه حتى قتل كان له بذلك اجر عظيم وانكر قوم التقية اليوم وقالوا انما كانت التقية في جدة
الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فاما اليوم فقد اعز الله الاسلام والمسلمين فليس لاهل
الاسلام ان يتقوا من عدوهم قال يحيى البكاء قلت لسعيد بن جبير في ايام الحجاج ان الحسن يقول لكم التقية باللسان
والقلب مطمئن بالايمان فقال سعيد ليس في الاسلام تقية انما التقية في الحرب وقيل انما تجوز التقية لصون
النفس عن الضرر لان دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان ويحذركم الله نفسه اي يخوفكم الله ان تعصوه
بان ترتكبوا المنهي او تخالفوا المأمور او توالوا الكفار فتستحقوا عقابه على ذلك كله والى الله المصير يعني ان
الله يحذركم عقابه اذا صرتم اليه في الآخرة قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم يعني ما في قلوبكم من موالاة الكفار
ومودتهم وانما ذكر الصدور لانها وعاء القلب او تبدوه اي تظهروا مودة الكفار قولا وفعلا وقيل معناه
ان تخفوا ما في قلوبكم من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم او تبدوه اي تظهروه بالحرب والمقاتلة له
يعلمه الله اي يحفظه عليكم ويجازيكم به ويعلم ما في السموات وما في الارض يعني انه تعالى اذا كان لا يخفى
عليه شيء في السموات ولا في الارض فكيف يخفى عليه حالكم وموالاتكم الكفار وميلكم اليهم بقلوبكم والله
على كل شيء قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا يعني تجد كل نفس جزاء ما عملت محضرا يوم القيامة
لم ينقص ولم يبخس منه شيء وما عملت من سوء تجد ما عملت من الخير محضرا فتسر به وما عملت من
سوء تود اي تتمنى لو ان بينها وبينه اي بين ما عملت من السوء امدا بعيدا اي مكانا بعيدا
قيل كما بين المشرق والمغرب والامد الاجل والغاية وقيل معناه تود انها لم تعمله ويكون بينها

وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه انما كرره لتأكيد الوعيد والله رءوف بالعباد قيل معناه انه رءوف بهم
حيث حذرهم نفسه وعرفهم كمال قدرته وعلمه وانه يمهل ولا يهمل وقيل معناه انه رءوف بالعباد حيث امهلهم للتوبة
وليتدارك العمل الصالح وقيل انه تعالى لما قال ويحذركم الله نفسه وهو وعيد اتبعه بقوله والله رءوف بالعباد وهو
وعد ليعلم العبد المومن ان رحمته ووعده غلبت وعيده وسخطه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الاية
نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فنزلت هذه الاية فعرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليهم فلم يقبلوها وقال ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم
وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم
ملة ابيكم ابرهيم واسمعيل فقالت قريش انما نعبدها حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فنزلت هذه الاية وقيل
ان نصارى نجران قالوا انما نقول هذا القول في عيسى حبا لله وتعظيما له فانزل الله قل يا محمد ان كنتم تحبون الله
فيما تزعمون فاتبعوني يحببكم الله لانه قد ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالدلايل الظاهرة والمعجزات الباهرة
فوجب على كافة الخلق متابعته والمعنى قل ان كنتم صادقين في ادعاء محبة الله فكونوا منقادين لاوامره
ومطيعين له فاتبعوني فان اتباعي من محبة الله وطاعته قال العلماء ان محبة العبد لله عبارة
عن اعظامه واجلاله وايثار طاعته واتباع امره ومجانبة نهيه ومحبة الله للعبد ثناؤه عليه ورضاه عنه
وثوابه له وعفوه عنه فذلك قوله تعالى ويغفر لكم ذنوبكم يعني ان من غفر له فقد ازال عنه العذاب والله غفور
رحيم يعني انه تعالى يغفر ذنوب من احبه ويرحمه بفضله وكرمه ولما نزلت هذه الاية قال عبد الله بن ابي
سلول راس المنافقين لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويامرنا ان نحبه كما احبت النصارى عيسى
ابن مريم فانزل الله عز وجل قل اطيعوا الله والرسول يعني ان طاعة الله متعلقة بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فان
طاعته لا تتم مع عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الشافعي رحمه الله كل امر او نهي ثبت عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم جرى ذلك في الفرضية واللزوم مجرى ما امر الله به في كتابه او نهى عنه قال ابن عباس فان
طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعتكم لي فاما ان تطيعوني وتعصوا محمدا فلن اقبل منكم فان تولوا اي
اعرضوا عن طاعة الله ورسوله فان الله لا يحب الكافرين اي لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم خ عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة
ومن عصاني فقد ابى ق عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله
ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني قوله عز وجل ان الله اصطفى ادم ونوحا قال ابن عباس
قالت اليهود نحن من ابناء ابرهيم واسحق ويعقوب ونحن على دينهم فانزل الله هذه الاية والمعنى ان الله اصطفى ادم
ونوحا قال ابن عباس قالت هولاء بالاسلام وانتم يا معشر اليهود على غير دين الاسلام ومعنى اصطفى اختار من
الصفوة وهي الخالص من كل شيء ادم هو ابو البشر ادم عليه السلام ونوحا هو نوح بن لمك بن متوشلخ بن
اخنوخ وهو ادريس عليه السلام وحكى ابن الجوزي في تفسيره عن ابي سليمان الدمشقي ان اسم نوح السكن وانما
سمي نوحا لكثرة نوحه على نفسه وال ابرهيم قيل اراد بال ابرهيم ابرهيم نفسه وقيل ال ابرهيم اسمعيل واسحق
ويعقوب وذلك ان الله تعالى جعل ابرهيم عليه السلام اصلا للشعبتين فجعل اسمعيل ابن ابرهيم عليهما
السلام اصلا للعرب ومحمد صلى الله عليه وسلم منهم فهو داخل في هذا الاصطفا وجعل اسحق اصلا لبني اسرائيل وجعل
فيهم النبوة والملك الى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم جمع له ولامته النبوة والملك الى يوم القيامة وقيل اراد بال ابرهيم
من كان على دينه وال عمران واختلفوا في عمران هذا فقيل هو عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وهو

والد موسى وهرون فيكون ال عمران موسى وهرون او نفسه وقيل هو عمران بن اشيم بن امون وقيل ابن ماثان
وهو من ولد سليمان بن داود عليهما السلام وعمران هذا هو والد مريم وابنها عيسى فعلى هذا يكون المراد
بال عمران مريم وابنها عيسى عليهما السلام وانما خص هولاء بالذكر لان الانبياء والرسل من نسلهم على العالمين
اي اختارهم واصطفاهم على العالمين بان خصهم من النبوة والرسالة ذرية بعضها من بعض يعني ان الذرية واصلها من
ذرا يعني خلق وقيل من الذر لان الله استخرجهم من ظهر ادم كالذر وانما سمي الاباء والابناء ذرية لان الله خلق
بعضهم من بعض فالابناء من ذرية الاباء والاباء من ذرية ادم وهو من ذرا الله تعالى اي خلقه بعضها من
بعض اي بعضها من ولد بعض وقيل بعضها من بعض في التناصر والتعاضد وقيل بعضها على دين
بعض والله سميع عليم يعني انه تعالى سميع لاقوال العباد عليم بنياتهم وانما يصطفي لنبوته ورسالته
من يعلم استقامته قولا وفعلا قوله تعالى اذ قالت امرأة عمران هي حنة بنت فاقوذ ام مريم وعمران
هو عمران بن ماثان وقيل ابن اشيم وليس بعمران ابي موسى لان بينهما الف وثمان ماية سنة وكان بنوا
ماثان رؤوس بني اسرائيل في ذلك الزمن واحبارهم وملوكهم رب اني نذرت لك ما في بطني محررا اي جعلت الحمل الذي
في بطني نذرا محررا مني لك والنذر ما يوجبه الانسان على نفسه ومعنى محررا اي عتيقا خالصا
مفرغا لعبادة الله وخدمة الكنيسة لا اشغله بشي من امور الدنيا وقيل كان المحرر عندهم اذا حرر جعل
في الكنيسة فيقوم عليها ويخدمها ولا يبرح مقيما فيها حتى يبلغ الحلم ثم يخير فان احب اقام فيها وان
احب ذهب حيث شاء فان اراد الخروج بعد ان اختار الاقامة في الكنيسة لم يكن له ذلك ولم يكن
احد من انبياء بني اسرائيل وعلمائهم الا ومن اولاده محررة لخدمة بيت المقدس ولم يكن لما يصيبها من
الحيض والاذى فحررت ام مريم ما في بطنها وكانت القصة في ذلك على ما ذكره اصحاب السير والاخبار
ان زكريا وعمران تزوجا اختين فكانت اشاع بنت فاقوذ وهي ام يحيى عند زكريا وكانت حنة بنت
فاقوذ اخت اشاع عند عمران وهي ام مريم وكان قد امسك عن حنة الولد حتى اسنت وكبرت وكانوا اهل
بيت صالحين وهم من الله بمكان فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطاير يطعم فرخا فتحركت نفسها لذلك للولد
فدعت الله ان يهب لها ولدا وقالت اللهم لك علي ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس
فيكون من سدنته وخدمته فلما حملت بمريم فحررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها ويحك
ما صنعت ارايت ان كانت ما في بطنك انثى فلا يصلح لذلك فوقعا جميعا في هم شديد من اجل ذلك
ومات عمران قبل ان تضع حنة حملها ثم قال تعالى حاكيا عنها فتقبل مني يعني نذري والتقبل اخذ
الشي على الرضا واصله من المقابلة لانه يقابل بالجزاء وهذا سوال من لا يريد بما فعله الا الطلب لرضا الله تعالى
والاخلاص في دعايه وعبادته انك انت السميع يعني لتضرعي ودعايي العليم يعني بما في نيتي
قوله عز وجل فلما وضعتها اي وضعت حملها وانما قال وضعتها لانه كان في علم الله انها جارية وكانت
حنة ترجو ان يكون غلاما قالت رب اني وضعتها انثى تريد بذلك اعتذارا الى الله تعالى من اطلاقها
النذر المتقدم فذكرت ذلك على سبيل الاعتذار لا على سبيل الاعلام لان الله تعالى عالم بما في بطنها
قبل ان تضعه والله اعلم بما وضعت قرئ بجزم التاء اخبارا عن الله تعالى والمعنى ان الله تعالى
قال والله اعلم بالشي الذي وضعت وقرئ وضعت برفع التاء وهو من كلام ام مريم على تقدير انها لما
قالت رب اني وضعتها انثى خافت ان يكون اخبرت الله تعالى بذلك فازالت هذه الشبهة بقولها والله اعلم
بما وضعت وليس الذكر كالانثى يعني في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها وفي الكلام تقديم وتاخير تقديره

وليس الانثى كالذكر والمراد منه تفضيل الذكر على الانثى لان الذكر يصلح لخدمة في الكنيسة ولا تصلح الانثى لذلك لضعفها
وما يحصل لها من الحيض ولانها عورة ولا يجوز لها الحضور مع الرجال وقيل في معنى الاية ان المقصود منها هو تفضيل
هذه الانثى على الذكر كانها قالت كان الذكر مطلوبا لخدمة المسجد ونفس هذه الانثى هي موهبة الله تعالى وكانت مريم
من اجمل النساء وافضلهن في وقتها ۞ واني سميتها مريم يعني العابدة والخادمة وهو بلغتهم واردت بهذه التسمية
ان يفضلها الله على اناث الدنيا ۞ واني اعيذها بك وذريتها اي امنعها واجيرها بك وذريتها ۞ من الشيطان
الرجيم يعني اللعين الطريد وذلك ان حنة ام مريم لما فاتها ما كانت تطلب من ان يكون ولدها ذكرا فاذا هي انثى
تضرعت الى الله تعالى ان يحفظها ويعصمها من الشيطان الرجيم وان يجعلها من الصالحات العابدات (ق) عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من بني ادم مولود الا يمسه الشيطان حين يولد
فيستهل صارخا من مسه اياه الا مريم وابنها ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم واني اعيذها بك وذريتها
من الشيطان الرجيم وللبخاري عنه قال كل ابن ادم يطعن الشيطان في جنبيه باصبعيه حين يولد غير عيسى بن
مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب ۞ قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن يعني تقبل الله مريم من حنة
مكان الذكر المحرر يعني قبل ورضي قال الزجاج الاصل في العربية تقبلها بتقبل ولكن قبول محمول على
قبلها قبولا كما يقال قبلت الشيء قبولا ويجوز قبولا اذا رضيته وقال ابو عمرو لم يسمع في المصادر فعول بفتح الفاء
الا هذا ولم اسمع فيه الضم وقيل معنى التقبل والقبول واحد وهما مصدران وهو ان ير الشيء [illegible]
وقيل معنى التقبل التكفل في التربية والقيام بشانها وانما قال بقبول ليجمع بين الامرين يعني
التقبل الذي بمعنى التكفل والقبول الذي هو بمعنى الرضى وانبتها نباتا حسنا معنا ۞ وانبتها نباتا
هي نباتا حسنا قال ابن عباس في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن اي سلك بها طريق السعداء
وانبتها نباتا حسنا يعني سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في اليوم ما ينبت
المولود في عام ۞ وكفلها زكريا قال اهل الاخبار لما ولدت حنة مريم اخذتها فلفتها في خرقة
وحملتها الى المسجد فوضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلي الحجبة
من الكعبة وقالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال
لهم زكريا انا احق بها لان خالتها عندي فقال له الاحبار لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التي ولدتها ولكنا
نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه بها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار وهو الاردن فالقوا قيل
اقلامهم في الماء على ان من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو اولى بها من غيره وكان على كل قلم مكتوب اسم واحد منهم
وقيل بل كانوا يكتبون التورية فالقوا اقلامهم التي كانت بايديهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء وصعد فوق
الجري ووقف وانحدرت اقلامهم ثم رسبت في النهر وقيل جرى قلم زكريا الى اعلى وجرت اقلامهم مع جري
الماء الى اسفل فسهمهم زكريا وقرعهم وكان زكريا راس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها
زكريا قرئ بالتشديد في الفاء فمعناه ۞ وضمها الله زكريا وضمها اليه بالقرعة وقرئ بتخفيف الفاء ومعناه
وضمها زكريا الى نفسه بالقرعة وقام بامرها وهو زكريا بن اذن بن مسلم بن صدوق من اولاد سليمان بن
داود عليه السلام فلما ضم زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها المراضع وقيل ضمها الى خالتها
ام يحيى حتى اذا نشات وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا في المسجد وجعل بابه في وسطه ولا يرقى اليه الا بسلم
ولا يصعد اليها غيره وكان ياتيها بطعامها وشرابها كل يوم فذلك قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب
يعني الغرفة والمحراب اشرف المجالس ومقدمها وكذلك هو من المسجد وقيل المحراب ما يرقى اليه بدرج

وقيل

وقيل كان زكريا يغلق عليها سبعة ابواب فاذا دخل عليها المحراب ۞ وجد عندها رزقا يعني فاكهة في غير وقتها
فكان يجد عندها فاكهة الشتاء ۞ قال يعني زكريا ۞ يا مريم انى لك هذا اي من اين لك هذه الفاكهة ۞
قالت يعني قالت مريم مجيبة لزكريا ۞ هو من عند الله يعني من الجنة وقيل ان مريم من حين ولدت
لم تلقم ثديا بل كان ياتيها رزقها من الجنة فيقول زكريا يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله تكلمت وهي
صغيرة في المهد كما تكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير في المهد وقال محمد بن اسحق اصابت بني اسرائيل
ازمة وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها وكفالتها فخرج على بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل
تعلمون والله لقد كبرت سني وضعفت عن حمل بنت عمران فايكم يكفلها بعدي فقالوا والله لقد جهدنا
واصابنا من السنة ما ترى فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج
السهم لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم لمريم فحملها فعرفت مريم في وجهه شدة ذلك
عليه فقالت له يا يوسف احسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فصار يوسف يرزق بمكانها
منه فكان ياتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا دخله عليها في المحراب انماه الله وزاده فيدخل
زكريا عليها فيقول يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ۞ ان الله يرزق من يشاء بغير حساب
وهذا يحتمل ان يكون من تمام كلام مريم او ابتداء كلام من الله عز وجل ومعناه انه تعالى يرزق
من يشاء بغير تقدير لكثرته او من غير سبب وفي هذه الاية دليل على جواز كرامات الاولياء وظهور
خوارق العادات على ايديهم قال اهل الاخبار فلما راى زكريا ذلك قال ان الذي قدر على ان ياتي مريم
بالفاكهة في غير وقتها وحينها من غير سبب لقادر على ان يصلح زوجي ويهب لي ولدا في غير حينه
مع الكبر فطمع في الولد وذلك ان اهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد كبر وشاخ وايس
من الولد فذلك قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه يعني انه عليه السلام دخل محرابه واغلق الابواب
وسال ربه الولد ۞ قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة يعني انه قال يا رب اعطني من عندك
ولدا مباركا تقيا صالحا رضيا والذرية تطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد بها هنا الواحد
وانما قال طيبة لتانيث لفظ الذرية ۞ انك سميع الدعاء اي سامعه ومجيبه ۞ قوله عز وجل فنادته
الملائكة يعني جبريل عليه السلام وانما اخبر عنه بلفظ الجمع تعظيما لشانه ولانه رئيس الملائكة وقل ان
يبعث الا ومعه جمع من الملائكة فجرى ذلك على مجرى العادة ۞ وهو قائم يصلي في المحراب اي في المسجد
وذلك ان زكريا عليه السلام كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان ويفتح باب المذبح فلا يدخلون حتى ياذن
لهم في الدخول فبينما هو قائم يصلي في محرابه عند المذبح والناس ينتظرون ان ياذن لهم في الدخول
اذا هو برجل شاب عليه ثياب بياض ففزع زكريا منه فناداه جبريل عليه السلام يا زكريا ان الله
يبشرك بيحيى اي بولد اسمه يحيى قال ابن عباس سمي يحيى لان الله تعالى احيى به عقر امه وقيل لان
الله احيا قلبه بالايمان وقيل لان الله احياه بالطاعة حتى لم يهم بمعصية قط ۞ مصدقا بكلمة
من الله يعني بعيسى بن مريم وانما سمي عيسى عليه السلام كلمة لان الله تعالى قال له كن فكان من غير اب
دلالة على كمال القدرة فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها كان وقيل سمي كلمة لان الله تعالى بشر به مريم
على لسان جبريل وقيل لان الله تعالى اخبر الانبياء الذين قبله في كتبه المنزلة عليهم انه يخلق
نبيا من غير واسطة اب فلما جاء قيل هذا هو تلك الكلمة يعني الوعد الذي وعد انه لا يخلفه كذلك وكان
يحيى اول من امن بعيسى وصدقه وكان يحيى اكبر من عيسى بستة اشهر وكانا ابني خالة وقتل يحيى قبل ان

يرفع عيسى عليه السلام وقيل ان ام يحيى لقيت ام عيسى وهما حاملتان فقالت ام يحيى لام عيسى
يا مريم اشعرت اني حامل فقالت مريم وانا ايضا حامل فقالت ام يحيى اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك
فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله يعني ان يحيى آمن بعيسى وصدق به وسيدا يعني سادا يسود والسيد
هو الرئيس الذي يتبع وينتهى الى قوله وكان يحيى عليه السلام سيد المؤمنين ورئيسهم في الدين والعلم والحلم
وقيل السيد هو الحسن الخلق وقيل الذي يطيع ربه وقيل هو الفقيه العالم وقيل سيدا في العلم والعبادة
والورع وقيل السيد هو الحليم الذي لا يغضبه شيء وقيل السيد هو الذي يفوق قومه في جميع خصال
الخير وقيل هو السخي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني سلمة قالوا جد بن قيس على انا نبخله قال واي
داء ادوى من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجموح وحصورا قال ابن عباس وغيره من المفسرين الحصور
الذي لا ياتي النساء ولا يقربهن فعلى هذا هو فعول بمعنى فاعل يعني انه حصر نفسه عن الشهوات واصله من
الحصر وهو الحبس وقيل هو العنين وقيل هو الفقير الذي لا مال له فيكون الحصور بمعنى المحصور يعني الممنوع
من النساء قال سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع ذلك ليغض بصره وفيه قول آخر
وهو ان الحصور هو الممتنع عن الوطء مع القدرة عليه وانما تركه للعفة والزهد وهذا القول هو الصحيح وهو
قول جماعة من المحققين وهو اليق بمنصب الانبياء لان الكلام انما خرج مخرج المدح والثناء وذكر صفة
النقص في معرض المدح لا يجوز وايضا فان منصب النبي يجل من ان يضاف الى احد منهم نقص او انه حمل
الكلام على منع النفس عن الوطء مع القدرة عليه اولى من حمله على ترك الوطء مع العجز عنه ونبيا من الصالحين يعني انه من اولاد الانبياء
الصالحين قوله تعالى قال يعني زكريا رب اي يا رب قيل هو خطاب مع جبريل لان الآية المتقدمة دلت على ان الذي نادا
هم الملائكة فعلى هذا القول يكون الخطاب بالرب هنا بمعنى السيد والمربي اي يا سيدي وقيل انه خطاب مع
الله تعالى فيكون الرب بمعنى المالك وذلك ان الملائكة لما بشروه بالولد تعجب ورجع في ازالة ذلك التعجب الى الله تعالى
فقال رب انى يكون لي غلام يعني من اين يكون وكيف يكون لي غلام وقد بلغني الكبر قيل هو من المقلوب
ومعناه وقد بلغت الكبر وشخت وقيل معناه وقد نالني الكبر وادركني الضعف فان قلت كيف انكر
زكريا الولد مع تبشير الملائكة اياه وما معنى هذه المراجعة ولم تعجب من ذلك بعد وعد الله اياه به الا كان شاكا
في وعد الله او في قدرته قلت لم يشك زكريا عليه السلام في وعد الله وقدرته وانما قال ذلك على سبيل الاستفهام والاستعلام
والعجب اي من اي جهة يكون لي الولد ايكون بازالة العقر عن زوجتي ورد شبابي علي او يكون ونحن على حالنا من الكبر والضعف
فاجابه بقوله كذلك الله يفعل ما يشاء وقال السدي وعكرمة لما سمع زكريا نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا
ان الصوت الذي سمعت ليس هو من الله وانما هو من الشيطان ولو كان من الله لاوحاه اليك كما يوحي اليك في سائر
الامور وانما هو من الشيطان ولو كان من الله لاوحاه فقال ذلك زكريا دفعا للوسوسة واعترض على الجواب بانه لا
يجوز ان يشتبه على الانبياء كلام الملائكة بكلام الشيطان اذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق باخبارهم عن الوحي
السماوي واجيب عن هذا الاعتراض بانه لما دلت الدلائل على صدق الانبياء فيما يخبرون به عن الله تعالى بواسطة
الملك فلا مدخل للشيطان فيه وذلك فيما يتعلق بالدين والشرائع فاما ما يتعلق بمصالح الدنيا وبالولد
فقد يحتمل فيه حصول الوسوسة فسال زكريا ذلك لنزول هذه الوسوسة من خاطره قال الكلبي كان زكريا يوم
بشر بالولد ابن اثنين وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين سنة وقال ابن عباس في رواية الضحاك كان ابن مائة
وعشرين سنة وكانت امراته بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر اي عقيم لا تلد قال كذلك الله يفعل ما
يشاء يعني انه تعالى لقادر على هبة الولد على الكبر يفعل ما يشاء لا يعجزه شيء قوله عز وجل قال يعني زكريا رب اجعل لي آية

اي علامة اعلم بها وقت حمل امراتي فازيد في العبادة والشكر لك قال آيتك اي علامتك على الذي طلبت معرفته
علمه الا تكلم الناس اي لا تقدر على تكلم الناس ثلاثة ايام اي مدة ثلاثة ايام بلياليها قال جمهور المفسرين
عقل لسانه عن تكلم الناس ثلاثة ايام مع ابقائه على قدرة التسبيح والذكر يدل عليه قوله في آخر الآية
واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام منعك من تكلم الناس وهذه من الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة
لان قدرته على التسبيح والذكر مع عجزه عن تكلم الناس بامور الدنيا وذلك مع صحة الجسم وسلامة الجوارح من
اعظم المعجزات وانما منع الكلام مع الناس ليتخلص في هذه الايام لعبادة الله وذكره ولا يشغل لسانه بشيء آخر توفرا
منه على قضاء حق هذه النعمة الجسيمة وليشكر الله على اجابته فيما طلب الآية من اجله وان يكون ذلك دليلا له على
وجود الحمل ليتم سروره بذلك وقال قتادة انما امسك لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة
اياه ببشارة الولد فلم يقدر على الكلام ثلاثة ايام الا رمزا يعني الا اشارة والاشارة قد تكون باليد وبالعين
وبالحاجب وبالراس وكانت اشارته بالاصبع المسبحة وقيل الرمز قد يكون باللسان من غير تبيين الكلام وهو
الصوت الخفي شبه الهمس وقيل اراد به صوم ثلاثة ايام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا والقول الاول اصح لموافقة
اهل اللغة عليه واذكر ربك كثيرا اي انك لا تمنع من ذكره ولا يحال بينك وبينه وسبح اي وعظم ربك ونزهه
عن النقائص وقيل وصل لربك وسميت الصلاة تسبيحا لان فيها تنزيه الرب سبحانه وتعالى بالعشي
والابكار فاما العشي فهو ما بين زوال الشمس الى غروبها ومنه سمي صلاة الظهر والعصر صلاة العشي والابكار
هو ما بين طلوع الفجر الى الضحى قوله تعالى واذ قالت الملائكة يعني جبريل عليه السلام يا مريم ان الله
اصطفاك اي اختارك وطهرك يعني من مسيس الرجال وقيل من الحيض والنفاس وكانت مريم
لا تحيض وقيل من الذنوب واصطفاك اي واختارك على نساء العالمين اي على عالمي زمانها وقيل
على جميع نساء العالمين فان قلت هل فرق بين الاصطفاء الاول والثاني قلت ذكر العلماء في معناهما
وجوها تحصل منها الفرق فقيل في معنى الاصطفاء الاول ان الله تعالى اختار مريم وقبلها منذورة
محررة ولم تحرر قبلها انثى ولم يحصل ذلك لغيرها من النساء وان الله بعث اليها رزقها من عنده
وكفلها زكريا ومعنى الاصطفاء الثاني ان الله تعالى وهب لها عيسى من غير اب واسمعها كلام الملائكة
ولم يحصل ذلك لغيرها من النساء (ق) عن علي بن ابي طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير
نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد قال ابو كريب واشار وكيع الى السماء والارض قيل اراد
بهذه الاشارة تفسير الضمير في قوله خير نسائها ومعناه انها خير كل نساء بين السماء والارض قال الشيخ
محيي الدين النووي والاظهر ان معناه ان كل واحدة منهما خير نساء الارض في عصرها واما التفضيل
بينهما فمسكوت عنه (ق) عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء
الا مريم بنت عمران وآسية امراة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام
قال العلماء معناه ان الثريد من كل طعام افضل من المرق وثريد اللحم افضل من مرقه بلا ثريد وثريد ما لا لحم
فيه افضل من مرقه بغير ثريد وفضل عائشة على النساء كزيادة فضل الثريد على غيره وليس في هذا تصريح
بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال ان المراد تفضيلها على نساء هذه الامة عن انس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية
امراة فرعون اخرجه الترمذي قوله عز وجل يا مريم اقنتي لربك اي قالت الملائكة لها شفاها اطيعي ربك وقيل
معناه اطيلي القيام في الصلاة لربك قال الاوزاعي لما قالت لها ذلك قامت حتى تورمت قدماها وسالت

دعا وتنبيه وحكي عن مجاهد نحوه واسجدي واركعي مع الراكعين انما قدم السجود على الركوع لان الواو لا تقتضي
الترتيب انما هي للجمع كانه قال لها افعلي الركوع والسجود وقيل انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك
في شريعتهم وقال ابن الانباري امرها الله امرا عاما وحضها على فعل الخير فكانه قال استعملي السجود
والركوع في كل حال ولم يرد تقديم السجود على الركوع بل اراد العموم بالامر على اختلاف الحالين وانما قال
مع الراكعين ولم يقل مع الراكعات لان لفظ الراكعين اعم فيدخل فيه الرجال والنساء والصلاة مع الرجال
افضل واتم وقيل معناه افعلي كفعل الراكعين وقيل المراد به الصلاة في جماعة اي صلي مع المصلين
جماعة قوله تعالى ذلك من انباء الغيب يقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك الذي ذكرته لك من حديث
زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من اخبار الغيب نوحيه اليك اي نلقيه اليك يا محمد لانه لا يمكن
ان تعلم اخبار الامم الماضين الا بوحي منا اليك وانما قال نوحيه لانه رد الضمير الى ذلك فلذلك ذكر اللفظ
وما كنت يعني يا محمد لديهم هنالك عندهم اذ يلقون اقلامهم يعني التي كانوا يكتبون بها في الماء الجاري
الاقداح ايهم يكفل مريم يعني يحضنها ويقوم بمصالحها قيل سبب منازعتهم في كفالة مريم حتى اقترعوا
على ذلك انها كانت بنت عمران وكان رئيسهم وكبيرهم فلاجل ذلك رغبوا في كفالتها وقيل لان امها حررتها
لعبادة الله وخدمة المسجد وكان ابوها قد مات فلاجل ذلك رغبوا في كفالتها وما كنت لديهم اذ يختصمون
يعني في كفالتها وتربيتها قوله عز وجل اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه معناه وما كنت لديهم
اذ يختصمون وما كنت لديهم اذ قالت الملائكة يعني جبريل عليه السلام يا مريم ان الله يبشرك والبشارة اخبار المرء
بما يسره من خير بكلمة منه يعني برسالة من الله وخبر من عنده فهو كقول القائل القى الي فلان كلمة سرني بها اي اخبرني
خبرا فرحت به معنى الاية اذ قالت الملائكة لمريم يا مريم ان الله يبشرك ببشرى من عنده وهي ولد يكون لك من
غير بعل ولا فحل وذكر الولد اسمه المسيح عيسى ابن مريم وقال قتادة في قوله تعالى بكلمة منه هو قوله تعالى
كن فسماه الله كلمة لانه كان عن الكلمة التي هي كن كما يقال لما قدر الله من شيء هذا قدر الله وقضاء الله يعني ان
هذا الامر عن قدره وقضائه حدث وقال ابن عباس الكلمة هي عيسى عليه السلام وانما سماه كلمة لانه وجد عن
الكلمة التي هي كن فان قلت ان كل مخلوق انما يوجد بواسطة الكلمة التي هي كن فلم خص عيسى عليه السلام
بهذا الاسم وسماه كلمة دون غيره قلت ان كل مخلوق وان وجد حدوثه وخلقه بواسطة الكلمة الا ان
هذا السبب ما هو المتعارف ولما كان حدوث عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة من غير واسطة اخرى
فلا جرم كان اضافة حدوثه الى الكلمة اتم واكمل فبهذا التاويل حسن ان يسمى عيسى عليه السلام نفس الكلمة
لانه حدث عنها فان قلت الضمير في قوله اسمه عائد الى الكلمة وهي مؤنثة فلم ذكر الضمير قلت لان المسمى
بها مذكر فلهذا ذكر الضمير فان قلت لم قال اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة الاسم منها واحد
وهو عيسى واما المسيح فلقب وابن مريم صفة قلت الضمير في قوله اسمه يرجع الى عيسى والمسمى علامة يعرف
بها ويتميز بها عن غيره فكانه قال الذي يعرف به ويتميز به عمن سواه هو مجموع هذه الثلاثة واختلفوا لم سمي
عيسى عليه السلام مسيحا وهل هو اسم مشتق او موضوع فقيل انه موضوع واصله بالعبرانية مشيحا
فعربته العرب واصل عيسى ايشوع كما قالوا موسى واصله موشى او ميشا وقال الاكثرون انه اسم مشتق
ثم ذكروا فيه وجوها قال ابن عباس سمي عيسى مسيحا لانه ما مسح ذا عاهة الا برأ منها وقيل لانه مسح بالبركة
وقيل لانه مسح من الاقذار وطهر من الذنوب وقيل انه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن وقيل
لان جبريل عليه السلام مسحه بجناحه حتى لا يكون للشيطان عليه سبيل وقيل لانه كان يسيح في الارض

ولا يقيم

ولا يقيم بمكان فكانه يمسح الارض اي يقطعها مساحة فعلى هذا القول تكون الميم زائدة وقيل سمي مسيحا لانه كان مسيح
القدمين لا اخمص له وسمي الدجال مسيحا لانه كان ممسوح احدى العينين وقيل المسيح هو الصديق وبه سمي عيسى عليه السلام
وقد يكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمي الدجال فعلى هذا تكون هذه الكلمة من الاضداد وقوله تعالى وجيها اي شريفا
رفيعا ذا جاه وقدر في الدنيا والاخرة اما وجاهته في الدنيا فبسبب النبوة وانه كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي
الموتى واما وجاهته في الاخرة فبسبب علو منزلته عند الله وهو قوله تعالى ومن المقربين يعني عند الله يوم القيامة لان
لاهل الجنة منازل ودرجات ومنازل الانبياء ودرجاتهم اعلى من سواهم وقيل فيه تنبيه على علو منزلته وانه
رفعه الى السماء ويكلم الناس في المهد يعني ويكلم الناس صغيرا وهو في المهد وذلك قبل اوان الكلام ووقته والكلام الذي
يتكلم به هو ما ذكره الله عنه في سورة مريم وهو قوله تعالى حكاية عنه اني عبد الله اتاني الكتاب الاية وتكلم ببراءة امه لما
رموها به اهل الريبة من الفسق ويحكى ان مريم قالت كنت اذا خلوت انا وعيسى حدثني وحدثته فاذا شغلني عنه
انسان سبح وهو في بطني وانا اسمع ولما تكلم ببراءة امه سكت بعد ذلك فلم يتكلم الا في الوقت الذي يتكلم فيه الصغير
قال ابن عباس تكلم عيسى ساعة ثم سكت ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق وكهلا يعني ويكلم الناس في حال الكهولة
والكهل في اللغة هو الذي اجتمعت قوته وكمل شبابه والكهل عند العرب الذي جاوز الثلاثين وقيل هو الذي وخطه الشيب
وهو السن الذي يستحكم فيه العقل وينبأ فيه الانبياء قال ابن قتيبة لما كان لعيسى ثلاثون سنة
ارسله الله تعالى فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى فمعنى الاية انه يكلم الناس وهو في المهد براءة
امه وهو معجزة عظيمة ويكلم الناس في حال الكهولة بالوحي والرسالة وقيل فيه بشارة لمريم اخبرها بانه يبقى حتى
يكتهل وقيل فيه اخبار بانه يتغير من حال الى حال ولو كان الها كما زعمت النصارى لم يدخل عليه التغير ففيه
رد على النصارى الذين يدعون فيه الالهية وقال الحسين بن الفضل وكهلا يعني ويكلم الناس كهلا بعد
نزوله من السماء وفي هذه نص على انه سينزل من السماء الى الارض ويقتل الدجال وقال مجاهد الكهل الحكيم والعرب
تمدح الكهولة لانها الحالة الوسطى في احتناك السن واستحكام العقل وجودة الراي والتجربة ومن الصالحين
يعني انه من العباد الصالحين مثل ابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وغيرهم من الانبياء وانما ختم اوصاف
عيسى عليه السلام بكونه من الصالحين بعد ما وصفه بالاوصاف العظيمة لان الصلاح من اعظم المراتب واشرف
المقامات لانه لا يسمى المرء صالحا حتى يكون مواظبا على النهج الاصلح والطريق الاكمل في جميع اقواله وافعاله فلما
وصفه الله تعالى بكونه وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين وانه يكلم الناس في المهد وكهلا اردفه بقوله ومن
الصالحين ليكمل له اعلى الدرجات واشرف المقامات قوله تعالى قالت يعني مريم رب يعني يا سيدي تقوله
لجبريل لما بشرها بالولد وقيل تقوله لله عز وجل انى يكون لي ولد اي من اين يكون لي ولد ولم يمسسني بشر
اي ولم يصبني رجل وانما قالت ذلك تعجبا لا شكا في قدرة الله تعالى اذ لم تكن العادة جرت ان يولد ولد من غير
اب قال كذلك الله يخلق ما يشاء يعني هكذا يخلق الله منك ولدا من غير ان يمسك بشر فيجعله اية للناس
وعبرة فانه يخلق ما يشاء ويصنع ما يريد وهو قوله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون كما يريد ويعلمه
الكتاب يعني الكتابة والخط باليد والحكمة يعني العلم والسنة واحكام الشرائع والتوراة يعني التي انزلت
على موسى والانجيل يعني الذي انزل عليه وهذا اخبار من الله تعالى لمريم ما هو فاعل بالولد
الذي بشرها به من الكرامة وعلو المنزلة ورسولا الى بني اسرائيل ونجعله رسولا الى بني اسرائيل وكان اول انبياء بني اسرائيل
يوسف بن يعقوب واخرهم عيسى بن مريم عليه السلام فلما بعث اليهم قال اني قد جئتكم باية من ربكم اي بعلامة منه تدلكم
على صدق قولي وانما قال باية وقد جاء بايات كثيرة لان الكل دل على شيء واحد وهو صدقه في الرسالة فلما قال

عيسى ذلك لبني اسرائيل قالوا ما هذه الآية قال اني اخلق اي اصور واقدر لكم من الطين كهيئة الطير والهيئة الصورة
المهيأة من قولهم هيأت الشيء اذا قدرته واصلحته فانفخ فيه اي في الطين المهيأ المصور فيكون طيرا باذن الله
قيل بلفظ الجمع لان الطير اسم جنس يقع على الواحد والاثنين والجمع وقرئ فيكون طائرا على التوحيد على معنى
يكون ما انفخ فيه طائرا او ما اخلقه يكون طائرا وقيل لم يخلق غير الخفاش وهو الذي يطير في الليل وانما خص
الخفاش لانه يطير بلا ريش وله اسنان ويقال ان الانثى منه لها ثدي وتحيض ذكروا ان عيسى عليه السلام لما
ادعى النبوة واظهر لهم المعجزات اخذوا يتعنتون عليه فطلبوا منه ان يخلق لهم خفاشا فاخذ طينا وصوره
كهيئة الخفاش ثم نفخ فيه فاذا هو طير يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا
غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق وهو الله تعالى وليعلم ان الكمال لله تعالى باذن الله
معناه بتكوين الله وتخليقه والمعنى اني اعمل هذا التصوير انا فاما خلق الحياة فهو من الله تعالى على سبيل
اظهار المعجزة على يد عيسى عليه السلام وابرئ الاكمه والابرص اي واشفي الاكمه والابرص واصححهما واختلفوا
في الاكمه فقال ابن عباس هو الذي ولد اعمى وقيل هو الاعمى وان كان ابصر وقيل هو الاعمش وقيل هو الذي يبصر بالنهار
ولا يبصر بالليل والابرص هو الذي به وضح وكان الغالب على زمان عيسى عليه السلام الطب فاراد ان يظهر لهم
معجزة من جنس ذلك لتكون دليلا على صدقه قال وهب ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى في اليوم الواحد خمسون
الفا فمن اطاق ان يمشي اليه مشى ومن لم يطق مشى عيسى عليه السلام اليه وكان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان
برسالته واحيي الموتى باذن الله قال ابن عباس قد احيى اربعة انفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر
وسام ابن نوح وكلهم بقي وولد له الا سام بن نوح فاما عازر فكان صديقا لعيسى عليه السلام فارسلت
اليه اخت عازر ان اخاك عازر يموت وكان بينهما مسيرة ثلاثة ايام فاتاه عيسى واصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة
ايام فقال لاخته انطلقي بنا الى قبره فانطلقت معهم الى قبره فدعا الله عيسى فقام عازر حيا باذن الله تعالى فخرج من
قبره وعاش وولد له واما ابن العجوز فانه مر به وهو ميت على عيسى عليه السلام محمول على السرير فدعا الله عيسى فجلس
على سريره ونزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه واتى اهله وعاش وولد له واما ابنة العاشر فكان ياخذ
العشور من الناس ماتت بنت له بالامس فدعا الله عيسى فاحياها بدعوته فعاشت وولدت وولد لها
واما ابن نوح فان عيسى عليه السلام جاء الى قبره ودعا الله باسمه الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف راسه
خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان فقال اقد قامت القيامة فقال عيسى لا ولكن دعوتك
باسم الله الاعظم ثم قال له مت قال بشرط ان يعيذني الله من سكرات الموت مرة اخرى فدعا الله عيسى ففعل
وانبئكم بما تاكلون اي بما اكلتم البارحة وما تدخرون في بيوتكم اي وما ترفعونه فتخبئونه في بيوتكم لما تاكلونه
فيما بعد ذلك قيل كان عيسى عليه السلام يخبر الرجل بما اكل البارحة وبما ياكل اليوم وبما يدخره للعشاء وقيل كان
في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع اباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد اكل اهلك كذا وكذا وقد رفعوا لك كذا
فينطلق الصبي الى اهله فيبكي على اهله حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون من اخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا
صبيانهم عنه وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا هنا
فقال فما في البيت قالوا خنازير قال كذلك يكونون ففتحوا عليهم الباب فاذا هم خنازير ففشى ذلك في
بني اسرائيل وظهر فهموا به فلما خافت عليه امه حملته على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر وقال قتادة انما كان
هذا في نزول المائدة وكان خوانا ينزل عليهم اينما كانوا فيه من طعام الجنة وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد
فخانوا وادخروا فجعل عيسى يخبرهم بما اكلوا من المائدة وما ادخروا منها فمسخهم الله خنازير وفي هذا دليل

على

على صحة نبوة عيسى عليه السلام ومعجزة عظيمة له وهو اخباره عن المغيبات مع ما تقدم له من الآيات الباهرات
من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله تعالى واخباره عن الغيوب باعلام الله اياه ذلك وهذا مما لا سبيل
لاحد من البشر عليه الا الانبياء عليهم السلام فان قلت قد يخبر المنجم والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق قلت
ان المنجم والكاهن لا بد لكل واحد منهما من مقدمات يرجع اليها ويعتمد في اخباره عليها اما المنجم فانه
يستعين على ذلك بواسطة معرفة الكواكب وامتزاجاتها او بواسطة حساب الرمل ونحو ذلك
وقد يخطئ في كثير مما يخبر به واما الكاهن فانه يستعين على ذلك بواسطة تابعه من الجن وقد يخطئ
ايضا في كثير مما يخبر به واما اخبار الانبياء عليهم السلام عن المغيبات فليس الا
بالوحي السماوي وهو من الله تعالى وليس باستعانة بواسطة حساب ولا غيره فحصل الفرق
ان في ذلك يعني الذي تقدم ذكره من خلق الطير من الطين باذن الله وابراء الاكمه والابرص والاخبار عن الغيبات
لآية لكم اي لعبرة ودلالة على صدقي اني رسول من الله اليكم ان كنتم مؤمنين مصدقين بذلك ومصدقا
قيل انه عطف على قوله ورسولا وقيل هو عطف على قوله قد جئتكم باية من ربكم والمعنى وجئتكم مصدقا لما بين
يدي من التوراة وذلك لان الانبياء عليهم السلام يصدق بعضهم بعضا فكل واحد منهم يصدق الذي قبله
ويصدق بما انزل اليه من الكتب والشرائع والاحكام فلهذا قال عيسى عليه السلام ومصدقا لما بين يدي
من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم قال وهب بن منبه ان عيسى كان على شريعة موسى
عليهما السلام وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس وقال لبني اسرائيل اني لم ادعكم الى خلاف حرف
مما في التوراة الا لاحل لكم بعض الذي حرم عليكم واضع عنكم الاصار وذلك ان الله تعالى كان قد حرم على
اليهود بعض الاشياء عقوبة لهم على بعض ما صدر منهم من الجنايات كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات احلت لهم فبقي ذلك التحريم مستمرا على اليهود الى ان جاء عيسى عليه السلام فرفع عنهم تلك الشدائد
التي كانت عليهم وقال قتادة كان الذي جاء به عيسى الين مما جاء به موسى وكان قد حرم عليهم فيما جاء به
موسى لحوم الابل والثروب والشحوم واشياء من الطير والحيتان زادوها فيها ثم جاء عيسى بالتخفيف لهم
م
وقال اخرون ان عيسى عليه السلام رفع كثيرا من احكام التوراة ورفع السبت ووضع الاحد مكانه وكان
ذلك كله بامر الله فكان ذلك ناسخا لتلك الاحكام والشرائع والناسخ والمنسوخ حق وصدق وجئتكم
باية من ربكم اي بحجة واضحة شاهدة على صحة رسالتي ثم خوفهم بقوله فاتقوا الله يعني يا معشر بني اسرائيل
فيما امركم به ونهاكم عنه واطيعون يعني فيما دعوتكم اليه لان طاعة الرسول من توابع تقوى الله وما دعوتكم اليه
هو قوله ان الله ربي وربكم فاعبدوه لان جميع الرسل كانوا اصل دينهم واحدا وهو التوحيد ولم يختلفوا فيه وفي
هذه الآية حجة بالغة على نصارى نجران ومن قال بقولهم من سائر النصارى باخبار الله عن عيسى عليه السلام
انه كان بريئا مما نسبه اليه النصارى وانه كان عبد الله وخصه بنبوته ورسالته ثم ختم ذلك بقوله هذا صراط
مستقيم يعني التوحيد قوله تعالى فلما احس عيسى منهم الكفر اي وجد وعرف وقيل راى والاحساس
عبارة عن وجدان الشيء بالحاسة والمعنى انهم تكلموا بكلمة الكفر فاحس ذلك عيسى منهم وعرف اصرارهم عليه
وعزمهم على قتله ذكر سبب القصة قال اهل الاخبار والتفسير لما بعث الله عيسى عليه السلام
الى بني اسرائيل وامره باظهار رسالته والدعاء اليه نفوه واخرجوه من بينهم فخرج هو وامه يسيحان في
الارض فنزلا في قرية على رجل فاضافهم واحسن اليهم وكان لتلك القرية ملك جبار متعد فجاء ذلك الرجل في

بعض الايام وهو مهموم حزين فدخل منزلا وهم عند امراة فقالت ما شان زوجك اراه كئيبا حزينا قال لا تسأليني
قالت مريم اخبريني لعل الله يفرج كربته قالت المراة ان لنا ملكا جبارا وقد جعل على كل رجل منا يوما يطعمه فيه هو وجنوده
ويسقيهم الخمر وان لم يفعل عاقبه واليوم نوبتنا وليس عندنا سعة لذلك فقالت قولي له لا يهتم لذلك فاني آمر
ابني ان يدعو له فيكفى ذلك ثم قالت مريم لعيسى في ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر قالت مريم لا تبال
فانه قد احسن الينا واكرمنا فقال عيسى قولي له اذا قرب ذلك الوقت فاملا قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمني
ففعل الرجل ذلك ثم دعا الله عيسى عليه السلام فتحول ما في القدور مرقا ولحما وما في الخوابي خمرا لم ير الناس
مثله قط فلما جاء الملك واكل من ذلك الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من اين لك هذا الخمر فقال الرجل هو من
ارض كذا فقال الملك ان خمري من تلك الارض وليست مثل هذه فقال هي من ارض اخرى فلما راه الملك قد اخلط
شدد عليه فقال الرجل انا اخبرك ان عندي غلاما لا يسال الله شيئا الا اعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل
الماء خمرا وكان للملك ابن يريد ان يستخلفه في ملكه وقد مات قبل ذلك بايام وكان يحبه حبا شديدا فقال الملك
ان رجلا دعا الله حتى صار الماء خمرا بدعوته ليستجيبن له حتى يحيي ابني فطلب عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى
لا تفعل فانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا ابالي اليس اراه فقال عيسى ان انا احييته تتركني وامي نذهب
حيث شئنا قال نعم فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما راه اهل مملكة الملك قد عاش تنادوا بالسلاح
وقالوا قد اكلنا هذا الملك حتى اذا دنا اجله يريد ان يستخلف علينا ابنه فياكلنا كما اكلنا ابوه وطلبوا عيسى
وقصدوا قتاله ولم يروا به وقيل ان اليهود كانوا عارفين بانه المسيح المبشر به في التوراة وانه ينسخ دينهم فلما
اظهر عيسى الدعوة اشتد ذلك عليهم واخذوا في اذاه وطلبوا قتله وكفروا به فاستنصر عليهم كما اخبر
الله عز وجل عنه بقوله ﴿قال﴾ يعني عيسى عليه السلام ﴿من انصاري الى الله﴾ اي مع الله وقيل معناه الى ان
اتم امر الله واظهر دينه وقيل الى بمعنى في اي في ذات الله وسبيله وقيل ان الى في موضعها والمعنى من يضم نصرته
الى نصرة الله ﴿قال الحواريون نحن انصار الله﴾ وذلك ان عيسى عليه السلام لما دعا بني اسرائيل الى الله تعالى تمردوا
عليه وكفروا به خرج يسيح في الارض فمر بجماعة يصطادون السمك وكانوا اثني عشر ورئيسهم شمعون ويعقوب حتى ثم
فقال عيسى عليه السلام ما تصنعون قالوا نصيد السمك قال افلا تمشون نصيد الناس قالوا ومن انت
قال انا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فسالوه آية تدلهم على صدقه وكانوا قد رموا بشبكتهم
في الماء فدعا الله عيسى فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق من كثرته فاستعانوا
باهل سفينة اخرى وملئوا السفينتين من السمك فعند ذلك آمنوا به وانطلقوا معه واختلفوا
في الحواريين فقيل كانوا يصطادون السمك فلما آمنوا بعيسى صاروا يصطادون الناس وقيل انهم
الذين سموا حواريين لبياض ثيابهم يقال حورت الشيء يعني بيضته وقيل كانوا قصارين سموا بذلك
لانهم كانوا يحورون الثياب اي يبيضونها وقيل ان مريم سلمت عيسى الى اعمال شتى فكان آخر من
سلمته الى الحواريين وكانوا قصارين وصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب
وعرض له سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الصنعة وانا خارج الى سفر ولا ارجع الى عشرة ايام
وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد اعلمت على كل واحد منها بخيط على اللون الذي يصبغ به فاريد
ان تفرغ منها وقت قدومي وخرج المعلم الى سفره فطبخ عيسى جبا واحدا على لون واحد وادخل
فيه جميع الثياب وقال كوني باذن الله على ما اريد منك ثم قدم الحواري والثياب كلها في الجب فقال

لعيسى

لعيسى ما فعلت فقال قد فرغت منها فقال واين هي فقال في الجب قال كلها قال نعم قال لقد افسدت
علي تلك الثياب قال عيسى لا ولكن قم فانظر فقام عيسى فاخرج ثوبا احمر وثوبا اصفر وثوبا اسود
حتى اخرجها كلها على الالوان التي يريد الحواري فجعل الحواري يتعجب من ذلك وعلم ان ذلك من الله تعالى فقال
للناس تعالوا فانظروا فآمن به هو واصحابه وهم الحواريون وقيل سموا حواريين لصفاء قلوبهم ولما ظهر
عليهم من اثر العبادة ونورها وقيل الحواريون الاصفياء وكانوا اصفياء عيسى وخاصته وقيل
الحواريون هم الخلفاء وقيل هم الوزراء وكانوا خلفاء عيسى ووزراءه وقيل الحواريون هم الانصار والحواري
الناصر والحواري الرجل الذي يستعان به (ق) عن جابر بن عبد الله قال ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس
يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان لكل نبي حواريا وحواريي الزبير ﴿فقال الحواريون نحن انصار الله﴾ يعني انصار دين الله واعوان نبيه ورسوله
﴿آمنا بالله﴾ اي صدقنا بان الله ربنا ورب كل شيء ﴿واشهد﴾ يعني انت يا عيسى ﴿بانا مسلمون﴾ قيل
معناه واشهد بانا منقادون لما تريد منا من نصرك والذب عنك ومستسلمون لامر الله عز وجل وقيل
هو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وان دين عيسى وكل الانبياء قبله لا اليهودية والنصرانية ﴿ربنا آمنا
بما انزلت﴾ يعني قال الحواريون بعد اشهادهم عيسى عليهم بانهم مسلمون ﴿ربنا آمنا بما انزلت﴾ يعني من كتابك
الذي انزلته على عيسى عليه السلام ﴿واتبعنا الرسول﴾ يعني عيسى ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ يعني الذين
يشهدون للانبياء بالصدق واتبعوا امرك ونهيك فاثبت اسماءنا مع اسمائهم واجعلنا في عدادهم ومعهم
فيما تكرمهم به وهذا يقتضي ان يكون للشاهدين فضل لان سال الحواريون ان يكونوا معهم من فضل
عليهم فلهذا قال ابن عباس في قوله فاكتبنا مع الشاهدين اي محمد صلى الله عليه وسلم وامته لانهم المخصوصون
بتلك الفضيلة فانهم يشهدون للرسل بالبلاغ وقيل مع الشاهدين يعني النبيين لان كل نبي شاهد
على امته قوله عز وجل ﴿ومكروا﴾ يعني كفار بني اسرائيل الذين احس عيسى منهم الكفر واصل المكر صرف
الغير عما يقصده بضرب من الحيلة وقيل هو السعي بالفساد في الخفية فاما مكرهم بعيسى فانهم دبروا
في قتله واغتياله وذلك ان عيسى عليه السلام بعد ان اخرجه قومه وامه رجع مع الحواريين وصاح فيهم
بالدعوة واظهر رسالته اليهم فهموا بقتله والفتك به فذلك مكرهم والمكر من الخلق الخبث والخديعة
والحيلة ﴿ومكر الله﴾ اي جازاهم على مكرهم فسمى الجزاء باسم الابتداء لانه في مقابلته وقيل مكر الله استدراج
العبد واخذه بغتة من حيث لا يحتسب ومكر الله في هذه الآية خاصة هو القاء الشبه على صاحبهم الذي
دلهم على عيسى حين ارادوا قتله حتى قتل قال ابن عباس ان عيسى عليه السلام استقبل رهطا
من اليهود فلما راوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وامه فلما سمع عيسى
ذلك دعا عليهم ولعنهم فمسخهم الله خنازير فلما راى ذلك يهوذا راس اليهود وملكهم فزع لذلك
وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وثاروا اليه ليقتلوه فبعث الله عز وجل جبريل
جبريل عليه السلام فادخله خوخة في سقفها روزنة فرفعه الله من تلك الروزنة وامر يهوذا ملك اليهود رجلا
من اصحابه يقال له ططيانوس ان يدخل الخوخة فيقتله فيها فلما دخل لم ير عيسى فابطا عليهم فظنوا
انه يقاتله فيها والقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فاخذوه وقتلوه وصلبوه وقال وهب بن
منبه ان اليهود طرقوا عيسى في بعض الليل ونصبوا الخشبة ليصلبوه عليها فاظلمت الارض وارسل الله عز وجل
الملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى عليه السلام الحواريين تلك الليلة واوصاهم وقال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك

ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احد الحواريين الى اليهود وقال ما تجعلون لي ان
دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلثين درهما فاخذها ودلهم عليه فلما دخلوا البيت الذي فيه المسيح القى الله شبه عيسى عليه
ورفع الله عيسى واخذ الذي دل عليه فقال انا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله فقتلوه وصلبوه وهم
يظنون انه عيسى عليه السلام فلما صلبوا الذي القي عليه شبه عيسى جاءت مريم وامراة اخرى كان عيسى
عليه السلام دعا لها فابراها الله من الجنون بدعوته فجعلتا تبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى عليه السلام
وقال علام تبكيان ان الله عز وجل قد رفعني ولم يصبني الا خير وهذا شيء شبه لهم فلما كان بعد سبعة ايام قال الله
لعيسى اهبط الى مريم المجدلانية وهو اسم موضع فهي تبكي عليك فانه لم يبك عليك احد بكاءها ولم يحزن عليك احد
حزنها ثم ليجمع لك الحواريين فبثهم في الارض دعاة الى الله عز وجل فاهبطه الله عز وجل عليها فاشتعل الجبل
نورا حين هبط فجمعت له الحواريين فبثهم دعاة في الارض ثم رفعه الله تلك الليلة التي تدخن فيها النصارى فلما اصبح
الحواريون تكلم كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى اليهم فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين
يعني وهو افضل المجازين بالسيئة العقوبة وقال السدي ان اليهود حبست عيسى في بيت ومعه عشرة من الحواريين
فدخل عليهم رجل منهم وكان قد نافق فالقي عليه شبه عيسى فاخذ وقتل وصلب وقال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى [عيسى]
الله عليه وسلم قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل منهم انا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله
عيسى ورفعه اليه فكساه الريش والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش وكان انسيا [صار]
ملكيا ارضيا سمائيا قال اهل التاريخ حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من ارض اوري
شلم لمضي خمس وستين سنة … ورفعه الله من بيت المقدس ليلة القدر من رمضان وهو ابن ثلاث وثلثين سنة فكانت
نبوته ثلاث سنين وعاشت امه مريم بعد رفعه ست سنين قوله تعالى اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك
ورافعك الي اختلفوا في معنى التوفي هنا على طريقين فالطريق الاول اجراء الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تاخير
وذكروا في معناها وجوها الاول معناه اني قابضك ورافعك الي من غير موت من قولهم توفيت الشيء واستوفيته
اذا اخذته وقبضته تاما والمقصود منه ان لا يصل اعداؤك من اليهود اليك بقتل والوجه الثاني ان
المراد بالتوفي النوم ومنه قوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فجعل النوم وفاة
وكان عيسى قد نام فرفعه الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف فمعنى الآية اني منيمك ورافعك الي الوجه الثالث ان المراد
بالتوفي حقيقة الموت قال ابن عباس معناه اني مميتك قال وهب بن منبه ان الله تعالى توفى عيسى
ثلاث ساعات من النهار ثم رفعه اليه وقيل ان النصارى يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات من
النهار ثم احياه ورفعه اليه الوجه الرابع ان الواو في قوله ورافعك الي لا يفيد الترتيب والآية تدل على ان
الله تعالى يفعل به ما ذكرنا فاما كيف يفعل ومتى يفعل فالامر فيه موقوف على الدليل وقد ثبت في الحديث ان عيسى
سينزل ويقتل الدجال وسنذكره ان شاء الله تعالى الوجه الخامس قال ابو بكر الواسطي معناه اني
متوفيك عن شهواتك وعن حظوظ نفسك ورافعك الي وذلك ان عيسى عليه السلام لما رفع الى السماء صارت حالته
حالة الملائكة في زوال الشهوة الوجه السادس ان معنى التوفي اخذ الشيء وافيا ولما علم الله تعالى ان من الناس
من يخطر بباله ان الذي رفعه الله اليه هو روحه دون جسده كما زعمت النصارى ان المسيح رفع لاهوته
يعني روحه وبقي في الارض ناسوته يعني جسده فرد الله تعالى عليهم بقوله اني متوفيك ورافعك الي فاخبر الله
تعالى انه رفعه بتمامه الى السماء بروحه وجسده جميعا الطريق الثاني ان في الآية تقديما وتاخيرا تقديره اني
رافعك الي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك الى الارض وقيل لبعضهم هل تجد نزول عيسى في

القرآن

القرآن قال نعم قوله تعالى وكهلا وذلك لانه لم يكتهل في الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء وعن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير
ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد زاد في رواية حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما
فيها ثم يقول ابو هريرة اقرءوا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وفي رواية كيف انتم اذا نزل
ابن مريم فيكم وامامكم منكم وفي رواية فامكم منكم قال ابن ابي ذئب تدري ما امكم منكم قلت تخبرني قال فامكم بكتاب ربكم
عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وفي افراد مسلم من حديث النواس بن سمعان قال فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح
ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس
بيني وبينه يعني عيسى نبي وانه نازل فاذا رايتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين
كان راسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك
الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك المسيح الدجال ثم يمكث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون
اخرجه ابو داود ونقل بعضهم ان عيسى عليه السلام يدفن في حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقوم ابو بكر وعمر يوم القيمة
بين نبيين محمد وعيسى صلى الله عليهما وسلم قوله تعالى ومطهرك من الذين كفروا اي مخرجك من بينهم ومنجيك منهم
وجاعل الذين اتبعوك في التوحيد وصدقوا قولك وهم اهل الاسلام من امة محمد صلى الله عليه وسلم فوق الذين كفروا
بالعز والنصر والغلبة بالحجة الظاهرة وقيل هم الحواريون الذين اتبعوا عيسى على دينه وقيل هم النصارى
فهم فوق اليهود وذلك لان ملك اليهود قد ذهب فلم يبق لهم مملكة وملك النصارى باق فعلى هذا القول يكون
الاتباع بمعنى المحبة والادعاء لا اتباع الدين لان النصارى وان اظهروا متابعة عيسى عليه السلام فهم اشد مخالفة
له وذلك ان عيسى عليه السلام لم يرض بما هم عليه من الشرك والقول الاول اصح لان الذين اتبعوه هم الذين شهدوا
بانه عبد الله ورسوله وكلمته وهم المسلمون وملكهم باق الى يوم القيمة ثم الي مرجعكم يعني يقول الله عز وجل الي
مرجع الفريقين في الآخرة الذين اتبعوا عيسى وصدقوا انه عبد الله والذين كفروا به فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون
يعني من الحق في امر عيسى ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى فاما الذين كفروا يعني الذين جحدوا نبوة عيسى وخالفوا
ملته وقالوا فيه ما قالوا من الباطل ووصفوه بما لا ينبغي من سائر اليهود والنصارى فاعذبهم
عذابا شديدا في الدنيا يعني بالقتل والسبي والذلة واخذ الجزية منهم والآخرة اي واعذبهم في
الآخرة بالنار وما لهم من ناصرين يعني ما نعين يمنعونهم من عذابنا واما الذين امنوا يعني بعيسى عليه السلام
وصدقوا بنبوته وانه عبد الله ورسوله وكلمته وعملوا الصالحات يعني عملوا بما فرضت عليهم وشرعت لهم
فيوفيهم اجورهم اي يعطيهم جزاء اعمالهم لا ينقص منه شيئا والله لا يحب الظالمين اي لا يحب من ظلم غيره حقا له او وضع
شيئا في غير موضعه والمعنى انه تعالى لا يرحمهم ولا يثني عليهم بخير ثم قال تعالى ذلك يعني الذي ذكرته لك
من اخبار عيسى وامه مريم والحواريين وغير ذلك من القصص نتلوه عليك اي نخبرك به يا محمد على لسان
جبريل وانما اضاف ما يتلوه جبريل الى نفسه سبحانه وتعالى لانه من عنده وبامره من غير تفاوت اصلا فاضافه
اليه من الآيات يعني من القرآن وقيل الآيات يعني العلامات الدالة على نبوتك يا محمد لانها اخبار لا يعلمها
الا من قرا او كتب او من يوحى اليه وانت امي لا تقرا ولا تكتب فثبت ان ذلك من الوحي السماوي الذي انزل عليك
والذكر الحكيم اي المحكم الممنوع من الباطل وقيل المراد من الذكر الحكيم القرآن لانه حاكم يستفاد منه جميع الاحكام
وقيل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ الذي منه نزلت جميع كتب الله على رسله وهو لوح من درة بيضاء معلق
بالعرش قوله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب الآية اجمع اهل التفسير ان هذه

[في الهامش: كفروا الى يو[م] / فوق الذين / يعني وجاعل الذين اتبعو[ك]]

الآية نزلت في محاجة نصارى وفد نجران قال ابن عباس ان رهطا من اهل نجران قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان
فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما شأنك تذكر صاحبنا فقال من هو قالوا عيسى تزعم انه عبد الله
انه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجل انه عبد الله فقالوا له فهل رأيت له مثلا او انبئت به ثم خرجوا من عنده فجاء جبريل
عليه السلام فقال له قل لهم اذا اتوك ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لهم انه عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه العذراء البتول فغضبوا وقالوا يا محمد هل رأيت انسانا
قط من غير اب فانزل الله ان مثل عيسى عند الله اي في الخلق والانشاء في كونه خلقه من غير اب كمثل آدم في كونه خلقه
من تراب من غير اب وام ومعنى الآية ان صفة خلق عيسى من غير اب كصفة آدم في كونه خلقه من تراب لا من اب وام
فمن اقر بان الله خلق آدم من التراب اليابس فهو ابلغ في القدرة فلم لا يقر بان الله خلق عيسى بن مريم من غير اب بل
الشأن في خلق آدم اعجب واغرب وتم الكلام عند قوله كمثل آدم لانه تشبيه كامل ثم قال ابتداء خلقه من تراب
فهو خبر مستأنف على جهة التفسير لحال خلق آدم في كونه خلقه من تراب اي قدره جسدا من طين ثم قال
له كن اي انشأه خلقا بالكلمة وكذلك عيسى انشأه خلقا بالكلمة فعلى هذا القول ذكره في الآية اشكالا وهو انه
تعالى قال خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فهذا يقتضي ان يكون خلق آدم متقدما على قوله كن والتكوين
بعد الخلق واجيب عن هذا الاشكال بان الله تعالى اخبر انه خلقه من تراب لا من ذكر وانثى ثم ابتدأ خبرا آخر فقال اني
اخبركم ايضا اني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة ويحتمل ان يكون المراد انه تعالى خلقه
جسدا من تراب ثم قال له كن بشرا فكان فيصح النظم وقيل الضمير في قوله كن يرجع الى عيسى عليه السلام وعلى
هذا فلا اشكال في الآية فان قلت كيف شبه عيسى بآدم وقد وجد عيسى من غير اب وآدم من غير اب وام قلت هو مثله
في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف
ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران لان الوجود من غير اب وام
اغرب في العادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته
لو انظر فيما هو اغرب مما استغربه وحكي ان بعض العلماء اسر في بعض بلاد الروم فقال لهم لم تعبدون عيسى
قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى فقال حزقيل اولى لان عيسى احيى اربعة فآدم اولى
نفر واحيا حزقيل ثمانية آلاف قالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام
سالما وقوله كن فيكون قال ابن عباس معناه كن فكان فاريد بالمستقبل الماضي وقيل معناه ثم
قال له كن واعلم يا محمد ان ما قال له ربك كن فانه يكون لا محالة الحق من ربك الذي اخبرتك به من تمثيل
عيسى بآدم هو الحق من ربك فلا تكن من الممترين اي من الشاكين في ان ذلك كذلك وهذا خطاب مع
النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فهو كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء
والمعنى فلا تكونوا من الممترين بآيات ما مر كأنه ما كان هذا التمثيل والبرهان الذي ذكر فهو من
باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة قوله تعالى فمن حاجك فيه اي فمن جادلك في عيسى وقيل
في الحق من بعد ما جاءك من العلم يعني بان عيسى عبد الله ورسوله فقل تعالوا اي هلموا والمراد منه المجيء
واصله من العلو بالرأي والعزم كما تقول تعالى الله نفكر في المسألة ندع ابناءنا وابناءكم اي كل منا ومنكم ابناءه هذه م
ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم قيل اراد بالابناء الحسن والحسين وبالنساء فاطمة وبالانفس نفسه صلى
الله عليه وسلم وعليا رضي الله عنه وقيل هو على العموم لجماعة اهل الدين ثم نبتهل قال ابن عباس نتضرع
في الدعاء وقيل معناه نجتهد ونبالغ في الدعاء وقيل معناه نلتعن والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله اي لعنة الله

فنجعل

فنجعل لعنة الله على الكاذبين يعني منا ومنكم في امر عيسى قال المفسرون لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية
على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر في امرنا ثم نأتيك غدا فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب
وكان كبيرهم وصاحب رأيهم ما ترى يا عبد المسيح قال لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولئن فعلتم
ذلك لتهلكن فان ابيتم الا الاقامة على ما انتم من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي يمشي خلفها والنبي
صلى الله عليه وسلم يقول لهم اذا دعوت فامّنوا فلما رآهم اسقف نجران قال يا معشر النصارى اني لارى وجوها
لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم
القيامة فقالوا يا ابا القاسم قد رأينا ان لا نباهلك وان نتركك على دينك ونتركنا على ديننا فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا
ذلك فقال فاني انابذكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكنا نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا
عن ديننا وان نؤدي اليك في كل سنة الفي حلة الف في صفر والف في رجب زاد في رواية وثلثين
درعا عادية وثلثين بعيرا وثلثين فرسا عارية فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان العذاب تدلى على اهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير
ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول
على النصارى كلهم حتى هلكوا فان قلت ما كان دعاه الى المباهلة الا ليتبين الصادق من الكاذب
منه ومن خصمه وذلك يختص به وبمن يباهله فما معنى ضم الابناء والنساء في المباهلة قلت ذلك آكد
في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس
اليه فلذلك ضمهم في المباهلة ولم يقتصر على تعريض نفسه لذلك وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه
مع احبته واعزته هلاك استئصال ان تمت المباهلة وانما خص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم
بالقلب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل وانما قدمهم في الذكر على النفس لينبه بذلك
على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وفيه دليل قاطع وبرهان واضح على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه
لم يرو احد من موافق ومخالف انهم اجابوا الى المباهلة لانهم عرفوا صحة نبوته وما يدل عليها في كتبهم قوله تعالى
ان هذا يعني الذي قص عليك يا محمد من خبر عيسى وانه عبد الله ورسوله لهو القصص الحق واصل القصص
وهو تتبع الاثر والقصص الخبر الذي تتتابع فيه المعاني وما من اله الا الله انما دخلت من لتوكيد النفي
والمعنى ان عيسى ليس باله كما زعمت النصارى ففيه رد عليهم ونفي جميع من ادعى من المشركين انهم آلهة
واثبات الالهية لله تعالى وحده لا شريك له في الالهية وان الله لهو العزيز اي العالم المنتقم ممن عصاه
وخالف امره وادعى معه الها آخر الحكيم يعني في تدبيره وفيه رد على النصارى لان عيسى لم يكن كذلك
فان تولوا يعني فان اعرضوا عن الايمان ولم يقبلوه فان الله عليم بالمفسدين اي الذين يعبدون غير الله
الناس م ويدعون الناس الى عبادة غيره وفيه وعيد وتهديد لهم قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم قال المفسرون لما قدم وفد نجران المدينة اجتمعوا باليهود فاختصموا في ابراهيم صلى الله عليه وسلم
فزعمت النصارى انه كان نصرانيا وهم على دينه واولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه
واولى الناس به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من ابراهيم ومن دينه بل كان ابراهيم حنيفا
مسلما وانا على دينه فاتبعوا دينه دين الاسلام فقالت اليهود ما نريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى

عيسى ربا وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فانزل الله عز وجل
قل يا اهل الكتاب تعالوا اي هلموا الى كلمة يعني فيها انصاف ولا ميل فيها لاحد على صاحبه والعرب
تسمي كل قصة او قصيدة لها اول واخر وشرح كلمة سواء اي عدل لا تختلف فيها التوراة
والقرآن وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله
وذلك ان النصارى عبدوا غير الله وهو المسيح واشركوا به وهو قولهم اب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة
واتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وذلك انهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الشرك ويسجدون لهم
فهذا معنى اتخاذ بعضهم بعضا اربابا من دون الله فثبت ان النصارى قد جمعوا بين هذه الثلاثة ومعنى الاية
قل يا محمد للنصارى هلموا الى امر عدل نصف وهو ان لا نقول عزير ابن الله ولا نقول المسيح ابن الله لان كل واحد
منهما مخلوق مثلنا ولا نطيع احبارنا ورهباننا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع
ولا يسجد بعضنا لبعض لان السجود لغير الله حرام فلا يسجد لغير الله وقيل معناه ولا نطيع احدا في
معصية الله فان تولوا يعني فان اعرضوا عن ما امرتهم به فقولوا انتم لهم اشهدوا بانا مسلمون
اي مخلصون بالتوحيد لله والعبادة له (ق) عن ابن عباس ان ابا سفيان اخبره ان هرقل ارسل اليه في ركب
من قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها ابا سفيان وكفار
قريش فاتوه وهم بايلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
بعث به مع دحية الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد
عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام
اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة
سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا
فقولوا اشهدوا بانا مسلمون لفظ الحديث احد روايات البخاري وقد اخرجه باطول من هذا وفيه زيادة
قوله وفي رواية الاريسيين والاريس الاكار وهو الزراع والفلاح وقيل هم الاروسيون وهم نصارى
اتباع عبد الله بن اروس وهم الاروسية وقيل هم الاريسون بفتح الهمزة وهم الملوك الذين كانوا يخالفون انبياءهم
وقيل هم المتبخترون وقيل هم اليهود والنصارى الذين صدوا قومهم عن الاسلام واتبعوك على الكفر
قوله تعالى يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم قال ابن عباس اجتمع عند النبي صلى الله عليه وسلم نصارى نجران
واحبار اليهود فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ما كان ابرهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان
ابرهيم الا نصرانيا فانزل الله فيهم يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التوراة والانجيل
الا من بعده ومعنى الاية ان اليهود والنصارى لما اختصموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في شان
ابرهيم عليه السلام وادعت كل طائفة انه كان منهم وعلى دينهم فبرأه الله عز وجل ابرهيم مما ادعوا فيه
واخبر ان اليهودية والنصرانية انما حدثتا بعد نزول التوراة والانجيل وانما نزلا بعد ابرهيم بزمان طويل
فكان بين ابرهيم وبين موسى ونزول التوراة عليه خمسمائة سنة وسبعون سنة وبين موسى وعيسى الف سنة
وسبعمائة واثنتان وثلاثون سنة وقال ابن اسحق كان بين ابرهيم وموسى خمسمائة وخمس وستون سنة
وبين موسى وعيسى الف سنة وتسعمائة وعشرون سنة واوردوا على هذا التاويل بان الاسلام ايضا
انما حدث بعد ابرهيم وموسى وعيسى بزمان طويل وكذلك نزل القرآن انما انزل بعد التوراة والانجيل فكيف
يصح ما ادعيتم في ابرهيم انه كان حنيفا مسلما واجيب عنه بان الله عز وجل اخبر في القرآن ان ابرهيم كان حنيفا

مسلما

مسلما وليس في التوراة والانجيل ان ابرهيم كان يهوديا او نصرانيا فصح وثبت ما ادعاه المسلمون وبطل ما
ادعاه اليهود والنصارى وهو قوله افلا تعقلون يعني بطلان قولكم يا معشر اليهود والنصارى حتى لا
تجادلوا مثل هذا الجدال المحال هانتم هؤلاء ها للتنبيه وهي موضع النداء يعني يا هؤلاء والمراد بهم
اهل الكتابين يعني يا معشر اليهود والنصارى حاججتم اي جادلتم وخاصمتم فيما لكم به علم يعني فيما
وجدتم في كتبكم وانزل عليكم بيانه في امر موسى وعيسى وادعيتم انكم على دينهما وقد انزلت التوراة والانجيل
عليكم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم يعني انه ليس في كتابكم ان ابرهيم كان يهوديا او نصرانيا
والله يعلم يعني ما كان ابرهيم عليه من الدين وانتم لا تعلمون يعني ذلك المعنى وانتم جاهلون بما
تقولون في ابرهيم ثم برأه الله عز وجل مما قالوا فيه واعلمهم ان ابرهيم بريء من دينهم فقال تعالى ما
كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا يعني لم يكن كما ادعوا فيه ثم وصفه بما كان عليه من الدين فقال تعالى
ولكن كان حنيفا مسلما يعني مائلا عن الاديان كلها الا الدين المستقيم وهو الاسلام وقيل
الحنيف الذي يوحد ويختتن ويضحي ويستقبل الكعبة في صلاته وهو احسن الاديان واسهلها
واحبها الى الله عز وجل وما كان من المشركين يعني الذين يعبدون الاصنام وقيل فيه
تعريض بكون النصارى مشركين لقولهم بالاهية المسيح وعبادة ذلك قوله عز وجل ان اولى
الناس بابرهيم يعني احقهم به واقربهم منه للذين اتبعوه يعني الذين كانوا في زمانه وامنوا
به واتبعوا شريعته وهذا النبي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والذين امنوا يعني هذه الامة
الاسلامية والله ولي المؤمنين يعني بالنصر والمعونة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لكل نبي ولاة من النبيين وان وليي ابي وخليل ربي ابرهيم ثم قرأ ان اولى الناس بابرهيم للذين
اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين اخرجه الترمذي وذكر الكلبي عن ابي صالح
عن ابن عباس ورواه محمد بن اسحق عن ابن شهاب باسناده حديث هجرة الحبشة
قال لما هاجر جعفر بن ابي طالب واناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ارض الحبشة
واستقرت بهم الدار وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت قريش في
دار الندوة وقالوا ان لنا في الذين عند النجاشي من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثارا ممن قتل منكم
ببدر فاجمعوا مالا واهدوه الى النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان
من ذوي رايكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن ابي معيط معهما الهدايا الادم وغيره فركبا البحر
حتى اتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون
ولصلاحك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا
يزعم انه رسول الله ولم يتابعه احد منا الا السفهاء وانا كنا قد ضيقنا عليهم الامر والجأناهم الى شعب
بارضنا لا يدخل عليهم احد ولا يخرج منهم احد فقتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليهم الامر بعث
اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالا وآية
ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك
وسنتك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستاذن عليك حزب الله
فقال النجاشي مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بامان الله
وذمته فنظر عمرو الى صاحبه وقال الا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به الملك فساءهما

ذلكم ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الا ترى انهم يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي
ما منعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من اتاني من الافاق قالوا نسجد لله الذي خلقك وملكك
وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا فامرنا بالتحية التي رضيها الله وهي
السلام تحية اهل الجنة فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التورية والانجيل قال ايكم الهاتف يستاذن
عليك حزب الله قال جعفر انا فتكلم قال انك ملك من ملوك الارض من اهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة قاله
الكلام ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن اصحابي فمر هذين الرجلين فليتكلم احدهما ولينصت الاخر
فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذين الرجلين اعبيد نحن ام احرار
فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا فردنا عليهم فقال النجاشي اعبيد هم ام احرار فقال بل
احرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية فقال جعفر سلهما هل اهرقنا دما بغير حق فيقتص منا
فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال
النجاشي ان كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال عمرو ولا قيراطا فقال النجاشي فما تطلبون منهم قال
كنا وهم على دين واحد وامر واحد على دين ابائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا قومنا
لتدفعهم اليهم فقال النجاشي وما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعتموه فقال
جعفر اما الدين الذي كنا عليه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة واما الذي
تحولنا اليه فهو دين الله الاسلام جاءنا به من عند الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا
فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي بضرب الناقوس فضرب الناقوس
فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي انشدكم الله الذي انزل الانجيل
على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيمة نبيا مرسلا قالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال
من امن به فقد امن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما
يامركم به وما ينهاكم عنه فقال يقرا علينا كتاب الله ويامرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ويامر بحسن
الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويامرنا ان نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرا علي مما يقرا عليكم
فقرا عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي واصحابه من الدمع وقالوا زدنا
من هذا الحديث الطيب فقرا عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم
يشتمون عيسى وامه فقال النجاشي ما تقولون في عيسى وامه فقرا عليهم سورة مريم
فلما اتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي من سواكه قدر ما يقذي العين وقال والله ما زاد
المسيح على ما تقولون هذا ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم سيوم بارضي
يقول امنون من سبكم او اذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابرهيم
فقال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابرهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاءوا من عنده ومن
اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا دين ابرهيم ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه
وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم ياخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا
فكنا في خير جوار وانزل الله عز وجل في ذلك اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومتهم في
ابرهيم وهو في المدينة ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي
المومنين قوله تعالى ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة

ودلي

من اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود الى دينهم فنزلت فيهم ودت طايفة اي تمنت جماعة من
اهل الكتاب يعني اليهود لو يضلونكم يعني عن دينكم ويردونكم الى الكفر وما يضلون الا انفسهم
لان المومنين لا يقبلون قولهم فيحصل عليهم الاثم بتمنيهم اضلال المومنين وما يشعرون
يعني ان وبال الاضلال يعود عليهم لان العذاب يضاعف لهم بسبب ضلالهم وتمني اضلال المسلمين
وما يقدرون على ذلك انما يضلون امثالهم واشياعهم يا اهل الكتاب الخطاب لليهود
لم تكفرون بايات الله يعني القران وقيل المراد بايات الله الواردة في التوراة والانجيل من نعت
محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وسبب كفرهم بالتورية والانجيل على هذا القول هو تحريفهم وتبديلهم
ما فيهما من بيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته والبشارة بنبوته لانهم ينكرون ذلك وانتم تشهدون
يعني ان نعته وصفته مذكور في التورية والانجيل وذلك ان احبار اليهود كانوا يكتمون الناس نعته وصفته
فاذا خلا بعضهم ببعض اظهروا ذلك فيما بينهم واقروا انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل
وذلك ان علماء اليهود والنصارى كانوا يعلمون بقلوبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله
وان دينه حق وكانوا ينكرون ذلك بالسنتهم وكانوا يجتهدون في القاء الشبهات والتشكيكات
وذلك ان من سعى في اخفاء الحق لا يقدر على ذلك الا بهذه الامور فقوله تعالى لم تلبسون الحق بالباطل
معناه بتحريف التورية وتبديلها فتخلطون المحرف الذي كتبوه بايديهم بالحق المنزل وقيل هو
خلط الاسلام باليهودية والنصرانية وذلك انهم تواطئوا على اظهار الاسلام في اول النهار
والرجوع عنه في اخره والمراد بذلك تشكيك الناس وقيل انهم كانوا يقولون ان محمدا صلى
الله عليه وسلم معترف بصحة نبوة موسى وانه حق ثم ان التوراة دالة على ان شرع موسى لا
ينسخ فهذا من تلبيسهم على الناس وتكتمون الحق يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته
في التورية وانتم تعلمون يعني انه رسول من عند الله وان دينه حق فانما كتمتم الحق عنادا وحسدا
وانتم تعلمون يعني انه رسول من عند الله وان دينه حق وانما كتمتم الحق عنادا فما تستحقون
على كتمان الحق من العقاب قوله عز وجل وقالت طايفة من اهل الكتاب امنوا بالذي
انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره وهذا نوع اخر من تلبيسات اليهود قيل
تواطا اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين
محمد اول النهار باللسان دون اعتقاد القلب ثم اكفروا اخر النهار وقولوا انا نظرنا
في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا ان محمدا ليس هو بذلك المبعوث وظهر لنا كذبه فاذا فعلتم
ذلك شك اصحاب محمد في دينه واتهموه وقالوا انهم اهل كتاب واعلم به منا فيرجعون عن دينهم وقيل هذا
في شان القبلة وذلك انه لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف واصحابه امنوا بالذي
انزل على محمد في امر الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم اكفروا وارجعوا الى قبلتكم اخر النهار لعلهم يرجعون فيقولون
هؤلاء اهل كتاب وهم اعلم فيرجعون الى قبلتنا فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على سرهم وانزل هذه الاية
ووجه النهار اوله والوجه مستقبل كل شيء لانه اول ما يواجه منه وانشدوا في معناه من كان مسرورا
بمقتل مالك فليات نسوتنا بوجه نهار وقوله لعلهم يرجعون يعني عنه اي القينا هذه الشبهة لعلهم
يشكون في دينهم فيرجعون عنه ولما دبروا هذه الحيلة اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بها فلم يتم
لهم ولم تحصل لها اثر في قلوب المومنين ولولا هذا الاعلام من الله تعالى لكان ربما اثر ذلك في قلوب بعض من كان

في امانه ضعف قوله تعالى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم هذا متصل بالاول وهو من قول اليهود يقول بعضهم لبعض
ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم اي وافق ملتكم التي انتم عليها وهي اليهودية واللام في لمن صلة كقوله ردف
لكم اي ردفكم قل ان الهدى هدى الله اي ان الدين دين الله والبيان بيانه وهذا خبر من الله تعالى ثم اختلفوا
فمنهم من قال هذا كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول وهو اخبار عن قول اليهود بعضهم
لبعض ومعنى الآية ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من العلم والحكمة والكتاب
والآيات من فلق البحر وانزال المن والسلوى عليكم وغير ذلك من الكرامات ولا تؤمنوا ان يحاجوكم عند ربكم لانكم
اصح دينا منهم فلما اخبر الله تعالى عن اليهود بذلك قال في اثناء ذلك قل ان الهدى هدى الله والمعنى ان الذي انتم
عليه انما صار دينا لكم بحكم الله وامره فاذا امر بدين آخر وجب اتباعه والانقياد لحكمه لانه هو الذي هدى اليه وامر
به وقيل معناه قل لهم يا محمد ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به ولن ينفعكم في دفعه هذا الكيد الضعيف وقرأ
الحسن والاعمش ان يؤتى بكسر الالف فيكون قول اليهود تاما عند قوله الا لمن تبع دينكم وما بعده من قول الله تعالى
والمعنى قل يا محمد ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ويكون ان بمعنى الجحد اي ما يؤتى مثل ما اوتيتم
يا امة محمد من الدين والهدى او يحاجوكم عند ربكم يعني الا ان يحاجوكم اليهود بالباطل فيقولوا نحن افضل منكم دينا ذلكم
عند ربكم اي عند فعل ربكم بكم وقيل او في قوله او يحاجوكم بمعنى حتى ومعنى الآية ما اعطى الله احدا مثل ما اعطيتم يا امة
محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرأ ابن كثير ان يؤتى بالمد على الاستفهام وحينئذ يكون في الكلام حذف
تقديره ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة تحسدونه ولا تؤمنون به هذا قول قتادة
والربيع قالا هذا من قول الله تعالى يقول قل يا محمد ان الهدى هدى الله اي انزل كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا مثل
نبيكم حسدتموه وكفرتم به قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقوله او يحاجوكم على هذه القراءة رجوع الى خطاب
المؤمنين ويكون او بمعنى ان لانهما حرفا شرط وجزاء يوضع احدهما موضع الآخر والمعنى وان يحاجوكم يا معشر المؤمنين عند
ربكم قل يا محمد ان الهدى هدى الله ونحن عليه ويحتمل ان يكون الجميع خطابا للمؤمنين ويكون نظم الآية ان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم يا معشر المؤمنين فان حسدوكم فقل ان الفضل بيد الله فان حاجوكم فقل ان الهدى هدى
الله ويحتمل ان يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله لعلهم يرجعون وقوله ولا تؤمنوا من كلام الله تعالى يثبت به قلوب
المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم في دينهم يقول الله تعالى لا تصدقوا يا معشر المؤمنين الا من
تبع دينكم ولا تصدقوا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من الدين والفضل ولا تصدقوا ان يحاجوكم عند ربكم او يقدروا
على ذلك فان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم فتكون الآية كلها خطابا
للمؤمنين عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا ولا يشكوا وقوله تعالى قل ان الفضل بيد الله يعني قل لهم يا محمد ان
التوفيق للايمان والهداية للاسلام بيد الله اي انه مالكه وقادر عليه دونكم ودون سائر خلقه يؤتيه
من يشاء يعني ان الفضل الذي هو دين الاسلام يعطيه من يشاء من عباده ويوفق له من اراد من خلقه وفيه
تكذيب لليهود في قولهم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم فقال الله ردا عليهم قل لهم ليس ذلك اليكم وانما الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء واصل الفضل في اللغة الزيادة واكثر ما يستعمل في زيادة الاحسان والفاضل الزائد
على غيره في خصال الخير والله واسع اي ذو سعة يتفضل على من يشاء عليم اي بمن يستحق الفضل وهو
للفضل اهل يختص برحمته اي بنبوته ورسالته وقيل بدينه الذي هو الاسلام وقيل بالقرآن من يشاء
يعني من خلقه وفيه دليل على ان النبوة لا تحصل الا بالاختصاص والتفضل لا بالاستحقاق لانه تعالى
جعلها من باب الاختصاص وللفاعل ان يفعل ما يشاء الى من يشاء بغير استحقاق والله ذو الفضل العظيم

قوله عز وجل ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك
الآية نزلت في اليهود اخبر عز وجل ان منهم اهل امانة وخيانة وقسمهم قسمين والقنطار عبارة عن المال الكثير والدينار
عبارة عن المال القليل يقول منهم من يؤدي الامانة وان كثرت مثل عبد الله بن سلام واصحابه قال ابن عباس
في هذه الآية اودع رجل من قريش عبد الله بن سلام الفا ومائتي اوقية من ذهب فاداها اليه فذلك قوله ومن
اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك يعني فنحاص بن عازورا
استودعه رجل من قريش دينارا فخانه وجحده ولم يؤده اليه وقيل اهل الامانة هم النصارى واهل
الخيانة هم اليهود لان من مذهبهم انه يحل قتل من خالفهم في الدين واخذ ماله باي طريق كان الا ما
دمت عليه قائما قال ابن عباس يريد تقوم عليه وتطالبه بالالحاح والخصومة والملازمة وقيل معناه
الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه متوكلا عليه بالمطالبة له والتعنيف او الرفع الى الحاكم
واقامة البينة عليه وقيل اراد انه ان اودعته شيئا ثم استرجعته منه في الحال وانت قائم على راسه
لم تفارقه رده عليك وان اخرت استرجاع ما اودعته انكره ولم يرده عليك ذلك اي سبب ذلك الاستحلال
والخيانة بانهم قالوا يعني اليهود ليس علينا في الاميين سبيل يعني انهم يقولون ليس علينا اثم ولا
حرج في اخذ مال العرب وذلك ان اليهود قالوا اموال العرب حلال لنا لانهم ليسوا على ديننا ولا حرمة
لهم في كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم وقيل ان اليهود قالوا نحن ابناء الله واحباؤه
والخلق لنا عبيد فلا سبيل علينا اذا اكلنا اموال عبيدنا وقيل انهم قالوا ان الاموال كلها كانت
لنا فما في يد العرب فهو لنا وانهم ظلمونا وغصبوها منا فلا سبيل علينا في اخذها منهم باي طريق كان
وقيل ان اليهود كانوا يبايعون رجالا من المسلمين في الجاهلية فلما اسلموا تقاضوهم بقية اموالهم فقالوا
ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك
في كتابهم فاكذبهم الله تعالى فقال ويقولون على الله الكذب يعني اليهود وهم يعلمون يعني انهم كاذبون
ثم انه تعالى رد على اليهود قولهم فقال بلى اي ليس الامر كما قالوا بل عليهم سبيل ولفظة بلى تثبت ما
قبلها فعلى هذا يحسن الوقوف عليها ثم يبتدئ من اوفى بعهده اي ولكن من اوفى بعهده اي
بعهد الله الذي عهد اليه في التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الذي انزل عليه وبادا الامانة
الى من ائتمنه عليها وقيل الهاء في قوله بعهده راجعة الى الموفي واتقى يعني الكفر والخيانة ونقض العهد
فان الله يحب المتقين يعني الذين يتقون الشرك ق عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها
اذا اؤتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وفي رواية اذا حدث كذب واذا وعد
اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر قوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا
قال عكرمة نزلت هذه الآية في احبار اليهود ورؤسائهم في ابي رافع وكنانة بن ابي الحقيق وكعب بن الاشرف
وحيي بن اخطب الذين كتموا ما عهد الله اليهم في التوراة في شان محمد صلى الله عليه وسلم فبدلوه وكتبوا بايديهم
غيره وحلفوا انه من عند الله لئلا يفوتهم الرشى والماكل التي كانوا ياخذونها من اتباعهم وسفلتهم وقيل
نزلت في ادعاء اليهود انه ليس علينا في الاميين سبيل وكتبوا ذلك بايديهم وحلفوا انه من عند الله وقيل
نزلت في الاشعث بن قيس وخصم له ق عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف
على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان قال عبد الله ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

مصداقه من كتاب الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى اخر الاية وفي رواية قال من حلف
على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فانزل الله عز وجل تصديق ذلك ان الذين يشترون
بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الاية فدخل الاشعث بن قيس الكندي فقال ما يحدثكم ابو عبد الرحمن قلنا كذا وكذا
فقال صدق فيّ نزلت كان بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم شاهداك او يمينه قلت انه اذا يحلف ولا يبالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين صبر
يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ونزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم
ثمنا قليلا الى اخر الاية واخرجه الترمذي وابو داود وقالا ان الخصومة كانت بين الاشعث وبين رجل يهودي
وقيل نزلت هذه الاية في رجل اقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد اعطي بها ما لم يعط ليوقع فيها
من المسلمين فنزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى اخر الاية وقيل الاقرب حمل الاية على الكل
فقوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله يدخل فيه جميع ما امر الله به ويدخل فيه العهود والمواثيق المأخوذة
من جهة الرسل ويدخل فيه ما يلزم الرجل نفسه من عهد وميثاق فكل ذلك من عهد الله الذي يجب الوفاء
به ومعنى ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله يعني الامانة وايمانهم يعني الكاذبة ثمنا قليلا يعني شيئا يسيرا
من حطام الدنيا وذلك ان المشتري يأخذ شيئا ويعطي شيئا فكل واحد من المعطى والمأخوذ ثمن للاخر فهذا
معنى الشراء اولئك يعني من هذه صفته لا خلاق لهم في الاخرة اي لا نصيب لهم في الاخرة ونعيمها وجميع
منافعها ولا يكلمهم الله يعني كلاما يسرهم به او ينفعهم وقيل هو بمعنى الغضب ولا ينظر اليهم اي
اي لا يرحمهم ولا يحسن اليهم ولا ينيلهم خيرا ولا يزكيهم اي لا يطهرهم من الذنوب ولا يثني عليهم بجميل
ولهم عذاب اليم يعني في الاخرة ق عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله
يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم رجل حلف على سلعة لقد اعطي بها اكثر مما اعطي
وهو كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم ورجل منع فضل ماء
فيقول الله له اليوم امنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك م عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم قال فقرأها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقلت خابوا وخسروا من هم يا رسول الله قال المسبل والمنان والمنفق
سلعته بالحلف الكاذب وللنسائي المنان بما اعطى والمسبل ازاره والمنفق سلعته بالحلف
الكاذب م عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه
الجنة واوجب له النار قالوا يا رسول الله وان كان شيئا يسيرا قال وان كان قضيبا من اراك
قوله عز وجل وان منهم يعني اليهود لفريقا يعني طائفة وجماعة وهم كعب بن الاشرف ومالك بن
الصيف وحيي بن اخطب وابو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر يلوون السنتهم بالكتاب يعني
بالتحريف والتغيير والتبديل وتحريف الكلام تقليبه عن وجهه لان المحرف يلوي لسانه عن سنن
الصواب بما يأتي به من عند نفسه فاللي الواحد ويحتمل ان يكون المعنى يلوون بالسنتهم الكتاب لانهم
يحرفون الكتاب عما هو عليه بالسنتهم فيأتون به على القلب وقال الامام فخر الدين عن القفال قال
يلوون السنتهم معناه ان يعمدوا الى اللفظة فيحرفونها في حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى وهذا
كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله في العبرانية فلما فعلوا ذلك في الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
من التوراة كان ذلك هو المراد من قوله يلوون السنتهم بالكتاب وقيل انهم عمدوا الى صفة النبي صلى الله عليه وسلم من التوراة

ويبدلونها وانه الرجم وغير ذلك مما بدلوا وغيروا لتحسبوه من الكتاب يعني لتظنوا ان الذي حرفوه وبدلوه من الكتاب الذي
انزله الله على انبيائه وما هو من الكتاب يعني ذلك الذي يدعون انه من الكتاب ما هو منه ويقولون هو من عند الله وما
هو من عند الله يعني الذي يقولونه ويغيرونه وانما كررهما بلفظين مختلفين مع اتحاد المعنى لاجل التأكيد ويقولون على الله
الكذب وهم يعلمون يعني انهم كاذبون وقال ابن عباس ان الاية نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك انهم حرفوا التوراة
والانجيل والحقوا في كتاب الله ما ليس فيه قوله تعالى ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة قيل ان نصارى
نجران قالوا ان عيسى امرهم ان يتخذوه ربا فقال الله تعالى ردا عليهم ما كان لبشر يعني عيسى عليه السلام ان يؤتيه الله الكتاب
يعني الانجيل وقال ابن عباس في قوله تعالى ما كان لبشر يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ان يؤتيه الله الكتاب يعني القرآن وذلك
ان ابا رافع من اليهود والسيد من نصارى نجران قالا يا محمد تريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان آمر بعبادة
غير الله وما بذلك امرني الله وما بذلك بعثني فانزل الله هذه الاية ما كان لبشر اي ما ينبغي لبشر وهو جميع بني ادم لا واحد له
من لفظه كالقوم والرهط ويوضع موضع الواحد والجمع ان يؤتيه الله الكتاب والحكم يعني الفهم والعلم وقيل هو امضاء
الحكم عن الله تعالى والنبوة يعني المنزلة الرفيعة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ومعنى الاية انه لا يجتمع لرجل نبوة مع القول
للناس كونوا عبادا لي من دون الله وكيف يدعو الناس الى عبادة نفسه دون الله وقد اتاه الله ما اتاه من الكتاب والحكم والنبوة وذلك
ان الانبياء موصوفون بصفات لا يحصل معها ادعاء الالهية والربوبية منها ان الله تعالى اتاهم الكتب السماوية ومنها اتيان النبوة
ولا يكون ذلك الا بعد كمال العلم وكل هذا يمنع من هذه الدعوى ولكن كونوا ربانيين يعني ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فاضمر القول على حسب مذهب
العرب في جواز الاضمار اذا كان في الكلام ما يدل عليه واختلفوا في معنى الرباني فقال ابن عباس معناه كونوا فقهاء علماء وعنه كونوا فقهاء معلمين وقيل
معناه حكماء علماء وقيل الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره وقيل الرباني العالم الذي يعمل بعلمه وقيل الرباني
العالم بالحلال والحرام والامر والنهي وقيل الرباني الذي جمع بين علم البصيرة والعلم بسياسة الناس ولما مات ابن عباس رضي الله عنهما
قال محمد بن الحنفية اليوم مات رباني هذه الامة قال سيبويه الرباني المنسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به ومواظبا على
طاعته وزيادة الالف والنون فيه للدلالة على كمال هذه الصفة وقال المبرد الربانيون ارباب العلم واحدهم رباني
وهو الذي يرب العلم ويرب الناس اي يعلمهم ويصلحهم والالف والنون للمبالغة فعلى هذا قول سيبويه الرباني
منسوب الى الرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب وطاعته وعلى قول المبرد مأخوذ من التربية وقيل الربانيون
هم ولاة الامر والعلماء وهما الفريقان اللذان يطاعان ومعنى الاية على هذا التأويل لا ادعوكم الى ان تكونوا عبادا لي ولكن
ادعوكم الى ان تكونوا ملوكا وعلماء ومعلمين الناس الخير ومواظبين على طاعة الله وعبادته وقال ابو عبيدة احسب
هذه الكلمة ليست عربية انما هي عبرانية او سريانية وسواء كانت عربية او عبرانية فهي تدل على الذي علم وعمل بما علم
وعلم الناس طرق الخير وقوله تعالى بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اي كونوا ربانيين بسبب كونكم عالمين ومعلمين
وبسبب دراستكم الكتاب فدلت الاية على ان العلم والتعليم والدراسة توجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل
بالعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع علمه وخاب سعيه قوله عز وجل ولا يأمركم قرئ بنصب الراء عطفا على قوله
ثم يقول فيكون مردودا على البشر وقيل على اضمار ان اي ولا ان يأمركم وقرئ برفع الراء على الاستئناف وهو
ظاهر ومعناه ولا يأمركم الله وقيل ولا يأمركم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ولا يأمركم عيسى وقيل ولا يأمركم الانبياء
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا يعني كفعل قريش والصابئين حيث قالوا الملائكة بنات الله وكفعل اليهود
والنصارى حيث قالوا في المسيح والعزير ما قالوا وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا
بعبادة غير الله عز وجل من اهل الكتاب لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح وعزير فلهذا المعنى خصهم بالذكر
أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون انما قاله على طريق التعجب والانكار يعني لا يقول هذا ولا يفعله قوله تعالى واذ اخذ الله

ميثاق النبيين قال الزجاج موضع اذ نصب المعنى واذكر في اقاصيصك اذ اخذ الله قال الطبري معناه واذكروا يا اهل الكتاب
اذ اخذ الله يعني حين اخذ الله ميثاق النبيين واصل الميثاق في اللغة عقد يؤكد بيمين ومعنى ميثاق النبيين ما وثقوا
به على انفسهم من طاعة الله فيما امرهم به ونهاهم عنه وذكروا في معنى اخذ الميثاق وجهين احدهما انه ماخوذ من الانبياء
والثاني انه ماخوذ لهم من غيرهم فلهذا السبب اختلفوا في المعني بهذه الآية فذهب قوم الى ان الله تعالى اخذ الميثاق
من النبيين خاصة قبل ان يبلغوا كتاب الله ورسالاته الى العباد ان يصدق بعضهم بعضا واخذ العهد على كل نبي ان يؤمن بمن
ياتي بعده من الانبياء وينصره ان ادركه وان لم يدركه ان يامر قومه بنصرته ان ادركوه فاخذ الميثاق من موسى ان يؤمن بعيسى
ومن عيسى ان يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم اجمعين وهذا قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس وقيل انما اخذ الميثاق من النبيين
في امر محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وهو قول علي وابن عباس وقتادة والسدي فعلى هذا القول اختلفوا فقيل انما اخذ
الميثاق على اهل الكتاب الذين ارسل اليهم النبيين ويدل عليه قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به
وانما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى اهل الكتاب دون النبيين وانما اطلق هذا اللفظ عليهم لانهم كانوا يقولون
نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون منا وقيل اخذ الله الميثاق على النبيين واممهم جميعا
في امر محمد صلى الله عليه وسلم فاكتفى بذكر الانبياء لان العهد مع المتبوع عهد مع الاتباع وهو قول ابن عباس قال
علي بن ابي طالب ما بعث الله نبيا فمن بعده الا اخذ عليه العهد في امر محمد صلى الله عليه وسلم واخذ هو العهد على
قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم احياء لينصرنه وقيل ان المراد من الاية ان الانبياء كانوا ياخذون العهد
والميثاق على اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا به وينصروه وهذا قول كثير من العلماء
وقوله لما آتيتكم من كتاب وحكمة قرئ بفتح اللام من لما وبكسرها مع التخفيف في القراءتين فمن قرأ بفتح اللام
قال معنى الاية واذ اخذ الله ميثاق النبيين من اجل الذي آتاكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول يعني ذكر محمد صلى الله عليه وسلم
في التوراة لتؤمنن به للذي عندكم في التوراة من ذكره ومن قرأ بكسر اللام جعل قوله لتؤمنن به من اخذ الميثاق
كما تقول اخذت ميثاقك لتفعلن لان اخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف فكان معنى الآية واذ استحلف الله النبيين
للذي آتاهم من كتاب وحكمة متى جاءكم رسول مصدق لما معكم ليؤمنن به ولينصرنه وقوله ثم جاءكم رسول يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم مصدق لما معكم وذلك ان الله وصفه في كتب الانبياء المتقدمة وشرح فيها احواله
فاذا جاءت صفاته واحواله مطابقة لما في كتبهم المنزلة فقد صار مصدقا لها فيجب الايمان به والانقياد ١٢١
لقوله ولامه قوله لتؤمنن به لام القسم تقديره والله لتؤمنن به ولتنصرنه قال البغوي قال الله عز وجل
للانبياء حين استخرج الذرية من صلب آدم والانبياء فيهم كالمصابيح اخذ عليهم الميثاق في امر محمد
صلى الله عليه وسلم وقال الامام فخر الدين الرازي يحتمل ان يكون هذا الميثاق ما قرر في عقولهم من الدلائل
الدالة على ان الانقياد لله واجب فاذا جاء رسول وظهرت المعجزات الدالة على صدقه فاذا
اخبرهم بعد ذلك ان الله امر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه فتقرير هذا الدليل في عقولهم هو المراد
من الميثاق قال أأقررتم يعني قال الله أأقررتم فان فسرنا ان اخذ الميثاق كان من النبيين كان معناه قال الله
للنبيين أأقررتم بالايمان والنصرة له وان فسرنا بان اخذ الميثاق كان على الامم كان معناه قال كل نبي
لامته أأقررتم وذلك لانه تعالى اضاف اخذ الميثاق الى نفسه وان كان النبيون اخذوه على الامم فلذلك
طلب هذا الاقرار واضافه الى نفسه وان وقع من الانبياء والمقصود ان الانبياء بالغوا في اثبات هذا
الميثاق وتاكيده على الامم وطالبوهم بالقبول واكدوا ذلك بالاستشهاد واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي
والاصر العهد الثقيل وقيل سمي الاصر عهدا لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد قالوا اقررنا اي قال النبيون

اقررنا

اقررنا ان نؤمن بالرسل الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من كتبك قال فاشهدوا يعني
قال الله عز وجل للنبيين فاشهدوا يعني انتم على انفسكم وقيل على اممكم واتباعكم الذين اخذتم عليهم الميثاق
وقيل قال الله للملائكة فاشهدوا فهو كناية عن غير مذكور وقيل معناه فاعلموا وبينوا لان اصل الشهادة
العلم والبيان وانا معكم من الشاهدين يعني قال الله يا معشر الانبياء وانا معكم من الشاهدين عليكم وعلى
اتباعكم او قال للملائكة وانا معكم من الشاهدين عليهم وعلى اتباعهم وقال فمن تولى بعد ذلك اي اعرض عن
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصرته بعد ذلك الاقرار فاولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن الايمان
والطاعة قوله عز وجل افغير دين الله يبغون وذلك ان اهل الكتاب اختلفوا فادعى كل فريق منهم
انه على دين ابراهيم عليه السلام فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من دين ابراهيم
فغضبوا وقالوا لا نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فانزل الله افغير دين الله الهمزة للاستفهام والمراد منه الانكار والتوبيخ
يعني افبعد اخذ الميثاق عليهم ووضوح الدلائل لهم ان دين ابراهيم هو دين الله الاسلام يبغون قرئ بالتاء على خطاب
الحاضر اي افغير دين الله تطلبون يا معشر اليهود والنصارى وقرئ بالياء على الغيبة ردا على قوله فمن تولى بعد
ذلك فاولئك هم الفاسقون وله اسلم من في السماوات اي خضع وانقاد من في السماوات والارض طوعا وكرها
فالطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره ما كان من ذلك بمشقة واباء من النفس واختلفوا في معنى قوله
طوعا وكرها فقيل اسلم اهل السماوات طوعا واسلم بعض اهل الارض طوعا وبعضهم كرها من خوف القتل
والسبي وقيل اسلم المؤمن طوعا وانقاد الكافر كرها وقيل هذا في يوم اخذ الميثاق حين قال الست
بربكم قالوا بلى فمن سبقت له السعادة قال ذلك طوعا ومن سبقت له الشقاوة قال ذلك كرها وقيل اسلم المؤمن
طوعا فنفعه اسلامه يوم القيامة والكافر يسلم كرها عند الموت في وقت الياس فلم ينفعه ذلك في القيامة
وقيل انه لا سبيل لاحد من الخلق الى الامتناع على الله في مراده فاما المسلم فينقاد لله تعالى فيما امره
به او نهاه عنه طوعا واما الكافر فينقاد لله كرها في جميع ما يقضي عليه ولا يمكنه دفع قضائه وقدره
واليه يرجعون قرئ بالتاء والياء والمعنى ان مرجع الخلق كلهم الى الله يوم القيامة ففيه وعيد عظيم لمن
خالفه في الدنيا قوله تعالى قل آمنا بالله لما ذكر الله عز وجل في الآية المتقدمة اخذ الميثاق على الانبياء في
تصديق الرسول الذي ياتي مصدقا لما معهم بين في هذه الآية ان من صفة محمد صلى الله عليه وسلم كونه مصدقا لما معهم
فقال تعالى قل آمنا بالله وانما وحد الضمير في قوله قل وجمع في قوله آمنا لانه انما خاطبه بلفظ الواحد ليدل بهذا الكلام
على انه لا يبلغ هذا التكليف عن الله تعالى الى الخلق الا هو ثم قال آمنا تنبيها على انه حين قال هذا القول وافقه
اصحابه فحسن الجمع في قوله آمنا ومعنى الآية قل يا محمد صدقنا بالله انه ربنا والهنا لا اله لنا غيره ولا رب سواه وانما
قدم الايمان بالله على غيره لانه الاصل وما انزل علينا يعني وقل يا محمد وصدقنا ايضا بما انزل علينا من وحيه
وتنزيله وانما قدم ذكر القرآن لانه اشرف الكتب ولانه لم يحرف ولم يبدل وغيره حرف وبدل وما انزل على ابراهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى انما خص هؤلاء الانبياء بالذكر لان اهل الكتاب
يعترفون بوجودهم ولم يختلفوا في نبوتهم والاسباط هم اولاد يعقوب الاثنا عشر وكانوا انبياء ثم جمع جميع الانبياء
فقال والنبيون اي وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم وذلك ان اهل الكتاب يؤمنون
ببعض النبيين ويكفرون ببعض فامر الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم ان يخبر عن نفسه وعن امته انه يؤمن
بجميع الانبياء فان قلت لم عدي انزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها في البقرة بحرف الانتهاء
قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين وتارة بالمعنى

الآخرة ونحن له مسلمون أي موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكاً في عبادتنا قوله عز وجل ومن يبتغ
غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه يعني أن الدين المقبول عند الله هو دين الإسلام وأن كل دين سواه
غير مقبول عنده لأن الدين الصحيح ما يأمر الله به ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه وهو في الآخرة من
الخاسرين يعني الذين وقعوا في الخسار وهو حرمان الثواب وحصول العقاب وروى ابن جرير الطبري
عن عكرمة في قوله ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه قالت اليهود فنحن له مسلمون فقال الله عز وجل
لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا قوله تعالى كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم
نزلت في اثني عشر رجلاً ارتدوا عن الإسلام وخرجوا من المدينة وأتوا مكة كفاراً منهم الحارث بن سويد الأنصاري
وطعمة بن أبيرق ووحوح بن الأسلت وقال ابن عباس نزلت في اليهود والنصارى وذلك أن اليهود كانوا قبل
مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون به على الكفار ويقرون به ويقولون قد أظل زمان نبي مبعوث فلما بعث
صلى الله عليه وسلم كفروا به بغياً وحسداً ومعنى كيف يهدي الله كيف يرشد الله للصواب ويوفق للإيمان قوماً
كفروا أي جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد إيمانهم أي تصديقهم إياه وإقرارهم به وبما جاء به من عند ربه
وشهدوا أن الرسول حق يعني وبعد أن أقروا وشهدوا أن محمداً رسول الله إلى خلقه وأنه حق وصدق
وجاءهم البينات يعني بالحجج والبراهين والمعجزات الدالة على صحة نبوته التي تثبت بها النبوة والله لا يهدي
القوم الظالمين أي لا يوفقهم إلى الحق والصواب لما سبق في علمه تعالى أنهم ظالمون وقيل لا يهديهم إلى
الجنة والثواب فإن قلت كيف قال في أول الآية كيف يهدي الله قوماً كفروا وقال في آخرها والله لا يهدي
القوم الظالمين وهذا تكرار قلت ليس فيه تكرار لأن قوله كيف يهدي الله قوماً كفروا إنما هو مختص
بأولئك المرتدين عن الإسلام ثم إنه تعالى عمم ذلك الحكم في آخر الآية فقال والله لا يهدي القوم الظالمين
يعني جميع الكفار المرتدين والكفار الأصليين وإنما سمي الكافر ظالماً لأنه وضع العبادة في غير موضعها أولئك
جزاؤهم يعني الذين كفروا بعد إيمانهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين
فيها أي في عذاب اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الآية في تفسير سورة البقرة لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون أي ولا يؤخرون عن وقت العذاب ولا يؤخر عنهم من وقت إلى وقت ثم استثنى
سبحانه وتعالى فقال إلا الذين تابوا من بعد ذلك يعني من بعد ارتدادهم وكفرهم وذلك أن الحارث
ابن سويد الأنصاري لما لحق بالكفار ندم على ذلك فأرسل إلى قومه أن سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل لي من توبة ففعلوا فأنزل الله إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا الآية فبعث بها إليه أخوه
الجلاس مع رجل من قومه فأقبل إلى المدينة تائباً وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته وحسن
إسلامه وأصلحوا أي وضموا إلى التوبة الأعمال الصالحة فبين أن التوبة وحدها لا تكفي حتى
ينضاف إليها العمل الصالح وقيل معناه وأصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع
الخلق بالعبادات والطاعات فإن الله غفور رحيم أي غفور لقبائحهم في الدنيا بالستر رحيم في
الآخرة بالعفو وقيل غفور بإزالة العذاب رحيم بإعطاء الثواب قوله عز وجل إن الذين كفروا بعد إيمانهم
ثم ازدادوا كفراً نزلت في اليهود وذلك أنهم كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى وغيره من أنبيائهم ثم
ازدادوا كفراً يعني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت في اليهود والنصارى وذلك
كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن بعد إيمانهم به قبل مبعثه لما نعت عندهم من نعته وصفته
في كتبهم ثم ازدادوا كفراً يعني ذنوباً في حال كفرهم وقيل نزلت في جميع الكفار وذلك أنهم أشركوا بالله بعد

إقرارهم

إقرارهم بأن الله خالقهم ثم ازدادوا كفراً يعني بإقامتهم على كفرهم حتى هلكوا عليه وقيل زيادة كفرهم هو
قولهم نتربص بمحمد ريب المنون وقيل نزلت في الأحد عشر رجلاً من أصحاب الحارث بن سويد الذين ارتدوا
عن الإسلام فلما رجع الحارث إلى الإسلام أقاموا على كفرهم بمكة وقالوا نقيم على الكفر ما بدا لنا فمتى أردنا
الرجعة نزل فينا مثل ما نزل في الحارث فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فمن دخل منهم في دين
الإسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم على كفره إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية فإن
قلت قد وعد الله قبول التوبة ممن تاب فما معنى قوله تعالى لن تقبل توبتهم قلت اختلف
المفسرون في معنى قوله لن تقبل توبتهم فقال الحسن وقتادة وعطاء والسدي لن تقبل توبتهم
حين يحضرهم الموت وهو وقت الحشرجة لأن الله تعالى قال وليست التوبة للذين يعملون السيئات
حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن فإن الذي يموت على الكفر لا تقبل توبته كأنه قال إن اليهود
والكفار أو المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا ثم ماتوا على ذلك لن تقبل توبتهم وقال ابن عباس
هم الذين ارتدوا وعزموا على إظهار التوبة لستر أحوالهم والكفر في ضمائرهم وقال أبو العالية هم قوم تابوا
من ذنوب عملوها في حال الشرك ولم يتوبوا من الشرك فإن توبتهم في حال الشرك غير مقبولة وقال
[illegible] هو لن تقبل توبتهم إذا ماتوا على الكفر وقال ابن جرير الطبري معنى لن تقبل توبتهم مما ازدادوا من الكفر من د
على كفرهم بعد إيمانهم لأن الله تعالى وعد أن يقبل التوبة عن عباده وأنه قابل توبة كل تائب من كل
ذنب بقوله إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم علم أن المعنى الذي لا يقبل التوبة منه غير المعنى
الذي يقبل منه فعلى هذا فالذي لا تقبل توبته هو الازدياد على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله منه توبته
ما أقام على كفره لأن الله تعالى لا يقبل عمل مشرك ما أقام على شركه فإذا تاب من شركه وكفره وأصلح
فإن الله كما وصف نفسه غفور رحيم قوله تعالى وأولئك هم الضالون يعني هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم
ثم ازدادوا كفراً هم الذين ضلوا عن سبيل الحق وأخطأوا منهاجه قوله تعالى إن الذين كفروا وماتوا
وهم كفار قال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل من كان من أصحاب الحرث بن سويد
حياً في الإسلام فنزلت هذه الآية فيمن مات منهم على الكفر وقيل نزلت فيمن مات كافراً من جميع
أصناف الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الأصنام فالآية عامة في جميع من مات على الكفر
فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً أي قدر ما يملأ الأرض من شرقها إلى غربها ولو افتدى
به قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة وقيل الواو على حالها وفائدتها العطف
والتقدير لو تقرب إلى الله بملء الأرض ذهباً وقد مات على كفره لم ينفعه ذلك ولو افتدى من العذاب
بملء الأرض ذهباً لن يقبل منه وهذا أكد في التغليظ لأنه تصريح بنفي القبول من جميع الوجوه
فإن قلت الكافر لا يملك شيئاً في الآخرة فأوجه قوله فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً قلت
الكلام ورد على سبيل الفرض والتقدير والمعنى لو أن للكافر قدر ملء الأرض ذهباً يوم القيامة لبذله
في تخليص نفسه من العذاب ولكن لا يقدر على شيء من ذلك وقيل معناه لو أن الكافر أنفق في الدنيا
ملء الأرض ذهباً ثم مات على كفره لم ينفعه ذلك لأن الطاعة مع الكفر غير مقبولة أولئك إشارة إلى
من مات على الكفر لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين يعني مانعين يمنعونهم من العذاب ق عن أنس
ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لو أن لك
ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا

تشترك بي شيئا فاثبت الا الشرك لفظ مسلم قوله عز وجل لن تنالوا البر قال ابن عباس يعني الجنة وقيل البر هو
وقيل هو التقوى وقيل هو الطاعة وقيل معناه لن تنالوا بر الله وهو ثوابه واصل البر التوسع في فعل الخير يقال
بر العبد ربه اي توسع في طاعته فالبر من الله الثواب ومن العبد الطاعة وقد يستعمل في الصدق وحسن
الخلق لانهما من الخير المتوسع فيه ق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى
البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور
يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا م عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس فعلى هذا يكون
المعنى عليكم بالاعمال الصالحة حتى تكونوا ابرارا وتدخلوا في زمرة الابرار ومن قال ان لفظ البر هو الجنة قال معنى الآية
لن تنالوا ثواب البر المؤدي الى الجنة حتى تنفقوا مما تحبون يعني من جيد اموالكم وانفسها عندكم قال الله تعالى ولا تيمموا
الخبيث منه تنفقون وقيل هو ان تنفق من مالك ما انت محتاج اليه قال الله تعالى ويؤثرون على انفسهم
ولو كان بهم خصاصة ق عن ابي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اي الصدقة افضل قال ان تصدق
وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الا وقد كان واختلفوا في
هذا الانفاق فقال ابن عباس هو الزكاة المفروضة والمعنى لن تنالوا البر حتى تخرجوا زكاة اموالكم فعلى هذا القول قيل
ان الآية منسوخة بآية الزكاة وفيه بعد لانه ترغيب في اخراج الزكاة وقال ابن عمر المراد بها سائر الصدقات وقال الحسن كل
ما انفقه المسلم من ماله مما يبتغي به وجه الله ويطلب به ثوابه حتى التمرة فانه يدخل في قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
ق عن انس بن مالك قال كان ابو طلحة اكثر انصاري بالمدينة مالا وكان احب ماله اليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بيرحا
يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال انس فلما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام ابو طلحة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الله تعالى يقول في كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان احب اموالي الي
بيرحاء وانها صدقة لله عز وجل ارجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بخ بخ مال رابح او قال ذاك مال رابح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها ابو طلحة في اقاربه
وبني عمه قوله بخ هي كلمة تقال عند المدح والرضا وتكريرها للمبالغة وهي مبنية على السكون فاذا وصلت جرت ونونت
فقلت بخ بخ وقيل بخ بخ قوله مال رابح اي ذو ربح وفي الرواية الاخرى ذاك مال رايح بالياء معناه يروح عليك
نفعه وثوابه وبيرحاء اسم موضع بالمدينة وهو حائط كان لابي طلحة وروي عن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى
الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت فلما جاءت المجينة فقال عمر ان الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون فاعتقها عمر وعن حمزة بن عبد الله بن عمر ان عبد الله بن عمر خطرت على قلبه هذه الآية لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون قال عبد الله فذكرت ما اعطاني الله تعالى فما كان شيء احب الي من فلانة فقلت هي حرة لوجه الله
قال ولولا اني لا اعود في شيء جعلته لله لنكحتها وعن عمرو بن العاص قال لما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
جاء زيد بن حارثة بفرس له يقال لها سبيل فاعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق بهذه يا رسول الله فاعطاها رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد بن حارثة فقال يا رسول الله انما اردت ان اتصدق بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبلت
صدقتك وفي رواية كأن زيدا وجد في نفسه فلما رأى ذلك منه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اما ان الله قد قبلها وروي
ان ابا ذر نزل به ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال للراعي خنتني فقال الراعي وجدت خير الابل فحلها
فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وقوله تعالى وما تنفقوا من شيء يعني من اي شيء
كان من طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله به عليم اي يعلمه ويجازيكم به قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل

الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة سبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
انك تزعم انك على ملة ابراهيم وكان ابراهيم لا يأكل لحوم الابل والبانها وانت تأكل ذلك كله فلست على ملته فقال النبي صلى
الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لابراهيم قالوا كلما نحرمه اليوم كان ذلك حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فانزل الله عز وجل
كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه وهو يعقوب من قبل ان تنزل التوراة يعني ليس الامر
على ما تدعيه اليهود من تحريم لحوم الابل على ابراهيم بل كان ذلك حلالا على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وانما حرمه
يعقوب لسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في اولاده فانكر اليهود ذلك فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار
التوراة وطلب منهم ان يستخرجوا منها ان ذلك كان حراما على ابراهيم فعجزوا عن ذلك وافتضحوا وبان كذبهم فيما ادعوا من
حرمة هذه الاشياء على ابراهيم وقيل ان اليهود انكروا شرع محمد صلى الله عليه وسلم وادعوا ان النسخ غير جائز فابطل
الله ذلك عليهم واخبر ان كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فذلك الذي حرمه على نفسه
كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى اولاده فقد حصل النسخ وبطل قول اليهود بان النسخ غير جائز فانكرت اليهود
ذلك وقالوا بل كان ذلك حراما من زمن آدم الى هذا الوقت فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وقال ان
التوراة ناطقة بان بعض انواع الطعام انما حرم بسبب ان اسرائيل حرمه على نفسه فخاف اليهود من الفضيحة وامتنعوا
من احضار التوراة فحصل بذلك كذبهم وانهم ينسبون الى التوراة ما ليس فيها وبطل قولهم بان النسخ غير جائز وفي هذا
دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان رجلا اميا لم يقرأ الكتب ولم يعرف ما في التوراة فلما
اخبر ان ذلك ليس في التوراة علم ان الذي اخبر به صلى الله عليه وسلم انه وحي من الله تعالى وقوله كل الطعام يعني كل انواع
الطعام او سائر المطعومات كان حلالا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه اسرائيل هو يعقوب بن
اسحق بن ابراهيم عليه السلام واختلفوا في الذي حرم يعقوب على نفسه فقيل حرم لحوم الابل والبانها وروى
الطبري بسنده عن ابن عباس ان عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم اخبرنا
اي الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم بالذي
انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله لئن عافاه
الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام اليه لحمان الابل واحب الشراب اليه البانها
فقالوا اللهم نعم وقال ابن عباس [illegible] وكان سبب ذلك انه اشتكى عرق النسا وكان اصل وجعه فيما روي عن
الضحاك ان يعقوب كان نذر ان وهب الله له اثني عشر ولدا واتى بيت المقدس صحيحا ان يذبح احدهم وفي رواية
آخرهم فتلقاه ملك من الملائكة فقال يا يعقوب انك رجل قوي فهل لك في الصراع فعالجه فلم يصرع واحد منهما صاحبه
فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال اما اني لو شئت ان اصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة
لانك نذرت ان اتيت بيت المقدس صحيحا ذبحت آخر ولدك فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجا فلما قدم يعقوب بيت
المقدس اراد ذبح ولده ونسي ما قال له الملك فاتاه الملك وقال له انما غمزتك للمخرج وقد وفي نذرك فلا سبيل لك الى ذبح
ولدك وقال ابن عباس في رواية اخرى اقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب من اخيه العيص وكان يعقوب رجلا
بطشا قويا فلقيه ملك في صورة رجل فظن يعقوب انه لص فعالجه ان يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب وصعد الى السماء ويعقوب
ينظر فهاج به عرق النسا ولقي منه شدة فكان لا ينام الليل من الوجع ويبيت وله زقاء اي صياح فحلف يعقوب لئن شفاه
الله ان لا يأكل عرقا ولا طعاما فيه عرق فحرمه على نفسه فكان بنوه بعد ذلك يتبعون العروق فيخرجونها من اللحم ولا يأكلونها
وقيل لما اصاب يعقوب ذلك وصف له الاطباء تجنب لحمان الابل فحرمها يعقوب على نفسه وقيل انما حرم يعقوب لحوم الجزور تعبدا
لله تعالى وسأل ربه ان يجيز ذلك فحرمه الله على ولده وهو ظاهر الآية لان الله تعالى قال كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل ثم

استثنا ما حرمه اسرايل على نفسه فوجب بحكم الاستثنا ان يكون ذلك حراما على بني اسرايل اما قوله من قبل ان تنزل
التوريه فمعناه ان قبل انزال التوريه كان كل انواع الطعام كانت حلالا لبني اسرايل سوى ما حرمه اسرايل على نفسه اما
بعد نزول التوريه فقد حرم الله تعالى عليهم اشيا كثيره من انواع الطعام ثم اختلفوا في حال هذا الطعام المحرم على بني اسرايل
بعد نزول التوريه فقال السدي حرم الله عليهم في التوريه ما كانوا حرموه على انفسهم قبل نزولها وقال عطيه انما كان
حراما عليهم بتحريم اسرايل فانه قال ان عافاني الله تعالى لا ياكله ولد لي ولم يكن ذلك محرما عليهم في التوريه وقال الكلبي
لم يحرمه الله في التوريه وانما حرم عليهم بعد نزول التوريه بظلمهم كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم وقال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى ان قال ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فكانت بنو اسرايل
اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا او صب عليهم رجزا وهو الموت وقال الضحاك لم يكن شي من ذلك حراما
عليهم ولا حرمه الله في التوريه وانما حرموه على انفسهم اتباعا لابيهم ثم اضافوا تحريمه الى الله عز وجل فكذبهم الله تعالى
فقال تعالى قل فاتوا بالتوريه يعني قل لهم يا محمد فاتوا بالتوريه فاتلوها اي فاقرؤها وما فيها حتى يتبين ان الامر كما قلته
ان كنتم صادقين يعني فيما ادعيتم فلم ياتوا بها وخافوا الفضيحة فقال تعالى فمن افترى على الله الكذب اي اختلق
الكذب والافترا الكذب والقذف واصله من فري الاديم اي قطعه لان الكاذب يقطع القول من غير حقيقه
له في الوجود من بعد ذلك اي من بعد ظهور الحجة بان التحريم انما كان من جهة يعقوب ولم يكن محرما قبله فاولئك هم
الظالمون اي هم المستحقون للعذاب لان كفرهم ظلم منهم لانفسهم ولمن اضلوه عن الدين من بعدهم وهو رد
على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم فيما نعي عليهم مما نطق به القران من تعديد مساويهم
التي كانوا يرتكبونها قل صدق الله يعني قل يا محمد صدق الله فيما اخبر ان ذلك النوع من الطعام صار حراما على
اسرايل واولاده بعد ان كان حلالا لهم فصح القول بالنسخ وبطل قول اليهود وقيل معناه صدق الله في قوله ان
لحوم الابل والبانها كانت محللة لابرهيم عليه السلام وانما حرمت على بني اسرايل بسبب تحريمها اسرايل على نفسه وقيل
صدق الله في ان ساير الاطعمة كانت محللة وانما حرمت على اليهود جزا على قبايح افعالهم وفيه تعريض بكذب
اليهود والمعنى ثبت ان الله تعالى صادق فيما انزل واخبر وانتم كاذبون يا معشر اليهود فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا اي
اتبعوا ما يدعوكم اليه محمد صلى الله عليه وسلم من ملة ابرهيم وهي الاسلام وهو الدين الصحيح وهو الذي عليه محمد ومن امن معه وانما
دعاهم الى ملة ابرهيم لان ملة محمد صلى الله عليه وسلم وما كان من المشركين اي لم يدع مع الله الها اخر ولا عبد سواه قوله عز وجل ان اول بيت وضع للناس
ببكة سبب نزول هذه الايه ان اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهو افضل من الكعبة واقدم وهو مهاجر الانبيا وقبلتهم وارض
المحشر وقال المسلمون بل الكعبة افضل فانزل الله هذه الايه وقيل لما ادعت النصارى واليهود انهم على ملة ابرهيم كذبهم
الله تعالى واخبر ان ابرهيم كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وامرهم باتباعه فقال تعالى في الاية المتقدمة فاتبعوا
ملة ابرهيم حنيفا وكان من اعظم شعاير ملة ابرهيم الحج الى الكعبة ذكر في هذه الاية فضيلة البيت ليفرع عليه ايجاب الحج وقوله ان اول
بيت وضع للناس الاول هو الفرد السابق المتقدم على ما سواه وقيل هو اسم للشي الذي يوجد ابتدا سوا حصل عقيبه
شي اخر او لم يحصل والمعنى ان اول بيت وضع اي وضعه الله موضعا للطاعات والعبادات وقبلة للصلوات وموضعا
للحج والطواف وتزداد فيه الخيرات وثواب الطاعات وكونه وضع للناس يعني يشترك فيه جميع الناس كما قال تعالى سواء
العاكف فيه والباد فان قلت كيف اضافه الى نفسه مرة في قوله وطهر بيتي للطايفين واضافه الى الناس اخرى بقوله وضع
للناس قلت اما اضافته الى نفسه فعلى سبيل التشريف والتعظيم له كقوله ناقة الله واما اضافته الى الناس فلانه يشترك فيه جميع
الناس لانه موضع عبادتهم وقبلة صلاتهم للذي ببكة قيل هي مكة نفسها والعرب تعاقب بين البا والميم فيقولون ضربة لازب ولازم وقيل
بكة اسم لموضع البيت ومكة اسم للبلد وفي اشتقاق بكة وجهان احدهما انه من البك الذي هو عبارة عن الزحم يقال بكه يبكه اذا دفعه وزحمه

قال سعيد بن جبير سميت بكة لان الناس يتباكون فيها اي يزدحمون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر ومجاهد وقتاده الوجه الثاني
سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها ولم يقصدها جبار بسوء الا قصمه الله تعالى وهذا قول عبد الله بن الزبير واما مكة
فسميت بذلك لقلة مايها من قول العرب مك الفصيل ضرع امه وامتكه اذا امتص كل ما فيه من اللبن وقيل لانها تمك الذنوب
اي تزيلها وسميت ام رحم لان الرحمة تنزل بها والحاطمة لانها تحطم من استخف بحرمتها او لان الناس يحطم بعضهم بعضا
من الزحمة وسميت ام القرى لانها اصل كل بلدة ومن تحتها دحيت الارض واختلف العلما في كون البيت اول بيت
وضع للناس على قولين احدهما انه اول في الوضع والبنا قال مجاهد خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيا من الارضين وفي
رواية عنه ان الله خلق موضع هذا البيت قبل ان يخلق شيا من الارض بالفي عام وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الما عند خلق
السموات والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبده بيضا على وجه الما فدحيت الارض من تحته وهذا قول ابن عمرو ومجاهد
وقتاده والسدي وقيل هو اول بيت بني على الارض وروي عن علي بن الحسين ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت
المعمور وامر الملايكة ان يطوفوا به ثم امر الملايكة الذين في الارض ان يبنوا بيتا في الارض على مثاله وقدره فبنوا هذا البيت واسمه
الضراح وامر من في الارض ان يطوفوا به كما يطوف اهل السما بالبيت المعمور وروي ان الملايكة بنوه قبل خلق ادم بالفي عام
وكانوا يحجونه فلما حج ادم قالت الملايكة بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وقال ابن عباس انه اول من بناه
ادم في الارض وقيل ان ادم لما اهبط الى الارض استوحش وشكى الوحشة فامر الله تعالى ببنا الكعبة فبناها وطاف
بها وبقي ذلك البنا الى زمن نوح فلما كان الطوفان رفع الله البيت الى السما وبقي موضع البيت اكمة بيضا الى ان
بعث الله ابرهيم عليه السلام فامره ببنايه القول الثاني ان المراد من الاولية كون هذا اول بيت وضع للناس مباركا
ويدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالى للذي ببكة مباركا ان رجلا قام الى علي بن ابي طالب فقال الا تخبرني عن البيت
اهو اول بيت وضع في الارض قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا وهدى وفيه مقام
ابرهيم ومن دخله كان امنا وقال الحسن هو اول مسجد عبد الله فيه وقال مطر هو اول بيت وضع للعبادة وقال الضحاك
هو اول بيت وضع فيه البركة واول بيت وضع للناس يحج اليه واول بيت جعل قبلة للناس ق عن ابي ذر قال سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اول مسجد وضع في الارض قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما
قال اربعون عاما ثم الارض لك مسجد فحيث ما ادركت الصلاة فصل زاد البخاري فان الفضل فيه وقوله
مباركا يعني ذا بركة واصل البركة النمو والزيادة وقيل هو ثبوت الخير الالهي فيه وقيل هو اول بيت خص بالبركة
وزيادة الخير وقيل لان الطاعات وساير العبادات تتضاعف ويزداد ثوابها عنده ق عن ابي هريره رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام
وهدى للعالمين يعني انه قبلة للمومنين يهتدون به الى جهة صلاتهم وقيل لان فيه دلالة على وجود الصانع
المختار لما فيه من الايات التي لا يقدر عليها غيره وقيل هو هدى للعالمين الى الجنة لان من قصده بان صلى اليه وحج
فقد اوجب الله تعالى له الجنة برحمته قوله تعالى فيه ايات بينات اي فيه دلالات واضحات على حرمته ومزيد فضله
ثم اختلفوا في تفسير تلك الايات فقيل هي قوله مقام ابرهيم ومن دخله كان امنا وقيل الايات غير مذكوره
وهي ما يدل على فضل هذا البيت منها ان الطير لا تطير فوق الكعبة في الهوا بل تنحرف عنه اذا وصلت اليه يمينا
وشمالا ومنها ان الوحش لا يوذي بعضها بعضا في الحرم حتى الكلاب لا تهيج الصيد ولا تصطاد ومنها ان الطير
اذا مرض منها شي استشفى بالكعبة ومنها تعجيل العقوبة لمن انتهك حرمة البيت وما قصده جبار بسوء
الا اهلكه الله كما اهلك اصحاب الفيل وغيرهم ومن الايات التي فيه الحجر الاسود والملتزم والحطيم وزمزم ومشاعر
الحج التي فيه كلها من الايات ومنها ان الامر ببنا هذا البيت هو الجليل والمهندس له هو جبريل والباني هو ابرهيم الخليل

والساعون في بنايه هو اسمعيل فهذه فضيلة عظيمة لهذا البيت قوله تعالى مقام ابرهيم يعني الحجر الذي كان يقوم عليه
عند بنا البيت وكان فيه اثر قدمي ابرهيم فاندرس من كثرة المسح بالايدي ومن دخله كان امنا قيل لما ذكر
الايات المذكورة عقيب قوله ان اول بيت وضع للناس ويدل عليه ايضا دعوة ابرهيم حيث قال رب اجعل هذا
البلد امنا يعني ان هاج فيه وكانت العرب يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكان من دخل الحرم
امن من القتل والغارة وهو المراد من حكم الاية على قول اكثر المفسرين قال الله تعالى اولم يروا انا جعلنا
حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وقيل في معنى الاية ومن دخله عام عمرة القضا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان امنا
وقيل هو خبر بمعنى الامر تقديره ومن دخله فامنوه وهو قول ابن عباس حتى ذهب ابو حنيفة الى ان من وجب عليه
القتل قصاصا كان او حدا فالتجا الى الحرم فانه لا يستوفى منه القصاص او الحد في الحرم لكنه لا يطعم ولا يبايع ولا
يشارب ولا يكلم ويضيق عليه حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد خارج الحرم وقال الشافعي اذا وجب عليه القصاص
خارج الحرم ثم لجا الى الحرم استوفي منه في الحرم واجمعوا على انه لو قتل في الحرم او سرق او زنا فانه يستوفى منه
الحد في الحرم عقوبة له وقيل في معنى الاية ومن دخله معظما له متقربا بذلك الى الله كان امنا من العذاب يوم القيمة
وقيل من دخله كان امنا من الذنوب التي اكتسبها قبل ذلك قوله عز وجل ولله على الناس حج البيت
اي ولله على الناس فرض حج البيت والحج احد اركان الاسلام ق عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على
خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتا الزكاة والحج وصوم رمضان فعد النبي صلى
الله عليه وسلم الحج من اركان الاسلام الخمسة من استطاع اليه سبيلا يعني ان فرض الحج واجب على من استطاع من اهل
التكليف ووجد السبيل الى حج البيت الحرام فصل في فضل البيت والحج والعمرة ق عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي مسجد وضع للناس اول قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاما ت عن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الحجر الاسود من الجنة وهو اشد بياضا من اللبن وانما سودته خطايا بني ادم
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر والله ليبعثنه الله يوم
القيمة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق وله عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما
لاضاءتا ما بين المشرق والمغرب قال الترمذي وهذا يروى عن ابن عمرو موقوفا ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الاقصى ق عن ابي سعيد الخدري ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى م عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل
افي كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم
عن ابن عمر قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما يوجب الحج قال الزاد والراحلة اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن وابرهيم بن يزيد الخوزي المكي قد تكلم فيه بعض اهل العلم من قبل حفظه ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وفي رواية قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من حج لله عز وجل ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه واخرجه الترمذي
وقال غفر له ما تقدم من ذنبه عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الذنوب
كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب الا الجنة وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت
الشمس بذنوبه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وله عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم ما من مسلم يلبي الا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر او شجر او مدر حتى تنقطع الارض من ها هنا وها هنا قال الترمذي
هذا حديث غريب وله عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه
كيوم ولدته امه قال الترمذي هذا حديث غريب فصل في احكام تتعلق بالحج قال العلماء الحج واجب على كل مسلم
وهو احد اركان الاسلام الخمسة ولوجوب الحج خمس شرايط الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والاستطاعة ولا يجب
على الكافر والمجنون ولو حجا لم يصح لان الكافر ليس من اهل القربة ولا حكم لقول المجنون ولا يجب على الصبي والعبد ولو حج صبي
يعقل او عبد صح حجهما تطوعا ولا يسقط الفرض فاذا بلغ الصبي وعتق العبد واجتمع فيهما شرايط الحج وجب
عليهما ان يحجا ثانيا ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا غير انه
لو تكلف غير المستطيع الحج وحج صح حجه وسقط عنه فرض حجة الاسلام والاستطاعة نوعان احدهما ان يكون مستطيعا
بنفسه والاخر ان يكون مستطيعا بغيره فاما المستطيع بنفسه فهو ان يكون قويا قادرا على الذهاب ووجد
الزاد والراحلة لما تقدم من حديث ابن عمر في الزاد والراحلة قال ابن المنذر وحديث الزاد والراحلة لا يثبت لانه ليس
بمتصل واما المرفوع فانما رواه ابرهيم بن يزيد عن محمد بن عباد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وابرهيم متروك الحديث
قال يحيى بن معين ابرهيم ليس بثقة قال ابن المنذر واختلف العلماء في قوله من استطاع اليه سبيلا فقالت طايفة الاية على
العموم اذ لا نعلم خبرا ثابتا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا اجماعا لاهل العلم يوجب ان نستثني من ظاهر الاية بعضا فعلى
كل مستطيع للحج يجد اليه سبيلا باي وجه كانت الاستطاعة الحج على ظاهر الاية قال وروينا عن عكرمة انه قال الاستطاعة
الصحة وقال الضحاك اذا كان شابا صحيحا فليوجر نفسه باكله وعقبه حتى يقضي نسكه وقال مالك الاستطاعة
على اطاقة الناس الرجل يجد الزاد والراحلة كذلك قال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد واحمد بن حنبل
واحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم وقال الشافعي الاستطاعة وجهان احدهما ان يكون الرجل مستطيعا
ببدنه واجدا من ماله ما يبلغه الحج فتكون استطاعته تامة فعليه فرض الحج والثاني لا يقدر ان يثبت على
الراحلة وهو قادر على من يطيعه اذا امره ان يحج عنه او قادر على مال يجد من يستاجره فيحج عنه فتكون
هذا ممن لزمه فرض الحج اما حكم الزاد والراحلة فهو ان يجد راحلة يصلح لمثله ووجد من الزاد ما يكفيه
لذهابه ورجوعه فاضلا عن نفقته ونفقة من تلزمه نفقتهم وكسوتهم وعن دين ان كان عليه ووجد
رفقة يخرجون في وقت جرت العادة بخروج اهل البلد في ذلك الوقت فان خرجوا قبله او اخروا الخروج
الى وقت لا يصلون الا ان يقطع اكثر من مرحلة لا يلزمه الخروج معهم ويشترط ان يكون الطريق امنا
فان كان فيه خوف من عدو مسلم او كافر او رصد يطلب الخفارة لا يلزمه ويشترط ان تكون المنازل
المأهولة معمورة يجد فيها ما جرت العادة بوجوده من الماء والزاد فان تفرق اهلها بجدب او غارت
مياهها فلا يلزمه الخروج ولو لم يجد الراحلة وهو قادر على المشي او لم يجد الزاد وهو قادر على الاكتساب
لا يلزمه الحج عند من جعل وجدان الزاد والراحلة شرطا لوجوب الحج ويستحب له ان يفعل ذلك ويلزمه
الحج عند مالك واما المستطيع بغيره فهو ان يكون الرجل عاجزا بنفسه بان كان زمنا او به مرض
لا يرجى برؤه وله مال يمكنه ان يستاجر من يحج عنه فيجب عليه ان يستاجر من يحج عنه وان لم يكن له مال
وبذل له ولده او اجنبي الطاعة في ان يحج له عنه لا يلزمه الحج ان كان يعتمد على صورته لان وجوب الحج متعلق
بالاستطاعة وعند ابي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة وعند مالك لا يجب على من غصب ماله ومجمن
اوجب الحج ببذل الطاعة ما روي عن ابن عباس قال كان الفضل بن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته
امراة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه

صوابه لزمه

العضل الشق الاخر قالت يا رسول الله ان فريضة الله على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت
على الراحلة افاحج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع اخرجاه في الصحيحين قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين
يعني ومن جحد ما الزمه الله من فرض حج بيته وكفر به فان الله غني عنه وعن حجه وعمله وعن جميع
خلقه وقيل نزلت فيمن وجد ما يحج به ثم مات ولم يحج فهو كفر به لما روي عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا وذلك
ان الله تعالى يقول ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا اخرجه الترمذي وقال هذا حديث
غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وفي اسناده مقال وهلال بن عبد الله مجهول والحرث يضعف في الحديث وقيل
هو الذي ان حج لم يره برا وان قعد لم يره اثما وقيل نزلت في اليهود وغيرهم من اصحاب الملل حيث قالوا انا مسلمون
فنزلت ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا وقالوا الحج الى مكة غير واجب وكفروا به فنزلت ومن كفر فان الله غني عن العالمين
فعلى هذه الاقوال يكون هذه متعلقة بما قبلها وقيل انه كلام مستانف ومعناه ومن كفر بالله واليوم الاخر
فان الله غني عن العالمين قوله تعالى قل يا اهل الكتاب قيل الخطاب لعلماء اهل الكتاب الذين علموا صحة
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لجميع اهل الكتاب اليهود والنصارى الذين انكروا نبوته لم تكفرون
بآيات الله يعني الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وصدق والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي
دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بآيات الله القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم والله شهيد على ما
تعملون اي والله شهيد على اعمالكم فيجازيكم عليها قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن يعني
لم تصرفون عن دين الله من آمن وكان صدهم عن سبيل الله من آمن بتكذيبهم وكان صدهم عن سبيل الله هو
بالقاء الشبه والشكوك وذلك بانكارهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم تبغونها عوجا يعني زيغا
وميلا عن الحق والعوج بالشكل الزيغ والميل عن الاستواء في الدين والقول والعمل وكل ما لا يرى فاما الشيء بالكسر
الذي يرى كالحائط والقناة ونحو ذلك فيقال فيه عوج بفتح العين والهاء في قوله تبغونها عائدة على السبيل
والمعنى لم تطلبون الزيغ والميل في سبيل بالقاء الشبه في قلوب الضعفة وانتم شهداء قال ابن عباس يعني
وانتم شهداء ان في التوراة مكتوبا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وان دين الله الذي لا يقبل غيره هو
الاسلام وقيل معناه وانتم تشهدون المعجزات التي تظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته
وما الله بغافل عما تعملون فيه وعيد وتهديد لهم وذلك انهم كانوا يجتهدون ويحتالون بالقاء الشبه في
قلوب الناس ليصدوهم عن سبيل الله والتصديق لمحمد صلى الله عليه وسلم فلذلك قال الله تعالى وما الله
بغافل عما تعملون قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب الآية قال زيد بن
اسلم مر شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين فمر بنفر من الاوس والخزرج
وهم في مجلس يتحدثون فيه فغاظه ما راى من الفتهم وصلاح ذات بينهم في الاسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة
في الجاهلية وقال قد اجتمع ملا بني قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود
كان معه فقال اعمد اليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وانشدهم بعض ما كانوا تقاولوا
فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل
فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب وهما اوس بن قيظي
احد بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد بني سلمة من الخزرج فتقاولا فقال احدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها
الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة وهي الحرة فخرجوا اليها

وانضمت الاوس والخزرج بعضهم الى بعض على دعواهم في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم
فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام
وقطع عنكم امر الجاهلية والف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزعة من الشيطان
وكيد من عدوهم فالقوا السلاح من ايديهم وبكوا واعتنق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين
مطيعين قال جابر فما رايت يوما اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا
فريقا من الذين اوتوا الكتاب يعني شاسا اليهودي واصحابه يردوكم بعد ايمانكم كافرين والكفر يوجب الهلاك
في الدنيا بوقوع العداوة والبغضاء وهيجان الفتنة والحرب وسفك الدماء وفي الآخرة النار ثم قال تعالى وكيف
تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله وكلمة كيف تعجب والتعجب انما يليق بمن لا يعلم السبب وذلك
على الله محال فالمراد منه المنع والتغليظ وذلك لان تلاوة آيات الله وهي القرآن حالا بعد حال وكون رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيكم يرشدكم الى مصالحكم وذلك يمنع من وقوع الكفر فكان وقوع الكفر منهم بعيدا على
هذا الوجه قال قتادة في هذه الآية علمان بينان كتاب الله ونبي الله صلى الله عليه وسلم اما نبي الله فقد
مضى واما كتاب الله فقد ابقاه الله بين اظهركم رحمة منه ونعمة م عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال اما بعد
الا ايها الناس انما انا بشر يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيب واني تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور
فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله
في اهل بيتي وقوله ومن يعتصم بالله اي يمتنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته واصل العصمة الامتناع من
الوقوع في آفة وفيه حث لهم في الالتجاء الى الله تعالى في دفع شر الكفار عنهم فقد هدي الى صراط مستقيم اي
الى طريق واضح وهو طريق الحق المؤدي الى الجنة قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال
مقاتل بن حيان كان بين الاوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
المدينة اصلح بينهم فافتخر بعد ذلك منهم رجلان وهما ثعلبة بن غنم من الاوس واسعد بن زرارة من الخزرج
فقال الاوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت
ذو الشهادتين ابن افلح حمي الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه
في بني قريظة وقال الخزرجي منا اربعة احكموا القرآن ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد
ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وانشدا الاشعار
وتفاخرا فجاء الاوس والخزرج ومعهم السلاح فاتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم وانزل الله عز وجل
هذه الآية يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا
يكفر ويذكر فلا ينسى وقال مجاهد هو ان يجاهد في الله حق جهاده ولا تاخذكم في الله لومة لائم وتقوموا
لله بالقسط ولو على انفسكم وآبائكم وابنائكم وعن انس قال لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه وقيل
حق تقاته يعني واجب تقواه وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم واختلف العلماء في هذا القدر
من هذه الآية هل هو منسوخ ام لا على قولين احدهما انه منسوخ وذلك انه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على
المسلمين وقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا فانزل الله تعالى الناسخ وهو قوله تعالى في سورة التغابن فاتقوا
الله ما استطعتم وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد والسدي والقول الثاني
انه محكم غير منسوخ وهو رواية عن ابن عباس ايضا وبه قال طاوس ووجه هذا الاختلاف يرجع الى

معنى الاية من قال انها منسوخة قال حق تقاته هو ان ياتي العبد بكل ما يجب لله ويستحقه فهذا يعجز العبد عن الوفا
به فتحصيله ممتنع ومن قال بانها محكمة قال ان حق تقاته اذا ما يلزم العبد على قدر طاقته فكان قوله فاتقوا الله
ما استطعتم مفسرا لحق تقواه لا ناسخا ولا مخصصا فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقواه وقيل
معناه حق تقاته كما يحق ان يتقى وذلك بان يجتنب جميع معاصيه وقيل في معنى قول ابن عباس هو ان يطاع فلا
يعصى هذا صحيح والذي يصدر عن العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادح فيه لان التكليف في ذلك الحال
مرفوع عنه وكذلك قوله وان يشكر فلا يكفر وذلك واجب على العبد حضور ما انعم الله عليه بالبال فاما عند السهو
فلا يجب عليه وكذلك قوله وان يذكر فلا ينسى فان هذا انما يجب عند الدعا والعبادة لا عند السهو والنسيان
قوله تعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون لفظ النهي واقع على الموت والمعنى واقع على الامر بالاقامة على الاسلام
المعنى كونوا على الاسلام فاذا ورد عليكم الموت صادفكم على ذلك وقيل هذا في الحقيقة نهي عن ترك الاسلام المعنى
لا تتركوا الاسلام فان الموت لا بد منه فمتى جاكم صادفكم وانتم على الاسلام لانه لما كان يمكنهم الثبات على الاسلام
حتى اذا اتاهم الموت اتاهم وهم على الاسلام صار الموت على الاسلام بمنزلة ما قد دخل في امكانهم وقيل معنا
ولا تموتن الا وانتم مؤمنون مخلصون مفوضون الى الله اموركم محسنون الظن به عز وجل عن ابن عباس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون فقال لو ان قطرة
من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على اهل الارض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله عز وجل واعتصموا بحبل الله جميعا اي تمسكوا بحبل الله والحبل
هو السبب الذي يتوصل به الى البغية وسمي الايمان حبلا لانه سبب يتوصل به الى زوال الخوف وقيل
حبل الله هو السبب الذي يتوصل اليه فعلى هذا اختلفوا في معنى الاية فقال ابن عباس معناه تمسكوا
بدين الله لانه سبب يتوصل اليه وفي افراد مسلم من حديث زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الا واني تارك فيكم ثقلين احدهما كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على
ضلالة الحديث عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القران هو حبل الله المتين وهو النور
المبين والشفا النافع عصمة لمن تمسك به ذكره البغوي بغير سند وقال ابن مسعود هي الجماعة
وقال عليكم بالجماعة فانها حبل الله الذي امر به وان ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في
الفرقة وقيل بحبل الله يعني بامر الله وطاعته ولا تفرقوا يعني كما تفرقت اليهود والنصارى وقيل
ولا تفرقوا يعني كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويقتل بعضكم بعضا
وقيل معناه لا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها ففيه
النهي عن التفرق والاختلاف والامر بالاتفاق والاجتماع لان الحق لا يكون الا واحدا وما عداه يكون جهلا
وضلالا واذا كان كذلك وجب النهي عن الاختلاف في الدين لان كل ذلك كان عادة اهل الجاهلية
فنهوا عنه وروى البغوي بسنده عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرضى لكم ثلثا
ويسخط لكم ثلثا يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا وان تعتصموا بحبل الله جميعا وان تناصحوا
من ولاه الله امركم ويسخط لكم قيل وقال واضاعة المال وكثرة السوال قوله تعالى واذكروا نعمة
الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا قال محمد بن اسحق وغيره من اهل
الاخبار كان الاوس والخزرج اخوين لاب وام فوقعت بينهما عداوة بسبب قتيل ثم تطاولت تلك العداوة
والحروب بينهم مائة وعشرين سنة الى ان اطفاها الله تعالى بالاسلام والف بينهم بنبيه عليه الصلاة والسلام

وسبب ذلك ان سويد بن الصامت اخا بني عمرو بن عوف وكان شريفا يسميه قومه الكامل لجلده ونسبه فقدم
مكة حاجا او معتمرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وامر بالدعوة فتصدى له النبي حين سمع به ودعاه الى الله عز وجل
والى الاسلام فقال له سويد فلعل الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذي معك قال
مجلة لقمان يعني حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها علي فعرضها عليه فقال ان هذا الكلام حسن والذي معي افضل
منه هذا قران انزله الله عز وجل علي نور وهدى فتلى عليه القران ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا
لقول حسن ثم انصرف الى المدينة فلم يلبث ان قتلته الخزرج يوم بعاث وان قومه يقولون قد قتل وهو مسلم ثم
قدم ابو الحيسر انس بن رافع ومعه فتية من بني عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش
على قومهم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم فجلس اليهم وقال لهم هل لكم الى خير مما جئتم له
قالوا وما هو قال انا رسول الله بعثني الله الى العباد ادعوهم الى ان لا يشركوا بالله شيا وانزل علي الكتاب ثم
ذكر الاسلام وتلى عليهم القران فقال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا اي قوم هذا والله خير مما جئتم له فاخذ
ابو الحيسر حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا فصمت اياس وقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج ثم لم يلبث اياس بن معاذ
ان هلك فلما اراد الله عز وجل اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي
لقي فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على القبايل من العرب كما كان يصنع في كل موسم فلقي عند العقبة رهطا من
الخزرج اراد الله بهم خيرا وهم ستة نفر اسعد بن زرارة وعوف بن الحرث وهو ابن عفرا ورافع بن مالك العجلاني
وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
من انتم قالوا نفر من الخزرج قال امن موالي اليهود قالوا نعم قال افلا تجلسون حتى اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم
الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلى عليهم القران قال وكان مما صنع الله لهم به في الاسلام ان اليهود
كانوا معهم ببلادهم وكانوا اهل كتاب وعلم وهم اهل اوثان وشرك وكانوا اذا كان بينهم شي قالوا ان نبيا
الان مبعوث قد اظل زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك النفر ودعاهم
الى الله عز وجل قال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله انه النبي الذي توعدكم به اليهود فلا يسبقنكم اليه فاجابوه
وصدقوه واسلموا وقالوا انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى الله ان يجمعهم بك
وسنقدم عليهم وندعوهم الى امرك فان يجمعهم الله عليك فلا رجل اعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
راجعين الى بلادهم فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشى فيهم
فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافا الموسم من
الانصار اثنا عشر رجلا وهم اسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا عفرا ورافع بن مالك العجلاني وذكوان بن
عبد القيس وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة وعباس بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر فهولا
خزرجيون وابو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة من الاوس فلقوه بالعقبة وهي العقبة الاولى فبايعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النسا على ان لا يشركوا بالله شيا ولا يسرقوا ولا يزنوا الاية فان وفيتم فلكم الجنة
وان غشيتم شيا من ذلك فاخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة وان سترت عليكم فامركم الى الله عز وجل ان شا
عذبكم وان شا غفر لكم قال وذلك قبل ان يفرض الحرب قال فلما انصرف القوم بعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم
ابن عبد مناف وامره ان يقريهم القران ويعلمهم الاسلام ويفقههم وكان يسمى مصعب بالمدينة المقري وكان منزله
على اسعد بن زرارة ثم ان اسعد بن زرارة خرج ومصعب فدخل به حايطا من حوايط بني ظفر فجلسا في الحايط

فجلس في الحائط واجتمع اليهما رجال ممن اسلم فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين اللذين
اتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما فان اسعد ابن خالتي ولولا ذلك لكفيتكه وكان سعد بن معاذ واسيد بن حضير سيدي
قومهما من بني عبد الاشهل وهما يومئذ مشركان فاخذ اسيد بن حضير حربته ثم اقبل الى مصعب واسعد وهما جالسان
في الحائط فلما راه اسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس اكلمه
فلما وقف عليهما متشتما وقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كانت لكما في انفسكما حاجة فقال له مصعب
او تجلس فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره قال انصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه
مصعب بالاسلام وقرا عليه القرآن قال والله لعرفنا الاسلام في وجهه قبل ان يتكلم في اشراقه وتسهله ثم قال
ما احسن هذا واجمله كيف تصنعون اذا اردتم ان تدخلوا في هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد شهادة
الحق ثم تصلي ركعتين فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ثم صلى ركعتين ثم قال ان ورائي رجلا ان اتبعكما
لم يتخلف عنه احد من قومه وسارسله اليكما الان سعد بن معاذ ثم اخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه
وهم جلوس في ناديهم فلما نظر سعد الى اسيد مقبلا قال احلف بالله لقد جاءكم اسيد بغير الوجه الذي ذهب به
من عندكم فلما وقف اسيد على النادي قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رايت بهما باسا
وقد نهيتهما فقالا لا نفعل الا ما احببت وقد حدثت ان بني حارثة خرجوا الى اسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم
عرفوا انه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد مغضبا للذي ذكر من بني حارثة فاخذ الحربة ثم قال والله ما اراك اغنيت
شيئا فانصرف اليهما فلما راهما مطمئنين عرف ان اسيدا انما اراد ان يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال
لاسعد بن زرارة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني تغشانا في دارنا بما نكره وقد كان قال اسعد لمصعب
جاءك والله سيد قومه ان يتبعك لم يتخلف عنك احد منهم فقال له مصعب او تقعد فتسمع فان رضيت امرا
ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره فقال سعد انصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه
مصعب الاسلام وقرا عليه القرآن قالا فعرفنا والله الاسلام في وجهه قبل ان يتكلم في اشراقه وتسهله
ثم قال كيف تصنعون اذا انتم اسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق
ثم تصلي ركعتين فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق وركع ركعتين ثم اخذ حربته واقبل
عامدا الى نادي قومه ومعه اسيد بن حضير فلما راوه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع سعد اليكم بغير
الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون امري فيكم قالوا سيدنا
وافضلنا رايا وايمننا نقيبة قال فان كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فما
امسى في دار بني عبد الاشهل رجل ولا امراة الا مسلما ومسلمة ورجع اسعد بن زرارة ومصعب بن عمير الى منزل
اسعد فاقام عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون
ومسلمات الا ما كان من دار امية بن زيد وخطمة ووائل وواقف وذلك انه كان فيهم ابو قيس بن الاسلت
الشاعر وكانوا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة
ومضى بدر واحد والخندق قالوا ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج معه من الانصار من المسلمين
سبعون رجلا مع حجاج قومهم من اهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة
من اوسط ايام التشريق وهي بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من
الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر اخبرناه
وكنا نكتم من معنا من المشركين من قومنا امرنا فكلمناه وقلنا يا جابر انك سيد من سادتنا وشريف من

اشرافنا وانا نرغب بك عما انت فيه ان تكون حطبا للنار غدا ودعوناه الى الاسلام فاسلم فاخبرناه بميعاد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة وكان نقيبا فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا
مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل مستخفين تسلل القطا حتى اجتمعنا في
الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امراتان من نسائنا نسيبة بنت كعب ام عمارة احدى
نساء بني النجار واسماء بنت عمرو بن عدي ام منيع احدى نساء بني سلمة فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا انه احب ان
يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له فلما جلسنا اول من تكلم العباس ابن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج
وكانت العرب يسمون هذا الحي من الانصار الخزرج خزرجها واوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد
منعناه من قومنا ممن هو على مثل راينا فيه وهو في عز من قومه ومنعة في بلده وانه قد ابى الا الانقطاع
اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من
ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الان فدعوه فانه في عز ومنعة قال فقلنا
قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شئت قال فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب في الاسلام ثم قال ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه
انفسكم ونساءكم وابناءكم قال فاخذ البراء ابن معرور بيده ثم قال والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع
منه ازرنا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن اهل الحرب واهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر
فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله ان بيننا
وبين الناس حبالا يعني عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع
الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم انتم مني وانا منكم
احارب من حاربتم واسالم من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا
كفلاء على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم فاخرجوا اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج
وثلاثة من الاوس قال عاصم بن عمر بن قتادة ان القوم لما اجتمعوا للبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصاري يا معشر الخزرج هل تدرون ما تبايعون هذا الرجل
انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون انكم اذا نهكت اموالكم مصيبة واشرافكم
قتلا اسلمتموه فمن الان فهو والله خزي الدنيا والاخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه
على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والاخرة قالوا انا ناخذه على مصيبة
الاموال وقتل الاشراف فما لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط
يده فبايعوه واول من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تتابع القوم قال فلما بايعنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من راس العقبة بانفذ صوت سمعته قط يا اهل الجباجب هل
لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عدو الله هذا
ازب العقبة يعني شيطان العقبة اسمع اي عدو الله اما والله لافرغن لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارفضوا الى رحالكم فقال العباس بن عبادة بن نضلة والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على اهل
منى باسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم قال فرجعنا الى مضاجعنا
فنمنا عليها حتى اصبحنا فلما اصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاءونا في منازلنا فقالوا يا معشر الخزرج

بلغنا انكم جئتم صاحبنا هذا لتستخرجوه من بين اظهرنا وتبايعونه على حربنا وانه والله ما حي من العرب ابغض الينا
ان تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم قالوا انا نبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شي
وما علمناه وصدقوا لم يعلموه وبعضنا ينظر الى بعض وقام القوم وفيهم الحرث بن هشام بن المغيرة
المخزومي وعليه نعلان جديدتان قال فقلت له كلمة كاني اريد ان اشرك القوم بها فيما قالوا اما
تستطيع ان تتخذ وانت سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحرث فخلعهما
من رجليه ورمى بهما الي وقال والله لتنتعلنهما قال ابو جابر مه والله احفظت الفتى فاردد اليه نعليه قال
قلت لا اردهما قال والله صالح لئن صدق الفال لاسلبنه قال ثم انصرف الانصار الى المدينة وقد شدوا
العقد فلما قدموها اظهروا الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا فاذوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لاصحابه ان الله قد جعل لكم اخوانا ودارا تامنون فيها فامرهم بالهجرة الى المدينة واللحوق باخوانهم
من الانصار واول من هاجر الى المدينة ابو سلمة بن عبد الاسد المخزومي ثم عامر بن ربيعة ثم عبد الله بن جحش
ثم تتابع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا الى المدينة اوسهم وخزرجهم بالاسلام واصلح ذات بينهم بمحمد
عليه افضل الصلاة والسلام والف الله عز وجل واذكروا يعني يا معشر الانصار نعمة الله عليكم يعني بالاسلام
اذ كنتم اعداء يعني قبل الاسلام فالف بين قلوبكم يعني بالاسلام وبنبيه عليه السلام فاصبحتم بنعمته اخوانا
يعني فصرتم برحمته وبدينه الاسلام اخوانا في الدين والولاية بعد العداوة وكنتم يعني يا معشر الاوس والخزرج
على شفا حفرة من النار يعني على طرف حفرة مثل شفير البير ليس بينكم وبين الوقوع في النار الا ان تموتوا على
كفركم فانقذكم منها اي خلصكم بالايمان من الوقوع في النار كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون قوله
تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فيجب على كل مكلف الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر اما بيده او بلسانه او بقلبه م عن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف
الايمان فعلى هذا يكون معنى الاية كونوا امة دعاة الى الخير امرين بالمعروف ناهين عن المنكر ومن قال بهذا
القول يقول ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية اذا قام به واحد سقط الفرض عن الباقين
وقيل ان من هنا للتبعيض وذلك لان في الامة من لا يقدر على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعجز
او ضعف فحسن ادخال لفظة من في قوله ولتكن منكم امة وقيل ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما
يختص بالعلماء وولاة الامر فعلى هذا يكون المعنى ليكن بعضكم امرا بالمعروف ناهيا عن المنكر خ
عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا
على سفينة فاصاب بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها فكان الذين في اسفلها اذا استقوا
من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم
وما ارادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا والخير المذكور في الاية هو كل شي
يرغب فيه من الافعال الحسنة وقيل هو كناية عن الاسلام والمعنى ولتكن منكم امة اي جماعة دعاة الى
الاسلام والى كل فعل حسن يستحسن في الشرع والعقل وقيل الدعوة الى فعل الخير يندرج تحتها
نوعان احدهما الترغيب في فعل ما ينبغي وهو الامر بالمعروف والثاني الترغيب في ترك ما لا ينبغي وهو
النهي عن المنكر فذكر الجنس اولا ثم اتبعه بنوعيه مبالغة في البيان والمعروف اسم لكل فعل يعرف
بالعقل والشرع حسنه والمنكر ضد ذلك وهو ما عرف بالعقل او الشرع قبحه وقوله تعالى واولئك هم المفلحون

تقدم تفسيره قوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا يعني ولا تكونوا يا معشر المومنين كالذين تفرقوا
واختلفوا اي في دين الله وامره ونهيه وقيل تفرقوا واختلفوا معنى واحد وانما ذكرهما للتاكيد وقيل
تفرقوا بسبب العداوة واتباع الهوى واختلفوا في الدين فصاروا فرقا مختلفين قال الربيع في
هذه الاية هم اهل الكتاب وقال ابن عباس امر الله المومنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة
واخبرهم انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في الدين وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه الامة
وقال ابو امامة هم الحرورية قال عبد الله بن شداد وقف ابو امامة وانا معه على رؤوس الحرورية على
درج جامع دمشق فذرفت عيناه ثم قال كلاب اهل النار كانوا مومنين فكفروا بعد ايمانهم شر
قتلى تحت اديم السماء وخير قتيل تحت اديم السماء الذين قتلهم هولاء قلت فما شانك دمعت
عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا بعد ايمانهم ثم اخذ بيدي وقال ان بارض منهم
كثيرا ومن رواه ثم قرا بعد قوله فكفروا بعد ايمانهم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الى قوله
اكفرتم بعد ايمانكم ورواه الترمذي عن ابي غالب قال راى ابو امامة رؤوسا منصوبة على
درج دمشق فقال ابو امامة كلاب اهل النار شر قتلى تحت اديم السماء خير قتلى من قتلوه
ثم قرا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الى اخر الاية قلت لابي امامة انت سمعته من رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لو لم اسمعه الا مرة او مرتين او ثلث مرات او اربعا حتى عد سبعا ما حدثتكموه وقال
فيه هو حديث حسن قوله تعالى من بعد ما جاءهم البينات يعني الحجج الواضحات فعلموها ثم خالفوها
وانما قال جاءهم ولم يقل جاءتهم لجواز حذف علامة التانيث من الفعل اذا تقدم تشبيها بعلامة التثنية
والجمع واولئك لهم عذاب عظيم يعني لهولاء الذين تفرقوا واختلفوا عذاب عظيم في الاخرة وفيه زجر
عظيم للمومنين عن التفرق والاختلاف د عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة
شبرا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه اخرجه ابو داود اراد بربقة الاسلام عقد الاسلام واصله
ان الربق حبل فيه عدة عرى يشد بها البهم الواحدة من العرى ربقة وروى البغوي بسنده
عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة فان
الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين ابعد بحبوحة الجنة وسطها والفذ هو الواحد قوله تعالى
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يعني اذكروا يوم تبيض وجوه المومنين وتسود وجوه الكافرين
وقيل تبيض وجوه اهل السنة وتسود وجوه اهل البدعة وقيل تبيض وجوه المخلصين
وتسود وجوه المنافقين وفي بياض الوجوه وسوادها قولان احدهما ان البياض كناية عن الفرح
والسرور والسواد كناية عن الغم والحزن وهذا مجاز مستعمل يقال لمن ناله مكروه اسود وجهه
واربد لونه يعني من الحزن والغم قال الله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا يعني من الحزن
فعلى هذا ابيضاض الوجوه اشراقها وسرورها واستبشارها بعملها وذلك ان المومن اذا ورد
القيامة على ما قدم من خير وعمل صالح استبشر بثواب الله ونعمه عليه فاذا كان كذلك وسم
وجهه ببياض اللون واشراقه واستنارته وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه
وعن يمينه وشماله واما الكافر والظالم اذا ورد القيامة على ما قدم من قبيح عمله وسيئات حزن
واغتم لعلمه بعذاب الله فاذا كان كذلك وسم وجهه بسواد اللون وكمودته واسودت صحيفته واظلمت
واحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بفضل الله وسعة رحمته من الظلمات يوم القيامة والقول الثاني

بياض الوجوه وسواده حقيقة تحصل في الوجه فيبيض وجه المومن ويكسا نورا ويسود وجه الكافر ويكسا ظلمة
لان لفظ البياض والسواد حقيقة فيهما والحكمة في بياض الوجوه وسوادها ان اهل الموقف اذا راوا بياض وجه
المومن عرفوا انه من اهل السعاده واذا راوا سواد وجه الكافر عرفوا انه من اهل الشقاوه ه فاما الذين اسودت
وجوههم اكفرتم اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتقريع فان قلت كيف قال اكفرتم بعد ايمانكم وهم لم يكونوا مومنين
فمن المراد بهولاء الذين كفروا بعد ايمانهم قلت اختلف العلماء في ذلك فروي عن ابي بن كعب انه قال اراد به الايمان يوم اخذ الميثاق
حين قال لهم الست بربكم قالوا بلى فامنوا كلهم فكل من كفر في الدنيا فقد كفر بعد الايمان وقال الحسن هم المنافقون وذلك انهم تكلموا
بالايمان بالسنتهم وانكروه بقلوبهم وقال عكرمة هم اهل الكتاب وذلك انهم امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه
فلما بعث انكروه وكفروا به وقيل هم الذين ارتدوا زمن ابي بكر الصديق وهم اهل الردة ق عن ابن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وليرفعن الي رجال منكم حتى اذا اهويت اليهم لاناولهم اختلجوا دوني
فاقول اي رب اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن
على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الي اختلجوا دوني فلاقولن اي رب اصحابي اصحابي فليقالن لي انك
لا تدري ما احدثوا بعدك زاد في رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدي ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يرد علي يوم القيمة رهط من اصحابي وقال من امتي فيقول انه لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا
على ادبارهم القهقرى وقيل هم الخوارج الذين خرجوا على علي بن ابي طالب وقاتلهم وهم الحرورية م عن زيد
ابن وهب انه كان في الجيش الذين كانوا مع علي الذين ساروا الى الخوارج فقال علي ايها الناس اني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم من امتي يقراون القران ليس قراءتكم الى قراءتهم بشي ولا
صلاتكم الى صلاتهم بشي ولا صيامكم الى صيامهم بشي يقراون القران يحسبون انه لهم وهو عليهم لا تجاوز
صلاتهم تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية فاينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في
قتلهم اجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيمة ق عن يسير بن عمرو قال قلت لسهل بن حنيف هل سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول في الخوارج شيا قال سمعته يقول واهوى بيده الى العراق يخرج قوم يقراون القران
لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية وقيل هم اهل البدع والاهواء من هذه
الامة كالقدرية ونحوهم ومن قال بهذا القول يقول كفرهم بعد ايمانهم هو خروجهم من الجماعة ومفارقتهم
في الاعتقاد م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح
الرجل مومنا ويمسي كافرا ويمسي مومنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا وقال الحارث الاعور
سمعت علي بن ابي طالب يقول على المنبر ان الرجل ليخرج من اهله فما يوب اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به
الجنة وان الرجل ليخرج من اهله فما يعود اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به النار ثم قرا يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه الاية ثم نادي هم الذين كفروا بعد الايمان ورب الكعبة وقوله تعالى واما
الذين ابيضت وجوههم يعني المومنين المطيعين لله عز وجل ه ففي رحمة الله يعني ففي جنة الله وانما سميت
الجنة رحمة لانها دار رحمة وفيه اشارة الى ان العبد وان عمل بالطاعات لا يدخل الجنة الا برحمة
الله تعالى ه هم فيها خالدون قيل انما كرر كلمة في لان في كل واحد معنى غير الاخر يعني انهم في رحمة
الله والمهم في الرحمة خالدون تلك ايات الله يعني القران وقيل هذه الايات التي تقدم ذكرها ه نتلوها عليك
بالحق اي بالمعنى الحق لان معنى التلو حق ه وما الله يريد ظلما للعالمين يعني لا يعاقب احدا بغير جرم واستحقاق
للعقوبة وانما ذكر الظلم هنا لانه قد تقدم ذكر العقوبة في قوله فاما الذين اسودت وجوههم الى قوله فذوقوا
العذاب

العذاب بما كنتم تكفرون اخبرنا وعقوبتها وقعوا فيه بسبب افعالهم المنكرة وانه لا يظلم احدا من خلقه ولله
ما في السموات وما في الارض لما ذكر الله انه لا يريد ظلما للعالمين لانه لا حاجة به الى الظلم وذلك ان الظالم
انما يظلم غيره ليزداد عزا او ليزداد سلطانا او ليتم نقصا فيه بما يظلم غيره ولما كان الله عز وجل مستغنيا
عن ذلك وله صفة الكمال اخبر ان له ما في السموات وما في الارض وان جميع ما فيها ملكه واهلها عبيده
واذا كان ذلك كذلك يستحيل في حقه سبحانه وتعالى ان يظلم احدا من خلقه لانهم عبيده وفي قبضته
ثم قال والى الله ترجع الامور يعني والى الله المصير امور جميع الخلائق المومن والكافر والطايع والعاصي فيجازي الكل على
قدر استحقاقهم ولا يظلم احدا منهم قوله عز وجل كنتم خير امة سبب نزول هذه الاية ان مالك بن الصيف
ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لعبد الله بن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى
حذيفة نحن افضل منكم وديننا خير من دينكم الذي تدعوننا اليه فانزل الله هذه الاية واختلف في لفظة
كان فقيل هي بمعنى الحدوث والوقوع والمعنى حدثتم ووجدتم وخلقتم خير امة وقيل كان هاهنا ناقصة
وهي عبارة عن وجود الشي في زمان ماض ولا يدل على انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما
فعلى هذا التقدير يكون المعنى كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم مذكورين في الامم الماضية بانكم خير
امة وقيل كنتم في اللوح المحفوظ موصوفين بانكم خير امة وقيل معناه كنتم مثل انتم خير امة وقيل
قوله خير امة تابع لقوله فاما الذين ابيضت وجوههم والتقدير انه يقال لهم عند دخول الجنة كنتم في
دنياكم خير امة فلهذا استحققتم ما انتم فيه من بياض الوجوه والنعيم المقيم وقيل كنتم يعني انتم وقيل
يحتمل ان يكون كان بمعنى صار فقوله كنتم اي صرتم خير امة فاما المخاطبون بهذا فهم فيه خلاف قال ابن عباس
في قوله كنتم خير امة هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن عمر بن الخطاب قال لو شاء
الله لقال انتم فكنا كلنا ولكن في خاصة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل ما صنعتم كانوا
خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقال الضحاك هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعني به كانوا هم الرواة الدعاة الذين امر الله عز وجل المسلمين باتباعهم وطاعتهم ق عن عمران بن حصين
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر
بعد قرنه قرنين او ثلاثة ثم ان بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يوتمنون وينذرون
ولا يوفون ويظهر فيهم السمن زاد في رواية ويحلفون ولا يستحلفون ق عن ابن مسعود ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجي قوم تسبق شهادة احدهم يمينه
ويمينه شهادته قوله خير الناس قرني يعني اصحابي والقرن اهل كل زمان ماخوذ من الاقتران
فكانه الزمان الذي يقترن فيه اهل ذلك الزمان في اعمارهم واحوالهم وقيل القرن اربعون سنة
وقيل ثمانون وقيل مائة سنة ق عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
اصحابي فلو ان احدا انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه النصيف النصف وقال
ابن عباس في رواية عطا في قوله كنتم خير امة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم قال الزجاج قوله كنتم خير امة
الخطاب فيه مع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عام في كل الامة ونظيره قوله كتب عليكم الصيام كتب
عليكم القصاص فان كل ذلك خطاب مع الحاضرين بحسب اللفظ ولكنه عام في حق الكل كذا هاهنا عن بهز بن حكيم
عن ابيه عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس قال انتم تتمون سبعين امة
انتم خيرها واكرمها على الله تعالى اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واصل الامة الجماعة المجتمعة على الشي وامة

محمد صلى الله عليه وسلم هم الجماعة الموصوفون بالايمان بالله عز وجل وامة محمد صلى الله عليه وسلم (خ) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى (ت) عن
ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يجمع امتي او قال امة محمد على ضلالة ويد الله على الجماعة
ومن شذ شذ في النار اخرجه الترمذي عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امتي امة مرحومة
ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل اخرجه ابو داود عن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل امتي مثل المطر لا يدرى آخره خير ام اوله اخرجه الترمذي وله عن بريدة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر
الامم وله عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب امتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب
المسرع المجد ثلاثا ثم انهم ليتضاغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول قال الترمذي سألت محمدا يعني البخاري
عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال لخالد بن ابي بكر مناكير عن سالم بن عبد الله زاد غيره في الحديث وهم شركاء الناس
في سائر الابواب (ت) عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من امتي من يشفع في الفئام من
الناس ومنهم من يشفع في القبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للواحد اخرجه
الترمذي (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من امتي سبعون الفا
او سبعمائة الف متماسكين آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل اولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة
البدر وعن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدني ربي ان يدخل من امتي الجنة سبعين
الفا لا حساب عليهم ولا عذاب ومع كل الف سبعون الفا وثلاث حثيات من حثيات ربي اخرجه الترمذي
وروى البغوي باسناد الثعلبي عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة حرمت على
الانبياء كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي وقوله تعالى اخرجت للناس معناه كنتم
خير الامم المخرجة للناس في جميع الاعصار ومعنى اخرجت اظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وقيل
معناه كنتم للناس خير امة اخرجت (خ) عن ابي هريرة قال كنتم خير امة اخرجت للناس قال خير
الناس للناس يأتون بهم في السلاسل في اعناقهم حتى يدخلوا في الاسلام وقيل اخرجت صلة
والتقدير كنتم خير امة للناس وقيل معناه ما اخرج للناس امة خير من امة محمد صلى الله عليه وسلم
تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر هذا كلام مستأنف والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خير امة
كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم والمعروف هو التوحيد والمنكر هو الشرك
والمعنى يأمرون الناس بقول لا اله الا الله وينهونهم عن الشرك وتؤمنون بالله اي وتصدقون بالله وتخلصون
له التوحيد والعبادة فان قلت لم قدم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الايمان في الذكر مع ان الايمان
يلزم ان يكون مقدما على كل الطاعات والعبادات قلت لان الايمان بالله امر مشترك فيه جميع الامم
المؤمنة وانما فضلت هذه الامة الاسلامية بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر على سائر الامم واذا كان
كذلك كان المؤثر في هذه الخيرية هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واما الايمان بالله فهو شرط في هذا الحكم
لانه ما لم يوجد الايمان لم يصر شيء من الطاعات مقبولا فثبت ان الموجب لهذه الخيرية لهذه الامة هو كونهم
آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر فلهذا السبب حسن تقديم ذكر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على
ذكر الايمان قوله تعالى ولو آمن اهل الكتاب يعني ولو آمن اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالدين
الذي جاء به لكان خيرا لهم يعني مما هم عليه من اليهودية والنصرانية وانما حملهم على ذلك حب الرياسة واستتباع

العوام ولو آمنوا لحصلت لهم الرياسة في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة وهو دخول الجنة منهم يعني من
اهل الكتاب المؤمنون يعني عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اليهود والنجاشي واصحابه الذين
اسلموا من النصارى واكثرهم الفاسقون اي المتمردون في الكفر وقيل ان الكافر قد يكون عدلا في دينه
وهؤلاء مع كفرهم فاسقون قوله تعالى لن يضروكم الا اذى سبب نزول هذه الآية ان رؤساء اليهود
عمدوا الى من آمن منهم مثل عبد الله بن سلام واصحابه فآذوهم لاسلامهم فانزل الله تعالى لن يضروكم الا اذى
يعني لن يضروكم ايها المؤمنون هؤلاء اليهود الا اذى يعني باللسان من طعن في دينكم او تهديد او القاء شبهة
وتشكيك في القلوب وكل ذلك يوجب الاذى والغم وان يقاتلوكم يولوكم الادبار يعني منهزمين مخذولين
ثم لا ينصرون يعني لا يكون لهم النصر عليكم بل تنصرون عليهم وفيه تثبيت لمن اسلم من اهل الكتاب لانهم كانوا
يؤذونهم بالقول ويهددونهم ويوبخونهم فاعلمهم الله تعالى انهم لا يقدرون ان يجاوزوا الاذى بالقول والتهديد
الى غيره من الضرر ثم وعدهم الغلبة والانتقام منهم وان عاقبتهم الخذلان والذل فقال تعالى ضربت
عليهم الذلة يعني جعلت الذلة ملصقة بهم كالشيء يضرب على الشيء فيلتصق به والمراد بالذلة قتلهم وسبيهم
وغنيمة اموالهم وقيل الذلة ضرب الجزية عليهم لانها ذلة وصغار وقيل ذلتهم انك لا ترى في اليهود ملكا
قاهرا ولا رئيسا معتبرا بل هم مستضعفون في جميع البلاد اينما ثقفوا اي حيث ما وجدوا او صودفوا
الا بحبل من الله يعني الا بعهد من الله وهو ان يسلموا فتزول عنهم الذلة وحبل من الناس يعني
المؤمنين ببذل الجزية والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل
الناس وهو ذمة الله وعهده وذمة المسلمين وعهدهم لا عز لهم الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة
لما قبلوه من بذل الجزية وانما سمي العهد حبلا لانه سبب يوصل الى الامن وزوال الخوف وباؤوا بغضب
من الله اي رجعوا بالغضب من الله واستوجبوه وقيل اصله في البواء وهو المكان والمعنى انهم مكثوا
في غضب من الله وحلوا فيه وضربت عليهم المسكنة يعني كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون في
المسكنة غير خارجين منها قال الحسن المسكنة هي الجزية وذلك لان الله اخرج المسكنة عن الاستثناء وذلك يدل
على انها باقية عليهم والباقي عليهم هو الجزية فدل ان المسكنة هي الجزية وقيل المراد بالمسكنة هو ان اليهودي
يظهر من نفسه الفقر وان كان غنيا موسرا ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبواء
بالغضب بانهم بسبب انهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون اي ذلك الذي نزل بهم بسبب عصيانهم لله عز وجل واعتدائهم الحدود فنزل بهم ما نزل قوله عز وجل
ليسوا سواء قال ابن عباس لما اسلم عبد الله بن سلام واصحابه قالت احبار اليهود ما آمن بمحمد
صلى الله عليه وسلم الا شرارنا ولولا ذلك ما تركوا دين آبائهم فانزل الله تعالى هذه الآية وفي قوله ليسوا سواء قولان
احدهما انه كلام تام يوقف عليه والمعنى ان اهل الكتاب الذين سبق ذكرهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون
ليسوا سواء وقيل معناه لا يستوي اليهود وامة محمد صلى الله عليه وسلم القائمة بامر الله الثابتة على الحق
والقول الثاني ان قوله ليسوا سواء متعلق بما بعده ولا يوقف عليه وقوله من اهل الكتاب امة قائمة فيه اختصار
واضمار والتقدير ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة ومنهم امة مذمومة غير قائمة فترك ذكر الامة
الاخرى اكتفاء بذكر احد الفريقين وهذا على مذهب العرب ان ذكر احد الضدين يغني عن ذكر الآخر
قال ابو ذؤيب دعاني اليها القلب اني لامرها مطيع فما ادري ارشد طلابها اراد ام غير رشد فاكتفى
بذكر احد الرشدين دون الآخر وقال الزجاج لا حاجة الى اضمار الامة المذمومة لانه قد جرى ذكر اهل

الكتاب بقوله كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبيا بغير حق فاعلم الله ان منهم امة قايمة فلا حاجة
بنا الى ان نقول وامة غير قايمة وانما استغنى بذكر فصل الاكثر منهم وهو الكفر والمشاقة ثم ذكر من كان
مباينا لهم في فعلهم فقال ليسوا سوا من اهل الكتاب امة قايمة قال ابن عباس قايمة اي مهتدية قايمة
على امر الله تعالى لم يضيعوه ولم يتركوه وقيل قايمة اي عادلة وقيل قايمة على كتاب الله وحدوده
وقيل قايمة في الصلاة يتلون آيات الله اي يقرؤون كتاب الله عز وجل آناء الليل يعني ساعات
وهم يسجدون يعني يصلون عبر بالسجود عن الصلوة لان التلاوة لا تكون في السجود وقيل هو
التهجد بالليل وقيل هي صلاة العشا لان اليهود لا يصلونها وقيل يحتمل انه اراد بالسجود
الخضوع والخشوع لان العرب تسمي الخشوع سجودا قال عطا في قوله ليسوا سوا من اهل الكتاب
امة قايمة يريد اربعين رجلا من اهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من
الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا به وكان عدة نفر من الانصار
منهم اسعد بن زرارة والبرا بن معرور ومحمد بن مسلمة ومحمود بن مسلمة وابو قيس صرمة بن انس
كانوا قبل الاسلام موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرايع الحنيفية
حتى جاءهم الله عز وجل بالنبي صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وصدقوه ثم وصفهم الله بصفات ليست
في اليهود فقال يؤمنون بالله واليوم الاخر وذلك لان ايمان اهل الكتاب فيه شرك ويصفون
اليوم الاخر بغير ما يصفه المومنون وقيل ان الايمان بالله يستلزم الايمان بجميع انبيايه ورسله
واليهود يومنون ببعض الانبيا ويكفرون ببعض والايمان باليوم الاخر يستلزم الحذر من فعل
المعاصي واليهود لا يحترزون منها فلم يحصل الايمان الخالص بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون
عن المنكر يعني غير مداهنين كما يداهن اليهود بعضهم بعضا وقيل يامرون بالمعروف يعني بتوحيد
الله والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وينهون عن المنكر يعني عن الشرك وعن كتم صفة محمد صلى الله عليه وسلم
ويسارعون في الخيرات اي يبادرون اليها خوف الفوت وذلك لان من رغب في امر سارع اليه وقام
به غير متوان عنه وقيل يسارعون في الخيرات غير متثاقلين والكسالى واوليك اشارة الى
الموصوفين بما وصفوا به من الصالحين اي من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله عز وجل
ورضي عنهم واستحقوا ثناءه عليهم وذلك لان الصلاح ضد الفساد فاذا حصل الصلاح الكامل
فقد حصل له اعلى الدرجات واكمل المقامات وقيل يحتمل ان يريد بالصالحين المسلمين والمعنى
واوليك الذين تقدم وصفهم من جملة المسلمين قوله تعالى وما يفعلوا من خير فلن يكفروه قرى
بالياء لان الكلام متصل بما قبله من ذكر مومني اهل الكتاب وذلك ان اليهود لما قالوا لعبد الله بن سلام
واصحابه انكم خسرتم بسبب هذا الدين الذي دخلتم فيه فاخبر الله انهم فازوا بالدرجات العلى
وما يفعلوا من خير مما رغبتم به ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فيه كل فاعل الخير وقرى
بالتا على انه ابتدا كلام وهو خطاب لجميع المومنين ويدخل فيه مومني اهل الكتاب ايضا
ومعنى الاية وما تفعلوا من خير ايها المومنون فلن تكفروه اي فلن تعدموا ثوابه ولن تحرموه
او تمنعوه بل يشكر لكم وتجازون به والله عليم بالمتقين فيه بشارة للمتقين بجزيل الثواب
ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل الايمان والتقوى قوله عز وجل ان الذين كفروا لن تغني عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيا قال ابن عباس يريد بني قريظة والنضير وذلك لان روساء

اليهود مالوا الى تحصيل الاموال في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان مقصودهم بمعاداته تحصيل
الرياسة والاموال فقال الله تعالى لن تغني عنهم اموالهم وقيل نزلت في مشركي قريش فان ابا جهل كان
كثير الافتخار بالاموال وانفق ابو سفيان مالا كثيرا في يومي بدر واحد على المشركين وقيل ان الاية عامة
في حق جميع الكفار لان اللفظ عام ولا دليل يوجب التخصيص فوجب اجرا اللفظ على عمومه ومعنى الاية
ان الذين كفروا لن تغني اي لن تدفع عنهم اموالهم بالفدية لو افتدوا بها من عذاب الله ولا اولادهم بالنصرة وانما خص الاموال والاولاد
بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بفدا المال وتارة بالاستعانة بالاولاد فاعلم الله تعالى ان الكافر لا ينفعه شي
من ذلك في الاخرة ولا مخلص له من عذاب الله وهو قوله واوليك اصحاب النار هم فيها خالدون لا يخرجون منها ولا يفارقونها
قوله تعالى مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا قيل اراد نفقة ابي سفيان واصحابه ببدر واحد في معاداة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل اراد نفقة اليهود على علمايهم ورؤسايهم وقيل اراد نفقات جميع الكفار وصدقاتهم في الدنيا
وقيل اراد نفقة المرايي الذي لا يريد بما ينفق وجه الله وذلك لان انفاقهم المال اما ان يكون لمنافع الدنيا او لمنافع
الاخرة فان كان لمنافع الدنيا لم يبق له اثر في الاخرة في حق المسلم فضلا عن الكافر وان كان لمنافع الاخرة كمن تصدق
وسعى في اعمال البر فان كان كافرا فان الكفر محبط لجميع اعمال البر فلا ينتفع بما انفق في الدنيا لاجل الاخرة وكذلك المرايي
الذي لا يريد بما انفق وجه الله فانه لا ينتفع بنفقته في الاخرة ثم ضرب لذلك مثلا فقال تعالى كمثل ريح فيها صر فيه وجهان
احدهما وهو قول اكثر المفسرين واهل اللغة ان الصر البرد الشديد وهو رواية عن ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد
والوجه الثاني ان الصر هو السموم الحارة التي تقتل وهو رواية عن ابن عباس وبه قال ابن الانباري من اهل اللغة
وعلى الوجهين فالتشبيه صحيح والمقصود منه حاصل لانه سوا كان فيها برد فهو مهلك او حر فهو مهلك ايضا
اصابت يعني الريح التي فيها صر حرث قوم اي زرع قوم ظلموا انفسهم يعني بالكفر والمعاصي ومنع حق الله فيه
فاهلكته يعني فاهلكت الريح الزرع ومعنى الاية مثل نفقات الكفار في ذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع
اصابته ريح باردة فاهلكته او نار فاحرقته فلم ينتفع به اصحابه فان قلت الغرض في التشبيه ما انفقوا وابطال
ثوابه وعدم الانتفاع به بالحرث الذي هلك بالريح فكيف شبه بالريح المهلكة للحرث قلت هو من التشبيه المركب
وهو ما حصلت فيه المشابهة بين الجملتين فعلى هذا زال الاشكال ومن التشبيه ما حصلت المشابهة بين
المقصود من الجملتين اجزا كل واحدة منهما فان جعلنا هذا المثل من هذا القسم ففيه وجهان احدهما ان
يكون التقدير مثل الكفر في اهلاك ما ينفقون كمثل مهلك الريح وهو الحرث والمقصود من ضرب هذا المثل هو تشبيه
ما ينفقون بشي يذهب بالكلية ولا يبقى منه شي وقوله تعالى وما ظلمهم الله يعني بان لم يقبل نفقاتهم ولكن
انفسهم يظلمون يعني انهم عصوا الله فاستحقوا عقابه فابطل نفقاتهم واهلك حرثهم وقيل ظلموا انفسهم حيث لم
ياتوا بنفقاتهم مستحقة للقبول قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الاية قال ابن عباس
كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فانزل الله عز وجل
هذه الاية ونهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم ويدل على صحة هذا القول ان الايات المتقدمة فيها ذكر اليهود
فتكون هذه الاية كذلك وقيل كان قوم من المومنين يصافون المنافقين ويفشون اليهم اسرارهم ويطلعونهم
على الاحوال الخفية فنهاهم الله عن ذلك وحجة هذا القول ان الله ذكر في سياق هذه الاية قوله واذا لقوكم
قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهذه صفة المنافقين لا صفة اليهود وقيل
المراد بهذه جميع اصناف الكفار ويدل على صحة هذا القول معنى الاية لان الله تعالى قال لا تتخذوا
بطانة من دونكم فمنع المومنين ان يتخذوا بطانة من غير المومنين فيكون ذلك نهيا عن جميع الكفار والبطانة

ما هو المقصود من الجملتين وان لم يحصل التشابه بين

خاصة الرجل المطلع على سره واشتقاقه من بطانة الثوب بدلالة قولهم لبست فلانا اذا اختصصته ويقال فلان
شعاري ودثاري والشعار الذي يلي الجسد وكذلك البطانة والحاصل ان الذي يخصه الانسان بمزيد التقرب يسمى بطانة
لانه يستبطن امره ويطلع منه على ما لا يطلع عليه غيره من دونكم قيل من صلة زايدة والتقدير لا تتخذوا بطانة
دونكم وقيل من للتبعيض اي لا تتخذوا بطانة من دون اهل ملتكم والمعنى لا تتخذوا اولياء واصفياء من غير اهل
ملتكم ثم بين سبحانه وتعالى علة النهي عن مباطنتهم فقال تعالى لا يألونكم خبالا اي لا يقصرون ولا يتركون جهدهم
فيما يورثكم الشر والفساد وهو الخبال لان اصل الخبال الفساد والضرر الذي يلحق الانسان فيورثه نقصان
العقل ودوا ما عنتم اي يودون عنتكم وهو ما يشق عليكم من الضر والشر والهلاك والعنت المشقة قد بدت البغضاء
اي ظهرت العداوة من افواههم بالشتيمة والوقيعة في المسلمين وما تخفي صدورهم اكبر يعني من العداوة والغيظ
اكبر اي اعظم مما يظهرونه قد بينا لكم الآيات يعني الدالة على وجوب الاخلاص في الدين من موالاة المؤمنين
ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون يعني ما بين لكم فتعملون به قوله تعالى ها انتم ها تنبيه وانتم كناية
للمخاطبين من الذكور اولاء اسم للمشار اليهم في قوله تحبونهم والمعنى انتم ايها المؤمنون تحبون هؤلاء اليهود
الذين نهيتكم عن مباطنتهم للاسباب التي بينكم وبينهم من القرابة والرضاع والمصاهرة والحلف ولا يحبونكم
يعني اليهود لما بينكم وبينهم من المخالفة في الدين وقيل تحبونهم تريدون لهم الاسلام وهو خير الاشياء ولا يحبونكم
لانهم يريدون لكم الكفر وهو شر الاشياء لان فيه هلاك الابد وقيل هم المنافقون تحبونهم لما اظهروا من الايمان
وانتم لا تعلمون ما في قلوبهم ولا يحبونكم لان الكفر ثابت في قلوبهم وقيل تحبونهم وذلك بان تفشوا اليهم اسراركم
ولا يحبونكم اي لا يفعلون مثل ذلك معكم وتؤمنون بالكتاب كله يعني وهم لا يؤمنون وانما ذكر الكتاب بلفظ
الواحد والمراد به الجمع لانه ذهب به الى الجنس كقولهم كثر الدرهم في ايدي الناس والمعنى انكم تؤمنون بالكتب كلها وهم
لا يؤمنون بشيء من كتابكم واذا لقوكم قالوا آمنا يعني ان الذين وصفهم في هذه الآية بهذه الصفات اذا لقوا
المؤمنين قالوا آمنا كايمانكم وصدقنا كتصديقكم وهذه صفة المنافقين وقيل هم اليهود واذا خلوا
اي خلا بعضهم الى بعض عضوا عليكم الانامل من الغيظ الانامل جمع انملة وهي طرف الاصبع والمعنى انه اذا
خلا بعضهم ببعض اظهروا العداوة وشدة الغيظ على المؤمنين لما يرون من ائتلافهم واجتماع كلمتهم وصلاح
ذات بينهم وعض الانامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الامثال وان لم يكن هناك عض
يقال عض يده من الغيظ والغضب قل موتوا بغيظكم وهذا دعاء عليهم ان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به
وذلك لما يرون من قوة الاسلام وعز اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والمعنى ابقوا الى الممات بغيظكم
ان الله عليم بذات الصدور يعني بالخواطر القائمة بالقلب والدواعي والصوارف الموجودة فيه وهي لكونها
حالة في القلب منتسبة اليه كني عنها بذات الصدور والمعنى انه تعالى عالم بكل ما يحصل في قلوبكم من
الخواطر فاخبرهم انه تعالى عالم بما يسرونه من عض الانامل غيظا اذا خلوا وانه عليم بما هو اخفى منه وهو ما
يسرونه في قلوبهم قوله عز وجل ان تمسسكم اي تصبكم ايها المؤمنون واصل المس باليد ثم يسمى كل ما
يصل الى الشيء ماسا له على سبيل التشبيه كما يقال مسه نصب وتعب اي اصابه حسنة المراد بالحسنة
هنا منافع الدنيا مثل ظهوركم على عدوكم واصابة غنيمة منهم وتتابع الناس في الدخول في دينكم وخصب
معايشكم تسؤهم اي تحزنهم وتغمهم والسوء ضد الحسن وان تصبكم سيئة اي مساءة من اخفاق سرية
لكم واصابة عدو منكم او اختلاف يقع بينكم او جدب ونكبة ومكروه تصبكم يفرحوا بها اي باصابتكم من ذلك
المكروه وان تصبروا يعني على اذاهم وقيل وان تصبروا على طاعة الله وما ينالكم فيها من شدة وتتقوا اي

فلما

تتقوا ما نهاكم وقيل وتتقوا ما نهاكم عنه وتتوكلوا عليه لا يضركم اي لا ينقصكم كيدهم اي عداوتهم ومكرهم
شيئا اي لانكم في عناية الله وحفظه ان الله بما يعملون قرئ بالياء على الغيبة والمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم
واذاكم فيعاقبهم عليه وقرئ بالتاء على خطاب الحاضر والمعنى انه عالم بما تعملون ايها المؤمنون من الصبر والتقوى
فيجازيكم عليه محيط اي عالم بجميع ذلك حافظ له لا يعزب عنه شيء منه قوله تعالى واذ غدوت من اهلك تبوئ
المؤمنين مقاعد للقتال قال جمهور المفسرين ان هذا كان في يوم احد وهو قول عبد الرحمن بن عوف وابن
مسعود وابن عباس والزهري وقتادة والسدي والربيع وابن اسحق وقال الحسن ومجاهد ومقاتل انه
يوم الاحزاب ونقل عن الحسن ايضا انه يوم بدر وقال ابن جرير الطبري الاول اصح لقوله تعالى اذ همت طائفتان
منكم ان تفشلا وقد اتفق العلماء ان ذلك كان يوم احد قال مجاهد والكلبي والواقدي غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم
من منزل عائشة فمشى على رجليه الى احد فجعل يصف اصحابه للقتال كما يقوم القدح قال محمد بن اسحق والسدي
عن رجالهما ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار اصحابه ودعا
عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله بن ابي واكثر الانصار يا رسول الله
اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه
فكيف وانت فينا فدعهم يا رسول الله فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في
وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين فاعجب رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذا الرأي وقال بعض اصحابه يا رسول الله اخرج بنا الى هذه الاكلب لئلا يرون انا قد جبنا
عنهم وضعفنا وخفناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد رايت في منامي بقرا فاولتها خيرا
ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولتها هزيمة ورايت اني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم
ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فان اقاموا اقاموا بشر وان دخلوا علينا المدينة قاتلناهم فيها وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعجبه ان يدخلوا عليه المدينة فيقاتلهم في الازقة فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر
واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من حبهم للقاء
القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله فلبس لامته فلما رأوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا
بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي ياتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا يا رسول الله اصنع
ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل وكان قد اقام المشركون
باحد يوم الاربعاء والخميس وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعد ما صلى باصحابه الجمعة وقد مات في ذلك
اليوم رجل من الانصار فصلى عليه ثم خرج اليهم فاصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال
سنة ثلاث من الهجرة وقيل كان نزوله في جانب الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن
جبير على الرماة وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى لا ياتونا من ورائنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اثبتوا في هذا المقام فاذا عاينوكم وولوا الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ولما
خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم راي عبد الله بن سلول شق عليه ذلك وقال لاصحابه اطاع الولدان
وعصاني ثم قال لاصحابه ان محمدا انما ظفر بعدوه بكم وقد وعد اصحابه ان اعداءهم اذا عاينوهم انهزموا
فاذا رأيتم اعداءهم فانهزموا فيتبعوكم فيصير الامر على خلاف ما قال محمد لاصحابه فلما التقى الجمعان
وكان عسكر المسلمين الفا وكان المشركون ثلاثة الاف فانخذل عبد الله بن ابي بن سلول بثلثمائة من اصحابه
فتواهم الله تعالى وثبتهم حتى هزموا المشركين فلما رأى المؤمنون انهزام المشركين طمعوا ان تكون هذه الواقعة

لمجالدهم

كان

كوا فقعد بدر فطلبوا الدبرين وخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد الله ان يفطمهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مثلها في مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلموا ان ظفرهم يوم بدر انما كان ببركة طاعة الله وطاعة رسوله ثم ان الله نزع الرعب من قلوب المشركين فكروا راجعين على المسلمين فانهزم المسلمون وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من اصحابه منهم ابو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد وكسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشج وجهه يومئذ وكان من امر غزوة احد ما كان فذلك قوله تعالى واذ غدوت اي واذكر اذ غدوت من اهلك يعني من منزل عايشة ففيه منقبة عظيمة لعايشة رضي الله عنها لقوله من اهلك فنص الله تعالى على انها من اهله تبوئ المومنين اي تنزل المومنين مقاعد للقتال اي مواضع ومواطن للقتال وقيل تتخذ معسكرا للقتال والله سميع يعني لاقوالكم عليم يعني بنياتكم وما في ضمايركم قوله عز وجل اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا اي تجبنا وتضعفا عن القتال والطايفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى احد في الف رجل وقيل في تسعماية وخمسين رجلا وكان المشركون ثلاثة الاف فلما بلغوا الشوط انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس ورجع في ثلاثماية وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعه ابو جابر السلمي وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله بن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت الطايفتان بالانصراف مع عبد الله بن ابي فعصمهم الله فثبتوا ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا فذكرهم الله عظيم نعمته عليهم فقال اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا والله وليهما اي ناصرهما وحافظهما ومتولي امرهما بالتوفيق والعصمة فان قلت الهم العزم على فعل الشي والاية تدل على ان الطايفتين عزمتا على الفشل وترك القتال وذلك معصية فكيف مدحهما الله تعالى بقوله والله وليهما قلت الهم قد يراد به حديث النفس واذا كان كذلك فيحمل الهم على حديث النفس ويعضده قول ابن عباس انهم اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد وثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمدحهم الله بقوله والله وليهما عن جابر قال فينا نزلت اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا والله وليهما قال نحن الطايفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرني انها لم تنزل لقول الله والله وليهما قال نحن الطايفتان بنو حارثة وبنو سلمة فقيد الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بانزاله فيهم اية ناطقة فيصح بان الله وليهم وان تلك الهمة التي همتا بها ما اخرجتهم عن ولاية الله تعالى ثم قوله تعالى وعلى الله فليتوكل المومنون التوكل تفعل من وكل امره الى فلان اذا اعتمد عليه في كفايته والقيام به وقيل التوكل هو العجز والاعتماد على الغير وقيل هو تفويض الامر الى الله تعالى ثقة بحسن تدبيره فامر الله تعالى عباده المومنين ان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه قوله عز وجل ولقد نصركم الله ببدر بدر اسم موضع بين مكة والمدينة معروف وقيل هو اسم لبير هناك وكانت البير لرجل يقال له بدر فسميت به ذكر الله المومنين منته عليهم بالنصر يوم بدر وانتم اذلة جمع ذليل وهو جمع قلة واراد به قلة العدد فان المسلمين كانوا ثلثماية وبضعة عشر وفي رواية وثلثة عشر رجلا والمراد بذلتهم ضعف الحال وقلة السلاح والمركوب والمال وعدم القدرة على مقاومة العدو وذلك انهم خرجوا على نواضح وكان النفر منهم يعتقب على البعير الواحد وكان اكثرهم رجالة ولم يكن معهم الا فرس واحد وكان عدوهم من كفار قريش زهاء الالف مقاتل ومعهم ماية فرس وكان معهم السلاح والشوكة فنصر الله المومنين مع قلتهم على عدوهم مع كثرتهم فاتقوا الله يعني في الثبات مع رسوله صلى الله عليه وسلم لعلكم تشكرون يعني بتقواكم ما انعم عليكم من نصرته قوله تعالى اذ تقول للمومنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملايكة منزلين

اختلف

اختلف المفسرون في ان هذا الوعد بانزال الملايكة هل حصل يوم بدر ام يوم احد على قولين احدهما انه كان يوم بدر وقال قتادة كان هذا يوم بدر امدهم الله بالف من الملايكة كما قال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملايكة مردفين ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة الاف كما ذكرها هنا بلى ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف فصبروا يوم بدر واتقوا فامدهم الله بخمسة الاف كما وعد قال ابن عباس لم تقاتل الملايكة في المعركة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون انما يكونون عددا او مددا وقال الحسن هولاء الخمسة الالاف ردء للمومنين الى يوم القيمة وقال الشعبي بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين فشق ذلك عليهم فانزل الله الن يكفيكم الى قوله مسومين فبلغ كرزا الهزيمة فرجع ولم ياتهم ولم يمدهم فلم يمدهم الله ايضا بالخمسة الالاف وكانوا قد امدوا بالف من الملايكة وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل اخذ براس فرسه عليه اداة الحرب واحتج لصحة هذا القول ايضا ان الله تعالى قال قبل هذه الاية ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة وظاهر هذا يقتضي ان الله نصرهم حين قال النبي صلى الله عليه وسلم للمومنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم الاية ولان العدد والعدد كانت يوم بدر قليلة فكان الاحتياج الى الامداد اكثر القول الثاني ان هذا الوعد بامداد الملايكة كان يوم احد وهو قول عكرمة والضحاك ومقاتل قال محمد بن اسحق لما كان يوم احد انجلى القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقي سعد ابن مالك يرمي وفتى شاب يتنبل له كلما فني النبل اتاه به فنثره وقال ارم ابا اسحق ارم ابا اسحق مرتين فلما انجلت المعركة سيل عن ذلك الرجل فلم يعرف وعن سعد بن ابي وقاص قال رايت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بياض يقاتلان عنه كاشد القتال ما رايتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكايل واحتج لصحة هذا القول بان المدد كان يوم بدر بالف من الملايكة كما نص عليه في سورة الانفال ولم يكن ثلاثة الاف وخمسة الاف كما هنا وايضا فان الكفار كانوا يوم بدر الفا او ما يقرب منه وكان المسلمون على الثلث من ذلك فانهم كانوا ثلثماية وبضعة عشر فانزل الله يوم بدر الفا من الملايكة في مقابلة عدد الكفار فوقع النصر يومئذ للمسلمين والهزيمة للكفار وكان عدد المسلمين يوم احد الفا وعدد الكفار ثلاثة الاف فناسب ان يكون المدد يومئذ للمسلمين ثلاثة الاف من الملايكة ليكون ذلك مقابلا لعدد الكفار كما في يوم بدر واجيب عن الاحتجاج الاول لاهل القول بانه تعالى لما امدهم يوم بدر بالف كما ذكر في سورة الانفال ثم لما سمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بامداد كرز الكفار شق عليهم ووعدوا بان يمدوا بثلاثة الاف وخمسة الاف لتقوى قلوبهم وبذلك اجيب عن الثاني وهو ان الكفار كانوا يوم بدر الفا فانزل الله الفا وفي يوم احد كانوا ثلاثة الاف فانزل الله ثلاثة الاف بان هذا انوب جنس والله ان يزيد ما شاء في اي وقت شاء ولهذا فالحكم في قوله بلى ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا قال يوم بدر فانهم لم يصبروا ولم يتقوا يوم احد فلم يمدوا ولو امدوا لم يهزموا وقيل لم يصبروا ولم يتقوا الا يوم الاحزاب فامدهم الله بالملايكة حين حاصروا قريظة عن عايشة قالت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل اتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم قال فالى اين قال ها هنا واشار الى بني قريظة فخرج النبي صلى الله عليه وسلم اليهم وعن انس قال كاني انظر الى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم موكب جبريل حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة

وقال عبد الله بن ابي اوفى كنا محاصرين قريظة والنضير ما شاء الله فلم يفتح علينا فرجعنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بغسل فهو يغسل راسه اذ جاءه جبريل عليه السلام فقال اوضعتم اسلحتكم ولم تضع الملائكة اوزارها
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة فلف بها راسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا حتى اتينا قريظة والنضير
فيومئذ امدنا الله بثلاثة الاف من الملائكة ففتح لنا فتحا يسيرا وقال ابن جرير الطبري واولى الاقوال
بالصواب ان الله تعالى اخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم انه قال للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة
الاف من الملائكة فوعدهم بثلاثة الاف من الملائكة مددا لهم ثم وعدهم بخمسة الاف ان صبروا لاعدائهم واتقوا
الله ولا دلالة في الآية على انهم امدوا بهم ولا على انهم لم يمدوا بهم فقد يجوز ان الله امدهم ويجوز ان لا يكون امدهم
ولا يثبت ذلك الا بنص تقوم به الحجة في ذلك وقد ثبت بنص القرآن انهم امدوا يوم بدر بالف من الملائكة
كما في سورة الانفال فاما يوم احد فالدلالة على انهم لم يمدوا والابين منها انهم لم يمدوا وذلك انهم لو امدوا لم يهزموا
ولم ينل منهم ما نيل منهم فان قلت فما تصنع بحديث سعد بن ابي وقاص المتقدم في يوم احد وانه راى
ملكين عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وشماله قلت انما كان ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لانه صبر ولم ينهزم
كما انهزم اصحابه يوم احد واما اهل التفسير فقوله تعالى اذ تقول للمؤمنين فعلى قول من قال ان هذا كان يوم
بدر قال نظم الآية ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة اذ تقول للمؤمنين ومن قال هذا يوم احد يقول نظم الآية ان الله
قصة احد ثم ابتدأ بقوله ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فكذلك هو قادر على ان ينصركم في ساير المواطن ثم
رجع الى قصة احد فقال تعالى للمؤمنين الن يكفيكم ومعنى الكفاية هو سد الخلة والقيام بالامر مع
بلوغ المراد ان يمدكم ربكم الامداد اعانة الجيش بما كان على جهة القوة والاعانة يقال فيه امده امدادا
وما كان على جهة الزيادة يقال فيه مده مدا وقيل المد في الشر والامداد في الخير بثلاثة الاف من
الملائكة منزلين انما وعدهم بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويثقوا بنصر الله ويجترئوا على الثبات ٥ بلى تصديق
لوعد الله اي بلى يمدكم وقيل بلى اي بلى ما بعده ان يعني يكفيكم الامداد ثم اوجب الكفاية ٥
ان تصبروا اي على لقاء عدوكم وتتقوا يعني معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه وسلم ٥ ويأتوكم
يعني المشركين من فورهم هذا قال ابن عباس ابتداء الامر يوجد فيه ثم يوصل باخر ومن قال معنى فورهم
من وجههم اراد ابتداء مخرجهم يوم بدر ومن قال معناه من غضبهم اراد ابتداء غضبهم
للقتلى يوم بدر لانهم رجعوا للحرب يوم احد من غضبهم ليوم بدر ٥ يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة
لم يرد خمسة الاف سوى الثلاثة المتقدمة بل اراد معهم فمن قال ان هذا الامداد كان يوم بدر قال ان الله تعالى
امدهم بالف فلما سمعوا ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين شق ذلك على المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم
للمسلمين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم الآية على تقدير ان يمد المشركين المدد فلم يمد والم يمد الله المؤمنين بغير الالف
وروى ابن الجوزي في تفسيره عن جبير بن مطعم عن علي بن ابي طالب قال بينا انا امتح من قليب بدر جاءت ريح
شديدة لم ار اشد منها ثم جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها الا التي قبلها ثم جاءت ريح شديدة لم ار اشد
منها الا التي قبلها فكانت الريح الاولى جبريل نزل في الف من الملائكة وكان بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الريح
الثانية ميكائيل نزل في الف من الملائكة وكان عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم والريح الثالثة اسرافيل نزل
في الف من الملائكة عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت عن يساره فلما هزم الله اعداءه ومن الناس من ضم العدد القليل
الى الكثير فقال الالف ان الله تعالى ذكر الالف في سورة الانفال وذكر هنا ثلاثة الاف وخمسة الاف فيكون المجموع تسعة الاف

وان حملنا على غزوة احد فيكون المجموع ثمانية الاف لانه ليس فيها ذكر الالف المردفة ٥ مسومين قرئ بفتح الواو وبكسرها
فمن فتح الواو اراد ان الله سومهم ومعناه معلمين قد سوموا انفسهم مسومون والسومة السيما العلامة وهذه
العلامة يعلمها الفارس يوم اللقاء ليعرف بها قال عنترة فتعرفوني انني انا ذلكم شاك سلاحي في الحوادث معلم
ومن كسر الواو نسب الفعل الى الملائكة والمعنى انهم اعلموا انفسهم بعلامات مخصوصة او اعلموا خيلهم واختلفوا
في تلك العلامة فقال عروة ابن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق وعليهم عمائم صفر وقال علي وابن عباس كانت
عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن يعني الصوف المصبوغ في
نواصي خيلهم واذنابها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت بالصوف
الابيض في قلانسهم ومغافرهم ذكره البغوي بغير سند وقيل كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة
كذلك وقيل كانوا قد سوموا انفسهم بسيما القتال قوله تعالى وما جعله الله الا بشرى لكم يعني بشارة لكم
تبشرون به ٥ ولتطمئن اي ولتسكن قلوبكم به اي فلا تجزعوا من كثرة عدوكم وقلة عددكم ٥ وما
النصر الا من عند الله يعني لا تحيلوا النصر على الملائكة والجند وكثرة العدد فان النصر من الله لا من عند غيره والغرض
ان يكون توكلهم على الله لا على الملائكة الذين امدوا بهم وفيه تنبيه على الاعراض عن الاسباب والاقبال على
مسبب الاسباب ٥ العزيز الحكيم يعني فاستعينوا به وتوكلوا عليه لان العز وهو كمال القدرة والقوة
والحكمة وهو كمال العلم له فلا يخفى عليه مصالح عباده ٥ ليقطع طرفا من الذين كفروا هذا متعلق بقوله لقد
نصركم الله ببدر والمعنى ان المقصود من نصركم ببدر ليقطع طرفا اي ليهلك طائفة من الذين كفروا وقيل معناه
ليهدم ركنا من اركان الشرك بالقتل والاسر فقتل يوم بدر من قادتهم وسادتهم سبعون واسر سبعون ومن
حمل الآية على غزوة احد فقال قد قتل منهم ستة عشر وكان النصر فيه للمسلمين حتى خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥
او يكبتهم اصل الكبت في اللغة صرع الشيء على وجهه والمعنى انه يصرعهم على وجوههم والمراد منه القتل والهزيمة او الاهلاك
او اللعن والخزي ٥ فينقلبوا خائبين اي بالخيبة لم ينالوا شيئا من الذي املوه من الظفر بكم قوله عز وجل ليس لك من الامر
شيء او يتوب عليهم او يعذبهم اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقيل انها نزلت في اهل بئر معونة وهم سبعون رجلا
من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر معونة وهي بين مكة وعسفان وارض هذيل وذلك في صفر سنة اربع من
الهجرة على راس اربعة اشهر من احد بعثهم ليعلموا الناس القرآن والعلم وامر عليهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر
ابن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا في الصلوات كلها يدعو
على جماعة من تلك القبائل باللعن خ عن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع في الركعة
الاخيرة من الفجر اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد فانزل الله عليه ليس لك من
الامر شيء الى قوله فانهم ظالمون ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من الركعة الثانية قال
اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم
اجعلها عليهم سنين كسني يوسف زاد في رواية اللهم العن فلانا وفلانا لاحياء من العرب حتى انزل الله ليس لك من الامر شيء
الآية وسماهم في رواية يونس اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله قال ثم بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله ليس لك من
الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وقيل انها نزلت يوم احد ثم اختلفوا في سببها فقيل ان عتبة
ابن ابي وقاص شج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسر رباعيته ق عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته
وشج في راسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى الله فانزل الله ليس
لك من الامر شيء وقيل اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو عليهم بالاستيصال فنزلت هذه الآية وذلك لعلمه ان اكثرهم

يعني هذا الوعد والمدد

يسلمون وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وقف على عمه حمزة ورأى ما صنعوا به من المثلة فاراد ان يدعوا عليهم
فنزلت هذه الآية قال العلماء وهذه الاشياء كلها محتملة فلا يبعد حمل الآية في النزول على كلها ومعنى الآية ليس لك من
امر مصالح عبادي شيء الا ما اوحي اليك وان الله تعالى هو مالك امرهم فاما ان يتوب عليهم ويهديهم فيسلموا او يهلكهم
ويعذبهم ان اصروا على الكفر وقيل ليس لك مسئلة هلاكهم والدعاء عليهم لانه تعالى اعلم بمصالحهم فربما تاب على من يشا
منهم وقيل معناه ليس لك من امر خلقي شيء الا ما وافق امري انما انت عبد مبعوث لانذارهم ودعائهم وهدايتهم وقيل
ان قوله او يتوب عليهم معطوف على قوله ليقطع طرفا وقوله ليس لك من الامر شيء كلام معترض بين المعطوف والمعطوف
عليه والتقدير ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شيء بل الامر
امري في ذلك كله قال بعض العلماء والحكمة في منعه صلى الله عليه وسلم من الدعاء عليهم ولعنهم ان الله تعالى علم من
حال بعض الكفار انه سيسلم فيتوب عليه او سيولد منهم ولد يكون مسلما برا تقيا فلاجل هذا المعنى
منعه الله تعالى من الدعاء عليهم لان دعوته صلى الله عليه وسلم مجابة فلو دعا عليهم بالهلاك هلكوا اجمعا لكن اقتضت
حكمة الله وما سبق في علمه القديم ليتوب على بعضهم ويستخرج من بعضهم ذرية مؤمنة صالحة ويهلك بعضهم
بالقتل والموت وهو قوله او يعذبهم فيحتمل ان يكون المراد بعذابهم في الدنيا وهو القتل والاسر وفي الآخرة وهو
عذاب النار فانهم ظالمون هو كالتعليل لعذابهم والمعنى انما يعذبهم لانهم ظالمون ثم قال تعالى ولله ما في السموات
وما في الارض وهو تاكيد لما قبله من قوله ليس لك من الامر شيء والمعنى انما يكون لمن له ما في السموات وما في الارض   لاحد
وليس ذلك الا لله تعالى وليس معه امره يغفر لمن يشاء بفضله ورحمته ويعذب من يشاء بعدله وحكمه فيهم كما يشاء
لا منازع له في حكمه ولا معارض له في فعله والله غفور رحيم يعني انه يستر ذنوب عباده ويعفو عنهم ويرحمهم بترك
العقوبة عنهم عاجلا وانما يفعل ذلك على سبيل التفضل والاحسان الى عباده لا على سبيل الوجوب عليه لانه تعالى
لو ادخل جميع خلقه الجنة كان ذلك برحمته ولو ادخل جميع خلقه النار كان ذلك بعدله لكن جانب المغفرة والرحمة غالب
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة اراد به ما كانوا يفعلونه في الجاهلية عند حلول
الدين من زيادة المال وتاخير الاجل كان الرجل في الجاهلية اذا كان له على انسان دين فاذا جاء الاجل ولم يكن للمديون
ما يؤدي قال له صاحب الدين زدني في المال حتى ازيدك في الاجل فربما فعلوا ذلك مرارا فيصير الدين اضعافا مضاعفة
فنهى الله عز وجل عن ذلك وحرم اصل الربا ومضاعفته واتقوا الله يعني في امر الربا فلا تاكلوه لعلكم تفلحون اي لكي
تسعدوا وتثابوا في الآخرة وقيل ان الفلاح يتوقف على التقوى فلو اكل ولم يتق لم يحصل له الفلاح وفيه
دليل على ان الربا من الكبائر وقد اعقبه بقوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين يعني اتقوا ايها المؤمنون لا ان
تستحلوا شيئا مما حرم الله فان من استحل شيئا مما حرم الله فهو كافر بالاجماع ويستحق النار بذلك قال ابن عباس هذا
تهديد للمؤمنين ان يستحلوا ما حرم الله عليهم من الربا وغيره مما اوجب الله فيه النار وقال بعضهم هذه الآية
اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه ويجتنبوا محارمه وقال الواحدي
في هذه الآية تقوية لرجاء المؤمنين رحمة من الله تعالى لانه قال اعدت للكافرين فجعلها معدة للكفار دون المؤمنين
واطيعوا الله يعني فيما امركم به او نهاكم عنه من اكل الربا وغيره والرسول لانه قال واطيعوا الرسول ايضا فان طاعته
طاعة الله قال محمد بن اسحق في هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لعلكم ترحمون اي لكي   واركوا
ترحموا ولا تعذبوا اذا اطعتم النبي صلى الله عليه وسلم فان طاعة الله مع معصية رسوله ليست بطاعة قوله عز وجل
وسارعوا الى مغفرة من ربكم يعني وبادروا وسابقوا الى ما يوجب المغفرة من ربكم وهي الاعمال الصالحة المامور بفعلها قال ابن عباس
الى الاسلام ووجهه ان الله تعالى ذكر المغفرة على سبيل التنكير والمراد منه المغفرة العظيمة وذلك لا يحصل الا بسبب الاسلام

لانه يجب ما قبله وعن ابن عباس ايضا الى التوبة لان التوبة من الذنوب توجب المغفرة وقال علي بن ابي طالب الى اداء الفرائض
لان اللفظ مطلق فيعم الكل وكذا اوصى من قال الى جميع الطاعات وروي عن انس بن مالك وسعيد بن جبير انها
التكبيرة الاولى يعني تكبيرة الاحرام وقيل الى الاخلاص في الاعمال لان المقصود من جميع العبادات هو الاخلاص
وقيل الى الهجرة وقيل الى الجهاد وجنة عرضها السموات اي وسارعوا الى الجنة وانما فصل بين الجنة
والجنة لان المغفرة هي ازالة العقاب والجنة هي حصول الثواب وفيه اشعار بانه لا بد من المسارعة الى
التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارعة الى الاعمال الصالحة المؤدية الى الجنة عرضها اي عرض
الجنة السموات والارض يعني كعرض السموات والارض لان نفس السموات والارض ليس عرضا للجنة والمراد سعتها وانما خص العرض
للمبالغة لان الطول في العادة يكون اكثر من العرض يقول هذا صفة عرضها فكيف بطولها والمراد وصف الجنة بالسعة
والبسط فشبهت باوسع شيء علمه الناس وذلك انه لو جعلت السموات والارض طبقا طبقا ثم وصل البعض
بالبعض حتى يكون طبقا واحدا كان ذلك مثل عرض الجنة فاما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى وقيل المراد بالعرض
السعة كما تقول العرب بلاد عريضة اي واسعة عظيمة قال الشاعر كان بلاد الله وهي عريضة على الخائف المطلوب كفة
حابل والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة
وروي ان هرقل ارسل الى النبي صلى الله عليه وسلم انك كتبت تدعوني الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار قيل معناه والله اعلم انه اذا دار
الفلك حصل النهار في جانب والليل في ضد ذلك الجانب فكذلك الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل
وروى طارق ابن شهاب ان ناسا من اليهود سالوا عمر بن الخطاب وعنده اصحابه فقالوا ارايتم قولكم وجنة
عرضها السموات والارض فاين النار فقال عمر ارايتم اذا جاء الليل فاين يكون النهار واذا جاء النهار
فاين يكون الليل فقالوا والله لمثلها في التوراة ومعناه حيث يشاء الله تعالى فان قلت قال الله تعالى
وفي السماء رزقكم وما توعدون واراد بالذي وعدنا به الجنة ومذهب اهل السنة انها في السموات واذا
كانت الجنة في السماء فكيف يكون عرضها السموات والارض قلت المراد من قولنا انها في السموات انها
فوق السموات وتحت العرش كما سئل انس بن مالك عن الجنة افي السماء هي ام في الارض فقال اي ارض وسماء
تسع الجنة قيل له فاين هي فقال فوق السموات تحت العرش وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الفردوس
فقال وسقفها عرش الرحمن وقال قتادة كانوا يرون ان الجنة فوق السموات السبع وان جهنم تحت الارضين
السبع وقيل ان باب الجنة في السماء وعرضها كعرض السموات والارض اعدت للمتقين اي هيئت للمتقين وفيه
دليل على ان الجنة والنار مخلوقتان الان قوله تعالى الذين ينفقون في السراء والضراء يعني في اليسر والعسر
لا يتركون الانفاق في كلتي الحالتين في الغنى والفقر والرخاء والشدة ولا في حال فرح وسرور ولا في حال محنة وبلاء
وسواء كان الواحد منهم في عرس او في حبس فانهم لا يدعون الاحسان الى الناس قال اول ما ذكر الله من اخلاقهم
الموجبة للجنة السخاء لانه اشق على النفس وكانت الحاجة الى اخراج المال في ذلك الوقت اعظم الاحوال للحاجة اليه
في معونة الاعداء ومواساة الفقراء من المسلمين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السخي قريب من الله قريب
من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من
النار ولجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل اخرجه الترمذي ق عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما فاما
المنفق فلا ينفق الا سبغت او وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو اثره واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا

الا زفت كل حلقة منها فانفو بيسعين فلا تتسع الجنة الدرع من الحديد ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه
الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تبارك وتعالى انفق ينفق عليك ق عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين في سبيل الله دعاه
خزنة الجنة كل خزنة باب اي فل هلم فقال ابو بكر يا رسول الله ذلك الذي لا توى عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لارجو
ان تكون منهم قوله اي فل يعني يا فلان وليس بترخيم والتوى الهلاك يعني ذلك الذي لا هلاك عليه وقوله تعالى والكاظمين
الغيظ يعني والحابسين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه والكظم حبس الشيء عند امتلائه وكظم الغيظ هو ان يمتلي
غيظا فيرده في جوفه ولا يظهره بقول ولا فعل ويصبر عليه ويسكت عنه ومعنى الاية انهم يكفون غيظهم عن الامضاء
ويردون غيظهم في اجوافهم وهذا الوصف من اقسام الصبر والحلم عن سهل بن معاذ بن انس الجهني عن ابيه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من اي الحور
شاء اخرجه الترمذي وابو داود ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك
نفسه عند الغضب وروي عن عائشة ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء والعافين عن الناس يعني
اذا جنى عليهم احد لم يواخذوه فتكون الاية على العموم وقيل اراد بالناس المماليك يعني اذا اساؤوا الادب يقع منهم فيكون على الخصوص
وقيل يعفون عمن ظلمهم واساء اليهم وهو قريب من القول الاول والله يحب المحسنين يحتمل ان تكون اللام للجنس فيتناول
كل محسن ويحتمل ان تكون للعهد فتكون اشارة الى المذكورين في الاية والاحسان الى الغير اما ان يكون بايصال النفع اليه
او بدفع الضرر عنه وقيل الاحسان ان تحسن الى من اساء اليك فان الاحسان الى المحسن متاجرة وقيل المحسن
الذي يعم باحسانه كل احد كالشمس والمطر والريح وقيل الاحسان وقت الامكان وليس عليك في كل وقت احسان
هذه الخصال المذكورة في هذه الاية فمن فعلها فهو محسن ولما كانت هذه الخصال احسانا الى الغير ذكر الله ثوابها
بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله تعالى للعبد اعظم درجات الثواب قوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة
قال ابن مسعود قال المؤمنون للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب
ذنبا اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه اجدع انفك اذنك افعل كذا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت هذه الاية وروي عطاء عن ابن عباس انها نزلت في نبهان التمار اتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال
لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله
فتركها وندم على ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الاية وفي رواية ابي صالح عن ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخى بين رجلين احدهما انصاري والاخر ثقفي فخرج الثقفي في غزوة واستخلف اخاه الانصاري
على اهله فاشترى لهم ذات يوم لحما فلما ارادت المرأة ان تاخذه منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف
ووضع التراب على راسه وهام على وجهه فلما رجع الثقفي لم يستقبله الانصاري فسال امراته عن حاله
فقالت لا اكثر الله في الاخوان مثله وذكرت له الحال والانصاري يسيح في الجبال تائبا مستغفرا فطلبه
الثقفي حتى وجده فاتى به الى ابي بكر رجاء ان يجد عنده راحة وفرجا فقال الانصاري هلكت وذكر القصة فقال ابو بكر
ويحك اما علمت ان الله يغار للغازي ما لا يغار للمقيم ثم لقيا عمر فقال لهما مثل ذلك فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال
لهما مثل مقالتهما فانزل الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة يعني فعلة فاحشة خارجة عما اذن الله فيه والفاحشة
ما عظم قبحه من الاقوال والافعال واصل الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر الفاحشة الزنا وقوله او ظلموا
انفسهم وظلم النفس هو ما دون الزنا مثل القبلة والمعانقة واللمس والنظر وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس هو الصغيرة
وقيل الفاحشة ما يكون فعله كاملا في القبح وظلم النفس هو اي ذنب كان ذكروا الله يعني ذكروا وعيد الله وعقابه

وان الله يسائلهم عن ذلك يوم العرض الاكبر وقيل ذكروا جلال الله الموجب للحياء منه وقيل ذكروا الله باللسان
عند الذنوب وهو قوله فاستغفروا لذنوبهم يعني لاجل ذنوبهم فتابوا منها واقلعوا عنها نادمين على فعلها
عازمين على ان لا يعودوا اليها وهذه شروط صحة التوبة المقبولة ومن يغفر الذنوب الا الله وصف نفسه بسعة
الرحمة وقرب المغفرة وان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا الى فضله وكرمه
واحسانه وعفوه ورحمته وفيه تنبيه على ان العبد لا يطلب المغفرة الا منه لانه القادر على عقاب
المذنب وكذلك هو القادر على ازالة ذلك العقاب عنه فثبت انه لا يجوز طلب المغفرة الا منه ولم يصروا
على ما فعلوا يعني ولم يقيموا على الذنوب ولم يثبتوا عليها ولكن تابوا منها وانابوا واستغفروا وقيل
الاصرار هو ترك الاستغفار عن ابي بكر الصديق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اصر من استغفر ولو
عاد في اليوم سبعين مرة اخرجه ابو داود وقال حديث غريب وعنده عوض ولو عاد لو فعله وهم يعلمون
قال ابن عباس وهم يعلمون انها معصية وقيل وهم يعلمون ان الاصرار ضار وقيل معناه وهم يعلمون
ان الله يملك مغفرة الذنب وان لهم ربا يغفرها وقيل وهم يعلمون ان الله لا يتعاظمه العفو عن الذنوب وان
كثرت وقيل معناه وهم يعلمون انهم ان استغفروه غفر لهم قال ثابت البناني بلغني ان ابليس بكى
حين نزلت هذه الاية والذين اذا فعلوا فاحشة الى اخرها فصل في فضل الاستغفار عن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه انه قال كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعني الله منه بما شاء
ان ينفعني واذا حدثني احد من اصحابه استحلفته فاذا حلف لي صدقته وانه حدثني ابو بكر وصدق ابو بكر
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد مؤمن او قال ما من رجل يذنب ذنبا فيقوم فيتطهر
ثم يصلي ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم قرا هذه الاية والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا
الله الى اخر الاية اخرجه ابو داود والترمذي وقال هذا حديث قد رواه غير واحد عن عثمان بن المغيرة
فرفعوه ورواه شعبة عن عثمان بن المغيرة موقوفا ولم يرفعاه ولا يعرف لاسماء الا هذا الحديث عن ابن عباس مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه
من حيث لا يحتسب اخرجه ابو داود م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم ق عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى قال اذنب عبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي ذنبي فقال
تبارك وتعالى اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فاذنب فقال اي رب
اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى عبدي اذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد
فاذنب فقال اي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب
وفي رواية اعمل ما شئت فقد غفرت لك قال عبد الاعلى لا ادري اقال في الثالثة او الرابعة اعمل ما شئت
عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى يا ابن ادم انك ما دعوتني ورجوتني
غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يا ابن ادم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن ادم
لو اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن عنان السماء بفتح العين قيل هو السحاب وقيل هو ما عن لك منها اي ما ظهر لك منها وقراب الارض
بضم القاف وروي بكسرها والضم اشهر وهو ما يقارب ملاها عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه غفرت ذنوبه وان كان فر من الزحف اخرجه ابو داود

والترمذي والحاكم وقال حديث صحيح على شرط البخاري زاد مسلم عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل
ذنب عسى الله ان يغفره الا من مات مشركا او مؤمن قتل مؤمنا متعمدا اخرجه ابو داود
قوله تعالى اولئك اشارة الى ما تقدم ذكره في قوله والذين اذا فعلوا فاحشة الآية جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات
تجري من تحتها الانهار اي ذلك لهم جزاء لا يحبس واجرا لو كثر خالدين فيها اي في الجنات ونعم اجر العاملين اي ونعم ثواب المطيعين
معين الجنة قوله عز وجل قد خلت من قبلكم سنن يعني قد انقضت من قبلكم سنة الله في الامم الماضية بالهلاك
والاستئصال لاجل مخالفة الانبياء والرسول للحرص على الدنيا وطلب لذاتها والبقاء فيها فانقرضوا ولم يبق منهم
احد وقيل في معنى الآية السنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع لكل امة سنة ومنهاج اذا اتبعوه رضي الله
عنهم وقيل سنن يعني شرائع وقيل سنن اي امم والسنة الامة ومعنى الآية قد مضت وسلفت مني سنن فيمن كان
قبلكم من الامم الماضية الكافرة بامهالي واستدراجي اياهم حتى يبلغ الكتاب اجله فيهم الذي اجلته لاهلاكهم فسيروا
في الارض امر ندب لا على سبيل الوجوب بل المقصود تعرفوا احوال الماضين بقوله فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
فرغب امة محمد صلى الله عليه وسلم في تامل احوال الامم الماضية ليصير ذلك داعيا لهم الى الايمان لان النظر الى آثار
المتقدمين له اثر في النفس كما قيل ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار وفي هذه الآية تسلية لاصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما جرى لهم في غزوة احد يقول فاني امهلت الكفار حتى يبلغ الكتاب اجله فيهم الواحد
في اهلاكهم ونصر محمد صلى الله عليه وسلم واوليائه وهلاك اعدائه قوله تعالى هذا يعني القرآن وقيل هو
اشارة الى ما تقدم من امره ونهيه ووعده ووعيده بيان للناس يعني عامة وهدى يعني من الضلالة
وموعظة للمتقين يعني خاصة وقيل في الفرق بين البيان والهدى والموعظة لان العطف يقتضي المغايرة
فالبيان هو الدلالة التي تفيد ازالة الشبهة بعد ان كانت حاصلة والهدى هو طريق الرشد المأمور
بسلوكه دون طريق الغي والموعظة هي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين فالحاصل ان
البيان جنس تحته نوعان احدهما الكلام الهادي الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى والثاني الكلام
الزاجر عما لا ينبغي في الدين وهو الموعظة وانما خص المتقين بالهدى والموعظة لانهم هم المنتفعون بها دون
غيرهم قوله عز وجل ولا تهنوا ولا تحزنوا نزلت بعد يوم احد حين امر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بطلب
القوم مع ما اصابهم من الجراح فاشتد ذلك على المسلمين فانزل الله تعالى هذه الآية وحث فيها اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم على الجهاد على ما اصابهم من الجراح والقتل وكان قد قتل يوم احد من الانصار سبعون
رجلا ومن المهاجرين خمسة رجال منهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصعب بن عمير
ومعنى الآية ولا تهنوا اي ولا تضعفوا عن الجهاد ولا تحزنوا يعني على من قتل منكم لانهم في الجنة
وانتم الاعلون يعني بالنصر والغلبة عليهم وان الغلبة لكم وقال ابن عباس انهزم اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الشعب فاقبل خالد بن الوليد في خيل المشركين يريد ان يعلو عليهم الجبل
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلون علينا اللهم لا قوة لنا الا بك وثاب نفر من المسلمين رماة
فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى انهزموا وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله وانتم الاعلون
وقيل وانتم الاعلون لان حالكم خير من حالهم لان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار وانتم تقاتلونهم
على الحق وهم يقاتلون على الباطل وقيل وانتم الاعلون في العاقبة لانكم تظفرون بهم وتستولون
عليهم ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه ان كنتم مصدقين بان ناصركم هو
الله تعالى فصدقوا فاذكروا فانه حق وصدق قوله تعالى ان يمسسكم قرح قرئ بضم القاف وبفتحها وهما

لغتان

لغتان ومعناهما واحد وقيل انه بالفتح مصدر وبالضم اسم وقيل انه بالفتح اسم للجراحة وبالضم الم الجراحة والآية خطاب
للمسلمين حين انصرفوا من احد مع الحزن والكآبة يقول ان يمسسكم ايها المسلمون قرح يوم احد فقد مس القوم قرح مثله يعني الكفار
يعني في يوم بدر وقيل ان الكفار قد نالهم يوم احد مثل ما نالكم من الجراح والقتل منهم نيف وعشرون رجلا وكثرت
الجراحات فيهم وتلك الايام نداولها بين الناس يعني والدولة نقل الشيء من واحد الى آخر يقال تداولته الايدي اذا
انتقل من واحد الى آخر ويقال الدنيا دول اي تنتقل من قوم الى آخرين ثم منهم الى غيرهم والمعنى ان ايام
الدنيا هي دول بين الناس فيوم لهؤلاء ويوم لهؤلاء فكانت الدولة للمسلمين على المشركين يوم بدر حتى قتلوا
منهم سبعين رجلا واسروا سبعين وادال المشركون من المسلمين يوم احد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا
خمسا وسبعين خ عن البراء بن عازب قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم احد وكانوا خمسين رجلا
عبد الله بن جبير فقال ان رايتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتى ارسل اليكم وان رايتمونا هزمنا
القوم واوطاناهم فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم فهزمهم قال فانا والله رايت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن
واسوقهن رافعات ثيابهن فقال اصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة ما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما اتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين فذلك قوله
والرسول يدعوكم في اخراكم فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلا فاصابوا منا سبعين رجلا وكان
النبي صلى الله عليه وسلم قد اصاب من المشركين يوم بدر اربعين ومائة سبعين اسيرا وسبعين قتيلا فقال ابو سفيان
افي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه ثم قال افي القوم ابن ابي قحافة ثلاث مرات ثم قال
افي القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع الى اصحابه فقال اما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله
يا عدو الله ان الذين عددت لاحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك قال يوم بيوم بدر والحرب سجال انكم ستجدون في القوم
مثلة لم آمر بها ولم تسؤني ثم اخذ يرتجز اعل هبل اعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه قالوا
يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله اعلى واجل قال ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
الا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال البغوي وقد روي هذا المعنى عن ابن عباس
وفي حديثه قال ابو سفيان يوم بيوم بدر وان الايام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم
في النار قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله وان جندنا لهم الغالبون فكانت احد للكفار
على المسلمين لمخالفتهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وليعلم الله الذين آمنوا يعني انما جعل الدولة للكفار
على المسلمين ليميز المؤمن المخلص ممن يرتد عن الدين اذا اصابته نكبة وشدة وقيل معناه وليعلم الله الذين آمنوا
بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم اي ليعرفهم باعيانهم الا ان سبب العلم وهو ظهور الصبر حذف هنا وقيل
معناه ليعلم الله ذلك واقعا منهم لان الله تعالى يعلم الشيء قبل وجوده ولا يحتاج الى سبب حتى يعلم والمعنى
ليقع ما علمه غيبا مشاهدة للناس والمجازاة انما تقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل معناه
ليعلم اولياء الله فاضاف علمهم الى نفسه تفخيما وقيل معناه ليحكم الله بالامتياز بين المؤمن والمنافق
فوضع العلم موضع الحكم لان الحكم لا يحصل الا بعد العلم ويتخذ منكم شهداء اي وليكرم قوما منكم بالشهادة
ممن اراد ان يكرمه بها وذلك ان قوما من المسلمين فاتهم يوم بدر فكانوا يتمنون لقاء العدو وان يكون لهم يوم
كيوم بدر فيقاتلون فيه العدو ويلتمسون فيه الشهادة والشهداء جمع شهيد وهو من قتل من المسلمين
بسيف الكفار في المعركة واختلفوا في معنى الشهيد فقيل الشهيد الحي لقوله تعالى بل احياء عند ربهم فارواحهم
حية حضرت دار السلام وشهدتها وارواح غيرهم لا تشهدها وقيل سمي شهيدا لان الله شهد له بالجنة وقيل سموا

وقيل سموا شهداء لانهم يشهدون يوم القيامة مع الانبياء والصديقين على الامم لان الشهادة تكون للافضل
فالافضل من الامة ولا منصب اعلى من منصب الشهادة منصب عظيم ودرجة عالية والله لا يحب الظالمين يعني المشركين
وقيل هم الذين ظلموا انفسهم بالمعاصي وقيل هم المنافقون الذين يظهرون الايمان بالسنتهم ويسرون
الكفر والمعنى والله لا يحب من لا يكون ثابتا على الايمان صابرا على الجهاد وليمحص الله الذين آمنوا اي وليطهرهم
من ذنوبهم ويزيلها عنهم واصل المحص في اللغة التنقية والازالة ويمحق الكافرين اي يفنيهم ويهلكهم
ومعنى الاية ان قتلكم الكافرين محق لهم وقتلهم اياكم شهادة وتطهير لكم وان قتلتموهم فانتم تمحقونهم وتستأصلونهم قوله
عز وجل ام حسبتم اي احسبتم ان تدخلوا الجنة وتنالوا كرامتي وثوابي ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم قال الامام فخر الدين الرازي ظاهر الاية يدل على وقوع النفي على العلم والمراد وقوعه على نفي المعلوم والتقدير
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يصدر الجهاد عنكم وتقريره ان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت
هذه المطابقة لا جرم حسن اقامة كل واحد منها مقام الاخر وقال الواحدي النفي في الاية واقع على العلم
والمعنى على الجهاد دون العلم وذلك لما فيه من الايجاز انتفاء الجهاد لو كان لعلمه والمعنى ولما يكن المعلوم
من الجهاد الذي اوجب عليكم فجرى النفي على العلم لانه على سبيل التوسع في الكلام اذ المعنى مفهوم من غير
اخلال وقال الزجاج المعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين اي ولما يعلم الله ذلك واقعا منكم لانه
يعلمه غيبا وانما يجازيهم على عملهم وقال الطبري تقول ولما يتبين لعبادي المؤمنين المجاهد منكم على ما امرته به
ويعلم الصابرين يعني في الحرب وعلى ما نالهم في ذات الله عز وجل من جراح والم ومكروه وفي هذه الاية معاتبة
من انهزم يوم احد والمعنى ام حسبتم ايها المنهزمون ان تدخلوا الجنة كما دخلها الذين قتلوا وبذلوا مهجهم
لربهم عز وجل وصبروا على الم الجراح والضرب وثبتوا للعدو من غير ان تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم قوله تعالى
ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه قال ابن عباس لما اخبر الله عز وجل المؤمنين على لسان نبيه بما فعل الله
بشهدائهم يوم بدر من الكرامة رغبوا في ذلك فتمنوا قتالا يستشهدون فيه فيلحقون باخوانهم
فاراهم الله يوم احد فلم يلبثوا ان انهزموا الا من شاء الله منهم فانزل الله هذه الاية وقيل ان قوما من
المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا فيه ويستشهدوا فاراهم الله يوم احد ومعنى قوله تمنون الموت اي
تطلبون اسباب الموت وهو القتال والجهاد من قبل ان تلقوه يعني من قبل ان تلقوا يوم احد
فقد رايتموه يعني رايتم ما كنتم تتمنون والهاء في رايتموه عائدة على الموت اي رايتم اسبابه معاينين
لمشاهدتكم من قتل من اخوانكم بين ايديكم وانتم تنظرون قيل ذكره تاكيدا وقال الزجاج
معناه فقد رايتموه وانتم بصراء كما تقول رايت كذا وكذا وليس في عينك علة اي رايته رؤية حقيقية وقيل
معناه وانتم تنظرون ما تمنيتم فلم انهزمتم قوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
قال اهل المغازي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالشعب من احد في سبعمائة رجل وجعل عبد الله
ابن جبير على الرجالة وكانوا خمسين رجلا وقال اقيموا باصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل حتى لا ياتونا من
خلفنا فان كانت لنا او علينا لا تبرحوا من مكانكم حتى ارسل اليكم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وكانت
قريش وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابي جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف ويقلن
الاشعار فقاتلوا حتى حميت الحرب وحمل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه على المشركين فهزموهم وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد اخذ سيفا وقال من ياخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى ينحني فاخذه ابو دجانة سماك بن خرشة
الانصاري فلما اخذه اعتم بعمامة حمراء وجعل يتبختر في مشيته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لمشية يبغضها

الله ورسوله

الله ورسوله الا في هذا الموضع فلما نظرت الرماة الى المشركين وقد انكشفوا وراوا اصحابهم ينتهبون الغنيمة اقبلوا
يريدون النهب فلما راى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة وراى ظهورهم خالية صاح
في خيله وحمل على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فهزموهم ورمى عبد الله بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر
فكسر انفه ورباعيته وشجه في وجهه فاثقله وتفرق عنه اصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
صخرة ليعلوها فلم يستطع وكان قد ظاهر بين درعين فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى على الصخرة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة ووقعت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم يجدعن الاذان والانوف حتى اتخذت من ذلك قلائد واعطتها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة
رضي الله عنه وكان قد قتل يومئذ فاخذت منها قطعة فلاكتها فلم تسغها فلفظتها واقبل عبد الله بن قمئة
يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله
ابن قمئة وهو يرى انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع وقال اني قتلت محمدا وصاح صارخ الا ان محمدا
قد قتل ويقال ان الصارخ ابليس اللعين فانكفأ الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الي
عباد الله الي عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن ابي
وقاص حتى اندقت سية قوسه ونثل له رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته وقال ارم فداك ابي وامي وكان
ابو طلحة رجلا راميا شديد النزع كسر يومئذ قوسين او ثلاثة وكان الرجل يمر ومعه جعبة النبل فيقول
انثرها لابي طلحة وكان اذا رمى تشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر موضع نبله واصيبت يد طلحة بن عبيد الله
فيبست وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته
فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانها فعادت كاحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ادركه ابي
ابن خلف الجمحي وهو يقول لا نجوت ان نجوت فقال القوم يا رسول الله الا يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله
دعوه حتى اذا دنا منه وكان ابي قبل ذلك يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
بل انا اقتلك ان شاء الله فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ثم استقبله
وطعنه في عنقه وخدشه خدشة فتدهدى عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول قتلني محمد فاحتمله
اصحابه وقالوا ليس عليك باس فقال بل لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم اليس قال
لي انا اقتلك فلو بزق علي بعد تلك المقالة لقتلني فلم يلبث بعد ذلك الا يوما حتى مات بموضع يقال
له سرف ح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على قوم ادموا
وجه نبي الله قالوا وفشا في الناس ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال بعض المسلمين ليت
لنا رسولا الى عبد الله بن ابي فياخذ لنا امانا من ابي سفيان وجلس بعض اصحابه والقوا بايديهم
وقال اناس من المنافقين ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر
اليك مما يقول هؤلاء يعني المسلمين وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين ثم شد بسيفه فقاتل حتى
قتل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس فاول من عرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال عرفت عينيه تزهران تحت المغفر فناديت باعلى صوتي يا
معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار الي ان اسكت فانحازت اليه طائفة
من اصحابه فلامهم النبي صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا يا نبي الله فديناك بابائنا وامهاتنا اتانا

الجزع بانك قد قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فانزل الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ومعنى
الاية فسيخلو محمد كما خلت الرسل من قبله فكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلو انبيائهم فعليكم ان
تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين ظهراني قومه
ومحمد اسم علم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه وهو الاكثر خصال
المحمود والمستحق لجميع المحامد لانه الكامل في نفسه صلى الله عليه وسلم فاكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وسماه
باسمين مشتقين من اسمه المحمود سبحانه وتعالى فسماه محمدا واحمدا وفي ذلك يقول حسان بن ثابت الم
تر ان الله ارسل عبده ببرهانه والله اعلى وامجد اغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهور يلوح ويشهد
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد ق عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة
اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب والعاقب
الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله رؤوفا رحيما م عن ابي موسى الاشعري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه
اسماء فقال انا محمد وانا احمد والمقفي ونبي التوبة ونبي الرحمة قوله المقفي هو اخر الانبياء الذي لا نبي بعده
هو المرسل بدليل قوله وانك لمن المرسلين افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم يعني انتقلبون على
اعقابكم ان مات محمد او قتل وترجعون الى دينكم الاول يقال لكل من رجع الى ما كان عليه رجع وراءه ونكص
على عقبه وحاصل الكلام ان الله تعالى بين ان موت محمد صلى الله عليه وسلم او قتله لا يوجب ضعفا في دينه
ولا الرجوع عنه بدليل موت من قبله وان اتباعهم ثبتوا على دين انبيائهم بعد موتهم ومن ينقلب على عقبيه
يعني فيرتد عن دينه ويرجع الى الكفر فلن يضر الله شيئا يعني بارتداده لان الله تعالى لا يضره كفر الكافرين لانه غني عن العالمين
وانما يضر المرتد والكفار انفسهم وسيجزي الله الشاكرين يعني الثابتين على دينهم الذين لم ينقلبوا عنه لانهم شكروا
نعمة الله عليهم بالاسلام وثباتهم عليه فسماهم الله شاكرين لما فعلوا والمعنى وسيثيب الله من شكر على توفيقه
وهدايته وروى ابن جرير عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في قوله وسيجزي الله الشاكرين قال الثابتين على دينهم
ابا بكر واصحابه وكان علي يقول ابو بكر امين الشاكرين وامين احباء الله وكان اشكرهم واحبهم الى الله قوله تعالى
وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله اي بامر الله وبقضائه وقدره وعلمه وذكر ان يامر ملك الموت بقبض الارواح
فلا تموت احد الا باذن الله والمراد من الاية تحريض المسلمين على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو واعلامهم
بان الحذر لا ينفع وان الجبن لا يدفع المقدور وان احدا لا يموت قبل اجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك
واذا جاء الاجل لم يندفع الموت بحيلة فلا فائدة في الخوف والجبن وفي الاية ذكر حفظ الله رسوله صلى الله عليه وسلم
عند غلبة العدو وتخليصه منهم عند التفافهم عليه واسلام اصحابه له فانجاه الله من عدوه سالما مسلما
لم يضره شيء كتابا مؤجلا يعني موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر والمعنى ان الله تعالى كتب لكل نفس
اجلا لا يقدر احد على تغييره او تقديمه او تاخيره وقيل الكتاب هو اللوح المحفوظ لان فيه اجال جميع الخلق
ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها يعني من يريد بعمله وطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها ما يكون جزاء
لعمله والمعنى نؤته ما نشاء مما قدرناه له نزلت في الذين تركوا المركز يوم احد وطلبوا الغنيمة ومن يرد
ثواب الاخرة نؤته منها يعني من اراد بعمله الاخرة نؤته ثوابها نزلت في الذين ثبتوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم احد واعلم ان هذه الاية وان نزلت في الجهاد خاصة لكنها عامة في جميع الاعمال
وذلك لان الاصل في ذلك كله يرجع الى نية العبد فان كان يريد بعمله الدنيا فليس له جزاء الا فيها وكذلك
من اراد بعمله الدار الاخرة فجزاؤه ايضا فيها ق عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول

يقول انما الاعمال بالنيات وفي رواية بالنية وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن
كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها وفي رواية ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه وروى البغوي بسنده
عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت نيته طلب الاخرة جعل غناه في قلبه وجمع له شمله
واتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه امره ولا ياتيه
منها الا ما كتب له وقوله تعالى وسنجزي الشاكرين يعني المؤمنين المطيعين الذين لم يشغلهم شيء عن الجهاد
ولم يريدوا باعمالهم الا الله والدار الاخرة قوله عز وجل وكاين من نبي اي وكم من نبي قتل معه وقرئ قاتل
معه فمن قرا قتل بضم القاف فله اوجه احدها ان يكون القتل واقعا على النبي وحده فعلى هذا يكون
الوقف على قتل لانه كلام تام وفيه اضمار تقديره قتل ومعه ربيون كثير او يكون معناه قتل حال
ما كان معه ربيون كثير والمعنى ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم فما وهنوا في دينهم
ولا استكانوا بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغي لكم ان تكونوا مثلهم الوجه الثاني
ان القتل نال النبي ومن معه من الربيين ويكون المراد البعض ويكون قوله فما وهنوا راجعا الى
الباقين ومعناه وكاين من نبي قتل بعض من كان معه فما ضعف الباقون لقتل من قتل من اخوانهم
بل مضوا على جهاد عدوهم فكان ينبغي لكم ان تكونوا كذلك الوجه الثالث ان يكون القتل نال الربيين
لا النبي والمعنى وكاين من نبي قتل من كان معه وعلى دينه ربيون كثير ومن قرا قاتل معه ربيون كثير فالمعنى وكاين من نبي
قاتل معه العدد الكثير من اصحابه فاصابهم من عدوهم قروح وجراحات فما وهنوا لما اصابهم بل استمروا على جهاد عدوهم
لان الذي اصابهم انما هو في سبيل الله وطاعته واقامة دينه ونصرة نبيه فكان ينبغي لكم ان تفعلوا مثل ذلك يا امة محمد
وحجة هذه القراءة ما روي عن سعيد بن جبير انه قال ما سمعنا ان نبيا قتل في القتال وقوله ربيون كثير
قال ابن عباس جموع كثيرة وقيل الربيون الالوف وقيل الربية الواحدة عشرة الاف وقيل ربيون يعني
فقهاء علماء وقيل الربيون هم الاتباع فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله اي فما جبنوا عن الجهاد في سبيل الله
لما اصابهم وما ضعفوا يعني عن مجاهدة عدوهم بما نالهم من الم الجراح وقتل الاصحاب وما استكانوا
يعني وما استذلوا وما خضعوا لعدوهم ولكنهم صبروا على امر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم وهذا
تعريض بما اصابهم يوم احد من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فضعفهم
عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بابن ابي المنافق عبد الله في طلب الامان
من ابي سفيان والمقصود من الاية حكاية ما جرى لسائر الانبياء واتباعهم لتقتدي هذه الامة بهم وتحثهم على
الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد والله يحب الصابرين يعني في الجهاد والمعنى ان من صبر على
تحمل الشدائد لطلب الاخرة ولم يظهر الجزع والعجز فان الله يحبه ومحبة الله للعبد عبارة عن ارادة اكرامه
واعزازه وايضا الثواب له وادخاله الجنة مع اوليائه واصفيائه ثم قال تعالى وما كان قولهم يعني قول الربيين
الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا قيل دخل فيه جميع الذنوب الصغائر والكبائر واسرافنا في امرنا يعني وما
اسرفنا فيه فتخطينا الى العظام من الذنوب لان الاسراف الافراط في الشيء ومجاوزة الحد فيه فيكون المعنى
اغفر لنا ذنوبنا الصغائر منها والكبائر وثبت اقدامنا يعني لكي لا تزول عند لقاء العدو وذلك يكون
بازالة الخوف والرعب من قلوبهم وانصرنا على القوم الكافرين لان النصر على الاعداء لا يكون الا من عند الله
بين الله انهم كانوا مستغفرين عند لقاء العدو بالدعاء والتضرع عند طلب الاعانة والنصر من الله تعالى والغرض
منه ان يقتدي بهم في هذه الطريقة الحسنة امة محمد صلى الله عليه وسلم يقول هلا فعلتم مثل ما فعلوا وقلتم مثل ما قالوا

فآتاهم الله ثواب الدنيا يعني النصر والغنيمة وقهر الأعداء والثناء الجميل وغفران الذنوب والخطايا وحسن ثواب الآخرة يعني الجنة وما فيها من النعيم المقيم وإنما خص ثواب الآخرة يعني الجنة وما فيها من النعيم المقيم وإنما خص ثواب الآخرة بالحسن تنبيها على جلاله وعظمته لأنه غير زائل ولم يشب بتنغيص ولم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلته ولأنه سريع الزوال مع ما يشوبه من التنغيص والله يحب المحسنين يعني الذين يفعلون مثل الذي فعل هؤلاء وهذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يقولوا مثل هذا عند لقاء العدو وفيه دقيقة لطيفة وهو أنهم لما اعترفوا بذنوبهم وكونهم مسيئين سماهم الله تعالى محسنين قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يعني اليهود والنصارى وقيل المنافقين وذلك في قولهم للمؤمنين عند الهزيمة يوم أحد ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم وقيل معناه إن تطيعوهم فيما يأمرونكم به من ترك الجهاد يردوكم على أعقابكم يعني يرجعوكم إلى أمركم الأول وهو الكفر والشرك بالله بعد الإيمان به لأن قبول قولهم في الدعوة إلى الكفر كفر فتنقلبوا خاسرين يعني مغبونين في الدنيا والآخرة أما خسار الدنيا فهو طاعة الكفار والتذلل للأعداء وأما خسار الآخرة فهو دخول النار وحرمان دار القرار بل الله مولاكم أي وليكم وناصركم وحافظكم فاستغنوا به وهو خير الناصرين يعني أنه تعالى قادر على نصركم والمعنى أنكم إنما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم وهم عاجزون عن نصر أنفسهم فضلا عن غيرهم فاطلبوا النصر من الله تعالى فهو خير الناصرين قوله عز وجل سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب وذلك أن أبا سفيان ومن معه لما ارتحلوا يوم أحد متوجهين إلى مكة فلما بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم ارجعوا إليهم فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله في قلوبهم الرعب يعني الخوف الشديد حتى رجعوا عما هموا به فعلى هذا القول يكون الوعد بإلقاء الرعب في قلوب الكفار مخصوصا بيوم أحد وقيل إنه عام وإن كان السبب خاصا لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر فكأنه تعالى قال سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب منكم حتى تقهروهم وتظهر دينكم على سائر الأديان وقد فعل الله تعالى ذلك بفضله وكرمه حتى صار دين الإسلام ظاهرا على جميع الأديان والملل كما قال تعالى ليظهره على الدين كله بما أشركوا بالله يعني إنما كان إلقاء الرعب في قلوبهم بسبب إشراكهم بالله ما لم ينزل به سلطانا يعني حجة وبرهانا وسميت الحجة سلطانا لأن السلطان مشتق من التسليط وهو ما يتسلط به وقيل السلطان القدرة والقوة وسميت الحجة سلطانا لقوتها على دفع الباطل ومأواهم النار لما بين الله تعالى حال الكفار في الدنيا وهو إلقاء الرعب والخوف في قلوبهم بين حالهم في الآخرة فقال تعالى ومأواهم النار أي مسكنهم وبئس مثوى الظالمين المسكن الذي يستقرون به ويقيمون فيه وكلمة بئس تستعمل في جميع المذام والمعنى وبئس مقام الظالمين الذين ظلموا أنفسهم باكتساب ما أوجب لهم عذاب النار والإقامة فيها ولقد صدقكم الله وعده قال محمد بن كعب القرظي لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة من أحد وقد أصابهم ما أصابهم قال ناس من الصحابة من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فأنزل الله ولقد صدقكم الله وعده يعني بالنصر والظفر وذلك أن الظفر كان للمسلمين في الابتداء وقيل إن الله وعد المؤمنين النصر بأحد فلما خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا الغنيمة هزموا إذ تحسونهم يعني إذ تقتلون الكفار قتلا ذريعا وقيل معنى تحسونهم تستأصلونهم بالقتل بإذنه أي بعلم الله وأمره وقيل بقضاء الله وقدره حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم منعكم الله النصر ومعنى فشلتم ضعفتم والفشل الضعف مع جبن ومعنى التنازع الاختلاف وكان اختلافهم وتنازعهم أن الرماة الذين كانوا مع عبد الله لما انهزم المشركون قال بعضهم لبعض يا قوم ما نصنع بمقامنا ههنا وقد انهزم المشركون ثم أقبلوا

بلغ

على الغنيمة وقال بعضهم لا تجاوزوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبد الله بن جبير أمير القوم في نفر يسير دون العشرة ممن كان معه فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ذلك حملوا على الرماة الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير فقتلوا عبد الله بن جبير وأصحابه وأقبلوا على المسلمين وتحولت الريح دبورا بعدما كانت صبا وانتقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا وما يشعرون بذلك من الدهش ونادى إبليس إن محمدا قد قتل فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين وقوله وعصيتم يعني أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمركم به من لزوم المركز من بعد ما أراكم ما تحبون يعني من النصر والظفر والغنيمة يعني يا معشر المسلمين منكم من يريد الدنيا يعني الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب ومنكم من يريد الآخرة يعني الذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله بن مسعود ما شعرت أن أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم أحد ونزلت هذه الآية ثم صرفكم عنهم يعني يا معشر المسلمين عنهم يعني عن المشركين بالهزيمة ليبتليكم يعني ليمتحنكم وقيل لينزل عليكم البلاء لتتوبوا إليه وتستغفروه وقيل معناه ليختبركم وهو أعلم فيتميز المؤمن من المنافق ومن يريد الدنيا ممن يريد الآخرة ولقد عفا عنكم يعني ولقد عفا الله عنكم إذ خالفتم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستأصلكم بعد المعصية والمخالفة وقيل عفا عن عقوبتكم إذ خالفتم والله ذو فضل على المؤمنين وهذا من تمام نعمه على عباده لأنه نصرهم أولا ثم عفا عن المذنبين منهم ثانيا لأنه ذو الفضل والطول والإحسان وفي الآية دليل على أن صاحب الكبيرة مؤمن وأن الله تعالى يعفو بفضله وكرمه إن شاء لأن الله سماهم مؤمنين مع ما ارتكبوه من مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كبيرة وعفا عنهم بعد ذلك قوله عز وجل إذ تصعدون قيل هو متعلق بما قبله والتقدير ولقد عفا عنكم إذ تصعدون لأن عفوه عنهم لا بد وأن يتعلق بأمر اقترفوه وذلك الأمر هو ما بينه بقوله إذ تصعدون يعني هاربين في الجبل وقيل هو ابتداء كلام لا تعلق له بما قبله والمعنى اذكروا إذ تصعدون قراءة الجمهور بضم التاء وكسر العين من الإصعاد وهو الارتقاء من أسفل إلى أعلى كالصعود في الجبل وعلى السلم ونحوه وللمفسرين في معنى الآية قولان أحدهما أنه صعودهم في الجبل عند الهزيمة والثاني أنه الإبعاد في الأرض في حال الهزيمة ووقت الهرب ولا تلوون على أحد أي لا تعرجون ولا تقيمون على أحد ولا يلتفت بعضكم إلى بعض من شدة الهرب والرسول يدعوكم في أخراكم ومن ورائكم يقول إلي عباد الله أنا رسول الله من كر فله الجنة فأثابكم غما بغم يعني فجازاكم بفراركم عن نبيكم صلى الله عليه وسلم وفشلكم عن عدوكم غما بغم فسمى العقوبة التي عاقبهم بها ثوابا على سبيل المجاز لأن لفظ الثواب لا يستعمل في الأغلب إلا في الخير وقد يجوز استعماله في الشر لأنه مأخوذ من ثاب إذا رجع فأصل الثواب كل ما يعود إلى الفاعل من جزاء فعله سواء كان خيرا أو شرا فمتى حملنا لفظ الثواب على أصل اللغة كان الكلام صحيحا ومتى حملناه على الأغلب كان على سبيل المجاز فهو كقول الشاعر أخاف زيادا أن يكون عطاؤه أداهم سودا أو محدرجة سمرا فجعل العطاء مكان العقاب لأن الأداهم السود هي القيود والمحدرجة السياط والباء في قوله غما بغم بمعنى مع أو بمعنى على لأن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض وقيل الباء على بابها والمعنى غما متصلا بغم واختلفوا في معنى الغمين فقيل الغم الأول هو ما فاتهم من الظفر والغنيمة والغم الثاني هو ما نالهم من القتل والهزيمة وقيل الغم الأول ما أصابهم من القتل والجراح والغم الثاني هو ما سمعوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فأنساهم غمهم الأول وقيل الغم الأول هو أنهم غموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخالفة أمره فجازاهم الله بذلك الغم القتل والهزيمة وقيل إن غمهم الأول بسبب إشراف خالد بن الوليد مع خيل المشركين عليهم والغم الثاني حين أشرف أبو سفيان عليهم وذلك

ان ابا سفيان واصحابه والخيل قد وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون اليهم همهم ذلك وظنوا انهم يميلون
عليهم فيقتلونهم فاهمهم ذلك وقوله تعالى لكيلا تحزنوا في لفظة لا قولان احدهما انها باقية على اصلها ومعناها النفي
فعلى هذا يكون الكلام متصلا بقوله ولقد عفا عنكم والمعنى ولقد عفا عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم وما
اصابكم لان عفوه يذهب كل هم وحزن وقيل معناه فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم وما
اصابكم وقد روي انهم لما سمعوا بان النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل نسوا ما اصابهم وما فاتهم والقول الثاني
ان لفظة لا صلة ومعنى الكلام لكي تحزنوا على ما فاتكم واصابكم عقوبة لكم على مخالفتكم قال ابن عباس الذي فاتهم
الغنيمة والذي اصابهم القتل والهزيمة والله خبير بما تعملون اي عالم بجميع اعمالكم خيرها وشرها فيجزيكم عليها
قوله تعالى ثم انزل عليكم يا معشر المسلمين من بعد الغم الذي اصابكم امنة نعاسا يعني امنا والامنة والامن واحد
وقيل الامن يكون مع زوال الخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف بعد باق والنعاس اخف
النوم والمعنى اعقبكم بما نالكم من الخوف والرعب ان امنكم امنا تنامون معه لان الخائف لا يكاد ينام فانهم
بعد خوفهم يغشى طائفة منكم قال ابن عباس امنهم يومئذ بنعاس تغشاهم وانما ينعس من يامن والخائف
لا ينام خ عن انس عن ابي طلحة قال كنت فيمن تغشاه النعاس يوم احد حتى سقط سيفي من يدي مرارا
يسقط واخذه ويسقط واخذه واخرجه الترمذي عنه قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم احد
وذكر نحو رواية البخاري وزاد والطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم هم الا انفسهم اجبن قوم وارعبه واخذله
للحق وفي رواية اخرى له قال رفعت راسي يوم احد فجعلت انظر وما منهم يومئذ احد الا يميد تحت حجفته
من النعاس فذلك قوله ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا وقال الزبير بن العوام لقد رايتني مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف ارسل الله تعالى علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير
والنعاس يغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ها هنا فقوله تعالى يغشى
طائفة منكم يعني المؤمنين وطائفة قد اهمتهم انفسهم يعني المنافقين اراد ان يميز المؤمنين من المنافقين
فبقوا في الخوف وفي القاء النعاس على المؤمنين دون المنافقين اية عظيمة ومعجزة باهرة لان النعاس
كان سبب امن المؤمنين وعدم النعاس عن المنافقين كان سبب خوفهم وهو قوله تعالى وطائفة قد
اهمتهم انفسهم يعني حملتهم انفسهم على الهم لان اسباب الخوف وهي قصد الاعداء كانت حاصلة عندهم
يظنون بالله غير الحق يظنون ان الله لا ينصر محمدا واصحابه وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل وان
امره يضمحل والمعنى يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به ظن الجاهلية اي كظن اهل الجاهلية
يقولون يعني المنافقين هل لنا اي ما لنا من الامر من شيء وذلك انه لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي بن سلول
راس المنافقين في هذه الواقعة فاشار عليه ان لا يخرج من المدينة فلما خالفه النبي صلى الله عليه وسلم وخرج وقتل من قتل قيل لعبد الله
ابن ابي قتل بنو الخزرج قال هل لنا من الامر من شيء وهو استفهام على سبيل الانكار اي ما لنا امر يطاع وقيل المراد بالامر النصر والظفر يعني ما لنا
من هذا الذي يعدنا محمد به من النصر والظفر من شيء انما هو للمشركين قل يعني قل يا محمد لهؤلاء المنافقين ان الامر كله لله
يعني النصر والظفر والقضاء والقدر كله لله وبيده يصرفه حيث شاء ويدبره كيف احب يخفون في انفسهم ما لا يبدون
لك يعني من الكفر والشك في وعد الله عز وجل وقيل يخفون الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل الذي
اخفوه هو قوله تعالى حكاية عنهم يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ها هنا وذكر ان المنافقين
قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد الى قتال اهل مكة ولم يقتل رؤساؤنا وقيل كانوا
يقولون لو كنا على الحق ما قتلنا ها هنا وعن ابن عباس في قوله تعالى يظنون بالله غير الحق يعني التكذيب

بالقدر

بالقدر وهو قولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ها هنا قيل ان الذي قال هل لنا من الامر هو معتب بن قشير قل
يا محمد لهؤلاء المنافقين لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل اي قضي عليهم القتل وقدر عليهم الى مصارعهم
يعني الى مصارعهم التي يصرعون فيها وقت القتل ومعنى الآية ان الحذر لا ينفع مع القدر والتدبير لا يقاوم التقدير
فالذين قدر عليهم القتل وقضاه وحكم به عليهم لا بد ان يقتلوا والمعنى لو جلستم في بيوتكم لخرج منها
ولظهر الذين قضى الله عليهم القتل الى حيث يقتلون فيه وليبتلي الله ما في صدوركم اي وليختبر ما في صدوركم
ليعلمه مشاهدة كما علمه غيبا لان المجازاة انما تقع على ما علمه مشاهدة وقيل معناه ليعاملكم معاملة المبتلي المختبر
لكم وقيل معناه ليبتلي اولياء الله ما في صدوركم فاضاف الابتلاء اليه تعظيما لشان اوليائه المؤمنين وليمحص ما
في قلوبكم بالقتال اي يطهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجائب صنعه في القاء الامنة وصرف العدو واظهار
سرائر المنافقين فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين خاصة وقيل معناه وليبين وليظهر ما في قلوبكم
يعني من الاعتقاد لله ولرسوله وللمؤمنين من العداوة فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين خاصة والله
عليم بذات الصدور يعني بالاشياء الموجودة في الصدور وهي الاسرار والضمائر لانه عالم بجميع المعلومات
قوله عز وجل ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان اي انهزموا وهربوا يا معشر المسلمين وهو خطاب لمن
كان مع النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين يوم احد وكان قد انهزم اكثر المسلمين ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم
الا ثلاثة عشر رجلا وقيل اربعة عشر من المهاجرين سبعة ومن الانصار سبعة فمن المهاجرين ابو بكر
وعمر وعلي وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنهم
انما استزلهم الشيطان اي طلب زلتهم كما يقال استعجلته اي طلبت عجلته وقيل حملهم على
الزلة وهي الخطيئة وذلك بالقاء الوسوسة في قلوبهم لانه امرهم بها ببعض ما كسبوا يعني معصيتهم
النبي صلى الله عليه وسلم وتركهم المركز وقيل استزلهم الشيطان بتذكير خطايا لهم فكرهوا ان يقتلوا
قبل اخلاص التوبة منها وهذا اختيار الزجاج لانه قال لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على الفرار من
الزحف رغبة في الدنيا وانما ذكرهم الشيطان خطايا سلفت لهم فكرهوا لقاء الله الا على حالة يرضاها
ولقد عفا الله عنهم يعني ولقد عفا الله عن الذين تولوا يوم التقى الجمعان فلم يعاقبهم بذلك وغفر لهم
قيل ان عثمان عوتب في هزيمته يوم احد فقال ان ذلك وان كان خطأ لكن الله قد عفا عنه وقرأ هذه
ان الله غفور يعني لمن تاب واناب حليم لا يعجل بالعقوبة ولم يستاصلهم بالقتل قوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه وقالوا لاخوانهم يعني في النفاق والكفر
وقيل لاخوانهم في النسب وكانوا مسلمين اذا ضربوا في الارض يعني اذا سافروا في الارض لتجارة وطلب معاش
او كانوا غزى جمع غاز اي في غزاة وفي الكلام حذف دل المعنى عليه وهو اذا ضربوا في الارض فماتوا
او كانوا غزى فقتلوا لو كانوا عندنا يعني مقيمين ما ماتوا وما قتلوا والمعنى ان الامر بيد الله وان
المحيي والمميت هو الله فقد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد عن الغزو وكانت فكيف
ينفع الجلوس في البيت وهل ينجي احدا من الموت والله بما يعملون بصير يعني انه تعالى مطلع على ما يعملون من
خير او شر فيجازيهم به فاتقوه ولا تكونوا مثل المنافقين لانهم يثبطون المؤمنين عن الجهاد بقولهم لو كانوا عندنا
ما ماتوا وما قتلوا فان الله هو المحيي المميت فمن قدر له البقاء لم يقتل في الجهاد ومن قدر له
الموت لم يبق وان قام بين اهله فلا تقولوا انتم ايها المؤمنون لمن يريد الخروج الى الجهاد لا تخرج فتقتل

فلان يموت في الجهاد فيستوجب الثواب فان ذلك خير له من ان يموت في بيته بلا فائدة واليه الاشارة بقوله
تعالى ولئن قتلتم الى الله تحشرون في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة يعني في العاقبة خير مما تجمعون يعني من
الغنائم والمعنى ولئن تم عليكم ما تخافونه من القتل في سبيل الله او الهلاك بالموت فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة
بالموت والقتل في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون
يعني لالى الله الرحيم الواسع الرحمة والمغفرة المثيب العظيم الثواب تحشرون في الاخرة فيجزيكم باعمالكم ولطيفة
قسم بعضهم مقامات العبودية ثلاثة اقسام فمن عبد الله خوفا من ناره آمنه مما يخاف واليه الاشارة
بقوله تعالى لمغفرة من الله ومن عبد الله شوقا الى جنته اناله ما يرجو واليه الاشارة بقوله ورحمة لان الرحمة من اسماء
الجنة ومن عبد الله شوقا الى وجهه الكريم لا يريد غيره فهذا هو العبد المخلص الذي يتجلى له الحق سبحانه وتعالى في
دار كرامته واليه الاشارة بقوله تعالى لالى الله تحشرون قوله عز وجل فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة من الله وما
صلة لنت لهم اي فبرحمة سهلت لهم اخلاقك وكثر احتمالك ولم تسرع اليهم بالتعنيف على ما كان منهم يوم احد
ومعنى فبما رحمة من الله هو توفيق الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم للرفق والتلطف بهم وان الله تعالى القى
في قلب نبيه صلى الله عليه وسلم داعية الرحمة واللطف حتى فعل ذلك معهم ولو كنت فظا يعني جافيا غليظ
القلب يعني قاسي القلب سيء الخلق قليل الاحتمال لانفضوا من حولك يعني لتفرقوا عنك ونفروا حتى لا يبقى حولك
احد منهم فاعف عنهم اي تجاوز عن زلاتهم وما اتوا يوم احد واستغفر لهم اي واسأل الله المغفرة لهم حتى يشفعك
فيهم وقيل فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحقوق الله وذلك من تمام الشفقة عليهم وشاورهم
في الامر اي استخرج آراءهم واعلم ما عندهم واختلف العلماء في المعنى الذي من اجله امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم
بالمشاورة لهم مع كمال عقله وجزالة رأيه ونزول الوحي عليه ووجوب طاعته على كافة الخلق فيما احبوا او كرهوا
فقيل هو عام مخصوص والمعنى وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد وذلك في امر الحرب ونحوه من امور
الدنيا لتستظهر برأيهم فيما تشاورهم فيه وقيل امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم تطييبا
لقلوبهم فان ذلك اعطف لهم عليه واذهب لاضغانهم فان سادات العرب كانوا اذا لم يشاوروا في الامور شق
ذلك عليهم وقال الحسن قد علم الله تعالى انه ما به الى مشاورتهم حاجة ولكن اراد ان يستن به من
بعده من امته وقيل انما امر بمشاورتهم ليعلم مقادير عقولهم وافهامهم لا ليستفيد منهم رأيا وروى
البغوي بسنده عن عائشة انها قالت ما رأيت رجلا اكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتفق العلماء على ان كل ما نزل فيه وحي من الله تعالى لم يجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشاور فيه الامة وانما امر
ان يشاور فيما سوى ذلك من امر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل ان يشاورهم في امر الدين والدنيا فيما لم ينزل عليه
فيه شيء لان النبي صلى الله عليه وسلم شاورهم في اسارى بدر وهو من امر الدين قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الاستشارة
عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم وقال بعض الحكماء ما استنبط
الصواب بمثل المشاورة ومن فوائد المشاورة انه قد يعزم الانسان على امر فيشاور فيه فيتبين له الصواب
في قول غيره فيعلم بذلك عجز نفسه عن الاحاطة بفنون المصالح ومنها انه اذا لم ينجح امره علم ان امتناع
النجاح محض قدر فلم يلم نفسه وقال بعضهم في مدح المشاورة وشاور اذا شاورت كل مهذب لبيب اخي حزم
لترشد في الامر ولا تك ممن يستبد برأيه فتعجز او لا تستريح من الفكر الم تر ان الله قال لعبده وشاورهم
في الامر حتما بلا نكر قوله تعالى فاذا عزمت يعني على المشاورة فتوكل على الله اي فاستعن بالله في امورك كلها

وثق به

وثق به ولا تعتمد الا عليه فانه ولي الاعانة والعصمة والتسديد والمقصود ان لا يكون للعبد اعتماد على
شيء الا على الله تعالى في جميع اموره وان المشاورة لا تنافي التوكل ان الله يحب المتوكلين يعني المتوكلين عليه
في جميع امورهم قوله تعالى ان ينصركم الله يعني ان يعنكم الله بنصره ويمنعكم من عدوكم كما فعل بكم يوم بدر
فلا غالب لكم يعني من الناس لان الله هو المتولي نصركم وان يخذلكم كما فعل بكم يوم احد فلم ينصركم ووكلكم الى
انفسكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده اي من بعد خذلانه
وعلى الله فليتوكل المؤمنون لا على غيره لان الامر كله لله ولا راد لقضائه ولا دافع لحكمه فيجب ان يتوكل عليه
العبد في كل اموره على الله تعالى لا على غيره وقيل التوكل ان لا تعصي الله من اجل رزقك وقيل ان لا تطلب لنفسك
ناصرا غيره ولا لعملك شاهدا سواه (م) عن عمران بن حصين قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة
من امتي سبعون الفا بغير حساب قالوا ومن هم يا رسول الله قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا
يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت
منهم فقام آخر فقال يا نبي الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة عن عمر بن الخطاب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح
بطانا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل وما كان لنبي ان يغل الآية قال ابن عباس نزلت
هذه الآية وما كان لنبي ان يغل في قطيفة حمراء افتقدت يوم بدر فقال بعض القوم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخذها فانزل الله الآية الى آخرها اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب وروي عن الضحاك
قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلائع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع فانزل الله تعالى وما كان لنبي
ان يغل وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس في قوله وما كان لنبي ان يغل يقول ما كان لنبي ان يقسم بالعدل ويأخذ فيه
بامر الله ويحكم فيه بما انزل الله يقول ما كان الله ليجعل نبيا يغل من اصحابه فاذا فعل ذلك النبي استنوا به وقال مقاتل
والكلبي نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول النبي صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا
فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فتركوا المركز ووقعوا في الغنائم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري قالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ظننتم
انا نغل ولا نقسم فانزل الله هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا انها نزلت في طائفة غلت من اصحابه وقيل ان الاقوياء
الحوا عليه يسألونه من المغنم فانزل الله وما كان لنبي ان يغل يعني فيعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم
بينهم بالسوية وقال محمد بن كعب القرظي ومحمد بن اسحق بن يسار هذا في شأن الوحي يقول ما كان لنبي
ان يكتم شيئا من الوحي رغبة او رهبة او مداهنة والغلول هو الخيانة واصله اخذ الشيء في خفية يقال
غل فلان يغل قرئ يغل بفتح الياء وضم الغين اي وما كان لنبي ان يخون لان النبوة والخيانة لا يجتمعان
لان منصب النبوة اعظم المناصب واشرفها واعلاها فلا يليق به الخيانة لانها في نهاية الدناءة والخسة
والجمع بين الضدين محال فثبت بذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخن امته في شيء لا من الغنائم ولا من الوحي
وقيل المراد به الامة لانه قد ثبتت براءة ساحة النبي صلى الله عليه وسلم من الغلول والخيانة فدل ذلك
على ان المراد بالغلول غيره وقيل اللام فيه منقولة معناه ما للنبي ان يغل على نفي الغلول عن الانبياء وقيل
معناه ما كان لنبي الغلول اذا ما غل نبي قط فنفى عن الانبياء الغلول وقيل معناه وما كان لنبي ان يغل
اي الغلول اذ لم يكن لم يفعله وجه هذه القراءة انهم نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم الى الغلول في بعض
الروايات فبين الله تعالى بهذه الآية ان هذه الخصلة لا تليق به ونفى عنه ذلك بقوله وما كان لنبي ان يغل وقرئ

بضم الياء وفتح الغين ولها معنيان احدهما ان يكون من الغلول ايضا ومعناه وما كان لنبي ان يخون اي ينسب الى الخيانة
ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة يعني بالشي الذي غله بعينه يحمله على ظهره يوم القيمة ليزداد فضيحته بما حمله يوم القيمة وقيل يمثل
ذلك الشي في النار ثم يقال له انزل فخذه فينزل فيحمله على ظهره فاذا بلغ موضعه وقع ذلك الشي في النار فيكلف ان ينزل اليه
ليخرجه يفعل به ذلك ما شاء الله تعالى وقيل معناه انه يأت باثم ما غله فيجزى به يوم القيمة وهو قوله تعالى ثم توفى كل نفس ما
كسبت يعني من خير او شر لهم يجزى به يوم القيمة ويوفى جزاء عمله وهم لا يظلمون يعني بل يعدل بينهم يوم القيمة في الجزاء فيجزى
كلا على عمله فصل في ذكر احاديث وردت في الغلول ووعيد الغال قد تقدم ان اصل الغلول هو اخذ الشي
في خفية وانه الخيانة الا انه قد صار في العرف مخصوصا بالخيانة في الغنيمة وبهذا وردت ق وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قام
فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره حتى قال لا الفين احدكم يجي يوم القيمة على رقبته
فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك من الله شيا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجي يوم القيمة على رقبته شاة
لها ثغاء يقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك من الله شيا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجي يوم القيمة على رقبته نفس لها
صياح فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجي يوم القيمة على رقبته رقاع تخفق
فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيا لا الفين احدكم يجي يوم القيمة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله
اغثني فاقول لا املك لك شيا قد ابلغتك لفظ مسلم الرغاء صوت البعير والثغاء صوت الشاة والرقاع الثياب
والصامت الذهب والفضة ق عن ابي هريرة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم
ذهبا ولا فضة وغنمنا المتاع والطعام والثياب ثم انطلقنا الى الوادي يعني وادي القرى ومع رسول
الله صلى الله عليه وسلم عبد له وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بني الضبيب فلما نزلنا الوادي
قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمي بسهم فكان فيه حتفه فقلنا هنيئا له الشهادة يا رسول الله قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفس محمد بيده ان الشملة لتلتهب عليه نارا اخذها من الغنائم يوم خيبر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تصبها المقاسم فافزع الناس فجاء رجل بشراك او شراكين فقال اصبتها يوم خيبر فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم شراك من نار او شراكان من نار وفي رواية نحوه وفيه ومعه عبد يقال له مدعم اهداه له
احد بني الضباب وفيه اذ جاءه سهم عاير الشراك سير النعل الذي يكون على ظهر القدم ومثله شسع النعل والسهم
العاير هو السهم الذي لا يدري من رماه خ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجل يقال له كركرة فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون اليه فوجدوا عباءة قد
غلها عن زيد بن خالد الجهني ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم توفي فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلوا
على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم غل في سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من
خرز يهود لا تساوي درهمين اخرجه ابو داود والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر
وعمر حرقوا متاع الغال وضربوه زاد في رواية ومنعوه سهمه اخرجه ابو داود قوله تعالى افمن اتبع رضوان الله
يعني بترك الغلول فلم يغل كمن باء رجع بسخط من الله يعني بغضب من الله والمعنى فغل والسخط الغضب
الشديد المقتضي للعقوبة وهو من الله انزال العقوبة بمن سخط عليه وقيل في معنى الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما امر المسلمين باتباعه والخروج معه يوم احد اتبعه المؤمنون وتخلف عنه جماعة من المنافقين فاخبر الله
بحال من اتبعه بقوله افمن اتبع رضوان الله وبحال من تخلف عنه كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير
يعني الغال او المتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون يعني هم ذوو درجات
عند الله قال ابن عباس يعني من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفون المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم

ولمن باء بسخط من الله العذاب الاليم والمعنى افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ليسوا سواء بل هم درجات عند الله
على حسب اعمالهم وقيل الضمير في قوله هم درجات عايد على قوله افمن اتبع رضوان الله فقط لان الغالب في العرف استعمال
الدرجات لاهل الثواب والدركات لاهل العذاب ولان الله تعالى وصف من باء بسخط من الله ان ماواه جهنم وبئس
المصير [illegible] فدل على ان الضمير في قوله هم درجات عند الله وفيه تحريض على العمل بطاعته وتحذير من العمل بمعاصيه
قوله عز وجل لقد من الله على المؤمنين يعني احسن اليهم وتفضل عليهم والمنة النعمة العظيمة وذلك في الحقيقة
لا يكون الا لله تعالى ومنه قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يعني من جنسهم
عربيا مثلهم ولد ببلدهم ونشأ بينهم يعرفون نسبه وليس حي من احياء العرب الا وقد ولده وله فيهم
نسب الا بني تغلب فانهم كانوا نصارى وثبتوا على النصرانية فطهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم من ان يكون له
فيهم نسب وقيل اراد بالمؤمنين جميع المؤمنين ومعنى قوله تعالى من انفسهم اي بالايمان والشفقة
لا بالنسب ومن جنسهم ليس بملك ولا احد من غير بني ادم وقيل من انفسهم يعني انه من ولد اسمعيل بن
ابرهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام ووجه المنة والانعام على المؤمنين ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم
لكونه داعيا لهم الى ما يخلصهم من العذاب العظيم ويوصلهم الى الثواب في جنات النعيم وكونه من انفسهم
ومن جنسهم لانه اذا كان اللسان واحدا سهل الاخذ عنه فيما يجب عليهم وكانوا واقفين
على جميع احواله وانهم يعرفون صدقه وامانته فكان ذلك اقرب الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من
زوجه انفسهم شرف لهم وكان فيما خطب به ابو طالب حين تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضي الله عنها
وقد حضر ذلك بنو هاشم ورؤسا مضر فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل وضئضئ
معد وعنصر مضر وجعلنا سدنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا
الحكام على الناس وان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى الا رجح وهو والله بعد هذا له نبا عظيم وخطب
جليل وقيل في وجه المنة ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ان الخلق جبلوا على الجهل ونقصان العقل
وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله على خلقه وانعم عليهم واحسن اليهم بان بعث فيهم رسولا من انفسهم
انقذهم من الضلالة وبصرهم به من الجهالة وهداهم به الى صراط مستقيم وانما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم المنتفعون
بما جاء به دون غيرهم يتلوا عليهم اياته يعني يقرا عليهم كتابه الذي انزل عليه بعد ان كانوا اهل جاهلية لم
يطرق اسماعهم شي من الوحي السماوي ويزكيهم اي ويطهرهم من دنس الكفر وسنة المحرمات والخبائث
ويعلمهم الكتاب والحكمة يعني القران والسنة التي سنها لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وان كانوا من قبل
اي من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لفي ضلال مبين يعني لفي جهالة وحيرة عن الهدى عميا لا يعرفون
معروفا ولا ينكرون منكرا فهداهم الله بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى اولما اصابتكم مصيبة يعني
بما اصابهم يوم احد قد اصبتم مثليها يعني يوم بدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم احد سبعين
وقتل المسلمون من المشركين يوم بدر وهزموهم في اول الامر يوم احد فلما عصوا الله ورسوله هزمهم المشركون
فحصل انهزام المشركين مرتين وانهزام المسلمين مرة واحدة قلتم انى هذا اي من اين لنا هذا القتل والهزيمة
ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا وهذا استفهام انكار قل هو من عند انفسكم يعني انما وقعتم
فيما وقعتم فيه بشوم ذنوبكم وهي مخالفتكم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم اختار الاقامة
بالمدينة على الخروج الى العدو واختاروا هم الخروج اليه وايضا امر الرماة بالاقامة في الموضع الذي عينه لهم فخالفوا

وتركوا المركز لاجل الغنيمة فكان ذلك سبب القتل والهزيمة وروى عبيدة السلماني عن علي بن ابي طالب قال جاء جبريل
عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد كره ما صنع قومك في اخذهم الفداء من الاسارى وقد امرك ان تخيرهم بين ان
يضربوا اعناق الاسارى وبين ان ياخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس
فقالوا يا رسول الله عشايرنا واخواننا بل ناخذ فداهم فنتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم
فقتل منهم يوم احد سبعون عدد اسارى اهل بدر لم يسنده البغوي واسنده ابن جرير الطبري فذلك معنى قوله
قل هو من عند انفسكم يعني باخذكم الفداء واختياركم القتل انفسكم ان الله على كل شي قدير يعني من نصركم مع
الطاعة وترك نصركم مع المخالفة قوله عز وجل وما اصابكم يعني من القتل والجراح والهزيمة يوم التقى الجمعان
يعني جمع المومنين وجمع المشركين وذلك باحد يوم احد فباذن الله يعني فبعلمه وقضايه وقدره وحكمه وفيه
تسلية للمومنين بما حصل لهم يوم احد من القتل والهزيمة ولا تقع التسلية الا اذا علموا ان ذلك كان واقعا
بقضا الله وقدره فحينيذ يرضون بما قضى الله عليهم وليعلم المومنين وليعلم الذين نافقوا اي ليظهر ايمان
المومنين بثبوتهم على ما نالهم وليظهر نفاق المنافقين بفشلهم وقلة صبرهم على ما نزل بهم فالمراد من العلم العلوم والظهور
ليتبين المومن من المنافق وليتميز احدهما من الاخر والمنافق هو الذي اظهر الايمان بلسانه واضمر خلافه
واشتقاقه من النفق وهو السرب في الارض المنافذ منه نافق اليربوع لان له جحرا في الارض له بابان
اذا طلب من احدهما خرج من الاخر وكذلك المنافق صنع لنفسه احدهما اظهار الايمان بلسانه والاخر اضمار
الكفر بقلبه فاذا طلب خرج من الاخر وقيل لانه دخل في الايمان من باب وخرج من باب اخر والنفاق
اسم اسلامي لم تكن العرب تعرفه قبل الاسلام وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا المقول لهم عبد الله
ابن ابي بن سلول المنافق واصحابه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى احد في الف رجل حتى اذا كان بالشوط
بين احد والمدينة انخزل عبد الله بن ابي بن سلول بثلث الناس وقال ما ندري على ما نقتل انفسنا فرجع بمن معه
من المنافقين فتبعهم ابو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري اخو بني سلمة وهو يقول يا قوم اذكركم الله ان
تخذلوا نبيكم عند حضور عدوهم فذلك قوله تعالى وقيل لهم تعالوا يعني المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه تعالوا
قاتلوا في سبيل الله اي لاجل دين الله وطاعته او ادفعوا يعني عن اموالكم واهليكم وقيل معناه تعالوا كثروا
سواد المسلمين ان لم تقاتلوا ليكون ذلك دفعا وقمعا للعدو قالوا يعني المنافقين لو نعلم قتالا لاتبعناكم
ولم نرجع ولو علمنا انه يكون قتال لاتبعناكم وقيل معناه لو نحسن قتالا لاتبعناكم هم للكفر يعني المنافقين الى الكفر
يومئذ اقرب منهم للايمان اي الى الايمان وانما قال ذلك يومئذ لانهم قبل ذلك اليوم لم يظهروا ما اظهروه من المعاندة
والرجوع عن المسلمين وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم وانهم كانوا قبل ذلك يظهرون كلمة الاسلام ويخفون
الكفر يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يعني يظهرون بالسنتهم الايمان وليس هو في قلوبهم انما في قلوبهم الكفر
والنفاق وهذه صفة المنافقين لا صفة المومنين لان صفة المومن المخلص مواطاة القلب للسان
على شي واحد وهو التوحيد والله اعلم بما يكتمون يعني من النفاق الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا
نزلت في عبد الله بن ابي المنافق واصحابه وفي المراد باخوانهم قولان احدهما ان المراد باخوانهم المنافقين فعلى
القول الاول يكون معنى الاية الذين قالوا في اخوانهم او عن اخوانهم الذين قتلوا باحد لو اطاعونا ما قتلوا
لانهم يعدون قتلوا لا يخاطبون وعلى القول الثاني يكون معنى الاية الذين قالوا هم عبد الله بن ابي واصحابه لاخوانهم
يعني في النفاق وقعدوا يعني عن الجهاد لو اطاعونا يعني هولاء الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو

عنه ما قتلوا ابو سعيد فرد الله تعالى عليهم بقوله قل يعني قل يا محمد فادروا اي فادفعوا عن انفسكم الموت
ان كنتم صادقين يعني ان الحذر لا ينفع من القدر وفي الاية دليل على ان المقتول يموت باجله خلافا لمن يزعم ان القتل
يقطع على المقتول اجله قوله عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا قيل نزلت في شهدا بدر وكانوا
اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وقال اكثر المفسرين انها نزلت في شهدا احد
ويدل على ذلك ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انه لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله
ارواحهم في جوف طير خضر ترد انهار الجنة تاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش
فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا احياء في الجنة لئلا يزهدوا
ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله تعالى انا ابلغهم عنكم وانزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
بل احياء عند ربهم الى اخر الايات اخرجه ابو داود م عن مسروق قال سالنا عبد الله عن هذه الاية ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا قيل نزلت في شهدا بدر وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار
وقال اكثر المفسرين انها نزلت في شهدا احد ويدل على ذلك ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لاصحابه انه لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في جوف طير خضر ترد انهار الجنة تاكل من ثمارها وتاوي
الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا
عنا انا احياء في الجنة لئلا يزهدوا في الجنة ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله تعالى انا ابلغهم عنكم وانزل الله ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم الى اخر الايات اخرجه ابو داود م عن مسروق قال سالنا عبد الله
عن هذه الاية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فقال اما انا قد سالنا
عن ذلك فقال ارواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تاوي
الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيا قالوا اي شي نشتهي ونحن نسرح من الجنة
حيث شينا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما راوا انهم لن يتركوا من ان يسالوا قالوا يا رب نريد ان ترد ارواحنا
في اجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة اخرى فلما راى ان ليس لهم حاجة تركوا ذكر ما يتعلق بهذا الحديث
قول مسروق سالنا عبد الله كذا جاء عبد الله غير منسوب وقد نسبه بعض الناس فقال عبد الله بن عمرو وقد
ذكره ابو مسعود الدمشقي والحميدي في مسند عبد الله بن مسعود وهو الصحيح وهذا الحديث
مرفوع لقوله اما انا قد سالنا عن ذلك فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث دليل على ان الجنة
مخلوقة الان خلافا للمعتزلة لقوله صلى الله عليه وسلم تسرح من الجنة حيث شاءت وهو مذهب اهل السنة
وفيه دليل على ان الارواح باقية لا تفنى بفنا الجسد وان المحسن ينعم ويجزى بالثواب وان المسي يجازى بالعقاب يعذب م
قبل يوم القيمة وهو مذهب اهل السنة ايضا قوله ارواحهم في جوف طير خضر ان يجعل الله ارواح الشهدا في
اجواف طير خضر وهذا ليس ببعيد لا سيما مع القول بان الارواح اجسام لطيفة وقيل ان المنعم والمعذب
من الارواح جز من الجسد يبقى فيه الروح وهو الذي يتلذذ بالنعيم ويتالم بالعذاب فغير مستحيل ان
يصور الله ذلك الجز طايرا ويجعل في جوف طير يسرح في الجنة وتاوي الى تلك القناديل وقد تعلق بهذا الحديث
من يقول بالتناسخ من المبتدعة ويقول بانتقال الارواح وتنعيمها في الصور الحسان المرفهة وتعذيبها
في الصور القبيحة المسخرة ويزعمون ان هذا هو الثواب والعقاب وهذا ضلال بين وقول سخيف ونزعة
باطلة لما في هذا القول من ابطال ما جاءت به الشرايع من الحشر والنشر والمعاد والجنة والنار وقد جا في بعض الروايات

هذا الحديث ما يتعلق برد عليهم وهو قوله حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه يعني يحيي جميع جسده يوم
يبعثه وهو يوم القيمة والله اعلم عن جابر قال لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مهتم فقال ما لي اراك منكسرا
قلت يا رسول الله استشهد ابي يوم احد وترك عيالا ودينا فقال الا ابشرك بما لقي الله به اباك قلت بلى
قال ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب واحيا اباك وكلمه كفاحا وقال يا عبدي تمن علي اعطك
قال يا رب تحييني فاقتل ثانية قال سبحانه انه قد سبق مني انهم لا يرجعون فنزلت ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل ان الاية نزلت في شهداء
بير معونة وهي بير بين مكة وعسفان وارض هذيل قال محمد بن اسحق عن اشياخه من اهل العلم قالوا
قدم ابو برا عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بني عامر بن صعصعة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم واهدى له هدية فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبلها وقال اني لا اقبل هدية مشرك
ثم عرض عليه الاسلام واخبره بما له فيه وما اعد الله للمؤمنين وقرا عليه القران فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد
ان امرك هذا الذي تدعو اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد فدعوهم الى امرك رجوت ان يستجيبوا لك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اخشى عليهم اهل نجد فقال ابو برا انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس
الى امرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو اخا بني ساعدة في سبعين رجلا من خيار المسلمين
وكان يقال لهم القرا منهم الحرث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن اسما ابن الصلت ونافع بن بديل
ابن ورقا الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة بعد احد باربعة اشهر فساروا
حتى نزلوا بير معونة وهي ارض بين ارض بني عامر وحرة بني سليم فلما نزلوها قال بعضهم لبعض ايكم يبلغ
رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان انا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى عامر بن الطفيل وكان على ذلك الماء فلما اتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر في كتاب رسول الله ابن الطفيل
صلى الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان يا اهل بير معونة اني رسول رسول الله اليكم واني اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا عبده ورسوله فامنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضربه به في جنبه
حتى خرج من الشق الاخر فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بني عامر
على المسلمين فابوا ان يجيبوه الى ما دعاهم وقالوا لا نخفر ابا برا فقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ
عليهم قبائل العرب بني سليم عصية ورعلا وذكوان فاجابوه فخرجوا حتى لقوا اغشوا القوم فاحاطوا
لهم في رحالهم فلما راوهم اخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن اخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه
وبه رمق فارتث بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن امية الضمري
ورجل من الانصار احد بني عمرو بن عوف فلم ينبئهما بمصاب اصحابهما الا الطير تحوم على العسكر فقالا والله
ان لهذا الطير لشانا فاقبلا لينظرا فاذا القوم في دمائهم واذا الخيل التي اصابتهم واقفة فقال الانصاري
لعمرو بن امية ما ذا ترى قال ارى ان نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره فقال الانصاري لكني لا ارغب عن موطن
قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل واخذوا عمرو بن امية اسيرا فلما اخبرهم انه من مضر
اطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على امه فقدم عمرو بن امية
على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل ابي برا وقد
كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك ابا برا فشق عليه اخفار عامر بن الطفيل اياه وما اصاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره وكان فيمن اصيب عامر بن فهيرة مولى ابي بكر الصديق فروى محمد بن اسحق
عن هشام بن عروة عن ابيه ان عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل رايته رفع بين السما والارض
حتى رايت السما من دونه قالوا هو عامر بن فهيرة قالوا وبلغ ربيعة بن ابي برا ان عامر بن الطفيل اخفر ذمة ابيه فحمل
على عامر بن الطفيل فطعنه فخر عن فرسه قلت وذكر ابن الاثير الجزري في كتاب جامع الاصول له في قسم
الاسما في ترجمة عامر بن الطفيل انه عامر بن الطفيل قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن بضع وثمانين ليسلم
سنة ولم يسلم وهو وغادر حتى عنده فخرج له خراج في اصل اذنه اخذه منه مثل النار فاشتد
عليه ومات منه ق عن انس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اقواما من بني سليم الى بني عامر في
سبعين في رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالا له اخا لام سليم واسمه حرام في سبعين راكبا فلما قدموا
قال لهم خالي اتقدمكم فان امنوني حتى ابلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والا كنتم مني قريبا فتقدم فامنوه
فبينا هو يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اومؤوا الى رجل منهم فطعنه فانفذه فقال الله اكبر فزت
ورب الكعبة ثم مالوا على بقية اصحابه فقتلوهم الا رجلا اعرج صعد الجبل قال همام واراه اخر معه
فاخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم انهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم وارضاهم فقال فكنا نقرا ان
بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ثم نسخ بعد فدعا عليهم اربعين صباحا على رعل
وذكوان وعصية الذين عصوا الله ورسوله وفي رواية ان رعلا وذكوان وبني لحيان استمدوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فامدهم بسبعين رجلا من الانصار كنا نسميهم القرا في زمانهم كانوا يحطبون
بالنهار ويصلون بالليل حتى اذا كانوا ببير معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فقنت عليهم شهرا يدعو في الصبح على احيا من العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان
قال انس فقرانا فيهم قرانا ثم ان ذلك رفع بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا
ولمسلم قال جا ناس الى النبي صلى الله عليه وسلم فسالوا ان ابعث معنا رجالا يعلمونا القران والسنة
فبعث اليهم سبعين رجلا من الانصار وذكر نحو ما تقدم وقيل ان اوليا الشهدا واهليهم كانوا اذا
اصابتهم نعمة وخير تحسروا على الشهدا وقالوا نحن في النعمة والرخا واباؤنا وابناؤنا واخواننا في القبور
فانزل الله هذه الاية تنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم فقال تعالى ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا ولا تحسبن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد من امته
والمعنى لا يظنن ظان بان الذين قتلوا في سبيل الله امواتا يعني كاموات غيرهم ممن لم يقتل في
سبيل الله بل احيا اي بل هم احيا وظاهر الاية يدل على كون من قتل في سبيل الله حيا فاما
ان يكون المراد انهم احيا في الحال او على تقدير انهم سيحيون في المال هل يكون المراد اثبات الحياة الروحانية
او اثبات الحياة الجسمانية فهذه ثلثة اوجه في معنى احتمال الحياة فمن قال بالوجه الاول وهو انهم
سيحيون احيا في الاخرة قال معنى الاية بل هم احيا في الذكر وانهم يذكرون بخير اعمالهم وانهم استشهدوا
في سبيل الله وقيل بل هم احيا في الدين وهذا القول ليس بصواب لان الله تعالى اثبت لهم الحياة في
الحال بقوله بل احيا يعني في حال ما يقتلون فانهم يحيون وهو الاحتمال الثاني واختلفوا في معنى هذه
الحياة هل هي للروح او للجسم والروح معا فمن اثبت الحياة للروح دون الجسم قال الدليل على ذلك قوله
صلى الله عليه وسلم ارواح الشهدا في اجواف طير خضر فجعل الارواح دون الاجساد وقال بعض المفسرين

ان ارواح الشهداء تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة ومن اثبت الحياة للروح والجسم معا قال يدل
عليه سياق الآية وهو قوله عند ربهم يرزقون فاخبر سبحانه وتعالى انهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون كالاحياء وقيل
ان الشهيد لا يبلى في قبره ولا تأكله الارض كغيره وروي ان معاوية لما اراد ان يجري العين على قبور الشهداء امر ان
ينادي من كان له قتيل فليخرجه وليحوله من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم رطابا يتثنون
فاصاب المسحاة اصبع رجل منهم فانبعث دما وذكر البغوي بغير سند عن عبيد بن عمير قال مر رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين انصرف من احد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم تلا من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان هؤلاء شهداء عند الله يوم
القيامة فأتوهم وزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيامة الا ردوا
عليه وقوله عند ربهم يعني في محل كرامته وفضله يرزقون يعني من ثمار الجنة وتحفها فرحين بما
آتاهم الله من فضله يعني بما اعطاهم من الثواب والكرامة والاحسان والافضال في دار النعيم ويستبشرون
اي يفرحون والاستبشار هو الفرح والسرور الذي يحصل للانسان عند البشارة بالذين لم يلحقوا
بهم من خلفهم يعني من اخوانهم الذين تركوهم احياء في الدنيا على منهج الايمان والجهاد لعلمهم بانهم اذا
استشهدوا ولحقوا بهم ونالوا من الكرامة مثل ما نالوه هم بذلك مستبشرون وقيل ان الشهداء لما
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبر اخوانهم بما نالوا من الخير والكرامة ليرغبوا في الجهاد فاخبرهم الله الله تعالى م
اني قد انزلت على نبيكم كتابا يا محمد صلى الله عليه وسلم واخبرته بحالكم وما صرتم اليه من الكرامة وان محمدا
صلى الله عليه وسلم قد اخبر اخوانكم بذلك ففرحوا بذلك واستبشروا ألا خوف عليهم يعني في الآخرة
ولا هم يحزنون يعني على ما فاتهم من نعيم الدنيا يستبشرون بنعمة من الله وفضل لما بين الله تعالى ان
الشهداء يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ذكر ايضا انهم يستبشرون لانفسهم بما رزقوا من النعم
والفضل فالاستبشار الاول كان بغيرهم والاستبشار الثاني لانفسهم خاصة وان الله لا
يضيع اجر المؤمنين يعني كما انه تعالى لا يضيع اجر هؤلاء الشهداء كذلك لا يضيع اجر المؤمنين فصل
في فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن ان ادخله
الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة والذي نفس محمد بيده
ما من كلم يكلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا ان اشق على المسلمين
ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله ابدا ولكن لا اجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق
عليهم ان يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت ان اغزو في سبيل الله فاقتل ثم اغزو
فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة
في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها (ق) عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة خير من
الدنيا وما عليها عن فضالة بن عبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا
المرابط في سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر اخرجه ابو داود والترمذي
عن معاذ بن جبل انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت

له الجنة ومن سأل الله القتل في سبيل الله صادقا من نفسه ثم مات او قتل كان له اجر شهيد ومن جرح
جرحا في سبيل الله او نكب نكبة فانها تجيء يوم القيامة كاغزر ما كانت لونها لون الزعفران وريحها ريح
المسك ومن خرج به خراج في سبيل الله فان عليه طابع الشهداء اخرجه ابو داود والنسائي واخرجه
الترمذي مفرقا في موضعين (ق) عن ابي سعيد قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي
الناس افضل قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال رجل في شعب من
الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره (خ) عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا
بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات (ق) عن انس بن مالك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما احد يدخل الجنة يحب ان يرجع الى الدنيا وله ما على الارض
من شيء الا الشهيد يتمنى ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفي رواية لما يرى
من فضل الشهادة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغفر
للشهيد كل ذنب الا الدين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما يجد الشهيد من مس
القتل الا كما يجد احدكم من القرصة اخرجه الترمذي وللنسائي نحوه عن ابي الدرداء قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يشفع الشهيد في سبعين من اهل بيته اخرجه ابو داود قوله تعالى الذين استجابوا
لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح الآية قال اكثر المفسرين ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من
احد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم وتلاوموا فقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم الكواعب
حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد
ان يرهب العدو ويريهم من نفسه ومن اصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان فانتدب عصابة منهم مع
ما بهم من الجراح والقرح الذي اصابهم يوم احد ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يخرجن
معنا احد الا من حضر يومنا بالامس فكلمه جابر بن عبد الله فقال يا رسول الله ان ابي كان خلفني على اخوات
لي سبع وقال لي يا بني انه لا ينبغي لي ولك ان نترك هؤلاء النسوة ولا رجل فيهن ولست بالذي اوثرك
على نفسي بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخلف على اخواتك فتخلفت عليهن فاذن له رسول الله
صلى الله عليه وسلم فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم انه خرج في
طلبهم فيظنوا به قوة وان الذي اصابهم لم يوهنهم فينصرفوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان
وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح وعبد الله بن مسعود
وحذيفة بن اليمان في سبعين رجلا من اصحابه حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال (ق)
عن عائشة في قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم
قالت لعروة يا ابن اختي كان ابواك منهم الزبير وابو بكر لما اصاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ما اصاب يوم احد فانصرف
المشركون خاف ان يرجعوا فقال من يذهب في اثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا كان فيهم ابو بكر والزبير
قالوا ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعي بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما
اصابك في اصحابك ولوددنا ان الله قد اعفاك فيهم ثم خرج معبد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقي ابا سفيان
ومن معه بالروحاء وقد اجمعوا على الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد اصبنا جل اصحابه وقادتهم لنكرن

على بقيتهم ولنفرغن منهم فلما رأى أبو سفيان معبدا قال له ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع
لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم وفيهم من الحنق
عليكم شيء لم أر مثله قط قال أبو سفيان ويلك ما تقول قال والله ما أراك ترحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد أجمعنا
الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال والله إني أنهاك عن ذلك فوالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت أبياتا
قال وما قلت قال قلت كادت تهد من الأصوات راحلتي ۝ إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل ۝ تردي بأسد
كرام لا تنابلة عند اللقاء ولا ميل معازيل ۝ إني نذير لأهل البسل ضاحية ۝ لكل ذي إربة منهم ومعقول ۝ فقلت
ويل ابن حرب من لقائكم ۝ إذا تغطمطت البطحاء بالجيل ۝ من جيش أحمد لا وحش تنابلة ۝ وليس يوصف
ما أنذرت بالقيل قال فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه ومر ركب من عبد القيس فقال أين تريدون قالوا نريد
المدينة لأجل الميرة فقال هل أنتم مبلغون عني محمدا رسالة وأحمل لكم إبلكم زبيبا بعكاظ إذا وافيتموها قالوا نعم قال
إذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم وانصرف أبو سفيان إلى مكة ومر الركب
برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة بعد ثالثة وقال مجاهد وعكرمة نزلت
هذه الآية في غزوة بدر الصغرى وذلك أن أبا سفيان يوم أحد حين أراد أن ينصرف قال يا محمد موعد ما بيننا
وبينك موسم بدر الصغرى لقابل إن شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بيننا وبينك إن شاء الله فلما كان العام المقبل
خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران ثم ألقى الله في قلبه الرعب فبدا له الرجوع فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي وقد
قدم معتمرا فقال له أبو سفيان يا نعيم إني واعدت محمدا وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى وهذا عام جدب ولا يصلحنا
إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب اللبن وقد بدا لي أن لا أخرج إليها وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جرأة
علينا ولأن يكون الخلف من قبلهم أحب إلي من أن يكون من قبلي فالحق بالمدينة فثبطهم وأعلمهم أنا في جمع كثير لا طاقة
لهم بنا ولك عندي عشرة من الإبل أضعها على يد سهيل بن عمرو ويضمنها لك قال وجاء سهيل فقال له نعيم يا أبا يزيد أتضمن
لي هذه القلائص وأنطلق إلى محمد وأثبطه قال نعم فخرج نعيم حتى أتى المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد
أبي سفيان فقال نعيم أين تريدون قالوا واعدنا أبا سفيان أن نلتقي بموسم بدر الصغرى فقال نعيم بئس الرأي
رأيتم أتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم إلا الشريد أفتريدون أن تخرجوا إليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم والله لا
يفلت منكم أحد فكره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
لأخرجن ولو وحدي فأما الجبان فإنه رجع وأما الشجاع فإنه تأهب للقتال وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه حتى وافوا بدرا الصغرى فجعلوا يلقون المشركين فيسألونهم عن قريش
فيقولون قد جمعوا لكم يريدون بذلك أن يرعبوا المسلمين فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا
بدرا الصغرى وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون إليها كل عام ثمانية أيام فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ببدر ينتظر أبا سفيان وقد انصرف أبو سفيان من مجنة إلى مكة فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أحدا
من المشركين ووافقوا السوق وكان معهم تجارات ونفقات فباعوا فأصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا إلى المدينة
سالمين غانمين فذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول أي أجابوا الله وأطاعوه في جميع أوامره وأطاعوا
الرسول أيضا من بعد ما أصابهم القرح يعني من بعد ما نالهم من ألم الجراح للذين أحسنوا منهم واتقوا
يعني أحسنوا بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجابته إلى الغزو واتقوا معصيته والتخلف عنه أجر عظيم
يعني لهم ثواب جزيل وهو الجنة قوله عز وجل الذين قال لهم الناس هذه الآية متعلقة بالآية التي قبلها لأن

المراد

المراد بالذين من تقدم ذكرهم هم الذين استجابوا لله والرسول وفي المراد بالناس وجوه أحدها أنه نعيم بن مسعود
الأشجعي فيكون اللفظ عاما أريد به الخاص وإنما جاز إطلاق لفظ الناس على الإنسان الواحد لأن ذلك
الواحد إذا فعل فعلا أو قال قولا ورضي به غيره حسن إضافة ذلك الفعل والقول إلى الجماعة وإن كان الفاعل
واحدا فهو كقوله تعالى وإذ قتلتم نفسا والقاتل واحد الوجه الثاني أن المراد بالناس الركب من عبد القيس
قاله ابن عباس ومحمد بن إسحاق الوجه الثالث أن المراد بالناس المنافقون وذلك أنهم لما رأوا النبي
صلى الله عليه وسلم يتجهز لميعاد أبي سفيان نهوا أصحابه عن الخروج معه وقالوا لهم إن القوم قد أتوكم في
دياركم فقتلوا الأكثر منكم فإن خرجتم إليهم لم يبق منكم أحد إن الناس يعني أبا سفيان وأصحابه
من رؤساء المشركين قد جمعوا لكم يعني الجموع الكثيرة لأن العرب تسمي الجيش جمعا وتجمعه جموعا
فاخشوهم أي خافوهم واحذروهم فإنه لا طاقة لكم بهم فزادهم إيمانا يعني فزاد المسلمين ذلك التخويف
تصديقا ويقينا وقوة في دينهم وثبوتا على نصر نبيهم صلى الله عليه وسلم وفي هذه الآية دليل لمن قال بزيادة
الإيمان ونقصانه لأن الله تعالى نص على وقوع الزيادة في الإيمان وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل أي كافينا
الله هو الذي يكفينا أمرهم فهو كقول امرئ القيس وحسبك من غنى شبع وري أي يكفيك الشبع والري
ونعم الوكيل يعني ونعم الموكول إليه في الأمور كلها وقيل الوكيل هو الكافي والمعنى يكفينا الله ونعم الكافي وقيل الوكيل
هو الكفيل ووكيل الرجل في ماله هو الذي كفله وقام به والوكيل في صفة الله تعالى هو الكفيل بأرزاق العباد ومصالحهم
وأنه الذي يستقل بأمورهم كلها خ عن ابن عباس قال في قوله تعالى إن الناس قد جمعوا لكم إلى قوله وقالوا حسبنا
الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا
لكم قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله أي فانصرفوا ورجعوا بعد خروجهم والمعنى وخرجوا فانقلبوا فحذف الخروج لأن
الانقلاب يدل عليه بنعمة من الله أي بعافية لم يلقوا عدوا وفضل أي تجارة وربح وهو ما أصابوا في سوق
بدر من الربح وقيل النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الآخرة لم يمسسهم سوء أي لم يصبهم أذى ولا
مكروه من قتل وجراح واتبعوا رضوان الله يعني في طاعة الله وطاعة رسوله وقيل إنهم قالوا هل يكون
هذا غزوا فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم بمجرد خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ذو
فضل عظيم يعني أنه تعالى تفضل عليهم بالتوفيق لما فعلوا وقيل تفضل عليهم بإلقاء الرعب في
قلوب المشركين حتى رجعوا قوله عز وجل إنما ذلكم الشيطان يعني إنما ذلكم التخويف والمثبط هو الشيطان يخوف
بالوسوسة فإنه ألقى ذلك في أفواههم ليرهبوا المؤمنين ويخوفوهم ويجبنوهم وقوله يخوف أولياءه يعني
الشيطان يخوفكم يا معشر المؤمنين بأوليائه وقيل معناه يعظم أولياءه في صدوركم لتخافوهم وقيل معناه
يخوف أولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين وأولياء الشيطان هم الكفار والمنافقون الذين
يطيعونه ويؤثرون أمره وأولياء الله هم المؤمنون الذين لا يخافون الشيطان إذا خوفهم ولا يطيعونه إذا
أمرهم فلا تخافوهم يعني فلا تخافوا أولياء الشيطان فلا تقعدوا عن قتالهم ولا تجبنوا عنهم وخافون
أي في ترك أمري وجاهدوا في سبيلي مع رسولي فإني وليكم وناصركم إن كنتم مؤمنين مصدقين بوعدي أني متكفل
لكم بالنصر والظفر قوله تعالى ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر قيل هم كفار قريش وقيل هم المنافقون
ورؤساء اليهود وقيل هم قوم ارتدوا عن الإسلام والمعنى لا يحزنك يا محمد من يسارع في الكفر ويجمع الجموع
لمحاربتك فإن هذا المقصود لا يحصل لهم وقيل مسارعتهم في الكفر مظاهرتهم الكفار على النبي صلى الله عليه وسلم

والمعنى لسارعون في نصرة الكفر فلا يحزنك فعلهم فانك منصور عليهم ° انهم لن يضروا الله شيئا يعني لمسارعتهم
في الكفر انما يضرون انفسهم بذلك وقيل معناه لن يضروا اولياء الله شيئا ° يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة
يعني لا يجعل لهم نصيبا في ثواب الاخرة فلذلك خذلهم حتى سارعوا في الكفر وفي الاية دليل على ان الخير والشر بارادة
الله تعالى وفيه رد على القدرية والمعتزلة ° ولهم عذاب عظيم يعني في الاخرة ان الذين اشتروا الكفر بالايمان يعني
المنافقين امنوا ثم كفروا والمعنى انهم استبدلوا الكفر بالايمان فكانهم اعطوا الايمان ثم اخذوا الكفر كما يفعل المشتري
من اعطاء شيء واخذ غيره بدلا عنه ° لن يضروا الله شيئا يعني باستبدالهم الكفر بالايمان وانما ضروا انفسهم بذلك ولهم
عذاب اليم يعني في الاخرة قوله عز وجل ولا يحسبن الذين كفروا قرئ يحسبن بالياء والتاء فمن قرا بالتاء فمعناه ولا تحسبن
يا محمد املاءنا للكفار خيرا لانفسهم ومن قرا بالياء قال معناه ولا يحسبن الكفار املاءنا لهم خيرا نزلت في مشركي مكة وقيل
نزلت في مشركي مكة وقيل نزلت في اليهود بني قريظة والنضير ° انما نملي لهم الاملاء الامهال والتاخير واصله من الملوة
وهي المدة من الزمان والمعنى ولا يظنن الذين كفروا ان امهالنا اياهم بطول العمر والانساء في الاجل خير لانفسهم
ثم قال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما يعني انا نمهلهم ونؤخر اجلهم ليزدادوا اثما ° ولهم عذاب مهين يعني
المذل روى البغوي بسنده عن عبد الرحمن بن ابي بكرة عن ابيه رضي الله عنهما قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس
خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فاي الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وروى ابن جرير الطبري بسنده
عن الاسود قال قال عبد الله ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها وقرا ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم
ليزدادوا اثما وقرا نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار قال ابن الانباري قال جماعة من اهل العلم
انزل الله عز وجل هذه الاية في قوم يعاندون الحق سبق في علمه انهم لا يؤمنون فقال انما نملي لهم ليزدادوا اثما بمعاندتهم الحق
وخلافهم الرسول صلى الله عليه وسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايت الله يعطي على المعاصي فان ذلك استدراج
من الله لخلقه ثم تلا هذه الاية وقال الزجاج هؤلاء قوم اعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم انهم لا يؤمنون ابدا وان بقاءهم
يزيدهم كفرا واثما وهذه الاية حجة ظاهرة على القدرية حيث اخبر الله تعالى انه يطيل اعمار قوم ويمهلهم
ليزدادوا اثما ومعاصي قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب اختلف
العلماء في سبب نزول هذه الاية فقال الكلبي قالت قريش يا محمد تزعم ان من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وان
من اتبعك وتبعك على دينك فهو في الجنة والله عنه راض فاخبرنا بمن يؤمن بك ومن لا يؤمن بك فانزل الله هذه
الاية وقال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي امتي في صورها في الطين كما عرضت على ادم واعلمت
من يؤمن بي ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد انه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن
لم يخلق بعد ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم
قال ما بال اقوام طعنوا في علمي لا تسالوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة الا انباتكم به فقام عبد الله بن حذافة
السهمي فقال من ابي يا رسول الله قال حذافة فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقران
اماما وبك نبيا فاعف عنا عفا الله عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهل انتم منتهون ثم نزل عن المنبر فانزل الله
هذه الاية وقيل ان المؤمنين سالوا ان يعطوا اية يفرقوا بها بين المؤمن والكافر والمنافق فنزلت هذه
الاية وقيل ان قوما من المنافقين ادعوا انهم كايمان المؤمنين فاظهر الله نفاقهم يوم احد وانزل الله هذه الاية
واختلفوا في معنى الاية وحكمها فقال ابن عباس واكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين والمعنى
ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه يا معشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من

الطيب وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما انتم عليه من اختلاط المؤمن
بالمنافق والتباس بعضهم ببعض حتى يميز الخبيث من الطيب يعني المنافق من المؤمن المخلص فميز الله المؤمنين
من المنافقين يوم احد فاظهر المنافقون النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انما حصل التمييز يوم احد
بالقاء المحن في الخوف والقتل والهزيمة فمن كان مؤمنا ثبت على ايمانه وتصديقه ولم يتزلزل ومن كان منافقا ظهر
نفاقه وكفره وقيل في معنى الاية حتى يميز المؤمن من المنافق والكافر بالجهاد والهجرة وقيل في معنى الاية ما
كان الله ليذر المؤمنين في اصلاب الرجال المشركين وارحام النساء المشركات والمعنى ما كان الله ليدع اولادكم
الذين جرى لهم الحكم بالايمان على ما انتم عليه من الشرك حتى يميز الخبيث من الطيب يعني يفرق بينكم وبين من في اصلابكم — والكفر والنفاق بهم
وارحام نسائكم من المؤمنين فيحكم لاهل الايمان بالجنة ولاهل الشرك بالنار ° وما كان الله ليطلعكم على الغيب
الخطاب في قوله ليطلعكم لكفار قريش الذين قالوا يا محمد اخبرنا عمن يؤمن بك وعمن لا يؤمن والمعنى ما كان
الله ليبين لكم ايها الكفار المؤمن من الكافر فيقول فلان مؤمن وفلان كافر ومنافق انه لا يعلم الغيب احد
غيره وان سنة الله جارية انه لا يطلع على غيبه احدا من الناس فلا سبيل الى معرفة المؤمن من الكافر والمنافق الا
بالامتحانات بالافات والمصائب فيتميز المؤمن المخلص بثباته على ايمانه ويتزلزل المنافق عند المحن والبلايا
وقيل في معنى الاية وما كان الله ليطلع محمدا على الغيب فيخبركم بالمؤمن والكافر ° ولكن الله يجتبي من رسله من
يشاء يعني ولكن الله يصطفي ويختار من رسله من يشاء فيطلعه على ما يشاء من غيبه ° فآمنوا بالله
ورسله يعني انه لما قامت الدلائل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا الايمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم
وانما قال ورسله على الجمع ولم يقل ورسوله على التوحيد لقوله والله يجتبي من رسله من يشاء ولانه اذا امن بجميع
الرسل كان مقرا باجمعهم وهذه صفة المؤمنين لانهم امنوا بجميع الرسل ° وان تؤمنوا وتتقوا يعني وان تصدقوا
من اجتبيته برسالتي واطلعته على ما اشاء من غيبي واعلمته بالمنافق فيكم والمؤمن المخلص وتتقوا ربكم
فيما امركم به ونهاكم عنه فلكم اجر عظيم يعني فلكم بايمانكم واتقائكم ثواب جزيل وهو الجنة قوله عز وجل
ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم يعني ولا يحسبن الذين يبخلون البخل خيرا لهم °
بل هو شر لهم ° والبخل هو امساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه والبخيل هو الذي يكثر منه البخل والاية — معنى البخل
دالة على ذم البخل عن عبد الله بن عمر قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اياكم والشح فانما هلك من كان
قبلكم بالشح امرهم بالبخل فبخلوا وامرهم بالفجور ففجروا اخرجه ابو داود وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الاية فقال عبد الله بن مسعود وابو هريرة وابن عباس في رواية ابي صالح
عنه والشعبي ومجاهد نزلت هذه في الذين يبخلون ان يؤدوا زكاة اموالهم ووجه هذا القول ان
اكثر العلماء ذهبوا الى ان البخل عبارة عن منع الواجب وان من منع التطوع لا يكون بخيلا ويدل عليه الوعيد
الشديد في سياق الاية وهو قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وهذا لا يكون الا في ترك الواجب لا في التطوع
وقال ابن عباس في رواية عطية عنه وابن جريج عن مجاهد انها نزلت في احبار اليهود الذين كتموا صفة
محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وهذا القول هو اختيار الزجاج ووجه هذا القول ان البخل عبارة عن
منع الخير والنفع وقد يدخل فيه العلم كما يقال فلان يبخل بعلمه ورجح الطبري القول الاول واختاره وهو قوله
سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق فان حملنا معنى الاية على منع الزكاة

والبخل له فقال ابن مسعود وابن عباس يجعل ما منعه من الزكاة حية تطوق في عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى
قدمه وتقول انا مالك ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلم
يؤد زكاته مثل له يوم القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيمة ثم ياخذ بلهزمتيه يعني شدقيه
ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله الاية اخرجه البخاري قوله له زبيبتان
قيل هما النكتتان السوداوان فوق عيني الحية وقيل هما نقطتان يكتنفان فاها وقيل
هما زبدتان في شدقيها وقد جاء في الحديث تفسير لهزمتيه بالشدقين وقيل هما مضغتان في
اصل الحنك وقيل هما عظم تحت الاذنين وكله متقارب ق عن ابي ذر قال انتهيت
الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما راني قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى
جلست فلم اتقار ان قمت فقلت يا رسول الله من هم فداك ابي وامي قال هم الاكثرون اموالا الا من
قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب
ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها الا جاءت يوم القيمة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطأه باظلافها
كلما نفدت اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس لفظ مسلم وفي رواية البخاري بمعناه في موضعين
وقيل في معنى الاية انه يجعل في اعناقهم اطواق من نار وقيل يكلفون يوم القيمة ان ياتوا بما بخلوا به من
في الدنيا وان حملنا تفسير البخل على البخل بالعلم وكتمانه فقال ابن عباس في قوله سيطوقون ما بخلوا به اي يحملون
وزره واثمه فيكون على طريق التمثيل كما يقال قلدتك هذا الامر وجعلته في عنقك وقيل يجعل
طوق من نار ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه
الجم بلجام من نار اخرجه الترمذي وفي رواية ابي داود من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيمة
قيل في معنى الحديث انهم لما سئلوا عن العلم فكتموه ولم ينطقوا به بالسنتهم ولم يخرجوه من افواههم عوقبوا
عن ذلك بلجام من نار في افواههم عقوبة لهم والله اعلم وقوله تعالى ولله ميراث السموات والارض
يعني انه سبحانه وتعالى الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال املاكهم فيموتون ويبقى املاكهم فيرثها سبحانه
والمقصود من الاية انه يبطل ملك جميع المالكين ويبقى الملك لله سبحانه وتعالى وقيل في معنى الاية وله
ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من علم ومال وغير ذلك فما لهؤلاء الذين يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيل
والله بما تعملون خبير قرئ يعملون بالياء على الغيبة على طريقة الالتفات وهو ابلغ في الوعيد والمعنى والله
بما يعملون يعني البخلاء من منعهم الحقوق خبير فيجازيهم عليها وقرئ بالتاء على خطاب الحاضرين لقد
سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قال الحسن وقتادة لما نزلت هذه الاية من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن اغنياء وذكر الحسن ان
القائل هذه المقالة هو حيي بن اخطب وقال عكرمة والسدي ومحمد بن اسحق ومقاتل كتب النبي صلى الله
عليه وسلم كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر الصديق الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة
وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل ابو بكر ذات يوم بيت مدراسهم فوجد ناسا كثيرا قد
اجتمعوا على فنحاص بن عازوراء وكان من علمائهم ومعه حبر اخر يقال له اشيع فقال ابو بكر لفنحاص اتق الله
واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التورية
فامن وصدق واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص يا ابا بكر تزعم ان

ربنا يستقرض اموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغني فان كان ما تقول حقا فان الله اذا فقير ونحن اغنياء
فغضب ابو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت
عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال قولا عظيما زعم
ان الله فقير وانهم اغنياء فغضبت وضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص فانزل الله تصديقا لابي بكر وتكذيبا لفنحاص
وردا عليه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وهذه المقالة وان كانت قد صدرت
من واحد من اليهود لكنهم رضوا بمقالته هذه فنسبت الى جميعهم ولا يخلو ان يكونوا هذه المقالة قالوام
عن اعتقاد لذلك القول او قالوه استهزاء وايما كان فهذه المقالة عظيمة القبح لا تصدر عن عاقل وانما صدرت
عن كافر متمرد في كفره وضلاله سنكتب ما قالوا يعني قولهم ان الله فقير ونحن اغنياء لان ذلك كذب وافتراء
والمعنى سنحفظ عليهم ما قالوا وقيل سنثبت ذلك القول في صحائف اعمالهم التي تكتبها الحفظة عليهم
حتى يقرؤها يوم القيمة في صحف اعمالهم وقتلهم الانبياء بغير حق قيل معناه سنكتب ما قالوا
هؤلاء اليهود ونكتب ما فعله اسلافهم من قتل زكريا ويحيى عليهما السلام وانما نسب قتل الانبياء الى
اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانما فعله اسلافهم وآباؤهم لانهم رضوا بفعلهم فنسب
اليهم وقيل في معنى الاية سنكتب على هؤلاء ما قالوا بانفسهم ونكتب عليهم ايضا رضاهم بقتل ابائهم
الانبياء والغاية في ضم قتلهم الانبياء الى ما وصفوا الله تعالى بالفقر اعلام بذلك انهما اخوان في
العظم وان هذا القول منهم ليس باول ما ارتكبوه من العظائم وانهم اصلاء في الكفر والجهل والضلال
ولهم في ذلك سوابق وان من قتل الانبياء لا يبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول العظيم الفحش والقبح
ونقول يعني لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة ذوقوا عذاب الحريق اي ننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيمة ذوقوا
عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص في الدنيا ذلك اي ذلك العذاب المحرق جزاء فعلكم حيث وصفتم الله
بالفقر واقدمتم على قتل الانبياء بما قدمت ايديكم انما ذكر الايدي على سبيل المجاز لان الفاعل هو الانسان
لا اليد الا ان اليد لما كانت آلة الفعل حسن اسناد الفعل اليها ولان اكثر الاعمال تكون باليد فجعل
كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب وان الله ليس بظلام للعبيد اي فيعذب بغير ذنب بل هو سبحانه
وتعالى عادل ومن العدل ان يثيب المحسن ويعاقب المسيء قوله عز وجل الذين قالوا ان الله عهد الينا
قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وزيد بن التابوه وفنحاص
ابن عازوراء وحيي بن اخطب من اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد تزعم ان الله بعثك الينا
رسولا وانزل عليك كتابا وان الله عهد الينا في التورية ان لا نؤمن لرسول يزعم انه جاء من عند الله
حتى ياتينا بقربان تاكله النار فان جئتنا به صدقناك فانزل الله الذين قالوا يعني قد سمع الله
قول الذين قالوا ان الله عهد الينا يعني امرنا واوصانا في كتبه ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان
تاكله النار يعني فيكون ذلك دليلا على صدقه وذكر الواحدي عن السدي انه قال ان الله تعالى امر
بني اسرائيل في التورية من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى ياتيكم بقربان تاكله النار حتى ياتيكم
المسيح ومحمد فاذا اتياكم فآمنوا بهما فانهما ياتيان بغير قربان زاد غير الواحدي عنه قال وكانت هذه
العادة باقية فيهم الى مبعث المسيح عليه السلام ثم ارتفعت وزالت وقيل ان ادعاء هذا الشرط كذب
على التورية وهو من كذب اليهود وتحريفهم ويدل على ذلك ان المقصود في الدلالة على صدق النبي هو ظهور

المعجزة الى رفعة للعادة فاي معجزة اتى بها النبي قبلت منه وكانت دليلا على صدقه فوجب على كافة الخلق اتباعه وتصديقه
والقربان كلما يتقرب به العبد الى الله عز وجل من اعمال البر كالنسك من نسيكة وصدقة وذبح وكل عمل صالح ومن
ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة والصلاة قربان يعني انها مما يتقرب بها الى الله عز وجل وكانت القرابين والغنائم
لا تحل لبني اسرائيل وكانوا اذا قربوا قربانا او غنموا غنيمة جمعوا ذلك وجاءت نار بيضاء من السماء لا دخان لها ولها دوي
وحفيف فتاكل ذلك القربان او الغنيمة وتحرقه فيكون ذلك دليلا وعلامة على القبول واذا لم يقبل بقي على حاله
ولم تنزل نار وقال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فياخذون الثروب واطايب اللحم فيضعونها في وسط
بيت والسقف مكشوف فيقوم نبيهم عليه السلام في البيت ويناجي ربه عز وجل وبنو اسرائيل خارجون حول
البيت فتنزل نار بيضاء لها دوي وحفيف ولا دخان لها فتاكل ذلك القربان ثم قال الله عز وجل محتجا
عن هذه الشبهة التي ذكرها هؤلاء اليهود واقامة للحجة عليهم قل يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود
قد جاءكم يعني يا معشر اليهود رسل من قبلي يعني مثل زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام بالبينات
يعني بالدلالات الواضحات على صدقهم وبالذي قلتم يعني بما طلبتم من القربان فلم قتلتموهم يعني فلم
قتلتم الانبياء الذين اتوا بما طلبتم منهم مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوا من الانبياء واراد بذلك فعل
اسلافهم وانما خاطب بذلك اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا راضين بفعل
اسلافهم ان كنتم صادقين يعني في دعواكم ومعناه تكذيبهم اياك يا محمد مع علمهم بصدقك كقتل
اباءهم الانبياء مع اتيانهم بالقربان ثم قال تعالى مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم فان كذبوك يعني هؤلاء اليهود
فقد كذب رسل من قبلك يعني مثل نوح وهود وصالح وابرهيم وغيرهم من الرسل جاءوا بالبينات
يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات والزبر اي الكتب واحدها زبور وكل كتاب فيه حكمة
فهو زبور واصله من الزبر وهو الزجر وسمي الكتاب الذي فيه الحكمة زبورا لانه يزبر اي يزجر عن الباطل
ويدعو الى الحق والكتاب المنير اي الواضح المضي وانما عطف الكتاب المنير على الزبر لشرفه وفضله
وقيل اراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التورية والانجيل قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت
يعني ان كل نفس مخلوقة ذائقة الموت ولابد لها منه قيل لما نزل قل يتوفاكم ملك الموت قالوا يا رسول الله
انما نزل في بني آدم ذكر الموت للجن والانعام والطير والوحش والطير فنزلت هذه الآية وقيل لما
خلق الله آدم عليه السلام اشتكت الارض الى ربها عز وجل لما اخذ منها فوعدها ان يرد فيها ما اخذ منها
فما احد يموت الا ويدفن في التربة التي خلق منها فان قلت الحور والولدان نفوس مخلوقة في الجنة لا تذوق
الموت فما حكم لفظة كل في قوله كل نفس ذائقة الموت قلت لفظة كل تقتضي الشمول والاحاطة بدليل
قوله واوتيت من كل شيء ولم تؤت ملك سليمن فتكون الآية من العام المخصوص ويحتمل ان يكون المراد
بهم المكلفين بدليل سياق الآية وهو قوله وانما توفون اجوركم يعني توفون جزاء اعمالكم يوم القيمة ان كان خيرا
فخير وان كان شرا فشر فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز يعني فمن بوعد عن النار
وادخل الجنة فقد ظفر بالنجاة ونجا من الخوف وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور يعني ان العيش في هذه
الدار الفانية يغر الانسان بما يمنيه من طول البقاء وسينقطع عن قريب فوصف بانها متاع الغرور لانها
تغر ببذل المحبوب وتخيل للانسان انه يدوم وليس بدائم والمتاع كل ما استمتع به الانسان من مال
وغيره وقيل المتاع كالفاس والقدر والقصعة ونحوها والغرور ما يغر الانسان مما لا يدوم وقيل الغرور الباطل
ومعنى الآية ان منفعة الانسان بالدنيا كمنفعته بهذه الاشياء التي يستمتع بها ثم تزول عن قريب وقيل متاع متروك

يوشك

يوشك ان يضمحل ويزول فخذوا من هذا المتاع واعملوا فيه بطاعة الله ما استطعتم قال سعيد بن جبير هي متاع
الغرور لمن لم يشتغل بطلب الاخرة فاما من اشتغل بطلب الآخرة فهي له متاع وبلاغ الى ما هو خير منها ق
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين زاد الترمذي وفي
الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وموضع سوط احدكم في الجنة
خير من الدنيا وما فيها واقرؤا ان شئتم فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع
الغرور قوله عز وجل لتبلون هي اكد اللام لام القسم تقديره والله لتبلون اي لتختبرن فيوقع عليكم المحن
ليعلم المؤمن من غيره والاختبار طلب المعرفة ليعرف الجيد من الرديء وذكره في وصف الله محال لان الله تعالى
عالم بحقائق الاشياء قبل ان يخلقها فعلى هذا يكون معنى الاختبار في وصف الله تعالى انه يعامل العبد معاملة
المختبر في اموالكم يعني بالابتلاء في الاموال بالنقصان منها وقيل باداء ما فرض فيها من الحقوق وانفسكم
يعني بالمصائب والامراض والقتل وفقد الاقارب والعشائر خوطب بهذه الآية المسلمون ليوطنوا انفسهم
على احتمال الاذى وما سيلقون من الشدائد والمصائب ليصبروا على ذلك حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون
بالصبر لها لا يرهقهم ما يرهق من يصيبه الشدة بغتة فينكرها ويشمئز منها ولتسمعن من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا قال عكرمة نزلت في ابي بكر الصديق وفنحاص بن عازوراء وذلك ان النبي
صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر الى فنحاص سيد بني قينقاع ليستمده وكتب اليه معه كتابا وقال لابي بكر لا تفتاتن
على بشيء حتى ترجع فنزلت الآية وقال الزهري نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وكعب بن الاشرف اليهودي المشركين
وذلك انه كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض عليهم كفار قريش في شعره ق عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الاشرف فانه قد اذى الله ورسوله فقال محمد بن مسلمة اتحب ان اقتله قال نعم قال
ائذن لي فلاقل قال قل فاتاه فقال له وذكر ما بينهم وقال ان هذا الرجل قد اراد الصدقة وقد عنانا فلما سمعه
قال وايضا والله لتملنه قال انا قد اتبعناه ونكره الآن ان ندعه حتى ننظر الى اي شيء يصير امره قال وقد اردت
ان تسلفني سلفا قال فما ترهنني ترهنني نساءكم قال انت اجمل العرب انرهنك نساءنا قال له ترهنوني اولادكم
قال يسب ابن احدنا فيقال رهن في وسقين من تمر ولكن نرهنك اللامة يعني السلاح قال نعم وواعده ان
ياتيه بالحارث وابي عبس بن جبر وعباد بن بشر قال فجاؤا فدعوه ليلا فنزل اليهم قالت امراته اني لاسمع
صوتا كانه صوت دم قال انما هو محمد ورضيعي ابو نائلة ان الكريم لو دعي الى طعنة ليلا لاجاب قال محمد اني اذا جاء
فسوف امد يدي الى راسه فاذا استمكنت منه فدونكم قال فلما نزل نزل وهو متوشح فقالوا نجد منك
ريح الطيب قال نعم تحتي فلانة اعطر نساء العرب قال فتاذن لي ان اشم منه قال نعم فشم فتناول فشم ثم قال
اتاذن لي ان اعود قال فاستمكن من راسه ثم قال دونكم فقتلوه زاد في رواية ثم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبروه وزاد اصحاب السير والمغازي فاختلفت عليه اسيافنا فلم تغن شيئا قال محمد بن مسلمة
فذكرت مغولا في سيفي فاخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا اوقدت عليه نار
قال فوضعته في ثندوته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ووقع عدو الله وقد اصيب الحارث بن
اوس بجرح في راسه اصابه بعض اسيافنا فخرجنا وقد ابطا علينا صاحبنا الحارث ونزفه الدم
فوقفنا له ساعة حتى اتانا يتبع اثارنا فاحتملناه وجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم اخر الليل وهو قائم يصلي

ضمن عليه فخرج علينا فاخبرنا بقتل كعب بن الاشرف وجئنا برأسه اليه وتفل على جرح صاحبنا فرجعنا
الى اهلنا فاصبحنا وقد خافت اليهود لوقعتنا بعدو الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال
اليهود فاقتلوه وانزل الله عز وجل في شان كعب بن الاشرف اليهودي لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا يعني مشركي العرب اذى كثيرا يعني
بالاذى قول اليهود ان الله فقير ونحن اغنياء وما اشبه ذلك من افترائهم وكذبهم على الله ورسوله وما كان كعب
بن الاشرف يهجو النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين فيه وهو الاذى الكثير وان تصبروا وتتقوا الخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين يعني وان تصبروا على اذاهم وتتقوا فيما امركم به ونهاكم عنه لان الصبر عبارة عن
احتمال الاذى والمكروه والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغي فان ذلك من عزم الامور اي من صواب
التدبير الذي لا شك ان الرشد فيه ولا ينبغي لعاقل تركه واصله من قولك عزمت عليك ان تفعل كذا اي
الزمتك ان تفعله لا محالة ولا تتركه وقيل معناه فان ذلك مما قد عزم عليكم فعله اي الزمتم الاخذ به قوله تعالى
واذ اخذ الله ميثاق اي واذكر يا محمد وقت اذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى
والمراد منهم العلماء خاصة وقيل المراد بالذين اوتوا الكتاب العلماء والاحبار من اليهود خاصة واخذ الميثاق
هو التوكيد والالزام ليبينن ما اتوه من الكتاب وهو قوله عز وجل لتبيننه للناس يعني ليبينن ما في الكتاب
وليظهرنه للناس حتى يعلموه وذلك ان الله اوجب على علماء التوراة والانجيل ان يشرحوا للناس ما
في هذين الكتابين من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولا تكتمونه يعني لا تخفونه ذكر عن التابعين
فنبذوه يعني الكتاب وقيل الميثاق وراء ظهورهم اي طرحوه وضيعوه وتركوا العمل به واشتروا به ثمنا
قليلا يعني المآكل والرشى التي كانوا ياخذونها من عوامهم وسفلتهم فبئس ما يشترون ذمهم الله تعالى
على فعلهم ذلك واعلم ان ظاهر هذه الآية وان كان مخصوصا بعلماء اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فلا
يبعد ان يدخل فيه علماء هذه الامة الاسلامية لانهم اهل كتاب وهو القرآن وهو اشرف الكتب قال قتادة
هذا ميثاق اخذه الله تعالى على اهل العلم فمن علم شيئا فليعلمه واياكم وكتمان العلم فانه هلكة وقال ايضا
مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم لا ياكل ولا يشرب وقال ايضا طوبى
لعالم ناطق ومستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فوعاه (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم بلجام من نار اخرجه الترمذي ولابي داود من سئل عن علم فكتمه
الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة وقال ابو هريرة لولا ما اخذ الله عز وجل على اهل الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا
هذه الآية واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الآية وقال الحسين بن عمارة اتيت الزهري بعد ان
ترك الحديث فالفيته على بابه فقلت له اريد ان تحدثني فقال اما علمت اني تركت الحديث فقلت اما ان تحدثني
واما ان احدثك قال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عتيبة عن يحيى بن الجزار قال سمعت علي بن ابي طالب
رضي الله عنه يقول ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال فحدثني اربعين
حديثا قوله عز وجل لا تحسبن قرئ بالتاء على الخطاب اي ولا تحسبن يا محمد الفارحين وقرئ بالياء
على الغيبة ولا يحسبن الفارحون والمعنى ولا تحسبن الذين يفرحون فرحهم منجيا لهم من العذاب نزلت
هذه الآية في المنافقين (ق) عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رجالا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانوا اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا

قوم

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وحلفوا له واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت ولا تحسبن الذين
يفرحون بما اتوا الآية وقيل نزلت في اليهود (ق) عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ان مروان قال اذهب يا رافع
لبوابه الى ابن عباس فقل لئن كان كل امرئ منا فرح بما اتى واحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن اجمعون
فقال ابن عباس ما لكم ولهذه الآية انما نزلت هذه الآية في اهل الكتاب ثم تلا ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
لتبيننه للناس هذه الآية وتلا ابن عباس ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وقال ابن عباس سالهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه اياه واخبروه بغيره فخرجوا وقد اروه ان قد اخبروه بما سالهم عنه واستحمدوا بذلك اليه واخبروه بغيره
فخرجوا وقد اروه ان قد اخبروه بما سالهم عنه واستحمدوا بذلك اليه وفرحوا بما اتوا من كتمانهم اياه ما سالهم عنه (ق) بما اتوا
يعني يفرحون بما فعلوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا اي ويحبون ان يحمدهم الناس على شيء لم يفعلوه قيل عنى بذلك قوما من
احبار اليهود كانوا يفرحون باضلالهم الناس وبنسبة الناس اياهم الى العلم قال ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب الى قوله ولهم عذاب اليم يعني فنحاص واشيع واشباههم من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون من
الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ان يقول الناس لهم علماء وليسوا باهل علم وقيل
هم اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كتبوا الى يهود العراق والشام واليمن ومن بلغهم
كتابهم من اليهود في الارض كلها ان محمدا ليس بنبي فاثبتوا على دينكم فاجتمعت كلمتهم على الكفر ففرحوا بذلك وقالوا
نحن اهل الصوم والصلاة واحبوا ان يحمدوا على ذلك وقيل فرحوا بما اوتوا من تبديلهم التوراة واحبوا ان يحمدهم الناس
على ذلك وقيل ان يهود خيبر اتت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وقالوا لاصحابه نحن على رايكم
ونحن لكم ردء وليس ذلك في قلوبهم واحبوا ان يحمدهم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون على ذلك فلا تحسبنهم
بمفازة من العذاب اي فلا تظننهم بمنجاة من العذاب الذي اعده الله لهم في الدنيا من القتل والاسر وضرب الجزية والذلة
والصغار ولهم عذاب اليم يعني في الآخرة وهذه الآية وان كانت قد نزلت في اليهود او المنافقين خاصة فان
حكمها عام في كل من احب ان يحمد بما لم يفعل من الخير والصلاح او ينسب الى العلم وليس هو كذلك قوله تعالى
ولله ملك السموات والارض يعني انه تعالى مالك لما فيهما جميعا يتصرف فيه كيف يشاء وفيه تكذيب لمن قال
ان الله فقير ونحن اغنياء يقول الله عز وجل من له جميع ما حوته السموات والارض من شيء فكيف من يكون
هذا ملكه فقيرا والله على كل شيء قدير يعني انه تعالى قادر على تعجيل العقوبة لهم على ذلك القول لكنه تفضل
على خلقه بامهالهم قوله عز وجل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب
قال ابن عباس ان اهل مكة سالوا النبي صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم باية فنزلت هذه الآية والمعنى تفكروا
واعتبروا ايها الناس فيما خلقته وانشاته من السموات والارض لمعاشكم وارزاقكم وفيما عقبت
بين ذلك بين الليل والنهار واختلافهما في الطول والقصر فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم لكي تتصرفوا
فيها لمعاشكم وطلب ارزاقكم في النهار وتسكنون بالليل لراحة اجسادكم فاعتبروا وتفكروا واعلموا
لاولي الالباب يعني يا ذوي العقول الصافية الذين ينتفعون ببصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار لا ينظرون
اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب مخلوقاته وغرائب مبتدعاته (ق) عن ابن عباس انه بات عند
ميمونة ام المؤمنين وهي خالته قال فقلت لانظرن الى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وسادة فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واهله في طولها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى انتصف الليل او قبله بقليل او بعده بقليل ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس يمسح النوم عن وجهه
بيديه ثم قرأ العشر آيات الخواتم من سورة آل عمران ثم قام الى شن معلقة فتوضأ منها فاحسن الوضوء ثم قام يصلي

حتى قال عبد الله بن عباس فقمت فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقمت الى جنبه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على راسي واخذ باذني يفتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم اوتر ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح وفي رواية فقمت عن يساره فاخذني فجعلني عن يمينه وفي رواية قال بت في بيت خالتي ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الاخر قعد فنظر الى السماء فقال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب وذكره قوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم قال علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس وقتادة هذا في الصلاة يعني الذين يصلون قياما فان عجزوا فقعودا فان عجزوا فعلى جنوبهم والمعنى انهم لا يتركون الصلاة في حال من الاحوال بل يصلونها في كل حال (خ) عن عمران بن حصين قال كانت بي بواسير فسالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب واخرجه الترمذي وقال فيه سالته عن صلاة المريض وذكر نحوه قال الشافعي رضي الله عنه اذا صلى المريض مضطجعا وجب عليه ان يصلي على جنبه ويومي ايما وقال ابو حنيفة رحمه الله بل يصلي مستلقيا على ظهره فان وجد خفة قعد وحجة الشافعي ظاهر الاية وهو قوله وعلى جنوبهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين فان لم تستطع فعلى جنب فنص على الجنب دون غيره وقال اكثر المفسرين اراد به المداومة على الذكر في غالب الاحوال لان الانسان قل ان يخلو من احدى هذه الثلاث حالات وهي القيام والقعود وكونه على جنبه (م) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله عز وجل في كل احيانه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضجعا لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة وما مشى احد ممشى لا يذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة اخرجه ابو داود الترة النقص وقيل هي هنا التبعة وقوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض اصل الفكر اعمال الخاطر في الشيء وتردد القلب في ذلك الشيء وهو قوة مطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل ولا يمكن التفكر الا فيما له صورة في القلب ولهذا قيل تفكروا في الاء الله ولا تفكروا في الله اذ كان الله منزها ان يوصف بصورة فلما ذكر الله عباده الصالحين بانهم يتفكرون في خلق السموات والارض وما ابدع فيهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ليدلهم ذلك على كمال قدرة الصانع سبحانه وتعالى ويعلمون ان لها خالقا قادرا مدبرا حكيما لان عظم اثاره وافعاله تدل على عظم خالقها سبحانه وتعالى كما قيل وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد وقيل ان الفكر مقلوب عن الفرك لان الفكر مستعمل في المعاني وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها وقيل الفكر تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكر ربنا اي ويقولون ربنا وقيل معناه ويتفكرون في خلق السموات والارض قائلين ربنا ما خلقت هذا باطلا يعني عبثا وهزلا بل خلقته دليلا على وحدانيتك وكمال قدرتك سبحانك نزهناك عن ان تخلق شيئا عبثا لغير حكمة فقنا عذاب النار تعليم لعباده كيفية الدعاء من اراد ان يدعو فليقدم الثناء على الله اولا ويدل عليه قوله سبحانك وبعد ذكر الثناء ياتي بالدعاء ويدل عليه قوله فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اي اهلكته واذللته وقيل فضحته وقيل ابلغته في الخزي والخزي ضرب من الاستخفاف او انكسار يلحق الانسان وهو الحياء المفرط فان قلت قد تمسكت المعتزلة بهذه الاية وقالوا اخبر الله انه لا يخزي النبي والذين امنوا معه فوجب ان كل من يدخل النار لا يكون مومنا لقوله انك من تدخل النار فقد اخزيته والمومن لا يخزى قلت قد ذكر العلماء في الجواب وجوها ما روي عن انس في تفسير قوله تعالى انك من تدخل

فقد

فقد اخزيته قال من تخلد وروي نحوه عن سعيد بن المسيب قال هي خاصة لمن لا يخرج منها وهذا الجواب انما يصح على مذهب اهل السنة الذين يرون اخراج الموحدين من النار اما على مذهب المعتزلة فلا يصح هذا الجواب لان مذهبهم ان الفاسق مخلد في النار فهو داخل في قوله فقد اخزيته الوجه الثاني في الجواب ان المدخل في النار مخزي في حال دخوله وان كانت عاقبته ان يخرج منها ومعنى الاية على هذا فقد اخزيته بدخوله فيها وتعذيبه لها ويدل على صحة هذا المعنى ما روي عن عمرو بن دينار قال قدم علينا جابر بن عبد الله في عمرة فانتهيت اليه انا وعطاء فسالته عن هذه الاية ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته فقال وما اخزاه حين احرقه بالنار ان دون ذا الخزي وهذا الوجه هو اختيار ابن جرير الطبري لان من ادخل النار فقد خزي بدخوله اياها وان اخرج منها وذلك الخزي هو هتك المخزي وفضيحته وقال ابن الانباري حمل الاية على العموم اولى من نقلها الى خصوص لا دليل عليه الوجه الثالث في الجواب ما قاله اهل المعاني وهو ان الخزي يحتمل معان منها الاهانة والاهلاك والابعاد وهذا للكفار ومنها الاخجال يقال خزي خزاية اذا استحيا واذا عمل عملا يستحيا منه فخجل فيكون خزي المومن الذي يدخل النار الحياء من المومنين بدخوله النار الى ان يخرج منها وخزي الكافر الهلاك بالخلود في النار وحاصل هذا الجواب ان لفظ الاخزاء مشترك بين التخجيل والاهلاك واللفظ المشترك لا يمكن حمله في طرفي النفي والاثبات على معنييه جميعا وهذا يسقط الاستدلال الوجه الرابع في الجواب وهو الذي اختاره الفخر الرازي وصححه ان قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا لا يقتضي نفي الاخزاء مطلقا وانما يقتضي ان لا يحصل الاخزاء حال ما يكونون مع النبي صلى الله عليه وسلم وهذا النفي لا ينافي اثبات الاخزاء في الجملة لاحتمال ان يحصل ذلك الاثبات في وقت اخر والله اعلم وقوله تعالى وما للظالمين يعني للمشركين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها من انصار يعني يمنعونهم يوم القيامة او يمنعونهم من العذاب قوله عز وجل ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان قال ابن عباس واكثر المفسرين المنادي هو محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقوله وداعيا الى الله باذنه وقال محمد بن كعب القرظي المنادي هو القران قال اذ ليس كل احد يلقى النبي صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان كل احد يسمع القران ويفهمه فاذا وفقه الله تعالى للايمان به فقد فاز به وذلك لان القران مشتمل على الرشد والهدى وانواع الدلائل الدالة على الوحدانية فصار كالداعي اليها واللام في للايمان بمعنى الى يعني ينادي الى الايمان ان امنوا بربكم فامنا اي فصدقنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا اي كبائر ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا اي صغائر ذنوبنا وقيل ان الغفر هو الستر والتغطية وكذلك التكفير فهما بمعنى واحد وانما ذكرهما للتاكيد لان الالحاح في الدعاء والمبالغة فيه مندوب اليه وقيل معناه اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وكفر سيئاتنا في المستقبل وقيل يريد بالغفران ما يزول بالتوبة من الذنوب وبالتكفير ما يكفر بالطاعات من الذنوب وتوفنا مع الابرار يعني في جملتهم وزمرتهم والابرار هم الانبياء والصالحون والمعنى توفنا على مثل اعمالهم حتى نكون في درجتهم يوم القيامة وقيل توفنا في جملة اتباعهم واشياعهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك يعني على السنة رسلك وقيل معناه واتنا ما وعدتنا على تصديق رسلك فان قلت كيف سالوا الله انجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه انهم طلبوا من الله تعالى التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد وقيل من باب اللجا الى الله تعالى والتذلل له كاظهار الخضوع والعبودية كما ان الانبياء عليهم السلام يستغفرون

ايته مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل والخضوع لله تعالى والتضرع اليه واللجا اليه الذي هو سيما العبودية
وقيل معناه ربنا واجعلنا ممن يستحق ثوابك وتوتيهم ما وعدتهم على السنة رسلك لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة
فسالوه ان يجعلهم مستحقين لها وقيل انما سالوه تعجيل ما وعدهم من النصر على الاعداء وقالوا قد علمنا انك
لا تخلف الميعاد ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجل خزيهم وانصرنا عليهم ولا تخزنا يوم القيمة يعني ولا تهلكنا ولا تفضحنا
ولا تهنا في ذلك اليوم فان قلت قوله وآتنا ما وعدتنا على رسلك يدل على طلب الثواب ومتى حصل الثواب اندفع
العقاب لا محالة فما معنى قوله ولا تخزنا وهو طلب دفع العقاب عنهم قلت المقصود من الاية طلب التوفيق
على الطاعة والعصمة من فعل المعصية كانهم قالوا وفقنا للطاعات واذا وفقتنا لها فاعصمنا من فعل ما
يبطلها ويوقعنا في الخزي وهو الهلاك ويحتمل ان يكون قوله ولا تخزنا يوم القيمة سبب لقوله تعالى وبدا لهم من
الله ما لم يكونوا يحتسبون فانه ربما يظن الانسان انه على عمل صالح فاذا كان يوم القيمة ظهر انه على غير ما يظن فيحصل
الخجل والحسرة والندامة في موقف القيمة فسالوا الله تعالى ان يزيل ذلك عنهم فقالوا ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد
قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم يعني اجاب دعاءهم واعطاهم ما سالوه اني اي وقال لهم اني لا اضيع عمل
عامل منكم يعني لا احبط عملكم ايها المومنون بل اثيبكم عليها واجزيكم بها من ذكر او انثى يعني لا اضيع عمل عامل
ذكرا كان او انثى عن ام سلمة قالت قلت يا رسول الله لا اسمع الله تعالى ذكر النساء في الهجرة بشي فانزل الله تعالى اني لا اضيع
عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض الى والله عنده حسن الثواب اخرجه الترمذي وقوله
بعضكم من بعض الى والله عنده حسن الثواب اخرجه الترمذي وقوله تعالى بعضكم من بعض يعني
في الدين والنصرة والموالاة وقيل كلكم من ادم وحوا وقيل يعني الكاف وقيل بعضكم كبعض في الثواب
على الطاعة والعقاب على المعصية فهو كما يقال فلان مني يعني على خلقي وسيرتي وقيل ان الرجال
والنساء في الطاعة على شكل واحد فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي يعني المهاجرين
الذين هجروا اوطانهم واهليهم واذاهم المشركون بسبب اسلامهم ومتابعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا مهاجرين
الى الله ورسوله وتركوا اوطانهم وعشايرهم لله ورسوله ومعنى في سبيلي في طاعتي وديني وابتغاء مرضاتي وهم المهاجرون
الذين اخرجهم المشركون من مكة فهاجر طايفة الى الحبشة وطايفة الى المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد
هجرته فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة رجع اليه من كان هاجر الى الحبشة من المسلمين وقاتلوا
وقتلوا يعني وقاتلوا العدو واستشهدوا في جهاد الكفار لاكفرن عنهم سيئاتهم يعني لامحون عنهم ذنوبهم
ولاغفرنها لهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله يعني ذلك الذي اعطاهم من
تكفير سيئاتهم وادخالهم الجنة ثوابا من فضل الله واحسانه اليهم والله عنده حسن الثواب هذا
تاكيد لكون ذلك الثواب الذي اعطاهم من فضله وكرمه انه جواد كريم وروى ابن جرير الطبري بسنده
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ثلة تدخل الجنة
فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره اذا امروا سمعوا واطاعوا وان كانت لرجل منهم حاجة الى السلطان
لم تقض له حتى يموت وهي في صدره فان الله عز وجل يدعو يوم القيمة الجنة فتاتي بزخرفها وزينتها فيقول اين
عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا واوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ادخلوا الجنة فيدخلونها
بغير حساب ولا عذاب وتاتي الملايكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس
لك من هولاء الذين اثرتهم علينا فيقول الرب عز وجل هولاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي واوذوا في سبيلي
فتدخل الملايكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال بعضهم في هذه الايات تعليم

من الله

من الله للعباد كيف يدعونه وكيف يبتهلون اليه ويتضرعون ويكون تكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن
الاجابة وقال جعفر الصادق من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه
الاية وقال الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ثم اخبر انه استجاب لهم قوله عز وجل لا يغرنك تقلب الذين
كفروا في البلاد نزلت في المشركين وذلك انهم كانوا في رخاء ولين من العيش يتجرون ويتنعمون فقال بعض المومنين
ان اعداء الله فيما نرى من الخير ونحن في الجهد فانزل الله هذه الاية لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمراد به غيره من الامة لانه صلى الله عليه وسلم لم يغتر قط والمعنى لا يغرنك ايها السامع تقلب الذين كفروا في البلاد
يعني ضربهم في الارض وتصرفهم في البلاد للتجارات وطلب الارباح والمكاسب متاع قليل اي ذلك المتاع
قليل وبلغة فانية ونعمة زايلة ثم ماواهم جهنم يعني مصيرهم في الاخرة جهنم وبئس المهاد اي وبئس
الفراش هي قوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم فيما امرهم به من العمل بطاعته واتباع مرضاته واجتناب
ما نهاهم عنه من معاصيه لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا اي جزاء وثوابا والنزل
ما يهيا للضيف عند قدومه من عند الله يعني من فضل الله وكرمه واحسانه وما عند الله
يعني الخير والكرامة والنعيم الدايم الذي لا ينقطع خير للابرار يعني ذلك الفضل والنعمة التي اعدها الله
للمطيعين الابرار خير مما يتقلب فيه هولاء الكفار من نعيم الدنيا ومتاعها فانه قليل زايل ق عن عمر
ابن الخطاب قال جيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو في مشربة وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شي وتحت راسه
وسادة من ادم حشوها ليف وان عند رجليه قرظا مصبورا وعند راسه اهب معلقة فرايت اثر الحصير
في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك قلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هم فيه وانت رسول الله فقال اما ترضى
ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة لفظ البخاري المشربة الغرفة والعلية والشارب العلالي قوله عز وجل
وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم قال ابن عباس نزلت في النجاشي ملك
الحبشة واسمه اصحمة ومعناه بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم
في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم
النجاشي فخرج الى البقيع وكشف له الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي فصلى عليه وكبر عليه
اربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط
وليس على دينه فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في اربعين رجلا من اهل نجران واثنين وثلاثين من
الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى صلى الله عليه وسلم فامنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدقوه وقيل
نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه الذين امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في جميع مومني اهل
الكتاب وان مصيرهم الى ذكر حال من امن من اهل الكتاب وان مصيرهم الى الجنة فقال تعالى وان
من اهل الكتاب يعني بعض اليهود والنصارى اهل التورية والانجيل والزبور خاشعين لله
يعني خاضعين لله ومتواضعين له غير مستكبرين لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا يعني لا
يغيرون كتبهم ولا يحرفونها ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لاجل الرياسة والماكل والرشى كما
يفعله غيرهم من روسا اليهود اولئك اشارة الى من تقدم صفته من اهل الكتاب لهم اجرهم عند ربهم
يعني لهم ثواب اعمالهم التي عملوها لله ذلك الثواب لهم ذخر عند الله يوفيهم اليهم يوم القيمة ان الله سريع
الحساب يعني انه تعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شي من اعمال عباده فيجازي كل احد على قدر عمله انه سريع
الحساب قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا يعني على دينكم الذي انتم عليه ولا تدعوه لشدة ولا لغيرها واصل

الصبر حبس النفس على ما تقتضيه عقل او شرع والصبر لفظ عام تحته انواع من المعاني قال بعض الحكما الصبر
على ثلاثة اقسام ترك الشكوى وقبول القضا وصدق الرضا وقيل في معنى الآية اصبروا على طاعة الله وقيل
على ادا الفرايض وقيل على تلاوة القرآن وقيل اصبروا على امر الله وقيل اصبروا على البلا وقيل على الجهاد
وقيل اصبروا على احكام الكتاب والسنة وصابروا يعني الكفار والاعدا وجاهدوهم ورابطوا يعني
وداوموا على جهاد المشركين واثبتوا عليه واصل المرابطة ان يربط هولا خيولهم وهولا خيولهم بحيث يكون
كل من الخصمين مستعدا لقتال الآخر ثم قيل لكل مقيم بثغر يدفع عمن وراه مرابط وان لم يكن له مركب مربوط
ق عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع
سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله او الغدوة خير من الدنيا
وما عليها م عن سلمان الخير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم في سبيل الله وليلة خير
من صيام شهر وقيامه وان مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمله واجري عليه رزقه وامن الفتانة
وقيل المراد بالمرابطة انتظار الصلاة بعد الصلاة قال ابو سلمة بن عبد الرحمن لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
غزو يرابط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ
الوضو على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط
اخرجه مسلم واتقوا الله لعلكم تفلحون قال محمد بن كعب القرظي يقول الله عز وجل واتقوا الله فيما
بيني وبينكم لعلكم تفلحون غدا اذا لقيتموني وقال اهل المعاني في معنى هذه الآية يا ايها الذين
آمنوا اصبروا على بلائي وصابروا على نعمائي ورابطوا على مجاهدة اعدائي واتقوا محبة سوائي لعلكم
تفلحون بلقائي وقيل اصبروا على النعما وصابروا في دار الاعدا واتقوا اله الارض والسما لعلكم تفلحون
في دار البقا وقيل اصبروا على الدنيا ومحنها رجا السلامة وصابروا عند القتال بالثبات
والاستقامة ورابطوا على هوى النفس اللوامة واتقوا ما يعقبكم الندامة لعلكم تفلحون
غدا في دار الكرامة والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة النسا مدنية
وهي مائة وخمس وسبعون آية وثلاثة آلاف وخمس واربعون كلمة وستة عشر الف حرف وثلثون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها الناس خطاب
للكافة وهو كقوله يا بني آدم اتقوا ربكم اي احذروا ربكم ان تخالفوه فيما امركم به او نهاكم عنه ثم وصف نفسه بكمال القدرة
فقال تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة يعني من اصل واحد وهو آدم ابو البشر عليه السلام وانما انث الوصف
على لفظ النفس وان كان المراد به الذكر وهو كما قال بعضهم ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة ذاك الكمال انما
قاله ولدته اخرى لتانيث الخليفة وخلق منها زوجها يعني حوا وذلك ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام
القى عليه النوم ثم خلق حوا من ضلع آدم من اضلاعه اليسرى وهو قصيرى فلما استيقظ رآها جالسة عند
راسه فقال لها ما انت قالت امراة قال لما خلقت قالت خلقت لتسكن الي فمال اليها والفها لانها خلقت منه واختلفوا
في اي وقت خلقت حوا فقال كعب الاحبار ووهب وابن اسحق خلقت قبل دخوله الجنة وقال ابن مسعود
وابن عباس انها خلقت في الجنة بعد دخوله اياها وبث منهما يعني نشر واظهر من آدم وحواه رجالا كثيرا ونسا انما
وصف الرجال بالكثرة دون النسا لان حال الرجال اتم واكمل وهذا كالتنبيه على ان اللايق بحال الرجال الظهور والاشتهار
وبحال النسا الاختفا والخمول واتقوا الله الذي تسالون به انما كرر ذكر التقوى للتاكيد وانه اهل ان يتقى

على البأسا والضرا ورابطوا

والتسال به

والتسال به هو كقوله اسالك بالله واحلف عليك بالله واستشفع اليك بالله والارحام قرئ بفتح الميم ومعناه
واتقوا الارحام ان تقطعوها وقرئ بكسر الميم وهو كقولك سالتك بالله وبالرحم وناشدتك الله وبالرحم لان العرب كان من عادتهم
ان يقولوا ذلك والرحم القرابة وانما استعير اسم الرحم للقرابة لانهم خرجوا من رحم واحدة وقيل هو مشتق من الرحمة
لان القرابة يتراحمون ويعطف بعضهم على بعض وفي الآية دليل على تعظيم حق الرحم والنهي عن قطعها ويدل على ذلك
ايضا الاحاديث الواردة في ذلك ق عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من
وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع
قال سفيان في رواية يعني قاطع رحم وعن الحسن قال من سالك بالله فاعطه ومن سالك بالرحم فاعطه وعن ابن عباس
قال الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت عنه ان الله كان
عليكم رقيبا يعني حافظا والرقيب في صفة الله تبارك وتعالى هو الذي لا يغفل عما خلق فيلحقه نقص ويدخل
عليه خلل وقيل هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شي من امر خلقه فبين بقوله ان الله كان عليكم رقيبا
انه يعلم السر واخفى واذا كان كذلك فهو جدير بان يخاف ويتقى قوله تعالى واتوا اليتامى اموالهم نزلت في
رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم كان في حجره فلما بلغ اليتيم طلب المال الذي له فمنعه
عمه فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله
من الحوب الكبير ودفع الى اليتيم ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا
فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الصبي ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي
الوزر فقالوا كيف بقي الوزر قال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على والده والخطاب في قوله تعالى واتوا للاوليا
والاوصيا واليتامى جمع يتيم وهو الصبي الذي مات ابوه واليتم في اللغة الانفراد ومنه الدرة اليتيمة لانفرادها
واسم اليتيم يقع على الصغير والكبير لغة لبقا معنى الانفراد عن الآبا لكن في العرف اختص اسم اليتيم بمن لم
يبلغ مبلغ الرجال فاذا بلغ الصبي وصار يستغني بنفسه عن غيره زال عنه اسم اليتيم فاذا انس منه الرشد
وانما سماهم يتامى بعد البلوغ وتحقق الرشد ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب يعني بالخبيث
الذي هو حرام عليكم بالحلال من اموالكم واختلفوا في هذا التبديل فقال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري
والسدي كان اوليا اليتامى ياخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردي فربما كان احدهم ياخذ
الشاة السمينة ويجعل مكانها المهزولة وياخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف ويقول شاة بشاة ودرهم
بدرهم فذلك تبديلهم فنهوا عنه وقال عطا هو الربح في مال اليتيم وهو غر لا علم له بذلك وقيل ليس
بابدال حقيقة وانما هو اخذه مستهلكا وذلك ان اهل الجاهلية كانوا لا يورثون النسا ولا الصغار وانما
كان ياخذ الميراث الاكابر من الرجال وقيل هو اكل مال اليتيم حراما عن اكل اموالهم فنهوا عن ذلك ولا
تاكلوا اموالهم الى اموالكم يعني مع اموالكم وقيل معناه ولا تضموا اموالهم الى اموالكم في الانفاق واعلم
ان الله تعالى نهى عن اكل مال اليتيم واراد به جميع التصرفات المهلكة للمال وانما ذكر الاكل لانه معظم
المقصود انه كان حوبا كبيرا يعني ان اكل مال اليتيم بغير حق اثم عظيم والحوب الاثم قوله عز وجل وان خفتم
ان لا تقسطوا في اليتامى يعني وان خفتم يا اوليا اليتامى ان لا تعدلوا فيهن اذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن
من الغرايب ق عن عروة انه سال عايشة عن قوله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم
من النسا الى قوله او ما ملكت ايمانكم قالت يا ابن اختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ويريد ان
ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا بنكاح من سواهن قالت عايشة

وسئل ابن عباس عن اليتيم
متى ينقطع عنه اسم اليتيم

فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله عز وجل ويستفتونك في النساء الى وترغبون ان
تنكحوهن فبين الله لهم في هذه الآية ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها
في اكمال الصداق واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء قال فكما يتركونها
حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق
وقال الحسن كان الرجل من اهل المدينة يكون عنده الايتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لاجل مالها وهي
لا تعجبه كراهية ان يدخل غريب فيشاركه في مالها ثم يسيء صحبتها ويتربص بها ان تموت فيرثها فعاب الله ذلك عليهم
وانزل هذه الآية وقال عكرمة في رواية عن ابن عباس كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء او اكثر فاذا
صار معدما من مؤن نسائه مال الى مال يتيمه الذي في حجره فانفقه فقيل لهم لا تزيدوا على اربع حتى لا يحوجكم
الى اخذ اموال اليتامى وقيل كانوا يتحرجون عن اموال اليتامى ويترخصون في النساء فيتزوجون ما شاؤا
فربما عدلوا وربما لم يعدلوا فلما انزل الله تعالى في اموال اليتامى وآتوا اليتامى اموالهم انزل هذه الآية وان خفتم
ان لا تقسطوا في اليتامى يقول كما خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النساء ان لا تعدلوا فيهن فلا تتزوجوا
اكثر مما يمكنكم القيام بحقهن لان النساء في الضعف كاليتامى وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدي ثم رخص
الله في نكاح اربع فقال تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء يعني ما حل لكم من النساء واستدل اهل الظاهر بهذه الآية على وجوب النكاح
قالوا لان قوله فانكحوا امر والامر للوجوب واجيب عنه بان قوله تعالى فانكحوا انما هو بيان لما يحل من العدد في النكاح
وتمسك الشافعي في بيان ان النكاح ليس بواجب بقوله فمن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات الى قوله
ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم الا ان فحكم في هذه الشريعة بان ترك النكاح خير من فعله وذلك
يدل على انه ليس بواجب ولا مندوب وقوله تعالى مثنى وثلاث ورباع معناه اثنتين اثنتين وثلاثا ثلاثا
واربعا اربعا وهو غير منصرف لانه اجتمع فيها امران العدل والوصف والواو بمعنى او في هذا الفصل لانه لما كان او
بمنزلة او للشك جاز ان تكون الواو بمنزلة او وقيل ان الواو افادت انه يجوز لكل احد ان يختار لنفسه
قسما من هذه الاقسام بحسب حاله فان قدر على نكاح اثنتين فاثنتين وان قدر على ثلاث فثلاث وان قدر
على اربع فاربع لانه يفيد عددا واجمعت الامة على انه لا يجوز لاحد ان يزيد على اربع نسوة وان الزيادة
على اربع من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم التي لا يشاركه فيها احد من الامة ويدل على ان الزيادة
على اربع غير جائزة وانه حرام ما روي عن الحرث بن قيس او قيس بن الحرث قال اسلمت وعندي ثمان نسوة
فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن اربعا اخرجه ابو داود وعن ابن عمر ان غيلان بن
سلمة الثقفي اسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فاسلمن معه فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يتخير منهن اربعا
اخرجه الترمذي قال العلماء فيجوز للحر ان يجمع بين اربع نسوة حرائر ولا يجوز للعبد ان ينكح اكثر من امراتين
وهو قول اكثر العلماء لانه خطاب لمن ولي وملك وذلك للاحرار دون العبيد وقال مالك في احدى الروايتين
عنه وربيعة يجوز للعبد ان يتزوج باربع نسوة واستدل بهذه الآية واجاب الشافعي بان هذه الآية مختصة
بالاحرار ويدل عليه آخر الآية وهو قوله فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم والعبد لا يملك شيئا
فثبت بذلك ان المراد بحكم الآية الاحرار دون العبيد وقوله تعالى فان خفتم يعني فان خشيتم
وقيل فان علمتم ان لا تعدلوا يعني بين الازواج الاربع فواحدة يعني فانكحوا واحدة او ما ملكت ايمانكم
يعني وما ملكتم من السراري لانه لا يلزم فيهن من الحقوق مثل ما يلزم في الحرائر ولا قسم لهن ذلك ادنى الا
اقرب ان لا تعولوا معناه ذلك اقرب من ان لا تعولوا والحذف يحسن لدلالة الكلام عليه ومعنى ان لا تعولوا

ان لا تميلوا ولا تجوروا وهو قول اكثر المفسرين لان اصل العول الميل يقال عال الميزان اذا مال وقيل معناه ان لا تجاوزوا
ما فرض الله عليكم ومنه عول الفرائض اذا جاوزت سهامها وقيل معناه ذلك ادنى ان لا تضلوا وقال
الشافعي رحمه الله معناه ان لا تكثر عيالكم وقد انكر على الشافعي من ليس له احاطة بلغة العرب فقال
انما يقال من كثرة العيال اعال الرجل يعيل اعالة اذا كثر عياله قال وهذا من خطا الشافعي لانه
انفرد به ولم يوافقه عليه احد وانما قال هذه المقالة من انكر على الشافعي وخطاه من لا علم له بلغة
العرب فقد روى الازهري في كتابه تهذيب اللغة عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم في قوله ان لا تعولوا ان
لا تكثر عيالكم وروى الازهري عن الكسائي قال عال الرجل اذا افتقر واعال اذا كثر عياله قال ومن العرب
الفصحاء من يقول عال يعول اذا كثر عياله قال الازهري وهذا يقوي قول الشافعي لان الكسائي لا يحكي
عن العرب الا ما حفظه وضبطه وقول الشافعي نفسه حجة لانه عربي فصيح والذي اعترض عليه وخطاه عجل ولم
يتثبت فيما قال ولا ينبغي للحضري ان يعجل الى الانكار ما لا يحفظ من لغات العرب هذا آخر كلام الازهري وبسط
الامام فخر الدين العبارة في هذا الموضع من تفسيره ورد على ابي بكر الرازي وقال الطعن لا يصدر الا عن كثرة
الغباوة وقلة المعرفة وحكى البغوي عن ابي حاتم قال كان الشافعي اعلم بلسان العرب منا ولعله
لغة ويقال هي لغة حمير وقرأ طلحة بن مصرف ان لا تعيلوا وهو حجة للشافعي وآتوا النساء صدقاتهن
نحلة قال الكلبي وجماعة هو خطاب للاولياء قال ابو صالح كان الرجل اذا زوج ايمه اخذ صداقها
دونها فنهاهم الله عن ذلك وقيل ان ولي المراة كان اذا زوجها فان كانت معهم في العشيرة لم
يعطها من مهرها قليلا ولا كثيرا وان كان زوجها غريبا حملوها اليه على بعير ولا يعطيها من مهرها غير
ذلك فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يدفعوا الحق الى اهله وقال الحضرمي كان اولياء النساء يعطي هذا
اخته على ان يعطيه الآخر اخته ولا مهر بينهما وهذا هو الشغار فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بتسمية
المهر (ق) عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار والشغار ان يزوج الرجل ابنته على ان يزوجه الرجل ابنته
وليس بينهما صداق وقيل الخطاب للازواج وهذا اصح وهو قول الاكثرين لان الخطاب فيما قبل مع
الناكحين وهم الازواج امرهم الله تعالى بايتاء نسائهم الصداق والصدقات المهور واحدها صدقة بفتح الصاد وضم
الدال نحلة يعني فريضة مسماة وقيل عطية وهبة وقيل نحلة يعني عن طيب نفس واصل النحلة
العطية على سبيل التبرع وهو اخص من الهبة وسمي الصداق نحلة من حيث انه لا يجب في مقابلته
غير التمتع دون عوض مالي (ق) عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احق الشروط ان توفوا
به ما استحللتم به الفروج وقوله تعالى فان طبن يعني النساء المزوجات لكم يعني للازواج عن شيء منه
يعني من الصداق ومن هنا لبيان الجنس لا للتبعيض لانها لو وهبت المراة لزوجها جميع مهرها جاز
نفسا نصب على التمييز والمعنى فان طابت نفوسهن عن شيء من ذلك الصداق المعين فوهبن ذلك لكم فنقل الفعل من
النفوس الى اصحابها فخرجت النفس مفسرا فلذلك وحد النفس وقيل لفظه واحد ومعناه الجمع فكلوه يعني
ما وهبنه لكم هنيئا مريئا يعني طيبا سائغا وقيل الهنيء الطيب المساغ الذي لا ينغصه شيء والمريء المحمود
العاقبة وفي الآية دليل على اباحة هبة المراة صداقها وانها تملكه ولا حق للولي فيه قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء
اموالكم اختلفوا في هؤلاء السفهاء من هم فقيل هم النساء نهى الله الرجال ان يؤتوا النساء اموالهم
سواء كن ازواجا او بنات او امهات وقيل هم الاولاد وقيل هم الاولاد خاصة يقول لا تعط ولدك السفيه مالك الذي
هو قيامك بعد الله فيفسده عليك وقيل هي امراتك وابنك السفيه قال ابن عباس لا تعمد الى مالك الذي

خولكم الله وجعلها لكم معيشة فتعطيه امرأتكم وابنكم فيكونوا هم الذين يقومون عليك ثم تنظر الى ما في ايديهم امسك
مالك واصلحه وكن انت الذي تنفق عليهم في رزقهم ومؤنتهم وقال الكلبي اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة
مفسدة وان ولده سفيه مفسد لا ينبغي له ان يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده وقال سعيد بن
جبير هو مال اليتيم يكون عندك لا تؤته اياه وانفق عليه منه حتى يبلغ وانما اضاف المال الى الاولياء لانهم
قوامها ومدبروها واصل السفه الخفة واستعمل في خفة الفعل لنقصان العقل في الامور الدنيوية
والدينية والسفيه المستحق للحجر هو الذي يكون مبذرا لماله ومفسدا في دينه فلا يجوز للولي ان يدفع
اليه ماله وقيل ان السفهاء المذكورة في هذه الآية ليس موصوفة بذم وانما سموا سفهاء لخفة عقولهم ونقصان تمييزهم
وضعفهم عن القيام بحفظ المال فقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء يعني الجهال بموضع الحق اموالكم التي جعل الله لكم قياما
يعني قوام معايشكم يقول المال هو قوام الناس وقوام معايشهم كن قيم اهلك انفق عليهم ولا تعطها امرأتك
امرأتكم وولدكم فيكونوا هم الذين يقومون عليك ولما كان المال سببا للقيام بالمعاش سمي به اطلاقا لاسم المسبب
على السبب على سبيل المبالغة لانه به نظام الحج والجهاد واعمال البر وفكاك الرقاب من النار وارزقوهم فيها
اي اطعموهم واكسوهم يعني لمن يجب عليكم رزقه وكسوته وذلك لما نهى الله عن ايتاء المال السفيه امر ان
يجري رزقه وكسوته وانما قال وارزقوهم فيها ولم يقل منها لانه اراد اجعلوا لهم فيها رزقا والرزق من
الله تعالى هو العطية من غير حد ولا انقطاع ومعنى الرزق من العباد هو الاجر الموظف المعلوم لوقت معلوم
محدود وقولوا لهم قولا معروفا يعني جميلا لان القول الجميل يؤثر في القلب ويزيل السفه وقيل معناه
عدوهم عدة جميلة من البر والصلة قال عطا تقول اذا ربحت اعطيتك واذا غنمت غنمت لك حظا
وقيل معناه الدعاء اي ادعوا لهم قال ابن زيد ان لم يكن ممن تجب عليك نفقته فقل له عافانا الله واياك
بارك الله فيك وقيل قولوا لهم قولا تطيب به انفسهم وهو ان يقول الولي لليتيم السفيه مالك عندي
وانا امين عليه فاذا بلغت ورشدت اعطيتك مالك وقال الزجاج معناه علموهم مع اطعامكم وكسوتكم
اياهم امر دينهم وما يصلحهم مما يتعلق بالعلم والعمل قوله عز وجل وابتلوا اليتامى الآية نزلت في ثابت
ابن رفاعة وفي عمه وذلك ان رفاعة مات وترك ابنه ثابتا وهو صغير فجاء عمه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال
له ان ابن اخي يتيم في حجري فما يحل لي من ماله ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله هذه الآية وابتلوا اليتامى يعني
اختبروهم في عقولهم واديانهم وحفظ اموالهم حتى اذا بلغوا النكاح اي مبلغ الرجال والنساء فان
آنستم اي ابصرتم وعرفتم منهم رشدا يعني عقلا وصلاحا في الدين وحفظا للمال وعلما بما يصلحه
فصل في احكام تتعلق بالحجر وفيه مسائل المسألة الاولى الابتلاء يختلف باختلاف احوال اليتامى
فان كان ممن يتصرف بالبيع والشراء في الاسواق يدفع اليه شيئا يسيرا من المال وينظر في تصرفه وان
كان ممن لا يتصرف في الاسواق فيختبر بنفقته على اهله وعبيده واجرائه وتصرفه في احوال داره ويختبر
المرأة في امر بيتها وحفظ متاعها وغزلها واستغزالها فاذا رأى حسن تدبير اليتيم وحسن تصرفه في الامور
مرارا يغلب على الظن رشده دفع اليه ماله وان كان شيئا يغلب عليه السفه حتى يؤنس منه الرشد
المسألة الثانية قال الامام ابو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة وقال
الشافعي لا تصح واحتج ابو حنيفة على قوله بهذه الآية وذلك ان قوله وابتلوا اليتامى حتى
اذا بلغوا النكاح يقتضي ان هذا الابتلاء انما يحصل قبل البلوغ والمراد من هذا الابتلاء اختبار حاله
في جميع تصرفاته فثبت ان قوله وابتلوا اليتامى امر للاولياء بالاذن لهم في البيع والشراء قبل البلوغ اجاب الشافعي

بان قال

بان قال ليس المراد بقوله وابتلوا اليتامى الاذن لهم في التصرف حال الصغر بدليل قوله فان آنستم منهم رشدا
فادفعوا اليهم وانما يدفع اليهم اموالهم بعد البلوغ وايناس الرشد فثبت بموجب هذه الآية انه لا يدفع اليه ماله
حال الصغر وانما المراد من الابتلاء هو اختبار عقله واستبراء حاله في معرفة المصالح والمفاسد المسألة
الثالثة في بيان البلوغ وذلك باربعة اشياء اثنان يشترك فيه الرجال والنساء فاحدهما السن فاذا استكمل
المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاما كان او جارية ويدل على ذلك ما روي عن ابن عمر قال عرضت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام احد وانا ابن اربع عشرة سنة فردني ثم عرضت عليه عام الخندق وانا
ابن خمس عشرة سنة فاجازني اخرجاه في الصحيحين وهو قول اكثر اهل العلم وقال ابو حنيفة بلوغ الجارية
باستكمال سبع عشرة سنة وبلوغ الغلام باستكمال ثماني عشرة سنة والثاني الاحتلام وهو انزال المني
الدافق سواء انزل باحتلام او جماع فاذا وجد ذلك من الصبي او الجارية حكم ببلوغه لقوله تعالى واذا
بلغ الاطفال منكم الحلم ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ خذ من كل حالم دينارا واما انبات الشعر
الخشن حول الفرج فهو يدل على البلوغ في اولاد المشركين لما روي عن عطية القرظي قال كنت من سبي قريظة
فكانوا ينظرون فمن انبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت ممن لم ينبت وهل يكون ذلك علامة
على البلوغ في اولاد المسلمين فيه قولان احدهما انه يكون بلوغا كما في اولاد المشركين والثاني لا يكون ذلك
بلوغا في اولاد المسلمين لانه يمكن الوقوف على مواليدهم والرجوع الى قول آبائهم بخلاف الكفار لانه
لا يوقف على مواليدهم ولا يقبل في ذلك قول آبائهم لكفرهم فجعل الانبات الذي هو امارة البلوغ بلوغا في
حقهم واما الذي يختص بالنساء فهو الحيض والحبل فاذا حاضت الجارية بعد تسع سنين حكم ببلوغها وكذا اذا
ولدت حكم ببلوغها قبل الوضع بستة اشهر لانها اقل مدة الحمل المسألة الرابعة في بيان الرشد وهو ان
يكون مصلحا في دينه وماله فالصلاح في الدين هو اجتناب الفواحش والمعاصي التي تسقط بها العدالة
والصلاح في المال هو ان لا يكون مبذرا والتبذير ان ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمدة دنيوية ولا مثوبة اخروية ولا
يحسن التصرف فيغبن في البيع والشراء فاذا بلغ الصبي وهو مفسد لماله ودينه لم ينفك عنه الحجر ولا ينفذ تصرفه
في ماله وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة اذا كان مصلحا لماله زال عنه الحجر وان كان مفسدا لدينه واذا كان
مفسدا لماله لا يدفع اليه المال حتى يبلغ خمسا وعشرين سنة غير انه ينفذ تصرفه قبله والقرآن حجة للشافعي
في استدامة الحجر عليه لان الله تعالى قال فان آنستم منهم رشدا وبعد بلوغه خمسا وعشرين سنة وهو
مفسد لماله بالاتفاق غير رشيد فوجب ان لا يجوز دفع المال اليه كما قبل بلوغ هذا السن المسألة الخامسة
اذا بلغ الصبي او الجارية وأونس منهما الرشد زال عنه الحجر ودفع اليه ماله سواء تزوج او لم يتزوج وقال مالك
ان كانت امرأة لا يدفع اليها المال ما لم تتزوج فاذا تزوجت دفع اليها مالها ولا ينفذ تصرفها الا باذن الزوج ما لم تكبر وتجرب
المسألة السادسة اذا بلغ الصبي رشيدا وزال عنه الحجر فلو عاد سفيها ينظر فان كان مبذرا لماله حجر عليه
وان كان مفسدا في دينه فعلى وجهين احدهما انه يعاد عليه الحجر كما يستدام اذا بلغ وهو بهذه الصفة والثاني لا
يحجر عليه لان حكم الدوام اقوى من حكم الابتداء وعند ابي حنيفة لا حجر على الحر العاقل البالغ بحال والدليل
على اثبات الحجر من اتفاق الصحابة ما روي عن هشام بن عروة عن ابيه ان عبد الله بن جعفر ابتاع ارضا
سبخة بستين الف درهم فقال علي لآتين عثمان ولاحجرن عليك فاتى ابن جعفر الزبير فاعلمه بذلك فقال
الزبير انا شريكك في بيعك فاتى علي عثمان فقال احجر على هذا فقال الزبير انا شريكه فقال عثمان كيف احجر على
رجل في بيع شريكه فيه الزبير فكان اتفاقا منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير لدفعه وقوله تعالى

ابن العز
البيع
ما دفع [illegible]

ولا تأكلوها اسرافا الخطاب للاولياء يعني يا معشر الاولياء لا تأكلوا اموال اليتامى بغير حق وبدارا ان يكبروا يعني لا تبادروا ادراكهم
ورشدهم فتفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبروا فيلزمكم تسليمها اليهم ثم بين تعالى حال الاولياء وقسمهم
قسمين فقال تعالى ومن كان غنيا فليستعفف اي فليمتنع من اكل مال اليتيم ولا يرزأه قليلا ولا كثيرا ومن كان فقيرا يعني محتاجا الى
اليتيم وهو يحفظه فليأكل بالمعروف (د) ابو داود عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اني فقير وليس لي شيء ولي يتيم فقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبادر ولا متأثل واختلف العلماء في حكم هذه الآية فروي عن
عمر وابن عباس وابن جبير وابي العالية وعبيدة السلماني وابي وائل ومجاهد ومقاتل انه يأخذ من مال اليتيم على وجه القرض
واختلفوا في انه هل يلزمه القضاء فذهب قوم الى انه يلزمه القضاء اذا ايسر وهو المراد من قوله تعالى فليأكل بالمعروف
والمعروف القرض اي يستقرض من مال اليتيم اذا احتاج اليه فاذا ايسر قضاه وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير قال عمر
ابن الخطاب اني انزلت نفسي من مال الله بمنزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف
فاذا ايسرت قضيت وقال قوم لا ضمان عليه ولا قضاء بل يكون ما يأكله كالاجرة له على عمله وهو قول الحسن والشعبي
والنخعي وقتادة قال الشعبي لا يأكله الا ان يضطر اليه كما يضطر الى الميتة ثم القائلون بجواز الاكل من مال اليتيم اختلفوا
في قوله فليأكل بالمعروف فقال عطاء وعكرمة يأكل باطراف اصابعه ولا يسرف ولا يكتسي منه ولا يلبس الكتان ولا الحلل
يأكل ما يسد به الجوع ويلبس ما يستر به العورة وقال الحسن يأكل من تمر نخله ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضاء
عليه رده وقال الكلبي المعروف هو ركوب الدابة وخدمة الخادم وليس له ان يأكل من ماله شيئا وروي ان رجلا قال
لابن عباس ان لي يتيما وان له ابلا افاشرب من لبن ابله فقال ابن عباس ان كنت تبغي ضالة ابله وتهنأ جرباها وتلوط
حوضها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وقال قوم المعروف ان يأخذ من ماله بقدر قيامه
واجرة عمله ولا قضاء عليه وهو قول عائشة وجماعة من اهل العلم وقوله تعالى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم هذا امر
ارشاد وليس بواجب امر الله تعالى الولي بالاشهاد على دفع المال الى اليتيم بعد البلوغ لتزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة
لانه اذا كانت عليه بينة كان ابعد من ان يدعى عليه عدم الدفع وتظهر بذلك امانة الوصي وتسقط عنه اليمين عند انكار اليتيم
القبض وكفى بالله حسيبا يعني محاسبا وقيل رقيبا وشاهدا قوله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
نزلت هذه الآية في اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امرأة يقال لها ام كجة وثلاث بنات منها فقام رجلان
هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرفجة فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئا من ماله وذلك انهم
كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير من الذكور وانما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا نعطي الارث الا من
قاتل وحاز الغنيمة وحمى الحوزة فجاءت ام كجة امرأة اوس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله مات اوس
بن ثابت وترك ثلاث بنات وانا امرأته وليس عندي ما انفق عليهن وقد ترك ابوهن مالا وهو عند سويد
وعرفجة ولم يعطياني ولا بناته منه شيئا وهن في حجري ولا يطعمن ولا يسقين فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالا يا رسول الله ان ولدها لا يركبن فرسا ولا يحملن كلا ولا ينكين عدوا فانزل الله عز وجل هذه الآية وبين ان الارث
غير مختص بالرجال بل هو امر يشترك فيه الرجال والنساء فقال تعالى للرجال يعني الذكور من اولاد الميت وعصبته
نصيب اي حظ مما ترك الوالدان والاقربون يعني من الميراث وللنساء نصيب يعني وللاناث من اولاد الميت حظ
مما قل منه او كثر يعني من المال المخلف عن الميت نصيبا مفروضا يعني معلوما والفرض ما فرضه الله تعالى وهو اكد من
الواجب فلما نزلت هذه الآية مجملة ولم يبين كم هو النصيب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة لا تفرقا من
المال شيئا فان الله تعالى قد جعل لبناته نصيبا مما ترك ولم يبين كم هو حتى انظر ما ينزل فيهن فانزل الله تعالى يوصيكم الله في
اولادكم الآية فلما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة ان ادفعا الى ام كجة الثمن مما ترك والى بناته

الثلثين (د) باقي المال قوله عز وجل واذا حضر القسمة يعني قسمة الميراث فعلى هذا القول يكون الخطاب للوارثين اولوا
القربى يعني القرابة الذين لا يرثون واليتامى والمساكين انما قدم اليتامى لشدة ضعفهم وحاجتهم فارزقوهم
منه اي فارضخوا لهم من المال قبل القسمة واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة بآية المواريث
وهذا قبل نزول آية المواريث فلما نزلت آية المواريث جعلت لاهلها ونسخت هذه الآية وهو رواية مجاهد عن
ابن عباس وقول سعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وقتادة وقال قوم هي محكمة غير منسوخة وهو الرواية
الاخرى عن ابن عباس وهو قول ابي موسى الاشعري والحسن وابي العالية والشعبي وعطاء بن ابي رباح وسعيد
ابن جبير ومجاهد والنخعي والزهري ثم اختلف العلماء بعد القول بانها محكمة فهل هذا الامر للوجوب ام للندب
على قولين احدهما انه واجب فقيل ان كان الوارث كبيرا وجب عليه ان يرضخ لمن حضر القسمة شيئا من المال
بقدر ما تطيب به نفسه وان كان الوارث صغيرا وجب على الولي ان يعتذر اليهم ويقول اني لا
املك هذا المال وهو لهؤلاء الضعفاء قال ابن عباس ان كان الورثة كبارا رضخوا لهم وان كان الورثة صغارا اعتذر
اليهم فيقول الولي او الوصي اني لا املك هذا المال وانما هو للصغار ولو كان لي منه شيء لاعطيتكم وان يكبروا فسيعرفون
حقكم هذا هو القول المعروف وقال بعضهم ذلك حق واجب في مال الصغار والكبار فان كان الورثة كبارا
تولوا اعطاءهم بانفسهم وان كانوا صغارا اعطى وليهم روى محمد بن سيرين ان عبيدة السلماني قسم
اموال ايتام فامر بشاة فذبحت وصنعت طعاما لاجل هذه الآية وقال لولا هذه الآية لكان هذا من مالي وقال الحسن
والنخعي هذا الرضخ مختص بقسمة الاعيان فاذا آل الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا
معروفا وقيل يعطون التابوت والاواني ورث الثياب والمتاع الذي يستحيى من قسمته والقول
الثاني ان هذا الامر ندب واستحباب لا على سبيل الفرض والايجاب وهذا القول هو الاصح الذي عليه العمل
اليوم واحتج اهل هذا القول بانه لو كان لهؤلاء حق معين لبينه الله تعالى كما بين سائر الحقوق فحيث لم يبين
علمنا ان ذلك غير واجب وقيل في معنى الآية ان المراد بالقسمة الوصية فاذا حضر الوصية من لا يرث من
الاقرباء واليتامى والمساكين امر الله الموصي ان يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا
وهو ان لا يتبع العطية بالمن والاذى قوله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا يعني اولادا
صغارا خافوا عليهم يعني الفقر قيل هذا خطاب للذين يجلسون عند المريض وقد حضره الموت
فيقولون له انظر لنفسك فان اولادك وورثتك لا يغنون عنك شيئا قدم لنفسك اعتق وتصدق
واعط فلانا كذا حتى يأتي على عامة ماله فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بان يأمروه بالنظر لولده
ولا يزيد على الثلث في وصيته ولا يجحف والمعنى كما انكم تكرهون بقاء اولادكم في الضعف والجوع من غير مال
فاخشوا الله ولا تحملوا المريض على ان يحرم اولاده الضعفاء من ماله وحاصل هذا الكلام كما لا ترضى
مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضه لاخيك المسلم وكانه لو كان هذا القائل هو الموصي لسره ان يحثه من
يحضره على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عالة يتكففون الناس مع ضعفهم وعجزهم وقيل هو الرجل يحضره
الموت ويريد ان يوصي بشيء فيقول له من حضره من الرجال اتق الله وامسك مالك لولدك فيمنعوه من الوصية
لاقاربه المحتاجين وقيل يحتمل ان تكون الآية خطابا لمن قرب اجله ويكون المقصود نهيه عن تكثير
الوصية لئلا تبقى ورثته ضعفاء ضائعين بعد موته ثم ان كانت هذه الآية نزلت قبل تقدير الثلث
كان المراد منها ان لا يجعل الوصية مستغرقة للتركة وان كانت قد نزلت بعد تقدير الثلث كان المراد منها
ان يوصي بالثلث او باقل منه اذا خاف على ورثته كما روي عن كثير من الصحابة انهم وصوا بالقليل لاجل ذلك

وكانوا يقولون الخمس في الوصية افضل من الربع والربع افضل من الثلث وقد ورد في الصحيح الثلث والثلث كثير لان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس يعني يسالونهم باكفهم وقيل هو خطاب لولاة اليتامى والمعنى وليخش من يخاف على ولده من بعد موته ان تضيع مال اليتيم الضعيف الذي هو ذرية غيره اذا كان في حجره والمقصود من الآية ان من كان في حجره يتيم فليحسن اليه وليأت اليه في حقه وليفعل به ما يحب ان يفعل باولاده من بعده ﴿فليتقوا الله﴾ يعني في الامر الذي تقدم ذكره ﴿وليقولوا قولا سديدا﴾ يعني عدلا وصوابا فالقول السديد من الجالسين عند المريض هو ان يامره بان يتصدق بدون الثلث ويترك الباقي لولده وورثته وان لا يحيف في وصيته والقول السديد من الاوصياء واولياء اليتامى ان يكلموهم كما يكلمون اولادهم ولا يؤذوهم بقول ولا فعل قوله عز وجل ﴿ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما﴾ يعني حراما بغير حق ﴿انما ياكلون في بطونهم نارا﴾ يعني سياكلون يوم القيامة نارا فسمي الذي ياكلونه نارا لانه يؤول اليه امرهم يوم القيامة قال السدي يبعث آكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه واذنيه وعينيه وانفه يعرفه من رآه باكل مال اليتيم وفي حديث ابي سعيد الخدري قال حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة اسري به قال نظرت فاذا انا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من ياخذ بمشافرهم ثم يجعل في افواههم صخرا من نار يخرج من اسافلهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وقيل انما ذكر اكل النار على سبيل التمثيل والتوسع في الكلام والمراد ان اكل مال اليتيم ظلما يفضي به الى النار وانما خص الاكل بالذكر وان كان المراد سائر انواع الاتلافات وجميع التصرفات الرديئة المتلفة للمال لان الضرر يحصل بكل ذلك لليتيم فعبر عن جميع ذلك بالاكل لانه معظم المقصود وانما ذكر البطون للتاكيد فهو كقولك رايته بعيني وسمعته باذني ﴿وسيصلون سعيرا﴾ يعني باكلهم اموال اليتامى ظلما والسعير النار الموقدة المسعرة ولما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس واحترزوا من مخالطة اليتامى واموالهم بالكلية فشق ذلك على اليتامى فنزل قوله ﴿وان تخالطوهم فاخوانكم﴾ وقد توهم بعضهم ان قوله وان تخالطوهم ناسخ لهذه الآية وهذا غلط ممن توهمه لان هذه الآية واردة في المنع من اكل اموال اليتامى ظلما وهذا لا يصير منسوخا لان اكل مال اليتيم بغير حق من اعظم الآثام وقوله وان تخالطوهم ناسخ لهذه الآية فاخوانكم فانها واردة على سبيل الاصلاح في اموال اليتامى والاحسان اليهم وهو من اعظم القرب قوله تعالى ﴿يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين﴾ اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فروي عن جابر قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وابو بكر وهما ماشيان فوجداني اغمي علي فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه علي فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي كيف اقضي في مالي فلم يجبني بشيء حتى نزلت آية الميراث وفي رواية فقلت لا يرثني الا كلالة فكيف الميراث فنزلت آية الفرائض وفي رواية اخرى فنزلت يوصيكم الله في اولادكم وفي رواية اخرى فلم يرد علي شيئا حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم اخرجه البخاري ومسلم وقال مقاتل والكلبي نزلت في ام كجة امراة اوس بن ثابت وبناته وقال عطاء نزلت في سعد بن الربيع النقيب استشهد يوم احد وترك امراة وبنتين واخا عن جابر رضي الله عنه قال جاءت امراة سعد بن الربيع بابنتيها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل ابوهما معك يوم احد شهيدا وان عمهما اخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا تنكحان الا ولهما مال قال يقضي الله في ذلك فنزلت آية الميراث فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمهما فقال اعط ابنتي سعد الثلثين واعط امهما الثمن وما بقي فهو لك اخرجه الترمذي وقال السدي كان اهل الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الضعفاء من الغلمان لا يرث الرجل من ولده الا من اطاق القتال فمات عبد الرحمن اخو حسان الشاعر وترك امراة وخمس بنات فجاءت الورثة واخذوا ماله

فشكت امراة الى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وقبل الشروع في تفسير هذه الآية الكريمة نقدم فصولا تتضمن احكام الفرائض واصولا وقواعد لها

فصل في الحث على تعليم الفرائض اعلم ان علم الفرائض من اعظم العلوم قدرا واشرفها ذخرا وافضلها ذكرا وهي ركن من اركان الشريعة وفرع من فروعها في الحقيقة اشتغل الصدر الاول من الصحابة بتحصيلها وتكلموا في فروعها واصولها ويكفي في فضلها ان الله عز وجل تولى قسمتها بنفسه وانزلها في كتابه مبينة من محل قدسه وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليمها فيما رواه ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض والقرآن وعلموها الناس فاني مقبوض اخرجه الترمذي وقال فيه اضطراب واخرجه احمد بن حنبل وزاد فيه فاني امرؤ مقبوض والعلم مرفوع ويوشك ان يختلف اثنان في الفريضة فلا يجدان احدا يخبرهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض وعلموها فانه نصف العلم وهو اول علم ينسى واول شيء ينزع من امتي اخرجه ابن ماجه والدارقطني

فصل في بيان احكام الفرائض اذا مات الميت وله مال يبدا بتجهيزه من ماله ثم بقضاء ديونه ان كان عليه دين ثم انفاذ وصاياه وما فضل بعد ذلك من ماله يقسم بين ورثته والوارثون من الرجال عشرة الابن وابن الابن وان سفل والاب والجد وان علا والاخ سواء كان لاب وام او لاب او لام وابن الاخ للاب والام او للاب وان سفل والعم للاب والام او للاب وابناهما وان سفلوا والزوج والمعتق والوارثات من النساء سبع البنت وبنت الابن وان سفلت والام والجدة وان علت والاخت من كل الجهات والزوجة والمعتقة وستة منهم لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير وهم الابوان والولدان والزوجان لانه ليس بينهم وبين الميت واسطة ثم الورثة ثلاثة اصناف صنف يرث بالفرض المجرد وهم الزوجان والبنات والاخوات والامهات والجدات واولاد الام وصنف يرث بالتعصيب وهم البنون والاخوة وبنوهم والاعمام وبنوهم وصنف يرث بالتعصيب تارة وبالفرض اخرى وهو الاب والجد فيرث بالتعصيب اذا لم يكن للميت ولد فان كان له ابن ورث الاب بالفرض السدس وان كانت بنت ورثت السدس بالفرض واخذ الباقي بالتعصيب والعصبة اسم لمن حاز جميع المال اذا انفرد وياخذ ما فضل عن اصحاب الفرائض

فصل واسباب الارث ثلاثة نسب ونكاح وولاء فالنسب القرابة يرث بعضهم بعضا والنكاح هو ان يرث احد الزوجين من صاحبه بسبب النكاح والولاء ان المعتق وعصبته يرثون المعتق والاسباب التي تمنع الميراث اربعة اختلاف الدين فالكافر لا يرث المسلم ولا المسلم يرث الكافر لما روي عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم اخرجاه في الصحيحين فاما الكفار فيرث بعضهم بعضا مع اختلاف مللهم واديانهم لان الكفر كله ملة واحدة وذهب بعضهم الى ان اختلاف الملل في الكفر يمنع التوارث ايضا حتى لا يرث اليهودي من النصراني ولا النصراني من المجوسي والى هذا ذهب الزهري والاوزاعي واحمد واسحق لما روي عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتوارث بين اهل ملتين اخرجه الترمذي وقال احمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتوارث اهل ملتين شتى اخرجه ابو داود وحمله الآخرون على الاسلام والكفر لان الكفر عندهم ملة واحدة فيتوارث بعضهم من بعض فلا يكون فيه اثبات التوارث بين ملتين شتى والرق يمنع الارث لان الرقيق لا ملك له فلا يرث ولا يورث والقتل يمنع الارث عمدا كان القتل او خطأ لما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاتل لا يرث اخرجه الترمذي وقال هذا حديث لا يصح والعمل عليه عند اهل العلم ان القاتل لا يرث كان القتل عمدا او خطأ وقال بعضهم اذا كان القتل خطأ فانه يرث وهو قول مالك وعمى الموت وهو ان يخفى موت المتوارثين وذلك بان غرقا او انهدم عليهما بناء فلم يدر ايهما سبق موته فلا يرث احدهما الآخر بل يكون ميراث كل واحد منهما لمن كان في حياته يقينا بعد موته من ورثته فصل

والسهام المحدودة في الفرائض المذكورة في كتاب الله عز وجل ستة النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس
فالنصف فرض ثلاثة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب او بنت الابن عند عدم البنت
الصلب وفرض الاخت الواحدة للاب والام اذا لم يكن للميت ولد ولا اثنان من الاخوة والاخوات للاب والام والربع فرض
الزوج مع الولد وفرض الزوجة مع عدم الولد والثمن فرض الزوجة مع الولد والثلثان فرض البنتين فصاعدا
او بنتي الابن عند عدم ولد الصلب وفرض الاختين فصاعدا للاب والام او للاب والثلث فرض ثلاثة فرض الام
اذا لم يكن للميت ولد ولا اثنان من الاخوة والاخوات الا في مسئلتين احدهما زوج وابوان والاخرى زوجة وابوان
فان للام فيهما ثلث الباقي بعد نصيب الزوج والزوجة وفرض الاثنين فصاعدا من اولاد الام ذكرهم وانثاهم فيه
سواء وفرض الجد مع الاخوة اذا لم يكن في المسئلة صاحب فرض فكان الثلث خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة والسدس
فرض سبعة فرض الاب اذا كان للميت ولد وفرض الام اذا كان للميت ولد او ولد ابن او اثنان من الاخوة والاخوات
وفرض الجد اذا كان للميت ولد ومع الاخوة اذا كان في المسئلة صاحب فرض وكان السدس خيرا للجد من المقاسمة مع
الاخوة وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من اولاد الام ذكرا كان او انثى وفرض بنات الابن مع بنت الصلب
تكملة الثلثين ق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فهو لاولى رجل ذكر خ
عن ابن عباس قال كان المال للولد والوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما احب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل
للابوين لكل واحد منهما السدس والثلث وجعل للمراة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع فصل روي عن زيد
ابن ثابت قال ولد الابناء بمنزلة الابناء اذا لم يكن دونهم ابن ذكرهم كذكرهم وانثاهم كانثاهم يرثون كما يرثون ويحجبون
كما يحجبون ولا يرث ولد ابن مع ابن فان ترك ابنة وابن ابن ذكر كان للبنت النصف ولابن الابن ما بقي لقوله
صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فهو لاولى رجل ذكر ففي هذا الحديث دليل على ان بعض الورثة
يحجب البعض والحجب حجبان حجب نقصان وحجب حرمان اما الاول وهو حجب النقصان فهو ان الولد وولد
الابن يحجب الزوج من النصف الى الربع والزوجة من الربع الى الثمن والام من الثلث الى السدس وكذلك الاثنان الزوج مع
من الاخوة والاخوات يحجبون الام من الثلث الى السدس واما الثاني وهو حجب الحرمان فهو ان
الام تسقط الجدات واولاد الام وهم الاخوة للام يسقطون بثلاثة بالاب والابن وابن الابن وان
سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبه قال مالك
والاوزاعي والشافعي واحمد واولاد الاب يسقطون بهولاء الثلاثة وبالاخ للاب والام وذهب قوم الى ان الاخوة
جميعا يسقطون بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول ابي بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وابي الدرداء وعائشة
وبه قال الحسن وعطاء وطاوس وابو حنيفة والاقرب من العصبات يسقط الابعد منهم فاقربهم
الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد وان علا فان كان مع الجد احد من الاخوة والاخوات للاب والام
او للاب يشتركان في الميراث فان لم يكن جد فالاخ للاب والام ثم الاخ للاب ثم بنو الاخوة يقدم اقربهم
سواء كان لاب وام او لاب فان استووا في الدرجة فالذي هو لاب وام اولى ثم العم لاب وام ثم
العم لاب ثم بنوهم على ترتيب بني الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجد على هذا الترتيب فان لم يكن احد من عصبات
النسب وعلى الميت ولاء فالميراث للمعتق فان لم يكن حيا فلعصبات المعتق واربعة من الذكور يعصبون
الاناث الابن وابن الابن والاخ للاب والام والاخ للاب فلو مات عن ابن وبنت او عن اخ واخت لاب وام او
لاب يكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ولا فرض للبنت والاخت وكذلك ابن الابن يعصب من في
درجته من الاناث ومن فوقه اذا لم يأخذن من الثلثين شيئا حتى لو مات عن بنتين وبنت ابن وابن ابن فللبنتين

الثلثان

الثلثان والباقي بين ابن الابن وبنت الابن للذكر مثل حظ الانثيين فان كان في درجتها ابن ابن او اسفل منها ابن ابن ابن كان الباقي بينهما للذكر مثل حظ
الانثيين والاخت للاب والام او للاب تكون مع البنت عصبة حتى لو مات عن بنت واخت كان للبنت
النصف والباقي وهو النصف للاخت ولو مات عن بنتين واخت كان للبنتين الثلثان والباقي للاخت
ويدل على ذلك ما روي عن هزيل بن شرحبيل قال سئل ابو موسى عن ابنة وابنة ابن واخت فقال للابنة
النصف وللاخت النصف وأت ابن مسعود فسئل ابن مسعود واخبر بقول ابي موسى فقال ابن مسعود
لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين ثم قال اقضي فيها بما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم للابنة النصف ولابنة
الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللاخت فاخبر ابو موسى بقول ابن مسعود فقال لا تسئلوني ما
دام هذا الحبر فيكم اخرجه البخاري واما التفسير فقوله تعالى يوصيكم الله اي يعهد اليكم ويفرض عليكم بذكره
في اولادكم يعني في امر اولادكم اذا متم والوصية من الله اتى بـ وانما بدأ الله بميراث الاولاد لان تعلق قلب الانسان
بولده اشد من تعليقه بغيره فلهذا قدم الله ذكر ميراثهم للذكر مثل حظ الانثيين يعني ان للولد الذكر له من
الميراث ضعف سهام الانثى فللذكر سهمان وللانثى سهم فلو حصل مع الاولاد غيرهم من الورثة من اهل
الفروض كالابوين اخذوا فروضهم وما بقي بعد ذلك كان بين الاولاد للذكر مثل حظ الانثيين فان
كن يعني المتروكات من الاولاد نساء فوق اثنتين يعني بنتين فصاعدا واجمعت الامة على ان
للبنتين الثلثين الا ما روي عن ابن عباس انه ذهب الى ظاهر الاية وقال الثلثان فرض الثلث من
البنات لان الله تعالى قال فان كن نساء فوق اثنتين فجعل الثلثين للنساء اذا زدن على اثنتين
وعنده ان فرض البنتين النصف كفرض الواحدة واجيب عنه بوجوه فيها حجة لمذهب الجمهور
ايضا الوجه الاول ان الله تعالى قال وان كانت واحدة فلها النصف فجعل النصف
للواحدة وذلك ينفي حصول النصف نصيبا للبنتين الوجه الثاني ان في الاية تقديما وتاخيرا فالتقدير
فان كن نساء اثنتين فما فوقها فلهن الثلثان الوجه الثالث ان لفظة فوق هاهنا صلة والتقدير
فان كن نساء اثنتين فهو كقوله فاضربوا فوق الاعناق يعني فاضربوا الاعناق وانما سمى الاثنتين نساء لان لفظ
الجمع قد يطلق على الاثنين جماعة بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما الوجه الرابع قال علماء الجمهور انما
اعطينا البنتين الثلثين بنص القرآن لان الله تعالى جعل للبنت النصف بقوله وان كانت الواحدة
واحدة فلها النصف وجعل للاخت الواحدة النصف بقوله ان امرؤ هلك وله اخت فلها نصف ما
ترك ثم جعل للاختين الثلثين بقوله فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك فلما جعل للاختين الثلثين علمنا
ان للبنتين الثلثين على الاختين الوجه الخامس ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالثلثين لابنتي سعد بن
الربيع وهذا نص واضح في المسئلة وقوله تعالى وان كانت واحدة يعني البنت واحدة فلها النصف يعني
فرضا لها وله ولابويه يعني ابوي الميت كناية عن غير مذكور وهو الوالدان لكل واحد منهما السدس مما
ترك ان كان له ولد يعني ان للاب والام مع وجود الولد او ولد ابن لكل واحد منهما سدس الميراث واعلم
ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى فاذا مات الميت وترك ابوين وولدا ذكرا واحدا كان او اكثر او ترك
بنات فان للام السدس بالفرض وللاب السدس مع الولد الذكر بالفرض ومع البنات له السدس بالتعصيب
وهو الباقي من التركة وله مع البنت الواحدة السدس بالفرض والباقي بالتعصيب فان لم يكن له ولد يعني
للميت وورثه ابواه فلامه الثلث يعني ان الميت اذا مات عن ابويه وليس له وارث سواهما فان
الام تاخذ الثلث بالفرض وياخذ الاب باقي المال بالفرض والتعصيب فيكون المال بينهما اثلاثا للذكر مثل

حظ الانثيين فان كان مع الابوين احد الزوجين فيفرض للام ثلث الباقي بعد نصيب الزوج او الزوجة فان كان
له اخوة يعني للميت اخوة يعني ذكورا او اناثا فلامه السدس يعني لام الميت السدس اذا كان معها اب
واجمع العلماء على ان الثلاثة يحجبون الام من الثلث الى السدس واختلفوا في الاخوين فالاكثرون من الصحابة
يقولون ان الاخوين يحجبان الام من الثلث الى السدس وهو قول عمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت والجمهور
وقال ابن عباس لا يحجب الاخوة الام من الثلث الى السدس الا ان يكونوا ثلثة قال ابن عباس لعثمان لم صار الاخوان
يردان الام من الثلث الى السدس وانما قال الله تعالى فان كان له اخوة والاخوان في لسان قومك ليسا
باخوة فقال عثمان ان قومك حجبوها باخوين ولا استطيع نقض امر قد كان قبلي وانما نشا هذا الاختلاف
لانهم اختلفوا في اقل الجمع وفيه قولان احدهما ان اقل الجمع اثنان وهو قول القاضي ابي بكر الباقلاني وحجة
هذا القول انك اذا جمعت واحدا الى واحد فهما جماعة لان اصل الجمع ضم شي الى شي وقال ابن الانباري التثنية
عند العرب اول الجمع ومشهور في كلامهم ايقاع الجمع على التثنية ومن ذلك قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين
وهما داود وسليمان ومنه قوله تعالى فقد صغت قلوبكما يريد قلبيكما والقول الثاني ان اقل الجمع ثلاثة
وهو قول جمهور العلماء وهو الاصح انما حجب العلماء الام بالاخوين لدليل اتفقوا عليه وهو ان لفظ الاخوة
ينطلق على الاخوين فما زاد وذلك جائز في اللغة كما تقدم ثم ان الاخوة اذا حجبوا الام من الثلث الى السدس
فانهم لا يرثون شيا البتة بل ياخذ الاب الباقي لو خلف رجل ابوين واخوين فان للام السدس والباقي
خمسة اسداس للاب السدس بالفريضة والباقي بالتعصيب قال قتادة وانما حجب الاخوة الام
من غير ان يرثوا مع الاب شيا معونة للاب لانه يقوم بشانهم وينفق عليهم دون الام من بعد وصية يوصي
بها او دين يعني ان هذه الانصبة والسهام انما تقسم بعد قضاء الدين وانفاذ وصية الميت في ثلثه
وذكر الوصية مقدم على الدين في اللفظ لا في الحكم لان لفظ او لا توجب الترتيب وانما هي لاحد الشيين
كانه قال من بعد احد هذين مفردا او مضموما الى الاخر قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه انكم تقرؤون
الوصية قبل الدين وبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية وهذا اجماع ان الدين مقدم على الوصية
والارث مؤخر عنهما لان الدين حق على الميت والوصية حق له وهما مقدمان على حق الورثة قوله تعالى
اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا قيل هذا الكلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله
فريضة من الله ولا تعلق لمعناه بمعنى الاية ومعنى هذا الكلام في قول ابن عباس ان الله عز وجل يشفع المؤمنين
بعضهم في بعض فاطوعكم لله تعالى من الاباء والابناء ارفعكم درجة فان كان الوالد ارفع درجة من ولده رفع الله
اليه ولده وان كان الولد ارفع درجة من والديه رفع الله والديه لتقر بذلك اعينهم فقال تعالى لا تدرون ايهم اقرب
لكم نفعا لان احدهما لا يعرف منفعة صاحبه له في الجنة وسبقه الى منزلة عالية يكون سببا لرفعه اليها
وقيل ان هذا الكلام معترض بينها ومعناه متعلق بمعنى الاية يقول اباؤكم وابناؤكم يعني الذين يرثونكم
لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون انهم انفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن ان الاب انفع له فيكون
الابن انفع له ومنكم من يظن ان الابن انفع له فيكون الاب انفع له والله تعالى هو الذي دبر امركم على
ما فيه المصلحة لكم فاتبعوه ولو كان ذلك اليكم لم تعلموا ايهم انفع لكم فتعطون من لا يستحق ما لا يستحق من
الميراث ومنعتم من يستحق الميراث فريضة من الله يعني كان عليما بالاشيا قبل خلقها حكيما فيما قدر ان الله كان عليما
من المواريث وفرض من الاحكام وقيل معناه انه كان عليما بخلقه قبل ان يخلقهم حكيما حيث فرض للصغار
الكبار ولم يخص الكبار بالميراث كما كانت العرب تفعل وفي معنى لفظة كان ثلاثة اقوال احدها ان الله تعالى كان

عليما بالاشيا قبل خلقها ولم يزل كذلك الثاني حكى الزجاج عن سيبويه انه قال ان القوم لما شاهدوا علما
وحكمة ومغفرة وتفضلا فقيل لهم ان الله كان كذلك ولم يزل الله على ما شاهدتم الثالث قال الخليل
الخبر عن الله عز وجل بمثل هذه الاشيا كالخبر بالحال والاستقبال لان صفات الله لا يجوز عليها الزوال
والتقلب قوله عز وجل ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع
مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين هذا ميراث الازواج من الزوجات وقال تعالى في ميراث الزوجات
من الازواج ولهن يعني للزوجات الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم
من بعد وصية توصون بها او دين لما جعل الله في الموجب النسبي حظ الرجل مثل حظ الانثيين جعل في الموجب
السببي للرجل مثل حظ الانثيين واعلم ان الواحدة من النسا لها الربع او الثمن وكذلك لو كن
اربع زوجات فانهن يشتركن في الربع او الثمن واسم الولد يطلق على الذكر والانثى ولا فرق بين الولد
وولد الابن وولد البنت في ذلك وسوا كان الولد للرجل من الزوجة او من غيرها قوله تعالى وان كان
رجل يورث كلالة او امراة تقدير الاية وان كان رجل او امراة يورث كلالة واختلفوا في الكلالة فذهب
اكثر الصحابة الى ان الكلالة من لا ولد له ولا والد وروى الشعبي قال سيل ابو بكر الصديق عن الكلالة فقال
ساقول فيها قولا برايي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطا فمني ومن الشيطان اراه ما خلا الوالد
والولد فلما استخلف عمر قال اني لاستحيي الله ان ارد شيا قاله ابو بكر وهذا قول علي وابن مسعود وزيد
ابن ثابت واحدى الروايتين عن عمر وابن عباس وهذا القول هو الصحيح المختار ويدل على صحته ان
اشتقاق الكلالة من كلت الرحم بين فلان وفلان اذا تباعدت القرابة بينهم فسميت القرابة
البعيدة كلالة من هذا الوجه وقيل ان الكلالة في اصل اللغة عبارة عن الاحاطة ومنه الاكليل
لاحاطته بالراس فمن عدا الوالد والولد من القرابة انما سموا كلالة لانهم كالدائرة المحيطة بالانسان
اما نسبة الولادة فليست كذلك لان فيها تفرع البعض عن البعض ويتولد البعض من البعض فهو
كالشي الواحد الذي يتزايد على نسق واحد فاما القرابة المغايرة لقرابة الولادة وهم الاخوة والاخوات والاعمام
والعمات ونحوهم فانما يحصل لنسبهم اتصال واحاطة بالمنسوب اليه فثبت بذلك ان الكلالة عبارة
عما عدا الوالد والولد والرواية الاخرى عن عمر وابن عباس ان الكلالة من لا ولد له وبه قال طاوس
واحتج لهذا القول بقوله تعالى قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وبيانه عند عامة
العلما ماخوذ من حديث جابر بن عبد الله لان الاية نزلت فيه ولم يكن له يومئذ ولد ولا اب لان
اباه قتل يوم احد واية الكلالة نزلت في اخر عمر النبي صلى الله عليه وسلم فصار شان جابر بيانا لمراد
الاية التي في اخر السورة لنزولها فيه واختلفوا في ان الكلالة اسم لمن فمنهم من قال هو اسم للميت
وهو قول علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس لانه مات عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسبه وقيل
هو اسم للحي من الورثة وهو قول ابي بكر الصديق وعليه جمهور العلما الذين قالوا ان الكلالة من دون
الوالد والولد ويدل عليه حديث جابر انما يرثني كلالة اي يرثني ورثة ليسوا بولد ولا والد فان كان المراد
بالكلالة الميت المورث فالمراد به غير الوالد والولد وان كان المراد الوارثين فهم غير الوالد والولد وقال
ابن زيد الكلالة الذي لا ولد له ولا والد الحي والميت كلهم كلالة هذا يرث بالكلالة وهذا يورث بالكلالة وقال
ابو الخير سال رجل عقبة عن الكلالة فقال الا تعجبون من هذا يسالني عن الكلالة وما اعضل باصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم شي ما اعضلت بهم الكلالة وعن عمر قال ثلاث وددت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا

فيهن عهدا ننتهي اليه الجد والكلالة وابواب من ابواب الربا وهذا طرف من حديث في ذكر الجد عن معدان بن ابي طلحة
قال خطب عمر بن الخطاب فقال اني لا ادع بعدي شيئا اهم عندي من الكلالة ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء
ما راجعته في الكلالة وما اغلظ لي في شيء ما اغلظ لي في الكلالة حتى طعن باصبعه في صدري وقال يا عمر الا يكفيك اية الصيف
التي في اخر سورة النساء واني ان اعش اقضي فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن اخرجه
مسلم قوله الا يكفيك اية الصيف اراد ان الله عز وجل انزل في الكلالة ايتين احداهما في الشتاء وهي التي في اول
سورة النساء والاية الاخرى في الصيف وهي التي في اخر السورة وفيها من البيان ما ليس في اية الشتاء فلذلك
احاله عليها وقوله عز وجل وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس اراد به الاخ والاخت للام باتفاق
العلماء وقرأ سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام فان قلت ان الله تعالى قال وان كان رجل يورث كلالة
او امرأة ثم قال تعالى وله اخ فذكر الرجل ولم يذكر المرأة فما السبب فيه قلت هذا على عادة العرب فانهم اذا
ذكروا اسمين اخبروا عنهما وكانا في الحكم سواء ربما اضافوا الى احدهما الى الاخر وربما اضافوا اليهما فهو كقوله تعالى
واستعينوا بالصبر والصلوة ثم قال تعالى وانها لكبيرة وقال الفراء اذا جاء حرفان في معنى واحد جاز اسناد
التفسير الى ايهما وجوز اسناده اليهما ايضا فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث وهذا باجماع
العلماء ان اولاد الام اذا كانوا اثنين فصاعدا يشتركون في الثلث ذكرهم وانثاهم فيه سواء قال ابو بكر الصديق
في خطبته الا ان الاية التي انزل الله في اول سورة النساء في شأن الفرائض والاية الثانية التي ختم بها
سورة النساء في الاخوة والاخوات من الاب والام والاية التي ختم بها سورة الانفال انزلها الله في اولي الارحام بعضهم
اولى ببعض في كتاب الله وقوله تعالى من بعد وصية يوصى بها او دين تقدم تفسيره وبقي شيء من الاحكام
نذكرها هنا وذلك ان ظاهر الاية يدل على جواز الوصية بكل المال وببعضه وفي معنى الاية ما روي عن نافع عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء يريد ان يوصي به ان يبيت
ليلتين وفي رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول ما مرت
علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا وعندي وصيتي مكتوبة اخرجاه في الصحيحين
فمن ظاهر الاية والحديث ما يدل على اطلاق الوصية لكن ورد في السنة ما يدل على تقييد هذا المطلق وتخصيصه
وهو قوله صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن ابي وقاص قال الثلث والثلث كثير انك ان تذر ورثتك اغنياء
خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان الوصية
لا تجوز باكثر من الثلث وان النقصان عن الثلث جائز ولا تجوز الوصية لوارث ويدل عليه ما روي
عن عمرو بن خارجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل اعطى كل ذي حق حقه
فلا وصية لوارث اخرجه ابو داود وقوله تعالى غير مضار يعني غير مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث
في الوصية وهو ان يوصي باكثر من الثلث وقيل هو ان يوصي بدين ليس عليه او يقر بماله او اكثر ماله
لاجنبي ويترك ورثته عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل والمرأة بطاعة
الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ ابو هريرة من بعد وصية
يوصى بها او دين الى قوله ذلك الفوز العظيم اخرجه ابو داود والترمذي وقال قتادة كره الله الضرار
في الحياة وعند الموت ونهى عنه وقدم فيه وقيل ان الاضرار في الوصية فدل على ان ذلك من الكبائر
واعلم ان الاولى بالانسان ان ينظر عند الموت في قدر ما يخلف من المال ومن يخلف من الورثة ثم
يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان ماله قليلا وفي الورثة كثرة فالاولى به ان لا يوصي بشيء كقوله صلى الله

وصية سعد ابن ابي

لسعد بن ابي وقاص انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس وان كان في المال
كثرة اوصى بحسب المال وبحسب حال الورثة قوله وصية من الله وقيل عهدا من الله اليكم فيما يجب لكم من ميراث
من مات منكم والله عليم يعني انه تعالى عليم بمصالح عباده وبمضارهم وبما يجب عليهم من الاحكام
وقيل عليم بمن يجور في وصيته ومن لا يجور حليم يعني انه تعالى ذو حلم وذو اناة في ترك العقوبة
عن من جار في وصيته وقال ابو سليمان الخطابي الحليم ذو الصفح والاناة الذي لا يستفزه غضب ولا
يستخفه جهل جاهل والحليم هو الصفوح مع القدرة المتاني الذي لا يعجل بالعقوبة قوله عز وجل
تلك حدود الله يعني الاحكام التي تقدم ذكرها في هذه السورة في مال اليتامى والوصايا والانكحة والمواريث
وانما سماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين فلا يجوز لهم ان يتجاوزوها وقال ابن عباس
يريد ما حد الله من فرائضه ومن يطع الله ورسوله يعني في شأن المواريث ولم يرض بقسمة الله ورسوله
ويتعد حدوده يعني ويتعد ما امر الله تعالى يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين فان قلت
كيف قطع للعاصي بالخلود في النار في هذه الاية وهل فيها دليل للمعتزلة على قولهم ان العصاة والفساق
من اهل الايمان يخلدون في النار قلت قال الضحاك المعصية هنا الشرك وروى عكرمة عن ابن عباس في معنى
الاية من لم يرض بقسمة الله ويتعدى ما قال الله يدخله نارا وقال الكلبي يكفر بقسمة المواريث ويتعدى ما قال الله
يدخله نارا وقال الكلبي يكفر بقسمة المواريث ويتعدى حدود الله استحلالا اذا ثبت ذلك فمن رد حكم
الله ولم يرض بقسمه كفر بذلك واذا كفر كان حكمه حكم الكفار في الخلود في النار اذا لم يتب قبل موته وان مات
وهو مصر على ذلك كان مخلدا في النار بكفره فلا دليل في الاية للمعتزلة والله اعلم قوله تعالى واللاتي هو
جمع التي وهي كلمة يخبر بها عن المؤنث خاصة يأتين الفاحشة يعني يفعلن الفاحشة يقال اتيت امرا
قبيحا اذا فعلته والفاحشة في اللغة الفعلة القبيحة وقيل الفاحشة عبارة عن كل فعل او قول
يعظم قبحه في النفوس ويقبح ذكره في الالسنة حتى يبلغ الغاية في جنسه وذلك مخصوص بشهوة الفرج
الحرام ولذلك اجمعوا على ان الفاحشة هاهنا هي الزنا وانما سمي الزنا فاحشة لزيادة قبحه من نسائكم
قيل هن الزوجات وقيل المراد بهن جنس النساء فاستشهدوا عليهن اربعة منكم يعني من
المسلمين وهذا الخطاب للازواج اي اطلبوا اربعة منكم يعني من المسلمين وهذا خطاب من الشهود
ليشهدوا عليهن وقيل هو خطاب للحكام اي اسمعوا شهادة اربعة عليهن ويشترط في هذه الشهادة
العدالة والذكورة قال عمر بن الخطاب انما جعل الله الشهود اربعة سترا لكم به دون فواحشكم
فان شهدوا يعني الشهود بالزنا فامسكوهن في البيوت اي فاحبسوهن في البيوت والحكمة في
حبسهن ان المرأة انما تقع في الزنا عند الخروج والبروز للرجال فاذا حبست في البيت لم تقدر على الزنا
حتى يتوفاهن الموت يعني يتوفاهن ملائكة الموت عند انقضاء اجالهن او يجعل الله لهن سبيلا وهذا
الحكم كان في الاسلام قبل نزول الحدود كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه كرب لذلك وتربد وجهه
فانزل الله عليه ذات يوم فلقي كذلك فلما سري عنه قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد
مائة ونفي سنة والثيب الزاني بالثيب جلد مائة والرجم فصل اتفق العلماء على ان هذه
الاية منسوخة ثم اختلفوا في ناسخها فذهب بعضهم الى ان ناسخها هو حديث عبادة بن الصامت
المتقدم وهذا على مذهب من يرى نسخ القرآن بالسنة وذهب بعضهم الى ان الاية منسوخة باية
الجلد التي في سورة النور وقيل ان هذه الاية منسوخة بالحديث والحديث منسوخ باية الجلد وقال

كانت المرأة اذا زنت حبست في البيت حتى تموت ثم جعل الله لهن سبيلا ... عن عبادة بن الصامت قال

ابو سليمان الخطابي لم يحصل النسخ في هذه الآية ولا في الحديث وذلك لان قوله تعالى فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن
الموت او يجعل الله لهن سبيلا يدل على ان امساكهن في البيوت ممدود الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا
وان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الحديث صار
هذا الحديث بيانا لتلك الآية المجملة لا ناسخا لها واجمع العلماء على جلد البكر الزاني مائة ورجم المحصن
وهو الذي اجتمع فيه اربعة اوصاف البلوغ والعقل والحرية والاصابة في نكاح صحيح وهو الثيب واختلفوا
في جلد الثيب ورجمه فذهبت طائفة الى انه يجب الجمع بينهما وبه قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه والحسن
البصري واسحق بن راهويه وداود واهل الظاهر وروي عن علي بن ابي طالب انه جلد شراحة الهمدانية يوم
الخميس ورجمها يوم الجمعة وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جماهير
العلماء الواجب على المحصن الزاني الرجم وحده لان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية ولم يجلدهما
واما تغريب البكر الزاني ونفيه سنة فمذهب الشافعي وجماهير العلماء وقال ابو حنيفة وحماد
لا يقضي بالنفي جبرا الا ان يراه الحاكم تعزيرا وقال مالك والاوزاعي لا نفي على النساء ويروى مثله
عن علي قالوا لان المرأة عورة وفي نفيها تضييع لها وتعريض لها للفتنة وحجة الشافعي وجماهير
العلماء ظاهر حديث عبادة بن الصامت وهو قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة وروى
نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب وان كان الزاني عبدا فعليه خمسون وفي تغريبه قولان
فان قلت انه يغرب ففيه قولان اصحهما انه يغرب نصف سنة قياسا على حده وان كان الزاني
مجنونا او صبيا غير بالغ فلا حد عليه قوله عز وجل واللذان يأتيانها فهو تثنية الذي يأتيانها يعني يأتيان
الفاحشة منكم يعني من رجالكم ونسائكم وقيل هما البكران اللذان لم يحصنا وهما غير المعنيين بالآية
الاولى وقيل المراد بمن ذكر في الاولى النساء وهذه للرجال لان الله تعالى حكم في الآية الاولى بالحبس
في البيت لانه يحتاج الى الخروج على النساء وهو اللائق بحالهن لان المرأة انما تقع في فعل الفاحشة عند
الخروج فاذا حبست في البيت انقطعت مادة المعصية واما الرجل فلا يمكن حبسه في البيت لانه
محتاج الى الخروج في اصلاح معاشه واكتساب قوت عياله فجعلت عقوبة الرجل الزاني الاذى
بالقول والفعل فآذوهما يعني عيروهما بالقول باللسان وهو ان يقال له اما خفت الله اما
استحييت من الله حيث زنيت وقال ابن عباس سبوهما واشتموهما وفي رواية عنه قال هو باللسان
واليد يؤذى بالتعيير ويضرب بالنعال فان تابا يعني من الفاحشة واصلحا يعني العمل
فيما يأتي فاعرضوا عنهما اي اتركوهما لا تؤذوهما ان الله كان توابا رحيما يعني انه تعالى يعود على
عبده بفضله ومغفرته ورحمته اذا تاب اليه وهذا الحكم كان في ابتداء الاسلام كان حد الزاني
الاذى بالتوبيخ والتعيير بالقول باللسان فلما نزلت الحدود وثبتت الاحكام نسخ ذلك الاذى
بالآية التي في سورة النور وهو قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة
ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله الآية فثبت الجلد على البكر بنص الكتاب وثبت الرجم على الثيب
المحصن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وكان قد احصن
وسواء في هذا الحكم المسلم واليهودي لانه ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا
وكانا قد احصنا وقال ابو حنيفة لا رجم على اليهودي لان المشرك ليس بمحصن واجيب عنه بان
المراد بهذا الاحصان احصان العفاف لا احصان التزوج قوله تعالى انما التوبة على الله يعني التوبة التي يقبلها

الله

الله فيكون على بمعنى عند وقيل على بمعنى من اي من الله وقال اهل المعاني ان الله عز وجل وعد قبول التوبة
من المؤمنين في قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة واذا وعد الله شيئا انجز ميعاده وصدق فيه فمعنى
قوله على الله اوجب على نفسه من غير ايجاب احد عليه لانه تعالى يفعل ما يريد للذين يعملون
السوء يعني الذنوب والمعاصي سميت سوءا لسوء عاقبتها اذا لم يتب منها بجهالة قال قتادة
اجمع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على ان كل شيء عصي الله به فهو جهالة عمدا كان او غيره وكل من
عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته عمل السوء فكل من عصى الله سمي جاهلا وسمي فعله جهالة وانما سمي
من عصى الله جاهلا لانه لم يستعمل ما معه من العلم بالثواب والعقاب واذا لم يستعمل ذلك سمي جاهلا
بهذا الاعتبار وقيل معنى الجهالة ان يأتي الانسان بالذنب مع العلم بانه ذنب لكنه يجهل عقوبته
وقيل معنى الجهالة هو اختيار اللذة الفانية على اللذة الباقية ثم يتوبون من قريب
يعني يتوبون بعد الاقلاع عن الذنب بزمان قريب لئلا يعد في زمرة المصرين وقيل القريب
ان يتوب في صحته قبل مرض موته وقبل قبل موته وقيل قبل معاينة ملك الموت ومعاينة
اهوال الموت وانما سميت هذه المدة قريبة لان كل ما هو آت فهو قريب وفيه تنبيه على ان عمر الانسان
وان طال فهو قليل وان الانسان يتوقع في كل ساعة ولحظة نزول الموت به عن ابن عمر ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اخرجه الترمذي الغرغرة ان يجعل المشروب
في فم المريض فيردده في الحلق ولا يصل اليه ولا يقدر على بلعه وذلك عند بلوغ الروح الى الحلقوم
وروى البغوي بسنده عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قال
وعزتك يا رب لا ابرح اغوي عبادك ما دامت ارواحهم في اجسادهم فقال الرب تبارك وتعالى
وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لا ازال اغفر لهم ما استغفروني وقيل في معنى الآية ان القريب
هو ان يتوب الانسان قبل ان يحيط السوء بحسناته فيحبطها فاولئك يتوب الله عليهم
يعني يقبل توبتهم وكان الله عليما حكيما قال ابن عباس علم ما في قلوب المؤمنين من التصديق
واليقين فحكم بالتوبة قبل الموت ولو بقدر فواق وقيل معنى الآية علم انهم انما اتوا تلك المعصية
لاستيلاء الشهوة والجهالة عليهم فحكم بالتوبة قبل الموت لمن تاب عنها واناب عن قريب
قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات قال ابن عباس يريد الشرك وقال ابو العالية
وسعيد بن جبير هم المنافقون وقال سفيان الثوري هم المسلمون الا ترى انه قال ولا الذين يموتون
وهم كفار حتى اذا حضر احدهم الموت يعني وقع في النزع وعاين ملائكة الموت وهي حالة السوق
حين تساق الروح للخروج من جسده قال اني تبت الآن قال المحققون قرب الموت لا يمنع
من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الاحوال التي لا يمكن معها الرجوع الى الدنيا بحال
ولذلك لم تقبل توبة فرعون ولا ايمانه وهو قوله تعالى حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله
الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين
ويدل عليه ايضا قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا فان قلت قد تعلقت الوعيدية بهذه
الآية وقالوا اخبر الله تعالى ان عصاة المؤمنين اذا اهملوا امر التوبة الى حضور اجالهم حصلوا على عذاب
لا آخر مع الكفار لان الله تعالى جمعهم في قوله اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما يعني انه تعالى اخبر انه لا
يتوب لهم عند معاينة الموت واسبابه قلت ليس الامر على ما زعموا فقد روي عن ابن عباس في قوله

وليست التوبة للذين يعملون السيئات يعني الشرك وقال سعيد بن جبير نزلت الآية الأولى في المؤمنين يعني قوله إنما
التوبة على الله والوسطى في المنافقين يعني قوله وليست التوبة والأخرى في الكافرين يعني قوله
ولا الذين يموتون وهم كفار وإذا كانت الآية نازلة في الكفار والمنافقين فلا وجه لحملها على المؤمنين وعلى
تقدير أن تكون الآية نازلة في عصاة المؤمنين فقد روي عن ابن عباس في قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات
ثم أنزل الله تعالى بعد ذلك أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فحرم الله المغفرة على من مات
وهو كافر وأرجى أهل التوحيد إلى مشيئته ولم يؤيسهم من المغفرة فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة
في حق المؤمنين وقوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار معناه لا توبة للكفار إذا ماتوا على كفرهم وإنهم لا
تقبل توبتهم في الآخرة لرفع التكليف في الآخرة ومعاينة ما وعدوا به من العقاب أولئك أعتدنا لهم
يعني هيأنا لهم عذابا أليما قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها نزلت في أهل المدينة
وذلك أنهم كانوا في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا مات الرجل وخلف امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريبه من ذوي
عصبته فألقى ثوبه على تلك المرأة أو على خبائها صار أحق بها من نفسها ومن غيره فإن شاء تزوجها
بغير صداق إلا الصداق الأول الذي أصدقها الميت وإن شاء زوجها غيره وأخذ هو صداقها وإن
شاء عضلها ومنعها من الأزواج يضارها بذلك لتفتدي منه بما ورثته من الميت أو تموت هي فيرثها
فإن ذهبت المرأة إلى أهلها قبل أن يلقي عليها ولي زوجها ثوبه كانت أحق بنفسها وكانوا على ذلك
حتى توفي أبو قيس بن الأسلت الأنصاري وترك امرأته كبيشة بنت [illegible] الأنصارية فقام ابن له من غيرها
يقال له حصن وقيل اسمه قيس بن أبي قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها ولم يقربها ولم ينفق
عليها يضارها بذلك لتفتدي منه فأتت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن
أبا قيس توفي وورث نكاحي ابنه فلا هو ينفق علي ولا هو يدخل بي ولا يخلي سبيلي فقال اقعدي في بيتك
حتى يأتي أمر الله فيك فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها يعني ميراث
نكاح النساء وقيل معناه أن ترثوا أموالهن كرها يعني وهن كارهات ولا تعضلوهن أي
ولا تمنعوهن من الأزواج وأصل العضل المنع لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن يعني لتضاروهن
فتفتدي ببعض مالها قيل هو خطاب للأزواج قال ابن عباس هذا في الرجل تكون له امرأة
وهو كاره لصحبتها ولها عليه مهر فيضارها لتفتدي منه وترد إليه ما ساق إليها من المهر
فنهى الله عن ذلك وقيل كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها ثم يطلقها يضارها بذلك فنهوا عن ذلك
وقيل هو خطاب لأولياء الميت فنهاهم الله عن عضل المرأة ثم قال تعالى إلا أن يأتين بفاحشة مبينة يعني
فيحل لكم ضرارهن ليفتدين منكم واختلفوا في الفاحشة المبينة فقيل هي النشوز وسوء الخلق
وأذى الزوج وأهله وقيل الفاحشة هي الزنا يعني أن المرأة إذا نشزت أو زنت حل للزوج أن
يسألها الخلع وقيل كانت المرأة إذا أصابت فاحشة أخذ منها زوجها ما ساق إليها وأخرجها
فنسخ الله ذلك بالحدود وعاشروهن بالمعروف قيل هو راجع إلى الكلام الذي قبله والمعنى وآتوا النساء
صدقاتهن نحلة وعاشروهن بالمعروف والمعاشرة بالمعروف هو الإجمال في القول والمبيت والنفقة
وقيل هو أن تصنع لها كما تحب أن تصنع لك فإن كرهتموهن يعني فإن كرهتم عشرتهن وصحبتهن
وآثرتم فراقهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا قال ابن عباس ربما رزق منها
ولدا فجعل الله في ولدها خيرا كثيرا فتنقلب الكراهة محبة والنفرة رغبة وقيل في الآية ندب

الى

إلى إمساك المرأة مع الكراهة لها لأنه إذا كره صحبتها وتحمل ذلك المكروه طلبا للثواب وأنفق عليها
وأحسن هو صحبتها استحق الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة وقيل في معنى الآية — العقبى
إنكم إن كرهتموهن ورغبتم في فراقهن فربما جعل الله في تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا وذلك بأن
تخلص من هذا الزوج الكاره لها وتتزوج غيره خيرا منه قوله عز وجل وإن أردتم استبدال زوج
مكان زوج الخطاب للرجال والمراد بالزوج الزوجة قال المفسرون لما ذكر الله في الآية الأولى مضارة
الزوجات إذا أتين بفاحشة وهي إما النشوز أو الزنا بين في هذه الآية تحريم المضارة إذا لم يكن
من قبلها نشوز ولا زنا والنهي عن بخس الرجل حق المرأة إذا أراد طلاقها واستبدال غيرها به و
آتيتم إحداهن قنطارا يعني وإن كان ذلك الصداق مالا كثيرا وفي الآية دليل على جواز المغالاة
في المهور روي أن عمر قال على المنبر ألا لا تغالوا في مهور نسائكم فقامت امرأة فقالت يا ابن الخطاب
الله يعطينا وأنت تمنعنا وتلت الآية فقال كل الناس أفقه من عمر وفي رواية امرأة أصابت وأمير
أخطأ ورجع عن كراهة المغالاة وقد تغالى الناس في صدقات النساء حتى بلغوا الألوف وقيل إن
خير المهور أيسرها وأسهلها فلا تأخذوا منه شيئا وذلك أن سوء العشرة إما أن يكون من قبل
الزوج أو من قبل الزوجة فإن كان من قبل الزوج وأراد طلاق المرأة فلا يحل له أن يأخذ شيئا من
صداقها وإن كان النشوز من قبل المرأة جاز له ذلك أتأخذونه استفهام بمعنى التوبيخ
بهتانا يعني ظلما وقيل باطلا وإثما مبينا يعني أتأخذونه مباهتين آثمين فلا تفعلوا مثل
هذا الفعل مع ظهور قبحه في الشرع والعقل ثم قال تعالى وكيف تأخذونه كلمة تعجب والمعنى لأي وجه
تفعلون مثل هذا الفعل وكيف يليق بالعاقل أن يسترد شيئا بذله لزوجته عن طيب نفس
وقيل هو استفهام معناه التوبيخ والتعظيم لأخذ المهر بغير حله ثم ذكر السبب في ذلك فقال
تعالى وقد أفضى بعضكم إلى بعض أصل الإفضاء في اللغة الوصول يقال أفضى إليه أي وصل
إليه ثم للمفسرين في معنى الإفضاء في هذه الآية قولان أحدهما أنه كناية عن الجماع وهو قول ابن عباس
ومجاهد والسدي واختيار الزجاج وابن قتيبة ومذهب الشافعي لأن عنده أن الزوج
إذا طلق قبل المسيس فله أن يرجع بنصف المهر وإن خلا بها والقول الثاني في معنى الإفضاء
هو أن يخلو بها وإن لم يجامعها قال الكلبي الإفضاء أن يكون معها في لحاف واحد جامعها أو لم
يجامعها وهذا القول هو اختيار الفراء ومذهب أبي حنيفة لأن الخلوة الصحيحة عنده تقرر
المهر وأخذن منكم ميثاقا غليظا قيل هو قول العاقد عند العقد زوجتكها على ما أخذ
الله للنساء على الرجال من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان وقيل هي كلمة النكاح المعقودة
على الصداق وهي الكلمة التي يستحل بها فروج النساء ويدل على ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم — نظام
في حجة الوداع قال اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله
قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء قال المفسرون كان أهل الجاهلية يتزوجون
أزواج آبائهم فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية روي أنه لما توفي أبو قيس وكان من صالحي الأنصار
خطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت إني أتخذك ولدا وأنت من صالحي قومك ولكني آتي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأستأمره فأتته فأخبرته فأنزل الله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف
يعني إلا ما مضى في الجاهلية قبل نزول التحريم فإنه معفو عنه إنه كان فاحشة إنما سماه فاحشة

لان زوجة الابن بمنزلة الام ونكاح الامهات حرام فلما كان ذلك كذلك سماه الله فاحشة لانه من افحش المعاصي ومقتا
يعني انه يورث المقت من الله وهو اشد البغض وغاية الخزي والخسارة وساء سبيلا اي وبئس ذلك طريقا لانه
يؤدي الى مقت الله والعرب تسمي ولد الرجل من امراة ابيه مقتيا وكان منهم الاشعث بن قيس وابو معيط
ابن ابي عمرو بن امية روى البغوي بسنده عن البراء بن عازب قال مر بي خالي ومعه لواء فقلت اين تذهب قال
بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امراة ابيه آتيه براسه قوله عز وجل حرمت عليكم امهاتكم
بين الله عز وجل في هذه الاية المحرمات من النساء بسبب الوصلة اما بسبب او نسب خرج عن ابن عباس
قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرا حرمت عليكم امهاتكم الاية فجملة المحرمات من النساء في
الكتاب اربعة عشر صنفا فاما المحرمات بالنسب فقوله حرمت عليكم امهاتكم جمع ام واصل امهات امات
وانما زيدت الهاء للتوكيد والام هي الوالدة القريبة ويدخل في حكمها كل امراة رجع النسب اليها من جهة
الاب او من جهة الام بدرجة او درجات وهي عبارة عن كل انثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او بدرجات
وعن جميع الجدات وان علون فيحرم نكاح الام وجميع الجدات وبناتكم والبنت عبارة عن كل انثى رجع نسبها
اليك بالولادة بدرجة او بدرجات بانات كبنت البنت وان سفلت وكذا بنت الابن واخواتكم جمع اخت
وهي عبارة عن كل امراة شاركتك في اصلك فيدخل فيها الاخوات من الاب والام والاخوات من الاب والاخوات
من الام والاخوات من الاب والاخوات من الام وعماتكم جمع عمة وهي كل امراة شاركت اباك في اصليه وهي جميع
اخوات الاب واخوات ابائه وان علون وقد تكون العمة من جهة الام ايضا وهي اخت ابي الام وخالاتكم جمع
خالة وهي كل امراة شاركت الام في اصليها فيدخل فيهن جميع اخوات الام واخوات امهاتها وقد تكون
الخالة من جهة الاب ايضا وهي خالة الاب وبنات الاخ وبنات الاخت وهي عبارة عن كل امراة لاخيك
او لاختك عليها ولادة ويرجع نسبها الى الاخ او الاخت فيدخل فيهن جميع بنات اولاد الاخ والاخت
وان سفلت فهذه الاصناف السبعة محرمة بسبب النسب بنص الكتاب وجملته انه يحرم على الرجل اصوله
وفصوله وفصول اول اصوله واول فصل من كل اصل بعده اصل فالاصول هن الامهات والجدات والفصول
هن البنات وبنات الاولاد وفصول اول الاصول هن الاخوات وبنات الاخوة والاخوات واول فصل من كل
اصل بعده اصل هن العمات والخالات وان علون قال العلماء كل امراة حرم الله نكاحها بالنسب
والرحم فحرمة مؤبدة لا تحل بوجه من الوجوه الصنف الثاني المحرمات بالنسب وهن سبع الاول
والثاني المحرمات بالرضاع وذلك في قوله تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة كل
انثى انتسبت باللبن اليها فهي امك وبنتها اختك وانما نص الله على ذكر الام والاخت ليدل بذلك
على جميع الاصول والفروع فنبه بذلك انه تعالى اجرى الرضاع مجرى النسب ويدل على ذلك ما روي
عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة اخرجاه في الصحيحين ق
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنت حمزة انها لا تحل لي ويحرم من الرضاع ما
يحرم من النسب وهي ابنة اخي من الرضاعة فكل من حرمت بسبب حرم نظيرها بسبب الرضاعة
وانما سماهن الله مرضعات امهات لاجل الحرمة فيحرم عليه نكاحها ويحل له النظر اليها والخلوة بها والسفر
معها ولا يترتب عليه جميع احكام الامومة من كل وجه وانما تثبت حرمة الرضاع فلا يتوارثان ولا يجب على
واحد منهما نفقة الآخر وغير ذلك من الاحكام وانما تثبت حرمة الرضاع بشرطين احدهما ان يكون ارضاع الصبي
في حال الصغر وذلك الى انتهاء سنتين من ولادته لقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين

اخت ام الاب

كاملين

تعالى
كاملين وقوله وفصاله في عامين عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعاء
في الثدي وكان قبل الفطام اخرجه الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لا رضاعة الا ما كان في الحولين اخرجه
مالك في الموطا باطول من هذا واخرجه ابو داود مختصرا قال قال عبد الله بن مسعود لا رضاع الا ما شد العظم
وقال ابو حنيفة مدة الرضاع ثلثون شهرا لقوله وحمله وفصاله ثلثون شهرا وحمله الجمهور على اقل
مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لان مدة الحمل داخلة فيه واقله ستة اشهر الشرط الثاني ان يوجد
خمس رضعات متفرقات روي ذلك عن عائشة وبه قال عبد الله بن الزبير واليه ذهب الشافعي ويدل على
ذلك ما روي عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم المصة ولا المصتان اخرجه مسلم م عن ام الفضل
ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم الاملاجة ولا الاملاجتان م وفي رواية ان رجلا من بني عامر بن صعصعة
قال يا نبي الله هل تحرم الرضعة الواحدة قال لا م عن عائشة قالت كانت فيما انزل من القران عشر
رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما
يقرا من القران قولها فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرا من القران يحتمل انه لم يبلغها نسخ
ذلك واجمعوا على ان هذا الايتان نسخ تلاوته وبقي حكمه وذهب جمهور العلماء الى ان قليل
الرضاع وكثيره يحرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب واليه ذهب الثوري
والاوزاعي ومالك وابن المبارك وابو حنيفة واحمد في احدى الروايتين عنه والرواية الاخرى كمذهب
الشافعي واحتج من ذهب مذهب الجمهور بمطلق الاية لانه علق بعموم القران وظاهره ولم يذكر عددا واجاب
الشافعي ومن وافقه في هذه المسالة بان السنة مبينة للقران ومفسرة له وقوله تعالى وامهات
نسائكم يعني ان تزوج الرجل بامراة حرمت عليه امهاتها الاصلية وجميع جداتها من قبل الام والاب
في النسب والرضاع ايضا ومذهب اكثر الصحابة وجميع التابعين واكثر الفقهاء ان من تزوج امراة حرمت
عليه امها بنفس العقد سواء دخل بها او لم يدخل بها وذهب جمع من الصحابة الى ان ام المراة انما تحرم بالدخول
بابنتها وهو قول علي وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر واظهر الروايات عن ابن عباس والعمل
اليوم على القول الاول وهو مذهب الجمهور ويدل على ذلك ما روي عن عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل نكح امراة فلا يحل له نكاح ابنتها وان لم يكن دخل
بها فلينكح ابنتها وايما رجل نكح امراة فلا يحل له ان ينكح امها دخل بها او لم يدخل اخرجه الترمذي
وقوله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح
عليكم الربائب جمع ربيبة وهي بنت المراة من رجل آخر سميت ربيبة لانه يربيها في حجره وقوله دخلتم
بهن كناية عن الجماع وحكم بنفس العقد فيحرم على الرجل بنات امراته وبنات اولادها وان سفلن
من النسب والرضاع بعد الدخول بالزوجة فلو فارق زوجته قبل الدخول بها او ماتت قبل
دخوله بها جاز له ان يتزوج بنتها ولا يجوز له ان يتزوج امها لان الله تعالى اطلق تحريم
الامهات وعلق تحريم البنات بالدخول بالام وقوله تعالى وحلائل ابنائكم يعني ازواج
ابنائكم واحدتها حليلة والرجل حليل سميا بذلك لان كل واحد منهما يحل لصاحبه وقيل
لان كل واحد منهما يحل ازار صاحبه من الحل بفتح الحاء وجملته انه يحرم على الرجل ازواج ابنائه
وابناء اولاده وان سفلوا من النسب والرضاعة وذلك بنفس العقد وقوله الذين من اصلابكم انما قال من
اصلابكم احترازا عن المتبنى ليعلم ان زوجة المتبنى لا تحرم على الرجل الذي تبناه لانه كان في صدر الاسلام

بمنزلة الابن فنسخ الله ذلك وقال تعالى ادعوهم لآبائهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة زيد بن حارثة وكان قد تبناه
فقال المشركون تزوج زوجة ابنه فانزل الله تعالى وما جعل ادعياءكم ابناءكم وقال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج
ادعيائهم وقوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين يعني لا يجوز للرجل ان يجمع بين الاختين في نكاح واحد سواء كانت الاخوة
بينهما بنسب او رضاع والجمع بين الاختين يقع على ثلاثة اوجه احدها ان يجمع بينهما بعقد واحد فالنكاح
فاسد لا يصح فلو تزوج احدى الاختين ثم تزوج الاخرى بعدها فهنا يحكم ببطلان نكاح الثانية فلو طلق الاولى
طلاقا بائنا جاز له نكاح اختها الوجه الثاني من صور الجمع بين الاختين وهو ان يجمع بينهما بملك اليمين فلا
يجوز له ان يجمع بينهما في الوطء فاذا وطئ احداهما حرمت عليه الثانية حتى يحرم الاولى ببيع او هبة او عتق او
كتابة الوجه الثالث من صور الجمع بين الاختين وهو ان يتزوج احداهما ويشتري الاخرى فيملكها بملك اليمين
فذهب بعض العلماء انه لا يجوز الجمع بينهما لان ظاهر هذه الآية يقتضي تحريم الجمع مطلقا فوجب ان يحرم الجمع
بينهما على جميع الوجوه وذهب بعضهم الى الجواز والقول الاول اصح واولى لما روي عن قبيصة بن ذؤيب ان
رجلا سال عثمان عن اختين مملوكتين لرجل هل يجمع بينهما فقال عثمان احلتهما آية وحرمتهما آية فاما انا
فلا احب ان اصنع ذلك فخرج من عنده فلقي رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله عنه فقال
اما انا فلو كان لي من الامر شيء ثم وجدت احدا فعل ذلك لجعلته نكالا قال ابن شهاب اراه علي بن ابي طالب
قال وبلغني عن الزبير بن العوام مثل ذلك اخرجه مالك في الموطا وقوله تعالى الا ما قد سلف
يعني لكن ما قد مضى فهو معفو عنه بدليل قوله تعالى ان الله كان غفورا رحيما وقيل ان فائدة
هذا الاستثناء ان انكحة الكفار كانت صحيحة فلو اسلم عن اختين قيل له اختر ايتهما شئت ويدل
عليه ما روي عن الضحاك بن فيروز عن ابيه قال قلت يا رسول الله اني اسلمت وتحتي اختان قال اختر ايتهما
شئت اخرجه ابو داود فرع يتعلق بحكم الآية الاول لا يجوز الجمع بين المراة وعمتها ولا بين المراة
وخالتها ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يجمع بين المراة وعمتها
ولا بين المراة وخالتها اخرجاه في الصحيحين قال بعض العلماء في حد ما يحرم الجمع كل امراتين بينهما
قرابة او لبن لو كان ذكر من المراتين لم يجز له نكاحها لم يجز الجمع بينهما الفرع الثاني المحرمات
بالنسب سبعة اصناف ذكرت في الآية نسقا والمحرمات بالسبب صنفان صنف يحرم بالرضاع
وهن الامهات والاخوات على ما تقدم ذكره وصنف يحرم بالمصاهرة وهن ام المراة وحليلة الابن وزوجة
الاب وقد تقدم ذكرها في قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الآية والربائب على التفصيل المذكور
والجمع بين الاختين الفرع الثالث التحريم الذي يحصل بسبب المصاهرة انما يحصل بنكاح صحيح
فلو زنى بامراة لم يحرم عليه امها ولا بنتها ولو اراد ان يتزوج بهن وكذلك لا يحرم المزني بها على آباء الزاني
ولا ابنائه انما تتعلق الحرمة بنكاح صحيح او بنكاح فاسد يجب به الصداق ويجب عليها العدة ويلحق
به الولد وهذا قول علي وابن عباس وبه قال سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهري واليه ذهب
مالك والشافعي وفقهاء اهل الحجاز وذهب قوم الى ان الزنا يتعلق به تحريم المصاهرة يروى ذلك عن
عمران بن حصين وابي هريرة وبه قال جابر بن زيد والحسن واهل العراق ولو لمس امراة اجنبية
بشهوة او قبلها بشهوة هل يجعل ذلك كالدخول في اثبات تحريم المصاهرة وكذلك لو لمس امراة
بشبهة هل يجعل كالوطء بالشبهة فيه قولان اصحهما انه تثبت به حرمة المصاهرة وهو قول اكثر
اهل العلم والثاني لا تثبت كما لا تثبت بالنظر بشهوة قوله تعالى والمحصنات يعني وحرمت المحصنات

من النسا

من النساء واصل الاحصان في اللغة المنع والحصان بالفتح المراة العفيفة ويطلق الاحصان على المراة ذات
الزوج والحرة والعفيفة والمراة المسلمة والمراد من الاحصان في قوله والمحصنات ذوات الازواج من
النساء فلا يحل لاحد نكاحهن قبل مفارقة ازواجهن وهذه السابعة من النساء اللاتي حرمن
بالسبب قال ابو سعيد الخدري نزلت هذه الآية في نساء كن هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج
في دار الحرب فتزوجهن بعض المسلمين ثم قدم ازواجهن مهاجرين فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الله عز وجل
المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال تعالى الا ما ملكت ايمانكم يعني السبايا اللاتي سبين ولهن ازواج
في دار الحرب فيحل لمالكهن وطؤهن بعد الاستبراء لان السبي يرتفع به النكاح بينها وبين زوجها قال ابو سعيد
الخدري بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا الى اوطاس فاصابوا سبايا لهن ازواج من المشركين فكرهوا
غشيانهن فانزل الله هذه الآية وقال ابن مسعود اراد انه اذا بيعت الجارية المزوجة فتقع الفرقة بينها وبين زوجها
ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشتري وطؤها وقال عطاء اراد بقوله الا ما ملكت ايمانكم ان تكون امته
في نكاح عبده فيجوز له ان ينزعها منه وقيل اراد بالمحصنات من النساء الحرائر ومعناه ان
ما فوق الاربع منهن فانه عليكم حرام الا ما ملكت ايمانكم فانه لا عدد عليكم في الجواري وقوله تعالى كتاب
الله عليكم يعني حرمت عليكم امهاتكم كتب عليكم هذا كتابا وقيل معناه الزموا كتاب الله وقيل
معناه كتابا من الله عليكم يعني كتب الله تحريم ما حرم عليكم من ذلك وتحليل ما حلل كتابا وقوله واحل لكم ما
وراء ذلكم يعني واحل الله لكم ما سوى ذلك الذي ذكر من المحرمات وظاهر هذه الآية يقتضي حل كل من سوى
المذكورات من الاصناف المحرمات لكن قد دل الدليل من السنة بتحريم اصناف اخر سوى ما ذكر
فمن ذلك انه يحرم الجمع بين المراة وعمتها وبين المراة وخالتها ومن ذلك المطلقة ثلاثا فلا تحل لزوجها
الاول حتى تنكح زوجا غيره ومن ذلك نكاح المعتدة فلا تحل للازواج حتى تنقضي عدتها ومن ذلك ان
من كان في نكاحه حرة لم يجز له ان يتزوج بامة والقادر على طول الحرة لم يجز له ان يتزوج بالامة ومن
ذلك ان من كان عنده اربع نسوة حرم عليه ان يتزوج بخامسة ومن ذلك الملاعنة فانها محرمة
على الملاعن بالتابيد فهذه اصناف من المحرمات سوى ما ذكر في الآية فعلى هذا يكون قوله
تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم ورد بلفظ العموم لكن العموم دخله التخصيص فيكون عاما مخصوصا وقوله تعالى
ان تبتغوا باموالكم فيه اضمار تقديره واحل لكم ان تبتغوا اي تطلبوا باموالكم يعني تنكحوا بصداق او تشتروا
بثمن وفي الآية دليل على ان الصداق لا يتقدر بشيء فيجوز على القليل والكثير لاطلاق قوله تعالى ان تبتغوا
باموالكم محصنين يعني متزوجين وقيل متعففين غير مسافحين يعني غير زانين والسفاح الفجور
واصله من السفح وهو الصب وانما سمي الزنا سفاحا لان الزاني لا غرض له الا صب النطفة فقط
وقوله تعالى فما استمتعتم به منهن اختلفوا في معناه فقال الحسن ومجاهد اراد ما انتفعتم وتلذذتم
بالجماع من النساء بنكاح صحيح لان اصل الاستمتاع في اللغة الانتفاع وكل ما انتفع به فهو متاع
فآتوهن اجورهن يعني مهورهن وانما سمي المهر اجرا لانه بدل البضع فليس ببدل الاعيان كما سمي بدل
منافع الدار والدابة اجرا وقال قوم المراد من حكم الآية هو نكاح المتعة وهو ان ينكح المراة الى مدة
معلومة بشيء معلوم فاذا انقضت تلك المدة بانت منه بغير طلاق ويستبرئ رحمها وليس بينهما
ميراث وكان هذا في ابتداء الاسلام ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة وحرمها عن سبرة
بن معبد الجهني انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس اني كنت اذنت لكم في الاستمتاع من

النسا وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيمة فمن كان عنده منهن شي فليخل سبيله ولا تاخذوا مما اتيتموهن
شيا والى هذا ذهب جمهور العلما من الصحابة ومن بعدهم ان نكاح المتعة حرام والاية منسوخة واختلفوا في
ناسخها فقيل نسخت بالسنة وهو ما تقدم من حديث سبرة الجهني ق عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متعة النسا يوم خيبر وعن اكل لحوم الحمر الانسية وعلى مذهب من يقول ان هزام
السنة تنسخ القران ومن مذهبه ان السنة لا تنسخ القران فعلى هذا قيل ان ناسخ هذه الاية قوله تعالى
في سورة المومنون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين والمتمتع بها
في المتعة ليست بزوجة ولا مملوكة واختلفت الروايات عن ابن عباس في المتعة فروي عنه ان الاية
محكمة وكان يرخص في المتعة قال عمارة سالت ابن عباس عن المتعة اسفاح هي ام نكاح قال لا سفاح ولا
نكاح قلت فما هي قال متعة كما قال الله تعالى قلت هل لها عدة قال نعم حيضة قلت هل يتوارثان قال لا
وروي ان الناس لما ذكروا الاشعار في فتيا ابن عباس بالمتعة فقال قاتلهم الله انا ما افتيت باباحتها
على الاطلاق لكني قلت انما تحل للمضطر كما تحل الميتة له وروي انه رجع عنه وقال بتحريمها وروى عطا
الخراساني عن ابن عباس في قوله فما استمتعتم به منهن قال صارت منسوخة بقوله يا ايها النبي اذا طلقتم
النسا فطلقوهن لعدتهن وروى سالم بن عبد الله بن عمر ان عمر بن الخطاب صعد المنبر فحمد الله واثنى
عليه ثم قال ما بال اقوام ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها لا اجد رجلا نكحها الا
رجمته بالحجارة وقال هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث قال الشافعي لا اعلم في الاسلام
شيا احل ثم حرم غير المتعة وقال ابو عبيد المسلمون اليوم مجمعون على ان متعة النسا قد نسخت
بالتحريم نسخها الكتاب والسنة هذا قول اهل العلم جميعا من اهل الحجاز والشام والعراق من اصحاب
الاثر والراي وانه لا رخصة فيها لمضطر ولا لغيره قال ابن الجوزي في تفسيره قد تكلف قوم من مفسري
القران فقالوا المراد بهذه الاية نكاح المتعة ثم نسخت بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن متعة النسا
وهذا تكلف لا يحتاج اليه لان النبي صلى الله عليه وسلم اجاز المتعة ثم منع منها وحرمها فكان قوله
منسوخا بقوله واما الاية فانها لم تتضمن جواز المتعة لانه تعالى قال فيها ان تبتغوا باموالكم محصنين
غير مسافحين فدل ذلك على النكاح الصحيح قال الزجاج ومعنى قوله فما استمتعتم به منهن فما نكحتموهن
على الشريطة التي جرت وهو قوله محصنين غير مسافحين اي عاقدين التزويج وقال ابن جرير الطبري
اولى التاويلين في ذلك بالصواب تاويل من تاوله فما نكحتموه منهن فجامعتموهن فاتوهن اجورهن
لقيام الحجة بتحريم الله متعة النسا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فريضة يعني لازمة واجبة
ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة اختلفوا فيه فمن حمل ما قبله على نكاح المتعة قال
اراد انهما اذا عقدا الى اجل على مال فاذا تم الاجل فان شات المراة زادت في الاجل وزاد الرجل
في الاجر وان لم يتراضيا فارقها وقد تقدم ان ذلك كان جايزا ثم نسخ وحرم ومن حمل الاية على الاستمتاع
بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به يعني من الابرا من المهر والافتدا
والاعتياض وقال الزجاج معناه لا جناح عليكم ان تهب المراة للزوج مهرها وان يهب الرجل
للمراة التي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب عليه ان الله كان عليما يعني بما يصلحكم ايها الناس في
مناكحكم وغيرها من ساير اموركم حكيما يعني فيما دبر لكم من التدبير وفيما يامركم به او ينهاكم عنه لا دخل
خلل في ذلك فصل في قدر الصداق وما يستحب منه اعلم انه لا تقدير لاكثر الصداق لقوله تعالى واتيتم

احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيا والمستحب ان لا يغالى فيه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الا لا تغالوا
في صدقة النسا فانها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان اولاكم بها نبي الله صلى الله عليه وسلم ما علمت
رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيا من نسايه ولا انكح شيا من بناته على اكثر من اثنتي عشرة اوقية اخرجه الترمذي
وابو داود م عن ابي سلمة قال سالت عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كم كان صداق رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالت كان صداقه لازواجه ثنتي عشرة اوقية ونش قالت اتدري ما النش قلت لا قالت نصف
اوقية فذلك خمسماية درهم واختلف العلما في اقل الصداق فذهب جماعة الى انه لا تقدير لاقله
بل كل ما جاز ان يكون مبيعا او ثمنا جاز ان يكون صداقا وهو قول ربيعة وسفيان الثوري والشافعي
واحمد واسحق وقال قوم يتقدر الصداق بنصاب السرقة وهو قول مالك وابي حنيفة غير ان نصاب السرقة
عند مالك ثلاثة دراهم وعند ابي حنيفة عشرة دراهم والدليل على ان الصداق لا يتقدر ما روي عن سهل بن سعد
الساعدي قال جاءت امراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد وهبت نفسي لك فنظر اليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر فيها وصوبه ثم طاطا رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه فلما رات
المراة انه لم يقض فيها شيا جلست فقام رجل من اصحابه فقال يا رسول الله ان لم يكن لك بها حاجة فـ
زوجنيها فقال هل عندك من شي قال لا والله يا رسول الله قال اذهب الى اهلك فانظر هل تجد شيا
فذهب ثم رجع فقال لا والله ما وجدت شيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ولو خاتما من حديد فذهب
فذهب ثم رجع فقال لا والله يا رسول الله ولا خاتما من حديد ولكن ازاري هذا قال سهل ما له ردا فلها
نصفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصنع بازارك ان لبسته لم يكن عليها منه شي وان لبسته
لم يكن عليك منه شي فجلس الرجل حتى اذا طال مجلسه قام فراه النبي صلى الله عليه وسلم موليا فامر به
فدعي فلما جا قال ما معك من القران قال معي سورة كذا وسورة كذا عددها قال تقراهن عن ظهر
قلبك قال نعم قال اذهب فقد ملكتكها بما معك من القران وفي رواية فقد زوجتكها فعلمها من القران
وفي رواية فقد انكحتكها بما معك من القران اخرجاه في الصحيحين وهذا لفظ الحميدي ففي هذا الحديث
دليل على انه لا تقدير لاقل الصداق لانه قال التمس شيا فهو يدل على جواز اي شي كان من المال ثم قال
ولو خاتما من حديد ولا قيمة لخاتم الحديد الا القليل التافه وفيه دليل على انه يجوز ان يجعل تعليم القران
صداقا وهو قول الشافعي ومنعه اصحاب الراي عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعطى
في صداق امراة مل كفيه سويقا او تمرا فقد استحل اخرجه ابو داود عن عبد الله بن عامر عن
ابيه ان امراة من بني فزارة تزوجت على نعلين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضيت من نفسك
ومالك بنعلين قالت نعم فاجازه اخرجه الترمذي وقال عمر بن الخطاب ثلث قبضات من زبيب مهر
قوله عز وجل ومن لم يستطع منكم طولا يعني فضلا وسعة وانما سمي الغنى طولا لانه ينال به المراد
ما لا ينال مع الفقر والطول هنا كناية عما يصرف الى المهر والنفقة ان ينكح المحصنات يعني الحراير
فمما ملكت ايمانكم يعني جارية اخيكم المومن فان الانسان لا يجوز له ان يتزوج بجارية نفسه
من فتياتكم المومنات يعني من لم يقدر على مهر الحرة المومنة فليتزوج الامة المومنة والفتيات
الجواري المملوكات جمع فتاة يقال للامة فتاة وللعبد فتى وفي الاية دليل على انه لا يجوز للحر نكاح
الامة الا بشرطين احدهما ان لا يجد مهر حرة لانه جرت العادة في الاما بتخفيف مهورهن ونفقتهن
بسبب ذلك لاشتغالهن بخدمة ساداتهن الشرط الثاني هو خوف العنت على نفسه وهو قوله تعالى

ذلك لمن خشي العنت منكم قال ابن عباس هو الزنا وهذا قول جابر وابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس ومسروق
ومكحول وعمرو بن دينار واليه ذهب مالك والشافعي واحمد وروي عن علي والحسن البصري وابن المسيب
ومجاهد والزهري انه يجوز للحر ان ينكح الامة وان كان موسرا وهو مذهب ابي حنيفة الا ان يكون في نكاحه
حرة والسبب في منع الحر من نكاح الامة الا عند خوف العنت ان الولد يتبع الام في الرق والحرية واذا كانت الام
رقيقة كان الولد رقيقا وذلك نقص في حق الحر وفي حق ولده ولان حق السيد اعظم من حق الزوج فربما احتاج
الزوج اليها فلا يجد اليها سبيلا لان للسيد حبسها لخدمته ولان مهرها ملك السيد فلا يقدر على هبته
من زوجها ولان تبرمه منه كخلاف الحرة فلهذا السبب منع الله من نكاح الامة على سبيل الرخصة
والاضطرار ويجوز للعبد نكاح الامة وان كان في نكاحه حرة وعند ابي حنيفة لا يجوز له اذا كان تحته حرة كما في
الحر وفي الاية دليل على انه لا يجوز للمسلم حرا كان او عبدا نكاح الامة الكتابية لقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات فقيد
جواز نكاح الامة المؤمنة دون الكتابية لان فيها نوعان من النقص والرق والكفر بخلاف الامة لان فيها نقص
واحد وهو الرق وهذا قول مجاهد والحسن واليه ذهب مالك والشافعي وقال ابو حنيفة يجوز التزوج
بالامة الكتابية وبالاتفاق يجوز وطي الامة الكتابية بملك اليمين وقوله تعالى والله اعلم بايمانكم قال الزجاج
اي اعملوا على الظاهر في الايمان فانكم متعبدون بالظاهر والله يتولى السرائر والحقائق وقيل معناه لا تترفعوا
للتباطن في الايمان وخذوا بالظاهر فان الله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض يعني ان كلكم من نفس واحدة فلا تستنكفوا
من نكاح الاماء عند الضرورة وانما قيل لهم ذلك لان العرب كانت تفتخر بالانساب والاحساب ويسمون ابن الامة
الهجين فاعلم الله تعالى ان ذلك امر لا يلتفت اليه فلا يتداخلنكم شموخ وانفة من التزوج بالاماء فانكم متساوون
في النسب الى آدم وقيل معناه ان دينكم واحد وهو الايمان وانتم مشتركون فيه فمتى وقع لاحدكم الضرورة جاز له
ان يتزوج بالامة عند خوف العنت وقال ابن عباس يريد ان المومنين بعضهم اكفاء بعض فانكحوهن باذن
اهلهن يعني اخطبوا الاماء الى ساداتهن واتفق العلماء على ان نكاح الامة بغير اذن سيدها باطل لان
الله تعالى جعل اذن السيد شرطا في جواز نكاح الامة وآتوهن اجورهن يعني مهورهن بالمعروف
يعني من غير مطل ولا اضرار وقيل معناه وآتوهن مهور امثالهن واجمعوا على ان المهر للسيد لانه ملكه
وانما اضيف ايتاء المهر الى الاماء لانه ثمن بضعهن محصنات يعني عفايف غير مسافحات يعني
غير زانيات ولا متخذات اخدان جمع خدن وهو الصاحب الذي يكون معك في كل امر ظاهر وباطن
واكثر ما يستعمل فيمن يصاحب لشهوة يقال خدن المراة وخدينها يعني حبها الذي يزني بها قال
الحسن المسافحة هي التي كل من دعاها اتبعته وذات اخدان هي التي تختص بواحد ولا تزني
مع غيره وكانت العرب في الجاهلية تحرم الاولى وتجوز الثانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم لا
جرم ان الله تعالى افرد كل واحد من هذين القسمين بالذكر ونص على تحريمهما معا فاذا احصن
قرئ بفتح الالف والصاد ومعناه حفظن فروجهن وقيل معناه اسلمن وقرئ احصن بضم الالف
وكسر الصاد ومعناه زوجن فان اتين بفاحشة يعني بزنا فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب
يعني فعلى الاماء اللاتي زنين نصف ما على الحرائر الابكار اذا زنين من الجلد فيجلد العبد للزنا اذا
زنا خمسين جلدة ولا فرق بين المملوك المتزوج وغير المتزوج فانه يجلد خمسين ولا رجم عليه هذا قول
اكثر العلماء ويروى عن ابن عباس وبه قال طاوس انه لا حد على من لم يتزوج من المماليك اذا زنا
لان الله تعالى قال فاذا احصن والذي لم يتزوج ليس بمحصن واجيب عنه بان معنى الاحصان

عند الاكثرين الاسلام وان كان المراد منه التزويج فليس المراد منه ان التزويج شرط لوجوب الحد
عليه بل المراد منه التنبيه على ان المملوك وان كان محصنا فلا رجم عليه انما حده الجلد بخلاف الحر
فحد الامة ثابت بهذه الاية وبيان انه بالجلد لا بالرجم ثابت بهذه الاية وبيان بالحديث وهو ما روي
عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا زنت امة احدكم فتبين زناها فليجلدها
الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها
ولو بحبل من شعر اخرجاه في الصحيحين قوله ولا يثرب عليها اي لا يعيرها والتثريب كالتانيب والتعيير
والاستقصاء في اللوم قال الشيخ محيي الدين النواوي وهذا البيع المامور به في الحديث مستحب
ليس بواجب عندنا وعند الجمهور وقال داود واهل الظاهر هو واجب وفيه جواز بيع الشيء النفيس
بالثمن الحقير وهذا البيع المامور به يلزم صاحبه ان يبين حالها للمشتري لانه عيب والاخبار بالعيب
واجب فان قيل كيف يكره شيئا ويرتضيه لاخيه المسلم فالجواب لعلها تستعف عند المشتري بان
يعفها بنفسه او يصونها لهيبته او بالاحسان اليها او يزوجها او غير ذلك والله اعلم ذلك اشارة
الى نكاح الامة لمن خشي العنت منكم يعني الزنا والمعنى ذلك لمن خاف ان تحمله شدة الشبق
والغلمة وشدة الشهوة على الزنا وانما سمي الزنا بالعنت لما يعتقبه من المشقة وهي سخط الله و
العقوبة فاباح الله تعالى نكاح الامة بثلاث شرائط عدم القدرة على نكاح الحرة وخوف العنت وكون
الامة مومنة بثلاث شرائط عدم القدرة على نكاح الحرة وان تصبروا يعني عن نكاح الاماء متعففين
خير لكم يعني لئلا يكون الولد عبدا رقيقا والله غفور رحيم وهذا كالتوكيد لما تقدم يعني انه تعالى
غفر لكم ورحمكم حيث اباح لكم ما انتم محتاجون اليه قوله تعالى يريد الله ليبين لكم اللام في قوله
ليبين معناه ان يبين وقيل معناه يريد انزال هذه الايات من اجل ان يبين لكم دينكم ويوضح لكم
شرعكم ومصالح اموركم وقيل يبين لكم ما يقربكم منه وقيل يبين ان الصبر عن نكاح الاماء
خير لكم ويهديكم اي ويرشدكم سنن الذين من قبلكم اي شرائع من قبلكم في تحريم الامهات
والبنات والاخوات فانها كانت محرمة على من قبلكم وقيل معناه يرشدكم الى ما لكم فيه مصلحة
كما بينه لمن كان قبلكم وقيل معناه ويهديكم الى الملة الحنيفية وهي ملة ابراهيم عليه السلام ويتوب
عليكم يعني ويتجاوز عنكم ما اصبتم قبل ان يبين لكم ويرجع بكم عن المعصية التي كنتم عليها الى طاعته وقيل
لما بين لنا امر الشرايع والمصالح وارشدنا الى طاعته فربما وقع منا تقصير وتفريط في ما امر به وبينه
فلا جرم انه تعالى قال ويتوب عليكم والله عليم يعني بمصالح عباده في امر دينهم ودنياهم حكيم
يعني فيما دبر من امورهم والله يريد ان يتوب عليكم قال ابن عباس معناه يريد ان يخرجكم من كل ما
يكره الى ما يحب ويرضى وقيل معناه يدلكم على ما يكون سببا لتوبتكم التي يغفر لكم بها ما
سلف من ذنوبكم وقيل معناه ان وقع منكم تقصير في دينه فيتوب عليكم ويغفر لكم ويريد الذين
يتبعون الشهوات قيل هم اليهود والنصارى وقيل هم اليهود خاصة لانهم يقولون ان نكاح
بنت الاخت من الاب حلال وقيل هم المجوس لانهم يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخوات
فلما حرمهن الله قالوا انكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة والخالة والعمة عليكم حرام
فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت هذه الاية وقيل هم الزناة يريدون ان تكونوا مثلهم ان
تميلوا يعني عن الحق وقصد السبيل بالمعصية ميلا عظيما يعني باتيانكم ما حرم الله عليكم يريد الله

عليكم

ان يخفف عنكم يعني يسهل عليكم احكام الشرايع وهو عام في كل احكام الشرع وجميع ما يسره لنا وسهله علينا
احسانا منه الينا وتفضلا ولطفا علينا ولم يثقل التكاليف علينا كما ثقلها على بني اسرائيل فهو كقوله تعالى
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج وكما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال بعثت بالحنيفية السهلة السمحة .. وقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا يعني في قلة الصبر
عن النسا فلا صبر له عنهن وقيل انه ضعيف يستميله هواه فهو ضعيف العزم عن قهر الهوى وقيل هو
ضعيف في اصل الخلقة لانه خلق من ماء مهين قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
يعني بالحرام الذي لا يحل في الشرع كالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور واخذ المال
باليمين الكاذبة ونحو ذلك وانما خص الاكل بالذكر ونهى عنه تنبيها على غيره من جميع التصرفات الواقعة على وجه
الباطل لان معظم المقصود من الاموال الاكل وقيل يدخل فيه اكل مال نفسه بالباطل ومال غيره فتقدم معناه فقوله
وقيل يدخل في اكل المال بالباطل فهو انفاقه في المعاصي واما اكل مال غيره فقد تقدم معناه وقيل يدخل في اكل
المال بالباطل جميع العقود الفاسدة وقوله تعالى الا ان تكون تجارة عن تراض منكم هذا الاستثنا منقطع لان
التجارة عن تراض ليست من جنس اكل المال بالباطل فكان الا هاهنا بمعنى لكن يحل لكم بالتجارة عن تراض
يعني بطيبة نفس كل واحد منكم وقيل هو ان يخير كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع فيلتزم والا فلهما
الخيار ما لم يتفرقا كما جاء في الحديث او يخير احدهما الاخر فيتبايعا على ذلك وان تفرقا بعد ان تبايعا ولم يترك
واحد منهما البيع فقد وجب البيع اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم اي لا يقتل بعضكم
بعضا وانما قال انفسكم لانهم اهل دين واحد فهم كنفس واحدة وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في حجة
الوداع الا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقيل هذا نهي للانسان عن قتل نفسه ق
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها
خالدا مخلدا فيها ابدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجا بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا
فيها ابدا قوله يتردى التردي هو الوقوع من موضع عال الى اسفل قوله يتوجا يقال وجاه بالسكين
اذا ضربه بها وهو يتوجا بها اي يضرب بها نفسه ق عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رجل
جراح فقتل نفسه فقال الله تبارك وتعالى بدرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة وفي رواية قال
كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فاخذ سكينا فحز بها يده فما رقا الدم حتى مات فقال الله تعالى
بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة وقيل في معنى قتل الانسان نفسه انه لا يفعل شيا يستحق به
القتل مثل ان يقتل فيقتل به فيكون هو الذي تسبب في قتل نفسه وقيل معناه ولا تقتلوا
انفسكم باكل المال بالباطل وقيل معناه ولا تهلكوا انفسكم بان تعملوا عملا ربما ادى الى قتلها ان الله
كان بكم رحيما يعني انه تعالى من رحمته بكم نهاكم عن كل شي تستوجبون به مشقة او محنة وقيل انه تعالى
امر بني اسرائيل بقتل انفسهم ليكون ذلك توبة لهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف
المشقة الصعبة ومن يفعل ذلك يعني ما سبق ذكره من قتل النفس المحرمة لان الضمير يعود الى اقرب المذكورات
وقيل انه يعود الى قتل النفس واكل المال بالباطل لانهما مذكوران في اية واحدة وقيل انه يعود الى كل ما
نهى الله عنه من اول السورة الى هنا عدوانا وظلما يعني يتجاوز الحد فيضع الشي في غير موضعه فلذلك
قيده بالعدوان والظلم لانه قد يكون القتل بحق وهو القصاص وكذلك قد يكون اخذ المال بحق فلهذا
السبب قيده بالوعيد وبما كان على وجه العدوان والظلم وهو قوله تعالى فسوف نصليه نارا اي ندخله

في الاخرة نارا يصلى فيها وكان ذلك على الله يسيرا اي هينا لانه تعالى قادر على ما يريد قوله تعالى ان تجتنبوا
كباير ما تنهون عنه اجتناب الشي المباعدة عنه وتركه جانبا والكبير ما كبر وعظم من الذنوب وعظمت عقوبته
ونقدم ذكر التفسير نذكر الاحاديث الواردة في الكباير فمن ذلك ما روي عن ابي بكرة رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال الا انبيكم باكبر الكباير ثلاثا قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين الا وشهادة
الزور وقول الزور وكان متكيا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت اخرجاه في الصحيحين ق عن انس
ابن مالك قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكباير فقال الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقال الا انبيكم
باكبر الكباير قول الزور او قال شهادة الزور ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا
السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل
مال اليتيم والربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المومنات ق عن ابن مسعود قال
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ان ذلك
عن لعظيم ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك خ عن عبد الله بن عمرو
ابن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس وفي
رواية ان اعرابيا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الكباير قال الاشراك بالله قال ثم ماذا قال اليمين
الغموس قلت وما اليمين الغموس قال الذي يقتطع بها مال امرئ مسلم بيمين هو فيها كاذب ق عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان من الكباير شتم الرجل والديه قالوا وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب الرجل ابا الرجل
او امه فيسب اباه او امه وفي رواية من اكبر الكباير ان يلعن الرجل والديه وذكر الحديث وقال عبد الله بن مسعود
اكبر الكباير الاشراك بالله والامن من مكر الله والقنوط من رحمة الله والياس من روح الله وعن سعيد بن جبير ان
رجلا سال ابن عباس عن الكباير اسبع هي قال هي الى السبعماية اقرب وفي رواية الى السبعين اقرب الا انه لا كبيرة
مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وقال كل شي عصي الله به فهو كبيرة فمن عمل شيا منها فليستغفر الله فان الله
لا يخلد في النار من هذه الامة الا من كان راجعا عن الاسلام او جاحدا فريضة او مكذبا بقدر وقال علي بن
ابي طالب كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب فهو كبيرة وقال سفيان الثوري الكباير ما كان فيه المظالم
فيما بينك وبين العباد والصغاير ما كان بينك وبين الله تعالى لان الله كريم يغفر ويعفو واحتج لذلك بما روي
عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيامة يا امة محمد ان الله قد
عفا عنكم جميعا المومنين والمومنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي وقال مالك بن مغول الكباير
ذنوب اهل البدع والسيات ذنوب اهل السنة وقيل الكباير ذنوب العمد والسيات الخطا والنسيان
وما اكره عليه وحديث النفس المرفوع عن هذه الامة وقال السدي الكباير ما نهى الله عنه من الذنوب
الكبار والسيات مقدماتها وتوابعها التي يقع فيها الصالح والفاسق مثل النظرة والقبلة واللمسة
واشباه ذلك ق عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن ادم نصيبه من الزنا
مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد
زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه لفظ مسلم
وقيل الكباير الشرك وما يودي اليه وما دونه فهو من السيات فقد ثبت بما تقدم من الادلة ان
من الذنوب كباير وصغاير والى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف وثبت بدلايل الكتاب والسنة
واذا ثبت انقسام المعاصي الى صغاير وكباير فقوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه وهي كل ذنب عظم

فيه وعظمت عقوبته اما في الدنيا بالحد واما في الآخرة بالعذاب عليه نكفر عنكم سيئاتكم يعني نسترها عليكم
حتى تصير بمنزلة ما لم تعمل لان اصل التكفير الستر والتغطية فصغائر الذنوب تكفر بالحسنات ولا يكفر كبائرها
الا بالتوبة والاقلاع عنها كما ورد في الصحيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة
الى الجمعة كفارات لما بينهن زاد في رواية ما لم تغش الكبائر وزاد في رواية اخرى ورمضان الى رمضان مكفرات
لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر اخرجه مسلم وقوله تعالى وندخلكم مدخلا كريما يعني حسنا شريفا وهو الجنة والمعنى اذا
اجتنبتم الكبائر واتيتم بالطاعات ندخلكم مدخلا تكرمون فيه قوله عز وجل ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على
بعض اصل التمني ارادة الشيء وتشهي حصول ذلك الامر المرغوب فيه ومنه حديث النفس بما يكون وما لا يكون
وقيل التمني تقدير الشيء في النفس وتصوره فيها وذلك قد لا يكون عن تخمين وظن وقد يكون عن روية واكثر التمني تصور
ما لا حقيقة له وقيل التمني عبارة عن ارادة ما يعلم او يظن انه لا يكون عن مجاهد عن ام سلمة قالت قلت يا
رسول الله يغزو الرجال ولا يغزو النساء وانما لنا نصف الميراث فانزل الله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على
بعض قال مجاهد وانزل ان المسلمين والمسلمات وكانت ام سلمة اول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة اخرجه الترمذي
وقال هذا حديث مرسل وقيل لما جعل الله للذكر مثل حظ الانثيين في الميراث قالت النساء نحن احوج
الى الزيادة من الرجال لانا ضعفاء وهم اقوى واقدر على طلب المعاش فانزل الله هذه الآية وقيل لما نزلت للذكر
للذكر مثل حظ الانثيين قال الرجال انا لنرجوا ان نفضل على النساء في الحسنات في الآخرة فيكون لنا الاجر
على الضعف اجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث وقالت النساء انا لنرجوا ان يكون الوزر علينا نصف ما على
الرجال كما لنا في الميراث النصف من نصيبهم فنزلت هذه الآية والتمني على قسمين احدهما ان يتمنى الانسان ان يحصل
له ما لغيره مع زوال تلك النعمة عن ذلك الغير فهذا القسم هو الحسد وهو مذموم لان الله تعالى يفيض نعمه على من يشاء
من عباده وهذا الحاسد يعترض على الله فيما يفعل وربما اعتقد في نفسه انه احق بتلك النعمة من ذلك الانسان
ايضا فهذا اعتراض على الله ايضا وهو مذموم القسم الثاني ان يتمنى مثل ما لغيره ولا يحب ان يزول ذلك
المال عن الغير وهذا هو الغبطة وهذا ليس بمذموم ومن الناس من منع من هذا ايضا لان تلك النعمة ربما كانت مفسدة
في حقه في الدين او الدنيا قال الحسن لا تتمن مال فلان ولا مال فلان وما يدريك لعل هلاكك في ذلك المال
فليعلم العبد ان الله عز وجل اعلم بمصالح عباده فليرض بقضائه ولتكن امنيته الزيادة من عمل الخير
الآخرة وليقل اللهم اعطني ما يكون صلاحا لي في ديني ودنياي ومعادي وقوله تعالى للرجال نصيب مما اكتسبوا
وللنساء نصيب مما اكتسبن قال ابن عباس يعني مما ترك الوالدان والاقربون من الميراث يقول للذكر مثل
حظ الانثيين وقيل هذا الاكتساب في الاجر يعني ان الرجال والنساء في الاجر في الآخرة سواء لان الحسنة بعشر امثالها
والسيئة بمثلها يستوي في ذلك الرجال والنساء وان فضل الرجال في الدنيا على النساء وقيل للرجال نصيب
مما اكتسبوا من امر الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن يعني من طاعة الازواج وحفظ الفروج واسألوا الله من
فضله قال ابن عباس يعني من رزقه وقيل من عبادته وهو سؤال التوفيق للعبادة وقيل لم يأمر الله عباده
بالمسألة الا ليعطيهم وفيه تنبيه على ان العبد لا يعين شيئا في الدعاء والطلب ولكن يطلب من
فضل الله ما يكون سببا لصلاح دينه ودنياه وآخرته وقيل لما تمنى النساء ان يكن رجالا او ان يكون
لهن مثل ما للرجال نهاهن الله عن ذلك وامرهن ان يسألنه من فضله فانه اعلم بمصالح عباده ان الله كان
بكل شيء عليما يعني انه تعالى عليم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على المجمل في الطلب فان الله
عليم بما يصلحه ولا يتمنى غير الذي قدر له قوله تعالى ولكل يعني من الرجال والنساء جعلنا موالي يعني ورثة

من بني عم واخوة وسائر العصبات مما ترك يعني يرثون مما ترك الوالدان والاقربون ميراثهم فعلى هذا الوالدان
والاقربون هم الذين يرثون وقيل ان قوله موالي مما ترك يعني ممن تركهم الميت ثم فسر الموالي فقال الوالدان
والاقربون فعلى هذا الوالدان والاقربون هم الوارثون والمعنى ولكل شخص جعلنا ورثة ممن تركهم وهم الوالدان
والاقربون والقول الاول اصح لانه مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما والذين عاقدت ايمانكم وقرئ عقدت بغير الف مع التخفيف
والمعاقدة المحالفة والمعاهدة والايمان جمع يمين يحتمل ان يراد بها القسم او اليد او هما جميعا وذلك انهم كانوا اجتمعوا
اذا تحالفوا اخذ كل واحد منهم بيد صاحبه وتحالفوا على الوفا بالعهد والتمسك بذكر العقد وكان الرجل
في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك
ترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من
مال الآخر وكان الحكم ثابتا في الجاهلية وابتداء الاسلام فذلك قوله تعالى فآتوهم نصيبهم يعني
اعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ الله هذا الحكم بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله
وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار
لما قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة دون النسب والرحم فلما نزلت ولكل جعلنا موالي مما
ترك الوالدان نسختها ثم قال والذين عاقدت ايمانكم من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث
ويوصى له وفي رواية اخرى عنه قال والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم كان الرجل يحالف الرجل ليس
بينهما نسب فيرث احدهما الآخر فنسخ ذلك الانفال فقال واولوا الارحام بعضهم اولى وقال سعيد بن
المسيب كانوا يتوارثون بالتبني وهذه الآية فنسخ ذلك وذهب قوم الى ان الآية ليست بمنسوخة بل
حكمها باق والمراد بقوله والذين عاقدت ايمانكم الحلف والمراد من قوله فآتوهم نصيبهم يعني من النصر
والنصيحة والموافاة والمصافاة ونحو ذلك فعلى هذا لا يكون منسوخا وقيل نزلت في عبد الرحمن بن
ابي بكر الصديق عن داود بن الحصين قال كنت اقرا على ام سعد بنت الربيع وكانت يتيمة في حجر ابي بكر الصديق
فقرات والذين عاقدت ايمانكم فقالت لا تقرا والذين عاقدت ايمانكم انما نزلت في ابي بكر وابنه عبد الرحمن حين
ابى الاسلام فحلف ابو بكر ان لا يورثه فلما اسلم امر الله ان يؤتيه نصيبه اخرجه ابو داود وعلى هذا فلا
نسخ ايضا فمن قال ان حكم الآية باق قال انما كانت المعاقدة في الجاهلية على النصر لا غير والاسلام لم يغير ذلك
ويدل عليه ما روي عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام وايما حلف كان
في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة اخرجه مسلم وقوله تعالى ان الله كان على كل شيء شهيدا
قال عطاء يريد انه لم يغب عنه علم ما خلق وبرا فعلى هذا الشهيد الشاهد والمراد منه علمه
بجميع الاشياء وقيل الشهيد الشاهد على الخلق يوم القيمة بكل ما عملوه فعلى هذا الشاهد
بمعنى المخبر وفيه وعد للطائعين ووعيد للعصاة بمعنى قوله عز وجل الرجال قوامون على
النساء نزلت في سعد بن الربيع وكان من النقباء وفي امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير ويقال
امراته بنت محمد بن مسلمة وذلك انها نشزت عليه فلطمها فانطلق ابوها معها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال افرشته كريمتي فلطمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لتقتص من زوجها فانصرفت مع ابيها لتقتص
منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبريل اتاني فانزل الله هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص فقوله تعالى الرجال قوامون على النساء
اي مسلطون على تاديب النساء والاخذ على ايديهن قال ابن عباس امروا عليهن فعلى المراة ان تطيع

زوجها في طاعة الله والقوام هو القائم بالمصالح والتدبير والتاديب فالرجل يقوم بامر المراة ويجتهد في حفظها وما
القيام للرجال على النساء بين السبب في ذلك فقال تعالى بما فضل الله بعضهم على بعض يعني ان الله تعالى فضل
الرجال على النساء بامور منها زيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجهاد والجمعة والجماعات وبالامامة
لان منهم الانبياء والخلفاء والائمة ومنها ان الرجل يتزوج باربع نسوة ولا يجوز للمراة غير زوج واحد ومنها زيادة
النصيب في الميراث والتعصيب في الميراث وبيده النكاح والطلاق والرجعة واليه الانتساب فكل هذا
يدل على فضل الرجال على النساء ثم قال تعالى وبما انفقوا من اموالهم يعني وبما اعطوا من مهور النساء والنفقة
عليهن عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت آمرا احدا ان يسجد لاحد لامرت الزوجة ان
تسجد لزوجها اخرجه الترمذي فالصالحات يعني المحسنات العاملات بالخير قانتات اي مطيعات
لازواجهن وقيل مطيعات لله حافظات للغيب اي حافظات لفروجهن في غيبة الرجال ازواجهن لئلا يلحق الزوج
العار بسبب زناها ويلحق به الولد الذي هو من غيره وقيل معناه حافظات لسر زوجها وحفظ ماله وما يجب
على المراة من حفظ متاع البيت في غيبة زوجها عن ابي هريرة قال قيل يا رسول الله اي النساء خير قال التي تسره
اذا نظر اليها وتطيعه اذا امر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره اخرجه النسائي ورواه البغوي بسنده
الثعلبي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها
اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها ثم تلا الرجال قوامون على النساء الاية وقوله تعالى
بما حفظ الله يعني بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج وامرهم باداء المهر والنفقة اليهن ق عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء فان المراة خلقت من ضلع وان اعوج
ما في الضلع اعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج فاستوصوا بالنساء وقيل معنى
الاية بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب وقيل بما حفظ الله من حقوقهن على ازواجهن حيث
امرهم بالعدل بينهن وامساكهن بمعروف او تسريحهن باحسان واللاتي تخافون اي تعلمون وقيل
تظنون نشوزهن واصل النشوز الارتفاع ونشوز المراة هو بغضها لزوجها ورفع نفسها
عن طاعته والتكبر عليه وقيل دلالات النشوز قد تكون بالقول والفعل فالقول مثل ان كانت تلبيه
اذا دعاها وتخضع له اذا خاطبها والفعل مثل ان كانت تقوم له اذا دخل عليها وتسارع
الى امره اذا امرها فاذا خالفت هذه الاحوال بان رفعت صوتها عليه او لم تجبه اذا دعاها ولم تبادر
الى امره اذا امرها دل ذلك على نشوزها على زوجها فعظوهن يعني اذا ظهر منهن امارات النشوز
فعظوهن بالتخويف بالقول وهو ان يقول لها اتق الله وخافيه فان لي عليك حقا وارجعي عما انت عليه واعلمي
ان طاعتي فرض عليك ونحو ذلك فان اصرت على ذلك هجرها في المضجع وهو قوله تعالى واهجروهن في المضاجع يعني
ان نزعن عن ذلك بالقول فاهجروهن في المضاجع قال ابن عباس هو ان يوليها ظهره في الفراش
ولا يكلمها وقيل هو ان يعتزل عنها الى فراش اخر واضربوهن يعني ان نزعن بالهجران فاضربوهن
يعني ضربا غير مبرح ولا شائن وقيل هو ان يضربها بالسواك ونحوه قال الشافعي الضرب مباح وتركه
افضل عن عمرو بن الاحوص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول بعد ان حمد الله واثنى
عليه وذكر ووعظ فذكر في الحديث قصة فقال الا فاستوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم
ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك الا ان ياتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع
واضربوهن ضربا غير مبرح فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اخرجه الترمذي بزيادة فيه قوله

عوان جمع عانية اي اسيرة شبه المراة ودخولها تحت حكم زوجها بالاسير والضرب المبرح الشديد الشاق
وقوله فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اي لا تطلبوا عليهن طريقا تحتجون بها عليهن اذا ا
طعنكم عن حكيم بن معاوية عن ابيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة احدنا عليه قال ان تطعمها اذا طعمت
وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت اخرجه ابو داود وقوله لا تقبح اي لا تقل
قبحك الله ق عن عبد الله بن زمعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايجلد احدكم امراته جلد العبد ثم لعله
يجامعها او قال يضاجعها من اخر اليوم عن اياس بن عبد الله بن ابي ذباب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تضربوا اماء الله فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذئرن النساء على ازواجهن فرخص في ضربهن فاطاف
بال رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون ازواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بال محمد
نساء كثير يشكون ازواجهن ليس اولئك بخياركم اخرجه ابو داود اياس بن عبد الله هذا اختلف في صحبته
وقال البخاري لا يعرف له صحبة قوله ذئرن يقال ذئرت المراة على زوجها اذا نشزت واجترات عليه واطاف
بالشيء احاط به ففي هذه الاحاديث دليل على ان الاولى ترك الضرب للنساء فان احتاج الى ضربها لتاديب
فلا يضربها ضربا شديدا وليكن ذلك متفرقا ولا يوالي بالضرب على موضع واحد من بدنها وليتق الوجه لانه مجمع
المحاسن ولا يبلغ بالضرب عشرة اسواط وقيل ينبغي ان يكون الضرب بالمنديل واليد ولا يضرب بالسوط
والعصا وبالجملة فالتخفيف بابلغ شيء اولى في هذا الباب واختلف العلماء فقال بعضهم حكم الاية مشروع
على الترتيب فان ظاهر اللفظ وان دل على الجمع الا ان فحوى الاية يدل على الترتيب قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه يعظها
بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها فان ابت هجر مضجعها فان ابت ضربها فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكمين
وقال اخرون هذا الترتيب مراعى عند خوف النشوز اما عند تحقق النشوز فلا باس بالجمع بين الكل وقيل
له ان يعظها عند خوف النشوز وهل له ان يهجرها فيه احتمال وله ذلك عند ظهور النشوز ان يعظها وان يهجرها
او يضربها عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسال الرجل فيم ضرب امراته اخرجه ابو داود ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل امراته الى فراشه فابت ان تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة
حتى تصبح وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امراته الى فراشه فتابى عليه
الا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها وفي رواية اذا باتت مهاجرة فراش زوجها لعنتها
الملائكة حتى تصبح وفي رواية اخرى حتى ترجع عن طلق بن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا الرجل امراته
لحاجته فلتاته وان كانت على التنور اخرجه الترمذي وله عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تؤذي امراة
زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو دخيل عندك يوشك ان يفارقك الينا وله
عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امراة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة وقوله تعالى
فان اطعنكم يعني فان رجعن عن النشوز الى طاعتكم عند هذا التاديب فلا تبغوا عليهن سبيلا يعني فلا تطلبوا
عليهن الضرب والهجران على سبيل التعنت والايذاء وقيل معناه ازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ — التعرض
والتجنوا عليهن الذنوب وقيل معناه لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بايديهن ان الله كان عليا كبيرا
العلي في صفة الله تعالى معناه هو الرفيع الذي يعلو على وصف الواصفين ومعرفة العارفين العلي بالاطلاق
الذي يستحق جميع صفات المدح والكبير هو المستغني عن غيره وذلك هو الله تعالى الموصوف بالجلال والعظمة
والكبرياء وكبر الشان الذي يصغر كل احد لكبريائه وعظمته والمعنى ان الله متعال من ان يكلف عباده ما لا يطيقونه
وقيل ان النساء وان ضعفن عن دفع الرجال عنهن فان الله علي كبير قادر ان ينتقم لهن ممن ظلمهن من

الرجال وقيل معناه ان الله مع علوه وكبريائه يقبل توبة العاصي اذا تاب ويغفر له فاذا تابت المراة من نشوزها فالاولى
ان تقبلوا توبتها وتتركوا معاتبتها واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم فانتم احق بالعفو عمن جنى عليكم
قوله تعالى وان خفتم يعني ان علمتم وتيقنتم وقيل معناه الظن يعني ظننتم شقاق بينهما يعني بين الزوجين واصل
الشقاق المخالفة وكون كل واحد من المتخالفين في شق غير شق صاحبه او يكون اصله من شق العصا وهو ان يقول
كل واحد من الزوجين ما يشق على صاحبه سماعه والمعنى انه اذا ظهر بين الزوجين شقاق وبغى كل منهما واشتبه حالهما
ولم يفعل الزوج الصلح ولا الصفح ولا الفرقة وكذلك الزوجة لا تؤدي الحق ولا الفدية وخرجا الى ما لا يحل قولا وفعلا قوله تعالى
فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها اختلفوا في المخاطبين بهذا ومن المامور ببعثة الحكمين فقيل المخاطب به
هو الامام او نائبه لان تنفيذ الاحكام الشرعية اليه وقيل المخاطب بذلك كل احد من صالحي الامة لان قوله تعالى
فابعثوا خطاب للجمع وليس حمله على البعض اولى من حمله على البقية فوجب حمله على الكل فعلى هذا يجب ان يكون امرا لاحاد الامة سواء
وجد الامام او لم يوجد فللصالحين ان يبعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها وايضا فهذا يجري مجرى دفع الضرر فلكل
احد ان يقوم به وقيل هو خطاب للزوجين فاذا حصل بينهما شقاق بعثا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا
اصلاحا يعني الحكمين وقيل الزوجين يوفق الله بينهما يعني بالصلاح والالفة روى الشافعي بسنده عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه انه جاءه رجل وامراة ومع كل واحد منهما فئام من الناس فقال علي ما شان هذين قالوا وقع بينهما
شقاق قال علي فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ثم قال للحكمين تدريان ما عليكما عليكما ان رايتما ان تجمعا جمعتما
وان رايتما ان تفرقا فرقتما فقالت المراة رضيت بكتاب الله بما علي فيه ولي وقال الرجل اما الفرقة فلا فقال علي كذبت والله
حتى تقر بمثل ما اقرت به قال الشافعي فعلى المستحب ان يبعث الحاكم عدلين ويجعلهما حكمين والاولى ان يخلو كل واحد منهما
بصاحبه وليستكشف حقيقة الحال ليعرف ان رغبته في الاقامة على النكاح او المفارقة ثم يجتمعان فيفعلان ما
هو الصواب من ايقاع طلاق او خلع والحكمان وكيلان للزوجين وهل يجوز لهما تنفيذ امر يلزم الزوجين
دون رضاهما واذنهما في ذلك مثل ان يطلق حكم الرجل او يفتدي حكم المراة بشيء من مالها فللشافعي في ذلك قولان
احدهما انه لا يجوز الا برضاهما وليس لحكم الزوج ان يطلق الا باذنه ولا لحكم المراة ان تختلع بشيء من مالها الا باذنها وهو مذهب
ابي حنيفة واحمد لان عليا توقف حين لم يرض الزوج وذلك حين قال اما الفرقة فلا فقال له علي كذبت حتى تقر بمثل
ما اقرت به فثبت ان تنفيذ الامر موقوف على اقراره ورضاه ومعنى قول علي للزوج كذبت اي لست بمنصف في
دعواك حيث لم تقر بمثل ما اقرت به من الرضا بكتاب الله لها وعليها والقول الثاني انه يجوز بعث الحكمين دون
رضاهما ويجوز لحكم الزوج ان يطلق دون رضاه ولحكم المراة ان يختلع دون رضاها اذا رايا الصلاح في ذلك كالحاكم
يحكم بين الخصمين وان لم يكن على وفق مرادهما وبه قال مالك ومن قال بهذا القول قال ليس المراد من قول علي للزوج
حتى تقر ان رضاه شرط بل معناه ان المراة لما رضيت بما في كتاب الله فقال الرجل اما الفرقة فلا يعني ليست الفرقة
في كتاب فقال له علي كذبت حيث انكرت ان تكون الفرقة في كتاب الله فقال له علي كذبت حيث انكرت ان تكون الفرقة
في كتاب الله بل هي في كتاب الله فان قوله تعالى يوفق الله بينهما يشتمل على الفراق وعلى غيره لان التوفيق ان
يخرج كل واحد منهما من الاثم والوزر ويكون ذلك تارة بالفراق وتارة بصلاح حاليهما في الوصلة وقوله تعالى ان
الله كان بما تعملون عليما خبيرا يعني انه تعالى يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين وفيه وعيد شديد
للزوجين وللحكمين ان سلكوا غير طريق الحق قوله عز وجل واعبدوا الله يعني وحدوه واطيعوه وعبادة
الله عبارة عن كل فعل ياتي به العبد لمجرد امر الله تعالى ويدخل فيه جميع اعمال القلوب واعمال الجوارح ولا تشركوا به شيئا
يعني واخلصوا له في العبادة ولا تجعلوا له في الربوبية والعبادة شريكا لان من عبد مع الله غيره اراد بها غيره

فقد اشرك به ولا يكون مخلصا (ق) عن معاذ بن جبل قال كنت ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير فقال
يا معاذ هل تدري ما حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك
به شيئا فقلت يا رسول الله افلا ابشر الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا قوله هل تدري ما حق الله على عباده معناه
ما يستحقه مما اوجبه وجعله متحتما عليهم ثم فسر ذلك الحق بقوله ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وقوله وما حق
العباد على الله انما الحق جاء هنا على سبيل المقابلة لحقه عليهم لانهم لا يستحقون عليه شيئا ويجوز ان يكون
من قول الرجل لصاحبه حقك علي واجب اي متاكد قيامي به وقوله افلا ابشر الناس الحديث قال لا تبشرهم
فيتكلوا لانه صلى الله عليه وسلم راى ذلك اصلح لهم واحرى ان لا يتكلوا على هذه البشارة ويتركوا العمل الذي يرفع
لهم به الدرجات في الجنة وقوله تعالى وبالوالدين احسانا يعني واحسنوا بالوالدين احسانا يعني برا بهما وعطفا
عليهما وانما قرن بر الوالدين بعبادته وتوحيده لتاكيد حقهما على الولد واعلم ان الاحسان الى الوالدين هو
ان يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ويسعى في تحصيل مرادهما والانفاق عليهما بقدر القدرة (ق) عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من احق الناس بحسن صحابتي
قال امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم ابوك وفي رواية قال امك ثم امك ثم اباك ثم ادناك
فادناك قوله ثم اباك فيه حذف تقديره ثم بر اباك (م) عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم انفه رغم انفه
قيل من يا رسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر او احدهما ثم لم يدخل الجنة وقوله تعالى وبذي القربى احسنوا
الى ذي القرابة وهم ذوو رحمه من قبل ابيه وامه (ق) عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من سره ان يبسط له في رزقه وينسا له في اثره فليصل رحمه معنى ينسا له في اثره يؤخر له في اجله وعمره
وقوله تعالى واليتامى والمساكين اي واحسنوا الى اليتامى والمساكين انما امر بالاحسان اليهم لان اليتيم مخصوص
بنوعين من العجز الصغر وعدم المشفق والمسكين هو الذي ركبه ذل الفاقة والفقر فتمسكن لذلك (خ)
عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى
وفرج بينهما شيئا (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد
في سبيل الله واحسبه قال وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم لا يفطر وقوله تعالى والجار ذي القربى يعني
والجار الجنب اي واحسنوا الى الجار ذي القربى وهو الذي قرب جواره منك والجار الجنب هو الذي بعد جواره
منك وقيل الجار ذي القربى هو القريب والجار الجنب هو الاجنبي الذي ليس بينك وبينه قرابة (ق) عن
ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وعن عائشة
مثله (خ) عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ان لي جارين فالى ايهما اهدي قال الى اقربهما منك بابا (م) عن ابي ذر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتعاهد جيرانك وفي رواية قال اوصاني خليلي
صلى الله عليه وسلم قال اذا طبخت مرقا فاكثر ماءه ثم انظر الى اهل بيت من جيرانك فاصبهم منها بمعروف (ق) عن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله قال الذي لا يامن جاره
بوائقه البوائق الغوائل والشرور (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها
ولو فرسن شاة معناه ولو ان تهدي لها فرسن شاة وهو الظلف واراد به الشيء الحقير (ق) عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يؤذي جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه
ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليسكت وقوله تعالى والصاحب بالجنب قال ابن عباس
هو الرفيق في السفر وقيل هي المراة تكون معك الى جنبك وقيل هو الذي يصحبك رجاء نفعك عن عبد الله بن عمر

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره أخرجه
الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى وابن السبيل يعني المسافر المجتاز بك الذي قد انقطع به وقال الأكثرون
المراد بابن السبيل الضيف يمر بك فتكرمه وتحسن إليه ق عن أبي شريح خويلد بن عمرو العدوي قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا وما جائزته يا رسول الله
قال يومه وليلته والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل
خيرا أو ليصمت زاد في رواية ولا يحل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه قالوا يا رسول الله وكيف يؤثمه قال يقيم عنده
ولا شيء له يقريه به قوله جائزته يومه وليلته أي يتكلف في العطية أي يتحف الضيف ثلاثة أيام ثم يعطيه ما يجوز به من منهل
إلى منهل وقيل هو أن يكرم الضيف ثلاثة أيام فإذا سافر أعطاه ما يكفيه يوما وليلة حتى يصل إلى موضع آخر
وقوله ولا يقيم عنده حتى يؤثمه أي يوقعه في الإثم لأنه إذا أقام عنده ولم يجد ما يقريه به ذكره وقوله تعالى وما ملكت أيمانكم يعني
المماليك فأحسنوا إليهم والإحسان إليهم أن لا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يؤذيهم بالكلام الخشن وأن يعطيهم من
الطعام والكسوة ما يحتاجون إليه بقدر الكفاية عن أبي بكر الصديق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل
الجنة سيء الملكة أخرجه الترمذي عن رافع بن مكيث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حسن الملكة نماء وسوء الخلق شؤم
أخرجه أبو داود وله عن علي بن أبي طالب قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما
ملكت أيمانكم ق عن المعرور بن سويد قال رأيت أبا ذر وعليه حلة وعلى غلامه حلة مثلها فسألته عن ذلك فذكر
أنه ساب رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بأمه فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم إنك امرؤ فيك جاهلية قلت على ساعتي هذه من كبر السن قال نعم هم إخوانكم خولكم جعلهم
الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن
كلفتموهم فأعينوهم عليه وقوله تعالى إن الله لا يحب من كان مختالا المختال المتكبر المتعظم في نفسه الذي
لا يقوم بحقوق الناس فخورا الفخور هو الذي يفخر على الناس بعدد مناقبه تكبرا وتطاولا على من دونه وقيل علوم
هو الذي يفخر على الناس بعباد الله بما أعطاه الله من نعمه ولا يشكره عليها وإنما ختم الله هذه الآية بهذين
الوصفين المذمومين لأن المختال والفخور يأنف من أقاربه الفقراء ومن جيرانه الضعفاء فلا يحسن إليهم
ولا يلتفت بنظره عليهم ولأن المختال هو المتكبر ومن كان متكبرا فلا يقوم بحقوق الناس ق عن ابن عمر أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء ق عن أبي هريرة أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا ق عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال في مشيته إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها
إلى يوم القيامة عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل ممن كان قبلكم يجر إزاره من الخيلاء خسف
الله به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة ق عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفخر والخيلاء
في الفدادين من أهل الوبر والسكينة في أهل الغنم الفدادون هم الفلاحون والحراثون وأصحاب الإبل
والبقر المستكثرون منها المتكبرون على الناس بها قوله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل
نزلت في اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتموها فعلى هذا يكون المراد بالبخل كتمان العلم وقال
ابن عباس نزلت في كردم بن زيد وحيي بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت وأسامة بن حبيب ونافع بن أبي نافع
وبحري بن عمرو وكانوا يأتون رجالا من الأنصار ويخالطونهم وينصحونهم ويقولون لهم لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر
ولا تدرون ما يكون فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقيل إن ذلك يحتمل أن يكون المراد بالبخل كتمان العلم ومنع

المال لأن البخل في كلام العرب منع السائل من فضل ما لديه وإمساك المقتنيات وفي الشرع البخل عبارة عن إمساك
الواجب ومنعه وإذا كان ذلك أمكن حمله على منع العلم ومنع المال ويكتمون ما آتاهم الله من فضله يعني اليهود
كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما عندهم من العلم وقيل هم الأغنياء الذين كتموا الغنى وأظهروا الفقر
وبخلوا بالمال وأعتدنا للكافرين يعني الجاحدين نعمة الله عليهم عذابا مهينا يعني في الآخرة عن أبي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق أخرجه الترمذي
وقال حديث غريب قوله عز وجل والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس يعني للفخر والسمعة وليقال ما
أسخاهم وما أجودهم لا يريدون بما أنفقوا وجه الله تعالى م عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه نزلت
هذه الآية في اليهود وقيل في المنافقين لأن الرياء ضرب من النفاق وقيل نزلت في مشركي مكة
المنفقين أموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر يعني ولا يصدقون بتوحيد الله
ولا بالمعاد الذي فيه جزاء الأعمال أنه كائن ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا يعني من يكن الشيطان
صاحبه وخليله فبئس الصاحب وبئس الخليل الشيطان والمعنى من يكن عمله بما يسول له الشيطان فبئس
العمل عمله وقيل هذا في الآخرة يجعل الله الشياطين قرناءهم في النار يقرن مع كل كافر شيطان في سلسلة
في النار ثم وبخهم الله وعيرهم على ترك الإيمان فقال تعالى وماذا عليهم يعني وأي شيء عليهم وأي وبال وتبعة
تلحقهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله أي أي وبال عليهم في الإيمان بالله والإنفاق في
سبيله وابتغاء مرضاته وكان الله بهم عليما يعني لا يخفى عليه شيء من أعمال هؤلاء الذين ينفقون أموالهم
لأجل الرياء والسمعة ففيه وعيد وتهديد لهم قوله عز وجل إن الله لا يظلم مثقال ذرة يعني لا يظلم
الكلام وماذا عليهم لو آمنوا وأنفقوا فإن الله لا يظلم ولا يبخس ولا ينقص أحدا من ثواب عمله
مثقال ذرة يعني وزن ذرة وقال ابن عباس الذرة رأس النملة حمراء وقيل الذرة كل جزء من
أجزاء الهباء الذي يكون في الكوة إذا كان فيها ضوء الشمس لا وزن لها وهذا مثل ضربه الله تعالى
لأقل الأشياء والمعنى أن الله لا يظلم أحدا شيئا من قليل ولا كثير فخرج الكلام على أصغر شيء يعرفه
الناس وإن تك حسنة يضاعفها يعني الحسنة بعشر أمثالها وقيل هذا عند الحساب فمن بقي له
من الحسنات مثقال ذرة ضاعفها الله له إلى سبعمائة وإلى أجر عظيم قال قتادة لأن تفضل
حسناتي على سيئاتي بمثقال ذرة أحب إلي من الدنيا وما فيها م عن أنس بن مالك في قوله تعالى
إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله
لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله
في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة
فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر شيئا من هذا أظلمك كتبتي
الحافظون فيقول لا يا رب فيقول أفلك عذر فيقول لا يا رب فيقول تعالى بلى إن لك عندنا حسنة
فإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر
وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال فإنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت
السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء أخرجه الترمذي ق عن أبي سعيد الخدري قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر
قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف
العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار
جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما منكم من احد باشد مناشدة لله في استيفاء
الحق من المؤمنين لله يوم القيمة لاخوانهم في النار وفي رواية فما انتم باشد مناشدة في الحق قد تبين لكم من
المؤمنين يومئذ للجبار اذا راوا انهم قد نجوا في اخوانهم فيقولون ربنا اخواننا كانوا يصومون معنا ويصلون الذين م
ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى
نصف ساقه الى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به فيقال ارجعوا فمن وجدتم في قلبه
مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا احدا ثم يقول
ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها
خيرا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك
حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون
ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما من النار لم يعملوا خيرا قط قد عادوا
حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون الى الحجر
او الى الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر واخيضر وما يكون منها الى الظل يكون ابيض فقالوا يا رسول الله كانك كنت
ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الجنة بغير
عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من
العالمين فيقول لكم عندي افضل من هذا فيقولون ربنا اي شيء افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط
عليكم ابدا لفظ مسلم وهو بعض حديث وقال بعضهم هذه الاية واردة في الخصوم ويدل عليه ما روي عن
عبد الله بن مسعود قال اذا كان يوم القيمة جمع الله الاولين والاخرين ثم ينادي مناد من عند الله الا
من كان له مظلمة فليجئ الى حقه فلياخذه قال فيفرح المرء ان يكون له الحق على والده او ولده او
زوجته او اخيه فياخذ منه وان كان صغيرا ومصداق ذلك في كتاب الله فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم
يومئذ ولا يتساءلون ويؤتى بالعبد وينادي مناد على رؤوس الاولين والاخرين هذا فلان بن فلان من كان له
عليه حق فليات الى حقه ثم يقال له آت هؤلاء حقوقهم فيقول اي رب من اين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله
تبارك وتعالى للملائكة انظروا في اعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة
يا ربنا وهو اعلم بذلك اعطينا كل ذي حق حقه وبقي له مثقال ذرة من حسنة فيقول للملائكة ضعفوها لعبدي
وادخلوه بفضل رحمتي الجنة ومصداق ذلك في كتاب الله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من
لدنه اجرا عظيما اي الجنة وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة الهنا فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقول الله تبارك وتعالى
خذوا من سيئاتهم فاضيفوها الى سيئاته ثم اكتبوا له كتابا الى النار اخرجه البغوي بغير سند عن ابن مسعود موقوفا
عليه واسنده ابن جرير الطبري عن ابن مسعود فمعنى الاية على هذا التاويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على الخصم
بل ياخذ له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يثيبه عليها ويضاعفها له فذلك قوله وان تك حسنة يضاعفها
اي يجعلها اضعافا كثيرة ويؤت من لدنه اجرا يعني من عنده اجرا عظيما يعني الجنة والمعنى ويعط من عنده
اجرا عظيما يعني عوضا من حسنته وذلك العوض هو الجنة وقال ابو هريرة اذا قال الله عز وجل اجرا عظيما فمن

بقدره قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد قال ابن عباس يريد نبيها والمعنى انه يؤتى
بنبي كل امة ليشهد عليها ولها وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا يعني لتشهد على هؤلاء الذين سمعوا القرآن
وخوطبوا به بما عملوا عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا علي القرآن فقلت يا رسول الله
اقرا عليك وعليك انزل قال اني احب ان اسمعه من غيري قال فقرات عليه سورة النساء حتى جئت الى هذه الاية
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن قال فالتفت اليه فاذا
عيناه تذرفان زاد مسلم شهيدا ما دمت فيهم او قال ما كنت فيهم شك احد رواته وقوله تعالى يومئذ
يعني يوم القيمة يود الذين كفروا يعني جحدوا وحدانية الله تعالى وعصوا الرسول يعني فيما امرهم به من
توحيد الله عز وجل لو تسوى بهم الارض يعني لو صاروا فيها وسويت عليهم وقيل لهم ودوا لو تنشق
لهم فكانوا في بطن الارض وهي منشقة عليهم وقال الكلبي يقول الله تبارك وتعالى للبهائم والوحوش والطيور
والسباع كوني ترابا هو لا يكتمون الله حديثا قال ابن عباس في رواية عطاء ودوا لو تسوى بهم الارض وانهم ٤٨م
لم يكونوا كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم ولا كفروا به ولا نافقوا فعلى هذا القول يكون الكتمان ما كتموا في الدنيا من
صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وهو كلام متصل بما قبله وقيل هو كلام مستانف قال سعيد
ابن جبير سال رجل ابن عباس فقال اني اجد في القرآن اشياء تختلف علي قال هات ما اختلف عليك قال منها
قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا ومنها قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا فقال ان الله يغفر لاهل
الاسلام ذنوبهم ويدخلهم الجنة فيقول المشركون تعالوا نقول والله ربنا ما كنا مشركين فيقولون والله ربنا ما
كنا مشركين رجاء ان يغفر لهم فيختم على افواههم وتنطق ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك عرفوا ان الله
لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض فلا يختلف عليك القرآن فان كلا من
عند الله وقال الحسن انها مواطن ففي موطن لا يتكلمون ولا تسمع الا همسا وفي موطن يتكلمون ويكذبون
ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفي موطن يعترفون على انفسهم وهو قوله
تعالى فاعترفوا بذنبهم وفي موطن لا يتساءلون وفي موطن يسالون الرجعة وآخر تلك المواطن ان يختم
على افواههم وتتكلم جوارحهم فهو قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا
لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى جمع سكران سبب نزول هذه الآية ما روي عن علي بن ابي طالب قال صنع لنا
ابن عوف طعاما فدعانا فاكلنا وسقانا خمرا قبل ان تحرم الخمر فاخذت منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرات
قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فخلطت فنزلت ولا تقربوا الصلاة وانتم
سكارى حتى تعلموا ما تقولون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح واخرجه ابو داود ولفظه ان رجلا
من الانصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف فسقاهما قبل ان تحرم الخمر فحضرت الصلاة فامهم علي في المغرب فقرا
قل يا ايها الكافرون فخلط فيها فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وروى ابن جرير
الطبري عن ابن عباس ان رجالا كانوا ياتون الصلاة وهم سكارى قبل ان تحرم الخمر فقال الله عز وجل يا ايها الذين
آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى الآية فعلى هذا في المراد بالصلاة قولان احدهما انه نفس الصلاة ذات
الركوع والسجود وهو قول الاكثرين والمعنى لا تصلوا وانتم سكارى الآية فعلى هذا المراد بالصلاة وقوله
حتى تعلموا ما تقولون والقول الثاني ان المراد بالصلاة موضع الصلاة وهو المسجد واطلاق لفظ المسجد يحتمل الصلاة على
فيكون من باب حذف المضاف والمعنى لا تقربوا مواضع الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وحذف
المضاف جائز سائغ ويدل عليه قوله تعالى لهدمت صوامع وبيع وصلوات والمراد بالصلوات مواضعها فثبت

ان اطلاق لفظ الصلاة والمراد مواضعها جائز واعلم ان هذا النهي عن قربان الصلاة في حالة السكر انما كان
قبل تحريم الخمر فكانوا يشربونها في غير اوقات الصلاة ثم نزل تحريم الخمر بعد ذلك ونسخت هذه الآية وقال الضحاك اراد
بالسكر سكر النوم يعني لا تقربوا الصلاة عند غلبة النوم ويدل عليه ما روي عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا نعس احدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر
فيسب نفسه اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى ولا جنبا يعني ولا تقربوا الصلاة وانتم جنب والجنب يستوي فيه
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب واصل الجنابة البعد وسمي الذي اصابته الجنابة
جنبا لانه يجتنب الصلاة والمسجد وقيل لمجانبته الناس حتى يغتسل الا عابري سبيل العابر هاهنا فاعل
من العبور وهو قطع الطريق من هذا الجانب الى الجانب الآخر واختلف العلماء في معنى قوله الا عابري سبيل على
قولين احدهما ان المراد بالعبور هو العبور في المسجد فتصيبهم الجنابة وذلك ان قوما من الانصار كانت ابوابهم
في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم ولا ممر لهم الا في المسجد فرخص لهم العبور فيه فعلى هذا القول يكون المراد
بالصلاة موضع الصلاة والمعنى لا تقربوا المسجد وانتم جنب الا مجتازين فيه اما للخروج منه او للدخول فيه مثل
ان يكون قد نام في المسجد فاجنب فيجب الخروج منه او يكون الماء في المسجد فيدخل اليه او يكون طريقه عليه فيمر فيه
من غير اقامة وهذا قول ابن مسعود وانس بن مالك والحسن وسعيد بن المسيب وعكرمة والضحى وعطا الخراساني
والنخعي والزهري واليه ذهب الشافعي واحمد القول الثاني ان المراد بقوله الا عابري سبيل المسافرين والمعنى
ولا تقربوا الصلاة وانتم جنب الا ان تكونوا مسافرين ولم تجدوا الماء فتيمموا فمنع الجنب من الصلاة حتى يغتسل
الا ان يكون في سفر ولا ماء معه فيتيمم ويصلي الى ان يجد الماء فيغتسل وهذا قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير
وهي رواية عن مجاهد جعل عابري سبيل المسافرين فمنع الجنب من العبور في المسجد وهو مذهب ابي حنيفة وصحح
الطبري والواحدي القول الاول ويدل على صحته وجهان احدهما ان المسافر الجنب لا تصح صلاته بدون التيمم ولم
يذكر التيمم هنا فيحتاج الى اضمار بتقدير عدم الماء وذكر التيمم وعلى القول الاول لا يحتاج الى اضمار الوجه
الثاني ان الله تعالى ذكر حكم السفر وعدم الماء وجواز التيمم بعد هذا فلا يحمل هذا على حكم معاد في الاية وقوله
عليه الا جميع القراء استحسنوا الوقف على قوله حتى تغتسلوا يعني الى ان تغتسلوا وفيه دليل على ان حكم
باق على الجنب الى غاية وهي الاغتسال فصل في احكام تتعلق بالآية اختلف العلماء في العبور في المسجد
فاباحه قوم على الاطلاق وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعي ومنعه بعضهم على الاطلاق وهو قول اصحاب
الراي وقال قوم يتيمم للعبور في المسجد واختلف العلماء في المكث في المسجد ايضا بحال لما روي عن عائشة قالت
جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه بيوت اصحابه شارعة في المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن
المسجد ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيئا رجاء ان ينزل لهم رخصة فخرج اليهم بعد فقال
وجهوا هذه البيوت عن المسجد فاني لا احل المسجد لحائض ولا جنب اخرجه ابو داود وجوز احمد المكث
في المسجد بشرط الوضوء وبه قال المزني من اصحاب الشافعي واجاب احمد عن حديث عائشة بان في بعض رواته
مجهول وقال عبد الحق لا يثبت من قبل اسناده واستدل احمد لمذهبه بما روي عن عطاء بن يسار قال رايت
رجالا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون في المسجد وهم مجنبون اذا توضؤوا وضوء الصلاة اخرجه
سعيد بن منصور في مسنده واحتج لمذهب الجمهور بعموم الاية وبما روي عن ام سلمة قالت دخل النبي صلى
الله عليه وسلم صرحة هذا المسجد فنادى باعلى صوته ان المسجد لا يحل لجنب ولا حائض اخرجه ابن ماجه ويحرم على
الجنب ايضا الطواف وقراءة القرآن كما يحرم عليه فعل الصلاة ويدل على ذلك ايضا ما روي عن علي بن ابي طالب قال كان رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته ثم يخرج فيقرأ القرآن ويأكل معنا اللحم ولا يحجبه وربما قال ولا يحجزه من القرآن شيء
ليس الجنابة اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي ولفظه كان يقرئنا القرآن على كل حال ما لم يكن جنبا
وقال حديث حسن صحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ الجنب ولا الحائض ولا
النفساء من القرآن شيئا اخرجه الدارقطني ويجب الغسل باحد شيئين بانزال المني وهو الماء الدافق او بايلاج
الحشفة في الفرج وان لم ينزل ويدل على ذلك ما روي عن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل
يجد البلل ولا يذكر احتلاما قال يغتسل وعن الرجل يرى انه احتلم ولا يجد بللا قال لا غسل عليه قالت ام سلمة
والمرأة ترى ذلك اعليها غسل قال نعم اخرجه ابو داود والترمذي ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا جلس بين شعبها الاربع ثم جهدها فقد وجب الغسل زاد في رواية وان لم ينزل قوله تعالى وان
كنتم مرضى جمع مريض واراد به المرض الذي يضر معه امساس الماء مثل الجدري واحراق النار ونحو ذلك
وان كان على بعض اعضائه جراحة او به قروح يخاف من استعمال الماء التلف او زيادة الوجع فانه
يتيمم ويصلي مع وجود الماء وان كان بعض اعضائه صحيحا وبعضها جريحا غسل الصحيح وتيمم للجريح في
الوجه واليدين لما روي عن جابر قال خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه في راسه ثم احتلم فسال اصحابه
هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة وانت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله الا سالوا اذا لم يعلموا فانما شفاء العي السؤال انما كان
يكفيه ان يتيمم ويعصر او قال يعصب شك الراوي على جرحه خرقة ثم يمسح عليه ويغسل سائر جسده
اخرجه ابو داود والدارقطني ولم يجوز اصحاب الراي الجمع بين التيمم والغسل قالوا اذا كان اكثر اعضائه
او بدنه صحيحا غسل الصحيح ولا تيمم عليه وان كان الاكثر جريحا اقتصر على التيمم والحديث حجة لمن
اوجب الجمع بين الغسل والتيمم وقوله تعالى او على سفر يعني او كنتم مسافرين واراد به السفر الطويل
والقصير وعدم الماء فانه يتيمم ويصلي ولا اعادة عليه لما روي عن ابي ذر قال اجتمعت غنيمة عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر ابد فيها فبدوت الى الربذة فكانت تصيبني الجنابة فامكث الخمس والست ابا ذرهم
فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو ذر فسكت فقال ثكلتك امك ابا ذر لامك الويل فدعا بجارية سوداء فجاءت بعس
فيه ماء فسترتني بثوب واستترت بالراحلة فاغتسلت فكانني القيت عني جبلا فقال الصعيد الطيب
وضوء المسلم ولو الى عشر سنين فاذا وجدت الماء فامسه جلدك فان ذلك خير اخرجه ابو داود العس
قدح من خشب يجعل فيه الماء للوضوء والاغتسال اما اذا لم يكن الرجل مريضا ولا على سفر وعدم الماء
في موضع لا يعدم فيه غالبا فانه يتيمم ويصلي ثم يعيد اذا وجد الماء وقدر عليه وبه قال الشافعي وقال مالك
والاوزاعي لا اعادة عليه وقال ابو حنيفة يؤخر الصلاة حتى يجد الماء وقوله تعالى او جاء احد منكم من الغائط
الغائط المكان المطمئن من الارض وجمعه الغيطان وكانت عادة العرب اتيان الغائط للحدث فكنوا به
عن الحدث وذلك ان الرجل منهم كان اذا اراد قضاء الحاجة طلب غائطا من الارض يعني مكانا منخفضا
من الارض يحجبه عن اعين الناس فسمي الحدث بهذا الاسم فهو من باب تسمية الشيء باسم مكانه وقوله تعالى
او لامستم قرئ هنا وفي سورة المائدة لامستم النساء ولمستم بغير الف واختلف العلماء في معنى الملامسة على
قولين احدهما انه الجماع وهو قول علي وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ووجه هذا القول ان الله كنى باللمس عن
الجماع لان باللمس يوصل اليه قال ابن عباس ان الله حيي كريم يكني عن الجماع بالملامسة والقول الثاني ان المراد باللمس
هنا التقاء البشرتين سواء كان بجماع او بغير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي ووجه هذا القول

ان اللمس حقيقة في اللمس باليد فاما حمله على الجماع فمجاز والاصل حمل الكلام على الحقيقة لا المجاز وايضا فان
من قرا او لامستم والملامسة مفاعلة من اللمس لا يدل على الجماع ايضا على الاطلاق لانه قد ورد في الحديث النهي عن
بيع الملامسة قال ابو عبيد في معناها هو ان يقول اذا لمست ثوبي او لمست ثوبك فقد وجب البيع فالملامسة
في الحديث بمعنى اللمس باليد واذا كانت مستعملة في غير الجماع فعلم لم يدل قوله تعالى او لامستم النساء على صريح الجماع
بل حمل على الاصل الموضوع له وهو اللمس باليد فصل في احكام تتعلق بالاية وفيه مسايل المسلة الاولى اذا افضى
الرجل بشي من بدنه الى شي من بدن المراه ولا حايل بينهما انتقض وضوءهما وهو قول ابن مسعود وابن عمر وبه قال الزهري والاوزاعي
والشافعي لما روى الشافعي بسنده عن ابن عمر انه قال قبلة الرجل امراته وجسها بيده من الملامسة فمن قبل امراته
او جسها بيده فعليه الوضوء واخرجه مالك في الموطا قال الشافعي وبلغنا عن ابن مسعود مثله وقال مالك والليث
ابن سعد واحمد واسحق اذا كان اللمس بشهوة انتقض الوضوء وان لم يكن بشهوة فلا ويدل عليه ما روي عن عايشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل امراة من نسايه ثم خرج الى الصلاة ولم يتوضا قال عروة من هي الا انت فضحكت
اخرجه الترمذي وابو داود واجيب عن هذا الحديث بانه ليس بثابت قال الترمذي لانه لا يصح اسناده بحال وسمعت
محمد بن اسماعيل يضعف هذا الحديث وقال حبيب بن ابي ثابت لم يسمع من عروة وضعف يحيى بن سعيد
القطان هذا الحديث وقال هو شبه لا شي وفيه ضعف من وجه اخر وهو ان عروة هذا ليس بعروة ابن الزبير ابن اخت
عايشة انما هو شيخ مجهول قال البيهقي يعرف بعروة المزني وانما المحفوظ عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يقبل وهو صايم كذا رواه الثقات عن عايشة وقال ابو حنيفة لا ينتقض الوضوء باللمس الا ان يحدث الانتشار
وقال قوم لا ينتقض بحال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثوري واحتج من لم يوجب الوضوء باللمس
بما روي عن عايشة انها قالت كنت انام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلاي في قبلته فاذا سجد غمزني
فقبضت رجلي فاذا قام بسطتهما والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح اخرجاه في الصحيحين واجاب
من اوجب الوضوء باللمس عن هذا الحديث بانه يحتمل ان يكون غمزها على حايل المسلة الثانية اختلف قول
الشافعي في لمس المحرم كالام والبنت والاخت او اجنبية صغيرة فاصح القولين عنه انه لا ينتقض الوضوء والثاني
انه ينتقض الوضوء ومأخذ القولين عند اصحاب الشافعي التردد بين التعلق بعموم الاية في قوله او لامستم النساء
او النظر الى المعنى في النقض باللمس وهو تحرك الشهوة فان اخذنا بعموم الاية فينتقض الوضوء بلمس المحارم والصغار وان اخذنا
بالمعنى فلا ينتقض وفي الملموس قولان والملموس هو الذي لا فعل منه في المباشرة رجلا كان او امراة واللامس
هو الفاعل للمس وان لم يقصد المباشرة فاحد القولين انه ينتقض وضوء اللامس دون الملموس لما روي
عن عايشة قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوضعت يدي على بطن
قدميه وهو ساجد وهما منصوبتان وهو يقول اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ
بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك اخرجه مسلم فلو انتقض وضوءه صلى الله عليه وسلم لقطع
الصلاة ولو لمس شعر امراة او سنها او ظفرها فلا وضوء عليه المسلة الثالثة في الحدث وهو الخارج من السبيلين
عينا كان كالبول والغايط او اثرا كالريح ونحوها فاذا حصل شي من ذلك فلا تصح صلاته ما لم يتوضا او يتيمم عند
عدم الماء لما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة احدكم اذا احدث حتى يتوضا
فقال رجل من حضرموت ما الحدث يا ابا هريرة قال فساء او ضراط اخرجاه في الصحيحين اما خروج النجاسة من
غير السبيلين كالفصد والحجامة والرعاف والقي ونحوها فذهب قوم الى انه لا وضوء من خروج هذه الاشياء يروى
ذلك عن ابن عمر وابن عباس وبه قال عطاء وطاوس والحسن وابن المسيب واليه ذهب مالك والشافعي لما روي

عن انس

عن انس قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يتوضا ولم يزد على غسل محاجمه اخرجه الدارقطني وذهب قوم
الى ايجاب الوضوء من ذلك منهم سفيان الثوري وابن المبارك واصحاب الراي واحمد واسحق واتفق هولاء ان خروج القليل منه لا
ينقض الوضوء ويدل على انتقاض الوضوء بخروج هذه الاشيا ما روي عن معدان بن ابي طلحة عن ابي الدرداء
ان النبي صلى الله عليه وسلم قاء فتوضا قال معدان فلقيت ثوبان في مسجد دمشق فذكرت له ذلك فقال صدق انا صببت له وضوءه
اخرجه الترمذي وقال هو اصح شي في هذا الباب المسلة الرابعة من نواقض الوضوء زوال العقل بجنون او اغما او نوم
لما روي عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين وكاء السه فمن نام فليتوضا اخرجه ابو داود وابن ماجه
ويستثنى من ذلك النوم اليسير قاعدا ممكنا محل الحدث الى الارض ويدل على ذلك ما روي عن انس قال
كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشا الاخرة حتى تخفق رؤوسهم ثم يصلون ولا يتوضون
اخرجه ابو داود وذهب قوم الى ان النوم لا ينقض الوضوء بكل حال وهو قول ابي هريرة وعايشة وبه قال الحسن
واسحق والمزني وذهب قوم الى انه لو نام قايما او قاعدا او ساجدا وهو في الصلاة فلا وضوء عليه حتى يضطجع
وبه قال سفيان الثوري وابن المبارك واصحاب الراي لما روي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على من نام
ساجدا وضوء حتى يضطجع فانه اذا اضطجع استرخت مفاصله اخرجه احمد بن حنبل وضعف بعضهم هذا
الحديث المسلة الخامسة من نواقض الوضوء مس الفرج من نفسه او غيره فذهب قوم الى انه يوجب
الوضوء وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة وعايشة وبه قال سعيد بن
المسيب وسليمان بن يسار واليه ذهب الاوزاعي والشافعي واحمد واسحق غير ان الشافعي قال ينتقض
الوضوء اذا مس بباطن الكف والرجل والمراة في ذلك سواء ويدل على ذلك ما روي عن بسرة بنت صفوان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مس ذكره فلا يصلي حتى يتوضا اخرجه الترمذي وقال حديث
صحيح ولابي داود والنسائي نحوه وعن ام حبيبة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مس
فرجه فليتوضا اخرجه ابن ماجه وصححه احمد وابو زرعة وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من
افضى بيده الى ذكره ليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضوء اخرجه احمد بن حنبل وذهب قوم
الى ان مس الذكر لا يوجب الوضوء وهو قول علي وابن مسعود وابي الدرداء وحذيفة وبه قال الحسن والثوري
وابن المبارك واصحاب الراي واحتجوا بما روي عن طلق بن علي قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاءه رجل كانه بدوي فقال يا نبي الله ما ترى في مس الرجل ذكره بعد ما توضا فقال هل هو الا مضغة او
قال بضعة منه اخرجه ابو داود وللترمذي والنسائي نحوه بمعناه واجاب من اوجب الوضوء من
مس الذكر عن حديث طلق بن علي بان قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في اول الهجرة وهو يبني
المسجد وابو هريرة متاخر اسلاما وقد روى انتقاض الوضوء بمس الذكر فصار حديث ابي هريرة ناسخا
لحديث طلق بن علي وايضا فان حديث طلق يرويه عنه ابنه قيس بن طلق وهو ليس بالقوي عند اهل الحديث
قوله تعالى فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا اعلم ان التيمم من خصايص هذه الامة خصها
الله به ليسهل عليهم اسباب العبادة ويدل على ذلك ما روي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملايكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت
تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء اخرجه مسلم وكان سبب بدء التيمم ما روي عن عايشة قالت خرجنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
على التماسه واقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فاتى الناس الى ابي بكر فقالوا الا ترى الى ما صنعت عايشة

اقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فاتى ابو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع راسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة فعاتبني ابو بكر وقال ما شاء الله ان يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصبح على غير ماء فانزل الله عز وجل اية التيمم فتيمموا فقال اسيد بن حضير وهو احد النقباء ما هي باول بركتكم يا آل ابي بكر قالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته اخرجاه في الصحيحين قولها بالبيداء البيداء المفازة والقفر وكل صحراء فهي بيداء وهي بيد وذات الجيش اسم موضع وهو على بريد من المدينة وقولها فبعثنا البعير اي اثرناه قوله تعالى فلم تجدوا ماء هذا معطوف على ما قبله والمعنى او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فطلبتم الماء لتتطهروا به فلم تجدوه يعني فاعوزكم فلم تجدوه بثمن ولا بغير ثمن لان المحدث مامور بالتطهير بالماء فاذا اعوزه الماء عدل عنه الى التيمم بعد طلب الماء قال الشافعي اذا دخل وقت الصلاة طلب الماء فان لم يجده تيمم وصلى ثم اذا دخل وقت الصلاة الثانية وجب عليه الطلب مرة اخرى وقال ابو حنيفة لا يجب عليه الطلب للصلاة الثانية حجة الشافعي قوله تعالى فلم تجدوا ماء فعدم الوجدان مشعر بسبق الطلب فلا بد في كل مرة من سبق الطلب واجمعوا على انه لو وجد الماء لكنه يحتاج اليه لعطشه او عطش حيوان محترم فانه يجوز له التيمم مع وجدان ذلك الماء وقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اصل التيمم في اللغة القصد يقال تيممت فلانا اذا قصدته وهو في الشرع عبارة عن افعال مخصوصة عند عدم الماء لتادية الصلاة واختلفوا في الصعيد الطيب فقال قتادة الصعيد الارض التي ليس فيها شجر ولا نبات وقال ابن زيد الصعيد المستوي من الارض وكذا قال الليث الصعيد الارض المستوية التي لا شيء فيها وقال الفراء الصعيد هو التراب وكذا قال ابو عبيد في قوله صلى الله عليه وسلم اياكم والقعود بالصعدات قال الصعدات الطرق ماخوذ من الصعيد وهو التراب وقيل الصعيد وجه الارض البارز وهو اختيار الزجاج قال الصعيد وجه الارض ولا تبالي اكان في الموضع تراب او لا لان الصعيد ليس هو التراب انما هو وجه الارض ونقل الربيع عن الشافعي في تفسير الصعيد فقال لا يقع اسم الصعيد الا على تراب ذي غبار فاما البطحاء الغليظة والرقيقة فلا يقع عليها اسم الصعيد فان خالطه تراب او مدر يكون له غبار كان الذي خالطه هو الصعيد قال ولا يتيمم بنورة ولا بكحل ولا زرنيخ كل هذه حجارة هذا كلام الشافعي في تفسير الصعيد وهو القدوة في اللغة وقوله فيها حجة وقد وافقه في ذلك الفراء وابو عبيد في انه التراب وجميع الاقوال في الصعيد صحيحة في اللغة لكن المراد به هنا هو التراب وقد قال ابن عباس في قوله صعيدا هو التراب واختلف اهل العلم فيما يجوز به التيمم فذهب الشافعي الى انه يختص بما يقع عليه اسم التراب مما له غبار يعلق بالوجه واليدين لان النبي صلى الله عليه وسلم قال وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فخص التراب بالطهور ولان الله تعالى وصف الصعيد بالطيب والطيب من الارض هو الذي ينبت فيها بدليل قوله والبلد الطيب يخرج نباته فعلى هذا ما لا ينبت فليس بطيب ولنا ايضا قوله تعالى في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه وكلمة من للتبعيض وهذا لا يتاتى في التيمم بالحجر الذي لا تراب عليه وايضا فانه يقال للغبار صعيد لانه ماخوذ من الصعود وهو الارتفاع ولا يكون ذلك في الصخر وما اشبهه وذهب ابو حنيفة ومالك الى انه يجوز التيمم بكل ما هو من جنس الارض كالرمل والجص والنورة والزرنيخ ونحو ذلك حتى لو ضرب يده على صخرة ملساء لا غبار عليها صح تيممه عندهم واحتج ابو حنيفة ومن وافقه بظاهر الاية قالوا لان التيمم هو القصد

تابعهم

الصعيد

والصعيد اسم لما تصاعد من الارض فقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اي اقصدوا ارضا فوجب ان يكون هذا القدر كافيا واجيب عنه بما تقدم من الدليل في قوله منه وان لفظة من تكون للتبعيض قالوا ولما روي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا واجيب عنه بان هذا مجمل يفسره ما تقدم من حديث حذيفة في تخصيص التراب والمفسر يقضي على المجمل وجوز بعضهم التيمم بكل ما هو متصل بالارض من شجر ونبات ومدر ونحو ذلك قالوا لان اسم الصعيد يقع على ما تصاعد على الارض واجيب عنه بما تقدم من الادلة وقوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم الوجه الممسوح في التيمم هو المحدود في الوضوء واختلف العلماء فيما يجب مسحه من اليد فذهب اكثر اهل العلم منهم ابن عمر وابنه سالم والحسن وهو مذهب ابي حنيفة والشافعي الى انه يمسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين وصورة ذلك ان يضرب بكفيه على التراب فيمسح بهما وجهه ولا يجب ايصال التراب الى منابت الشعور ثم يضرب ضربة اخرى ويفرق اصابعه فيمسح يديه الى المرفقين ويدل عليه ما روي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين رواه البيهقي ولم يضعفه وروى الشافعي عن ابراهيم بن محمد عن ابي الحويرث عن الاعرج عن ابن الصمة قال مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد علي حتى قام الى جدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يديه على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد علي هذا حديث منقطع لان الاعرج وهو عبد الرحمن بن هرمز لم يسمع هذا من ابي الصمة انما سمعه من عمير مولى ابن عباس عن ابن الصمة وكذا هو مخرج في الصحيحين عن عمير مولى ابن عباس قال دخلنا على ابي جهيم بن الحارث فقال ابو الجهيم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جمل فلقيه رجل فسلم عليه فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم حتى اقبل على الجدار فوضع يده على الحائط فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام وفي ابي داود عن نافع قال انطلقت مع ابن عمر في حاجة الى ابن عباس فلما ان قضى حاجته وكان من حديثه يومئذ ان قال مر رجل في سكة من سكك المدينة فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج من غائط او بول فسلم عليه الرجل فلم يرد عليه حتى اذا كاد الرجل ان يتوارى في السكة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه على حائط ومسح بهما وجهه ثم ضرب ضربة اخرى فمسح بها ذراعيه ثم رد عليه السلام وقال انه لم يمنعني ان ارد عليك الا اني لم اكن على طهر وفي رواية فمسح ذراعيه الى المرفقين فهو اجود ما في هذا الباب فان البيهقي اشار الى صحة اسناده وفيه دليل على الحكمين يعني مسح الوجه واليدين بضربتين وايصال المسح الى المرفقين وفيه دليل على ان التيمم لا يصح ما لم يتعلق بالوجه واليدين غبار التراب لان النبي صلى الله عليه وسلم حت الجدار بالعصا ولو كان مجرد الضرب كافيا لما كان حته وذهب الزهري الى انه يمسح اليدين الى المنكبين ويدل عليه ما روي عن عمار بن ياسر قال تمسحوا وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصعيد لصلاة الفجر فضربوا باكفهم الصعيد ثم مسحوا بوجوههم مسحة واحدة ثم عادوا فضربوا باكفهم الصعيد مرة اخرى فمسحوا بايديهم كلها الى المناكب والاباط من بطون ايديهم اخرجه ابو داود وذهب جماعة الى ان التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول علي وابن عباس وبه قال الشعبي وعطاء ومكحول واليه ذهب الاوزاعي ومالك واحمد واسحق وداود الظاهري واحتجوا بما روي عن عمار بن ياسر قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة فاجنبت فلم اجد الماء فتمرغت

في الصعيد كما تمرغ الدابة ثم اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال انما يكفيك ان تقول بيديك هكذا ثم ضرب
بيديه الارض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه ووجهه وفي رواية ان تقول هكذا
وضرب بيديه الارض فنفض يديه فمسح وجهه وكفيه اخرجاه في الصحيحين وجملته ان اليد اسم لهذه الجارحة
عند بعض اهل اللغة من اطراف الانامل الى الكوع وهذا هو المقطوع في حد السرقة وقال ابو اسحق الزجاج
حدها من اطراف الانامل الى الكتف فمن ذهب الى ان الممسوح في التيمم هو الكف قال ان حد اليد
هو المقطوع في حد السرقة ومن ذهب الى ان الممسوح في التيمم الى المرفقين قال ان التيمم بدل عن الوضوء والتقييد
في الوضوء الممسوح في التيمم فيحمل المطلق الذي في قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم على المقيد الذي في قوله
في اية الوضوء فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق واجاب من ذهب الى الكف عن حديث عمار بان المراد منه بيان
صورة الضرب وليس المراد منه جميع ما يحصل به التيمم **فصل** واركان التيمم خمسة الاول تراب طاهر
خالص له غبار يعلق بالوجه واليدين ويجوز بالرمل اذا كان عليه غبار الثاني قصد الصعيد فلو تعرض لمهب الريح
لم يكفه ولو يممه غيره باذنه مع عجزه جاز وان كان قادرا فوجهان الثالث نقل التراب الى الوجه واليدين
الرابع نية استباحة الصلاة فلو نوى رفع الحدث لم يصح واكمله ان ينوي استباحة الفرض والنفل
الخامس مسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين والترتيب ولا يصح التيمم لصلاة الا بعد
دخول وقتها ولا يجوز الجمع بين صلاتي فرض بتيمم واحد وهو قول علي وابن عباس وابن عمر وبه قال الشعبي
والنخعي وقتادة واليه ذهب مالك والشافعي واحمد واسحق وذهب جماعة الى ان التيمم كالوضوء فيجوز
تقديمه على الوقت ويجوز ان يصلي به ما شاء من الفرائض ما لم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والحسن
والزهري والثوري واصحاب الراي واتفقوا على انه يجوز ان يصلي بتيمم واحد ما شاء من النوافل قبل الفرض
وبعده الى ان يدخل وقت الصلاة الاخرى وان يقرا القران ان كان جنبا ويشترط طلب الماء في التيمم بان يطلبه
في رحله وعن رفقائه وان كان في صحراء لا حائل دونه نظر حواليه وان كان دونه حائل قريب من تل
او جدار او نحوه عدل عنه لان الله تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ولا يقال لم يجد الا لمن طلب ولا يشترط طلب
عند ابي حنيفة فان راى الماء ولا يقدر عليه لمانع من عدو او سبع يمنعه من الذهاب اليه او كان الماء
في بير وليس معه آلة الاستقاء فهو كالعادم فيتيمم ويصلي ولا اعادة عليه والله اعلم وقوله تعالى
ان الله كان عفوا يعني متجاوزا عن ذنوب عباده ويعفو ويصفح عنهم غفورا يعني ساترا على عباده
يغفر الذنوب ويسترها وفيه تنبيه على ان الله تعالى رخص لعباده امر العبادة ويسرها عليهم
لان من كان عادته ان يغفر الذنوب ويعفو عنها بان يرخص للعاجزين امر العبادة كان اولى قوله
عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب نزلت في يهود المدينة وقال ابن عباس نزلت
في رفاعة بن زيد بن التابوت ومالك بن دخشم اليهوديين كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لويا السنتهما وعاباه فانزل الله الم تر يعني الم ينته علمك يا محمد الى هؤلاء الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب يعني اعطوا حظا من علم التوراة وذلك انهم عرفوا نبوة موسى من التوراة وانكروا نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم منها فلذلك نسب اليهم التبعيض وقيل انهم علموا التوراة ولم يعملوا بها يشترون
الضلالة يعني يؤثرون تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم لياخذوا الرشى وتحصل لهم الرياسة وانما ذكره
بلفظ الشرى لانه استبدال الشيء وقيل فيه اضمار يعني يستبدلون الضلالة بالهدى ويريدون

يعني اليهود ان تضلوا السبيل يعني عن السبيل والمعنى انهم ليسوا يكتفون باضلال المؤمنين والتلبيس عليهم
لكي يخرجوا عن الاسلام والله اعلم باعدائكم يعني انه سبحانه وتعالى اعلم بكنه ما في قلوب اليهود من
العداوة والبغضاء لكم يا معشر المؤمنين فلا تستنصحوهم فانهم اعداؤكم وكفى بالله وليا يعني متوليا امركم
والقائم به ومن كان الله تعالى وليه لم يضره عداوة احد وكفى بالله نصيرا يعني فهو ينصركم عليهم فثقوا
بولايته ونصره قوله تعالى من الذين هادوا قيل هو بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب والتقدير
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل هو متعلق بما قبله والتقدير وكفى
بالله نصيرا من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يزيلونه ويغيرونه وقال ابن عباس كانت اليهود
ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسالونه عن الامر فيخبرهم به فيرى انهم ياخذون بقوله فاذا خرجوا من
عنده حرفوا كلامه وقيل المراد بالتحريف القاء الشبهة الباطلة والتاويلات الفاسدة وهو
تحريف اللفظ من معناه الحق الى معنى باطل ويقولون سمعنا وعصينا يعني سمعنا قولك وعصينا
امرك وذلك انهم كانوا اذا امرهم النبي صلى الله عليه وسلم بشيء قالوا في الظاهر سمعنا وقالوا في الباطن عصينا
وقيل انهم كانوا يظهرون ذلك القول عنادا واستخفافا واسمع غير مسمع هذه كلمة تحتمل المدح
والذم فاما معناها في المدح غير مسمع مكروها واما معناها في الذم فانهم كانوا يقولون اسمع
منا ولا نسمع منك وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع ثم يقولون في انفسهم لا سمعت
وقيل معناه غير مقبول منك ما تدعوا اليه وقيل معناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانما
لم تسمع شيئا وراعنا اي ويقولون راعنا يريدون بذلك النسبة الى الرعونة وقيل معناه ارعنا
سمعك اي اصرف سمعك الى كلامنا وانصت الى قولنا ومثل هذا لا يخاطب به الانبياء بل انما
يخاطبون بالاجلال والتعظيم والتفخيم والتبجيل ليا بالسنتهم وطعنا في الدين اصل اللي الفتل
من لويت الشيء اذا فتلته والمعنى انهم يفتلون الحق فيجعلونه باطلا لان راعنا من المراعاة فيجعلونه
من الرعونة وكانوا يقولون لاصحابهم انما نشتمه ولا يعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك فاظهر الله تعالى على
خبث ضمائرهم وما في قلوبهم من العداوة والبغضاء ثم قال تعالى ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا يعني ولو انهم
قالوا بدل سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا واسمع يعني بدل قولهم لا سمعت وانظرنا يعني بدل قولهم
راعنا اي انظر الينا لكان خيرا لهم يعني عند الله واقوم يعني اعدل واصوب ولكن
لعنهم الله بكفرهم يعني طردهم وابعدهم من رحمته بكفرهم يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم فلا يؤمنون
الا قليلا يعني فلا يؤمن الا نفر قليل مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل اراد بذلك
القليل هو اعترافهم بان الله خلقهم ورزقهم قوله تعالى يا ايها الذين اوتوا الكتاب خطاب
لليهود آمنوا بما نزلنا يعني القران مصدقا لما معكم يعني التوراة وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم
كلم احبار اليهود عبد الله بن صوريا وكعب بن الاشرف فقال يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا
فوالله انكم لتعلمون ان الذي جئتكم به الحق قالوا ما نعرف ذلك واصروا على الكفر فانزل الله عز وجل
هذه الاية وامرهم بالايمان وقرن بهذا الامر الوعيد الشديد فقال تعالى من قبل ان نطمس وجوها
اصل الطمس ازالة الاثر بالمحو وذكروا في المراد بالطمس هاهنا وجهين احدهما ان يحمل على حقيقته
والثاني ان يحمل على مجازه اما من حمله على الحقيقة فقال هو محو تخطيط صور الوجوه قال ابن عباس
نجعلها كخف البعير وقيل نعميها فيكون المراد بالوجه العين فنردها على ادبارها يعني فنجعلها على هيئة ادبارها

عن مواضعه

ومن الاقفاء وقيل نزيرها فنجعل الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام وانما جعل الله هذا عقوبة لهم لما فيه من تشويه الخلقة
والمثلة والفضيحة وعند هذا يحصل لهم الغم وتكثر الحسرات فعلى هذا يكون هذا الوعيد مختصا بيوم القيمة وانما
من حمل الطمس على المجاز فقال المراد به نطمسها على الهدى فنردها على ادبارها يعني على ضلالتها وقيل المراد
بالطمس طمس القلب والبصيرة فنردها على ادبارها يعني صغار احوالهم فنلبسهم الصغار والذل بعد العز وقيل المراد
بالطمس محو آثارهم من المدينة وردهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام من حيث جاؤوا وهو اجلا بني النضير فان قلت
قد اوعدهم بطمس الوجوه ان لم يؤمنوا ثم لم يؤمنوا ولم يفعل لهم ذلك قلت هذا الاشكال انما يرد على من
فسر الطمس بتغير الوجوه ومحو تخطيطها وحمله على حقيقته والجواب عنه ان هذا مشروط بعدم الايمان وقد آمن
ناس فرفع عن الباقين روي ان عبد الله بن سلام لما سمع هذه الاية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله
فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ادري ان اصل اليك حتى يحول وجهي الى قفاي وكذلك روي عن كعب الاحبار انه لما
سمع هذه الاية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل
اليك حتى يحول وجهي الى قفاي وكذلك روي عن كعب الاحبار انه لما سمع هذه الاية في خلافة عمر بن الخطاب اسلم
وقال يا رب اسلمت مخافة ان يصيبني وعيد هذه فكان هذا الوعيد مشروطا بان لا يؤمن احد منهم وهذا الشرط لم
يوجد لانه آمن منهم جمع كثير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام واصحابه ففات الشرط لفوات الشرط
وقيل ان الطمس باق في اليهود فيكون فيهم طمس ومسخ قبل يوم القيمة وقيل انه تعالى جعل الوعيد باحد
شيئين اما بالطمس او باللعنة وهو قوله او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت اي نجعلهم قردة كما فعلنا باوائلهم
وقيل المراد من لعنتهم الطرد والابعاد من الرحمة والكناية في نلعنهم تعود الى المخاطبين في قوله يا ايها الذين اوتوا الكتاب
وهذا على طريقة الالتفات كما في قوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقد يحتمل ان يكون معناه من قبل ان نطمس
وجوها ونلعن اصحاب الوجوه فتجعل الكناية في قوله او نلعنهم من ذكر اصحاب الوجوه اذ كان في الكلام دلالة عليه
وقوله تعالى وكان امر الله مفعولا يعني لا بد ان يقع لهم ذلك ان لم يؤمنوا فلا راد لحكمه ولا ناقض لامره على معنى انه
عليه شيء يريد ان يفعله وقيل معناه وكان مامور الله مفعولا والامر هنا في موضع المامور سمي امرا لانه عن امره
كان والمعنى وكان امر الله مفعولا قوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال ابن جرير الطبري
معناه يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا فان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فعلى هذا
تكون في الاية دلالة على ان اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع وقيل ان الاية نزلت في وحشي واصحابه وذلك لما
قتل حمزة رضي الله عنه ورجع الى مكة ندم على صنيعهم هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على
ما صنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك بمكة تقول والذين لا يدعون مع الله الها آخر الايات وقد
دعونا مع الله الها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه الايات لاتبعناك فنزلت الا من تاب وآمن
وعمل عملا صالحا الايتين فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قرؤوها كتبوا اليه ان هذا شرط شديد وكان
ان لا نعمل عملا صالحا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا انا
نخاف ان لا نكون من اهل المشيئة فنزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية فبعث بها اليهم فدخلوا في
الاسلام ورجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال ويحك
غيب وجهك عني فلحق بالشام فكان به الى ان مات وقيل لما نزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
الاية قام رجل فقال يا رسول الله والشرك فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلاثا فنزلت هذه الاية ومعنى الاية ان الله لا
يغفر لمشرك مات على شركه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من اصحاب الذنوب والاثام ففي الاية دليل على ان صاحب الكبيرة

وادخله الجنة بفضله وكرمه

اذا مات من غير توبة فانه في خطر المشيئة ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه بالنار ثم يدخله الجنة برحمته واحسانه لان الله تعالى وعد
المغفرة لما دون الشرك فان مات صاحب الشرك فهو مخلد في النار لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفي الاية رد على المعتزلة
والقدرية حيث قالوا لا يجوز في الحكمة ان يغفر لصاحب كبيرة وعند اهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشاء لا اعتراض عليه ولا يسئل عما يفعل
ما روي عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الاية ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا امير المؤمنين الرجل يعمل
من الصالحات لم يدع من الخير شيئا الا عمله غير انه مشرك قال عمر هو في النار فقال ابن عباس الرجل لم يدع شيئا من الشر الا عمله غير
انه لم يشرك بالله شيئا قال عمر الله اعلم قال ابن عباس اني لارجو له كما انه لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب
فسكت عمر عن علي بن ابي طالب قال ما في القرآن احب الي من هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب م عن جابر قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان
قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار وقوله تعالى ومن يشرك بالله يعني يجعل
معه شريكا غيره فقد افترى اي اختلق اثما عظيما يعني ذنبا عظيما غير مغفور ان مات عليه قوله تعالى الم
تر الى الذين يزكون انفسهم نزلت في رجال من اليهود اتوا باطفالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على
هؤلاء من ذنب قال لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار يكفر عنا بالليل وما عملناه بالليل يكفر
عنا بالنهار فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى والتزكية هنا عبارة عن مدح الانسان نفسه بالصلاح والدين
ومنه تزكية الشاهد وهي ان يصير عدلا قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وذلك لان التزكية متعلقة
بالتقوى وهي صفة في الباطن فلا يعلم حقيقتها الا الله تعالى ولا تصلح التزكية الا ممن عند الله تعالى فلهذا
قال الله تعالى بل الله يزكي من يشاء ويدخل في هذا المعنى كل من زكى نفسه بصلاح او وصفها بزكاء العمل وبزيادة
الطاعة والتقوى وبزيادة الزلفى عند الله وهذه الاشياء لا يعلمها الا الله تعالى فلهذا قال فلا تزكوا انفسكم هو اعلم
بمن اتقى ومعنى يزكون انفسهم يزعمون انهم ازكياء لانهم برؤوا انفسهم من الذنوب فقال الله تعالى ردا عليهم بل الله
يزكي من يشاء فيجعله زاكيا ولا يظلمون فتيلا يعني ان الذين يزكون انفسهم يعاقبون على ترك تلك التزكية من
غير ظلم وقيل معناه ان الذين زكاهم الله لا ينقصون من ثواب طاعتهم شيئا والفتيل المفتول فسمي
ما يكون في شق النواة فتيلا لكونه على هيئته وقيل الفتيل هو ما تفتله بين اصابعك من وسخ
وعرق ويضرب به المثل في الشيء الحقير الذي لا قيمة له انظر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد الى هؤلاء اليهود
كيف يفترون على الله الكذب يعني قولهم لا ذنوب لهم وتزكيتهم انفسهم وكفى به اي بذلك الكذب اثما
مبينا قوله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في كعب
ابن الاشرف وسبعين راكبا من اليهود قدموا مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب بن الاشرف على ابي سفيان فاحسن
مثواه ونزل باقي اليهود على قريش في دورهم فقال لهم اهل مكة انتم اهل الكتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نامن
ان يكون هذا مكرا منكم فان اردتم ان نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين ففعلوا ذلك فذلك قوله تعالى
يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب بن الاشرف لاهل مكة ليجيء منكم ثلثون رجلا ومنا ثلثون فنلزق اكبادنا
بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم قال ابو سفيان لكعب بن الاشرف
انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى سبيلا نحن ام محمد فقال كعب اعرضوا علي دينكم فقال

فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم اللبن ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا
ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين ابائه وقطع الرحم وفارق الحرم ودينا القديم ودين محمد الحديث فقالوا
انتم والله اهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله الم تر يعني يا محمد الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني كعب بن الاشرف
واصحابه اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت يعني بسجودهم للصنمين واختلف العلماء فيهما فقيل الجبت والطاغوت
كل معبود من دون الله عز وجل وقيل هما صنمان كانا لقريش وهما اللذان سجد اليهود لهما طلبا لمرضاة قريش وقيل
الجبت اسم للاصنام والطاغوت شياطين الاصنام ولكل صنم شيطان يعبر عنها ويكلم الناس فيغترون بذلك وقيل
الجبت الكاهن والطاغوت الساحر عن قطن بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه ابو داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة
هو زجر الطير وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا خرج لامر زجر طيرا فان اخذت اليمين مضى في حاجته
وان اخذت ذات الشمال رجع فنهوا عن ذلك والطرق هو ضرب الحصى على طريق الكهانة فنهوا عنه والطيرة
هو ان يتطير بالشيء فيرى الشؤم فيه والتشاؤم منه وقيل هو من التطير وهو زجر الطاير والخط هو ضرب الرمل
الصحيح وقيل الجبت كل ما حرم الله تعالى والطاغوت كل ما يطغي الانسان وقيل الجبت حيي بن اخطب والطاغوت
كعب بن الاشرف اليهوديان وكانا طاغية اليهود ويقولون يعني كعب بن الاشرف واصحابه للذين كفروا يعني
لكفار قريش هؤلاء يعني انتم يا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا يعني طريقا اولئك الذين لعنهم الله يعني
كعب بن الاشرف واصحابه ومن يلعن الله يعني يطرده من رحمته فلن تجد له نصيرا يعني ينصره قوله تعالى
ام لهم نصيب من الملك هذا استفهام انكار يعني ليس لهم من الملك شيء البتة وذلك ان اليهود كانوا يقولون
نحن اولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فاكذبهم الله تعالى وابطل دعواهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا
هو جواب لجزاء مضمر تقديره ولئن كان لهم نصيب وحظ من الملك فلا يؤتون الناس منه نقيرا وصفهم بالبخل
في هذه الاية ووصفهم بالجهل في الاية المتقدمة ووصفهم بالحسد في الاية الاتية وهذه الخصال كلها مذمومة
فكيف يدعون الملك مع حاصلها فيهم والنقير هو النقطة التي تكون على ظهر النواة ومنها تنبت النخلة ويضرب
به المثل في الشيء الحقير التافه الذي لا قيمة له قوله عز وجل ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله المثل
اصل الحسد تمني زوال النعمة عمن هو مستحق لها وربما يكون ذلك مع سعي في زوالها وصف الله اليهود بشر
خصلة وهي الحسد والمراد بالناس محمدا صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه من خصال الخير والبركة ما لا يجتمع
في جماعة ومن هذا القبيل يقال فلان امة وحده يعني انه يقوم مقام امة وقيل المراد بالناس النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه لان لفظ الناس جمع وحمله على الجمع اولى والمراد بالفضل النبوة لانها اعظم المناصب واشرف المراتب
وقيل حسدوه على ما احل الله له من النساء وكان له يومئذ تسع نسوة فقالت اليهود لو كان نبيا
لشغله امر النبوة عن الاهتمام بامر النساء فاكذبهم الله ورد عليهم بقوله فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة
يعني انه قد حصل في اولاد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جماعة كثيرون جمعوا بين الملك والنبوة مثل داود وسليمان عليهما السلام
فلم يشغلهم الملك عن امر النبوة والمعنى كيف يحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم على ما اتاه الله من فضله
وقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة وانتم لا تحسدونهم والمراد بالكتاب التوراة وبالحكمة النبوة واتيناهم
ملكا عظيما يعني فلم يشغلهم عن النبوة ومن فسر الفضل بكثرة النساء فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان بكثرة
النساء فانه كان لداود مائة ولسليمان الف امراة ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يومئذ الا تسع نسوة فلما لم يكن ذلك مستبعدا في حقهم ولا منقصا في نبوتهم فلا يكون مستبعدا في حق محمد صلى الله عليه وسلم

والانتقاص في نبوته فمنهم يعني من اليهود من امن به يعني بالنبي صلى الله عليه وسلم وبما انزل اليه كعبد الله بن سلام
واصحابه ومنهم من صد عنه يعني اعرض عنه ولم يؤمن به وكفى بجهنم سعيرا يعني وكفى في عذاب من لم يؤمن
بالنبي صلى الله عليه وسلم سعيرا قوله تعالى ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا هذا وعيد من الله عز وجل
للذين اقاموا على كفرهم وتكذيبهم بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود وغيرهم من سائر الكفار
والمعنى ان الذين جحدوا ما انزلت على رسولي محمد من اياتي الدالة على توحيدي وصدق رسولي محمد صلى
الله عليه وسلم سوف نصليهم نارا اي ندخلهم نارا نشويهم فيها كلما نضجت جلودهم يعني احترقت بدلناهم
جلودا غيرها يعني غير الجلود المحترقة قال ابن عباس يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس
وروي ان هذه الاية قرئت عند عمر بن الخطاب فقال عمر للقارئ اعدها فاعادها وكان عنده معاذ
بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في كل ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذكره البغوي بغير سند وقال الحسن تاكلهم النار في كل يوم سبعين الف مرة وعن
ابي هريرة يرفعه ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع وعنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ضرس الكافر او قال ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة فان قلت كيف تعذب
جلود لم تكن في الدنيا ولم تعص قلت يعاد الجلد الاول في كل مرة وانما قال جلودا غيرها لتبدل صفتها
كما تقول صغت من خاتمي خاتما غيره فالثاني هو الاول غير ان الصياغة تبدلت الصفة وقيل ان العذاب
للجملة الحساسة وهي النفس التي عصت واذا كان كذلك فغير مستحيل ان يخلق الله للكافر في كل ساعة
من الجلود ما لا يحصى ليحترق ويصل المها اليه وقيل المراد بالجلود السرابيل وهو قوله سرابيلهم
من قطران والمعنى كلما نضجت سرابيلهم واحترقت بدلناهم سرابيل من قطران غيرها لان الجلود
لو احترقت لفنيت وفي فنائها راحتها وقد اخبر الله عنهم انهم لا يموتون فيها ولا يخفف عنهم من عذابها
ولان الجلد احد اجزاء الجسم فثبت ان التبديل انما هو للسرابيل وقيل يبدل الجلد من لحم الكافر
فيخرج من لحمه جلدا وقيل ان الله تعالى يلبس اهل النار جلودا لا تألم لتكون زيادة في عذابهم كلما
احترق جلد بدلهم جلدا غيره وقوله تعالى ليذوقوا العذاب اي انما فعلت لهم ذلك ليجدوا الم العذاب
وكربه وشدته وانما اتى بلفظ الذوق مع ما ينالهم من عظم العذاب الذي نالوه اخبارا بان احساسهم
في كل حال كاحساس الذائق في تجديد وجدان الذوق من غير نقصان في الاحساس ان الله كان
عزيزا يعني في انتقامه ممن ينتقم من خلقه لا يغلبه شيء ولا يمتنع عليه احد حكيما يعني في تدبيره
وقضائه وانه لا يفعل الا ما هو الصواب والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم يعني
سوف ندخلهم يوم القيامة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها يعني باقين فيها
ابدا يعني ذلك الخلود بغير نهاية ولا انقطاع لهم فيها يعني في الجنات ازواج مطهرة يعني مطهرات
من الحيض والنفاس وسائر اقذار الدنيا وندخلهم ظلا ظليلا يعني كنينا ذلك الظل لا تنسخه
الشمس ولا يؤذيهم فيه حر ولا برد وذلك الظل هو ظل الجنة فان قلت اذا لم يكن في الجنة شمس يؤذي
حرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل قلت انما خاطبهم بما يعقلون ويعرفونه وذلك ان بلاد
العرب في غاية الحرارة فكان الظل عندهم من اعظم اسباب الراحة واللذاذة فهو كقوله ولهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا قوله عز وجل ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها قال البغوي نزلت في
عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح

اغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل له انه مع عثمان فطلبه
منه فابى وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه المفتاح فلوى علي بن ابي طالب يده واخذ منه المفتاح وفتح
الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح
وان يجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله هذه الآية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح
الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك فقال له عثمان اكرهت ثم جئت ترفق فقال علي لقد انزل الله عز وجل في شانك قرآنا وقرأ عليه
الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاسلم فكان المفتاح معه الى ان مات فدفعه الى اخيه شيبة
فالمفتاح والسدانة في اولاده الى يوم القيامة. قلت وفيما ذكره البغوي رحمه الله من اسلام عثمان بن طلحة يوم الفتح ومنعه
المفتاح وقوله لو اعلم انه رسول الله لم امنعه المفتاح نظر والصحيح ما حكاه ابو عمر ابن عبد البر وابن منده
وابن الاثير ان عثمان بن طلحة هاجر الى المدينة في هدنة الحديبية سنة ثمان مع خالد بن الوليد ولقيهما عمرو بن
العاص مقبلا من عند النجاشي فرافقهما فهاجر معهما فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال رمتكم مكة بافلاذ كبدها
يعني انهم وجوه اهل مكة فاسلموا وسلم عثمان بن طلحة المفتاح الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فرده النبي صلى
الله عليه وسلم اليه وقال خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم ولم يذكروا سؤال العباس السقاية
والله اعلم وثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر قال اقبل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو مردف اسامة
على القصواء ومعه بلال وعثمان حتى اناخ عند البيت ثم قال لعثمان ائتنا بالمفتاح فجاءه بالمفتاح ففتح الباب
وذكر الحديث وذكر ابن الجوزي في تفسيره هذه من رواية ابي صالح عن ابن عباس قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
فتح مكة طلب مفتاح البيت من عثمان بن طلحة فذهب ليعطيه اياه فقال العباس بابي انت وامي اجمعه
لي مع السقاية فكف عثمان يده مخافة ان يعطيه العباس فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح فاعاد
العباس قوله وكف عثمان يده فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر
فقال هاكه يا رسول الله بامانة الله فاخذ المفتاح ففتح البيت ونزل جبريل بهذه الآية فدعا عثمان بن
طلحة فدفعه اليه ففي هذه الرواية ايضا ما يدل على تقدم اسلام عثمان بن طلحة على فتح مكة لان قول النبي
صلى الله عليه وسلم لعثمان ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر ما يدل على ذلك فعلى هذا القول يكون الخطاب
في قوله ان الله يامركم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان الله عز وجل امره ان يرد مفتاح البيت الى عثمان بن طلحة
وقيل الخطاب في قوله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها لولاة امور المسلمين من الامراء والحكام
وغيرهم ويدل عليه سياق الآية وهو قوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ومعنى الآية ان الله يامركم
يا ولاة الامور ان تؤدوا ما ائتمنكم عليه من امور رعيتكم وان توفوهم حقوقهم وان تعدلوا بينهم وقيل
ان الآية عامة في جميع الامانات ولا تمتنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل في ذلك جميع الامانات
التي يحملها الانسان وينقسم ذلك الى ثلاثة اقسام القسم الاول رعاية الامانة في عبادة الله عز وجل
وهو فعل المامورات وترك المنهيات قال ابن مسعود الامانة لازمة في كل شيء حتى في الوضوء والغسل
من الجنابة والصلاة والزكاة والصوم وسائر انواع العبادات القسم الثاني رعاية الامانة من نفسه
وهو ما انعم الله به عليه من سائر اعضائه فامانة اللسان حفظه من الكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك
وامانة العين غضها عن المحارم وامانة السمع ان لا يشغله بسماع شيء من اللهو والفحش والاكاذيب
ونحو ذلك من سائر الاعضاء على نحو ذلك القسم الثالث هو رعاية امانة العبد مع سائر عباد الله تعالى
فيجب عليه رد الودائع والعواري الى اربابها الذين ائتمنوه عليها ولا يخونهم فيها عن ابي هريرة قال

قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث
حسن غريب ويدخل في ذلك وفاء الكيل والميزان فلا يطفف فيهما ويدخل في ذلك ايضا عدل الامراء والملوك
في الرعية ونصح العلماء العامة فكل هذه الاشياء من الامانات التي امر الله عز وجل بادائها الى اهلها
وروى البغوي بسنده عن انس قال قل ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا امانة
له ولا دين لمن لا عهد له وقوله تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل يعني وان الله يامركم ان تحكموا
بين الناس بالعدل فيجب على الحاكم ان ياخذ الحق ممن وجب عليه لمن وجب له واصل العدل هو
المساواة في الاشياء فكل ما خرج عن الظلم والاعتداء سمي عدلا قال بعض العلماء ينبغي للقاضي ان
يسوي بين الخصمين في خمسة اشياء في الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال عليهما والاستماع
منهما والحكم بالحق فيما لهما وعليهما وحاصل الامر فيه ان يكون مقصود الحاكم بحكمه ايصال الحق الى
مستحقه وان لا يمتزج ذلك بغرض آخر م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في
حكمهم واهليهم وما ولوا عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احب
الناس الى الله يوم القيامة وادناهم عنده مجلسا امام عادل وابغض الناس الى الله وابعدهم
منه مجلسا امام جائر اخرجه الترمذي وقوله تعالى ان الله نعما يعظكم به اي نعم الشيء الذي يعظكم به
وهو اداء الامانات والحكم بالعدل ان الله كان سميعا بصيرا يعني انه تعالى سميع لما تقولون
وبصير لما تفعلون فاذا حكمتم فهو يسمع حكمكم واذا اديتم الامانة فهو يبصر فعلكم قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ق عن ابن عباس قال
نزلت قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم الآية في عبد الله بن حذافة بن قيس
ابن عدي السهمي اذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وقال السدي نزلت في خالد بن الوليد وذلك انه علي
بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وفيها عمار بن ياسر فلما قرب من القوم هربوا منهم وجاء رجل
الى عمار قد اسلم فامنه عمار فرجع الرجل فجاء خالد فاخذ مال الرجل فقال عمار اني قد امنته وقد اسلم
فقال خالد فاخذ مال الرجل فقال عمار اني قد امنته وقد اسلم فقال خالد اتجير علي وانا الامير فتنازعا
وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجاز امان عمار ونهاه ان يجير الثانية على امير فانزل الله تعالى اطيعوا
الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم واصل الطاعة الانقياد وهو امتثال الامر فطاعة الله عز وجل
امتثال امره فيما امر والانقياد لذلك الامر وطاعة الله واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
واجبة ايضا لقوله تعالى واطيعوا الرسول فاوجب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الخلق واختلف العلماء
في اولي الامر الذين اوجب الله تعالى طاعتهم بقوله واولي الامر منكم يعني واطيعوا اولي الامر منكم قال ابن عباس وجابر
هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد وقال ابو هريرة هم الامراء
والولاة وهي رواية عن ابن عباس ايضا قال علي بن ابي طالب حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدي الامانة فاذا فعل
ذلك حق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد
اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني ق
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب وكره الا ان يؤمر بمعصية
فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة خ عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا واطيعوا وان

استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله وقال ميمون بن مهران هم أمراء السرايا والبعوث ومن رواية
عن ابن عباس ووجه هذا القول أن الآية نازلة فيهم وقال عكرمة أراد بأولي الأمر أبا بكر وعمر لما روي عن حذيفة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إني لا أدري ما بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر أخرجه الترمذي وقيل هم جميع الصحابة لما
روي عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم أخرجه رزين في كتابه وروى البغوي
بسنده عن الحسن عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أصحابي في أمتي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا بالملح
قال الحسن فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح قال الطبري وأولى الأقوال بالصواب قول من قال هم الأمراء والولاة
لصحة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان لله عز وجل طاعة وللمسلمين
مصلحة وقال الزجاج وجملة أولي الأمر من يقوم بشأن المسلمين في أمر دينهم وجميع ما أدى إلى صلاحهم
قال العلماء طاعة الإمام واجبة على الرعية ما دام على الطاعة فإذا زال عن الكتاب والسنة فلا طاعة له
وإنما تجب طاعته فيما وافق الحق وقوله تعالى فإن تنازعتم في شيء يعني اختلفتم في شيء من أمر دينكم والتنازع
اختلاف الآراء وأصله من انتزاع الحجة وهو أن كل واحد من المتنازعين ينتزع الحجة لنفسه فردوه
إلى الله والرسول أي ردوا ذلك الأمر الذي تنازعتم فيه إلى كتاب الله عز وجل وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما دام حيا وبعد وفاته فردوه إلى سنته والرد إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
واجب فإن وجد ذلك الحكم في كتاب الله أخذ به فإن لم يوجد في كتاب الله ففي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فإن لم يوجد في السنة فسبيله الاجتهاد وقيل الرد إلى الله ورسوله أن يقول لما لا يعلم الله ورسوله أعلم
إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر يعني افعلوا ذلك الذي أمرتكم به إن كنتم تؤمنون بالله وأن طاعته واجبة
عليكم وتؤمنون بالمعاد الذي فيه جزاء الأعمال قال العلماء في الآية دليل على أن من لا يعتقد وجوب
طاعة الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا
بالله واليوم الآخر ذلك خير يعني رد الحكم إلى الله ورسوله خير وأحسن تأويلا يعني أحمد عاقبة وقيل معناه
ذلك أن ردكم ما اختلفتم فيه إلى الله ورسوله أحسن تأويلا منكم له وأعظم أجرا قوله تعالى ألم تر إلى الذين يزعمون
أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به قال الشعبي
نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودي خصومة فقال اليهودي ننطلق إلى محمد
وقال المنافق بل ننطلق إلى كعب بن الأشرف وهو الذي سماه الله الطاغوت فأبى اليهودي أن يخاصمه إلا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك أتى معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي
فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا إلى عمر فأتيا عمر فقال اليهودي اختصمت أنا وهذا إلى محمد
فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم أنه مخاصم إليك فقال عمر للمنافق أكذلك قال نعم فقال لهما عمر رويدا حتى
أخرج إليكما فدخل عمر البيت وأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا
أقضي بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت هذه الآية وقال جبريل إن عمر فرق بين الحق والباطل
فسمي الفاروق وقال السدي كان ناس من اليهود قد أسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير
في الجاهلية وكانت قريظة حلفاء الخزرج والنضير حلفاء الأوس وكان إذا قتل رجل من بني قريظة رجلا
من بني النضير قتل به أو أخذ ديته مائة وسق من تمر وإذا قتل رجل من النضير رجلا من قريظة لم يقتل به
بل أعطوا ديته ستين وسقا فلما جاء الله بالإسلام وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة قتل رجل من النضير
رجلا من قريظة فاختصموا في ذلك فقال بنو النضير كنا وأنتم قد اصطلحنا على أن نقتل منكم ولا تقتلون منا وديتنا مائة وسق

ادنا

وديتكم ستون وسقا فنحن نعطيكم ذلك فقالت الخزرج هذا شيء كنتم فعلتموه في الجاهلية لكثرتكم وقلتنا فقهرتمونا
على ذلك فاليوم نحن إخوة في الدين ولا فضل لكم علينا فقال المنافقون منهم ننطلق إلى أبي بردة الكاهن الأسلمي
وقال المسلمون من الفريقين بل ننطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأبى المنافقون وانطلقوا إلى أبي بردة
الكاهن ليحكم بينهم فقال أعظموا اللقمة يعني الخطر فقالوا لك عشرة أوسق فقال لا بل مائة وسق فأبوا أن يعطوه
إلا عشرة أوسق وأبى أن يحكم بينهم وأنزل الله عز وجل آية القصاص وأنزل هذه الآية ألم تر إلى الذين يزعمون
أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك الزعم والزعم بضم الزاي وفتحها لغتان وأكثر ما يستعمل الزعم
بمعنى القول الذي لا يتحقق وقيل هو حكاية قول يكون مظنة للكذب والمراد به في هذه الآية الكذب
لأن الآية نازلة في المنافقين وظاهر الآية يدل على أنها نازلة في الذين نافقوا من مؤمني أهل الكتاب ويدل عليه قوله
آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت يعني كعب بن الأشرف في قول ابن عباس
سماه الله طاغوتا لإفراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو أبو بردة الكاهن في
قول السدي وقد أمروا أن يكفروا به يعني بالطاغوت لأن الكفر بالطاغوت إيمان بالله عز وجل ويريد
الشيطان أن يضلهم يعني عن طريق الهدى والحق ضلالا بعيدا وإذا قيل لهم يعني للمنافقين تعالوا
إلى ما أنزل الله وإلى الرسول يعني هلموا إلى حكم الله الذي أنزل في كتابه وإلى الرسول ليحكم بينكم به
رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا يعني يعرضون عنك وعن حكمك إعراضا وإنما أعرض
المنافقون عن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم علموا أنه صلى الله عليه وسلم يحكم بينهم بالحق الصريح
ولا يقبل الرشا قوله عز وجل فكيف إذا أصابتهم مصيبة يعني فكيف حال هؤلاء المنافقين وكيف
يصنعون إذا أصابتهم مصيبة يعجزون عنها بما قدمت أيديهم يعني تصيبهم عقوبة بسبب ما قدمت
أيديهم وهو التحاكم إلى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم على سوء صنيعهم ورضاهم بحكم الطاغوت دون
حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المصيبة هي قتل عمر لذلك المنافق وقيل هي كل مصيبة تصيب المنافقين
في الدنيا والآخرة ثم جاءوك يعني المنافقين حين تصيبهم المصائب يعتذرون إليك يحلفون بالله
إن أردنا إلا إحسانا يعني في التحاكم إلى غيرك لا إساءة وتوفيقا يعني بين الخصمين لا مخالفة لك في حكمك
وقيل جاء أولياء المنافق الذي قتله عمر يطلبون ديته وقالوا ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا
في حكمه ويوفق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا أنه يحكم بما حكم به من قتل صاحبنا فأهدر الله دم ذلك المنافق
أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم يعني من النفاق فأعرض عنهم يعني عن عقوبتهم وقيل عن قبول
عذرهم وعظهم يعني باللسان والمراد به زجرهم بالوعظ عن النفاق والكفر والكذب وتخويفهم بعذاب
الآخرة وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا يؤثر في قلوبهم موقعه وهو التخويف بعقاب الله عز وجل وقيل هو
أن يوعدهم بالقتل إن لم يتوبوا من النفاق وقيل هو أن يقول لهم إن أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم
لأن هذا القول يبلغ في نفوسهم كل مبلغ وقيل معناه فأعرض عنهم في الملأ وقل لهم في أنفسهم إذا
خلوت لهم قولا بليغا أي أغلظ لهم في القول خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لأنها في السر أنجع
وقيل الإعراض منسوخ بآية القتال وقد تكلم العلماء في حد البلاغة فقال بعضهم البلاغة إيصال المعنى
إلى الفهم في أحسن صورة من اللفظ وقيل البلاغة سرعة الإيجاز مع الإفهام وحسن التصرف من غير
إضمار وقيل أحسن الكلام ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه وقيل خير الكلام ما شوق أوله إلى سماع آخره
وقيل لا يستحق الكلام اسم البلاغة إلا إذا سابق لفظه معناه ومعناه لفظه ولم يكن لفظه إلى السمع أسبق

هذام

ايم الله قال محمد بن ... معناه ايمن فهو جمع اليمين تقديره وايمن الله الا ان النون سقطت للتخفيف عند كثرة الاستعمال والبصريون يقولون معناه والله وايم صلة

من معناه الى القلب وقيل المراد بالقول البليغ في الآية ان يكون حسن الالفاظ وحسن المعاني مشتملا على الترهيب
والترغيب والاعذار والانذار والوعد والوعيد بالثواب والعقاب فان الكلام اذا كان كذلك عظم وقعه في القلوب
واثر في النفوس قوله تعالى وما ارسلنا من رسول قال الزجاج لفظة من هنا صلة مؤكدة والمعنى وما ارسلنا
رسولا الا ليطاع باذن الله يعني بامر الله والمعنى انما وجبت طاعة الرسول بامر الله لان الله اذن في ذلك وامر به وقيل معناه
بعلم الله وقضائه اي طاعته تكون باذن الله لانه اذن فيه فتكون طاعة الرسول طاعة الله ومعصيته معصية الله
والمعنى وما ارسلنا من رسول الا فرضت طاعته على من ارسلته اليهم وانت يا محمد من الرسل الذين فرضت
طاعتهم على من ارسلوا اليهم ففيه توبيخ وتقريع للمنافقين الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوا بحكم
الطاغوت ولو انهم اذ ظلموا انفسهم يعني الذين تحاكموا الى الطاغوت متنصلين مما ارتكبوا من المخالفة فاستغفروا
الله يعني من ذلك الذنب بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد حكمك والتحاكم الى غيرك واستغفر لهم الرسول
يعني من ... والتحاكم الى غيره وانما قال واستغفر لهم الرسول ولم يقل واستغفرت لهم اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما
له وتعظيما لاستغفاره وانهم اذا جاؤوه فقد جاؤوا من خصه الله برسالته وجعله سفيرا بينه وبين خلقه ومن كان كذلك
فان الله لا يرد شفاعته فلهذا السبب عدل الى طريقة الالتفات من لفظ الخطاب الى لفظ الغيبة لوجدوا الله توابا رحيما
يعني ولو انهم تابوا من ذنوبهم ونفاقهم واستغفرت لهم لعلموا ان الله يتوب عليهم ويتجاوز عنهم ويرحمهم
قوله عز وجل فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم نزلت هذه الآية في الزبير بن العوام ورجل من الانصار
ق عن عروة بن الزبير عن ابيه ان رجلا من الانصار خاصم الزبير عند النبي صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة التي يسقون بها
النخل فقال الانصاري سرح الماء يمر فابى عليه فاختصما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
للزبير اسق يا زبير ثم ارسل الى جارك فغضب الانصاري ثم قال يا رسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر فقال الزبير والله اني لاحسب هذه
الآية نزلت في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم زاد البخاري فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حينئذ للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد اشار على الزبير برأي اراد فيه سعة له وللانصاري
فلما احفظ الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم
قال الزبير والله ما احسب هذه الآية نزلت الا في ذلك فلا وربك الآية قوله اختصما في شراج الحرة الشراج
مسايل الماء التي تكون من الجبل وتنزل في السهل الواحد شرجة بسكون الراء والحرة الارض الحجارة الملبسة
بالحجارة السود وقوله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني تغير وجهه وقوله فلما احفظ اي اغضب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقوله حتى يرجع الى الجدر هو بفتح الجيم يعني اصل الجدار فاستوعى له اي استوفى له حقه في
صريح الحكم وهو ان من كان ارضه اقرب الى فم الوادي فهو اولى باول الوادي وحقه تمام السقي فرسول الله صلى الله عليه وسلم
اذن للزبير في السقي على وجه المسامحة فلما ابى خصمه ذلك ولم يعترف بما اشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم من
المسامحة لاجله امر الزبير باستيفاء حقه على التمام وحمل خصمه على مر الحق فعلى هذا القول تكون الآية مستأنفة
لا تعلق لها بما قبلها قال البغوي وروي انهما لما خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم مرا على المقداد فقال لمن كان القضاء
فقال الانصاري لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله
ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا موسى الى التوبة منه فقال فاقتلوا
انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم
مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لفعلت وقال مجاهد والشعبي نزلت هذه الآية في بشر المنافق

واليهودي

واليهودي اللذين اختصما الى الطاغوت وعلى هذا القول يكون الآية منفصلة عما قبلها قوله فلا وربك معناه فوربك
ولا صلة كقوله لئلا يعلم لتأكيد معنى القسم وقيل ان لا رد لكلام سبق كأنه قال ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا
وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم فقال تعالى وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم يعني فيما اختلفوا
فيه من الامور واشكل عليهم حكمه وقيل فيما التبس عليهم يقال شاجره في الامر اذا نازعه فيه واصله التداخل
والاختلاط وشجر الكلام اذا دخل بعضه في بعض واختلط ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت يعني
ضيقا مما قضيت وقيل شكا مما قضيت بل يرضوا بقضائك ويسلموا تسليما يعني وينقادوا لامرك انقيادا
ولا يعارضوك في شيء من امرك وقيل معناه ويسلموا ما تنازعوا فيه لحكمك قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم
يعني فرضنا واوجبنا عليهم الضمير في عليهم يعود الى المنافقين وقيل يعود الضمير على الكافة فيدخل فيه
المنافق وغيره ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم يعني كما كتبت على بني اسرائيل القتل والخروج من
مصر ما فعلوه الا قليل منهم معناه لم يفعله الا القليل منهم نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك
ان رجلا من اليهود قال والله لقد كتب الله علينا القتل والخروج ففعلنا فقال ثابت والله لو كتب الله
علينا ذلك لفعلنا وهو من القليل الذي استثنى الله وقيل لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر
وابن مسعود وناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل الذين ذكرهم الله والله لو امرنا
لفعلنا والحمد لله الذي عافانا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان من امتي لرجالا الايمان في قلوبهم
اثبت من الجبال الرواسي ومن قال ان الضمير في عليهم يعود الى المنافقين قال معنى ما فعلوه الا قليل
منهم يعني رياء وسمعة والمعنى انا ما كتبنا عليهم الا طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضى بحكمه ولو
انا كتبنا عليهم القتل والخروج عن الدور والوطن ما فعله الا نفر يسير منهم وقرئ الا قليلا
منهم بالنصب وتقديره الا ان يكون قليلا منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به يعني ولو انهم فعلوا ما
كلفوا به من طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضى بحكمه لكان خيرا لهم يعني في الدنيا وانما سمي ذلك التكليف
وعظا لان اوامر الله تعالى وتكاليفه مقرونة بالوعد والوعيد والثواب والعقاب وما كان كذلك يسمى وعظا
واشد تثبيتا يعني تحقيقا وتصديقا لايمانهم والمعنى ان ذلك اقرب الى ثبات ايمانهم وتصديقهم واذا
لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما يعني ثوابا وافرا جزيلا واذا جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ماذا يكون
من هذا الخير والتثبيت قال هو ان نؤتيهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما قال
ابن عباس معناه ولارشدناهم الى دين مستقيم يعني دين الاسلام وقيل معناه ولهديناهم
الى الاعمال الصالحة التي تؤدي الى الصراط المستقيم وهو الصراط الذي يمر عليه المؤمنون الى الجنة
لان الله تعالى ذكر الاجر العظيم اولا ثم ذكر الصراط المستقيم بعده لانه هو المؤدي الى الجنة قوله عز وجل
ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الآية نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه
يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك قال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير
اني اذا لم ارك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فاخاف ان لا اراك لانك
ترفع الى عليين مع النبيين واني وان دخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة
لا اراك ابدا فنزلت هذه الآية وقيل ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون الحال وانت
يا رسول الله في الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف نراك فانزل الله هذه الآية ومن يطع الله يعني في

اداء الفرايض واجتناب النواهي والرسول اي ويطع الرسول في السنن التي سنها فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
يعني بالهداية والتوفيق في الدنيا وبدخول الجنة في الآخرة ٥ من النبيين يعني ان المطيعين مع النبيين في الجنة لا
ذلك بمعنى التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول ٥ والصديقين الصديق الكثير الصدق فعيل من
الصدق والصديقون هم اتباع الرسل الذين اتبعوهم على مناهجهم بعدهم حتى لحقوا بهم وقيل الصديق هو الذي
صدق بكل الدين حتى لا يخالجه فيه شك والمراد بالصديقين في هذه الآية افاضل الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كابي بكر
هو الذي سمي بالصديق من هذه الامة وهو افضل اتباع الرسل والشهداء ٥ هم الذين استشهدوا يوم احد
في سبيل الله وقيل هم الذين استشهدوا يوم احد ٥ والصالحين جمع صالح وهو الذي استوت سريرته وعلانيته
في الخير وقيل الصالح من اعتقاده صواب وعمله في سنة وطاعة وقيل المراد بالنبيين هنا محمد صلى الله
عليه وسلم وبالصديقين ابو بكر وبالشهداء عمر وعثمان وعلي وبالصالحين ساير الصحابة ٥ وحسن اولئك يعني
المشار اليهم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وفيه معنى التعجب كانه قال وما احسن
اولئك رفيقا يعني في الجنة والرفيق الصاحب سمي رفيقا لارتفاقك به وبصحبته وانما وحد الرفيق وهو صفة
الجمع لان العرب تعبر به عن الواحد والجمع وقيل معناه وحسن كل واحد من اولئك رفيقا عن انس
ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال متى الساعة قال وما اعددت لها قال لا شيء
الا اني احب الله ورسوله فقال انت مع من احببت قال انس فانا احب النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وارجو
ان اكون معهم بحبي اياهم وان لم اعمل باعمالهم وقوله تعالى ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من ومن
الثواب ٥ الفضل من الله يعني الذي اعطى الله المطيعين من الاجر العظيم ٥ وكفى بالله عليما
يعني بجزاء من اطاعه وقيل معناه ٥ وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم لطاعته وفيه دليل على
انهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل انما نالوها بفضل الله تعالى ورحمته ويدل عليه ما روي عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا منكم عمله الجنة قالوا ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله منه بفضل ورحمة لفظ البخاري ولمسلم نحوه قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم الحذر والحذر احتراز عن مخوف والمعنى احذروا واحترزوا من عدوكم ولا تمكنوه
من انفسكم وقيل المراد بالحذر ههنا السلاح يعني خذوا سلاحكم وعدتكم لقتال عدوكم وانما سمي السلاح
حذرا لانه يتقى به ويحترز به وقيل معناه احذروا عدوكم ولقايل ان يقول اذا كان المقدور كاينا فما ينفع الحذر
فالجواب عنه بانه لما كان الكل بقضاء الله وقدره كان الامر باخذ الحذر من قضاء الله وقدره ٥ فانفروا
ثبات اي اخرجوا سرايا متفرقين سرية بعد سرية او انفروا جميعا يعني او اخرجوا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم الى
الجهاد وعدوكم ٥ وان منكم لمن ليبطئن نزلت في المنافقين وانما قال منكم لاجتماعهم مع اهل الايمان
في الجنسية والنسب واظهار كلمة الاسلام لا في حقيقة الايمان والمعنى وان منكم لمن يتاخر ويتثاقل عن الجهاد وهو
عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وكان راس المنافقين ٥ فان اصابتكم مصيبة اي قتل وهزيمة ٥ قال يعني
هذا المنافق ٥ قد انعم الله علي يعني بالقعود ٥ اذ لم اكن معهم يعني مع المؤمنين ٥ شهيدا يعني حاضرا
الوقعة فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله اي فتح وغنيمة ليقولن يعني هذا المنافق ٥ كان
لم يكن بينكم وبينه مودة اي معرفة ومودة في الدين والمعنى كانه ليس من اهل دينكم وذلك ان المنافقين
كانوا يوادون المؤمنين في الظاهر ٥ يا ليتني كنت معهم في تلك الغزوة التي غنم فيها المؤمنون ٥ فافوز
فوزا عظيما اي فآخذ نصيبا وافرا من الغنيمة قوله عز وجل فليقاتل في سبيل الله هذا خطاب

للمنافقين اي فليخلصوا الايمان وليقاتلوا في سبيل الله وقيل هو خطاب للمؤمنين المخلصين اي فليقاتل المؤمنون
في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة اي يبيعون يقال شريت بمعنى بعت لانه استبدال عوض
بعوض والمعنى فليقاتل المؤمنون الكافرين الذين يبيعون حياتهم في الدنيا بثواب الآخرة وما وعد الله فيها
لاهل الايمان والطاعة وقيل معناه فليقاتل في سبيل الله المؤمنون الذين يبيعون الحياة الدنيا
ويختارون الآخرة وثوابها على الدنيا الفانية ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل اي فيستشهد
او يغلب يعني يظفر بعدوه من الكفار فسوف نؤتيه اجرا عظيما يعني في كلا الحالين الشهادة او الظفر نؤتيه منها
اجرا عظيما يعني ثوابا وافرا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله
لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه
الذي خرج منه بما نال من اجر او غنيمة لفظ مسلم قوله تعالى وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله قال
المفسرون هذا حض من الله على الجهاد في سبيله لاستنقاذ المؤمنين المستضعفين من ايدي الكفار
وفيه دليل على ان الجهاد واجب والمعنى لا عذر لكم في ترك الجهاد وقد بلغ حال المستضعفين ما بلغ من
الضعف والاذى ٥ والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال ابن عباس يريد ان قوما من المسلمين
استضعفوا فحبسوا وعذبوا وفتنوا كانوا بمكة يلقون من المشركين اذى شديدا وكان اهل مكة
قد اجتهدوا ان يفتنوا قوما من المؤمنين عن دينهم بالاذى لهم وكانوا مستضعفين في ايديهم
ولم يكن لهم بمكة قوة يمتنعون بها من المشركين فعلى هذا يكون معنى الآية وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله
وفي خلاص المستضعفين وقال ابن عباس معناه وعن المستضعفين لان المراد صرف الاذى عنهم
عن ابن عباس في قوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين الآية قال كنت انا وامي من المستضعفين
وفي رواية ابن ابي مليكة قال تلا ابن عباس الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال كنت انا وامي
ممن عذر الله انا من الولدان وامي من النساء فعلى هذه الرواية الثانية من حديث ابن عباس يكون
معنى المستضعفين الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فانهم ممن عذر الله في ترك القتال
والولدان جمع وليد وهو الصبي الصغير ٥ الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية يعني مكة الظالم
اهلها يعني الظالم اهلها انفسهم بالشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وذلك ان المستضعفين لما منعهم
المشركون من الهجرة من مكة الى المدينة دعوا الله عز وجل فقالوا ربنا اخرجنا من هذه القرية يعني الظالم اهلها
من الشرك ٥ واجعل لنا من لدنك نصيرا وليا يعني وليا يلي امرنا ٥ واجعل لنا من لدنك نصيرا يعني ينصرنا
ويمنعنا من العدو فاستجاب الله دعاءهم وجعل لهم من لدنه خير ولي وخير ناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم
فتولاهم ونصرهم واستنقذهم من ايدي المشركين يوم فتح مكة واستعمل عليهم عتاب ابن اسيد وكان
ابن ثمانية عشر سنة فكان ينصر المظلومين من الظالمين وياخذ للضعيف من القوي قوله عز وجل الذين
آمنوا يقاتلون في سبيل الله يعني في طاعة الله واعلاء كلمته وابتغاء مرضاته ٥ والذين كفروا يقاتلون في سبيل
الطاغوت يعني في طاعة الشيطان ٥ فقاتلوا اولياء الشيطان اي فقاتلوا ايها المؤمنون حزب الشيطان
وجنوده وهم الكفار ٥ ان كيد الشيطان كان ضعيفا الكيد السعي في الفساد على جهة الاحتيال
ويعني بكيده ما كاد المؤمنين به من تحزيبه اولياءه الكفار يوم بدر وكونه ضعيفا لانه خذل اولياءه
لما راى الملايكة قد نزلت يوم بدر وكان النصر لاولياء الله وحزبه على اولياء الشيطان وحزبه وادخال
كان في قوله كان ضعيفا لتاكيد ضعف كيد الشيطان قوله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم

وآتوا الزكاة قال الكلبي نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الأسود الكندي وقدامة
ابن مظعون الجمحي وسعد بن أبي وقاص وجماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يلقون من المشركين أذى كثيرا قبل
أن يهاجروا فكانوا يقولون يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن لنا في قتالهم فإنهم قد آذونا فيقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
كفوا أيديكم فإني لم أومر بقتالهم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يعني قيل لهم كفوا أيديكم عن قتالهم وأدوا
ما افترض عليكم من الصلاة والزكاة وفيه دليل على أن فرض الصلاة والزكاة كان قبل فرض الجهاد فلما كتب
عليهم القتال أي فرض عليهم جهاد المشركين وأمروا بالخروج إلى بدر إذا فريق منهم يعني جماعة
من الذين سألوا أن يفرض عليهم الجهاد يخشون الناس يعني يخافون مشركي مكة كخشية الله أو أشد
خشية أو بمعنى الواو يعني وأشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال يعني لم فرضت علينا الجهاد
لولا أخرتنا إلى أجل قريب يعني هلا تركتنا ولم تفرض علينا القتال حتى نموت بآجالنا والذين قالوا هذا
القول هم المنافقون لأن هذا القول لا يليق بالمؤمنين وقيل قاله بعض المؤمنين وإنما قالوا ذلك خوفا
وجبنا لا اعتقادا ثم تابوا من هذا القول قل أي قل لهم يا محمد متاع الدنيا قليل يعني أن منفعتها
والاستمتاع بالدنيا قليل لأنه فان زائل والآخرة يعني وثواب الآخرة خير لمن اتقى يعني اتقى الشرك
ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم ولا تظلمون فتيلا أي ولا تنقصون من أجوركم قدر فتيل م عن
المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم
إصبعه هذه وأشار يحيى بالسبابة في اليم فلينظر بم ترجع قوله عز وجل أينما تكونوا يدرككم الموت
نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى أحد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم بهذه الآية
وقيل نزلت في الذين قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال فرد الله عليهم بقوله أينما تكونوا يدرككم الموت يعني
ينزل بكم الموت فبين الله تعالى أنه لا خلاص لهم من الموت وإذا كان لا بد لهم من الموت كان القتل في سبيل الله
وجهاد أعدائه أفضل من الموت على الفراش لأن الجهاد موت تحصل به سعادة الآخرة ثم بين تعالى
أنه لا بد لهم من الموت وأنه لا ينجي منه شيء بقوله ولو كنتم في بروج مشيدة والبروج في كلام العرب الحصون
والقلاع والمشيدة المرفوعة المطولة وقيل هي المطلية بالشيد وهو الجص وإن تصبهم حسنة
يقولوا هذه من عند الله نزلت في المنافقين واليهود وذلك أن المدينة كانت ذات خير ورزق
ونعم عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم فلما ظهر نفاق المنافقين وعناد اليهود أمسك الله عنهم
بعض الإمساك فقال المنافقون واليهود ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا
هذا الرجل وأصحابه فقال الله تعالى وإن تصبهم يعني المنافقين واليهود حسنة أي خصب الثمار
ورخص في السعر يقولوا هذه من عندك يعني من شؤم محمد وأصحابه وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة
والهزيمة يوم أحد ومعنى من عندك أنت الذي حملتنا عليه يا محمد فعلى هذا القول يكون هذا إخبارا
عن المنافقين خاصة قل أي قل لهم يا محمد كل من عند الله يعني الحسنة والسيئة والخصب والجدب
والغنيمة والهزيمة والظفر والقتل فأما الحسنة فإنعام من الله وأما السيئة فابتلاء منه فمال هؤلاء
القوم أي فما شأن هؤلاء القوم المنافقين واليهود الذين قالوا ما قالوا لا يكادون يفقهون
حديثا يعني لا يفقهون معاني القرآن وأن الأشياء كلها من الله عز وجل خيرها وشرها قوله تعالى ما أصابك
من حسنة يعني من خير ونعمة فمن الله يعني فمن فضل الله عليك يتفضل به إحسانا منه إليك وما أصابك
من سيئة يعني من شدة ومكروه ومشقة وأذى فمن نفسك يعني فمن قبل نفسك وبذنب اكتسبته

عند الله يعني من قبل الله
وإن تصبهم سيئة أي
جدب وغلاء
في السعر يقولوا
هذه من ع

نفسك استوجبت ذلك به وفي المخاطب بهذا الكلام قولان أحدهما أنه عام وتقديره ما أصابك أيها الإنسان
والثاني أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الأمة والنبي صلى الله عليه وسلم بريء لأن الله عز وجل
قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقد عصمه من حين بعثه فهو معصوم فيما يستقبل حتى يموت
ويدل على أن المراد بهذا الخطاب غيره قوله عز وجل يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فمعنى قوله فمن
نفسك أي عقوبة لذنبك يا ابن آدم كذا قاله قتادة وقال الكلبي ما أصابك من خير فالله هداك له
وأعانك عليه وما أصابك من أمر تكرهه فبذنبك عقوبة لك والذنب [illegible] تعلق بظاهر الآية القدرية
وقالوا نفى الله السيئة عن نفسه ونسبها إلى الإنسان بقوله وما أصابك من أمر تكرهه فبذنبك عقوبة لك
سيئة فمن نفسك ولا متعلق لهم بها لأنه ليس المراد من الآية حسنة الكسب من الطاعات ولا السيئة
المكتسبة من فعل المعاصي بل المراد من الحسنة والسيئة في هذه الآية ما يصيب الإنسان من النعم
والمحن وذلك ليس من فعل العبد لأنه لا يقال في الطاعة والمعصية أصابني إنما يقال أصبتها ويقال
في النعم والمحن أصابني بدليل أنه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو كقوله تعالى وإذا جاءتهم الحسنة قالوا
لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ولما ذكر الله حسنات الكسب وسيئاته
وعد عليها بالثواب والعقاب فقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى إلا مثلها فبطل بهذا قول القدرية وقال بعضهم لو كانت الآية على معنى ما يقول أهل القدر
لقال ما أصبت من حسنة وما أصبت من سيئة ولم يقل ما أصابك لأن العادة جرت بقول الإنسان
أصابني خير أو مكروه وأصبت حسنة أو سيئة وقيل في معنى الآية ما أصابك من حسنة أي
النصر والظفر يوم بدر فمن الله أي من فضل الله وما أصابك من سيئة أي القتل والهزيمة يوم
أحد فمن نفسك يعني فبذنوب أصحابك وهو مخالفتهم إياك فإن قلت كيف وجه الجمع بين قوله
تعالى قل كل من عند الله وبين قوله وما أصابك من سيئة فمن نفسك فأضاف السيئة إلى فعل العبد
في هذه الآية قلت أما إضافة الأشياء كلها إلى الله تعالى في قوله قل كل من عند الله فعلى الحقيقة
لأن الله تعالى هو خالقها وموجدها وأما إضافة السيئة إلى فعل العبد في هذه الآية [illegible]
إضافة الأشياء كلها إلى الله تعالى في قوله قل كل من عند الله فعلى المجاز تقديره وما أصابك من سيئة فمن
الله بذنب نفسك عقوبة لك وقيل إضافة السيئة إلى فعل العبد على سبيل الأدب فهو كقوله تعالى
وإذا مرضت فهو يشفين فأضاف المرض إلى نفسه على طريق الأدب ولا يشكل على قول إن الممرض هو
الله تعالى وقيل هذه متصلة بما قبلها وفيه إضمار وتقديم وتأخير تقديره فما لهؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا ويقولون ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك قل كل
من عند الله وقال أبو العباس في معنى الآية ما أصابك الله به من حسنة وما أصابك به من سيئة
فالفعلان راجعان إلى الله تعالى قوله تعالى وأرسلناك للناس رسولا يعني وأرسلناك يا محمد
إلى كافة الناس رسولا لتبلغهم رسالاتي وما أرسلتك به ولست رسولا إلى العرب خاصة كما قاله
بعض اليهود بل أنت رسول إلى الخلق كافة العرب وغيرهم وكفى بالله شهيدا يعني على إرسالك للناس
كافة فما ينبغي لأحد أن يخرج عن طاعتك واتباعك وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على تبليغك
ما أرسلت به إلى الناس وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على أن الحسنة والسيئة من الله قوله عز وجل
من يطع الرسول فقد أطاع الله سبب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني فقد

اطاع الله ومن احبني فقد احب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت
النصارى عيسى بن مريم ربا فانزل الله هذه الآية من يطع الرسول يعني فيما امره به ونهى عنه فقد اطاع الله
يعني ان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى لانه هو امر بها وقال الحسن جعل الله طاعة رسوله صلى
الله عليه وسلم طاعته وقامت به الحجة على المسلمين وقال الشافعي كل فريضة فرضها الله تعالى في
كتابه كالحج والصلاة والزكاة لولا بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ما كنا نعرف كيف نأتيها ولا كان يمكننا
اداء شيء من العبادات واذا كانت للرسول صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة من الشريعة كانت طاعته على
الحقيقة طاعة الله ومن تولى اي اعرض عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا يعني حافظا تحفظ اعمالهم عليهم
بل كل امرهم الى الله قال المفسرون وكان هذا قبل ان يؤمر بالقتال ثم نسخ ذلك بآية القتال قوله تعالى ويقولون
طاعة نزلت في المنافقين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون باللسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم آمنا
بك وصدقناك فمرنا بامرك طاعة اي امرنا وشأننا طاعة فاذا برزوا من عندك اي خرجوا من
عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول التبييت كل امر يفعل بالليل يقال هذا امر بيت اذا دبر
بليل وقضي بليل فقوله بيت والمعنى انهم قالوا وقدروا امرا بالليل غير الذي اعطوك بالنهار من
الطاعة وقيل معناه بيت غير وبدل طائفة منهم غير الذي تقول يعني غير الذي عهدت اليهم فعلى
هذا يكون التبييت بمعنى التبديل وانما خص طائفة من المنافقين بالتبييت في قوله منهم وكلمة من
للتبعيض لانه تعالى علم ان منهم من يبقى على كفره ونفاقه ومنهم من يرجع عنه ويتوب فخص من
يصر على النفاق بالذكر وقيل ان طائفة منهم اجتمعوا في الليل وبيتوا ذلك القول فخصهم بالذكر
والله يكتب ما يبيتون اي يثبت ويحفظ عليهم ما يبيتون يعني ما يزورون ويغيرون ويقدرون وقال
ابن عباس يكتب ما يسرون من النفاق فاعرض عنهم اي لا تعاقبهم يا محمد ولا تحدث نفسك بالانتقام
منهم وخلهم وضلالتهم فانا منتقم منهم وقيل لا تخبر باسمائهم وتوكل على الله اي فوض امرك الى الله
في شأنهم فان الله يكفيك امرهم وينتقم لك منهم وكفى بالله وكيلا يعني ناصرا لك عليهم قوله عز وجل
افلا يتدبرون القرآن اصل التدبر النظر في عواقب الامور والتفكر في ادبارها ثم استعمل في كل تفكر ونظر
يقال تدبرت الشيء اي نظرت في عاقبته ومعنى تدبر القرآن تأمل معانيه والتفكر في حكمه وتبصر ما فيه
من الآيات قال ابن عباس افلا يتدبرون القرآن اي يتفكرون فيه فيرون تصديق بعضه لبعض وما
فيه من المواعظ والذكر والامر والنهي وان احدا من الخلق لا يقدر عليه قال العلماء ان الله احتج بالقرآن
والتدبر فيه على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والحجة في ذلك من ثلاثة اوجه احدها فصاحته التي عجز
الخلائق عن الاتيان بمثله في اسلوبه الثاني اخباره عن الغيوب وهو ما يطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم
على احوال المنافقين وما يضمرونه من مكرهم وكيدهم فيفضحهم بذلك وغير ذلك من الاخبار عن احوال
الاولين واخبارهم وما يأتي في المستقبل من امور الغيب التي لا يعلمها الا الله تعالى الثالث
سلامته من الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا عجز
قال ابن عباس يعني تفاوتا وتناقضا وفي رواية عنه لو كان من عند مخلوق لكان على قياس كلام المخلوقين
بعضه فصيح بليغ حسن وبعضه مردود ركيك فاسد فلما كان القرآن جميعه على منهاج واحد في
الفصاحة والبلاغة ثبت انه من عند الله والمعنى افلا يتفكرون في القرآن فيعرفوا بعدم التناقض
فيه وصدق ما يخبر به عن الغيوب انه كلام الله عز وجل وان ما يكون من عند غير الله لا يخلو

عن

لا يخلو عن تناقض واختلاف فلما كان القرآن ليس فيه تناقض واختلاف علم انه من عند قادر على ما لا يقدر
عليه غيره عالم بما لا يعلمه سواه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعوث والسرايا فاذا غلبوا او غلبوا
بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم ليشيعوه ويتحدثوا به قبل ان يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون
به قلوب المؤمنين فانزل الله هذه الآية واذا جاءهم امر من الامن يعني جاءهم خبر بفتح وغنيمة او الخوف يعني القتل والهزيمة يعني المنافقين
اذاعوا به اي افشوه اذكر الخبر واشاعوه بين الناس يقال ذاع الخبر واذاع به اذا اشاعه واظهره قال الشاعر
اذاع به في الناس حتى كانه بعلياء نار اوقدت بثقوب ولو ردوه الى الرسول يعني الامر الذي تحدثوا به
الى الرسول يعني لم يحدثوا به حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يحدث به ويظهره والى اولي الامر منهم يعني
ذوي العقول والرأي والبصر بالامور منهم وهم كبار الصحابة كابي بكر وعمر وعثمان وعلي وقيل هم
امراء السرايا والبعوث وانما قال منهم على حسب الظاهر ولان المنافقين كانوا يظهرون الايمان فلهذا
قال واولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم اي يستخرجون تدبيره بذكائهم وفطنتهم وتجاربهم
ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وهم العلماء الذين علموا ما ينبغي ان يكتم من الامور وما ينبغي ان
يذاع منها والنبط الماء الذي يخرج من البئر اول ما تحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يستخرجه
الرجل بفضل ذكائه وصفاء ذهنه وفطنته من المعاني والتدبير فيما يعضل ويهم يقال استنبط
الفقيه المسألة اذا استخرجها باجتهاده وفهمه وفي الآية دليل على جواز القياس وان من العلم ما يدرك
بالنص وهو الكتاب والسنة ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس عليهما ومعنى الآية ولو
ان هؤلاء المنافقين والمذيعين ردوا الامر من الامن او الخوف الى الرسول والى اولي الامر منهم وطلبوا
معرفته الى فهم من جهتهم لعلموا حقيقة ذلك منهم لانهم اولى بالبحث عنه فانهم اعلم بما ينبغي ان يشاع
او يكتم قوله عز وجل ولولا فضل الله عليكم يعني ولولا فضل الله عليكم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال
القرآن ورحمته بالتوفيق والهداية لاتبعتم الشيطان يعني لبقيتم على الكفر والضلالة الا قليلا
اختلف العلماء في هذا الاستثناء والى ماذا يرجع فقيل هو راجع الى الاذاعة وهو قول ابن عباس
والتقدير واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به الا قليلا فاخرج بعض المنافقين والمؤمنين عن هذه
الاذاعة لانهم لم يذيعوا ما علموا من امر السرايا وهذا القول اختيار الفراء وابن جرير الطبري وقيل هو
راجع الى المستنبطين وهو قول الحسن وقتادة واختاره ابن قتيبة وتقديره لعلمه الذين يستنبطونه
منهم الا قليلا فعلى هذين القولين في الآية تقديم وتأخير وقيل انه راجع الى اتباع الشيطان وهو قول
الضحاك واختاره الزجاج ومعلوم ان صرف الاستثناء الى ما يليه ويتصل به اولى من صرفه الى الشيء
البعيد وتقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم وهم قوم آمنوا واهتدوا قبل
مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة
قوله تعالى فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك نزلت في مواعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بن حرب
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعده موسم بدر الصغرى بعد حرب احد وذلك في ذي القعدة
فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله هذه الآية
فقاتل في سبيل الله يعني لا تدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين لا تكلف الا
نفسك يعني الا تكليف فرض غيرك بل جاهد في سبيل الله ولو وحدك فان الله ناصرك لا الجنود وقد وعدك
النصر عليهم وهو لا يخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا الى بدر الصغرى فكفاهم

القتال ورجعوا سالمين وعاتب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية على ترك الجهاد والخروج معه وفي الآية دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أشجع الناس وأعلمهم بأمور القتال ومكايده لأن الله تعالى أمره بالقتال وحده ولو لم يكن أشجع الناس لما أمره بذلك ولقد اقتدى به أبو بكر الصديق في قتال أهل الردة مانعي الزكاة فعزم على الخروج إلى قتالهم ولو وحده ﴿وحرض المؤمنين﴾ يعني حضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب وليس عليك في شأنهم إلا التحريض فحسب لا التعنيف بهم ﴿عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا﴾ يعني لعل الله أن يمنع بأس الكفار وشدتهم وقد فعل ذلك لأن أبا سفيان بدا له عن القتال فلم يخرج إلى الموعد ﴿والله أشد بأسا﴾ أي أعظم صولة ﴿وأشد تنكيلا﴾ يعني وأشد عذابا وعقوبة قوله عز وجل ﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها﴾ الشفاعة مأخوذة من الشفع وهو أن يصير الإنسان نفسه شفعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسألة إلى المشفوع إليه فعلى هذا قيل إن المراد بالشفاعة المذكورة في الآية هي شفاعة الإنسان لغيره ليجلب له نفعا أو يخلصه من بلاء نزل به وقيل هو الإصلاح بين الناس وقيل معنى الآية من يصير شفعا لوتر أصحابك يا محمد فيشفعهم في جهاد عدوهم ﴿يكن له نصيب منها﴾ أي حظ وافر من أجر شفاعته وهو ثواب الله وكرامته ﴿ومن يشفع شفاعة سيئة﴾ قيل هي النميمة ونقل الحديث لإيقاع العداوة بين الناس وقيل أراد بالشفاعة السيئة دعاء اليهود على النبي وقيل معناه ومن يشفع كفره لقتال المؤمنين ﴿يكن له كفل منها﴾ أي ضعف وقيل نصيب منها أي من وزرها ﴿وكان الله على كل شيء مقيتا﴾ قال ابن عباس يعني مقتدرا ومجازيا والمقيت على الشيء المقتدر عليه قال الشاعر: وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على إساءته مقيتا. يعني قادرا على الإساءة إليه وقيل معناه شاهدا وحفيظا على الأشياء ق عن أبي موسى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا إذ جاء رجل يسأل فأقبل علينا بوجهه وقال اشفعوا تؤجروا وليقض الله على لسان رسوله ما شاء وفي رواية كان إذا جاءه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال اشفعوا تؤجروا وذكره قوله عز وجل ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها﴾ التحية تفعلة من حيي وأصلها من الحياة ثم جعل السلام تحية لكونه خارجا عن حصول الحياة وسبب الحياة في الدنيا أو في الآخرة والتحية أن يقال حياك الله أي جعل لك حياة وذلك إخبار ثم يجعل دعاء وهذه اللفظة كانت العرب تقولها فلما جاء الإسلام بدل ذلك بالسلام وهو المراد به في الآية يعني إذا سلم عليكم المسلم فحيوه بأحسن مما سلم عليكم به وإنما اختير لفظ السلام على لفظ حياك الله لأنه أتم وأحسن وأكمل لأن معنى السلام السلامة من الآفات فإذا دعا الإنسان بطول الحياة بغير سلامة كانت حياته مذمومة منغصة وإذا كانت في حياته سلامة كان أتم وأكمل فلهذا السبب اختير لفظ السلام ﴿أو ردوها﴾ يعني ردوا عليه كما سلم عليكم ﴿إن الله كان على كل شيء حسيبا﴾ يعني محاسبا ومجازيا والمعنى أنه تعالى على كل شيء من رد السلام بمثله أو بأحسن منه مجازيا عليه فصل في فضل السلام والحث عليه ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الإسلام خير قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف قوله أي الإسلام خير معناه أي خصال الإسلام خير م عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم عن عبد الله بن سلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس أفشوا السلام بينكم وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح عن أبي أمامة قال أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن نفشي السلام

أخرجه ابن ماجه فصل في أحكام تتعلق بالسلام وفيه مسائل المسألة الأولى في كيفية السلام ق عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله تعالى آدم قال اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله قال العلماء يستحب لمن يبتدي بالسلام أن يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيأتي بضمير الجمع وإن كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيأتي بواو العطف في قوله وعليكم عن عمران بن الحصين قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال النبي صلى الله عليه وسلم عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون أخرجه الترمذي وأبو داود وقال الترمذي حديث حسن وقيل إذا قال المسلم السلام عليكم فيقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله فيزيده ورحمة الله وإذا قال السلام عليكم ورحمة الله فيقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيزيده وبركاته وإذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيرد عليه مثله ولا يزاد عليه روي أن رجلا سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيئا فقال ابن عباس إن السلام انتهى إلى البركة ويستحب للمسلم أن يرفع صوته بالسلام ليسمع المسلم عليه فيجيبه ويشترط أن يكون الرد على الفور فإن تأخر ثم رد لم يعد جوابا وكان آثما بترك الرد المسألة الثانية في حكم السلام الابتداء بالسلام سنة مستحبة ليس بواجب وهو سنة على الكفاية فإن كانوا جماعة فسلم واحد منهم كفى عن جميعهم ولو سلم كلهم كان أفضل وأكمل قال القاضي حسين من أصحاب الشافعي ليس لنا سنة على الكفاية إلا هذا وفيه نظر لأن تشميت العاطس سنة على الكفاية أيضا كالسلام ولو دخل على جماعة في بيت أو مجلس أو مسجد وجب عليه أن يسلم على الحاضرين لقوله صلى الله عليه وسلم أفشوا السلام والأمر للوجوب أو يكون ذلك سنة متأكدة لأن السلام من شعار أهل الإسلام فيجب إظهاره أو يتأكد استحبابه أما الرد على المسلم فقد أجمع العلماء على وجوبه ويدل عليه قوله تعالى وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها والأمر للوجوب ولأن في ترك الرد إهانة للمسلم فيجب ترك الإهانة فإن كان المسلم عليه واحدا وجب الرد عليه وإذا كانوا جماعة كان رد السلام في حقهم فرض كفاية فلو رد واحد منهم سقط فرض الرد عن الباقين وإن تركوه كلهم أثموا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجزي عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزي عن الجلوس أن يرد أحدهم أخرجه أبو داود المسألة الثالثة في أدب السلام السنة أن يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير ق عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير وفي رواية للبخاري قال يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير وفي رواية للبخاري أيضا وإذا تلاقى رجلان فالمبتدي بالسلام هو الأفضل الماوردي عن أبي أمامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أولى الناس بالله عز وجل من بدأهم بالسلام أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي ولفظه قال قيل يا رسول الله الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام قال أولاهما بالله قال الترمذي حديث حسن ويستحب أن يبدأ بالسلام قبل الكلام أو الحاجة والسنة إذا مر بجماعة صبيان أن يسلم عليهم ق وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله أخرجه في الصحيحين وفي رواية لأبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على غلمان يلعبون

لما روي عن انس انه مر على صبيان فسلم عليهم

فسلم عليهم واما السلام على النساء فان كن جمعا جالسات في موضع او مسجد فينبغي ان يسلم عليهن
اذا لم يخف على نفسه او عليهن فتنة لما روي عن اسماء بنت يزيد قالت مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في
نسوة فسلم علينا اخرجه ابو داود وفي رواية الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما
وعصبة من النساء قعود فالوى بيده بالتسليم قال الترمذي حديث حسن واذا مر على امرأة
منفردة اجنبية فان كانت جميلة فلا يسلم عليها ولو سلم فلا ترد هي عليه لانه لا يستحق الرد وان كانت
عجوزا لا يخاف عليه ولا عليها الفتنة سلم عليها وترد هي عليه وحكم النساء مع النساء كحكم الرجال مع
الرجال في السلام فيسلم بعضهن على بعض المسألة الرابعة في الاحوال التي يكره السلام فيها من ذلك
الذي يبول او يتغوط او يجامع ونحو ذلك لا يسلم عليه فلو سلم فلا يستحق المسلم جوابا لما روي عن ابن عمر
ان رجلا مر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبول فسلم فلم يرد عليه اخرجه مسلم قال الترمذي انما هذا
يكره اذا كان على الغائط او البول ويكره التسليم على من في الحمام وقيل ان كانوا متزرين بالمآزر
سلم عليهم والا فلا ويكره التسليم على النائم والناعس والمصلي والمؤذن والتالي في حال الصلاة
والاذان والتلاوة ويكره الابتداء بالتسليم في حال الخطبة لان الجلوس مامورون بالانصات للخطبة
ويكره ان يبدأ المبتدع بالتسليم عليه وكذلك المعلن بفسق وكذلك الظلمة ونحوهم فلا يسلم على هؤلاء
المسألة الخامسة في حكم السلام على اهل الذمة اليهود والنصارى اختلف العلماء فيه فذهب اكثرهم الى
انه لا يجوز ابتداؤهم بالسلام وقال بعضهم انه ليس بحرام بل هو مكروه كراهة تنزيه ويدل على ذلك ما روي
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام واذا لقيتم احدهم
في طريق فاضطروه الى اضيقه اخرجه مسلم واذا سلم يهودي على مسلم فيرد عليه ويقول وعليك بغير واو العطف
لما روي عن انس ان يهوديا اتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال السام عليكم فرد عليه القوم فقال
نبي الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما قال قالوا الله ورسوله اعلم سلم يا نبي الله قال لا ولكنه قال كذا وكذا ردوه
علي فردوه فقال قلت السام عليكم قال نعم قال نبي الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم احد من
اهل الكتاب فقولوا عليك اي عليك ما قلت اخرجه الترمذي فلو اتى بواو العطف ومنهم من جمع فقال
وعليكم جاز لانا نجاب عليهم في الدعاء ولا يجابون علينا ويدل على ذلك ما روي عن جابر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم سلم عليه ناس من اليهود فقالوا السام عليك يا ابا القاسم فقال وعليكم
فقالت عائشة وغضبت الم تسمع ما قالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وانا نجاب عليهم ولا يجابون
علينا اخرجه مسلم واذا مر المسلم على جماعة فيهم مسلمون ويهود ونصارى فيسلم عليهم ويقصد
بالتسليم المسلمين لما روي عن اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه اخلاط من
المسلمين واليهود فسلم عليهم اخرجه الترمذي والله اعلم قوله تعالى الله لا اله الا هو ليجمعنكم اللام في الموت
وفي القبور الى يوم القيامة يعني الى يوم الحشر والبعث سميت القيامة قيامة لقيام الناس من قبورهم
بعد الموت وقيل لقيامهم للحساب نزلت هذه الآية في منكري البعث لا ريب فيه يعني لا
شك في ذلك اليوم انه كائن ومن اصدق من الله حديثا يعني لا احد اصدق من الله فانه لا يخلف
الميعاد ولا يجوز عليه الكذب والمعنى ان القيامة كائنة لا شك فيها ولا ريب قوله عز وجل فما لكم في
المنافقين فئتين اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقيل نزلت في الذين تخلفوا
يوم احد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم

اقتلهم يا رسول الله فانهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم فانهم قد تكلموا بكلمة الاسلام ق عن زيد بن
ثابت قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احد رجع ناس ممن خرج معه فكان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيهم فرقتين وقال النبي صلى الله عليه وسلم انها طيبة تنفي الرجال كما ينفي الكير خبث الحديد وقيل
نزلت في قوم خرجوا الى المدينة واسلموا ثم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى مكة
ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فخرجوا واقاموا بمكة فاختلف المسلمون فيهم فقائل يقول هم منافقون
وقائل يقول هم مؤمنون وقيل نزلت في ناس من قريش قدموا المدينة واسلموا ثم ندموا على
ذلك فخرجوا كهيئة المتنزهين فلما بعدوا عن المدينة كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
على الذي فارقناك عليه من الايمان ولكن اجتوينا المدينة واشتقنا الى ارضنا ثم انهم خرجوا
في تجارة الى الشام فبلغ ذلك المسلمين فقال بعضهم نخرج اليهم ونقتلهم ونأخذ معهم لانهم رغبوا
عن ديننا وقالت طائفة منهم كيف تقتلون قوما على دينكم وان لم يذروا ديارهم وكان هذا
بعين النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساكت لا ينهى احد الفريقين فنزلت هذه الآية وقيل نزلت
في قوم اسلموا بمكة ولم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين وقيل نزلت في عبد الله بن ابي بن سلول
المنافق لما تكلم في حديث الافك ومعنى الآية فما لكم يا معشر المؤمنين في المنافقين فئتين اي صرتم
في امرهم فئتين فرقة تذب عنهم وفرقة تباينهم وتعاديهم فنهى الله الفرقة الذين يذبون
عنهم وامر المؤمنين جميعا ان يكونوا على منهاج واحد في التباين لهم والتبري منهم ثم اخبر عن كفرهم
بقوله والله اركسهم يعني نكسهم في كفرهم وارتدادهم وردهم الى احكام الكفار بما كسبوا اي بسبب
ما اكتسبوا من اعمالهم الخبيثة وقيل بما اظهروا من الارتداد بعد ما كانوا على النفاق اتريدون
ان تهدوا من اضل الله هذا خطاب للفئة التي دافعت عن المنافقين والمعنى اتبغون ايها المؤمنون
هداية هؤلاء المنافقين الذين اضلهم الله عن الهدى ومن يضلل الله يعني عن الهدى فلن تجد
له سبيلا يعني طريقا تهديه فيها الى الحق والهدى قوله تعالى ودوا يعني تمنوا اولئك الذين رجعوا عن الايمان
الى الارتداد والكفر فلا تتخذوا منهم اولياء يعني من الكفار منع المؤمنين من موالاتهم حتى
يهاجروا يعني يسلموا ويهاجروا في سبيل الله معكم وهي هجرة اخرى والهجرة على ثلاثة اوجه الاول
هجرة المؤمنين في اول الاسلام من مكة الى المدينة الثانية هجرة المنافقين وهي الخروج مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله مخلصين صابرين محتسبين كما حكى الله عنهم في هذه الآية منع
المؤمنين من موالاة المنافقين حتى يهاجروا في سبيل الله والهجرة الثالثة هجرة المؤمنين ما
نهى الله عنه فان تولوا يعني فان اعرضوا عن الاسلام والهجرة واختاروا الاقامة على الكفر
فخذوهم الخطاب للمؤمنين اي خذوهم ايها المؤمنون واقتلوهم حيث وجدتموهم يعني اين وجدتموهم
في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم وليا يعني في هذه الحال ولا نصيرا يعني ينصركم على اعدائكم لانهم اعداء
ثم استثنى الله عز وجل طائفة منهم فقال تعالى الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق هذا
الاستثناء يرجع الى القتل لا الى الموالاة لان موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال ومعنى يصلون ينتسبون
اليهم او يتصلون اليهم او يدخلون معهم في الحلف والجوار وقال ابن عباس يريد يلجأون الى قوم بينكم
وبينهم ميثاق اي عهد وهم الاسلميون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر الاسلمي عند
خروجه الى مكة على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل الى هلال من قومه وغيرهم ولجأ اليه فلهم من الجوار مثل ما

الصلاة وفي رواية عن ابن عباس قال اراد بالقوم الذين بينكم وبينهم ميثاق بني بكر بن زيد مناة كانوا
في الصلح والهدنة وقيل هم خزاعة والمعنى ان من دخل في عهد من كان داخلا في عهدكم فهم ايضا داخلون
في عهدكم او جاؤكم حصرت صدورهم يحتمل ان يكون عطفا على الذين وتقديره الا الذين يتصلون
بالمعاهدين او يتصلون بالذين حصرت صدورهم فلا تقتلوهم وقيل يحتمل ان يكون عطفا على صفة
قوم وتقديره الا الذين يتصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد او يتصلون الى قوم حصرت صدورهم فلا
تقتلوهم ومعنى حصرت اي ضاقت صدورهم عن المقاتلة فلا يريدون قتالكم لانكم مسلمون ولا يريدون قتال
اقاربهم وهم بنو مدلج كانوا عاهدوا ان لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ان لا يقاتلوهم ان يقاتلوكم
يعني ضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذي بينكم وبينهم او يقاتلوا قومهم يعني من امن منهم وقيل
معناه انهم لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم يعني ضاقت صدورهم لذلك عن قتالكم والقتال
معكم وهم قوم هلال الاسلميون وبنو بكر نهى الله عن قتال هؤلاء المرتدين اذا اتصلوا باهل عهد للمسلمين لان من
انضم الى قوم ذوي عهد فله حكمهم في حقن الدم وذلك لان الله تعالى اوجب قتال الكفار الا من كان
معاهدا او لجأ الى المعاهد او ترك القتال فانه لا يجوز قتل هؤلاء وعلى هذا القول فالقول بالنسخ
لازم لان الكافر وان ترك القتال فقتاله جائز وقال جماعة من المفسرين معاهدة المشركين وموادعتهم
في هذه الاية منسوخة باية السيف وذلك لان الله تعالى لما اعز الاسلام واهله امر ان لا يقبل من مشركي العرب
الا الاسلام او القتل ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم يذكر الله تعالى منته على المسلمين بكف باس
المعاهدين وذلك لما القى الرعب في قلوبهم وكفهم عن قتالكم ومعنى التسليط هنا هو تقوية قلوبهم على قتال
المسلمين ولكن قذف الرعب في قلوبهم وكفهم عن المسلمين فان اعتزلوكم يعني فان اعتزلوكم يعني هؤلاء
فلم يقاتلوكم وقال فلم يقاتلوكم يوم فتح مكة مع قومهم والقوا اليكم السلم يعني الانقياد والصلح فانقادوا
واستسلموا فما جعل الله لكم عليهم سبيلا يعني بالقتل والقتال قال بعض المفسرين ان هذا منسوخ
باية القتال وهي قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال بعضهم هي غير منسوخة لانا اذا
حملنا على المعاهدين فكيف يمكن ان يقال منسوخة قوله عز وجل ستجدون اخرين قال ابن عباس
هم اسد وغطفان كانوا من حاضري المدينة فتكلموا بكلمة الاسلام رياء وهم غير مسلمين وكان
الرجل منهم يقول له قومه بماذا امنت فيقول امنت بهذا القرد وبهذا العقرب والخنفساء واذا
لقوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا انا على دينكم يريدون بذلك الامن من الفريقين وفي
رواية اخرى عن ابن عباس انها نزلت في بني عبد الدار وكانوا بهذه الصفة يريدون ان يأمنوكم
يعني يريدون باظهار الايمان لكم ان يأمنوكم فلا تتعرضوا لهم ويأمنوا قومهم يعني باظهار الكفر لهم فلا يتعرضوا
لهم كلما ردوا الى الفتنة يعني كلما دعوا الى الشرك اركسوا فيها رجعوا الى الشرك وعادوا اليه منكوسين
على رؤوسهم فيه فان لم يعتزلوكم يعني فان لم يكفوا عن قتالكم حتى تسيروا الى مكة ويلقوا اليكم السلم
اي ولم يلقوا الصلح ولم يكفوا عن قتالكم فخذوهم يعني اسرا واقتلوهم حيث ثقفتموهم يعني حيث ادركتموهم
واولئكم يعني اهل هذه الصفة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا يعني حجة ظاهرة بالقتل
والقتال وقيل الحجة الواضحة هو ظهور عداوتهم وانكشاف حالهم بالكفر والغدر قوله تعالى وما كان
لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ الاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بمكة قبل الهجرة فاسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى المدينة وتحصن في اطم من اطامها

والاطم الحصن فجزعت امه لذلك جزعا شديدا وقالت لابنيها الحرث وابي جهل ابني هشام وهما اخوا
عياش من ربيعة لامه والله لا يظلني سقف ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى تاتوني به فخرجا في طلبه
وخرج معهما الحرث بن زيد بن ابي انيسة حتى اتوا المدينة فاتوا عياشا وهو في الاطم فقالا انزل فان
امك لم يؤوها سقف بعدك وقد حلفت لا تاكل ولا تشرب حتى ترجع اليها ولك الله علينا ان لا نكرهك على شيء
ولا نحول بينك وبين دينك فلما ذكرا له جزع امه واوثقا له العهد بالله نزل اليهم فاخرجوه من المدينة
واوثقوه بنسعة وجلده كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به على امه فلما اتاها قالت والله لا احلك
حتى تكفر بالذي امنت به ثم تركوه موثقا في الشمس ما شاء الله فاعطاهم الذي ارادوا فاتاه الحرث
ابن زيد فقال يا عياش هذا الذي كنت عليه لئن كان هدى لقد تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد
كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا القاك خاليا الا قتلتك ثم ان عياشا
اسلم بعد ذلك وهاجر واسلم الحرث بن زيد بعده وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عياش
حاضرا يومئذ ولم يشعر باسلامه فبينا عياش يسير بظهر قباء اذ لقي الحرث فقتله فقال
له الناس ويحك يا عياش اي شيء صنعت انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله
انه كان من امري وامر الحرث ما قد علمت واني لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزل وما كان لمؤمن ان يقتل
مؤمنا الا خطأ ومعنى الاية وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة وما كان له سبب جواز قتله وقيل
معناه ما كان له ذلك فيما اتاه من ربه وعهد اليه فهذا تحريم قتل المؤمن من كل وجه وقوله تعالى
الا خطأ استثناء منقطع معناه لكن ان وقع خطأ فتحرير رقبة وقيل معناه ما كان لمؤمن
ان يقتل مؤمنا البتة الا ان يخطئ المؤمن فكفارة خطائه ما ذكر من بعد والخطأ فعل الشيء
من غير قصد لتعمد ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة يعني فعليه اعتاق رقبة
مؤمنة كفارة ودية مسلمة الى اهله اي وعليه دية كاملة مسلمة الى اهل القتيل الذين
يرثونه الا ان يصدقوا يعني الا ان يتصدق اهل القتيل على القاتل بالدية ويعفوا عنه
فان كان يعني المقتول من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة اراد انه اذا كان رجل مسلم
في دار الحرب وهو منفرد مع قوم كفار فقتله من لم يعلم باسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة
وقيل المراد منه انه اذا كان المقتول مسلما في دار الاسلام وهو من نسب قوم كفار واهله
الذين يرثونه في دار الحرب وهم حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لاهله وكان الحرث بن زيد من
قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه الكفارة تحرير رقبة دون الدية لانه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد
وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة يعني اذا كان
المقتول كافرا معاهدا او ذميا فتجب فيه الدية والكفارة فمن لم يجد يعني الرقبة فصيام شهرين
متتابعين اي فعليه صيام شهرين متتابعين بدلا عن الرقبة توبة من الله يعني جعل الله ذلك
توبة لقاتل الخطأ وكان الله عليما يعني بمن قتل خطأ حكيما يعني فيما حكم به عليه من الدية
والكفارة فصل في احكام تتعلق بالاية وفيه مسائل المسألة الاولى في بيان
صفة القتل قال العلماء القتل على ثلاثة اقسام عمد وشبه عمد وخطأ اما العمد المحض فهو
ان يقصد قتل انسان بما يقتل به غالبا فقتله به فيجب القصاص عند وجود التكافي او
دية حالة مغلظة في مال القاتل واما شبه العمد فهو ان يقصد ضرب انسان بما لا يقتل مثله

عمدا مثل ان ضربه بعصا خفيفة او رماه بحجر صغير فمات فلا قصاص عليه ويجب عليه دية مغلظة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين واما الخطا المحض فهو ان لا يقصد قتله بل قصد شيا آخر فاصابه فمات منه فلا قصاص عليه ويجب فيه دية مخففة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين ومن صور قتل الخطا ايضا ان يقصد رمي مشرك او كافر فيصيب مسلما او يقصد قتل انسان يظنه مشركا فبان كان عليه لباس المشركين او شعارهم فالصورة الاولى خطا في الفعل والثانية خطا في القصد المسئلة الثانية في حكم الدية ودية الحر المسلم مائة من الابل فاذا اعدمت الابل وجبت قيمتها من الدراهم او الدنانير في قول وفي قول بدل مقدر وهو الف دينار او اثنا عشر الف درهم ويدل على ذلك ما روي عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال كانت الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة دينار وثمانية الاف درهم قال وكانت دية اهل الكتاب يومئذ على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى استخلف عمر فقام خطيبا فقال ان الابل قد غلت ففرضها عمر على اهل الذهب الف دينار وعلى اهل الورق اثنا عشر الف درهم وعلى اهل البقر مائتي بقرة وعلى اهل الشاء الفي شاة وعلى اهل الحلل مائتي حلة قال وترك دية اهل الكتاب فلم يرفعها فيما رفع من الدية اخرجه ابو داود فذهب قوم الى ان الواجب في الدية مائة من الابل او الف دينار او اثنا عشر الف درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصري وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم الى انها مائة من الابل او الف دينار او عشرة الاف درهم وهو قول سفيان الثوري واصحاب الرأي ودية المرأة نصف دية الذكر الحر ودية اهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم ان كان كتابيا وان كان مجوسيا فخمس الثلث ثمانمائة درهم وهو قول سعيد بن المسيب واليه ذهب الشافعي وذهب قوم الى ان دية الذمي والمعاهد مثل دية المسلم وروي ذلك عن ابن مسعود وهو قول سفيان الثوري واصحاب الرأي وقال قوم دية الذمي نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك واحمد والاصل في ذلك ما روي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر اخرجه ابو داود وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عقل اهل الذمة نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى اخرجه النسائي فمن ذهب الى ان دية اهل الذمة ثلث دية المسلم اجاب عن هذا الحديث بان الاصل في ذلك كان النصف ثم رفعت قيمة دية المسلم ولم ترفع دية الذمي فبقيت على اصلها وهو قدر الثلث من دية المسلم والدية في قتل العمد وشبه العمد مغلظة فيجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة في بطونها اولادها وهذا قول عمر وزيد بن ثابت وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعي لما روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل متعمدا دفع الى اولياء المقتول فان شاؤوا قتلوا وان شاؤوا اخذوا الدية وهي ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة وما صولحوا عليه فهو لهم وذلك لتشديد العقل اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن عقبة بن اوس عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال الا ان قتيل العمد بالسوط والعصا والحجر مائة من الابل اربعون ثنية الى بازل عامها كلهن خلفة وفي رواية اخرى الا ان كل قتيل خطأ العمد او شبه العمد قتيل السوط والعصا مائة من الابل منها اربعون في بطونها اولادها اخرجه النسائي وذهب قوم الى ان الدية المغلظة ارباع خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وهذا قول الزهري وربيعة واليه ذهب مالك واحمد واصحاب الرأي واما دية الخطا فمخففة وهي خمسة بالاتفاق الا انهم

اختلفوا

اختلفوا في تقسيمها فذهب قوم الى انها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وهذا قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار والزهري وربيعة وبه قال مالك والشافعي وابدل قوم بني اللبون ببنات المخاض يروى ذلك عن ابن مسعود وبه قال احمد واصحاب الرأي والدية في قتل الخطا وشبه العمد على العاقلة ودية الاعضاء والاطراف حكمها مبين في كتب الفقه ودية اعضاء المرأة على النصف من اعضاء دية الرجل واما المسئلة الثالثة في حكم الكفارة والكفارة اعتاق رقبة مؤمنة وتجب في مال القاتل سواء كان المقتول مسلما او معاهدا رجلا كان او امرأة حرا كان او عبدا فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فالقاتل ان كان واجدا للرقبة او قادرا على تحصيلها بوجود الثمن فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الاعتاق ولا يجوز له ان ينتقل الى الصوم فان عجز عن الرقبة او عن تحصيل ثمنها فعليه صوم شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا في خلال الشهرين او نسي النية او نوى صوما آخر وجب عليه استيناف الشهرين وان افطر يوما بعذر مرض او سفر هل ينقطع التتابع اختلف العلماء فيه فمنهم من قال ينقطع التتابع وعليه ان يستانف الشهرين وهو قول النخعي واظهر قولي الشافعي لانه افطر مختارا ومنهم من قال لا ينقطع التتابع وعليه ان يبني وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والشعبي ولو حاضت المرأة في خلال الشهرين افطرت ايام الحيض ولا ينقطع التتابع فاذا طهرت بنت لانه امر كتبه الله على النساء ولا يمكن الاحتراز عنه فان عجز عن الصوم فهل ينتقل عنه الى الاطعام فيطعم ستين مسكينا فيه قولان احدهما انه ينتقل الى الاطعام كما في كفارة الظهار والثاني لا ينتقل لان الله لم يذكر له بدلا فقال فصيام شهرين متتابعين توبة من الله فنص على الصوم وجعل ذلك عقوبة للقاتل الخطا والله اعلم

قوله عز وجل ومن يقتل مؤمنا متعمدا نزلت في مقيس بن صبابة الكناني وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركم ان علمتم قاتل هشام
فهر الى بني النجار
ابن صبابة ان تدفعوه الى اخيه مقيس فيقتص منه وان لم تعلموه ان تدفعوا اليه ديته فابلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي ديته فاعطوه مائة من الابل ثم انصرفا راجعين نحو المدينة فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال له تقبل دية اخيك فيكون عليك سبة اقتل الفهري الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيرا من الابل وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وقال في ذلك قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار ارباب فارع وادركت ثاري واضطجعت موسدا وكنت الى الاوثان اول راجع فنزلت فيه ومن يقتل مؤمنا متعمدا يعني قاصدا لقتله فجزاؤه جهنم خالدا فيها يعني بكفره وارتداده وهو الذي استثناه النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة عمن امنه من اهلها فقتل وهو متعلق باستار الكعبة وغضب الله عليه يعني لاجل كفره وقتله المؤمن متعمدا ولعنه يعني وطرده عن رحمته واعد له عذابا عظيما اختلف العلماء في حكم هذه الآية هل هي منسوخة ام لا وهل لمن قتل مؤمنا متعمدا توبة ام لا فروي عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس المن قتل مؤمنا متعمدا من توبة قال لا فتلوت عليه الآية التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون

النفس التي حرم الله الا بالحق الى آخر الآية قال هذه آية مكية نسختها آية مدنية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم
وفي رواية قال اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن فرحلت الى ابن عباس فقال نزلت في آخر ما نزل ولم ينسخها شيء
وفي رواية أخرى قال ابن عباس نزلت هذه الآية بالمدينة والذين لا يدعون مع الله إلها آخر الى قوله مهانا فقال المشركون
وما يغني عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقد قتلنا النفس التي حرم الله وأتينا الفواحش فأنزل الله الا من تاب
وعمل عملا صالحا الى آخر الآية زاد في رواية فأما من دخل في الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له أخرجاه في الصحيحين
وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه ناظر ابن عباس في هذه الآية فقال من أين لك أنها محكمة فقال ابن عباس
تكاثف الوعيد فيها وقال ابن مسعود انها محكمة وما تزداد الا شدة وعن خارجة بن زيد قال سمعت
زيد بن ثابت يقول انزلت هذه الآية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها بعد التي في الفرقان
والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق بستة أشهر أخرجه أبو داود
والنسائي وزاد النسائي في رواية له بثمانية أشهر وقال زيد بن ثابت لما نزلت الآية التي في الفرقان والذين لا
يدعون مع الله إلها آخر عجبنا من لينها فلبثنا سبعة أشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة وأراد
بالغليظة هذه الآية التي في سورة النساء وباللينة آية الفرقان وذهب الأكثرون من علماء السلف والخلف
الى أن هذه الآية واختلفوا في ناسخها فقال بعضهم نسخها التي في الفرقان وليس هذا القول بالقوي لأن
آية الفرقان نزلت قبل آية النساء والمتقدم لا ينسخ المتأخر وذهب جمهور من قال بالنسخ الى أن
ناسخها الآية التي في النساء أيضا وهي قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء وأجاب من ذهب الى أنها منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم المخرج في الصحيحين بأن
هذه الآية خبر عن وقوع العذاب بمن فعل ذلك الأمر المذكور في الآية والنسخ لا يدخل الأخبار ولئن
سلمنا أنه يدخله النسخ لكن الجمع بين الآيتين ممكن بحيث لا يبقى بينهما تعارض وذلك بأن يحمل مطلق
آية النساء على تقييد آية الفرقان فيكون المعنى فجزاؤه جهنم الا من تاب وقال بعضهم ما ورد
عن ابن عباس انما هو على سبيل التشديد والمبالغة في الزجر عن القتل فهو كما روي عن سفيان بن
عيينة أنه قال ان لم يقتل يقال له لا توبة لك وان قتل ثم ندم وجاء تائبا يقال له لك توبة وقيل
انه قد روي عن ابن عباس مثله وروي عنه أيضا ان توبته تقبل وهو قول أهل السنة ويدل عليه
الكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله
ان الله يغفر الذنوب جميعا وأما السنة فما روي عن جابر بن عبد الله قال جاء أعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئا
دخل النار أخرجه مسلم (ق) عن عبادة بن الصامت قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال
تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وفي رواية ولا
تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فأجره
على الله ومن أصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه فأمره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه فبايعناه
على ذلك **فصل** وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية بهذه الآية لصحة مذهبهم على أن الفاسق
مخلد في النار وأجاب علماء السنة بأن الآية نازلة في كافر قتل مسلما وهو مقيس بن صبابة فتكون
الآية على هذا مخصوصة به وقيل الوعيد لمن قتل مسلما مستحلا لقتله ومن استحل قتل مؤمن
كان كافرا وهو مخلد في النار بسبب كفره وعن أبي مجلز في قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم

قال هي جزاؤه فان شاء الله أن يتجاوز عن جزائه فعل أخرجه أبو داود وقيل ان الخلود لا يقتضي
التأبيد بل معناه دوام الى المدة التي هو عليها ويدل عليه قول العرب للأيام خوالد وذلك لطول مكثها
لا لدوام بقائها واذا ذكر الخلود في حق الكفار قرنه بذكر التأبيد كقوله خالدين فيها أبدا فاذا قرن الخلود
بهذه اللفظة علم أن المراد منه الدوام الذي لا ينقطع اذا ثبت هذا كان معنى الخلود المذكور في الآية أنه
تعالى يعذب قاتل المؤمن عمدا في النار المدة التي يشاء الله ثم يخرجه منها بفضل رحمته وكرمه
فانه قد ثبت في أحاديث الشفاعة الصحيحة اخراج جميع الموحدين من النار وقيل ان قاتل المؤمن
عمدا عدوانا اذا تاب قبلت توبته بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولأن الكفر أعظم
من هذا القتل واذا كانت توبة الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف فاذا كانت التوبة من الكفر مقبولة فلأن تقبل توبة القاتل أولى والله أعلم
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا الآية قال ابن عباس نزلت في رجل من
بني مرة بن عوف يقال له مرداس بن نهيك وكان من أهل فدك لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم تريدهم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثي فهربوا منه وأقام ذلك
الرجل المسلم فلما رأى الخيل خاف أن لا يكونوا من أصحاب النبي فألجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد هو الجبل
فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف أنهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل
وهو يقول لا إله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه أسامة بن زيد بسيفه فقتله
واستاق غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من
ذلك وجدا شديدا وقد كان سبقهم الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلتموه ارادة ما
معه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسامة بن زيد هذه الآية فقال أسامة يا رسول الله
استغفر لي فقال كيف أنت بلا إله الا الله يقولها ثلاث مرات قال أسامة فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكررها حتى وددت أني لم أكن أسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعتق
رقبة وروى أبو ظبيان عن أسامة قال قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح فقال
أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفا أم لا (ق) في رواية عن ابن عباس قال مر رجل من
بني سليم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم له فسلم عليهم فقالوا انما سلم عليكم
ليتعوذ منكم فقاموا اليه فقتلوه وأخذوا غنمه فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل
هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله يعني اذا سافرتم الى الجهاد فتبينوا من
البيان يقال تبينت الأمر اذا تأملته قبل الاقدام عليه وقرئ فتثبتوا من التثبت وهو خلاف
العجلة والمعنى فقفوا وتثبتوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر وتعرفوا حقيقة الأمر الذي تقدموا
عليه ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام يعني التحية يعني لا تقولوا لمن حياكم بهذه التحية انه انما
قالها تعوذا فتقدموا عليه بالسيف لتأخذوا ماله ولكن كفوا عنه واقبلوا منه ما أظهره
لكم وقرئ السلم بفتح السين من غير ألف ومعناه الاستسلام والانقياد أي استسلم وانقاد
لكم وقال لا إله الا الله محمد رسول الله وقيل السلام والسلم بمعنى واحد أي لا تقولوا لمن سلم عليكم لست
مؤمنا يعني لست من أهل الايمان فتقتلوه بذلك قال العلماء اذا رأى الغزاة في بلد أو قرية أو حي
من العرب شعار الاسلام وجب عليهم أن يكفوا عنهم وأن لا يغيروا عليهم لما روي عن عصام المزني قال

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيشا او سرية يقول لهم اذا رأيتم مسجدا او سمعتم مؤذنا فلا تقتلوا احدا
اخرجه ابو داود والترمذي وقال اكثر الفقهاء لو قال اليهودي او النصراني انا مؤمن لا يحكم بايمانه لانه يدعي
ان الذي هو عليه ايمان ولو قال لا اله الا الله محمد رسول الله فعند بعض الفقهاء لا يحكم باسلامه حتى يتبرأ من
دينه الذي كان عليه ويعترف انه دين باطل وذلك لان بعض اليهود يزعمون ان محمدا رسول الى العرب خاصة
لا انه رسول الى الكافة فاذا اعترف ان محمدا رسول الله الى كافة الخلق وان الذي كان عليه من التهود والتنصر
باطل صح اسلامه وحكم بصحته وقوله تبتغون عرض الحياة الدنيا يعني تطلبون الغنيمة التي هي
من حطام الدنيا سريع النفاد والذهاب وعرض الدنيا منافعها ومتاعها فعند الله مغانم كثيرة
اي غنائم كثيرة من رزقه يغنيكم بها عن قتل من يظهر الاسلام ويتعوذ به وقيل معناه
فعند الله ثواب كثير لمن اتقى قتل المؤمن كذلك كنتم من قبل يعني كما كان هذا الذي القى اليكم السلام
فقلتم له لست مؤمنا فقتلتموه كنتم انتم من قبل يعني من قبل ان يعز الله دينه كنتم تستخفون
انتم بدينكم كما استخفى هذا الذي قتلتموه بدينه من قومه حذرا على نفسه منهم وقيل معناه كذلك
كنتم تأمنون في قومكم بهذه الكلمة فلا تخيفوا من قالها ولا تقتلوه وقيل معناه كذلك كنتم
من قبل مشركين فمن الله عليكم يعني بالاسلام والهداية فلا تقتلوا من قال لا اله الا الله وقيل
معناه من عليكم باعلان الاسلام بعد الاخفاء وقيل من عليكم بالتوبة فتبينوا اي فلا
تعجلوا بقتل مؤمن وهو تأكيد للامر بالتبيين ان الله كان بما تعملون خبيرا اي فلا تتهاونوا في القتل
وكونوا محترزين من ذلك محتاطين فيه قوله عز وجل لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر
الاية خ عن زيد بن ثابت قال املى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستوي القاعدون من المؤمنين
والمجاهدون في سبيل الله فجاءه ابن ام مكتوم وهو يمليها علي فقال والله يا رسول الله لو استطيع الجهاد
لجاهدت وكان اعمى فانزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى
خفت ان ترض فخذي ثم سري عنه فانزل الله عز وجل غير اولي الضرر ق عن البراء بن عازب لما نزلت لا يستوي
القاعدون من المؤمنين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فجاء بكتف فكتبها وشكا ابن ام مكتوم
ضرارته فنزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر وفي رواية اخرى قال لما نزلت لا يستوي
القاعدون من المؤمنين قال النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا فلانا فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتف فقال اكتب لا يستوي
القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم فقال
يا رسول الله انا ضرير فنزلت مكانها لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في
سبيل الله هذه الرواية الثانية اخرجها ابن الاثير في كتابه جامع الاصول واضافها الى البخاري ومسلم
ولم اجدها في كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي وفي هذه الاية فضل الجهاد في سبيل الله والحث
عليه فقوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين يعني لا يعتدل المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله
من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله غير اولي الضرر يعني غير اولي الزمانة والضعف في البدن
والبصر فانهم يساوون المجاهدين لان العذر اقعدهم عن الجهاد م عن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة رجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم
حبسهم العذر المرض خ عن انس قال رجعنا من غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان
اقواما خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا الا وهم معنا حبسهم العذر خ عن ابن عباس قال

لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون اليها وقوله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم
وانفسهم على القاعدين درجة يعني فضيلة في الاخرة قال ابن عباس اراد بالقاعدين هنا اولي الضرر
فضل الله المجاهدين على اولي الضرر درجة لان المجاهد باشر الجهاد بنفسه وماله مع النية واولوا
الضرر كانت لهم نية ولم يباشروا الجهاد فنزلوا عن المجاهدين درجة وكلا يعني المجاهدين والقاعدين
وعد الله الحسنى يعني الجنة بايمانهم وفضل الله المجاهدين يعني في سبيل الله على القاعدين يعني
الذين لا عذر لهم ولا ضرر اجرا عظيما يعني ثوابا جزيلا ثم فسر ذلك الاجر العظيم فقال تعالى درجات
منه قال قتادة كان يقال للاسلام درجة والهجرة في الاسلام درجة والجهاد في الهجرة درجة
والقتل في الجهاد درجة وقال ابن زيد الدرجات هي سبع وهي التي ذكرها الله تعالى في سورة براءة حين
قال ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة الى قوله ولا يقطعون واديا الا كتب لهم وقال ابن محيريز
الدرجات سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس الجواد المضمر سبعون سنة م عن ابي سعيد
الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وجبت له
الجنة فعجب لها ابو سعيد فقال اعدها علي يا رسول الله فاعادها عليه ثم قال واخرى يرفع الله بها العبد مائة
درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله الجهاد
في سبيل الله خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن بالله ورسوله واقام الصلاة واتى الزكاة وصام
رمضان وحج كان حقا على الله ان يدخله الجنة جاهد في سبيل الله او جلس في ارضه التي ولد فيها فقالوا
افلا نبشر الناس بذلك فقال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين
كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الاعلى فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه
عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة فان قلت قد ذكر الله عز وجل في الاية الاولى درجة واحدة وذكر
في هذه الاية درجات فما وجه الحكمة في ذلك قلت اما الدرجة الاولى فتفضيل المجاهدين
على القاعدين من غير ضرر ولا عذر فضلوا عليهم بدرجات كثيرة وقيل يحتمل ان تكون الدرجة
الاولى درجة المدح والتعظيم والدرجات درجات الجنة ومنازلها كما في الحديث والله اعلم
قوله تعالى ومغفرة يعني لذنوبهم يسترها ويصفح عنها ورحمة يعني رأفة بهم وكان
الله غفورا يعني لذنوب عباده المؤمنين رحيما يعني بهم يتفضل عليهم بمغفرته ورحمته عن
ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل قال ايما عبد من عبادي خرج مجاهدا
في سبيل الله ابتغاء مرضاتي ضمنت له ان ارجعته ارجعته بما اصاب من اجر او غنيمة
وان قبضته غفرت له ورحمته اخرجه النسائي فصل اعلم ان الجهاد ينقسم الى فرض
عين وفرض كفاية ففرض العين ان يدخل العدو دار قوم من المؤمنين وبلادهم فيجب على كل
مكلف من الرجال ممن لا عذر له ولا ضرر به من اهل تلك البلدة الخروج الى عدوهم دفعا
عن انفسهم وعن اهليهم وجيرانهم وسواء في ذلك الحر والعبد والغني والفقير فيجب على الكافة
وهو في حق من بعد عنهم من المسلمين فرض كفاية فان لم يقع الكفاية بمن نزل بهم العدو وجب
مساعدتهم على من قرب منهم من المسلمين او بعد عنهم وان وقعت الكفاية بالنازل بهم
فلا فرض على الابعدين الا على طريق الاختيار ولا يدخل في هذا القسم اعني فرض الكفاية الفقراء

والعبيد واذا كان الكفار قارين في بلادهم فعلى الامام ان لا يخلي كل سنة من غزاة لغزوهم فيها اما بنفسه او
بسراياه حتى لا يبطل الجهاد والاختيار لمطيق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره ان لا يقعد عنه ولكن لا يفترض
عليه لان الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب بقوله وكلا وعد الله الحسنى ولو كان
فرضا على الكفاية لاستحق القاعدون عن الجهاد العقاب لا الثواب والله اعلم قوله تعالى ان الذين
توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم الآية نزلت في اناس تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه
ابن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع
الكفار فانزل الله هذه الآية ان الذين توفاهم الملائكة يعني ملك الموت واعوانه وهم ستة ثلاثة منهم
يلون قبض ارواح المؤمنين وثلاثة يلون قبض ارواح الكفار وقيل اراد به ملك الموت وحده
وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كما يخاطب الواحد بلفظ الجمع وفي التوفي هنا قولان احدهما
انه قبض ارواحهم والثاني حشرهم الى النار فعلى القول الثاني يكون المراد بالملائكة الزبانية الذين
يلون تعذيب الكفار ظالمي انفسهم يعني بالشرك وقيل بالمقام في دار الشرك وذلك لان الله لم يقبل
الاسلام من احد بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يهاجر اليه ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله صلى الله عليه وسلم
لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه في الصحيحين وقيل ظالمي انفسهم بخروجهم مع المشركين
يوم بدر وتكثير سوادهم حتى قتلوا معهم فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم قالوا فيم كنتم سؤال
توبيخ وتقريع يعني قالت الملائكة لهؤلاء الذين قتلوا اي الفريقين كنتم في فريق المسلمين او في فريق المشركين فاعتذروا
بالضعف عن مقاومة المشركين وهو قوله تعالى اخبارا عنهم قالوا كنا مستضعفين يعني عاجزين
في الارض يعني في ارض مكة قالوا يعني قال لهم الملائكة الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها يعني الى
المدينة وتخرجوا من بين اظهر المشركين فاكذبهم الله في قولهم كنا مستضعفين واعلمنا بكذبهم فاولئك
يعني من هذه صفته مأواهم يعني منزلهم جهنم وساءت مصيرا يعني بئس المصير مصيرهم
الى جهنم ثم استثنى اهل العذر ومن علم ضعفه منهم فقال تعالى الا المستضعفين من الرجال
والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة يعني لا يقدرون على حيلة ولا نفقة ولا قوة لهم على الخروج من مكة
ولا يهتدون سبيلا يعني ولا يعرفون طريقا يسلكونه من مكة الى المدينة فاولئك يعني المستضعفين
واهل الاعذار عسى الله ان يعفو عنهم يعني يتجاوز عنهم بفضله واحسانه وعسى من الله
واجب لانه اطماع وترجية والله تعالى اذا اطمع عبدا وصله اليه وكان الله عفوا غفورا قال ابن عباس
كنت انا وامي ممن عذر الله يعني من المستضعفين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء المستضعفين
في الصلاة ق عن ابي هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من الركعة الثانية قال
اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد
وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف قوله عز وجل ومن يهاجر في سبيل الله
يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة قال الزجاج يعني مراغما مهاجرا يعني يجد في الارض مهاجرا لان
المهاجر لقومه والمراغم لهم بمنزلة واحدة وان اختلف اللفظان وهو ماخوذ من الرغام وهو
التراب يقال رغم انفه اذا لصق بالتراب وذلك لان الانف عضو شريف والتراب ذليل حقير
فجعلوا قولهم رغم انفه كناية عن حصول الذل ويقال راغمت فلانا اذا هجرته وعاديته ولم ابال ان رغم انفه

وذلك قول بعض اهل اللغة هو الخروج عن بلاد العدو وبرغم انفه وقيل معناه ان الرجل اذا هاجر
عن قومه خرج مراغما لهم اي مغاضبا لهم ومقاطعا وقال الفراء المراغم المضطرب والمذهب في الارض وانشد
الزجاج في المعنى الى بلد غير داني المحل بعيد المراغم والمضطرب فعلى هذا يكون معنى الآية يجد مذهبا اليه اذا
رأى ما يكرهه هذا قول اهل اللغة في معنى المراغم وقال ابن عباس يجد متحولا يتحول اليه من الارض الى
الارض وقال مجاهد يجد متزحزحا عما يكره وقيل يجد منقلبا ينقلب اليه وقيل المراغمة والمهاجرة واحد
يقال راغمت قومي اي هاجرتهم وسميت المهاجرة مراغمة لانه يهاجر قومه برغمهم وقوله وسعة يعني
في الرزق وقيل يجد سعة من الضلالة الى الهدى وقيل يجد سعة في الارض التي يهاجر اليها
قال ابن عباس لما نزلت الآية التي قبل هذه سمعها رجل من بني ليث شيخ كبير مريض يقال له جندع
ابن ضمرة فقال والله ما انا ممن استثنى الله عز وجل واني لاجد حيلة ولي من المال ما يبلغني الى المدينة
وابعد منها والله لا ابيت الليلة بمكة اخرجوني فخرجوا به يحملونه على سرير حتى اتوا به التنعيم فادركه
الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك رسولك ثم مات
فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى المدينة لكان اتم واوفى اجرا وضحك المشركون وقالوا ما
ادرك ما طلب فانزل الله عز وجل ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت يعني
قبل بلوغه الى مهاجره فقد وقع اجره على الله يعني فقد وجب اجر هجرته على الله بايجابه على
نفسه بحكم الوعد والتفضل والكرم لا وجوب استحقاق وحتم قال بعض العلماء ويدخل في حكم الآية
من قصد فعل طاعة من الطاعات ثم عجز عن اتمامها كتب الله له ثواب تلك الطاعة كاملا وقال بعضهم
انما يكتب له اجر ذلك القدر الذي عمله واتى به اما تمام الاجر فلا والقول الاول اصح لان الآية انما
نزلت في معرض الترغيب في الهجرة وان من قصدها ولم يبلغها بل مات دونها فقد حصل له ثواب الهجرة
كاملا فكذلك كل من قصد فعل طاعة ولم يقدر على اتمامها كتب له ثوابها كاملا وكان الله غفورا
رحيما يعني ويغفر الله له ما كان منه من القعود قبل الهجرة الى ان خرج مهاجرا قوله عز وجل
واذا ضربتم في الارض يعني واذا سافرتم فيها فليس عليكم جناح اي حرج واثم ان تقصروا من الصلاة
يعني من اربع ركعات الى ركعتين وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء واصل القصر في اللغة التضييق
وقيل هو ضم الشيء الى اصله وفسر ابن الجوزي القصر بالنقص والمراد لا احد من اهل التفسير واللغة
وقيل معنى قصر الصلاة المذكور في الآية قولان احدهما انه في عدد الركعات وهو رد الصلاة الرباعية
الى ركعتين والقول الثاني ان المراد من القصر ادخال التخفيف في ادائها وهو ان يكتفي بالايماء والاشارة
عن الركوع والسجود والقول الاول اصح ويدل عليه لفظة من في قوله ان تقصروا من الصلاة ولفظة
من هنا للتبعيض وذلك يوجب جواز الاقتصار على بعض الصلاة فثبت بهذا ان تفسير القصر باسقاط
بعض الركعات من الصلاة اولى وقوله ان خفتم ان يفتنكم يعني يغتالكم ويقتلكم في الصلاة الذين كفروا وذهب
داود الظاهري الى ان جواز القصر مخصوص بحال الخوف واستدل على صحة مذهبه بقوله تعالى ان
خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ولان عدم الشرط يقتضي عدم المشروط فعلى هذا لا يجوز القصر عند
الامن ولا يجوز رفع هذا الشرط بخبر الاحاد لانه يقتضي نسخ القرآن بخبر الواحد وذهب جمهور اهل
العلم الى ان القصر في حال الامن في السفر جائز ويدل عليه ما روي عن يعلى بن امية قال قلت لعمر بن الخطاب
ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فقد امن الناس فقال عجبت مما

عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته
اخرجه مسلم وعن عبد الله بن خالد بن اسيد انه قال لابن عمر كيف تقصر الصلاة ان خفتم ان يفتنكم
الذين كفروا فقال ابن عمر يا ابن اخي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا ونحن ضلال فعلمنا فكان فيما
علمنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا ان نصلي ركعتين في السفر اخرجه النسائي وعن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة الى مكة لا يخاف الا رب العالمين فصلى ركعتين اخرجه الترمذي
والنسائي واجاب الجمهور عن قوله تعالى ان خفتم ان كلمة ان عند حصول الشرط ولا يلزم
ان عند عدم الشرط يلزم عدم المشروط فقوله تعالى ان خفتم يقتضي ان عند عدم الخوف لا تحصل
رخصة القصر واذا كان كذلك كانت الآية ساكتة عن حال الامن فاثبات الرخصة حال الامن بخبر الواحد
يكون اثباتا لحكم سكت عنه القرآن وذلك غير ممتنع انما الممتنع اثبات الحكم بخبر الواحد على خلاف
ما دل عليه فان قلت اذا كان الحكم ثابتا في حال الامن والخوف فما فائدة تقييده بحال الخوف قلت انما
نزلت الآية على غالب اسفار النبي صلى الله عليه وسلم واكثرها لم تخل عن خوف العدو فذكر الله عز وجل
هذا الشرط من حيث انه هو الاغلب في الوقوع وقوله تعالى ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا اي
ظاهروا العداوة فالمعنى انما رخصت لكم في قصر الصلاة لئلا يحملوا الى قتالكم واعنتاكم سبيلا وانما قال
عدوا ولم يقل اعداء لانه يستوي فيه الواحد والجمع فصل في احكام تتعلق بالآية وفيه مسائل المسألة الاولى في حكم
القصر قصر الصلاة في حالة السفر جائز باجماع الامة وانما اختلفوا في جواز الاتمام في حال السفر فذهب اكثر العلماء
الى ان القصر واجب في السفر وهو قول عمر وعلي وابن عمر وجابر وابن عباس وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز
وقتادة وهو قول مالك وابي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن عائشة قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين
ثم اتمها في الحضر واقرت صلاة السفر على الفريضة الاولى وفي رواية اخرى قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين
ركعتين في الحضر والسفر فاقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر اخرجاه في الصحيحين وذهب قوم الى
جواز الاتمام في السفر ولكن القصر افضل يروى ذلك عن عثمان وسعد بن ابي وقاص واليه ذهب الشافعي
وهو رواية عن مالك ايضا ويدل على ذلك ما روى البغوي بسنده الشافعي عن عائشة قالت كل ذلك قد
فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر واتم وعن عائشة انها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة
الى مكة حتى اذا قدمت مكة قالت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وافطرت وصمت قال احسنت يا
عائشة وما عاب علي اخرجه النسائي وظاهر القرآن يدل على ذلك لان الله تعالى قال فليس عليكم جناح
ان تقصروا من الصلاة ولفظ الجناح انما يستعمل في الرخصة لا فيما يكون حتما واجيب عن حديث عائشة
فرض الله الصلاة ركعتين بان معناه فرضت ركعتين او لمن زيد في صلاة الحضر ركعتان على سبيل التحتم
واقرت صلاة السفر على جواز الاقتصار عليها وثبت جواز الاتمام بدليل آخر فوجب المصير اليه لما فيه من
الجمع بين الاحاديث ودلائل الشرع المسألة الثانية اختلف في صلاة المسافر اذا صلى ركعتين ركعتين
هل هي مقصورة ام غير مقصورة فذهب قوم الى انها غير مقصورة وانما فرض صلاة المسافر ركعتان تمام
غير قصر يروى ذلك عن ابن عمر وجابر بن عبد الله واليه ذهب سعيد بن جبير والسدي وابو حنيفة فعلى هذا يكون
معنى القصر المذكور في الآية هو تخفيفها في ركوعها وسجودها وقد تقدم الجواب عنه وذهب قوم الى انها
مقصورة وليست باصل وهو قول مجاهد وطاوس واليه ذهب الشافعي واحمد المسألة الثالثة مذهب
الشافعي ومالك واحمد والجمهور انه يجوز القصر في كل سفر مباح وشرط بعضهم كونه سفر حج او عمرة او جهاد

هزام
الوقوع

او سفر طاعة ولا يجوز القصر في سفر المعصية وقال ابو حنيفة والثوري يجوز ذلك المسألة الرابعة اختلف العلماء في مسافة
القصر فقال داود واهل الظاهر يجوز القصر في قصير السفر وطويله ويروى ذلك عن انس ايضا وقال عمرو بن دينار قال لي
جابر بن زيد اقصر بعرفة واما عامة اهل العلم فانهم لا يجوزون القصر في السفر القصير واختلفوا في حد الطويل
الذي يجوز فيه القصر فقال الاوزاعي مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران في مسيرة اربعة برد
وهي ستة عشر فرسخا واليه ذهب مالك واحمد واسحاق وقول الحسن والزهري قريب من ذلك فانهما قالا مسيرة
يومين واليه ذهب الشافعي فقال مسيرة ليلتين قاصدتين ستة عشر فرسخا كل فرسخ ثلاثة اميال فتكون
ثمانية واربعين ميلا بالهاشمي والميل ستة الاف ذراع والذراع اربعة وعشرون اصبعا معترضة معتدلة
والاصبع ست شعيرات معترضات معتدلات وقال الثوري وابو حنيفة واهل الكوفة لا يقصر في اقل من
ثلاثة ايام فصل وقيل في قوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا كلام متصل بما بعده منفصل
عما قبله تقديره وان خفتم روي عن ابي ايوب الانصاري انه قال نزل قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا
من الصلاة هذا القدر ثم بعد حول سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فنزل ان خفتم ان يفتنكم
الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم الآية ومثل هذا في القرآن كثير يجيء الخبر بتمامه
ثم ينسق عليه خبر آخر وهو في الظاهر كالمتصل به وهو المنفصل عنه قوله عز وجل واذا كنت فيهم
فاقمت لهم الصلاة الآية روي عن ابن عباس وجابر ان المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
قاموا الى الظهر يصلون جميعا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها
صلاة هي احب اليهم من آبائهم وامهاتهم يعني صلاة العصر فاذا قاموا اليها فشدوا عليهم فاقتلوهم
فنزل جبريل فقال يا محمد انها صلاة الخوف وان الله عز وجل يقول واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة
فعلمه صلاة الخوف وان الله عز وجل يقول واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة صلاة وروي عن ابي عياش
الزرقي في سبب نزول هذه الآية قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين خالد
ابن الوليد فصلينا الظهر فقال المشركون لقد اصبنا غرة وفي رواية غفلة لو حملنا عليهم وهم في
الصلاة فنزلت الآية بين الظهر والعصر قوله تعالى واذا كنت فيهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني
واذا كنت يا محمد في اصحابك وشهدت معهم القتال فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك
يعني اذا حضرت وقت الصلاة واقمتها لاصحابك فاجعلهم فرقتين فلتقف فرقة منهم معك فتصلي بهم
وليأخذوا اسلحتهم اختلفوا في هؤلاء الذين امرهم الله باخذ السلاح فقيل اراد بهم الذين قاموا
معه الى الصلاة فانهم يأخذون اسلحتهم في الصلاة فعلى هذا القول انما يأخذون من السلاح
ما لا يشغلهم عن الصلاة ولا يؤذي به من الى جنبه كالسيف والخنجر وذلك لانه اقرب الى الاحتياط
وامنع للعدو من الاقدام عليهم فان كان السلاح يشغل بحركته وثقله عن الصلاة كالترس الكبير
او يؤذي من الى جنبه كالرمح فلا يأخذه وقيل اراد بهم الطائفة الذين بقوا في وجه العدو فانهم
يأخذون اسلحتهم للحراسة وقيل يحتمل ان يكون امرا للفريقين بحمل السلاح لان ذلك اقرب الى الاحتياط
فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم يعني صلوا الذين معك وفرغوا من الصلاة فليكونوا من ورائكم يعني
فلينصرفوا الى مكان الذين هم في وجه العدو للحراسة ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا يعني ولتأت
الطائفة التي كانت في وجه العدو فليصلوا معك يعني فليصلوا معك الركعة الثانية التي بقيت عليك وليتموا

بقية صلاتهم ولياخذوا حذرهم واسلحتهم يعني انه تعالى جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي في دفع العدو فلذلك جعله ماخوذا مع السلاح فان قلت لم ذكر في اول الاية الاسلحة فقط وذكر هنا الحذر والاسلحة قلت لان العدو قلما يتنبه للمسلمين في اول الصلاة بل يظنون كونهم قايمين في المحاربة والمقاتلة فاذا قاموا الى الركعة الثانية ظهر للكفار ان المسلمين في الصلاة فحينئذ ينتهزون الفرصة في الاقدام على المسلمين فلا جرم ان الله تعالى امرهم في هذا الموضع بزيادة الحذر من الكفار مع اخذ الاسلحة ود الذين كفروا يعني تمنى الكفار لو تغفلون يعني لو وجدتم غافلين عن اسلحتكم وامتعتكم يعني حوايجكم التي لكم بها بلاغ في اسفاركم فتسهون عنها فيميلون عليكم ميلة واحدة يعني فيقصدونكم ويحملون عليكم حملة واحدة وانتم مشغولون بصلاتكم عن اسلحتكم وامتعتكم فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم فصل في احكام تتعلق بالاية وصفة صلاة الخوف وفيه مسايل المسالة الاولى قال ابو يوسف والحسن بن زياد من اصحاب ابي حنيفة لا تجوز صلاة الخوف بعد النبي صلى الله عليه وسلم واحتجوا لصحة هذا القول بان الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم لها فقال تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة وهذا يدل على ان اقامة الصلاة مشروط بكون النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فدل على تخصيصه بها ولانه كان اذا انتفى الشرط وذهب جمهور الفقهاء الى ان هذا الحكم لما ثبت في حق النبي صلى الله عليه وسلم عم هذه الاية وجب ان يثبت في حق غيره من امته لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم صلوا كما رايتموني اصلي ولان ذلك اجماع الصحابة على فعلها وقد روي عن علي بن ابي طالب انه صلى صلاة الخوف باصحابه ليلة الهرير وكذلك ابو موسى صلى باصحابه صلاة الخوف وكذلك حذيفة بن اليمان صلاها باصحابه بطبرستان وليس هولاء مخالف في الصحابة واجيب عن قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة بان هذا وان كان قد خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فان ساير امته داخلون في هذا الحكم فهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الا ان يرد نص بتخصيصه صلى الله عليه وسلم بحكم دون امته كقوله تعالى خالصة لك ونظير قوله واذا كنت فيهم خذ من اموالهم صدقة فاذا كان هو المخاطب بها وقد ثبت حكم اخذ الزكاة لمن بعده من الايمة كان كذلك قوله واذا كنت فيهم واجيب عن لفظة اذا بان مقتضاه الثبوت عند الثبوت واما العدم عند العدم فغير مسلم المسالة الثانية قال الخطابي صلاة الخوف انواع صلاها النبي صلى الله عليه وسلم في ايام مختلفة واشكال متباينة يتحرى في ذلك كله ما هو الاحوط للصلاة والابلغ في الحراسة فهي مع اختلاف صورها متفقة المعنى ثم من انواع صلاة الخوف ما اذا كان العدو في غير جهة القبلة فرق الامام اصحابه فرقتين فتقف طايفة وجاه العدو فتحرس ويصلي بالطايفة الاخرى ركعة فاذا قام الى الثانية اتموا لانفسهم وذهبوا الى وجاه العدو فتحرس وتاتي الطايفة الثانية التي كانت تحرس فيصلي بهم الركعة الثانية ويثبت جالسا في التشهد حتى يتموا لانفسهم الصلاة ثم يسلم بهم ويدل على ذلك ما روي عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف ان طايفة صفت معه وطايفة وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قايما واتموا لانفسهم ثم انصرفوا وجاه العدو وجاءت الطايفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا فاتموا لانفسهم ثم سلم بهم اخرجاه في الصحيحين الذي صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم هو سهل بن ابي حثمة وقد اخرجا من رواية اخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى باصحابه وذكر نحوه وهذا هو مختار الشافعي لانه اشد موافقة لظاهر القران واحوط للصلاة وابلغ في حراسة العدو واما كونه اشد موافقة لظاهر القران فان قوله ولتات طايفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وهذا يدل على ان

ظاهره

الطايفة الاولى قد صلت وقوله فليصلوا معك ظاهره يدل على ان جميع صلاة الطايفة الثانية حصلت مع الامام وكونها احوط لامر الصلاة من حيث انه لا يكثر فيها العمل من المجي والذهاب وكونها احوط لامر الحرب والحراسة من حيث انه لا يكثر فيها العمل من المجي اذا لم يكونوا في الصلاة كان امكن للحراسة وللكر والفر والهرب ان احتاجوا اليه وذهب قوم الى ان الطايفة تصلي مع الامام ركعة ثم تذهب الى وجه العدو فتحرس وهم على صلاتهم ثم تاتي الطايفة الثانية فتصلي مع الامام الركعة الثانية ويسلم الامام ولا يسلمون وهم يذهبون الى وجه العدو وترجع الطايفة الاولى الى موضع الامام فتقضي بقية صلاتها مروي عن ابن مسعود وهو مذهب ابي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف قال فكبر فصلى خلفه طايفة منا وطايفة مواجهة العدو فركع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا ولم يسلموا واقبلوا على العدو فصفوا مكانهم وجاءت الطايفة الاخرى فصفوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعة وسجدتين ثم سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم ركعتين واربع سجدات ثم قامت الطايفتان فصلى كل انسان منهم لنفسه ركعة وسجدتين اخرجه النسائي قال ابو بكر السني سمع الزهري من ابن عمر ولم يسمع هذا منه والذي اخرجاه في الصحيحين عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف باحدى الطايفتين ركعة والطايفة الاخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا وقاموا في مقام اصحابهم مقبلين على العدو وجاء اولئك فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم قضى هولاء ركعة وهولاء ركعة وفي رواية اخرى قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف في بعض ايامه فقامت طايفة معه وطايفة بازاء العدو فصلى بالذين معه ركعة وجاء الاخرون فصلى بهم ركعة وقضت الطايفتان ركعة ركعة ولهذه الرواية المخرجة في الصحيحين اخذ الاوزاعي والشهاب المالكي وهو جايز عند الشافعي ايضا ثم قيل ان الطايفتين قضوا ركعتهم الباقية معا وقيل متفرقين وهو الصحيح والفرق بين الروايتين ان الطايفة الاولى ادركت اول الصلاة وهي في حكم من خلف الامام واما الطايفة الثانية فلم تدرك اول الصلاة والمسبوق فيما يقضي كالمنفرد في حكم صلاته المسالة الثالثة فيما اذا كان العدو في ناحية القبلة وصورة هذه الصلاة ما روي عن جابر بن عبد الله قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فصففنا صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه وقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود وقام الصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتاخر الصف المقدم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا ثم رفع راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخرا في الركعة الاولى فقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا قال جابر كما يصنع حرسكم هولاء بامرائهم اخرجه مسلم بتمامه واخرج البخاري طرفا منه انه صلى صلاة الخوف مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة السابعة غزوة ذات الرقاع وبهذا الحديث اخذ الشافعي ومن وافقه فيما اذا كان العدو في جهة القبلة المسالة الرابعة اذا اشتد الحرب والتحم القتال صلوا رجالا وركبانا يومون الرابعة بالركوع والسجود الى اي جهة كانت هذا مذهب الشافعي ومذهب ابي حنيفة انهم لا يصلون في هذه

الحالة فاذا امنتم فاقضوا ما فاتكم من الصلاة ولصلاة الخوف صور اخرى مذكورة في كتب الفقه وليس هذا موضعها
والله اعلم وقوله تعالى ولا جناح عليكم اي ولا اثم ولا حرج ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم
قال ابن عباس رخص الله لهم في وضع السلاح في حال المطر وحال المرض لان السلاح يثقل حمله في هاتين
الحالتين وخذوا حذركم يعني راقبوا عدوكم ولا تغفلوا عنه امرهم الله بالتحفظ والتحرز والاحتياط لئلا
يجترئ العدو عليهم قال ابن عباس نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه غزا بني محارب وبني انمار
فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس السلاح فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة حتى
قطع الوادي والسماء ترش بالمطر فسال الوادي فحال السيل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اصحابه
فجلس تحت شجرة فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتله ثم انحدر من الجبل
ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على راسه وقد سل السيف من
غمده وقال يا محمد من يمنعك مني الآن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ثم قال اللهم اكفني غورث بن
الحرث بما شئت فاهوى غورث بما شئت فاهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاكب لوجهه من زلخة زلخها فندر السيف من يده فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ السيف
ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن فقال لا احد فقال اتشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله قال
لا ولكني اشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال
غورث لانت خير مني قال النبي صلى الله عليه وسلم اجل انا احق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقالوا
ويلك يا غورث ما منعك فقال والله لقد اهويت اليه بالسيف لاضربه به فوالله ما ادري من زلخني بين كتفي
فخررت لوجهي وذكر لهم حاله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الوادي الى اصحابه واخبرهم الخبر وقرا هذه الآية ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى قال ابن عباس كان عبد الرحمن
ابن عوف جريحا ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم يعني من عدوكم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا
يعني يهانون فيه قوله عز وجل فاذا قضيتم الصلاة يعني فاذا فرغتم من صلاة الخوف فاذكروا الله يعني
بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير واثنوا على الله في جميع احوالكم قياما وقعودا وعلى جنوبكم فانما
انتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على ذكر الله عز وجل والتضرع اليه ق عن عائشة قالت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه وقيل المراد بالذكر الصلاة يعني فصلوا لله قياما يعني
في حال الصحة وقعودا في حال المرض وعلى جنوبكم يعني في حال الزمانة والجراح فاذا اطمانتم يعني فاقمتم
اربعا فعلى هذا يكون المراد بالطمانينة ترك السفر والمعنى فاذا صرتم مقيمين في اوطانكم فاقيموا الصلاة
تامة اربعا من غير قصر وقيل معناه فاتموا الصلاة باتمام ركوعها وسجودها فعلى هذا يكون المراد
بالطمانينة سكون القلب عن الاضطراب والامن بعد الخوف ان الصلاة كانت على المؤمنين
كتابا موقوتا يعني فرضا موقتا والكتاب هنا بمعنى المكتوب يعني مكتوبة موقتة في اوقات محدودة
فلا يجوز اخراجها عنها وقيل على اي حال كان من خوف او امن وقيل معناه فرضا واجبا
مقدرا في الحضر اربع ركعات وفي السفر ركعتين قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم سبب نزول
هذه الآية ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا يوم احد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم فشكوا
من الجراحات فقال الله تعالى ولا تهنوا يعني ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم يعني في طلب

ابي

ابي سفيان واصحابه ثم اورد عليهم الحجة في ذلك والزمهم الحجة لها فقال تعالى ان تكونوا تالمون فانهم يالمون
كما تالمون يعني ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم فلما لم يكن الم الجراح مختصا بكم بل
وكذلك فاذا لم يكن الالم مانعا لهم عن قتالكم فكيف يكون مانعا لكم عن قتالهم وكيف لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم
اولى بالصبر منهم لانكم مقرون بالنشر والحشر والثواب والعقاب والمشركون لا يقرون بذلك كله فانتم ايها المؤمنون اولى بالجهاد منهم
وهو قوله تعالى وترجون من الله ما لا يرجون يعني وتاملون من الله الثواب في الآخرة ما لا يرجون وقيل ترجون النصر والظفر
في الدنيا واظهار دينكم على الاديان كلها وكان الله عليما حكيما يعني انه تعالى لا يامركم بشيء الا وهو يعلم انه مصلحة لكم قوله عز وجل
انا انزلنا اليك الكتاب بالحق قال ابن عباس نزلت هذه الآية في رجل من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق
من بني ظفر بن الحارث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل
الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى الدار ثم خباها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين
فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما اخذها وما له بها من علم فقال اصحاب الدرع لقد راينا اثر
الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا اثر الدقيق الى منزل اليهودي فاخذوه منه فقال اليهودي
دفعها الي طعمة بن ابيرق زاد في الكشاف وشهد له جماعة من اليهود قال البغوي وجاء بنو ظفر
قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالوه ان يجادل عن صاحبهم طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يعاقب اليهودي وان يقطع يده فانزل الله هذه الآية وقيل ان زيدا السمين اودع درعا عند طعمة فجحده
طعمة فانزل الله هذه الآية انا انزلنا اليك يعني يا محمد الكتاب يعني القرآن بالحق يعني بالصدق وبالامر
والنهي والفصل لتحكم بين الناس بما اراك الله يعني بما علمك الله واوحى اليك وانما سمي العلم اليقيني رؤية
لانه جرى مجرى الرؤية في قوة الظهور روي عن عمر انه قال لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل
ذلك الا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجتهد رايه لان الراي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا
لان الله تعالى كان يريه اياه وان راي احدنا يكون ظنا ولا يكون علما قال المحققون دلت هذه الآية
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يحكم الا بالوحي الالهي والنص المنزل عليه ولا تكن يعني يا محمد للخائنين
خصيما يعني ولا تكن لاجل الخائنين وهم قوم طعمة تخاصم عنهم وتجادل عن طعمة مدافعا عنه ومعينا له
واستغفر الله يعني مما هممت به من معاقبة اليهودي وقيل من جدالك عن طعمة ان الله كان
غفورا يعني لذنوب عباده يسترها عليهم ويغفرها لهم رحيما يعني بعباده المؤمنين فصل
وقد تمسك بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنب من الانبياء وقالوا لو لم يقع من الرسول صلى
الله عليه وسلم ذنب لما امر بالاستغفار والجواب عما تمسكوا من وجوه احدها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يفعل المنهي عنه في قوله ولا تكن للخائنين خصيما ولم يخاصم عن طعمة لما ساله قوم طعمة ان يذب عنه وان يلحق
السرقة باليهودي فتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وانتظر ما ياتيه من الوحي السماوي والامر
الالهي فنزلت هذه الآية واعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان طعمة كذاب وان اليهودي بريء من السرقة
وانما مال صلى الله عليه وسلم الى نصح طعمة وهم بذلك بسبب انه في الظاهر من المسلمين فامره الله بالاستغفار لهذا
العذر الوجه الثاني ان قوم طعمة لما شهدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة طعمة من السرقة
ولم يظهر في الحال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدح في شهادتهم هم بان يقضي على اليهودي
بالسرقة فلما اطلعه الله على كذب قوم طعمة عرف انه لو وقع ذلك الامر لكان خطا في نفسه فامره بالاستغفار
منه وان كان معذورا الوجه الثالث يحتمل ان الله امره بالاستغفار لقوم طعمة لذبهم عن طعمة فانه استغفار صلى الله عليه وسلم

عنه ان يكون لذنب قد سبق قبل النبوة وان يكون لذنوب امته الوجه الرابع ان درجة النبي صلى الله عليه وسلم اعلى الدرجات
ومنصبه اشرف المناصب فلعلو درجته وشرف منصبه وكمال معرفته بالله عز وجل فما يقع منه على وجه التأويل او السهو او من المناصب م
امور الدنيا فانه ذنب بالنسبة الى منازلهم ودرجاتهم والله اعلم قوله تعالى ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يعني
ولا تجادل يا محمد عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة وهم طعمة ومن عاونه وذب عنه من قومه وانما سماهم خائنين لان
من اقدم على ذنب فقد خان نفسه لانه اوقعها في العذاب وحرمها من الثواب ولهذا قيل لمن ظلم غيره انه ظلم نفسه
وقيل المراد بهذا الجمع كل من خان خيانة فلا تخاصم لخائن ولا تجادل عنه ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما
يعني خوانا بسرقته الدرع اثيما برميه اليهودي وهو بريء وانما قال تعالى خوانا اثيما على المبالغة لان الله تعالى علم
من طعمة الافراط في الخيانة وركوب المآثم ويدل على ذلك انه لما نزل فيه القرآن لحق بمكة مرتدا عن دينه ثم عدا ط
على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته فسقط عليه حجر من الحائط فلما اصبحوا اخرجوه من مكة فلحق بركب
فعرض لهم وقال ابن سبيل ومنقطع به فحملوه حتى اذا جن عليه الليل عدا عليهم فسرقهم ثم انطلق
فركبوا في طلبه فادركوه فرموه بالحجارة حتى مات ومن كانت هذه حالته كان كثير الخيانة والاثم فلذلك وصفه
الله تعالى بالمبالغة في الخيانة والاثم قال بعضهم اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وروي
عن عمر انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول اول سرقة سرقها فاعف عنه يا امير المؤمنين فقال هذه
كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في اول مرة قوله عز وجل يستخفون من الناس يعني يستترون حياء من الناس
يريدون بذلك بني ظفر بن الحارث وهم قوم طعمة بن ابيرق ولا يستخفون من الله يعني ولا يستترون من الله ولا
يستحيون منه واصل الاستخفاء الاستتار وانما فسر الاستخفاء بالاستحياء على المعنى لان الاستحياء من الناس
يوجب الاستتار منهم وهو معهم يعني والله معهم بالعلم والقدرة لا يخفى عليه شيء من حالهم لانه تعالى لا يخفى
عليه خافية وكفى بذلك زاجرا للانسان عن ارتكاب الذنوب اذ يبيتون ما لا يرضى من القول يعني يضمرون
ويقدرون ويزورون في اذهانهم واصل التبييت تدبير الفعل بالليل وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم
نرفع الامر الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه يسمع قول طعمة ويقبل يمينه لانه مسلم ولا يسمع قول اليهودي لانه
كافر فلم يرض الله تعالى بذلك منهم فاطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهم وما هموا به وكان الله بما يعملون
محيطا يعني انه تعالى لا يخفى عليه خافية ها انتم هؤلاء ها للتنبيه يعني يا هؤلاء الذين هو خطاب للقوم من
المؤمنين كانوا يذبون عن طعمة وعن قومه جادلتم عنهم يعني خاصمتم عنهم بسبب انهم كانوا يرونهم
في الظاهر مسلمين واصل الجدال شدة الفتل لان كل واحد من الخصمين يريد ان يفتل صاحبه
عما هو عليه والمعنى هبوا انكم خاصمتم وجادلتم عن طعمة وقومه في الحياة الدنيا وقيل هو خطاب
لقوم طعمة وفي قراءة ابن مسعود جادلتم عنهم والمعنى هبوا انكم خاصمتم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم
والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة يعني اذا اخذه
بعذابه وهذا استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع ام من يكون عليهم وكيلا يعني حافظا ومحاميا عنهم من وكيلا حفيظا
بأس الله اذا نزل بهم قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه نزلت هذه الآية في ترغيب طعمة في
التوبة وعرضها عليه وقيل نزلت في قوم طعمة الذين جادلوا عنه وقيل هي عامة في كل مسيء ومذنب
لان خصوص السبب لا يمنع من اطلاق الحكم ومعنى الآية ومن يعمل سوءا يعني قبيحا يسوء به غيره كما فعل طعمة بالسرقة
من قتادة وانما خص ما يتعدى الى الغير باسم السوء لان ذلك يكون في الاكثر ايصالا للضرر الى الغير او
يظلم نفسه يعني فيما يختص به من الحلف الكاذب ونحو ذلك وقيل معناه ومن يعمل سوءا اي قبيحا او يظلم

لنفسه برميه البريء وقيل السوء كل ما يأثم به الانسان والظلم هو الشرك فما دونه ثم يستغفر الله يعني
من ذنوبه يجد الله غفورا رحيما ففي هذه الآية دليل على حكمين احدهما ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب
الكبائر والصغائر لان قوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه عم الكل والحكم الثاني ان ظاهر الآية يقتضي
ان مجرد الاستغفار كاف وقال بعضهم انه مقيد بالتوبة لانه لا ينفع الاستغفار مع الاصرار على
الذنوب ومن يكسب اثما يعني ومن يعمل ذنبا يأثم به فانما يكسبه على نفسه يعني انما يعود وبال
كسبه عليه والكسب عبارة عما يفيد جر منفعة او دفع مضرة فكأنه تعالى يقول يا ايها الانسان
ان الذنب الذي ارتكبته انما عادت مضرته عليك فاني منزه عن الضرر والنفع فاكثر من الاستغفار ولا
تيأس من قبول التوبة فاني الغفار لمن تاب وهذه الآية نزلت في طعمة ايضا وكان الله عليما يعني
بسارق الدرع حكيما يعني اذ حكم عليه بالقطع وقيل معناه عليما بما في قلب عبده عند اقدامه
على التوبة حكيما تقتضي حكمته ان يتجاوز عن التائب ويغفر له ويقبل توبته ومن يكسب
خطيئة او اثما قيل ان الخطيئة هي الصغيرة من الذنوب والاثم هو الكبيرة وقيل الخطيئة هي الذنب
المختص بفاعله والاثم الذنب المتعدي الى الغير وقيل ان الخطيئة هي سرقة الدرع والاثم هو يمينه
الكاذبة ثم يرم به بريئا يعني يقذف بما جناه بريئا منه وهو نسبة السرقة الى اليهودي ولم يسرق
فان قلت الخطيئة والاثم اثنان فكيف وحد الضمير في قوله ثم يرم به قلت معناه ثم يرم باحد
هذين المذكورين بريئا وقيل معناه ثم يرم بهما بريئا فاكتفى باحدهما عن الآخر وقيل انه يعود
الضمير الى الاثم وحده لانه اقرب مذكور وقيل ان الضمير يعود الى الكسب ومعناه ثم يرم
بما كسب بريئا فقد احتمل بهتانا البهتان من البهت وهو الكذب الذي يتحير في عظمه
واثما مبينا يعني ذنبا بينا لانه بكسب الاثم آثم وبرميه البريء باهت فقد جمع بين الامرين قوله عز وجل
ولولا فضل الله عليك ورحمته وهذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن ابيرق وقومه حيث لبسوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم امر صاحبهم فقوله تعالى ولولا فضل الله عليك يعني يا محمد بالنبوة ورحمته
يعني بالعصمة وما اوحى اليك من الاطلاع على اسرارهم فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لهمت طائفة
منهم يعني من بني ظفر وهم قوم طعمة ان يضلوك يعني عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل وقيل
معناه يخطئوك في الحكم ويلبسوا عليك الامر حتى تدفع عن طعمة وذلك ان قوم طعمة عرفوا انه
سارق ثم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يدفع عنه ويبرئه من السرقة ويرمي بها اليهودي
وما يضلون الا انفسهم يعني ان وبال ذلك يرجع عليهم بسبب تعاونهم على الاثم وشهادتهم له
انه بريء فهم لما اقدموا على ذلك رجع وباله عليهم وما يضرونك من شيء يعني انهم وان سعوا
في القائك في الباطل فانت ما وقعت فيه لانك بنيت الامر على ظاهر الحال وما خطر ببالك ان الامر على
خلاف ذلك وقيل معناه وما يضرونك من شيء في المستقبل فوعده الله ادامة العصمة وانه لا يضره احد
وانزل الله عليك الكتاب يعني القرآن والحكمة يعني القضاء يعني واوجب بيان الحكم على الظاهر
فكيف يضرونك ما لقائك في الشبهات وعلمك ما لم تكن تعلم يعني من احكام الشرع وامور الدين
وقيل علمك من علم الغيب ما لم تكن تعلم وقيل معناه وعلمك من خفيات الامور واطلعك
على ضمائر القلوب وعلمك من احوال المنافقين وكيدهم ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما
يعني ولم يزل فضل الله عليك يا محمد عظيما فاشكر على ما اولاك من احسانه ومن عليك بنبوته

وعلمك ما انزل عليك من كتابه وحكمته وعصمك ممن حاول اضلالك فان الله هو الذي تولاك بفضله وشملك باحسانه وكفاك غايلة من اراد كيدك ففي هذه الاية تنبيه من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على ما حباه من الطاعة وما شمله من فضله واحسانه ليقوم بواجب حقه قوله تعالى لا خير في كثير من نجواهم يعني من نجوى قوم طعمة وقيل هي عامة في جميع ما يتناجى الناس به والنجوى هو السرار في التدبير وقيل النجوى ما تفرد بتدبيره قوم سرا كان ذلك او جهرا وناجيته ساررته واصله ان تخلوا في نجوة من الارض وقيل اصله من النجا والمعنى لا خير في كثير مما يدبرونه ويتناجون فيه الا من امر بصدقة يعني الا في نجوى من امر بصدقة وقيل معناه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث الا فيما كان من اعمال الخير وقيل هو استثنا منقطع تقديره لكن من امر بصدقة وحث عليها او معروف يعني او امر بطاعة الله وما يجيزه الشرع واعمال البر كلها معروف لان العقول تعرفها او اصلاح بين الناس يعني الاصلاح بين المتباينين والمتخاصمين ليتراجعا الى ما كانا فيه من الالفة والاجتماع على ما اذن فيه وامر به عن ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وان فساد ذات البين هي الحالقة اخرجه الترمذي وابو داود قال الترمذي ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هي الحالقة لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين خ عن سهل بن سعد ان اهل قبا اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهبوا بنا نصلح بينهم ق عن ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس او قال بين الناس فيقول خيرا او ينمي خيرا زاد مسلم في رواية له قالت ولم اسمعه يرخص في شي مما يقول الناس الا في ثلاث يعني الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المراة زوجها ومن يفعل ذلك يعني هذه الاشيا التي ذكرها ابتغا مرضات الله يعني طلب رضاه لان الانسان اذا فعل ذلك خالصا لوجه الله نفعه وان فعله رياء وسمعة لم ينفعه ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات الحديث فسوف نؤتيه يعني في الاخرة اذا فعل ذلك ابتغاء مرضاة الله اجرا عظيما لا حد له لان الله سماه عظيما واذا كان كذلك فلا يعلم قدره الا الله عز وجل قوله عز وجل ومن يشاقق الرسول نزلت في طعمة بن ابيرق وذلك انه لما سرق وظهرت عليه السرقة خاف على نفسه القطع والفضيحة هرب الى مكة كافرا مرتدا عن الدين فانزل الله عز وجل فيه ومن يشاقق الرسول يعني يخالفه في التوحيد والايمان واصله من المشاقة وهو كون كل واحد منهما في شق غير شق الاخر من بعد ما تبين له الهدى اي وضح له التوحيد والحدود وظهر له دين الاسلام وذلك لان طعمة كان قد تبين له ما انزل فيه واظهر من سرقته ما يدل على صحة دين الاسلام فعادى الرسول صلى الله عليه وسلم واظهر الشقاق ورجع عن دين الاسلام ويتبع غير سبيل المومنين يعني ويتبع غير طريق المومنين وما هم عليه من الايمان ويتبع عبادة الاوثان نوله ما تولى اي نكله في الاخرة الى ما تولى في الدنيا ونتركه وما اختار لنفسه ونصله جهنم يعني ونلزمه جهنم واصله من الصلا وهو لزوم النار وقت الاستدفا وسات مصيرا يعني وبيس المرجع الى النار روي ان الشافعي سيل عن اية من كتاب الله تدل على ان الاجماع حجة فقرا القران ثلثماية مرة حتى استخرج هذه الاية وهي قوله ويتبع غير سبيل المومنين وذلك لان اتباع غير سبيل المومنين وهو مفارقة الجماعة حرام فوجب ان يكون اتباع سبيل المومنين ولزوم جماعتهم واجبا وذلك لان الله تعالى الحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المومنين فثبت بهذا ان اجماع الامة حجة قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا نزلت في طعمة بن ابيرق ايضا لكونه مات مشركا وقال ابن عباس نزلت هذه الاية في شيخ من الاعراب جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اني شيخ منهمك في الذنوب غير اني لم اشرك بالله منذ

عرفته وامنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جراة على الله عز وجل وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تايب مستغفر فما حالي عند الله تعالى فانزل الله هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به وهذا نص صريح بان الشرك غير مغفور اذا مات صاحبه عليه لانه قد ثبت ان المشرك اذا تاب من شركه وامن قبلت توبته وصح ايمانه وغفرت ذنوبه كلها التي عملها في حال الشرك ويغفر ما دون ذلك يعني ما دون الشرك لمن يشا من اهل التوحيد قال العلما لما اخبر الله انه يغفر الشرك بالايمان والتوبة علمنا انه يغفر ما دون الشرك بالتوبة وهذه المشية فيمن لم يتب من ذنوبه من اهل التوحيد فاذا مات صاحب الكبيرة او الصغيرة من غير توبة فهو في خطر المشية ان شا غفر له وادخله الجنة بفضله ورحمته وان شا عذبه ثم يدخله الجنة بعد ذلك ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا يعني فقد ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله اذا مات على شركه فان قلت لم كررت هذه الاية بلفظ واحد في موضعين من هذه السورة وما فايدة ذلك قلت فايدة ذلك للتاكيد او لان الاية المتقدمة نزلت في سبب ونزلت هذه الاية في سبب اخر وهو ان الاية المتقدمة نزلت في سبب نفر طعمة بن ابيرق ونزلت هذه الاية في سبب ارتداده وموته على الشرك قوله عز وجل ان يدعون من دونه الا اناثا نزلت في اهل مكة يعني ما يعبدون من دون الله الا اناثا لان كل من عبد شيا فقد دعاه لحاجته وفي قوله اناثا اقوال احدها انهم كانوا يسمون اصنامهم باسما الاناث فيقولون اللات والعزى ومناة قال الحسن كانوا يقولون لصنم كل قبيلة انثى بني فلان والقول الثاني اناثا يعني امواتا قال الحسن كل شي لا روح فيه كالحجر والخشبة هي اناث قال الزجاج والموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المونث تقول هذه الحجر تعجبني وهذه الدراهم تنفعني ولان الانثى انزل درجة من الذكر والميت انزل درجة من الحي كان الموات اذل من الحيوان وقد يطلق اسم الانثى على الجمادات القول الثالث ان بعضهم كان يعبد الملايكة ويقولون هم بنات الله وان يدعون الا شيطانا مريدا يعني وما يعبدون الا شيطانا مريدا قال ابن عباس لكل صنم شيطان يدخل في جوفه ويتراءى للسدنة والكهنة ويكلمهم فلذلك قال الله تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا وقيل هو ابليس لانه هو اغواهم واغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو المتمرد العاتي الخارج عن الطاعة لعنه الله اي ابعده الله وطرده عن رحمته وقال يعني ابليس لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا يعني حظا مقدرا معلوما فكل ما اطيع فيه ابليس فهو نصيبه ومفروضه واصل الفرض القطع وهذا النصيب هم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وساوسه ولاضلنهم عن طريق الحق والمراد به التزيين والوسوسة والا فليس اليه من الاضلال شي ولامنينهم قال ابن عباس يريد تسويف التوبة وتاخيرها وقال الكلبي امنيهم انه لا جنة ولا نار ولا بعث وقيل امنيهم ادراك الجنة مع عمل المعاصي وقيل زين لهم ركوب الاهوا والاهوال الداعية الى العصيان وقيل امنيهم طول البقا في الدنيا ونعيمها ليوثروها على الاخرة ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام حتى يقطعوها ويشقوها وهي البحيرة وذلك انهم كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجا الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها ولا يردونها عن ما ولا مرعى وسول لهم ابليس ان هذا قربة ولامرنهم فليغيرن خلق الله قال ابن عباس يعني دين الله وتغيير دين الله هو تحليل الحرام وتحريم الحلال وقيل تغيير خلق الله هو تغيير الفطرة التي فطر الخلق عليها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقيل يحمل هذا التغيير على تغيير احوال تتعلق بظاهر الخلق مثل الوشم ووصل الشعر ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات

والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله اخرجاه من رواية ابن مسعود ولهما عن اسماء قالت لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الواصلة والمستوصلة وقيل تغيير خلق الله هو الاختصاء وقطع الآذان حتى ان بعض العلماء حرمه وكره انس اخصاء
الغنم وجوزه بعض العلماء لان فيه غرضا ظاهرا ف عن سعد بن ابي وقاص قال لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
رد على عثمان بن مظعون التبتل لاختصينا التبتل هو ترك النكاح والانقطاع للعبادة عن نافع قال
كان ابن عمر يكره الاختصاء ويقول ان فيه نماء الخلق اخرجه مالك في الموطا ومعناه في ترك الاختصاء نماء الخلق يعني
زيادته وقال ابن زيد هو التخنث وهو ان يتشبه الرجل بالنساء في حركاتهن وكلامهن ولباسهن ونحو
ذلك وقيل تغيير خلق الله هو ان الله تعالى خلق البهائم والانعام للركوب والاكل فحرموها على انفسهم وخلق
الشمس والقمر والنجوم والنار والاحجار لمنفعة الناس فعبدوها من دون الله ومن يتخذ ربا يطيعه
فيما يامره به وقيل الولي من الموالاة وهو الناصر فقد خسر خسرانا مبينا لان طاعة الشيطان توصله
الى نار جهنم وهي غاية الخسران فان قلت في الآية سؤالات السؤال الاول قال لاتخذن من عبادك نصيبا
مفروضا والنصيب المفروض هو الشيء المقدر القليل وقال في موضع آخر لاحتنكن ذريته الا قليلا
وقال لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وهذا استثناء للقليل من الكثير فكيف وجه الجمع
فالجواب ان الكفار الذين هم حزب الشيطان وان كانوا اكثر من المؤمنين في العدد لكنهم اقل من
المؤمنين في الفضل والشرف وعلو الدرجة عند الله والمؤمنون وان كانوا اقل من الكفار لكنهم
اكثر منهم لان لهم الفضل والشرف والسؤدد والغلبة في الدنيا وعلو الدرجة في الآخرة وانشد
بعضهم في هذا المعنى فقال — وهم الاقل اذا يعد عشيرة والاكثرون اذا يعد السؤدد
وقيل ان ابليس لما لم ينل من آدم ما اراد ورأى الجنة والنار علم ان لهذه اهلا ولهذه اهلا فقال لاتخذن
من عبادك نصيبا مفروضا يعني الذين هم اهل النار السؤال الثاني من اين لابليس العلم بالعواقب
حتى يقول ولاضلنهم ولاغوينهم ولامرنهم وقال في الاعراف ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال في بني اسرائيل لاحتنكن
ذريته الا قليلا فالجواب من ثلاثة اوجه احدها ان ابليس ظن انه يقع منهم هذه الامور التي يريدها
منهم فحصل له ما ظنه ويدل على ذلك قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الوجه الثاني
قال ابن الانباري المعنى لاجتهدن ولاحرصن في ذلك لا انه كان يعلم الغيب الوجه الثالث قال الماوردي
من الجائز ان يكون قد علم ذلك من الملائكة بخبر من الله تعالى ان اكثر الخلائق لا يؤمنون وقوله تعالى يعدهم
ويمنيهم يعني الشيطان يعد حزبه واولياءه ويمنيهم موعده وتمنيته اياهم ما يوقع في قلب الانسان
من طول العمر ونيل ما اراد من الدنيا ومن نعيمها ولذاتها وكل ذلك غرور فيجب على العاقل ان لا يلتفت
الى شيء منه فكم من لم يطل عمره ولم يحصل له ما اراد منها وان طال عمره وحصل مقصوده فالموت وراءه
ينغص عليه ما هو فيه وقيل يعدهم ويمنيهم بان لا جنة ولا نار ولا بعث فاجتهدوا في تحصيل اللذات
الدنيوية وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعني باطلا وضلالا اولئك يعني الذين اتخذوا الشيطان
وليا مأواهم جهنم يعني مرجعهم ومستقرهم جهنم ولا يجدون عنها يعني عن جهنم محيصا
يعني مفرا ومعدلا يعني لا يعدلون عنها الى غيرها ولا بد لهم من ورودها والخلود فيها ولما ذكر وعيد الكفار
اتبعه بوعد المؤمنين فقال تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار يعني من
تحت المساكن والغرف خالدين فيها يعني في الجنات ابدا يعني بلا انتهاء ولا غاية والابد عبارة عن مدة
الزمان الممتد الذي لا انقطاع له ولا يتجزأ كما يتجزأ غيره من الازمنة لانه لا يقال ابد كذا كما يقال زمن كذا

وفي قوله خالدين فيها ابدا دليل على ان الخلود لا يفيد التابيد والدوام لانه لو افاد ذلك لزم التكرار وهو
خلاف الاصل فعلم بذلك ان الخلود عبارة عن طول الزمان لا على الدوام فلما اتبع الخلود بالابد علم انه يراد به
الدوام الذي لا ينقطع وقوله تعالى وعد الله حقا يعني وعد الله ذلك الذي ذكر وعدا حقا ومن اصدق
من الله قيلا يعني ليس احد اصدق من الله وهو توكيد بليغ لقوله وعد الله حقا قوله تعالى ليس بامانيكم
ولا اماني اهل الكتاب الاماني جمع امنية افعولة من التمني والتمني تقدير الشيء في النفس وتصويره فيها والامنية هي
الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشيء اذا وقع في نفسه واراده وفي المخاطب بقوله ليس بامانيكم ولا اماني
اهل الكتاب قولان احدهما انه خطاب للمسلمين واهل الكتاب اليهود والنصارى وذلك انهم افتخروا فقال
اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الانبياء وكتابنا
يقضي على الكتب وقد آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن اولى بالله منكم والقول الثاني انه خطاب
لمشركي مكة في قولهم لا نبعث ولا نحاسب وخطاب لاهل الكتاب في قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة
والمعنى ليس الامر بالاماني انما الامر بالعمل الصالح من يعمل سوءا يجز به قال الضحاك يقول ليس لكم ما تمنيتم
ولا لاهل الكتاب ما تمنوا ولكن من عمل سوءا يعني شركا مات عليه يجز به النار وقال الحسن هذا
في حق الكفار خاصة لانهم يجازون بالعقاب على الصغير والكبير ولا يجزى المؤمن بسيء عمله يوم القيامة
ولكن يجزى باحسن عمله ويتجاوز عن سيئاته ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله ولا يجد له
من دون الله وليا ولا نصيرا وهذا هو الكافر فاما المؤمن فله ولي ونصير وقال آخرون هذه الآية
في حق كل من عمل سوءا من مسلم وكافر وقال ابن عباس هي عامة في حق كل من يعمل سوءا يجز به الا ان يتوب
قبل ان يموت فيتوب الله عليه وقال ابن عباس في رواية ابي صالح عنه لما نزلت هذه الآية شقت
على المسلمين مشقة شديدة وقالوا يا رسول الله واينا لم يعمل سوءا غيرك فكيف الجزاء قال منه ما يكون
في الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشره وبقيت له
تسع حسنات فويل لمن غلب آحاده اعشاره واما ما كان جزاءه في الآخرة فيقابل بين حسناته
وسيئاته فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل فيعطي الجزاء في الجنة فيؤتي كل ذي فضل فضله
ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابي هريرة قال لما نزلت من يعمل سوءا يجز به بلغت من المسلمين مبلغا
شديدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها
والشوكة يشاكها اخرجه مسلم وعن ابي بكر الصديق قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
ومن يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر الا
اقرئك آية انزلت علي قلت بلى يا رسول الله فاقرانيها فلا اعلم الا اني وجدت انقصاما في ظهري
فتمطأت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شانك يا ابا بكر قلت يا رسول الله بابي انت وامي واينا لم
يعمل سوءا وانا لمجزيون باعمالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انت يا ابا بكر والمؤمنون فتجزون بذلك في
الدنيا حتى تلقوا الله وليس لكم ذنوب واما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة اخرجه الترمذي وقال
هذا حديث غريب وفي اسناده مقال وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن ابي بكر وليس له اسناد صحيح
وقوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا قال ابن عباس يريد وليا يمنعه ولا نصيرا ينصره فان قلنا
ان هذه الآية خاصة في حق الكفار فتاويلها ظاهر وان قلنا انها في حق كل عامل سوء من مسلم وكافر فانه
لا ولي لاحد من دون الله يوم القيامة ولا ناصر فالمؤمنون لا ولي لهم غير الله وشفاعة الانبياء في حقهم تكون باذن الله فليس

اجر احد اعمل لله وقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن قال مسروق لما نزلت من يعمل سوءا يجز به قال اهل الكتاب نحن وانتم سواء فنزلت هذه الاية قال المفسرون بين الله تعالى بهذه الاية فضيلة المؤمنين على غيرهم ولفظة من في قوله من الصالحات للتبعيض لان احدا لا يقدر ان يستوعب جميع الصالحات بالعمل فاذا عمل بعضها استحق الثواب فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا النقير نقرة في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة قال ابن عباس يريد لا ينقصون قدر النواة وهذا على سبيل المبالغة في نفي الظلم ووعد بتوفية جزاء اعمالهم من غير نقصان قوله عز وجل ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن لما بين الله تعالى ان الجنة لمن عمل الصالحات وهو مؤمن شرح الايمان وبين فضله فقال تعالى ومن احسن دينا يعني ومن احكم دينا والدين هو المشتمل على اظهار كمال العبودية والخضوع والانقياد لله عز وجل وهو الدين الذي كان عليه ابرهيم صلى الله عليه وسلم واعلم ان دين الاسلام مبني على امرين احدهما الاعتقاد واليه الاشارة بقوله اسلم وجهه لله يعني انقاد لله وخضع له في سره وعلانيته وقيل معناه اخلص طاعته لله وقيل فوض امره الى الله الامر الثاني من مباني الاسلام العمل واليه الاشارة بقوله وهو محسن يعني في عمله لله فيدخل فيه فعل الحسنات والعزائم والطاعات وترك السيئات وقال ابن عباس في تفسير قوله وهو محسن يريد وهو موحد لله عز وجل لا يشرك به شيئا قال العلماء انما صار دين الاسلام احسن الاديان لان فيه طاعة الله ورضاه وهي احسن الاعمال وانما خص الوجه بالذكر في قوله اسلم وجهه لله لانه اشرف الاعضاء فاذا انقاد الوجه لله وخضع له فقد انقاد له جميع الاعضاء لانها تابعة له واتبع ملة ابرهيم يعني دين ابرهيم عليه السلام حنيفا يعني مسلما مخلصا والحنيف المائل ومعناه المائل عن الاديان كلها الى الاسلام لان ما سواه من الاديان باطل وحنيفا يجوز ان يكون حالا لابرهيم ويجوز ان يكون حالا للمتبع كما تقول رايته راكبا قال ابن عباس ومن دين ابرهيم عليه السلام الصلاة الى الكعبة والطواف بها ومناسك الحج والختان ونحو ذلك فان قلت ان ظاهر هذه الاية يقتضي ان شرع محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس شرع ابرهيم عليه السلام وعلى هذا لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم شرع يستقل به وليس الامر كذلك فما الجواب قلت ان شرع ابرهيم وملته داخلان في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته مع زيادات حسنة خص الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم فمن اتبع ملة محمد صلى الله عليه وسلم فقد اتبع ملة ابرهيم عليه السلام لانها داخلة في ملة محمد صلى الله عليه وسلم وشرع ابرهيم داخل في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال تعالى واتبع ملة ابرهيم لان ابرهيم صلى الله عليه وسلم كان يدعو الى توحيد الله وعبادته ولهذا خصه بالذكر لانه كان مقبولا عند جميع الامم فان العرب كانوا يفتخرون بالانتساب اليه وكذلك اليهود والنصارى فاذا ثبت هذا وان شرعه كان مقبولا عند الامم وان شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته هو شرع ابرهيم وملته لزم الخلق الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وقبول شرعه وملته وقوله تعالى واتخذ الله ابرهيم خليلا يعني صفيا والخلة صفاء المودة وقيل الخلة الافتقار والانقطاع فخليل الله المنقطع اليه وسمي ابرهيم خليلا لانه انقطع الى الله في كل حال وقيل الخلة الاختصاص والاصطفاء وسمي ابرهيم خليلا لانه والى في الله وعادى في الله وقيل لانه تخلق باخلاق حسنة وخلال كريمة وقيل الخليل المحب الذي ليس في محبته خلل وسمي ابرهيم خليل الله لانه احبه محبة كاملة ليس فيها نقص ولا خلل وانشد في معنى الخلة التي هي بمعنى المحبة قد تخللت مسلك الروح مني وبه سمي الخليل خليلا وقيل الخليل من الخلة بفتح الخاء وهي الحاجة سميت خلة للاختلال الذي يلحق الانسان فيها وسمي ابرهيم خليلا لانه جعل فقره وفاقته وحاجته الى الله عز وجل وخلة الله للعبد تمكينه من طاعته وعصمته وتوفيقه وستره [illegible] والثناء عليه فقد اثنى الله عز وجل على ابرهيم عليه السلام وجعله اماما للناس يقتدون

به واختلفوا في السبب الذي من اجله اتخذ الله ابرهيم خليلا فقال ابن عباس كان ابرهيم صلى الله عليه وسلم ابا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف من مر به من الناس فاصاب الناس سنة شديدة وقحط فقصد الناس باب ابرهيم يطلبون منه الطعام وكانت الميرة تاتيه من صديق له بمصر فبعث ابرهيم غلمانه الى خليله الذي بمصر فقال خليله لغلمانه لو كان ابرهيم انما يريد الطعام لنفسه احتملنا ذلك له وقد دخل علينا مثل ما دخل على الناس من الشدة فرجع غلمان ابرهيم بغير طعام فمروا ببطحاء من الرمل سهلة فقالوا لو حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جئنا بميرة فانا نستحيي ان يمر بهم وابلنا فارغة فملؤوا من ذلك الرمل الغرائر التي معهم ثم اتوا الى ابرهيم صلى الله عليه وسلم فاعلموه وسارة نائمة فاهتم لذلك ولمكان الناس ببابه فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت سبحان الله ما جاء الغلمان قالوا بلى قالت فما جاؤوا بشي قالوا نعم فقامت الى الغرائر ففتحتها فاذا هي ملأى باجود دقيق يكون حوارى فامرت الخبازين فخبزوا واطعموا الناس فاستيقظ ابرهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من اين لكم هذا فقالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله قال فيومئذ اتخذه الله خليلا وقيل لما اراه الله ملكوت السموات والارض وحاج قومه في الله ودعاهم الى توحيده ومنعهم من عبادة النجوم والشمس والقمر والاوثان وبذل نفسه للالقاء في النيران وبذل ولده للقربان وماله للضيفان اتخذه الله خليلا وجعله اماما للناس يقتدون به وجعل النبوة فيه وفي ذريته وقيل ان ابرهيم عليه الصلاة والسلام لما كسر الاصنام وعادى قومه في الله عز وجل اتخذه الله خليلا وقيل لما دخل عليه الملائكة فظنهم ضيفا فقرب اليهم عجلا مشويا وقال كلوا على شرط ان تسموا الله في اوله وتحمدوه في اخره فقال جبريل انت خليل الله فمن يومئذ سمي ابرهيم خليل الله م عن انس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا خير البرية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك ابرهيم خليل الله فصل وقد اتخذ الله محمدا صلى الله عليه وسلم خليلا كما اتخذ الله ابرهيم خليلا فقد ثبت في الصحيحين عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا اخرجه مسلم فقد ثبتت لهذين الحديثين الخلة للنبي صلى الله عليه وسلم وزاد على ابرهيم عليه السلام بالمحبة فمحمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيبه فقد جاء في الحديث عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا وانا حبيب الله ولا فخر اخرجه الترمذي باطول من هذا قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض قال اهل المعاني لما خلق الله دعا الله الخلق الى طاعته وعبادته والانقياد لامره بين سعة ملكه ليرغب الخلق اليه بالطاعة له وانما قال ما في السموات وما في الارض ولم يقل من لانه ذهب به مذهب الجنس والذي يعقل اذا ذكر واريد به الجنس ذكر بلفظة ما وكان الله بكل شي محيطا يعني عالما علم احاطة وهو العلم بالشي من كل وجه حتى لا يشذ عنه نوع الا علمه وقيل يجوز ان يكون معناه محيطا بالقدرة عليه قوله عز وجل ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن الاية قال ابن عباس نزلت في بنات ام كجة وقد تقدمت قصتهن في اول السورة وقالت عائشة هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وهو وليها فيرغب في نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال باقل من سنة صداقها واذا كانت غير مرغوب فيها لقلة المال والجمال تركها وفي رواية قالت هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وقد شركته في ماله فيرغب

عنها فلا يتزوجها لدمامتها ويكره ان يزوجها غيره فيدخل عليه ويشركه في ماله فيحبسها حتى تموت فنهاهم الله عن ذلك وانزل هذه الآية فقال ويستفتونك يعني ويستخبرونك يا محمد في شان النسا وحالهن والاستفتا طلب الفتوى وهي اظهار ما اشكل من الاحكام الشرعية وكشفه وتبيينه قال المفسرون والذي استفتوا فيه هو ميراث النسا وذلك انهم كانوا لا يورثون النسا ولا الصغار من الاولاد فلما نزلت اية الميراث قالوا يا رسول الله كيف تورث المراة والصغير فانزل الله هذه الاية قل الله يفتيكم فيهن يعني قل يا محمد الله يفتيكم في شان النسا وحالهن ٥ وما يتلى عليكم في الكتاب يعني يفتيكم فيما يتلى عليكم والمعنى ان الله يفتيكم في النسا بما في كتابه عليكم وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ والغرض منه تعظيم حال هذه الاية التي تتلى عليكم وانها في اللوح المحفوظ والغرض منه تعظيم حال هذه الاية التي تتلى عليكم وان العدل والانصاف في حقوق اليتامى من اعظم الامور عند الله تعالى التي يجب مراعاتها وان المخل بها ظالم ٥ في يتامى النسا قيل معناه في النسا اليتامى وقيل في اليتامى اولاد النسا لان الاية نازلة في يتامى ام كحة اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن يعني ما فرض لهن من الميراث وهذا على قول من يقول ان الاية نازلة في ميراث اليتامى والصغار وعلى القول الاخر معناه ما كتب لهن من الصداق ٥ وترغبون ان تنكحوهن يعني وترغبون في نكاحهن لمالهن وجمالهن باقل من صداقهن وقيل معناه وترغبون عن نكاحهن لقبحهن ودمامتهن وتمسكوهن رغبة في اموالهن ق عن عايشة قالت هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد ان ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا بنكاح من سواهن قالت عايشة فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله عز وجل ويستفتونك في النسا الى قوله وترغبون ان تنكحوهن فبين لهم ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في اكمال الصداق واذا كانت مرغوبا عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق قوله تعالى والمستضعفين من الولدان يعني ويفتيكم في المستضعفين من الولدان وهم الصغار ان تعطوهم حقوقهم لان العرب في الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يعطوهم حقهم من الميراث ٥ وان تقوموا لليتامى بالقسط يعني بالعدل في مهورهن ومواريثهن ٥ وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما يعني فيجازيكم عليه قوله تعالى وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا ق عن عايشة في قوله تعالى وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا قالت نزلت في المراة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها ويتزوج غيرها فتقول له امسكني لا تطلقني ثم تزوج غيري وانت في حل من النفقة علي والقسمة لي قالت فذلك قوله فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير وقيل نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة ويقال اسمها خولة وفي زوجها سعد بن الربيع ويقال رافع بن خديج تزوجها وهي شابة فلما كبرت تزوج عليها امراة اخرى شابة واثرها عليها وجفا الاولى فاتت ابنة محمد بن مسلمة تشكو زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وقيل كان رجل له امراة قد كبرت وله منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج عليها فقالت لا تطلقني ودعني اقوم على اولادي واقسم لي كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فذكر

ذلك له فانزل الله هذه الاية وان امراة خافت يعني علمت وقيل ظنت وقيل بل المراد نفس الخوف لان الخوف لا يحصل الا عند حصول الامارات الدالة على وقوعه من بعلها يعني من زوجها والبعل هو السيد وسمي الزوج بعلا لانه سيد المراة ٥ نشوزا يعني بغضا وقيل هو ترك مضاجعتها واصله من النشز وهو المرتفع من الارض والنشوز قد يكون من الزوجين وهو ان يكره كل واحد منهما صاحبه فنشوز الزوج هو ان يعرض عن المراة وهو قوله تعالى او اعراضا يعني بوجهه عنها او يعبس في وجهها او يترك مضاجعتها او يسيء عشرتها او يشتغل بغيرها وقيل المراد من النشوز اظهار الخشونة في القول والفعل والمراد من الاعراض السكوت عن الخير والشر والايذا بل يعرض عنها بوجهه او يشتغل بغيرها ٥ فلا جناح عليهما يعني فلا حرج ولا اثم على الزوج والمراة ٥ ان يصالحا من المصالحة وقرئ ان يصلحا بضم الياء وكسر اللام من الاصلاح ٥ بينهما صلحا يعني في القسمة والنفقة وهو ان يقول الزوج للمراة انك قد كبرت ودخلت في السن وانا اريد ان اتزوج امراة شابة جميلة اوثرها عليك في القسمة ليلا ونهارا فان رضيت فاقيمي وان كرهت ذلك فارقتك وخليت سبيلك فان رضيت بذلك كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج ان يوفيها حقها من القسم والنفقة او يسرحها باحسان وان امسكها ووفاها حقها مع الكراهة لها كان هو المحسن قال ابن عباس فان صالحته على بعض حقها من القسمة والنفقة جاز وان انكرت ذلك بعد الصلح كان ذلك لها ولها حقها ٥ والصلح خير يعني اقامتها بعد تخييره اياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة عن ابن عباس قال خشيت سودة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تطلقني وامسكني واجعل يومي لعايشة ففعل فنزلت فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير فما اصطلحا عليه من شي فهو جائز اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لعايشة يومين يومها ويوم سودة ٥ واحضرت الانفس الشح اي البخل وحقيقته الحرص على منع الخير وانما قال واحضرت الانفس الشح لانه كالامر الملازم للنفوس لانها مطبوعة عليه ومعنى الاية ان كل واحد من الزوجين يشح بنصيبه من الاخر فالمراة تشح على مكانها من زوجها والرجل يشح عليها بنفسه اذا كان غيرها احب اليه منها ٥ وان تحسنوا وتتقوا هذا خطاب للازواج يعني وان تحسنوا اليهن ايها الازواج الصحبة والعشرة وتتقوا الله في حق المراة فانها امانة عندكم وقيل معناه وان تحسنوا بالاقامة معها على الكراهية وتتقوا ظلمها والجور عليها ٥ فان الله كان بما تعملون خبيرا يعني فيجازيكم باعمالكم قوله عز وجل ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النسا يعني ولن تقدروا ان تسووا بين النسا في الحب وميل القلب لان ذلك مما لا تقدرون عليه وليس من كسبكم ٥ ولو حرصتم يعني على العدل والتسوية بينهن وقيل معناه ولو حرصتم على ذلك ٥ فلا تميلوا كل الميل يعني الى التي تحبونها في القسم والنفقة والمعنى انكم لستم منتهين عن حصول التفاوت في الميل القلبي لان ذلك خارج عن قدرتكم ووسعكم ولكنكم منهيون عن اظهار ذلك الميل في القول والفعل عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امراتان فلم يعدل بينهما جا يوم القيمة وشقه ساقط اخرجه الترمذي وعند ابي داود من كانت له امراتان فمال الى احديهما جا يوم القيمة وشقه مايل عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقسم فيعدل ويقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك يعني القلب أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي
وقوله تعالى فتذروها كالمعلقة يعني فتدعوا الأخرى التي لا تميلون إليها كالمنوطة لا أيم ولا ذات بعل كالشيء المعلق
لا هو في السماء ولا على الأرض وقيل معناه فتذروها كالمسجونة لا هي مخلصة فتتزوج ولا هي ذات بعل فيحسن إليها
وإن تصلحوا يعني بالعدل في القسم وتتقوا يعني الجور في القسم فإن الله كان غفورا يعني لما حصل من الميل
إلى بعضهن دون بعض رحيما يعني بكم حيث لم يكلفكم ما لا تقدرون عليه وإن يتفرقا يعني إن لم يصطلحا واختارا
الفرقة يغن الله كلا من سعته يعني من فضله ورزقه والمعنى يغني الزوج بامرأة أخرى والمرأة بزوج آخر وقيل
معناه يعوض الزوج بما يحب والمرأة بما تحب ويوسع عليهما وفي هذا التسلية لكل واحد من الزوجين بعد الطلاق
وكان الله واسعا يعني واسع الفضل والرحمة وقيل هو الواسع القدرة والعلم والرزق وقيل هو الغني
الذي وسع جميع مخلوقاته غناه حكيما يعني فيما أمر به ونهى عنه فصل فيما يتعلق بحكم الآية وجملته أن الرجل
كان تحته امرأتان أو أكثر يجب عليه التسوية بينهن في القسم فإن ترك التسوية بينهن في فعل القسم عصى الله
في ذلك وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط في البيتوتة أما في الجماع فلا لأن ذلك يدور على النشاط
والقلب وليس ذلك إليه ولو كان في نكاحه حرة وأمة فيقسم للحرة ليلتين وللأمة ليلة واحدة وإذا تزوج
جديدة على قديمات كن عنده فإنه يخص الجديدة بأن يبيت عندها سبع ليال إن كانت الجديدة بكرا
وإن كانت ثيبا خصها بثلاث ليال ثم إنه يستأنف القسم ويسوي بينهن ولا يجب عليه قضاء
هذه الليالي للقديمات ويدل على ذلك ما روي عن أبي قلابة عن أنس قال من السنة إذا تزوج البكر على الثيب أقام
عندها سبعا وقسم وإذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثا وقسم قال أبو قلابة لو شئت لقلت إن أنسا رفعه
إلى النبي صلى الله عليه وسلم أخرجاه في الصحيحين وإذا سافر الرجل إلى سفر حاجة جاز له أن يحمل معه بعض نسائه
بشرط أن يقرع بينهن ولا يجب عليه أن يقضي للباقيات عوض مدة سفره وإن طالت إذا لم يزد مقامه
في البلد على مدة المسافرين ويدل على ذلك ما روي عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا
أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه أخرجه البخاري ومسلم مع زيادة فيه وإذا أراد الرجل سفر نقلة
وجب عليه أخذ نسائه معه قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الأرض يعني عبيدا وملكا قال أهل
المعاني لما ذكر الله تعالى أنه يغني من سعته وفضله أشار إلى ما يوجب الرغبة إليه في طلب الخير منه لأن
من ملك السموات والأرض لا تفنى خزائنه ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى
وأصحاب الكتب القديمة وإياكم يعني ووصيناكم يا أهل القرآن في كتابكم أن اتقوا الله أي بأن تتقوا الله
وهو أن توحدوه وتطيعوه وتحذروه ولا تخالفوا أمره والمعنى أن الأمر بتقوى الله شريعة قديمة أوصى الله بها
جميع الأمم السالفة في كتبهم وإن تكفروا يعني وإن تجحدوا ما أوصاكم به فإن لله ما في السموات وما في الأرض
يعني فإن لله ملائكة في السموات والأرض هم أطوع له منكم وقيل معناه أنه تعالى خالق السموات والأرض
وما فيهن ومالكهم والمنعم عليهم بأصناف النعم ومن كان كذلك فحق لكل أحد أن يتقيه ويرجوه وكان
الله غنيا يعني عن جميع خلقه غير محتاج إليهم ولا إلى طاعتهم حميدا يعني محمودا على نعمه عليهم
ولله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا قال ابن عباس يعني شهيدا على أن له فيهن عبيدا
وقيل معناه وكفى بالله دافعا ومجيرا فإن قلت ما الفائدة في تكرير قوله تعالى ولله ما في السموات
وما في السموات وما في الأرض قلت الفائدة في ذلك أن لكل آية معنى تخص به أما الآية الأولى فمعناه
فإن لله ما في السموات وما في الأرض وهو يوصيكم بتقوى الله فاقبلوا وصيته وقيل لما قال تعالى وإن

يتفرقا يغن الله كلا من سعته بين أن له ما في السموات وما في الأرض وأنه قادر على إغناء جميع الخلائق
وهو المستغني عنهم وأما الآية الثانية فإنه تعالى قال وإن تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الأرض
والمراد منه أنه تعالى منزه عن طاعات الطائعين وعن ذنوب المذنبين وأنه لا يزداد جلاله بالطاعات ولا
ينقص بالمعاصي وقيل لما بين أن له ما في السموات وما في الأرض وقال بعد ذلك وكان الله غنيا حميدا فالمراد منه
أنه تعالى هو الغني وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون فهو يعطيكم لأن له ما في السموات وما في الأرض وأما
الثالثة فقال تعالى ولله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا أي فتوكلوا عليه ولا تتوكلوا على غيره
فإنه المالك لما في السموات والأرض وقيل تكريرها تقريرا لما هو موجب تقواه ليتقوه ويطيعوه ولا يعصوه لأن
التقوى والخشية أصل كل خير قوله عز وجل إن يشأ يذهبكم أيها الناس قال ابن عباس يريد المشركين
والمنافقين ويأت بآخرين يعني بغيركم هو خير منكم وأطوع له وفيه تهديد للكفار والمعنى أنه يهلككم أيها الكفار
كما أهلك من كان قبلكم إذ كفروا به وكذبوا رسله وكان الله على ذلك قديرا يعني وكان الله على ذلك إهلاككم وإعادة
غيركم قادرا بليغا في القدرة لا يمتنع عليه شيء أراده لم يزل ولا يزال موصوفا بالقدرة على جميع الأشياء قوله تعالى
من كان يريد ثواب الدنيا يعني من كان يريد بعمله عرضا من الدنيا نزلت في مشركي مكة وذلك أنهم كانوا يقرون
بأن الله خالقهم ولا يقرون بالبعث يوم القيامة فكانوا يتقربون إلى الله ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم
شرها وقيل نزلت في المنافقين لأنهم كانوا لا يصدقون بيوم القيامة وإنما كانوا يطلبون بجهادهم مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم عاجل الدنيا وهو ما ينالونه من الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة يعني
أن الذين يطلبون بأعمالهم وجهادهم ثواب الدنيا وما ينالونه من الغنيمة مخطئون في مقصدهم لأن الله عنده
ثواب الدنيا وثواب الآخرة فلو كانوا عقلاء لطلبوا ثواب الآخرة حتى يحصل لهم ذلك ويحصل لهم ثواب الدنيا على
سبيل التبعية والمعنى أن من أراد بعمله الدنيا آتاه الله منها ما أراد وصرف عنه من شرها ما أراد وليس
له ثواب في الآخرة يجزى به ومن أراد بعمله وجه الله وثواب الآخرة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة يؤتيه من
الدنيا ما قدر له ويجزيه في الآخرة خير الجزاء وكان الله سميعا يعني لأقوالهم وما يسرونه من طلب ثواب
الدنيا بصيرا يعني بنياتهم وما في نفوسهم وقيل بصيرا بمن يطلب الدنيا بعمله وبمن يطلب الآخرة بعمله
قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله قال السدي إن فقيرا وغنيا اختصما
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكان صغوه مع الفقير يرى أن الفقير لا يظلم الغني فأنزل الله هذه الآية وأمر
بالقيام بالقسط مع الغني والفقير وقيل إن هذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن أبيرق في خطئات
لقومه الذين جادلوا عنه وشهدوا له بالباطل فأمرهم الله تعالى أن يكونوا قائمين بالقسط شاهدين
لله على كل حال ولو على أنفسهم وأقاربهم فقال تعالى كونوا قوامين بالقسط القوام مبالغ في القيام
بالعدل في جميع الشهادات واجتناب الجور فيها قال ابن عباس كونوا قوامين بالعدل في
الشهادات على من كانت شهداء لله يعني أقيموا شهاداتكم لوجه الله كما أمركم فيها فيقولوا الحق في شهادة
ولو على أنفسكم يعني ولو كانت الشهادة على أنفسكم أمر الله العبد بأن يشهد على نفسه بالحق وهو
أن يقر على نفسه وذلك الإقرار يسمى شهادة في كونه موجبا للحق عليه أو الوالدين والأقربين يعني
ولو كانت الشهادة على الوالدين والأقربين من ذوي رحمه وأقاربه والمعنى قولوا الحق ولو على أنفسكم
أو على الوالدين أو على الأقارب فأقيموا الشهادة عليهم لله تعالى ولا تحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا
فقيرا لفقره وقد ذكر في قوله تعالى إن يكن يعني المشهود عليه غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما يعني منكم والمعنى

كلوا امرهم الى الله تعالى فهو اعلم بهم وبما لهم وانما قال بهما على التثنية لانه رد الضمير الى المعنى دون اللفظ يعني
فالله اولى بالغني وبالفقير فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا يعني فلا تتبعوا الهوى واتقوا الله ان تعدلوا
عن الحق في اداء الشهادة وقيل معناه اتركوا متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل
لان العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى وان تلووا قرئ بواوين ومعناه ان يلوي الشاهد لسانه
الى غير الحق قال ابن عباس يلوي لسانه بغير الحق ولا يقيم الشهادة على وجهها او تعرضوا يعني او يعرض
الشاهد عن الشهادة فيكتمها ولا يقيمها يقال لويته حقه اذا دفعته عنه ومطلته به وقيل معناه
وان تلووا عن القيام باداء الشهادة او تعرضوا عنها فتتركوها وقيل معناه التحريف والتبديل في
الشهادة من قولهم لويت الشيء اذا قلبته وقيل هو خطاب مع الحكام بقوله وان تلووا يعني تميلوا
مع احد الخصمين دون الآخر او تعرضوا عنه بالكلية وقرئ تلوا بواو واحدة من الولاية فهو خطاب
للحكام ايضا ومعناه فلا تتلوا امور المسلمين وتضيعوهم او تعرضوا عنهم بالكلية وقرئ تلوا بواو واحدة من
الولاية فهو خطاب للحكام ايضا ومعناه فان الله كان بما تعملون خبيرا يعني انه تعالى يجازي المحسن
باحسانه والمسيء باساءته فيجازيكم باعمالكم قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله قال الكلبي
نزلت في عبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام بن اخت عبد الله بن سلام وسلمة بن اخيه
ويامين بن يامين فهؤلاء مؤمنوا اهل الكتاب اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى
والتوراة وعزير ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسل فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله وبرسوله
محمد وبالقرآن وبكل كتاب كان قبله فانزل الله هذه الآية يا ايها الذين آمنوا يعني بمحمد والقرآن وبموسى والتوراة
آمنوا بالله ورسوله اسم جنس يعني آمنوا بجميع رسله وقيل هو خطاب لاهل الكتاب جميعا والمعنى يا ايها
الذين آمنوا بموسى والتوراة وبعيسى والانجيل آمنوا بمحمد والقرآن وقيل هو خطاب للمنافقين
والمعنى يا ايها الذين آمنوا بالسنتهم ولم تؤمن قلوبهم آمنوا بقلوبكم حتى ينفعكم الايمان لان الايمان باللسان
لا ينفع من غير مواطاة القلب وقيل هو خطاب للمؤمنين والمعنى يا ايها الذين آمنوا في الماضي
والحال آمنوا في المستقبل ودوموا واثبتوا على الايمان والكتاب الذي نزل على رسوله يعني القرآن
والكتاب الذي انزل من قبل يعني وآمنوا بالقرآن وبجميع الكتب التي انزلها على انبيائه قبل القرآن فيكون
الكتاب اسم جنس لجميع الكتب ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل
ضلالا بعيدا قوله عز وجل ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا قال ابن عباس نزلت
في اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم آمنوا بعد ذلك ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل انهم آمنوا بموسى ثم كفروا بعده ثم آمنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا
كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم آمنوا ثم كفروا بعد الايمان ثم آمنوا
يعني بالسنتهم وهو اظهارهم الايمان لتجري عليهم احكام المؤمنين ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم على الكفر وقيل
بذنوب احدثوها في الكفر وقيل هم قوم آمنوا ثم ارتدوا الى الكفر ثم آمنوا ثم ارتدوا الى الكفر ثم ازدادوا
كفرا يعني بموتهم عليه وذلك لان من تكرر منه الايمان بعد الكفر والكفر بعد الايمان مرات كثيرة يدل على انه
لا وقع للايمان في قلبه ومن كان كذلك لم يكن مؤمنا بالله ايمانا صحيحا وارتداده الى الكفر هو استهزاء
وتلاعب بالايمان ومثل هذا المتلاعب بالدين هل تقبل توبته بل يقتل وذهب اكثر اهل العلم
الى ان توبته مقبولة وقوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم يعني ما اقاموا على الكفر وماتوا عليه وذلك لان

الله

الله تعالى اخبر انه يغفر الكفر اذا تاب منه بقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يعني عن الكفر يغفر لهم ما قد سلف
يعني من كفرهم ولا ليهديهم سبيلا يعني طريق هدى وقيل لا يجعلهم بكفرهم مهتدين قوله تعالى بشر المنافقين
بان لهم عذابا اليما يعني اخبرهم يا محمد وانما وضع بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يعني اخبرهم يا محمد ومكان
اخبرهم لهم وقيل البشارة كل خبر تتغير به بشرة الوجه سارا كان ذلك الخبر او غير سار وقيل معناه
اجعل موضع بشارتك لهم العذاب لان العرب تقول تحيتك الضرب اي هذا بدل من تحيتك قال الشاعر
وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع ثم وصف الله المنافقين فقال تعالى الذين يتخذون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين يعني يتخذون اليهود اولياء وانصارا وبطانة من دون المؤمنين وذلك
ان المنافقين كانوا يقولون ان محمدا لا يتم امره فتولوا اليهود فقال الله تعالى ردا على المنافقين
ايبتغون عندهم العزة يعني يطلبون من عند اليهود العزة والمعونة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم
واصحابه فان العزة لله جميعا يعني فان العزة والقدرة والغلبة لله جميعا وهو الذي يعز اولياءه واهل
طاعته كما قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقد نزل عليكم في الكتاب يعني يا معشر المسلمين
في الكتاب يعني القرآن ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها قال المفسرون الذي انزل
عليهم في النهي عن مجالستهم هو قوله تعالى في سورة الانعام واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم
حتى يخوضوا في حديث غيره وهذا نزل بمكة لان المشركين كانوا يخوضون في القرآن ويستهزؤن به في مجالسهم
ثم ان احبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين وكان المنافقون يجلسون اليهم ويخوضون
معهم في الاستهزاء بالقرآن فنهى الله المؤمنين عن القعود معهم بقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث
غيره يعني حتى ياخذوا في حديث آخر غير الاستهزاء بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس دخل في
هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع الى يوم القيامة انكم اذا مثلهم يعني انكم ايها الجالسون
مع المستهزئين بآيات الله ورضيتم بذلك فانتم وهم سواء قال العلماء وهذا يدل على ان من رضي
بالكفر فهو كافر ومن رضي بمنكر او خالط اهله كان في الاثم بمنزلتهم اذا رضي به وان لم يباشره فان جلس
اليهم ولم يرض بفعلهم بل كان ساخطا له وانما جلس على سبيل التقية والخوف فالامر فيه اهون من المجالسة
مع الرضا وان جلس مع صاحب بدعة او منكر ولم يخض في بدعته او منكره فيجوز الجلوس معه مع
الكراهة وقيل لا يجوز بحال والاول اصح ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني
انهم اجتمعوا في الدنيا على الاستهزاء بآيات الله فكذلك يجمعهم في عذاب جهنم يوم القيامة قوله عز وجل
الذين يتربصون بكم نزلت في المنافقين والمعنى ينتظرون ما يحدث بكم من خير او شر فان كان لكم فتح
من الله اي ظفر على عدوكم وغنيمة تنالونها منهم قالوا يعني المنافقين الم نكن معكم يعني في الوقعة
والفتح فاعطونا من الغنيمة وقيل معناه الم نكن على دينكم وان كان للكافرين نصيب اي دولة
وظفر على المسلمين قالوا يعني المنافقين للكفار الم نستحوذ عليكم الاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة يقال علیه
استحوذ على فلان اي غلب عليه والمعنى الم نغلبكم ونتمكن منكم ومن قتالكم واسركم ثم لم نفعل ذلك وقيل
معناه الم نغلبكم على رايكم ونمنعكم من المؤمنين يعني من صولتهم والدخول في دينهم وقيل معناه
الم ندفع عنكم المؤمنين بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا اياكم باخبارهم واسرارهم فهاتوا نصيبنا مما اصبتم
منهم ومراد المنافقين اظهار المنة على الكفار فان قلت لم سمي ظفر المؤمنين فتحا وسمي ظفر الكافرين نصيبا
قلت تعظيما لشأن المؤمنين وتخسيسا لحظ الكفار لان ظفر المسلمين امر عظيم تفتح له ابواب السماء حتى

بمنزلة النصر على المسلمين واما ظفر الكفار فما هو الا حظ دني ونصيب خسيس لا يبقى منه الا ما نالوا في الدنيا
ولهم في الآخرة العقوبة الشديدة على ذلك النصيب الذي نالوه من المسلمين ۞ فالله يحكم بينكم يوم القيامة يعني الفريقين
فريق المؤمنين وفريق المنافقين والمعنى انه وضع السيف عن المنافقين في الدنيا لا لاجل كرامتهم واخر
عذابهم الى يوم القيامة ۞ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ۞ وفيه قولان احدهما وهو قول علي بن ابي طالب
وابن عباس ان المراد به في القيامة بدليل انه عطف على قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة روي ان رجلا سال علي بن ابي طالب
عن هذه الآية ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وهم يقتلوننا فقال ولن يجعل الله للكافرين يوم
القيامة على المؤمنين سبيلا والقول الثاني ان هذا في الدنيا والمعنى ان حجة المؤمنين غالبة في
الدنيا على الكافرين وليس لاحد ان يغلبهم بالحجة وقيل معناه ان الله لم يجعل للكافرين على المؤمنين
سبيلا بان يمحو دولة المؤمنين بالكلية ويستبيح بيضتهم فلا يبقى احد من المؤمنين وقيل
معناه ان الله لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بالشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة
ويتفرع على ذلك مسائل من احكام الفقه منها ان الكافر لا يرث المسلم ومنها ان الكافر ليس له ان
يشتري عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمي بدليل هذه الآية قوله تعالى ان المنافقين
يخادعون الله وهو خادعهم يعني يعاملون الله وهو يجازيهم على خداعهم وقيل معناه يخادعون
رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم يظهرون له الايمان ويبطنون الكفر وهو خادعهم يعني والله يجازيهم بالعقاب
وقيل انهم يعطون نورا يوم القيامة كما يعطى المؤمنون فيمضي المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفأ نور
المنافقين ۞ واذا قاموا الى الصلاة يعني المنافقين ۞ قاموا كسالى يعني متثاقلين وسبب هذا
الكسل انهم يستثقلونها لانهم لا يرجون بفعلها ثوابا ولا يريدون بها وجه الله عز وجل ولا يخافون على
تركها عقابا لان الداعي الى فعلها خوف الناس فلذلك وقع فعلها على وجه الكسل والفتور ۞ يراءون
الناس يعني انهم لا يقومون الى الصلاة الا لاجل الرياء والسمعة لا لاجل الدين ولا يرون انها واجبة عليهم
قال قتادة والله لولا الناس ما صلى منافق ۞ ولا يذكرون الله الا قليلا قال ابن عباس انما قل ذلك
لانهم يفعلونه رياء وسمعة ولو ارادوا بذلك القليل وجه الله لكان كثيرا وقيل لان الله لم يقبله ولو قبله لكان
كثيرا وقيل المراد بذكر الله الصلاة والمعنى انهم لا يصلون الا قليلا لانهم متى لم يكن معهم احد من المؤمنين
فانهم لا يصلون واذا كانوا مع المؤمنين يتكلفون فعلها ۞ مذبذبين بين ذلك يعني انهم متحيرين
مترددين بين الكفر والايمان لانهم ليسوا مع المؤمنين المخلصين ولا مع المشركين المصرحين بالشرك
وهو قوله تعالى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء يعني ليسوا من المؤمنين حتى يجب لهم ما يجب للمؤمنين وليسوا
من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار ۞ ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يعني طريقا الى الهدى
ق عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة . العائرة بالعين المهملة ومعناه
المتحيرة المترددة . الحائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة قوله كمثل الشاة . العائرة
بالعين المهملة ومعناه المتحيرة المترددة لا تدري لاي الغنمين تتبع ومعنى تعير تتردد وتذهب يمينا
وشمالا مرة الى هذه ومرة الى هذه قوله كمثل الشاة . لا تدري الى اين تذهب وهذا مثل المنافق
مرة مع المؤمنين ومرة مع الكافرين او ظاهره مع المؤمنين وباطنه مع الكافرين قوله عز وجل يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين لما ذم الله عز وجل المنافقين بقوله مذبذبين بين ذلك
نهى الله المؤمنين ان يتخلقوا باخلاق المنافقين بقوله لا تتخذوا الكافرين من دون اهل ملتكم ودينكم

تتخلقوا بخلقهم او تجب لكم النار مع المنافقين والسبب في هذا النهي ان الانصار بالمدينة كان لهم في بني
قريظة حلف ومودة ورضاع فقالوا يا رسول الله من نتولى فقال المهاجرين ۞ اتريدون ان تجعلوا لله عليكم
سلطانا مبينا يعني اتريدون ايها المتخذون الكفار اولياء ان تجعلوا لله عليكم حجة وبرهانا بينة باتخاذكم
الكفار اولياء من دون المؤمنين فتستوجبوا بذلك النار ثم بين منزلة المنافقين من النار فقال تعالى ان
المنافقين في الدرك الاسفل من النار يعني في الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات بعضها
فوق بعض سميت طبقات جهنم دركات لانها متداركة متتابعة وقيل الدرك بيت مقفل
عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم وقيل هي توابيت من حديد مقفلة عليهم في النار
فان قلت لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت ان المنافق مثل الكافر في الكفر وزيادة
وهو انه ضم الى كفره نوعا آخر من الكفر او اخبث منه وهو الاستهزاء بالاسلام والمسلمين وافشاء اسرار
المسلمين ونقلها الى الكفار فلهذا السبب جعل الله عذاب المنافقين اشد عذابا من الكفار والمنافق
من اظهر الايمان وابطن الكفر وقيل هو الذي يصف الاسلام بلسانه ولا يعمل بشرائعه ولا يعتقد
بفؤاده ولا يدخل تحت احكامه واما تسميته من ارتكب ما يفسق به منافقا فللتغليظ ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث
كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان فان هذه الخصال صفات المنافقين فمن فعلها فقد
تشبه بالمنافقين وقوله تعالى ولن تجد لهم نصيرا يعني ولن تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصرا ينصرهم من
عذاب الله اذا نزل بهم ثم استثنى الله تعالى من تاب من المنافقين فقال تعالى الا الذين تابوا يعني
من النفاق واصلحوا يعني اصلحوا الاعمال فعملوا بما امر الله به وادوا فرائضه وانتهوا عما نهاهم عنه ۞
واعتصموا بالله يعني تمسكوا بعهد الله وتوثقوا به واخلصوا دينهم لله يعني واخلصوا طاعتهم
واعمالهم التي عملوها لله وارادوا بها وجهه ولم يريدوا رياء وسمعة فهذه الامور الاربعة اذا حصلت فقد
كمل الايمان فلذلك قال تعالى فاولئك يعني التائبين من النفاق ۞ مع المؤمنين يعني في الجنة وقيل مع
بمعنى من اي من المؤمنين ۞ وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما يعني في الآخرة قوله تعالى ما يفعل الله
بعذابكم ان شكرتم وآمنتم هذا استفهام تقرير معناه انه تعالى لا يعذب الشاكر المؤمن فان تعذيبه لا يزيد
في ملكه وتركه عقوبته لا ينقص من سلطانه لانه الغني الذي لا يحتاج الى شيء من ذلك فان عاقب احدا فانما
يعاقبه لامر اوجبه العدل والحكمة فان قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد ابعدتم انفسكم من عذابه قال اهل المعاني
فيه تقديم وتاخير تقديره ان آمنتم وشكرتم لان الايمان مقدم على سائر الطاعات ولان الشكر لا ينفع
مع عدم الايمان ولان الواو لا توجب الترتيب وقيل هو على اصله والمعنى ان العاقل ينظر بعين بصيرته
اولا الى ما عليه من النعم العظيمة في ايجاده وخلقه فيشكر على ذلك شكرا مبهما ثم اذا تم النظر
ثانيا انتهى به النظر الى معرفة المنعم عليه فآمن به ثم شكره شكرا مفصلا فكان ذلك الشكر المبهم
مقدما على الايمان فلذلك قدم الشكر على الايمان في الذكر ۞ وكان الله شاكرا يعني مثيبا عباده
المؤمنين موفيا اجورهم والشكر من الله الرضا بالقليل من اعمال عباده واضعاف الثواب عليه
وقيل لما امر الله عباده بالشكر سمى الجزاء شكرا على سبيل الاستعارة فالمراد من الشاكر في وصفه تعالى
كونه مثيبا على الشكر عليما يعني بحق شكركم وايمانكم فيجازيكم على ذلك قوله عز وجل لا يحب الله الجهر
بالسوء الا من ظلم قال اهل المعاني يعني انه تعالى لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر به ايضا من القول من القول

يعني من القول القبيح ﴿إلا من ظلم﴾ قيل هو استثناء منقطع ومعناه لكن المظلوم يجوز أن يجهر بظلم الظالم قال العلماء
لا يجوز إظهار أحوال الناس المستورة المكتومة لأن ذلك يصير سببا لوقوع الناس في الغيبة ووقوع ذلك الشخص
في الريبة لكن من ظلم فيجوز له إظهار ظلمه فيقول سرق مني أو غصب ونحو ذلك وإن شتم جاز له أن يشتم بمثله ولا
يزيد شيئا على ذلك ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى
الأول وفي رواية فعلى البادئ منهما حتى يعتدي المظلوم أخرجه مسلم قال ابن عباس لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد
إلا أن يكون مظلوما فإنه قد رخص له أن يدعو على من ظلمه وذلك قوله إلا من ظلم وإن صبر فهو خير له وقال
الحسن البصري هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه وليكن ليقل اللهم أعني عليه اللهم استخرج لي حقي اللهم حل
بينه وبين ما يريد ونحوه من الدعاء وقيل نزلت الآية في الضيف إذا نزل بقوم فلم يقروه ولم يحسنوا
ضيافته فله أن يشكو ما صنع به قال مجاهد هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فيخرج من
عنده فيقول أساء ضيافتي وقال مقاتل نزلت في أبي بكر الصديق وذلك أن رجلا نال منه والنبي صلى الله عليه وسلم
حاضر فسكت عنه أبو بكر مرارا ثم رد عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر يا رسول الله شتمني فلم تقل له شيئا
حتى إذا رددت عليه قمت قال إن ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فقمت
ونزلت هذه الآية ﴿وكان الله سميعا﴾ يعني لدعاء المظلوم ﴿عليما﴾ بما في قلبه فليتق الله ولا يقول إلا الحق قوله تعالى
﴿إن تبدوا خيرا﴾ قال ابن عباس يريد من أعمال البر كالصيام والصدقة والضيافة والصلة وقيل معناه إن تبدوا
خيرا بدلا من السوء ﴿أو تخفوه﴾ يعني تخفوا الخير فلم تظهروه وقيل معناه إن تبدوا حسنة فتعملوا بها كتبت لكم
عشرا وإن هممتم بها ولم تعملوها كتبت لكم واحدة وقيل إن جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة في قسمين
أحدهما صدق النية مع الحق والثاني التخلق مع الخلق والذي يتعلق بالخلق ينحصر في قسمين أيضا وهما إيصال
نفع إليهم في السر والعلانية وإليه الإشارة بقوله إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو دفع ضر عنهم وإليه الإشارة بقوله
﴿أو تعفوا عن سوء﴾ فدخل في هاتين الكلمتين جميع أعمال البر وجميع دفع الضرر وقيل المراد بالخير المال والمعنى
إن تبدوا الصدقة فتعطوها الفقراء جهرا أو تخفوها فتعطوها سرا ﴿أو تعفوا عن مظلمة﴾ ﴿فإن الله كان
عفوا قديرا﴾ يعني أنه يزل العفو مع قدرته على الانتقام فاعفوا أنتم عمن ظلمكم واقتدوا بسنة الله عز وجل يعفو عنكم يوم
القيامة لأنها أهل للتي وزد العفو وقيل معناه إن الله كان عفوا لمن عفا قديرا على إيصال الثواب إليه قوله عز وجل
﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله﴾ نزلت في اليهود وذلك أنهم آمنوا بموسى والتوراة وكفروا بعيسى والإنجيل وبمحمد صلى
الله عليه وسلم وعليهم أجمعين والقرآن وقيل نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك أن اليهود آمنوا بموسى
وكفروا بعيسى ومحمد والنصارى آمنوا بعيسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ﴿ويريدون أن يفرقوا
بين الله ورسله﴾ يعني ويريدون أن يفرقوا بين الإيمان بالله والإيمان برسله ولا يصح الإيمان بالله مع التكذيب
ببعض رسله ﴿ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا﴾ يعني بين الإيمان بالبعض دون البعض يتخذون دينا
يذهبون إليه ودينا يتدينون به ﴿أولئك﴾ يعني من هذه صفتهم ﴿هم الكافرون حقا﴾ يعني يقينا وإنما
قال تأكيدا لكفرهم لئلا يتوهم متوهم أن الإيمان ببعض الرسل يزيل اسم الكفر عنهم وليعلم أن الكفر ببعض
الأنبياء كالكفر بكلهم لأن الدليل الذي يدل على نبوة البعض وهو المعجز لزم منه أنه حيث وجدت المعجزة
حصلت النبوة وقد وجدت المعجزة لجميع الأنبياء فلزم الإيمان بجميعهم ﴿وأعتدنا﴾ يعني وهيأنا ﴿للكافرين عذابا مهينا﴾
يعني يهانون فيه ﴿والذين آمنوا بالله ورسله﴾ يعني والذين صدقوا بوحدانية الله وبنبوة جميع أنبيائه وأن جميع ما
جاؤوا به من عند الله حق وصدق ﴿ولم يفرقوا بين أحد منهم﴾ يعني من الرسل بل آمنوا بجميعهم وهم المؤمنون

أولئك

﴿أولئك﴾ يعني من هذه صفتهم ﴿سوف نؤتيهم أجورهم﴾ يعني جزاء إيمانهم بالله وبجميع كتبه ورسله ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ يعني
أنه تعالى لما وعدهم بالثواب أخبرهم أنه يتجاوز عن سيئاتهم ويغفرها لهم ويرحمهم نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه وكانوا من اليهود والنصارى
في الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لأنهم إذا آمنوا غفر لهم ما كان منهم في حال الكفر قوله تعالى ﴿يسألك أهل الكتاب﴾ يعني يسألك
يا محمد أهل الكتاب يعني اليهود وذلك أن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازوراء من اليهود قالا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم إن كنت نبيا فأتنا بكتاب جملة واحدة من السماء كما أتى موسى بالتوراة وقيل سألوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ﴿أن تنزل عليهم كتابا من السماء﴾ مختصا بهم وقيل سألوه أن ينزل عليهم كتابا
إلى فلان وكتابا إلى فلان يشهد لك بأنك رسول الله وكان هذا السؤال من اليهود سؤال تعنت واقتراح
لا سؤال استرشاد وانقياد والله عز وجل لا ينزل الآيات على اقتراح العباد ولأن معجزات الرسول صلى الله
عليه وسلم كانت قد تقدمت وظهرت فكان طلب الزيادة من باب التعنت وقوله تعالى ﴿فقد سألوا
موسى أكبر من ذلك﴾ يعني أعظم من الذي سألوك يا محمد فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتوبيخ وتقريع
لليهود حيث سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال التعنت والمعنى لا يعظمن عليك يا محمد سؤالهم
ذلك فإنهم من فرط جهلهم واجترائهم على الله لو أتيتهم بكتاب من السماء لما آمنوا بك وإنما أسند السؤال
إلى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وإن وجد هذا السؤال من آبائهم الذين كانوا في أيام موسى
عليه السلام لأنهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومشاكلين لهم في التعنت ﴿فقالوا﴾ يعني أسلاف
هؤلاء اليهود ﴿أرنا الله جهرة﴾ يعني عيانا والمعنى أرنا نره جهرة وذلك أن سبعين من بني إسرائيل خرجوا
مع موسى عليه السلام إلى الجبل فقالوا ذلك وقد تقدمت القصة في سورة البقرة ﴿فأخذتهم الصاعقة بظلمهم﴾
يعني بسبب ظلمهم وسؤالهم الرؤية ﴿ثم اتخذوا العجل﴾ يعني إلها وهم الذين خلفهم موسى مع أخيه
هارون حين خرج إلى ميقات ربه ﴿من بعد ما جاءتهم البينات﴾ يعني الدلالات الواضحات الدالة
على صدق موسى وهي العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات الباهرة ﴿فعفونا عن ذلك﴾ يعني عن
ذلك الذنب العظيم فلم نستأصل عبدة العجل والمقصود من هذا التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى
أن هؤلاء الذين يطلبون منك يا محمد أن تنزل عليهم كتابا من السماء إنما يطلبونه عنادا وإلا فقد جاءهم
قد أنزلت التوراة جملة واحدة على موسى وآتيناه من المعجزات الباهرات والآيات البينات ما فيه كفاية
ثم إنهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد وعبدوا العجل وكل ذلك يدل على جهلهم وأنهم مجبولون على اللجاج والعناد
وفي قوله فعفونا عن ذلك استدعاء إلى التوبة والمعنى أن أولئك الذين أجرموا لما تابوا عفونا عنهم فتوبوا
أنتم نعف عنكم ﴿وآتينا موسى سلطانا مبينا﴾ يعني حجة واضحة تدل على صدقه وهي المعجزات الباهرات
التي أعطاها الله عز وجل لموسى عليه السلام قوله عز وجل ﴿ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم﴾ يعني ورفعنا فوقهم
الجبل المسمى بالطور بسبب أخذ ميثاقهم وذلك أن بني إسرائيل امتنعوا من قبول التوراة والعمل بما
فيها فرفع الله فوقهم الطور حتى أظلهم لئلا ينقضوا العهد والميثاق ﴿وقلنا﴾ يعني والطور
مظلهم ﴿ادخلوا الباب سجدا﴾ في تفسيره دخلوا وهم يزحفون على أستاههم ﴿وقلنا لهم﴾ يعني والطور
﴿لا تعدوا في السبت﴾ يعني وقلنا لهم لا تعتدوا في يوم السبت إلى ما لا يحل لكم فيه وذلك أنهم نهوا أن
يصطادوا السمك في يوم السبت فتعدوا واعتدوا واصطادوا فيه وقيل المراد به النهي عن العمل والكسب
في يوم السبت ﴿وأخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾ يعني وأخذنا منهم عهدا مؤكدا شديدا بأنهم يعملون

بما امرهم الله به وان ينتهوا عما نهاهم عنه ثم انهم نقضوا ذلك الميثاق وهو قوله فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وسخطنا
عليهم وفعلنا بهم ما فعلنا ٥ وكفرهم بايات الله وجحودهم بايات الله الدالة على صحة نبوة انبيائهم وصدق انبيائه ٥ وقتلهم
الانبيا يعني بعد قيام الحجة والدلالة على صحة نبوتهم ٥ بغير حق يعني بغير استحقاق لذلك القتل وقولهم قلوبنا غلف يعني
وبقولهم على قلوبنا اغطية وغشاوة فهي لا تفقه ما تقول جمع اغلف وقيل هو جمع غلاف يعني قلوبنا اوعية
للعلم فلا حاجة بنا الى ما تدعونا اليه فرد الله عليهم بقوله بل طبع الله عليها بكفرهم يعني بل ختم الله على قلوبهم بسبب
كفرهم ٥ فلا يؤمنون الا قليلا يعني ايمانهم بموسى والتورية وكفرهم بما سواه من الانبيا والكتب وقيل لا يؤمنون
قليلا ولا كثيرا وقيل المراد بالقليل هو عبد الله بن سلام واصحابه الذين امنوا من اليهود قوله تعالى
وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني حين رموها بالزنا وذلك انهم انكروا قدرة الله تعالى على خلق
الولد من غير اب ومنكر قدرة الله كافر فالمراد بقوله وبكفرهم هو انكارهم قدرة الله تعالى والمراد بقولهم على
مريم بهتانا عظيما هو رميهم اياها بالزنا وانما سماه بهتانا عظيما لانه قد ظهر عند ولادة مريم من المعجزات ما يدل
على برائتها من ذلك فلهذا السبب وصف الله قول اليهود على مريم بالبهتان العظيم قوله عز وجل وقولهم
انا قتلنا المسيح ابن مريم رسول الله ادعت اليهود انهم قتلوا عيسى عليه السلام وصدقتهم النصارى
على ذلك فكذبهم الله عز وجل جميعا ورد عليهم بقوله وما قتلوه وما صلبوه وفي قوله رسول الله قولان
احدهما انه من قول اليهود فيكون المعنى انه رسول الله على زعمه والقول الثاني انه من قول الله لا على وجه
الحكاية عنهم وذلك ان الله ابدل ذكرهم في عيسى عليه السلام القول القبيح بالقول الحسن رفعا لدرجته
عما كانوا يذكرونه من القول القبيح بالقول الحسن رفعا لدرجته عما كانوا يذكرونه من القول القبيح وقوله تعالى
ولكن شبه لهم يعني القي شبه عيسى على غيره حتى قتل وصلب واختلف العلماء في صفة التشبيه الذي شبه على
اليهود في امر عيسى عليه السلام فروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه انه قال اتى اليهود عيسى ومعه سبعة عشر
من الحواريين في بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا
لتبرزن لنا عيسى او لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لاصحابه من يشتري نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل
منهم انا فخرج اليهم وقال انا عيسى وقد صوره الله على صورة عيسى فاخذوه فقتلوه وصلبوه فمن ثم
شبه لهم وظنوا انهم قد قتلوا عيسى وظنت النصارى مثل ذلك ورفع الله عز وجل عيسى من يومه ذلك
وفي رواية اخرى عن وهب ان عيسى عليه السلام قال لاصحابه ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ثلاث
مرات وليبيعني بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعون
احد الحواريين فقالوا هذا من اصحاب عيسى فجحد وقال ما انا بصاحبه فتركوه ثم اخذه اخر فجحد كذلك
فلما اصبح اتى بعض الحواريين الى اليهود وكان منافقا فقال ما تجعلون لي ان ادلكم على المسيح
فجعلوا له ثلثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله شبه عيسى على ذلك المنافق الذي دل عليه فاخذوه فقتلوه
وصلبوه وهم يظنون انه عيسى وقال قتادة ان اعداء الله اليهود زعموا انهم قتلوا عيسى وصلبوه
وذكر لنا ان نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهي وله الجنة فانه مقتول فقال
رجل منهم انا يا نبي الله فاخذ ذلك الرجل فقتل وصلب قال الله تعالى ٥ ما لهم به من علم يعني انهم قتلوا من قتلوه
على شك منهم فيه ولم يعرفوا حقيقة ذلك المقتول هل هو عيسى ام غيره ٥ الا اتباع الظن يعني لكن
يتبعون الظن في قتله ظنا منهم انه عيسى لا عن علم وحقيقة ٥ وما قتلوه يقينا قال ابن عباس لم يقتلوا ظنهم يعني م

يقينا

يقينا والمعنى لم يتحقق هذا القول يكون الهاء في قتلوه عايدة على الظن والمعنى ما قتلوا ذلك الظن يقينا ولم يزل ظنهم
ولم يرتفع ما كان قد وقع لهم من الشبه في قتله فهو كقول العرب قتلته علما وقتلته يقينا يعني علمه علما تاما واصل
ذلك ان القتل للشيء يكون عن قهر واستيلا وغلبة ومعنى الاية على هذا لم يكن علمهم بقتل عيسى علما كاملا
تاما انما كان ظنا منهم انهم قتلوه ولم يكن لذلك حقيقة وقيل ان الهاء في قتلوه عايدة على عيسى والمعنى
وما قتلوا المسيح يقينا كما ادعوا انهم قتلوه وقيل ان قوله يقينا يرجع الى ما بعده تقديره وما
قتلوه ٥ بل رفعه الله اليه يقينا والمعنى انهم لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه ولكن الله عز وجل رفعه اليه
وطهره من الذين كفروا وخلصه ممن اراد به السوء وقد تقدم كيف كان رفعه في سورة ال عمران بما فيه
كفاية وقوله تعالى وكان الله عزيزا يعني في اقتداره على من يشاء من عباده ٥ حكيما يعني في انجاء
عيسى عليه السلام وتخليصه من اليهود وقيل عزيزا يعني منيعا منتقما من اليهود فسلط الله عليهم
بطيطوس بن اسفسيانوس الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة حكيما حكم باللعنة والغضب على
اليهود حيث ادعوا هذه الدعوى الكاذبة قوله تعالى وان من اهل الكتاب يعني وما من احد من اهل
الكتاب ٥ الا ليؤمنن به يعني بعيسى عليه السلام وانه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته هذا قول ابن عباس
واكثر المفسرين وقال عكرمة في قوله الا ليؤمنن به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لا وجه له لانه لم
يجر للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه الاية حتى يرجع الضمير اليه وقول الاكثرين اولى لانه تقدم ذكر عيسى
عليه السلام فكان عود الضمير اليه اولى ٥ قبل موته اختلف المفسرون في هذا الضمير الى من يرجع فقال
ابن عباس واكثر المفسرين ان الضمير يرجع الى الكتابي والمعنى وما من احد من اهل الكتاب الا امن
بعيسى قبل موت ذلك الكتابي ولكن يكون ذلك الايمان عند الحشرجة حين لا ينفعه ايمانه قال ابن عباس
معناه انه اذا وقع في اليأس حين لا ينفعه ايمانه سواء احترق او تردى من شاهق او سقط عليه
جدار او اكله سبع او مات فجأة فقيل له ارايت ان خر من فوق بيت قال يتكلم به في الهوا فقيل
له ارايت ان ضربت عنقه قال يتلجلج بها لسانه وقال شهر بن حوشب ان اليهودي اذا حضره
الموت ضربت الملايكة وجهه ودبره وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول امنت
انه عبد الله ورسوله وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله وابن الله فيقول امنت انه عبد الله
فاهل الكتاب يؤمنون به ولكن حيث لا ينفعهم ذلك الايمان وذهب جماعة من اهل التفسير الى
ان الضمير يرجع الى عيسى عليه السلام وهو رواية عن ابن عباس ايضا والمعنى وما من احد من
اهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء في اخر الزمان فلا يبقى
احد من اهل الكتاب الا امن بعيسى حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام قال عطا اذا نزل عيسى
الى الارض لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا احد يعبد غير الله الا امن بعيسى وانه عبد الله وكلمته ويدل
على صحة هذا القول ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية
ويفيض المال حتى لا يقبله احد زاد في رواية حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما
فيها ثم يقول ابو هريرة اقرءوا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الاية وفي رواية
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير

وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد أخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على أن عيسى ينزل في آخر الزمان في هذه الأمة ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه لا ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل يكون حاكما من حكام هذه الأمة وإماما من أئمتهم لقوله صلى الله عليه وسلم فيكسر الصليب يعني يكسره حقيقة ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه وكذلك قتله الخنزير وقوله ويضع الجزية يعني لا يقبلها ممن بذلها من اليهود والنصارى ولا يقبل من أحد إلا الإسلام أو القتل وعلى هذا قد يقال هذا خلاف ما هو حكم الشرع اليوم فإن الكتابي إذا بذل الجزية وجب قبولها منه ولم يجز قتله ولا إجباره على الإسلام والجواب أن هذا الحكم ليس مستمرا إلى يوم القيامة بل هو مقيد بما قبل نزول عيسى عليه السلام وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس الناسخ هو عيسى عليه السلام بل الناسخ لهذا الحكم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه هو المبين للنسخ فإن عيسى عليه السلام يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فدل على أن الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والله أعلم قال الزجاج هذا القول بعيد يعني قول من قال إن إيمان أهل الكتاب بعيسى إنما يكون عند نزوله في آخر الزمان قال لعموم قوله تعالى وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته قال والذين يبقون يومئذ يعني عند نزوله شرذمة قليلة منهم وأجاب أصحاب هذا القول يعني الذين يقولون إن إيمان أهل الكتاب بعيسى إنما يكون عند نزوله في آخر الزمان لا ينكرون أن هذا على العموم ولكن المراد بهذا العموم الذين يشاهدون ذلك الوقت ويدركون نزوله فيؤمنون به ويكون معنى الآية وما من أحد من أهل الكتاب يدرك ذلك الوقت إلا آمن بعيسى عند نزوله من السماء وصحح الطبري هذا القول وقال عكرمة في معنى الآية وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موت الكتابي فلا يموت يهودي ولا نصراني حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك عند المعاينة حين لا ينفعه إيمانه قوله تعالى ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا يعني يكون عيسى عليه السلام شاهدا على اليهود أنهم كذبوه وطعنوا فيه وعلى النصارى أنهم اتخذوه ربا وأشركوا به وليشهد على تصديق من صدقه منهم وآمن به قال قتادة معناه أنه يكون شهيدا عليهم أنه قد بلغ رسالة ربه وأقر على نفسه بالعبودية قوله عز وجل فبظلم من الذين هادوا يعني فبسبب ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم يعني ما حرمنا عليهم الطيبات التي كانت حلالا لهم إلا بظلم عظيم ارتكبوه وذلك الظلم هو ما ذكره من نقضهم الميثاق وما عدد عليهم من أنواع الكفر والكبائر العظيمة مثل قولهم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة وقولهم أرنا الله جهرة وكعبادتهم العجل فبسبب هذه الأمور حرم الله عليهم طيبات كانت حلالا عليهم وهي ما ذكره في سورة الأنعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية وقال الطبري في معنى الآية فحرمنا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذي واثقوه وكفروا بآيات الله وقتلوا أنبياءهم وقالوا البهتان على مريم وفعلوا ما وصفهم الله به في كتابه طيبات من المآكل وغيرها التي كانت لهم حلالا عقوبة لهم بظلمهم الذي أخبر الله عنهم في كتابه وروي عن قتادة قال عوقب القوم بظلم ظلموه وبغي بغوه حرمت عليهم أشياء ببغيهم وظلمهم

ونقل الواحدي وابن الجوزي عن مقاتل قال كان الله حرم على أهل التوراة أن يأكلوا الربا ونهاهم أن يأكلوا أموال الناس ظلما فأكلوا الربا وأكلوا أموال الناس ظلما بالباطل وصدوا عن دين الله وعن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فحرم الله عليهم عقوبة لهم ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية قال الواحدي فأما وجه تحريم الطيبات عليهم كيف ومتى كان وعلى لسان من حرم عليهم فلم أجد فيه شيئا انتهى إليه فتركته ولقد أنصف الواحدي فيما قال فإن هذه الآية في غاية الإشكال وبيانه أن الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه وقد ذكر المفسرون في معنى الظلم المذكور في الآية ما تقدم ذكره وكلها ذنوب في المستقبل فإن قلت علم الله تعالى وقوع هذه الذنوب منهم قبل وقوعها فحرم عليهم ما حرم من الطيبات التي كانت لهم حلالا عقوبة لهم على ما سيقع منهم قلت جوابه ما تقدم وهو أن الله لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه ولهذا لم يذكر الإمام فخر الدين في تفسير هذه الآية ما ذكره المفسرون بل ذكر تفسيرا إجماليا فقال اعلم أن أنواع الذنوب محصورة في نوعين الظلم للخلق والإعراض عن الدين الحق أما ظلم الخلق فإليه الإشارة بقوله وبصدهم عن سبيل الله ثم إنهم مع ذلك في غاية الحرص على طلب المال فتارة يحصلونه بطريق الربا مع أنهم قد نهوا عنه وتارة يحصلونه بطريق الرشا وهو المراد بقوله وأكلهم أموال الناس بالباطل فهذه الأربعة هي الذنوب التي شدد عليهم بسببها في الدنيا وفي الآخرة أما التشديد في الدنيا فهو ما تقدم من تحريم الطيبات عليهم وأما التشديد في الآخرة فهو المراد بقوله وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما قال المفسرون إنما قال منهم لأن الله علم أن قوما منهم سيؤمنون فيأمنون من العذاب قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم يعني من اليهود وهذا استثناء استثنى الله عز وجل من آمن من أهل الكتاب ووصفهم وصفتهم في الآيات التي تقدمت فبين فيما تقدم حال كفار اليهود والجهال منهم وبين في هذه الآية حال من هداه الله منهم وأرشده للعمل بما علم فقال لكن الراسخون في العلم ولكن هنا بمعنى الاستدراك والاستثناء والراسخون في العلم الثابتون البالغون فيه أولو البصائر الثاقبة والعقول الصافية وهم عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من أهل الكتاب لأنهم رسخوا في العلم وعرفوا حقيقته فأوصلهم ذلك إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون يعني بالله ورسله يؤمنون بما أنزل إليك يعني بالقرآن أنزل إليك وما أنزل من قبلك يعني ويؤمنون بسائر الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه من قبلك يا محمد وفي المراد بالمؤمنين هاهنا قولان أحدهما أنهم أهل الكتاب فيكون المعنى لكن الراسخون في العلم منهم وهم المؤمنون والقول الثاني أنهم المهاجرون والأنصار من هذه الأمة فيكون قوله والمؤمنون ابتداء كلام مستأنف يؤمنون بما أنزل إليك يعني أنهم يصدقون بالقرآن الذي أنزل إليك يا محمد وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة اختلف العلماء في وجه نصبه فحكي عن عائشة وأبان بن عثمان أنه غلط من الكتاب ينبغي أن يكتب والمقيمون الصلاة وقال عثمان بن عفان إن في المصحف لحنا ستقيمه العرب بألسنتها فقيل له ألا تغيره فقال دعوه فإنه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وذهب عامة الصحابة وسائر العلماء من بعدهم إلى أنه لفظ صحيح ليس فيه خطأ من كاتب ولا غيره وأجيب عما روي عن عثمان وعائشة وأبان بن عثمان بأن هذا بعيد جدا لأن الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة والفصاحة والقدوة على ذلك فكيف يتركون في كتاب الله لحنا يصلحه غيرهم فلا ينبغي أن ينسب هذا إليهم قال ابن الأنباري ما روي عن عثمان لا يصح لأنه غير متصل ومحال أن يؤخر عثمان شيئا فاسدا ليصلحه غيره ولأن القرآن منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

كثيرا او عدوا

الطيبات ٢

فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه وقال الزمخشري في الكشاف ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط
المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب يعني كتاب سيبويه ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب
على الاختصاص والمدح من الافتنان وهو باب واسع قد ذكره سيبويه على امثلة وشواهد وربما غفل عن
ان السابقين الاولين كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله
عز وجل ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرقعه من يلحق بهم ثم اختلف العلماء في المقيمين الصلاة اهم الراسخون
في العلم ام غيرهم على قولين احدهما انهم هم وانما نصب على المدح والمعنى اذكر المقيمين الصلاة وهم المؤتون
الزكاة قالوا والعرب تفعل ذلك في صفة الشيء الواحد ونعته اذا تطاولت بمدح او ذم فربما خالفوا بين
اعراب اوله واوسطه احيانا ثم رجعوا بالاعراب وربما اجروا اعراب آخره على اعراب اوسطه وربما اجروا الي ه
ذلك على نوع واحد من الاعراب واستشهدوا على معنى الآية لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة
الجزر النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الازر على معنى اذكر النازلين وهم الطيبون ومن
هذا المعنى تقول جاءني قومك المطعمين وهم المغيثون والقول الثاني ان المقيمين الصلاة غير الراسخين
في العلم وموضع والمقيمين الصلاة خفض بالعطف على قوله تعالى بما انزل اليك وعلى هذا القول يكون
معنى الآية والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالمقيمين الصلاة وهم الانبياء لانه لم
يخل شرع احد منهم من اقامة الصلاة وقيل المراد بهم الملائكة لانهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وصحح الزجاج القول الاول واختاره وصحح الطبري القول الثاني واختاره وقوله تعالى والمؤتون الزكاة عطف
على والمؤمنون لانه من صفتهم والمؤمنون بالله واليوم الآخر يعني والمصدقون بوحدانية الله وبالبعث بعد
الموت وبالثواب والعقاب اولئك يعني من هذه صفته سنؤتيهم اجرا عظيما يعني سنعطيهم على ما كان الا وصافه
منهم من طاعة الله واتباع امره ثوابا عظيما وهو الجنة قوله عز وجل انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح
والنبيين من بعده قال ابن عباس قال سكين وعدي بن زيد يا محمد ما نعلم ان الله انزل على بشر من
شيء بعد موسى فانزل الله هذه الآيات وقيل هو جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ينزل عليهم كتابا من السماء جملة واحدة فاجاب الله عز وجل عن سؤالهم بهذه الآية فقال انا اوحينا
اليك يا محمد كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده والمعنى انكم يا معشر اليهود تقرون بنبوة نوح وجميع
الانبياء المذكورين في هذه الآية وهم اثنا عشر نبيا والمعنى ان الله تعالى اوحى الى هؤلاء الانبياء وانتم يا معشر
اليهود معترفون بذلكم وما انزل الله على احد من هؤلاء المذكورين كتابا جملة واحدة على حد مثل ما انزل
على موسى فلما لم يكن عدم انزال الكتاب جملة واحدة على احد هؤلاء الانبياء قادحا في نبوته فكذلك لم يكن
انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قادحا في نبوته بل قد انزل عليه كما انزل عليهم قال المفسرون وانما
بدا الله عز وجل بذكر نوح عليه السلام لانه اول نبي بعث بشريعة واول نذير على الشرك وانزل الله عز وجل
عليه عشر صحائف وكان اول من عذبت امته لردهم دعوته واهلك اهل الارض بدعائه وكان ابا البشر
كآدم عليهما السلام وكان اطول الانبياء عمرا عاش الف سنة لم تنقص قوته ولم يشب ولم ينقص
له سن وصبر على اذى قومه طول عمره ثم ذكر الله الانبياء من بعده جملة بقوله تعالى والنبيين
من بعده ثم خص جماعة من الانبياء بالذكر لفضلهم وشرفهم فقال واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط وهم اولاد يعقوب وكانوا اثني عشر وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان
وآتينا داود زبورا يعني وآتينا داود كتابا مزبورا يعني مكتوبا وقيل الزبور بالفتح اسم للكتاب

الذي انزل على داود وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل كلها تسبيح وتقديس وتحميد
وثناء على الله عز وجل ومواعظ وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية فيقوم ويقرأ الزبور ويقوم علماء بني اسرائيل
خلفه ويقوم الناس خلف العلماء ويقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب التي في الجبال
فيقمن بين يديه وترفرف الطير على رؤوس الناس يستمعون لقراءة داود ويتعجبون منها فلما قارف الذنب
زال عنه ذلك وقيل له كان ذلك انس الطاعة وهذا ذل المعصية ق عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتني البارحة وانا استمع لقراءتك لقد اعطيت مزمارا من مزامير آل
داود قال الحميدي زاد البرقاني قلت والله يا رسول الله لو علمت انك تستمع لقراءتي لحبرتها لك تحبيرا
التحبير تحسين الصوت بالقراءة قال بعض العلماء انما لم يذكر موسى عليه السلام في هذه الآية لان الله تعالى
انزل عليه التوراة جملة واحدة وكان المقصود بذكر من ذكر من الانبياء في الآية انه لم ينزل على احد منهم
كتابا جملة واحدة فلهذا لم يذكر موسى عليه السلام قوله تعالى ورسلا قد قصصناهم عليك من
قبل لما نزلت هذه الآية قالت اليهود ما لموسى لم يذكر فانزل الله هذه الآية وفيها ذكر موسى عليه السلام
والمعنى واوحينا الى رسل قد قصصناهم عليك من قبل يعني سميناهم في القرآن وعرفناك اخبارهم
والى من بعثوا وما رد عليهم قومهم ورسلا لم نقصصهم عليك اي لم نسمهم لك ولم نعرفك اخبارهم
قال اهل المعاني الذين ذكرهم الله من الانبياء يدل على تفضيلهم على من لم يذكر ولم يسم وقوله
تعالى وكلم الله موسى تكليما يعني خاطبه مخاطبة من غير واسطة لان تأكيد كلم بالمصدر يدل
على تحقيق الكلام وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك لان افعال المجاز لا تؤكد بالمصدر
فلا يقال اراد الحائط يسقط ارادة وهذا رد على من يقول ان الله تعالى خلق كلاما في محل فسمع
موسى ذلك الكلام وقال الفراء العرب تسمي كل ما يوصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل لكن لا تحققه
بالمصدر فاذا حقق بالمصدر لم يكن الا حقيقة الكلام فدل قوله تعالى تكليما على ان موسى سمع كلام
الله حقيقة من غير واسطة روى الطبري بسنده من عدة طرق عن كعب الاحبار قال لما كلم
الله عز وجل موسى عليه السلام كلمه بالالسنة كلها قبل كلامه يعني كلام موسى بلسانه
فجعل موسى يقول يا رب لا افهم حتى كلمه بلسانه آخر الالسنة فقال يا رب هكذا كلامك قال لو سمعت
كلامي يعني على وجهه لم تك شيئا قال موسى يا رب هل في خلقك شيء يشبه كلامك قال لا واقرب خلقي شبها
بكلامي اشد ما يسمع الناس من الصواعق قال بعض العلماء كما ان الله تعالى خص موسى عليه السلام
بالتكليم وشرفه به ولم يكن ذلك قادحا في نبوة غيره من الانبياء فكذلك انزال التوراة عليه جملة
واحدة لم يكن قادحا في نبوة من انزل عليه كتابا مفرقا من الانبياء قوله عز وجل رسلا مبشرين
ومنذرين يعني انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ومن ارسل اليهم رسلا
الى الخلق مبشرين من اطاعني واتبع امري وصدق رسلي بالثواب الجزيل في الجنة ومنذرين من عصاني
وخالف امري وكذب رسلي بالعقاب الاليم في النار وقيل جواب عن سؤال اليهود انزال الكتاب جملة
واحدة والمعنى ان المقصود من بعثة الرسل هو ارشاد الخلق الى معرفة الله وتوحيده والايمان به
والاشتغال بعبادته وانذار من خالف ذلك وهذا المقصود يحصل بانزال الكتاب جملة واحدة وبانزاله
نجوما متفرقة بل انزاله متفرقا اولى وذلك لان النفوس قبل بعثة الرسل وانزال الكتب عليهم لم تكن
تعرف شيئا من العبادات ولو كان انزال الكتاب جملة واحدة وفيه جميع التكاليف ربما حصل في بعض

العنت دنوا من تلك التكاليف وتثقل عليهم كما أخبر عن قوم موسى بقوله تعالى وإذ نتقنا الجبل فوقهم
كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فلم يقبلوا أحكام التوراة إلا بعد شدة
فلهذا السبب كان إنزال الكتاب نجوما متفرقا أولى وقوله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
يعني بعد إرسال الرسل وإنزال الكتب والمعنى لئلا يحتج الناس على الله في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا
ما أرسلت إلينا رسولا وما أنزلت علينا كتابا ففيه دليل على أنه لو لم يبعث الرسل لكان للناس عليه حجة
في ترك التوحيد والطاعة وفيه دليل على أن الله لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل كما قال الله تعالى وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا وفيه دليل لمذهب أهل السنة على أن معرفة الله تعالى لا تثبت إلا بالسمع لأن قوله لئلا يكون للناس
حجة بعد الرسل يدل على أن قبل بعثة الرسل يكون لهم حجة في ترك الطاعات والعبادات فإن قلت كيف يكون
للناس على الله حجة قبل الرسل والخلق محجوجون بما نصب من الأدلة التي النظر فيها موصل إلى معرفته وفي
كل شيء له آية تدل على أنه واحد قلت الرسل منبهون عن رقاد الغفلة والجهالة وباعثون الخلق على النظر في تلك الأدلة
التي تدل على وحدانية الله سبحانه وتعالى ومبينون لها وهم وسائط بين الله وخلقه ومبينون أحكام الله التي أوجبها
على عباده ومبلغون رسالاته إليهم (ق) عن المغيرة بن شعبة قال قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته
بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغير منه والله أغير مني ومن
أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين
ولا أحد أحب إليه المدحة من الله من أجل ذلك وعد الجنة لفظ البخاري وفي لفظ مسلم ولا شخص أحب إليه العذر
من الله ومن أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين وقوله تعالى وكان الله عزيزا يعني في انتقامه
ممن خالف أمره وعصى رسله حكيما يعني في إرسال الرسل قوله تعالى لكن الله يشهد بما أنزل إليك قال
ابن عباس دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود فقال لهم إني والله أعلم إنكم لتعلمون أني رسول الله
فقالوا ما نعلم ذلك فأنزل الله هذه الآية وفي رواية عن ابن عباس أن رؤساء مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
يا محمد إنا سألنا عنك اليهود وعن صفتك في كتابهم فزعموا أنهم لا يعرفونك فأنزل الله عز وجل لكن الله يشهد بما أنزل إليك
يعني إن جحدك هؤلاء اليهود يا محمد وكذبوا بما أوحينا إليك وقالوا ما أنزل الله على بشر من شيء فقد كذبوا فيما أخبروا
فإن الله يشهد لك بالنبوة ويشهد بما أنزل إليك من كتابه ووحيه والمعنى إن اليهود وإن شهدوا أن القرآن
لم ينزل عليك يا محمد لكن الله يشهد بأنه أنزله عليك وشهادة الله إنما عرفت بسبب أنه أنزل هذا القرآن البالغ
في الفصاحة حد البلاغة حيث عجز الأولون والآخرون عن معارضته والإتيان بمثله فكان ذلك معجزا
وإظهار المعجزة شهادة بكون الوحي صادقا لا جرم قال الله تعالى لكن الله يشهد لك يا محمد بالنبوة بواسطة هذا
القرآن الذي أنزل إليك أنزله بعلمه يعني أنه تعالى لما قال لكن الله يشهد بما أنزل الله بين صفة ذلك الإنزال وهو
أنه تعالى أنزله بعلم تام وحكمة بالغة وقيل معناه أنزله وهو عالم بأنك أهل لإنزاله عليك وإنك مبلغه
إلى عباده وقيل معناه أنزله بما علم من مصالح عباده في إنزاله عليك والملائكة يشهدون بأن
الله أنزله عليك ويشهدون بتصديقك وإنما عرفت شهادة الملائكة لأن الله تعالى إذا شهد بشيء
شهدت الملائكة بذلك الشيء وقد ثبت أن الله يشهد بأنه أنزله بعلمه فكذلك الملائكة يشهدون بذلك وكفى
بالله شهيدا يعني وحسبك يا محمد بأن الله يشهد لك وكفى به شهيدا وإن لم يشهد معه أحد غيره ففيه تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم عن شهادة أهل الكتاب له فإن الله يشهد له وملائكته كذلك قوله عز وجل إن الذين كفروا
يعني جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود وصدوا عن سبيل الله يعني منعوا غيرهم عن الإيمان به بكتمان صفته

وألقى الشبهات في قلوب الناس وهو قولهم لو كان محمد صلى الله عليه وسلم رسولا لأتى بكتاب من السماء جملة واحدة كما أتى موسى بالتوراة
قد ضلوا ضلالا بعيدا يعني عن طريق الهدى إن الذين كفروا وظلموا يعني كفروا بالله وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتمان صفته
وظلموا غيرهم بإلقاء الشبه في قلوبهم لم يكن الله ليغفر لهم يعني لمن علم منهم أنهم يموتون على الكفر وقيل معناه لم يكن
الله ليغفر لهم يعني لمن علم منهم أنهم يموتون على الكفر وقيل معناه لم يكن الله ليستر عليهم قبائح أفعالهم بل
يفضحهم في الدنيا ويعاقبهم عليها بالقتل والسبي والجلاء وفي الآخرة بالنار وهو قوله ولا ليهديهم طريقا يعني
ينجون فيها من النار وقيل ولا ليهديهم طريقا إلى الإسلام لأنه قد سبق في علمه أنهم لا يؤمنون إلا طريق جهنم
يعني لكنه تعالى يهديهم الطريق يؤدي إلى جهنم وهي اليهودية لما سبق في علمه أنهم أهل لذلك خالدين فيها يعني
في جهنم أبدا وكان ذلك على الله يسيرا يعني هينا قوله تعالى يا أيها الناس هذا خطاب عام يدخل فيه جميع
الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الأصنام وغيرهم وقيل هو خطاب لمشركي العرب قد جاءكم الرسول يعني محمدا صلى
الله عليه وسلم بالحق يعني بدين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده وقيل جاء بالقرآن الذي هو الحق من ربكم
يعني من عند ربكم فآمنوا خيرا لكم يعني فآمنوا بما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم يكن الإيمان بذلك خيرا لكم يعني من
الكفر الذي أنتم عليه وإن تكفروا يعني وإن تكفروا وتجحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذبوا بما جاءكم به من الحق من
ربكم فإن لله ما في السماوات والأرض يعني فإن الله هو الغني عنكم لأن له ما في السماوات والأرض ملكا وعبيدا
ومن كان كذلك لم يكن محتاجا إلى شيء وإنه قادر على ما يشاء وكان الله عليما يعني بما يكون منكم لا يخفى عليه شيء من
أعمال عباده فيجزي كل عامل بعمله حكيما يعني في تكليفكم مع علمه بما يكون منكم قوله عز وجل يا أهل الكتاب نزلت
هذه الآية في النصارى وذلك أن الله تعالى لما أجاب عن شبه اليهود فيما تقدم من الآيات أتبع ذلك بإبطال ما
تعتقده النصارى وأصناف النصارى أربعة اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقوسية فأما
اليعقوبية والملكانية والنسطورية فقالوا في عيسى إنه الله وقالت النسطورية إنه ابن الله وقالت المرقوسية
ثالث ثلاثة وقيل إنهم يقولون إن عيسى جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم روح
القدس وإنهم يريدون بأقنوم الأب الذات وبأقنوم الابن عيسى وبأقنوم روح القدس الحياة التي له
فيه فتقديره عندهم الإله ثلاثة وقيل إنهم يقولون في عيسى ناسوتية وألوهية فناسوتيته من قبل
الأم وألوهيته من قبل الأب تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا تعالى أن الذي أظهر هذا للنصارى رجل من
اليهود يقال له بولص تنصر ودس هذا في دين النصارى ليضلهم بذلك وسيأتي قصته في سورة التوبة إن شاء الله تعالى
وقيل يحتمل أن يكون المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى جميعا فإنهم غلوا في أمر عيسى عليه السلام فأما اليهود
فإنهم بالغوا في التقصير في أمره حتى حطوه من منزلته حيث جعلوه مولودا لغير رشده وغلت النصارى
في رفع عيسى عن منزلته ومقداره حيث جعلوه إلها فقال الله تعالى ردا عليهم جميعا يا أهل الكتاب
لا تغلوا في دينكم وأصل الغلو مجاوزة الحد وهو في الدين حرام والمعنى لا تفرطوا في أمر عيسى فلا تحطوه عن
منزلته ولا ترفعوه فوق قدره ومنزلته ولا تقولوا على الله إلا الحق يعني لا تقولوا إن له شريكا وولدا
وقيل معناه لا تصفوه بالحلول والاتحاد في بدن الإنسان ونزهوا الله تعالى عن ذلك ولما منعهم الله من
الغلو في دينهم أرشدهم إلى طريق الحق في أمر عيسى عليه السلام فقال تعالى إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله
يعني أن المسيح هو عيسى ابن مريم ليس له نسب غير هذا وإنه رسول الله فمن زعم غير هذا فقد كفر وأشرك وكلمته
هي قوله تعالى كن فكان بشرا من غير أب ولا واسطة ألقاها إلى مريم يعني أوصلها إلى مريم وروح منه يعني
أنه كسائر الأرواح التي خلقها الله وإنما أضافه إلى نفسه على سبيل التشريف والتكريم كما يقال بيت الله وناقة الله

وبعوه منه يعني انه هو تفضل له وقيل الروح هو الذي نفخ جبريل عليه السلام في جيب درع مريم الحاملة
باذن الله وانما اضافه الى نفسه بقوله منه لانه وجد بامر الله قال بعض المفسرين ان الله لما خلق ارواح البشر
جعلها في صلب ادم عليه السلام وامسك عنده روح عيسى فلما اراد الله ان يخلقه ارسل بروحه مع جبريل الى مريم
فنفخ في جيب درعها فحملت بعيسى عليه السلام وقيل ان روح والريح متقاربان في كلام العرب فالروح عبارة
عن نفخ جبريل عليه السلام وقوله منه يعني ان ذلك النفخ كان بامر الله وارادته واذنه وقيل ادخل التنكير في قوله وروح
على سبيل التعظيم والمعنى روح واي روح من الارواح الشريفة القدسية العالية المطهرة وقوله منه اضافه
لتلك الروح الى نفسه لاجل التشريف والتكريم ق عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته
القاها الى مريم وروح منه والجنة والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من العمل وقوله تعالى فامنوا
بالله ورسله يعني فصدقوا يا اهل الكتاب بوحدانية الله وانه لا ولد له وصدقوا رسله فيما جاؤكم به من
عند الله وصدقوا بان عيسى عليه السلام من رسل الله فامنوا به ولا تجعلوه الها وهو قوله تعالى ولا تقولوا
ثلاثة يعني ولا تقولوا الالهة ثلاثة وذلك ان النصارى يقولون ابن واب وروح القدس وقيل انهم يقولون
ان الله بالجوهر ثلاثة اقانيم وذلك انهم اثبتوا ذاتا موصوفا بصفات ثلاثة بدليل انهم يجوزون على تلك الذات
الحلول في عيسى وفي مريم فاثبتوا ذواتا متعددة ثلاثة وهذا هو محض الكفر فلهذا قال الله تعالى ولا تقولوا ثلاثة
انتهوا خيرا لكم يعني يكن الانتهاء عن هذا القول خيرا لكم من القول بالتثليث ثم نزه الله تعالى نفسه عن قول
النصارى بالتثليث فقال تعالى انما الله اله واحد ثم نزه نفسه عن الولد فقال سبحانه ان يكون له ولد
يعني لا ينبغي ان يكون له ولد لان الولد جزء من الاب ويتعالى الله عن التجزيء وعن صفات الحدوث له
ما في السموات وما في الارض يعني انه تعالى له ملك السموات والارض وما فيهما عبيده وملكه وعيسى ومريم
من جملة من فيهما فهما عبيده وملكه واذا كانا عبدين له فكيف يعقل مع هذا ان له ولدا او زوجة تعالى الله
عن ذلك علوا كبيرا وهذا بيان لتنزيهه عما نسب اليه من الولد والمعنى ان جميع ما في السموات والارض خلقه
وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه لان التجزيء انما يصح في الاجسام والله متعالي منزه عن صفات الاجسام
والاعراض وكفى بالله وكيلا يعني انه تعالى كاف في تدبير جميع خلقه فلا حاجة له الى عيسى وكل الخلق يحتاجون
اليه وفقراء اليه وهو غني عنهم قوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله وذلك ان وفد نجران
قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا تقول انه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليس بعار على عيسى ان يكون
عبدا لله فنزلت لن يستنكف المسيح يعني لن يانف ولن يتعظم والاستنكاف هو الاستكبار مع الانفة يقال نكفت
من كذا واستنكفت منه اي انفت منه واصله من نكفت الشيء نحيته ونكفت الدمع اذا نحيته باصبعك
من خدك والمعنى لن يتنقص ولن يمتنع ولن يانف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون يعني لن يستنكف الملائكة
المقربون وهم حملة العرش والكروبيون وافاضل الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ان يكونوا
عبيدا لله لانهم في ملكه ومن جملة خلقه وقيل لما ادعت النصارى في عيسى انه ابن الله وذلك لما راوا منه خوارق
العادات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك من المعجزات اجاب الله تعالى عن هذه الشبهة التي
وقعت للنصارى بان عيسى مع شرف قدره وكرامته لن يستنكف ان يكون عبدا لله ولذلك الملائكة
المقربون فانهم مع كرامتهم وعلو منزلتهم لن يستنكفوا ان يكونوا عبيدا لله وقد استدل بهذه الاية من يقول بتفضيل
الملائكة على البشر ووجه الدليل ان الله تعالى ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا يرتقى الا من الادنى الى الاعلى ولا حجة لهم فيه والجواب

عنه ان الله تعالى لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل قاله ردا على من يقول ان الملائكة بنات الله او انهم الهة كما
رد على النصارى قولهم ان المسيح ابن الله وقاله ايضا ردا على النصارى فانهم يقولون بتفضيل الملائكة يعني كما ان
المسيح عبد الله فكذلك الملائكة عبيد الله وقوله تعالى ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يعني ومن يتعظم عن
عبادة الله ويانف من التذلل لله والخضوع بالطاعة من جميع خلقه فسيحشرهم اليه جميعا يعني فسيبعثهم
يوم القيمة لموعدهم الذي وعدهم حيث لا يملكون لانفسهم شيئا فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم
اجورهم يعني يوفيهم جزاء اعمالهم الصالحة ويزيدهم من فضله يعني ويزيدهم على ما اعطاهم من الثواب
على اعمالهم الصالحة من التضعيف على ذلك ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
واما الذين استنكفوا واستكبروا يعني الذين انفوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى فيعذبهم عذابا
اليما ولا يجدون لهم من دون الله يعني من سوى الله لانفسهم وليا يعني ينجيهم من عذابه ولا نصيرا
يعني ولا ناصرا ينصرهم منه ويدفع عنهم عقوبته بقي في الاية سؤال وهو ان التفصيل غير مطابق
للمفصل لان التفصيل اشتمل على ذكر فريقين وهو قوله فاما الذين امنوا فيوفيهم اجورهم واما
الذين استنكفوا واستكبروا والمفصل اشتمل على ذكر فريق واحد وهو قوله ومن يستنكف عن عبادته ومن
ويستكبر والجواب انه لا اشكال فيه فهو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله
ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك من وجهين احدهما انه حذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لان ذكر احدهما
يدل على ذكر الثاني والوجه الثاني ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قال
ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذبهم بالحسرة والغم اذا راوا اجور العاملين المطيعين لله تعالى
قوله عز وجل يا ايها الناس خطاب للكافة قد جاءكم برهان من ربكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به
البينات من ربه عز وجل وانما سماه برهانا لما معه من المعجزات الباهرات التي تشهد بصدقه ولان
البرهان دليل على اقامة الحق وابطال الباطل والنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك لان الله تعالى جعله
حجة قاطعة قطع به عذر جميع الخلائق وانزلنا اليكم نورا مبينا يعني القران وانما سماه نورا لان به
تتبين الاحكام كما تتبين الاشياء بالنور بعد الظلام ولانه سبب لوقوع نور الايمان في القلب فسماه نورا
لهذا المعنى فاما الذين امنوا بالله يعني صدقوا بوحدانية الله وبما ارسل من رسول وانزل من
كتاب واعتصموا به يعني بالله في ان يثبتهم على الايمان ويحفظهم من نزغ الشيطان وقيل في معنى اعتصموا
به اي تمسكوا بالنور وهو القران الذي انزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فسيدخلهم في
رحمة منه وفضل فسيدخلهم في رحمته التي تنجيهم من اليم عذابه قال ابن عباس الرحمة الجنة
وفضل يعني ما يتفضل به عليهم بعد ادخالهم الجنة مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر ويهديهم اليه صراطا مستقيما يعني ويوفقهم لاصابة فضله الذي تفضل به عليهم ويسددهم
لسلوك منهج من انعم عليه من اهل طاعته ويرشدهم لدينه الذي ارتضاه لعباده وهو دين الاسلام
قوله تعالى يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة نزلت في جابر بن عبد الله الانصاري ق عن جابر بن عبد الله
قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر يعوداني ماشيين فاغمي علي فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب علي من
وضوئه فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي كيف اقضي في مالي فلم يرد علي
شيئا حتى نزلت اية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وفي رواية فقلت يا رسول الله انما يرثني كلالة فنزلت
اية الميراث قال شعبة فقلت لمحمد بن المنكدر يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة قال هكذا انزلت وفي

روى الترمذي وكان لي تسع اخوات حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ولأبي داود قال اشتكيت وعندي
سبع اخوات فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفخ في وجهي فأفقت فقلت يا رسول الله الا اوصي لاخواتي بالثلثين قال احسن
قلت بالشطر قال احسن ثم خرج وتركني فقال يا جابر لا اراك ميتا من وجعك هذا وان الله قد انزل فبين الذي لاخواتك
فجعل لهن الثلثين قال فكان جابر يقول انزلت هذه الآية فيّ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وروى الطبري
عن قتادة ان الصحابة اهمهم شأن الكلالة فسألوا عنها نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وروى
عن ابن سيرين قال نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة والنبي صلى الله عليه وسلم في مسير له والى جنبه
حذيفة بن اليمان فبلغها النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة وبلغها حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه فلما
استخلف عمر سأل حذيفة عنها ورجاء ان يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة والله انك لعاجز ان ظننت
ان امارتك تحملني ان احدثك فيها ما لم احدثك يومئذ فقال عمر لم ارد هذا رحمك الله واما التفسير فقوله
تعالى يستفتونك يعني يسألونك ويستخبرونك عن معنى الكلالة يا محمد قل الله يفتيكم في الكلالة يعني ان
الله هو يخبركم عما سألتم عنه من امر الكلالة وقد تقدم في اول السورة الكلام على معنى الكلالة من جهة
الاشتقاق وغيره وان اسم الكلالة يقع على الوارث وعلى الموروث فان وقع على الوارث فهم سوى الوالد
والولد وان وقع على الموروث فهو من مات ولا يرثه احد الابوين ولا احد الاولاد وقوله تعالى ان
امرؤ هلك يعني مات سمي الموت هلاكا لانه اعدام في الحقيقة ليس له ولد يعني ولا والد فاكتفى بذكر
احدهما عن الآخر ويدل على المحذوف ان السؤال عن الغيب انما كان في الكلالة وقد تقدم ان الكلالة من
ليس له ولد ولا والد فاكتفى بذكر احدهما عن الآخر ويدل على المحذوف ان السؤال عن الغيب انما كان في الكلالة
وقد تقدم ان الكلالة من ليس له ولد ولا والد وله اخت يعني ولذلك الهالك اخت واراد بالاخت من ابيه
وامه او من ابيه فلها نصف ما ترك يعني فللاخت الميت نصف تركته وهو فرضها اذا انفردت
والباقي في المال لبيت المال اذا لم يكن للميت عصبة وهذا مذهب زيد بن ثابت وبه قال الشافعي
ابي حنيفة واهل العراق يرد الباقي عليها فان كان للميت بنت اخذت النصف بالفرض وتأخذ الاخت
النصف الباقي بالتعصيب لا بالفرض لان الاخوات مع البنات عصبة وقوله تعالى وهو يرثها ان
لم يكن لها ولد يعني ان الاخت اذا ماتت وتركت اخا من الاب والام او من الاب فانه يستغرق جميع ميراث
الاخت اذا انفرد ولم يكن للاخت ولد وهذا اصل في جميع العصبات واستغراقهم جميع المال فاما الاخ من الام
فانه صاحب فرض لا يستغرق جميع المال وقد تقدم بيانه فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك اراد
اثنتين فصاعدا وهو ان من مات وترك اختين او اخوات فلهن الثلثان من ما ترك الميت وان
كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يعني وان كان المتروكون من الاخوة رجالا ونساء فللذكر
منهم مثل نصيب اثنتين من اخواته الاناث يبين الله لكم ان تضلوا يعني يبين الله لكم هذه الفرائض
والاحكام لئلا تضلوا وقيل معناه كراهية ان تضلوا وقيل يبين الله لكم الضلالة لتجتنبوها
والله بكل شيء عليم يعني من مصالح عباده التي تحكم لها من قسمة المواريث وبيان الاحكام وغير ذلك لانه
عليم محيط بكل شيء ق عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال آخر سورة نزلت تامة سورة التوبة
وان آخر آية نزلت يستفتونك وروي عن ابن عباس ان آخر آية نزلت يستفتونك وروي عن ابن عباس
ان آخر ما نزلت آية الربا وآخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان آخر آية
نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزول سورة النصر سنة ونزلت

بعد سورة براءة وهو آخر سورة نزلت كاملة فعاش بعدها ستة اشهر هكذا ذكره البغوي وفيه نظر لانه قد ثبت
في الصحيحين من حديث ابي بكر الصديق ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه في الحجة التي امره عليها قبل حجة الوداع في رهط
يؤذن في الناس يوم النحر الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم اردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي
ابن ابي طالب فامره ان يؤذن ببراءة قال ابو هريرة فاذن معنا في اهل منى ببراءة الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان وكانت حجة ابي بكر سنة تسع قبل حجة الوداع بسنة قال البغوي ثم نزلت في طريق حجة الوداع
يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة فسميت آية الصيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم
فعاش بعدها احدا وثمانين يوما ثم نزلت آية الربا ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش
النبي صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما آخر تفسير سورة النساء والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة المائدة نزلت بالمدينة

الا قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فانها نزلت بعرفة في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة
فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته وقال ايها الناس ان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا
حلالها وحرموا حرامها فان قلت لم خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة من بين سور القرآن
بقوله فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وكل سور القرآن يجب ان يحل حلالها وان يحرم حرامها قلت
هو كذلك وانما خص هذه السورة لزيادة الاعتناء بها فهو كقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله
اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم فلا تظلموا فيهن انفسكم فاوجب اجتناب الظلم في هذه الاربعة
اشهر وان كان لا يجوز الظلم في شيء من جميع شهور السنة وانما افرد الاربعة الاشهر بالذكر لزيادة الاعتناء
بها وقيل انما خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة لان فيها ثمانية عشر حكما لم تنزل في غيرها
من سور القرآن قال البغوي روي عن ميسرة قال ان الله تعالى انزل في هذه السورة ثمانية عشر حكما
لم ينزلها في غيرها وهي قوله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع وما ذبح على
النصب وان تستقسموا بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب وتمام بيان الطهر في قوله اذا قمتم الى الصلاة والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد
وانتم حرم ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها الذين
آمنوا اوفوا بالعقود يعني العهود قاله الجماعة واختلفوا في المراد بهذه العقود التي امر الله تعالى بالوفاء بها
بها فقال ابن جريج هذا خطاب لاهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة اوفوا بالعقود
التي عهدتها اليكم في شأن محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وقيل هو خطاب للمؤمنين امرهم بالوفاء بالعقود
قال ابن عباس يعني بعهود الايمان وما اخذه عليكم في القرآن فيما احل وحرم وقيل هي العقود التي
كانت في الجاهلية كان يعاقد بعضهم بعضا على النصرة والموازرة على من حاول ظلمه او بغاه بسوء
وذلك هو معنى الحلف الذي كانوا يتعاقدونه بينهم قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يقول اوفوا بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقدا في الاسلام وقيل بل هي العقود التي يتعاقدها الناس
بينهم وما يعقده الانسان على نفسه والعقود خمس عقد اليمين وعقد النكاح وعقد
العهد وعقد البيع وعقد الشركة زاد بعضهم وعقد الحلف قال الطبري واولى الاقوال عندنا
بالصواب ما قاله ابن عباس ان معناه اوفوا ايها المؤمنون بعقود الله التي اوجبها عليكم وعقدها

فيما احل وحرم عليكم والزمكم فرضه وبين لكم حدوده وانما قلنا ان هذا القول اولى بالصواب لان الله اتبعه بالبيان عما احل لعباده وحرم عليهم فقال تعالى احلت لكم بهيمة الانعام وهذا خطاب للمؤمنين خاصة والبهيمة اسم لكل ذي اربع من الحيوان لكن خص في التعارف بما عدا السباع والضواري من الوحوش وانما سميت بهيمة لانها ابهمت عن العقل والتمييز قال الزجاج كل حي لا يميز فهو بهيمة والانعام جمع النعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يدخل فيها الحافر في قول جميع اهل اللغة واختلفوا في معنى الآية فقال الحسن وقتادة بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم والمعز وعلى هذا القول انما اضاف البهيمة الى الانعام على جهة التوكيد وقال الكلبي بهيمة الانعام وحشيها كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش فعلى هذا انما اضاف البهيمة الى الانعام لتعرف جنس الانعام وما احل منها لانه لو افردها فقال البهيمة لدخل فيها ما يحل ويحرم من البهائم فلهذا قال تعالى احلت لكم بهيمة الانعام وقال ابن عباس هي الاجنة التي توجد ميتة في بطون امهاتها اذا ذكيت او نحرت ذهب اكثر العلماء الى تحليله وهو مذهب الشافعي ويدل عليه ما روي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الجنين ذكاته ذكاة امه اخرجه الترمذي وابو داود وفي رواية ابي داود قال قلنا يا رسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة ونجد في بطنها الجنين افنلقيه ام ناكله قال كلوه ان شئتم فان ذكاته ذكاة امه وروى الطبري عن ابن عمر في قوله احلت لكم بهيمة الانعام قال ما في بطنها قال عطية العوفي قلت ان خرج ميتا اكله قال نعم هو بمنزلة رئتها وكبدها وعن ابن عباس قال الجنين من بهيمة الانعام وعنه ان بقرة نحرت فوجد في بطنها جنين فاخذ ابن عباس بذنب الجنين وقال هذا من بهيمة الانعام وشرط بعضهم الاشعار وتمام الخلق قال ابن عمر ذكاة ما في بطنها ذكاتها اذا تم خلقه ونبت شعره ومثله عن سعيد بن المسيب وقال ابو حنيفة لا يحل اكل الجنين اذا خرج ميتا بعد ذكاة الام وقوله تعالى الا ما يتلى عليكم يعني في القرآن تحريمه والمراد به قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الى آخر الآية فهذا من المتلو علينا وهو ما استثنى الله عز وجل من بهيمة الانعام غير محلي الصيد وانتم حرم يعني احلت لكم الانعام كلها والوحشية ايضا من الظباء والبقر والحمر غير محلي صيدها وانتم محرمون في حال الاحرام فلا يجوز للمحرم ان يقتل صيدا في حال احرامه ان الله يحكم ما يريد يعني ان الله يقضي في خلقه ما يشاء من تحليل ما اراد تحليله وتحريم ما اراد تحريمه وفرض ما يشاء ان يفرضه عليهم من احكامه وفرائضه مما فيه مصلحة لعباده قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله نزلت في الحطم واسمه شريح بن هند بن ضبيعة البكري اتى المدينة وحده وخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم الى ما تدعو الناس فقال الى شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة فقال حسن الا ان لي امراء لا اقطع امرا دونهم ولعلي اسلم واتي بهم فخرج من عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما خرج شريح قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول . قد لفها الليل بسواق حطم . ليس براعي ابل ولا غنم . ولا بجزار على ظهر وضم . باتوا نياما وابن هند لم ينم . بات يقاسيها غلام كالزلم . خدلج الساقين ممسوح القدم . فتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام القابل خرج شريح حاجا في حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدي فقال المسلمون يا رسول الله هذا الحطم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم

انه قد قلد الهدي فقالوا يا رسول الله هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية فابى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله قال ابن عباس هي المناسك وكان المشركون يحجون ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وقيل الشعائر الهدايا المشعرة واشعارها ان تطعن في صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل دمه فيكون ذلك علامة بانها هدي وهو سنة في الابل والبقر دون الغنم ويدل عليه ما روي عن عائشة قالت فتلت قلائد بدن النبي صلى الله عليه وسلم ثم اشعرها وقلدها ثم بعث بها الى البيت فما حرم عليه شيء كان له حلالا اخرجاه في الصحيحين م عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذي الحليفة ثم دعا بناقته فاشعرها في صفحة سنامها الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين ثم ركب راحلته فلما استوت به على البيداء اهل بالحج وعند ابي حنيفة لا يجوز اشعار الهدي بل قال يكره ذلك وقال ابن عباس في معنى الآية لا تحلوا شعائر الله هي ان تصيد وانت محرم وقيل شعائر الله شرائع الله ومعالم دينه والمعنى لا تحلوا شيئا من فرائضه التي افترض عليكم واجتناب نواهيه التي نهاكم عنها ولا الشهر الحرام اي ولا تحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه والشهر الحرام هو الذي كانت العرب تعظمه وتحرم القتال فيه في الجاهلية فلما جاء الاسلام لم ينتقض هذا الحكم بل اكده والمراد بالشهر الحرام هنا ذو القعدة وقيل رجب ذكرهما ابن جرير وقيل المراد بالشهر الحرام النسيء قال مقاتل

باحلالم

كان جنادة بن عوف يقوم في سوق عكاظ فيقول اني احللت كذا او حرمت كذا يعني به الاشهر الحرم فنهى الله عن ذلك وسيأتي في تفسير النسيء في سورة براءة ولا الهدي ولا القلائد الهدي ما يهدى الى بيت الله من بعير او بقرة او شاة او غير ذلك مما يتقرب به الى الله تعالى والقلائد جمع قلادة وهي التي تشد في عنق البعير وغيره والمعنى ولا الهدي ذوات القلائد قال ابن عباس ان حلقت بترب مكة والمعلى واعناق هدي مقلدات وعلى هذا القول انما عطف القلائد على الهدي مبالغة في التوصية بها لانها من اشرف البدن المهداة والمعنى ولا تستحلوا الهدي وخصوصا المقلدات منها وقيل اراد اصحاب القلائد وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا اذا ارادوا الخروج من الحرم قلدوا انفسهم وابلهم من لحاء شجر الحرم فكانوا يامنون بذلك فلا يتعرض لهم احد فنهى الله المؤمنين عن ذلك الفعل ونهاهم عن استحلال نزع شيء من شجر الحرم ولا آمين البيت الحرام يعني ولا تستحلوا القاصدين الى البيت الحرام وهو الكعبة شرفها الله وعظمها يبتغون يعني يطلبون فضلا من ربهم يعني الرزق والارباح في التجارة ورضوانا يعني ويطلبون رضى الله عنهم بزعمهم لان الكافر لا حظ له في الرضوان لكن لما ظن انه فعله ذلك طلبا للرضوان فيجوز ان يوصف به بناء على ظنه وقيل ان المشركين كانوا يقصدون بحجهم ابتغاء رضوان الله وان كانوا لا ينالونه فلا يبعد ان يحصل لهم بسبب ذلك القصد نوع من الحرمة وهو الامن على انفسهم وقيل كان المشركون يلتمسون في حجهم ما يصلح لهم دنياهم ومعاشهم منها وقيل ابتغاء الفضل هو للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة وذلك انهم كانوا يحجون جميعا فصل اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة الى هاهنا لان قوله لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام يقتضي حرمة القتال في الشهر الحرام وفي الحرم وذلك منسوخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى ولا آمين البيت الحرام يقتضي حرمة منع المشركين عن البيت

الحرام وذلك منسوخ بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز ان يحج مشرك ولا يامن بالهدي والقلائد
كافر وهذا قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة واكثر المفسرين قال الشعبي لم تنسخ من سورة المائدة
الا هذه الآية وقيل المنسوخ منها قوله ولا آمين البيت الحرام نسختها آية براءة فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال ابن عباس كان المومنون والمشركون يحجون
البيت جميعا فنهى الله المومنين ان يمنعوا احدا ان يحج البيت او يتعرضوا له من مومن وكافر ثم انزل الله بعد هذا
انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال ابن عباس كان المومنون والمشركون يحجون
البيت جميعا وقال اخرون لم ينسخ من ذلك شي سوى القلائد التي كانت الجاهلية يتقلدونها من شجر الحرم
في الحرم قال الواحدي وذهب جماعة الى ان هذا منسوخ في هذه السورة وان هذه الآية محكمة قالوا ما
ندبنا الى ان نخيف من يقصد بيته من اهل شريعتنا في الشهر الحرام ولا في غيره وفضل الشهر
الحرام مخصوص بالذكر تعظيما وتفضيلا وحرم علينا اخذ الهدي من المهدين وطرقه عن بلوغ محله
وحرم علينا القلائد التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وهذا غير مقبول والظاهر ما عليه جمهور العلماء
من نسخ هذه الآية لاجماع العلماء من نسخ هذه الآية لاجماع العلماء على ان الله عز وجل قد احل قتال
اهل الشرك في الاشهر الحرم وغيرها وكذلك اجمعوا على ان المشرك لو قلد عنقه وذراعيه جميع لحاء شجر
الحرم لم يكن ذلك امانا له من القتل اذا لم يكن قد تقدم له عقد ذمة او امان وكذلك اجمعوا على
منع من قصد البيت بحج او عمرة من المشركين لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم
هذا والله اعلم وقوله تعالى واذا حللتم يعني من احرامكم فاصطادوا هذا امر اباحة لان الله حرم
الصيد على المحرم حالة احرامه بقوله غير محلي الصيد وانتم حرم واباحه له اذا حل من احرامه
بقوله واذا حللتم فاصطادوا وانما قلنا انه امر اباحة لانه ليس واجب على المحرم اذا حل من
احرامه ان يصطاد ومثله قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض معناه
انه قد ابيح لكم ذلك بعد الفراغ من الصلاة ولا يجرمنكم قال ابن عباس لا يحملنكم وقيل معناه
لا يكسبنكم ولا يدعونكم شنآن قوم يعني بغض قوم وعداوتهم ان صدوكم يعني لان صدوكم عن
المسجد الحرام والمعنى لا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لان صدوكم عن المسجد الحرام لان هذه السورة
نزلت بعد قصة الحديبية فكان الصد قد تقدم ان تعتدوا يعني بالقتل واخذ المال
وتعاونوا على البر والتقوى يعني ليعن بعضكم بعضا على ما يكسب البر والتقوى قال
ابن عباس البر متابعة السنة ولا تعاونوا على الاثم والعدوان يعني ولا يعن بعضكم
بعضا على الاثم وهو الكفر والعدوان وهو الظلم وقيل الاثم المعاصي والعدوان البدعة
م عن النواس بن سمعان قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق
والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس واتقوا الله اي واحذروا الله ان تعتدوا
ما امركم به او تجاوزوا الى ما نهاكم عنه ان الله شديد العقاب يعني لمن خالف امره فيه
وعيد وتهديد عظيم قوله عز وجل حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير لما بين الله تعالى
في اول السورة ما احل لنا من بهيمة الانعام بقوله تعالى احلت لكم بهيمة الانعام ثم انه تعالى
استثنى من ذلك بقوله الا ما يتلى عليكم فذكر ذلك المستثنى بقوله حرمت عليكم الميتة

فكل

فكل ما فارقته الروح مما يذبح بغير ذكاة فهو ميتة وسبب تحريم الميتة ان الدم لطيف حار فاذا مات الحيوان حتف انفه
احتبس ذلك الدم وبقي في العروق فيفسد ويحصل منه ضرر عظيم والدم هو المسفوح الى دي وكانت العرب في
الجاهلية يجعلون الدم في المصارين ويشوونه وياكلونه فحرم الله ذلك كله ولحم الخنزير يريد به جميع اجزائه واعضائه
وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود بالاكل وقد تقدم في سورة البقرة احكام هذه الثلاثة اشياء وما استثناه الشارع
من الميتة والدم وهو السمك والجراد والكبد والطحال وذكرنا الدليل على اباحة ذلك واختلاف العلماء في ذلك وقوله تعالى
وما اهل لغير الله به يعني ما ذكر على ذبحه غير اسم الله وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يذكرون اسماء اصنامهم عند الذبح
فحرم الله ذلك بهذه الآية وبقوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه والمنخنقة قال ابن عباس كان اهل
الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت اكلوها فحرم الله ذلك والمنخنقة من جنس الميتة لانها لما ماتت
لم يسل دمها والفرق بينهما ان الميتة تموت بلا سبب احد والمنخنقة تموت بسبب الخنق والموقوذة يعني
المقتولة بالخشب وكانت العرب في الجاهلية يضربون الشاة بالعصا حتى تموت وياكلونها فحرم الله ذلك والمتردية
يعني التي تتردى من مكان عال فتموت او في بير فتموت والتردي هو السقوط من سطح او من جبل ونحوه وهذه
المتردية ملحقة بالميتة فيحرم اكلها ويدخل في هذا الحكم اذا رمى ليصيده صيدا فتردى ذلك الصيد من جبل
او من مكان عال فمات فانه يحرم اكله لانه لا يعلم هل مات بالتردي او بالسهم والنطيحة يعني التي تنطحها
شاة اخرى حتى تموت وكانت العرب في الجاهلية تاكل ذلك فحرمه الله تعالى لانها في حكم الميتة فاما الهاء في هذه
الكلمات التي تقدمت اعني المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة فانما دخلت لانها صفات لموصوف مؤنث
وهو الشاة وكانه قال حرمت عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة والمتردية وخصت الشاة لانها من اعم ما
ياكله الناس والكلام انما يخرج على الاعم الاغلب ثم يلحق به غيره فان قلت لم اثبتت الهاء في النطيحة مع انها في
الاصل منطوحة فعدل بها الى النطيحة وفي هذا الموضع تكون الهاء محذوفة تقول كف خضيب وعين كحيل يعني مثل
كف مخضوبة وعين مكحولة قلت انما تحذف الهاء من الفعيلة اذا كانت صفة لموصوف تقدم عليها فاذا
لم يذكر الموصوف وذكرت الصفة ووضعتها موضع الموصوف تقول رايت قتيلة بني فلان بالهاء لانك ان لم تدخل
الهاء لم تعرف ارجل هو ام امراة فعلى هذا انما دخلت الهاء في النطيحة لانها صفة لموصوف غير مذكور وهو الشاة
وقال ابن السكيت قد ياتي فعيلة بالهاء وهي في تاويل مفعول لانها تخرج مخرج الاسماء ولا يذهب بها مذهب النعوت
نحو النطيحة والذبيحة والفريسة واكيلة السبع ومررت ببني فلان وقوله تعالى وما اكل السبع قال قتادة
كان اهل الجاهلية اذا جرح السبع شيا فقتله او اكل منه اكلوا ما بقي منه فحرمه الله تعالى والسبع
اسم يقع على كل حيوان له ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترس بنابه كالاسد والذيب والنمر والفهد
ونحوها وفي الآية محذوف تقديره وما اكل السبع منه لان ما اكله السبع قد نفد فلا حكم له انما الحكم للباقي منه
الا ما ذكيتم يعني الا ما ادركتموه وقد بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الاشياء المذكورة والظاهر
ان هذا الاستثناء يرجع الى جميع المحرمات المذكورة في الآية من قوله تعالى والمنخنقة الى وما اكل السبع
وهذا قول علي بن ابي طالب وابن عباس والحسن وقتادة قال ابن عباس يقول الله تعالى ما ادركتم
من هذا كله وفيه روح فاذبحوا فهو حلال وقال الكلبي هذا الاستثناء مما اكل السبع خاصة والقول هو الاول واما
كيفية ادراكها فقال اكثر اهل العلم من المفسرين ان ادركته وكان بان يوجد له عين تطرف او ذنب يتحرك
فاكلها جائز قال ابن عباس اذا طرفت بعينها او ركضت برجلها او تحركت فاذبح فهو حلال وذهب
بعض اهل العلم الى ان السبع اذا جرح فاخرج الحشوة او قطع الجوف قطعا يويس معه الحياة فلا ذكاة لذكره

وان كان به حركة ورمق لانه قد صار الى حالة لا تؤثر فيه حياته الذبح وهو مذهب مالك واختيار الزجاج وابن
الانباري لان معنى التذكية ان يلحقها وفيها بقية تشخب معها الاوداج وتضطرب اضطراب المذبوح
لها لوجود الحياة فيه قبل ذلك والا فهو كالميتة واصل الذكاة في اللغة تمام الشي فالمراد من التذكية تمام قطع
الاوداج وانهار الدم ويدل عليه ما روي عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما انهر الدم
وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وساحدثكم عن ذلك اما السن فعظم واما الظفر فمدى الحبشة
اخرجاه في الصحيحين واقل الذبح في الحيوان المقدور عليه قطع المري والحلقوم واكمله قطع الودجين
مع ذلك والحلقوم بعد الفم وهو موضع النفس والمري مجرى الطعام والودجان عرقان يقطعان عند الذبح
واما الة الذبح فكل ما انهر الدم وفرى الاوداج من حديد وغيره الا السن والظفر لما تقدم من نهي النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقوله تعالى وما ذبح على النصب يعني وحرمت ما ذبح على النصب والنصب يحتمل
ان يكون جمعا واحده نصاب وان يكون واحدا وجمعه انصاب وهو الشي المنصوب قيل كان حول الكعبة
ثلثمائة وستون حجرا منصوبة كان اهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست هذه الحجارة
باصنام انما الاصنام الصور المنقوشة وقال ابن عباس هي الاصنام المنصوبة والمعنى وما ذبح على اسم النصب
او لاجل النصب فهو حرام ه وان تستقسموا بالازلام يعني وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وهو طلب
القسم والحكم من الازلام وهي القداح وكانت ازلامهم سبعة قداح مستوية مكتوب على واحد منها
امرني ربي وعلى واحد نهاني ربي وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل
وعلى واحد غفل اي ليس عليه شي وكانت العرب في الجاهلية اذا ارادوا سفرا او تجارة او نكاحا او
اختلفوا في نسب او امر قتيل او تحمل عقل او غير ذلك من الامور العظام جاؤا الى هبل وكانت اعظم
صنم لقريش بمكة وجاؤا بمائة درهم واعطوها صاحب القداح حتى يجيلها لهم فان خرج امرني ربي فعلوا
ذلك الامر وان خرج نهاني ربي لم يفعلوه واذا جالوا على نسب فان خرج منكم كان وسطا فيهم وان خرج
من غيركم كان حليفا فيهم وان خرج ملصق كان على حاله وان اختلفوا في العقل وهو الدية فمن خرج
عليه قدح العقل تحمله وان خرج الغفل اجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب عليه فنهاهم الله عن ذلك وحرمه
وسماه فسقا وقيل الازلام كعاب فارس والروم التي كانوا يتقامرون بها وقيل كانت الازلام للعرب
والكعاب للعجم وهي النرد وكلها حرام لا يجوز اللعب بشي منها عن قطن بن قبيصة عن ابيه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه ابو داود وقال الطرق
الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة زجر الطير والطرق الضرب بالحصى والجبت كل ما عبد من دون الله
وقيل الجبت الكاهن وروى البغوي بسند الثعلبي عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من تكهن او استقسم بالازلام او تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى يوم القيمة وقوله تعالى
ذلكم فسق يعني ما ذكر من هذه المحرمات في هذه الاية لان المعنى حرم عليكم تناول كذا وكذا فانه فسق
والفسق ما خرج من الحلال الى الحرام وقيل ان الاشارة عائدة على الاستقسام بالازلام والاول اصح ه
اليوم يئس الذين كفروا من دينكم يعني يئسوا ان ترجعوا عن دينكم الى دينهم كفارا وذلك ان الكفار كانوا
يطمعون في ان يعود المسلمون الى دينهم فلما قوي الاسلام يئسوا من ذلك وذلك هو اليوم الذي دخل
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام حجة الوداع فعند ذلك يئس الكفار من بطلان دين الاسلام وقيل
ان ذلك هو يوم عرفة نزلت هذه والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وقيل لم يرد يوما بعينه وانما المعنى

الآن

الآن يئس الذين كفروا من دينكم فهو كما تقول اليوم قد كبرت وتقول فلان كان يزورنا وهو اليوم يجفونا لم يرد يوما
بعينه يعني وهو الآن يجفونا ولم تقصد به اليوم قال الشاعر فيوم علينا ويوم لنا فيوم نساء ويوم
نسر اراد فزمان علينا وزمان لنا ولم تقصد ليوم واحد معين ه فلا تخشوهم فلا تخافوا الكفار
ايها المؤمنون ان يظهروا على دينكم فقد زال الخوف عنكم باظهار دينكم واخشون اي وخافوني لغيره
اي واخلصوا الخشية لي قوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم نزلت هذه الاية في يوم الجمعة بعد العصر
في يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت عضد الناقة تندق
وبركت لثقل الوحي وذلك في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة ق عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من
اليهود الى عمر بن الخطاب فقال يا امير المؤمنين اية في كتابكم تقرؤنها لو علينا نزلت معشر اليهود
لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال واي اية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا فقال عمر اني لاعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي نزلت فيه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعرفات يوم الجمعة اشار عمر الى ان ذلك اليوم كان عيدا لنا وعن ابن عباس انه قرا اليوم اكملت لكم
دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وعنده يهودي فقال لو انزلت هذه الاية علينا
لاتخذناها عيدا فقال ابن عباس فانها نزلت في يوم عيدين في يوم جمعة ويوم عرفة اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب قال ابن عباس كان في ذلك اليوم خمسة اعياد يوم جمعة ويوم
عرفة وعيد لليهود وعيد للنصارى وعيد للمجوس ولم تجتمع اعياد لاهل الملل في يوم واحد قبله ولا بعده
وروي انه لما نزلت هذه الاية بكى عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال ابكاني انا كنا في زيادة
من ديننا فاما اذ كمل فانه لم يكمل شي الا نقص قال صدقت فكانت هذه الاية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم
عاش بعدها احدا وثمانين يوما ومات صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول
وقيل لاثنتي عشرة ليلة وهو الاصح سنة احدى عشرة من الهجرة واما تفسير الاية فقوله تعالى اليوم
اكملت لكم دينكم يعني بالفرائض والسنن والحدود والاحكام والحلال والحرام فلم ينزل بعد هذه الاية حلال
ولا حرام ولا شي من الفرائض هذا معنى قول ابن عباس وقال سعيد بن جبير وقتادة معناه
اكملت لكم دينكم حيث لم يحج معكم مشرك وخلا الموسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وقيل معناه اني
اظهرت دينكم على الاديان وامنتكم من عدوكم بان كفيتكم ما كنتم تخافونه وقيل اكمال الدين لهذه الامة
انه لا يزول ولا ينسخ وان شريعتهم باقية الى يوم القيمة وقيل اكمال الدين لهذه الامة انهم امنوا بكل نبي
وكل كتاب ولم يكن هذا لغير هذه الامة وقال ابن الانباري اليوم اكملت شرائع الاسلام على غير نقصان
كان قبل هذا الوقت وذلك ان الله عز وجل كان يتعبد خلقه بالشي في وقت ثم يزيد عليه في وقت
اخر فيكون الوقت الاول تاما في وقته وكذلك الوقت الثاني تاما في وقته فهو كما يقول القائل عندي
عشرة كاملة ومعلوم ان العشرين اكمل منها والشرائع التي تعبد الله عز وجل بها عباده في الاوقات
المختلفة مختلفة وكل شريعة منها كاملة في وقت التعبد لها فكمل الله عز وجل الشرائع في اليوم الذي
ذكره وهو يوم عرفة ولم يوجب ذلك ان الدين كان ناقصا في وقت من الاوقات ونقل الامام فخر الدين
الرازي عن القفال واختاره ان الدين ما كان ناقصا البتة بل كان كاملا كانت الشرائع النازلة
من عند الله كافية في ذلك الوقت الا انه تعالى كان عالما في اول وقت المبعث بان ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل
في الغد ولا صالح فيه لا جرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيد بعد العدم واما في اخر زمان البعثة فانزل شريعة

ابدا

كاملة وحكم ببقائها الى يوم القيامة فالشرع ابدا كان كاملا الا ان الاول كان الى يوم زمان مخصوص والثاني كان
الى يوم القيامة فلاجل هذا المعنى قال اليوم اكملت لكم دينكم ثم قال تعالى واتممت عليكم نعمتي يعني باكمال الدين والشريعة
لانه لا نعمة اتم من الاسلام وقال ابن عباس حكم لهم بدخول الجنة وقيل معناه انه تعالى انجز لهم ما وعدهم في
قوله ولاتم نعمتي عليكم فكان من تمام النعمة ان دخلوا مكة امنين وحجوا مطمئنين لم يخالطهم احد من المشركين
ورضيت لكم الاسلام دينا يعني واخترت لكم الاسلام دينا من بين الاديان وقيل معناه ورضيت لكم الاستسلام
لامري والانقياد لطاعتي فيما شرعت لكم من الفرائض والاحكام والحدود ومعالم الدين الذي اكملته لكم فاما قال
تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا يوم نزلت هذه الاية فان كان الله تعالى لم يزل راضيا بدين الاسلام
معنى قبل نزول هذه الاية لانه لم يزل يصرف نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين من حال الى حال وينقلهم
من مرتبة الى مرتبة اعلى منها حتى اكمل لهم شرائع الدين ومعالمه وبلغ بهم اقصى درجاته ومراتبه ثم انزل
عليهم هذه الاية ورضيت لكم الاسلام دينا يعني بالصفة هو اليوم عليها وهي نهاية الكمال وانتم الا على
بالرضى ولا تفارقوه روى البغوي بسنده عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال جبريل قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه
بهما ما صحبتموه وروى الطبري عن قتادة قال ذكر لنا انه يمثل لاهل كل دين دينهم يوم القيامة فاما الايمان
فيبشر اصحابه واهله ويعدهم في الخير حتى يجي الاسلام فيقول يا رب انت السلام وانا الاسلام فيقول
اياك اليوم اقبل وبك اليوم اجزي وقوله تعالى فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم هذه الاية
من تمام ما تقدم ذكره في المطاعم التي حرمها الله تعالى ومتصلة بها والمعنى ان هذه المحرمات وان كانت
محرمة الا انها قد تحل في حالة الاضطرار اليها ومن قوله تعالى ذلكم فسق الى هنا اعتراض وقع بين الكلامين
والغرض منه تاكيد ما تقدم ذكره من معنى التحريم لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة
التامة والاسلام الذي هو المرضي عند الله ومعنى الاية فمن اضطر اي اجهد واصيب بالضر الذي لا يمكنه
معه الامتناع من اكل الميتة وهو قوله تعالى في مخمصة يعني مجاعة والمخمصة خلو البطن من الغذاء
عند الجوع غير متجانف لاثم يعني غير مائل الى الاثم او منحرف اليه والمعنى فمن اضطر الى اكل الميتة او
الى غيرها في المجاعة فليأكل غير متجانف لاثم وهو ان ياكل فوق الشبع وهو قول فقهاء العراق وقيل
معناه غير متعرض لمعصية في مقصده وهو قول فقهاء الحجاز فان الله غفور رحيم يعني لمن اكل من الميتة
في حال الجوع والاضطرار قوله تعالى يسألونك ماذا احل لهم روى الطبري بسنده عن ابي رافع قال
جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يستاذن عليه فاذن له فلم يدخل فقال قد اذنا لك يا رسول الله قال اجل ولكنا لا ندخل بيتا
فيه كلب قال ابو رافع فامرني ان اقتل كل كلب بالمدينة ففعلت حتى انتهيت الى امراة عندها كلب ينبح عليها فتركته
رحمة لها ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فامرني بقتله فرجعت الى الكلب فقتلته فجاؤوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله عز وجل يسألونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وروي عن عكرمة ان
النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا رافع في قتل الكلاب فقتل حتى بلغ العوالي فدخل عاصم وسعد بن خيثمة وعويم
ابن ساعدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ماذا احل لنا فنزلت يسألونك ماذا احل لهم قل احل
لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين قال ابن الجوزي واخرج حديث ابي رافع الحاكم وصححه
قال البغوي فلما نزلت هذه الاية اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساك ما

لا نفع فيه

لا ينتفع به منها وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امسك كلبا فانه ينقص كل يوم من عمله قيراط الا كلب
حرث او ماشية ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا ارض فانه
ينقص من اجره قيراطان كل يوم وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الاية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين
وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير قالا يا رسول الله انا قوم نصيد بالكلاب وبالبزاة
فماذا يحل لنا فنزلت هذه الاية قال البغوي وهذا القول اصح في سبب نزولها واما التفسير فقوله
تعالى يسألونك يعني يسألك اصحابك يا محمد ماذا احل لهم اكله من المطاعم والماكل كانهم لما تلي عليهم من
خبائث المأكل ما تلي سألوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات يعني قل لهم يا محمد احل لكم الطيبات يعني
ما ذبح على اسم الله عز وجل وقيل الطيبات كل ما تستطيبه العرب وتستلذه من غير ان يرد
بتحريمه نص من كتاب او سنة واعلم ان العبرة في الاستطابة والاستلذاذ باهل المروة والاخلاق الجميلة
من العرب فان اهل البادية منهم يستطيبون اكل جميع الحيوانات فلا عبرة بهم ولقوله تعالى ويحل لهم
الطيبات ويحرم عليهم الخبائث فان الخبث غير مستطاب فصارت هذه الاية الكريمة نصا
فيما يحل ويحرم من الاطعمة وقوله تعالى وما علمتم من الجوارح مكلبين يعني واحل لكم صيد ما علمتم من
الجوارح فحذف ذكر الصيد وهو مراد في الكلام لدلالة الكلام الباقي عليه ولانهم سألوا عن الصيد وقيل
ان قوله وما علمتم من الجوارح ابتداء كلام خبره فكلوا مما امسكن عليكم وعلى هذا القول يصح معنى
الكلام من غير اضمار والجوارح جمع جارحة وهي الكواسب من السباع والطير كالفهد والنمر
والكلب وكالبازي والصقر والعقاب والشاهين والباشق من الطير مما يقبل التعليم سميت
جوارح من الجرح لانها تجرح الصيد عند امساكه وقيل سميت جوارح لانها تكسب والجوارح
الكواسب من جرح واجترح اذا اكتسب ومنه قوله تعالى والذين اجترحوا السيئات يعني اكتسبوا
وقوله ويعلم ما جرحتم بالنهار اي اكتسبتم مكلبين يعني معلمين والمكلب هو الذي يغري الكلاب
على الصيد وقيل هو مؤدب الجوارح ومعلمها وانما اشتق له هذا الاسم من الكلب لانها اكثر احتياجا
الى التعليم من غيرها من الجوارح تعلمونهن مما يعني تعلمون الجوارح الاصطياد مما علمكم الله يعني
من العلم الذي علمكم الله ففي الاية دليل على انه لا يجوز صيد جارحة ما لم تكن معلمة وصفة التعليم هو
ان الرجل يعلم جارحة الصيد وذلك بان يوجد فيها امور منها اذا اشليت على الصيد استشلت
واذا زجرت انزجرت واذا اخذت الصيد امسكت ولم تاكل منه شيئا ومنها ان لا تنفر منه اذا
اراده وان تجيبه اذا دعاه فهذا هو تعليم جميع الجوارح فاذا وجد ذلك منها مرارا كانت
معلمة واقلها ثلاث مرات فانه يحل قتيلها اذا جرحته بارسال صاحبها (ق) عن عدي بن حاتم قال
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انا قوم نصيد بهذه الكلاب فقال اذا ارسلت كلابك
المعلمة وذكرت اسم الله فكل مما امسكن عليك الا ان ياكل الكلب فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما
امسك على نفسه وان خالطها كلاب لم يذكر اسم الله عليها فامسكن وقتلن فلا تاكل فانما
سميت على كلبك ولم تسم على غيره وفي رواية فانك لا تدري ايها قتل وسألته عن صيد المعراض
فقال اذا اصبت بحده فكل واذا اصبت بعرضه فقتل فانه وقيذ فلا تاكل واذا رميت
الصيد فوجدته بعد يوم او يومين ليس به الا اثر سهمك فكل فان وقع في الماء فلا تاكل واختلف العلماء

فيما إذا أخذت الكلاب الصيد وأكلت منه شيئاً فذهب أكثر أهل العلم إلى تحريمه يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول عطاء وطاوس والشعبي وبه قال الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وهو أصح قولي الشافعي ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وإن أكل فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه ورخص بعضهم في أكله يروى ذلك عن ابن عمر وسلمان الفارسي وسعد بن أبي وقاص وبه قال مالك لما روي عن أبي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيد الكلب إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وإن أكل منه أخرجه أبو داود أما غير المعلم من الجوارح إذا أخذت صيداً أو المعلم إذا خرج بغير إرسال صاحبه فأخذه وقتل فإنه لا يحل إلا أن يدركه حياً فيذكيه فيحل (ق) عن أبي ثعلبة الخشني قال قلت يا رسول الله إنا بأرض قوم أهل كتاب أفنأكل في آنيتهم وبأرض صيد أصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلم وبكلبي المعلم فما يصلح لي قال أما ما ذكرت من آنية أهل الكتاب فإن وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وإن لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك غير المعلم فأدركت ذكاته فكل وقوله تعالى فكلوا مما أمسكن عليكم دخلت من في قوله مما للتبعيض لأنه إنما أحل أكل بعض الصيد وهو اللحم دون الفرث والدم وقيل من زائدة فهو كقوله كلوا من ثمره إذا أثمر واذكروا اسم الله عليه قال ابن عباس يعني إذا أرسلت جارحك فقل بسم الله وإن نسيت فلا حرج ومنه قوله صلى الله عليه وسلم إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله عليه فكل فعلى هذا يكون الضمير في عليه عائداً إلى ما علمتم من الجوارح أي سموا الله عليه عند إرساله وقيل الضمير عائد إلى ما أمسكن عليكم والمعنى سموا الله عليه إذا أدركتم ذكاته وقيل يحتمل أن يكون الضمير عائداً إلى الأكل يعني واذكروا اسم الله عليه عند الأكل فعلى هذا تكون التسمية شرطاً عند إرسال الجوارح وعند الذبح وعند الأكل وسيأتي بيان هذه المسألة في سورة الأنعام عند قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه واتقوا الله يعني واحذروا مخالفة الله فيما أحل لكم وحرم عليكم واعلموا أن الله سريع الحساب يعني إذا حاسب عباده يوم القيامة ففيه تخويف لمن خالف أمره وفعل ما نهاه عنه قوله عز وجل اليوم أحل لكم الطيبات إنما كرر إحلال الطيبات للتأكيد كأنه قال اليوم أحل لكم الطيبات التي سألتم عنها ويحتمل أن يراد باليوم اليوم الذي أنزلت فيه هذه الآية أو اليوم الذي تقدم ذكره في قوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم أو اليوم أكملت لكم دينكم ويكون الغرض من ذكر هذا الحكم أنه تعالى قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي فبين أنه كما أكمل الدين وأتم النعمة كذلك أتم النعمة بإحلال الطيبات وقيل ليس المراد باليوم يوماً معيناً وقد تقدم الكلام في ذكر الطيبات وفي معنى الطيبات في الآية المتقدمة وقوله تعالى وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم يعني ذبائح أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من سائر الأمم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فأما من دخل في دينهم بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهم متنصرة العرب من بني تغلب فلا تحل ذبيحته روي عن علي بن أبي طالب قال لا تأكلوا من ذبائح نصارى العرب بني تغلب فإنهم لم يتمسكوا بشيء من النصرانية إلا بشرب الخمر وبه قال ابن مسعود وهو مذهب الشافعي فإن من دخل في دين أهل الكتاب بعد نزول القرآن فإنه لا تحل ذبيحته وسئل ابن عباس عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس ثم قرأ ومن يتولهم منكم فإنه منهم وهذا قول الحسن وعطاء

والشعبي

والشعبي وعكرمة وقتادة والزهري وحماد وهو مذهب أبي حنيفة ومالك وإحدى الروايتين عن أحمد والرواية الأخرى مثل مذهب الشافعي وأجمعوا على تحريم ذبائح سائر أهل الشرك من مشركي العرب وعبدة الأصنام ومن لا كتاب له وأجمعوا على أن المراد بطعام الذين أوتوا الكتاب ذبائحهم خاصة لأن ما سوى الذبائح فهي محللة قبل أن كانت لأهل الكتاب وبعد أن صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها بأهل الكتاب فائدة ولأن ما قبل هذه الآية في بيان حكم الصيد والذبائح فحمل هذه الآية عليه أولى ولأن سائر الطعام لا يختلف من تولاه من كتابي وغيره إنما تختلف الذكاة فلما خص أهل الكتاب بالذكر دل على أن المراد بطعامهم ذبائحهم واختلف العلماء فيما لو ذبح اليهودي أو النصراني على غير اسم الله فقال ان ابن عمر لا يحل ذلك وهو قول ربيعة وذهب أكثر أهل العلم إلى أنه يحل سئل الشعبي وعطاء عن النصراني يذبح باسم المسيح قالا يحل فإن الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون وقال الحسن إذا ذبح اليهودي والنصراني وذكر غير اسم الله وأنت تسمع فلا تأكله وإذا غاب عنك فكل فقد أحله الله لك وقد زعم قوم أن هذه الآية اقتضت إباحة ذبائح أهل الكتاب مطلقاً وإن ذكروا غير اسم الله فيكون هذا ناسخاً لقوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وليس الأمر كذلك ولا نسخ لأن الأصل أنهم يذكرون الله عند الذبح فيحمل أمرهم على هذا فإن تيقنا أنهم ذكروا غير اسم الله لم نأكله ولا وجه للنسخ وقوله تعالى وطعامكم حل لهم يعني أن ذبائحكم لهم حلال وهذا يدل على أنهم مخاطبون بشريعتنا وقال الزجاج معناه ويحل لكم أن تطعموهم من طعامكم فجعل الخطاب للمؤمنين على أن التحليل يعود إلى إطعامنا إياهم لا إليهم لأنه لا يمتنع أن يحرم الله تعالى أن نطعمهم من ذبائحنا وقيل إن الفائدة في ذكر ذلك أن إباحة المناكحة غير حاصلة من الجانبين وإباحة الذبائح كانت حاصلة في الجانبين فذكر الله ذلك تنبيهاً على التمييز بين النوعين ثم قال تعالى والمحصنات من المؤمنات قال مجاهد هن الحرائر فعلى هذا القول لا تدخل الإماء المؤمنات في هذا التحليل ومن أجاز نكاحهن أجازه بشرطين خوف العنت وعدم طول الحرة وقال ابن عباس المحصنات العفائف فعلى هذا القول لا يحل نكاح الزانية لأنها لم تدخل في هذا التحليل وأباح العلماء نكاحها إذا تابت وحسنت توبتها روي عن طارق بن شهاب أن رجلاً أراد أن يزوج أخته فقالت إني أخشى أن أفضح أبي قد بغيت فأتى عمر فذكر ذلك له منها فقال أليس قد تابت قال بلى قال فزوجها وقيل إنما خص المحصنات بالذكر وهن الحرائر والعفائف ليحث المؤمنين على تخير النساء ليكون الولد كريم الأصل من الطرفين وقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم يعني وأحل لكم المحصنات من أهل الكتاب اليهود والنصارى قال ابن عباس يعني الحرائر من أهل الكتاب وقال الحسن والشعبي والنخعي والضحاك يريد العفائف من أهل الكتاب فعلى قول ابن عباس لا يجوز التزوج بالأمة الكتابية وهو مذهب الشافعي قال لأنه اجتمع في حقها نوعان من النقصان الكفر والرق وعلى قول الحسن ومن وافقه يجوز التزوج بالأمة الكتابية وهو مذهب أبي حنيفة لعموم هذه الآية واختلف العلماء في حكم هذه المسألة فذهب جمهور الفقهاء إلى جواز التزوج بالذميات من اليهود والنصارى روي أن عثمان بن عفان تزوج نائلة بنت الفرافصة على نسائه وهي نصرانية وأن طلحة بن عبيد الله تزوج يهودية وروي عن ابن عمر كراهية ذلك ويحتج بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وكان يقول لا أعلم شركاً أعظم من قولها إن ربها عيسى وأجاب الجمهور عن قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن بأنه عام خص بهذه الآية فأباح الله المحصنات من أهل الكتاب وحرم من سواهن من أهل الشرك وقال سعيد بن المسيب والحسن يجوز التزوج بالذميات والحربيات من أهل الكتاب لعموم قوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وأجاب جمهور العلماء بأن ذلك مخصوص بالذميات دون الحربيات من أهل الكتاب قال ابن عباس من نساء أهل الكتاب من يحل لنا ومنهن من لا يحل لنا وقرأ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله إلى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم

والمراد بهم اهل الذمة دون اهل الحرب من اهل الكتاب وقوله اذا اتيتموهن اجورهن يعني مهورهن وهو العوض الذي
يبذله الزوج للمراة محصنين غير مسافحين يعني متعففين بالتزويج غير زانين ولا متخذي اخدان يعني ولا منفردين
ببغية واحدة قد خادنها وخادنته واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وحده حرم الله الجماع على جهة السفاح وهو
الزنا واتخاذ الصديق وهو الاخدان واحله على جهة الاحصان وهو التزويج بعقد صحيح ومن يكفر بالايمان يعني ومن
يجحد ما امر الله به من توحيده ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله فقد حبط عمله يعني فقد بطل ثواب
عمله الذي كان عمله في الدنيا وخاب وخسر في الدنيا والاخرة وقيل في معنى الاية ومن يكفر بشرايع الايمان وتكاليفه
فقد خاب وخسر في الدنيا والاخرة وقيل في معنى الاية وقال قتادة ذكر لنا ان ناسا من المسلمين قالوا انتزوج
نساء اهل الكتاب وهم على غير ديننا فانزل الله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين
وقيل لما اباح الله نكاح الكتابيات قلن فيما بينهن لولا ان رضي اعمالنا لما ابيح للمومنين تزويجنا فانزل الله هذه الاية
والمعنى ان تزويج المسلمين اياهن ليس بالذي يخرجهن من الكفر وقيل ان اهل الكتاب وان حصلت لهم في الدنيا قدم
فضيلة ما باحة ذبايحهم ونكاح نسايهم الا ان ذلك غير حاصل لهم في الاخرة لان كل من كفر بالله او جحد نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين وقيل ان من احل ما حرم الله او حرم
ما احل الله او جحد بشي مما انزل الله فقد كفر بالله وحبط عمله المتقدم ثم هو في الاخرة من الخاسرين اذا مات
على ذلك وهذا الشرط لا بد منه لانه اذا تاب واسلم قبل الموت قبلت توبته وصح ايمانه قوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا اذا قمتم الى الصلاة يعني اذا اردتم القيام الى الصلاة ومثله قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ
بالله اي اذا اردت قراة القران فاستعذ بالله ومثله من الكلام اذا اتجرت فاتجر في البز اي اذا اردت التجارة
وعلى هذا القول يقتضي وجوب الوضو عند كل صلاة وهو ظاهر الاية ومذهب داود الظاهري وذهب جمهور
العلما من الصحابة فمن بعدهم الى انه يجوز عدة صلوات بوضو واحد واجيب عن ظاهر الاية بان المعنى اذا
قمتم الى الصلاة وانتم على غير طهر فحذف ذكره لدلالة المعنى عليه وهذا احد اختصارات القران وهو كثير جدا
ولان النبي صلى الله عليه وسلم جمع يوم الخندق بين اربع صلوات بوضو واحد وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة احدكم اذا احدث حتى يتوضا اخرجاه في الصحيحين وقيل ان معنى
الاية اذا قمتم الى الصلاة من النوم وقيل هو امر ندب ندب من قام الى الصلاة ان يجدد لها طهارة وان كان على طهر
ويدل عليه حديث ما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضا على طهر كتب له عشر حسنات
اخرجه الترمذي وقيل هذا اعلام من الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا وضوء عليه الا اذا قام الى الصلاة دون
غيرها من الاعمال ويدل عليه ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما من الخلا فقدم اليه
طعام فقالوا الا ناتيك بوضو فقال انما امرت بالوضو اذا قمت الى الصلاة اخرجه مسلم والقول الاول هو المختار في
معنى الاية وفروض الوضو المذكورة في هذه الاية اربعة الاول غسل الوجه وهو قوله تعالى فاغسلوا وجوهكم واستدل
الشافعي على وجوب النية عند غسل الوجه بهذه الاية وتحقيقه ان الوضو مامور به وكل مامور به يجب ان يكون
منويا ولما روي في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الاعمال بالنيات
وانما لكل امري ما نوى والوضو من الاعمال فيجب ان يكون منويا وانما قلنا ان الوضو مامور به وانه من اعمال الدين
لقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والاخلاص عبارة عن النية الخالصة ومتى كانت النية الخالصة
معتبرة كان اصل النية في جميع الاعمال التي يتقرب بها الى الله تعالى معتبرا واستدل ابو حنيفة لعدم وجوب النية
في الوضو بهذه الاية فقال ان النية ليست شرطا لصحة الوضو لان الله تعالى اوجب غسل الاعضاء الاربعة

في

في هذه الاية ولم يوجب النية فيها فايجاب النية زيادة على النص والزيادة على النص نسخ ونسخ القران بخبر الواحد او بالقياس غير
جائز واجيب عنه بانا انما اوجبنا النية في الوضو بدلالة القران وهو قوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين واما حد الوجه فمن منابت شعر الراس الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا لانه
ماخوذ من المواجهة فيجب غسل جميع الوجه في الوضو ويجب ايصال الما الى ما تحت الحاجبين واهداب العينين
والعذارين والشارب والعنفقة وان كانت كثة واما اللحية فان كانت كثة لا ترى البشرة من تحتها
لا يجب غسل ما تحتها ويجب غسل ما تحت اللحية الخفيفة وهل يجب امرار الما على ظاهر ما نزل من اللحية
عن الذقن فيه قولان احدهما وبه قال ابو حنيفة لا يجب لان الشعر النازل عن حد الراس لا يكون حكمه حكم الراس
في المسح فكذلك حكم الشعر النازل عن حد الوجه والقول الثاني يجب امرار الما على ظاهره لان الوجه ماخوذ من المواجهة
فيدخل جميع اللحية في حد الوجه الفرض الثاني قوله تعالى وايديكم الى المرافق يعني واغسلوا ايديكم الى المرافق
والمرفق بالكسر هو من الانسان اعلى الذراع واسفل العضد وذهب جمهور العلما الى وجوب ادخال
المرفقين في الغسل ونقل عن مالك والشعبي وزفر وابي بكر بن داود الظاهري انه لا يجب ادخال المرفقين
في الغسل واختاره ابن جرير الطبري ونقل عن مالك وقد سئل عن قول الله عز وجل فاغسلوا وجوهكم
وايديكم الى المرافق فقال الذي امر به ان يبلغ المرفقين في الغسل لا يجاوزهما وحجة اصحاب هذا
القول ان كلمة الى لانتها الغاية ولان الحد لا يدخل في المحدود فوجب ان لا يجب غسل المرفقين في الوضو
وحجة الجمهور ان حرف الى هنا بمعنى مع ومنه قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي مع اموالكم وبعضده
من السنة ما صح من حديث ابي هريرة انه توضا فغسل وجهه فاسبغ الوضو ثم غسل يده اليمنى حتى
اشرع في العضد ثم يده اليسرى حتى اشرع في العضد ثم قال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضا
والجواب عن الحجة المتقدمة ان الحد اذا كان من جنس المحدود دخل فيه كما في هذه الاية لان المرفق من
جنس اليد واذا لم يكن من جنس المحدود لم يدخل فيه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل لان النهار
من غير جنس الليل فلا يدخل فيه الفرض الثالث قوله تعالى وامسحوا برءوسكم اختلف العلما
في القدر الذي يجب مسحه من الراس فقال مالك يجب مسح جميعه وهو احد الروايتين عن احمد والرواية
الاخرى عنه انه يجب مسح اكثره وقال ابو حنيفة يجب مسح ربعه وفي رواية اخرى عنه يجب مسح قدر ثلاث
اصابع منه وقال الشافعي الواجب مسح ما ينطلق عليه اسم المسح والمراد الصاق المسح بالراس
وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلهم ملصق للمسح بالراس فاخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب
واخذ الشافعي باليقين فاوجب مسح ما يقع عليه اسم المسح واخذ ابو حنيفة ببيان السنة وهو ما روي
عن المغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا فمسح بناصيته وعلى العمامة والخفين متفق عليه وقدر الناصية
بربع الراس الفرض الرابع قوله تعالى وارجلكم الى الكعبين اختلف العلما في هذا الحكم وهل فرض
الرجلين المسح او الغسل فروي عن ابن عباس انه قال الوضو غسلتان ومسحتان ويروى ذلك عن
قتادة ايضا ويروى عن انس انه قال نزل القران بالمسح والسنة بالغسل وعن عكرمة قال ليس
على الرجلين غسل انما نزل فيهما المسح وعن الشعبي انه قال انما هو المسح على الرجلين الا ترى انه
ما كان عليه الغسل جعل عليه التيمم وما عليه المسح اهمل وهو مذهب الامامية من الشيعة
الواجب في الرجلين المسح وقال جمهور العلما من الصحابة والتابعين فمن بعدهم والايمة الاربعة واصحابهم
ان فرض الرجلين هو الغسل وقال داود الظاهري يجب الجمع بينهما وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير

الطبري المكلف مخير بين الغسل والمسح وسبب هذا الاختلاف اختلاف القراء في هذا الحرف فقرأ نافع وابن عامر والكسائي
وحفص عن عاصم وارجلكم بفتح اللام عطفا على الغسل فيكون من المؤخر الذي معناه التقديم ويكون الفعل فاغسلوا
وجوهكم وايديكم الى المرافق وارجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤسكم وقال اصحاب هذه القراءة انما امر الله عباده
بغسل الارجل دون مسحها ويدل عليه ايضا فعل النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين فمن بعدهم وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابو بكر عن عاصم وارجلكم بكسر اللام عطفا على المسح اما قراءة النصب فالمعنى فيها ظاهر
لانه عطف على المغسول لوجوب غسل الرجلين على مذهب الجمهور ولا يلتفت فيه قول من خالف واما قراءة الكسر
فقد اختلفوا في معناه والجواب عنه فقال ابو حاتم وابن الانباري وابو علي الكسر عطف على الممسوح غير ان
المراد بالمسح في الارجل الغسل وقال ابو زيد المسح خفيف الغسل تقول العرب تمسحت للصلاة بمعنى توضأت
لها وهات ما اتمسح به للصلاة يعني اتوضأ قال ابو حاتم وذلك ان المتوضي لا يرضى بصب الماء على اعضائه حتى
يمسحها مع الغسل فسمي الغسل مسحا لهذا الاعتبار فعلى هذا الراس والرجل ممسوحان الا ان مسح في الرجل ه
الراس اخف والذي يدل على ان المراد بالمسح الغسل ذكر التحديد وهو قوله تعالى الى الكعبين لان التحديد
انما جاء في المغسول ولم يجئ في الممسوح فلما وقع التحديد مع المسح علم انه في حكم الغسل وقال جماعة من
العلماء ان الارجل معطوفة على الرؤس في الظاهر والمراد فيها الغسل لانه قد ينسق بالشيء على غيره والحكم
فيهما مختلف كما قال الشاعر يا ليت بعلك قد غدا متقلدا سيفا ورمحا والمعنى وحاملا رمحا لان
الرمح لا يتقلد به وكذلك قول الاخر علفتها تبنا وماء باردا يعني وسقيتها ماء باردا وكذلك المعنى
في الآية وامسحوا برؤسكم واغسلوا ارجلكم فلما لم يذكر الغسل عطفت الارجل على الرؤس في الظاهر واكتفى
بقيام الدليل على ان الارجل مغسولة من مفهوم الآية والاحاديث الواردة الصحيحة بغسل الرجلين
في الوضوء واما من جعل كسر اللام في الارجل على مجاورة اللفظ دون الحكم واستدل بقولهم جحر ضب
خرب وقال الخرب نعت للجحر لا للضب وانما اخذ اعراب الضب للمجاورة فليس بجيد لان الكسر على المجاورة
انما يحمل لاجل الضرورة في الشعر ويصار اليه حيث يحصل الامن من الالتباس لان الخرب لا يكون نعتا
للضب بل للجحر ولان الكسر بالجوار انما يكون بدون حرف العطف اما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب
وقوله تعالى الى الكعبين فيه دليل قاطع على وجوب غسل الرجلين كما في قوله تعالى وايديكم الى
المرافق والمعنى واغسلوا ارجلكم مع الكعبين وقد تقدم اختلاف العلماء في ذلك عند قوله الى المرافق
والكعبان هما العظمان الناشزان عند مفصل الساق والقدم هذا قول جمهور العلماء من
اهل اللغة والفقه وشذت الشيعة ومن قال بمسح الرجلين فقالوا الكعب عبارة عن عظم مستدير
على ظهر القدم ويدل على بطلان هذا القول ان الكعب لو كان على ما ذكروه لكان في كل رجل كعب واحد
فكان ينبغي ان يقال وارجلكم الى الكعاب كما في قوله وايديكم الى المرافق فلما قال الى الكعبين علم ان لكل
رجل كعبين فبطل ما قالوه وثبت قول الجمهور فصل قد تقدم ان الفروض المذكورة في هذه الآية
اربعة وهي غسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح الراس وغسل الرجلين الى الكعبين وتقدم
استدلال الشافعي بهذه الآية على وجوب النية في الوضوء فصارت فرضا خامسا وذهب الشافعي
ومالك واحمد الى وجوب الترتيب في الوضوء وهو ان يغسل الاعضاء في الوضوء على الولاء كما ذكر
الله في هذه الآية فيغسل اولا وجهه ثم يديه ثم يمسح راسه ثم يغسل رجليه فصار
الترتيب فرضا سادسا وذهب ابو حنيفة الى ان الترتيب في الوضوء غير واجب احتج الشافعي

على وجوب الترتيب بهذه الآية وذلك ان الله امر بغسل الوجه ثم بغسل اليدين ثم بمسح الراس ثم
بغسل الرجلين فوجب ان يقع الفعل مرتبا كما امر الله ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث حجة
الوداع ابدؤا بما بدأ الله به وهذا الحديث وان ورد في قصة السعي بين الصفا والمروة فان العبرة بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب ولانه ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم في الوضوء ما ورد الا مرتبا كما ورد
في نص الآية ولم ينقل عنه ولا عن غيره من الصحابة انه توضأ منكسا او غير مرتب فثبت ان ترتيب
افعال الوضوء كما امر الله ونص عليه في هذه الآية واجب واحتج ابو حنيفة لمذهبه بهذه الآية
ايضا وذلك ان الواو لا توجب الترتيب فاذا قلنا بوجوب الترتيب صار ذلك زيادة على النص
وذلك غير جائز واجيب عنه بانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه توضأ الا مرتبا كما ذكر وبيان
الكتاب انما يؤخذ من السنة فصل في ذكر الاحاديث التي وردت في صفة الوضوء وفضله ق
عن حمران مولى عثمان بن عفان ان عثمان دعا باناء فافرغ على كفيه ثلاث مرار فغسلهما ثم ادخل
يمينه في الاناء فمضمض واستنثر ثم غسل رجليه ثلاث مرار الى الكعبين ثم قال رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم
من ذنبه ق عن عبد الله بن زيد بن عاصم الانصاري قيل له توضأ لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدعا باناء فاكفأ منه على يديه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فمضمض واستنشق من كف
واحد ففعل ذلك ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها
فغسل يديه الى المرفقين مرتين مرتين ثم ادخل فاستخرجها فمسح براسه فاقبل بيديه وادبر بيده م
ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد في رواية بعد
قوله فاقبل بيديه وادبر بدأ بمقدم راسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان
الذي بدأ منه عن عبد خير قال اتانا علي كرم الله وجهه وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما
يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد الا ليعلمنا فاتي باناء فيه ماء وطست فافرغ من الاناء على
يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنثر ثلاثا فمضمض ونثر من الكف الذي ياخذ منه ثم غسل
وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا وغسل الشمال ثلاثا ثم جعل يده في الاناء فمسح راسه
مرة واحدة ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ورجله الشمال ثلاثا ثم قال من سره ان يعلم وضوء رسول الله
صلى الله عليه وسلم فهو هذا اخرجه ابو داود وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله كيف الطهور فدعا بماء في اناء فغسل كفيه ثلاثا ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل
ذراعيه ثلاثا ثم مسح براسه فادخل اصبعيه السباحتين في اذنيه ومسح بابهاميه على
ظاهر اذنيه ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا الوضوء فمن زاد على هذا او نقص فقد اساء
وظلم او قال ظلم واساء اخرجه ابو داود وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح براسه
واذنيه ظاهرهما وباطنهما اخرجه الترمذي وصححه ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى
رجلا لم يغسل عقبه فقال ويل للاعقاب من النار م عن جابر قال اخبرني عمر بن الخطاب
ان رجلا توضأ فترك موضع ظفر على قدمه فابصره النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارجع فاحسن
وضوءك قال فرجع فتوضأ ثم صلى اخرجه مسلم عن خالد عن بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان

النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا يصلي وفي قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يعيد
الوضوء والصلاة اخرجه ابو داود ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفرة سافرناها فادركنا وقد ارهقتنا الصلاة ونحن نتوضا فجعلنا نمسح على ارجلنا فنادى
باعلى صوته ويل للاعقاب من النار مرتين او ثلاثا عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا مرة
مرة اخرجه البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا مرتين مرتين اخرجه ابو داود
والترمذي وقال وقد روي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا ثلاثا ثلاثا م عن عقبة بن
عامر قال كانت علينا رعاية الابل فجاءت نوبتي ارعاها فروحتها بعشي فادركت رسول الله صلى الله
عليه وسلم قائما يحدث الناس فادركت من قوله ما من مسلم يتوضا فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين
يقبل عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة فقلت ما اجود هذا فاذا قائل بين يدي يقول التي قبلها
اجود فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال اني قد رايتك جئت آنفا قال ما منكم من احد يتوضا فيبلغ الوضوء
او يسبغ الوضوء ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت
له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا توضا
العبد المسلم او المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء او مع آخر
قطر الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء او مع آخر قطر الماء فاذا غسل
رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء او مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب ق
عن نعيم بن عبد الله المجمر عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان امتي يدعون يوم القيامة
غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل وفي رواية قال رايت ابا هريرة
يتوضا فغسل وجهه واسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى اشرع في العضد ثم غسل يده اليسرى حتى
اشرع في العضد ثم مسح راسه ثم غسل رجله اليمنى حتى اشرع في الساق ثم قال هكذا رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتوضا وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم الغر المحجلون يوم القيامة من اسباغ الوضوء
فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله وفي رواية لمسلم قال سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية
من المؤمن حيث يبلغ الوضوء عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضا على طهر كتب له به عشر حسنات
اخرجه الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر
اسم الله عليه اخرجه ابو داود وابن ماجه قوله تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا اي اغتسلوا امر الله بالاغتسال
من الجنابة وذلك يجب على الرجل والمرأة باحد شيئين اما بخروج المني على اي صفة كان من احتلام او جماع او بالتقاء
الختانين وان لم يكن معه انزال فاذا حصل وجب الغسل ق عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا اغتسل من الجنابة بدا فغسل يديه ثم يفرغ بيمينه على شماله فيغسل فرجه ثم يتوضا
كما يتوضا للصلاة ثم يدخل اصابعه في الماء فيخلل بها اصول شعره ثم يصب على راسه ثلاث غرفات
بيديه ثم يفيض الماء على سائر جسده اما قوله تعالى وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم
من الغائط الى قوله منه دليل على انه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب
وقوله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج يعني من ضيق فيما فرض عليكم من الوضوء والغسل
والتيمم عند عدم الماء ولكن يريد ليطهركم يعني من الاحداث والذنوب والخطايا لان الوضوء

تكفير

تكفير للذنوب وليتم نعمته عليكم يعني ببيان الشرايع والاحكام وما تحتاجون اليه من امر دينكم لعلكم تشكرون
يعني تشكرون نعمته عليكم بان طهركم من الاحداث والذنوب وما جعل عليكم في الدين من حرج قوله تعالى
واذكروا نعمة الله عليكم يعني ما انعم به عليكم من النعم كلها لان كثرة النعم وذكرها توجب مزيد الشكر من المنعم
عليه والاشتغال بطاعة المنعم بها والانقياد لامره وهو الله تعالى وميثاقه الذي واثقكم به يعني واذكروا
عهده الذي عاهدكم به ايها المؤمنون اذ قلتم سمعنا واطعنا وذلك حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على السمع والطاعة فيما احبوا وكرهوا وقيل الميثاق هو الذي اخذه عليهم في يوم الست بربكم قالوا
بلى واتقوا الله يعني فيما اخذه عليكم من الميثاق فلا تنقضوه ان الله عليم بذات الصدور يعني
ان الله تعالى عالم بما في قلوب عباده من خير او شر قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله قال ابن عباس
يريد انهم يقومون لله بحقه ومعنى ذكرها ان يقوم لله بالحق في كل ما يلزمه القيام به من العمل بطاعته
واجتناب نواهيه شهداء بالقسط يعني ولتشهدون بالعدل فيقول لا تحابوا في شهادتكم اهل ودكم
وقرابتكم ولا تمنعوا شهادتكم اهل بغضكم واعدائكم بل اقيموا الشهادة لهم وعليهم بالصدق والعدل ولا يجرمنكم
شنآن قوم ولا يحملنكم بغض قوم على ان لا تعدلوا على ترك العدل فيهم لعداوتهم اعدلوا امر الله بالعدل
تعالى في كل احد القريب والبعيد والصديق والعدو هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب للتقوى ان الله
واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون يعني انه خبير بجميع اعمالكم مطلع عليها ومجازيكم عليها ومن لم يعدل قوله تعالى
وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات يعني عملوا بما وافقهم الله به واوفوا بالعهود التي عاهدوهم عليها لهم
مغفرة واجر عظيم هذا بيان للوعد كانه لما قدم ذكر الوعد فقيل اي شيء هذا الوعد فقال لهم مغفرة واجر عظيم
واذا وعدهم انجز لهم الوعد فانه تعالى لا يخلف الميعاد والذين كفروا وكذبوا باياتنا يعني والذين جحدوا وحدانية
الله ونقضوا عهوده ومواثيقه وكذبوا بما جاءت به الرسل من عنده اولئك يعني من هذه صفته اصحاب الجحيم
هذه الاية نص قاطع في ان الخلود في النار ليس الا للكفار لان المصاحبة تقتضي الملازمة كما يقال فلان صاحب فلان
يعني الملازم له قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم يعني اذكروا نعمة الله عليكم بالدفع عنكم مع
سائر نعمه التي انعم بها عليكم ثم وصف تلك النعمة التي ذكرهم بها وامرهم بالشكر عليها فقال تعالى اذ هم قوم
ان يبسطوا اليكم ايديهم يعني بالقتل والبطش بكم فكف ايديهم عنكم وحال بينهم وبين ما ارادوه
بكم ثم اختلف اهل التفسير في سبب نزول هذه الاية وفي صفة هذه النعمة التي امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
بذكرها والشكر عليها فقال قتادة نزلت هذه الاية ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة حين اراد
بنو ثعلبة وبنو محارب ان يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وباصحابه اذا اشتغلوا بالصلاة فاطلع
الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل صلاة الخوف وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
محاصرا غطفان بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم ان اقتل محمدا قالوا وكيف تقتله قال افتك به
قالوا وددنا انك فعلت ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم متقلد سيفه فقال يا محمد
ارني سيفك فاعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر اليه مرة والى النبي صلى الله عليه وسلم مرة ثم قال من
يمنعك مني قال الله فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغمد السيف ومضى فانزل الله هذه
الاية وقال مجاهد وعكرمة والكلبي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو الساعدي وهو
احد النقباء ليلة العقبة في ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بني عامر فقتلوا المنذر
واصحابه الا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم احدهم عمرو بن امية الضمري فلم يرعهم الا والطير تحوم في السماء يسقط

من منقارها علق الوتر فقال احوا النفر الثلاثة قتلوا اصحابنا ثم تولى ليشتد حتى لقي رجلا من المشركين باعلى
ضنيين فخالطته الضربة رفع راسه الى السماء وفتح عينيه وقال الله اكبر الجنة ورب العالمين ورجع حاجبا
فلقي رجلين من بني سليم وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومهما موادعة فانتسبا الى بني عامر
فقتلاهما وقدم قومهما الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان
وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الاشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما وكانوا
قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ترك القتال وعلى ان يعينوه في الديات وقيل اراد ان يستقرض
منهم دية رجلين فقالوا نعم يا ابا القاسم قد آن لك ان تأتينا وتسألنا حاجة اجلس حتى نطعمك
ونعطيك الذي سألت فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فخلا بعض اليهود ببعض
وقالوا انكم لن تجدوا محمدا اقرب منه الآن فمن يظهر منكم على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا
منه فقال عمرو بن جحاش انا فجاء الى رحا عظيمة ليطرحها على النبي صلى الله عليه وسلم فامسك الله يده
ونزل جبريل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة وقال [illegible]
معه علي بن ابي طالب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي لا تبرح مكانك حتى تخرج اليك اصحابي فمن خرج
اليك منهم وسألك عني فقل توجه الى المدينة ففعل ذلك علي حتى تناهوا اليه ثم تبعوه الى المدينة
وانزل الله عز وجل هذه الآية يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم يعني اليهود
ان يبسطوا اليكم ايديهم يقال بسط يده اذا بطش به ومعناه اذا مدها الى المبطوش به ليقتله
فكف ايديهم عنكم يعني انه تعالى منعهم مما ارادوه بكم واتقوا الله يعني فيما امركم به ونهاكم عنه وعلى
الله فليتوكل المؤمنون امر الله المؤمنين بالتوكل عليه لانه هو الكافي لعباده جميع امورهم فاذا
فعلوا ذلك وتوكلوا عليه حفظهم ورعاهم ممن ارادهم بسوء كما كف ايدي الكفار من اليهود
عنهم لما ارادوا ان يفتكوا بهم وهذه القصة اولى بالصواب لانه عقب الآية بذم اليهود وذكر
قبيح افعالهم وخيانتهم وذكر قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل لما ذكر الله في الآية المتقدمة
بعض غدرات اليهود وما ارادوه من كيد رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعه بذكر اسلافهم
وما نقضوه من المواثيق والعهود ومعنى الآية ان الله اخذ ميثاقهم ان يعبدوه ولا يشركوا به
شيئا وان يعملوا بما في التوراة من الاحكام والتكاليف وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا
اختلف العلماء في معنى النقيب فقال ابن عباس النقيب الضمين وقال قتادة هو
الشهيد على قومه وقيل هو الامين الكفيل وقيل هو الباحث عن القوم
وعن احوالهم ذكر القصة في ذلك قال اصحاب الاخبار والسير ان الله عز وجل
وعد موسى عليه السلام ان يورثه وقومه الارض المقدسة وكان يسكنها الكنعانيون
الجبارون فامر الله موسى ان يسير ببني اسرائيل الى الارض المقدسة فاني قد كتبتها لكم دارا وقرارا
فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فاني ناصركم عليهم وخذ من قومك اثني عشر نقيبا
من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء منهم على ما امروا به فاختار موسى النقباء
وسار ببني اسرائيل حتى قربوا من اريحا وهي مدينة الجبارين فبعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الاخبار
ويعلمون علمها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عناق وعناق هي امه وهي احدى
بنات آدم عليه السلام وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلث ذراع

هكذا

هكذا نقله البغوي وفيه نظر لان آدم عليه السلام كان طوله على ما ورد في الاحاديث الصحيحة ستين ذراعا
قال وكان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من قعر البحر ويشويه في عين الشمس
ويروى ان الماء طبق ما على الارض من جبل وما جاوز ركبتي عوج وقال لنوح عليه السلام احملني
معك في سفينتك فقال نوح اخرج عني يا عدو الله فاني لم اومر بك وعاش عوج ثلاثة آلاف سنة حتى
اهلكه الله على يد موسى عليه السلام وذلك انه قلع صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى وكان فرسخا
في فرسخ وحملها على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فنقب الصخرة ونقرها بمنقاره
فوقعت في عنقه فصرعته واقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله قال فلما لقي عليه م
عوج النقباء فاخذهم وجعلهم في حجزته وكان على راسه حزمة حطب وانطلق بهم الى امراته
وقال لها انظري الى هؤلاء الذين يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت
امراته بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما راوا وقيل انه جعلهم في كمه واتى بهم الى الملك فنثرهم بين
يديه فقال لهم الملك ارجعوا الى قومكم فاخبروهم بما رأيتم وكان مما رأوا ان العنقود من العنب
لا يحمله الا خمسة انفس منهم بينهم في خشبة ويدخل في شطر الرمانة اذا نزع حبها
خمسة انفس منهم فرجع النقباء وقال بعضهم لبعض يا قوم انكم ان اخبرتم بني اسرائيل خبر
القوم رجعوا عن نبي الله موسى ولا يقاتلونهم ولكن اكتموا عن بني اسرائيل خبر القوم واخبروا موسى وهرون
بما رأيتم فيريان رأيهما فاخذ بعض النقباء على بعض الميثاق بذلك فلما رجعوا الى بني اسرائيل نكثوا
العهد والميثاق واخبر كل رجل سبطه بما رأى الا رجلان منهم وهم يوشع بن نون وكالب بن يوفنا
فانهما وفيا بالعهد ولم ينكثا الميثاق فذلك قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل
وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم فيه حذف تقديره وقال للنقباء اني معكم
يعني بالنصر والمعونة وقيل هو خطاب لعامة بني اسرائيل والقول الاول اولى لان الضمير يعود
الى اقرب مذكور فكان عوده الى النقباء اولى ثم ابتدأ الكلام فقال مخاطبا لبني اسرائيل لئن اقمتم الصلاة
وهذه جملة شرطية فالشرط مركب من خمسة امور وهي قوله تعالى لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة
وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا وجزاء الشرط قوله تعالى لاكفرن عنكم سيئاتكم
فذلك اشارة الى ازالة العقاب وقوله تعالى ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار اشارة الى ايصال
الثواب ومعنى الآية لئن اقمتم الصلاة المكتوبة وآتيتم الزكاة المفروضة وآمنتم برسلي يعني بجميع رسلي
وانما اخر ذكر الايمان بالرسل لان اليهود كانوا مقرين باقام الصلاة وايتاء الزكاة والايمان ببعض
الرسل فقال الله لهم انه لا يتم لكم ذلك ولا يحصل المقصود الا بالايمان بجميع الرسل وقوله تعالى وعزرتموهم
نصرتموهم بان تردوا اعداءهم عنهم وقيل معناه وقرتموهم وعظمتموهم والقول هو الاول واقرضتم
الله قرضا حسنا يعني به الصدقات المندوبة لان الزكاة تقدم ذكرها فلا فائدة في تفسير هذا
القرض بالزكاة فان قلت كيف قال واقرضتم الله قرضا حسنا ولم يقل اقراضا حسنا
لان مصدر الاقراض قلت ان قوله قرضا اخرج مصدرا من معناه لا من لفظه وذلك
ان اقرض بمعنى قرض فكان معنى الكلام واقرضتم الله فقرضتم قرضا حسنا ونظير ذلك قوله تعالى معناه م
والله انبتكم من الارض نباتا اذ كان معنى فنبتم نباتا وقوله تعالى لاكفرن عنكم سيئاتكم يعني اذا فعلتم ساير
ما ذكرته لامحون عنكم سيئاتكم واغفرها لكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم

يعني بعد اخذكم العهد والميثاق فقد ضل سواء السبيل يعني فقد اخطأ الطريق المستقيم وهو طريق
الرشد الذي شرعه والهدى الذي امر باتباعه قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم اي فبسبب نقضهم
الميثاق وذلك ان بني اسرائيل نقضوا ميثاق الله وعهده بان كذبوا الرسل الذين جاؤا من بعد موسى
وقتلوا انبياء الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرائضه لعناهم يعني جازيناهم على ذلك بان ابعدناهم
وطردناهم عن رحمتنا واصل اللعنة الابعاد عن الرحمة وجعلنا قلوبهم قاسية يعني غليظة
يابسة لا تلين لان القسوة خلاف اللين والرقة وقيل معناه ان قلوبهم ليست خالصة الايمان
بل ايمانهم مشوب بالكفر والنفاق يحرفون الكلم عن مواضعه يعني يغيرون حدود التورية واحكامها
وقيل هو تبديلهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته من التورية وقيل هو تحريفهم معاني
الالفاظ بالتبديلات ونحوه ونسوا حظا مما ذكروا به يعني وتركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته وصفته ولا تزال تطلع على خائنة منهم قال ابن عباس على
معصية منهم وكانت خيانتهم نقض العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهمهم بقتله وسمه ونحوها من خياناتهم التي ظهرت الا قليلا منهم يعني انهم لم يخونوا ولم ينقضوا
العهد وهم عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اهل الكتاب فاعف عنهم واصفح اي فاعف عنهم يا
محمد واصفح عن جرمهم وعن مؤاخذتهم وهذا الامر بالعفو والصفح عن اهل الكتاب منسوخ بقوله تعالى
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الاية التي في سورة براءة قاله قتادة وقيل انه غير
منسوخ بل نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فغدروا ونقضوا ذلك العهد
فاظهر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل هذه الاية ولم تنسخ وذلك انه يجوز ان يعفو عن
غدر فعلوها ما لم ينصبوا حربا ولم يمتنعوا من اداء الجزية والصغار وعلى هذا القول بانه غير
منسوخ يكون معنى الاية فاعف عمن هو منهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم قبل ذلك وقيل معناه
فاعف عن صغاير زلاتهم ما داموا باقين على العهد ان الله يحب المحسنين يعني اذا عفوت عنهم
فانك محسن وان الله يحب المحسنين قوله عز وجل ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم
لما ذكر الله نقض اليهود الميثاق تبعه بذكر نقض النصارى الميثاق وان سبيل النصارى مثل سبيل
اليهود في نقض الميثاق وانما قال تعالى من الذين قالوا انا نصارى ولم يقل من النصارى لانهم الذين
ابتدعوا هذا الاسم وسموا به انفسهم لا ان الله تعالى سماهم به اخذنا ميثاقهم يعني كتبنا عليهم
في الانجيل ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فنسوا حظا مما ذكروا به يعني فتركوا ما امروا به من الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم فاغرينا يعني فالصقنا واوقعنا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة
قال قتادة لما تركوا العمل بكتاب الله وعصوا رسله وضيعوا فرائضه وعطلوا حدوده القى العداوة
والبغضاء بينهم وقيل العداوة والبغضاء هي الاهواء المختلفة وفي الهاء والميم من قوله تعالى
بينهم قولان احدهما ان المراد بهم اليهود والنصارى فان العداوة والبغضاء حاصلة بينهم
الى يوم القيمة والقول الثاني ان المراد بهم فرق النصارى فان كل فرقة منهم تكفر الاخرى
وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون يعني انه تعالى يخبرهم في الآخرة باعمالهم التي عملوها في الدنيا
ويجازيهم عليها قوله تعالى يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى
قد جاءكم رسولنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب

يعني

يعني انه محمدا صلى الله عليه وسلم يظهر كثيرا مما اخفوا وكتموا من احكام التورية والانجيل وذلك انهم اخفوا آية الرجم
وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ذلك واظهره وهذا معجز للنبي صلى الله عليه وسلم
لانه لم يقرأ كتابهم ولم يعلم ما فيه فكان اظهاره ذلك معجزة له ويعفو عن كثير يعني مما يكتمونه فلا يتعرض له ولا يؤاخذهم
به لانه لا حاجة الى اظهاره والفائدة في ذكر ذلك انهم يعلمون كون النبي صلى الله عليه وسلم عالما بما يخفونه وهو
معجز له ايضا فيكون ذلك داعيا لهم الى الايمان به قد جاءكم من الله نور يعني محمدا صلى الله عليه وسلم انما سماه
الله نورا لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور في الظلام وقيل النور هو الاسلام وكتاب مبين يعني القرآن يهدي
به الله يعني يهدي الله بالكتاب المبين من اتبع رضوانه اي اتبع ما رضيه الله وهو دين الاسلام لانه مدحه
واثنى عليه سبل السلام قال ابن عباس يريد دين الاسلام لانه دين الله وهو الاسلام وسبيل
دينه الذي شرعه لعباده وبعث به رسله وامر عباده باتباعه وقيل سبل السلام طرق السلامة
وقيل سبل السلام دار السلام فيكون من باب حذف المضاف ويخرجهم من الظلمات الى النور
يعني من ظلمات الكفر الى نور الايمان باذنه يعني بتوفيقه وهدايته ويهديهم الى صراط مستقيم يعني
دين الاسلام قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قال ابن عباس هؤلاء نصارى
نجران فانهم قالوا هذه المقالة وهو مذهب اليعقوبية والملكانية من النصارى لانهم يقولون في المسيح
انه الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة لانهم يقولون بالحلول وان الله قد
حل في بدن عيسى فلما كان اعتقادهم ذلك لا جرم حكم الله عليهم بالكفر ثم ذكر الله ما يدل على فساد مذهبهم
فقال تعالى قل يعني يا محمد لهؤلاء النصارى الذين يقولون هذه المقالة فمن يملك يعني فمن يقدر ان
يدفع من الله شيئا يعني من امر الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه يعني يعدم المسيح
وامه ومن في الارض جميعا ووجه الاحتجاج على النصارى بهذا ان المسيح لو كان الها كما يقولون
لقدر على دفع امر الله اذا اراد اهلاكه واهلاك امه وعجزها ولله ملك السموات والارض وما
بينهما ولم يقل وما بينهن لانه اراد وما بين هذين النوعين او الصنفين من الاشياء فانها ملكه
واهلها عبيده وعيسى وامه من جملة عبيده يخلق ما يشاء يعني من غير اعتراض عليه فيما يخلق
لانه خلق آدم من غير اب وام وخلق عيسى من ام بلا اب وخلق سائر الخلق من اب وام والله
على كل شيء قدير يعني انه تعالى لا يعجزه شيء اراده فلا اعتراض لاحد من خلقه عليه قوله تعالى وقالت
اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قال ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن اضاء
وبحري بن عمرو وشاس بن عدي فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وحذرهم نقمته فقالوا
ما تخوفنا يا محمد نحن والله ابناء الله واحباؤه كقول النصارى فانزل الله فيهم وقالت اليهود
والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه الاية وسبب هذه المقالة ما حكاه السدي قال اما اليهود
فانهم قالوا ان الله اوحى الى اسرائيل ان ولدك بكرك من الولد فادخلهم النار فيكونون فيها اربعين ليلة
حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادي مناد ان اخرجوا كل مختون من ولد اسرائيل فاخرجهم فذلك
قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات واما النصارى فان فريقا منهم يقولون المسيح ابن الله
وكذبوا فيما قالوا على الله تعالى فاما وجه قول اليهود فانهم يعنون انه من حدبه وعطفه عليهم كالاب الشفيق

على الولد والتشريف فوجه قول النصارى فانهم لما قالوا في المسيح انه ابن الله وادعوا انه منهم فكانهم قالوا نحن ابناء الله
لهذا السبب وقيل ان اليهود انما قالوا هذه المقالة من باب حذف المضاف والمعنى نحن ابناء رسل الله
واما النصارى فانهم تاولوا قول المسيح اذهب الى ابي وابيكم وقوله اذا صليتم فقولوا يا ابانا الذي في السماء
تقدس اسمك فذهبوا الى ظاهر هذه المقالة ولم يعلموا ما اراد المسيح عليه السلام ان صحت هذه المقالة نحن
ابناء الله واحباؤه فانكر الله عز وجل دعواهم وكذبهم فيما قالوا بقوله تعالى قل فلم يعذبكم بذنوبكم معناه ان
كان الامر على ما تزعمون فلم يعذبكم الله وانتم قد اقررتم على انفسكم انه يعذبكم اربعين يوما لا يعذب حبيبه في النار
بل انتم بشر ممن خلق يعني بل انتم يا معشر اليهود والنصارى كسائر بني ادم تجزون بالاساءة والاحسان
وقوله تعالى يغفر لمن يشاء يعني من مات على اليهودية والنصرانية وقيل معناه يهدي من يشاء ويعذب من يشاء
فيغفر له ويميت من يشاء على كفره فيعذبه ولله ملك السموات والارض وما بينهما يعني انه تعالى ملك ذلك كله لا
شريك له في ذلك فيعارضه وهو الذي يملك الغفران لمن يشاء والتعذيب لمن يشاء وفيه دليل على انه تعالى لا
ولد له لان من يملك السموات والارض يستحيل ان يكون له شبيه من خلقه او شريك في ملكه واليه المصير
يعني والمرجع العباد في الاخرة فيجازيهم باعمالهم قوله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة
من الرسل قال ابن عباس قال معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب لليهود يا معشر
اليهود اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته
فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهوذا ما قلنا هذا لكم فانزل الله هذه الآية يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم يعني احكام الدين والشرائع على فترة من الرسل قال ابن عباس يعني
على انقطاع من الرسل واختلف العلماء في قدر مدة الفترة وروي عن سلمان قال فترة ما بين عيسى
ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة اخرجه البخاري وقال قتادة كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم
ستمائة سنة وما شاء الله من ذلك وعنه انها خمسمائة سنة وستون سنة وقال ابن السائب خمسمائة واربعون
سنة وقال الضحاك اربعمائة وبضع وثلاثون سنة ونقل ابن الجوزي عن ابن عباس على فترة من الرسل
قال على انقطاع منهم قال وكان بين ميلاد عيسى ومولد محمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وتسعة وستون سنة
وهي الفترة وكان بعد عيسى اربعة من الرسل فذلك قوله عز وجل اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما
فعززنا بثالث قال والرابع لا ادري من هو فكانت تلك السنين مائة واربع وثلاثون سنة نبوة وسائرها
فترة قال ابو سليمن الدمشقي والرابع والله اعلم خالد بن سنان الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي
ضيعه قومه قال الامام فخر الدين الرازي والفائدة في بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عند فترة الرسل هي
ان التحريف والتغيير كان قد تطرق الى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول زمانها وبسبب ذلك
اختلاط الحق بالباطل والكذب بالصدق فصار ذلك عذرا ظاهرا في اعراض الخلق عن العبادات لان لهم ان
يقولوا الهنا عرفنا انه لا بد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فبعث الله عز وجل في هذا الوقت
محمدا صلى الله عليه وسلم ازالة لهذا العذر فذلك قوله عز وجل ان تقولوا ما جاءنا من بشير يعني لئلا تقولوا وقيل
معناه كراهية ان تقولوا ما جاءنا من بشير في هذا الوقت فقد جاءكم بشير ونذير يعني فقد ارسلت اليكم
محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر والله على كل شيء قدير يعني انه تعالى قادر على بعثة الرسل

نعوت الى خيرهم قوله عز وجل واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم قال ابن عباس اذكروا نعمة الله وقيل معناه
اذكروا ايادي الله عندكم وايامه التي انعم فيها عليكم قال الطبري وهذا تعريف من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قديم تمادي
اليهود في الغي وبعدهم عن الحق وسوء اختيارهم لانفسهم وشدة مخالفتهم لانبيائهم مع كثرة نعم الله عليهم وتتابع اياديه
وآلائه لديهم وتسلية بذلك لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم عما نزل به من مقاساتهم ومعالجتهم في ذات الله عز وجل
اذ جعل فيكم انبياء يعني ان موسى عليه السلام ذكر قومه بني اسرائيل بايام الله عندهم وبالائه عليهم فقال اذكروا نعمة الله عليكم
اذ فضلكم بان جعل فيكم انبياء قال الكلبي هم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه وانطلقوا الى الجبل
وايضا فان بني اسرائيل هم من اولاد يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عليهم السلام وهؤلاء لا شك انهم من
اكابر الانبياء واولاد يعقوب وهم الاسباط انبياء على قول الاكثر وموسى وهرون عليهما السلام وايضا
فان الله تعالى اعلم موسى انه يبعث من بعده في بني اسرائيل انبياء فانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل
من الانبياء فكان هذا شرفا عظيما لهم ونعمة من الله عليهم وجعلكم ملوكا يعني وجعلكم احرارا تملكون انفسكم
بعد ان كنتم عبيدا في ايدي القبط قال ابن عباس يعني جعلكم اصحاب خدم وحشم قال قتادة كانوا اول
من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وروي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان بنو اسرائيل
اذا كان لاحدهم خادم وامراة ودابة يكتب ملكا ذكره البغوي بغير سند وسال رجل عبد الله بن عمرو
ابن العاص فقال السنا من فقراء المهاجرين فقال له عبد الله الك امراة تاوي اليها قال نعم قال الك
مسكن تسكنه قال نعم قال انت من الاغنياء قال فان لي خادما قال فانت من الملوك وقال الضحاك
كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية ومن كان مسكنه واسعا وفيه ماء جار فهو ملك
واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين يعني من عالمي زمانكم يذكرهم ما انعم الله به عليهم من فلق البحر لهم
واهلاك عدوهم وانزال المن والسلوى عليهم واخراج الماء من الحجر وتظليل الغمام فوقهم الى غير ذلك من
النعم التي انعم الله بها عليهم قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم لما ذكر موسى
قومه ما انعم الله به عليهم امرهم بالخروج الى جهاد عدوهم فقال يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم
يعني المطهرة سميت مقدسة لانها طهرت من الشرك وصارت مسكنا للانبياء والمؤمنين وقيل المقدسة المباركة
قال الكلبي صعد ابرهيم صلى الله عليه وسلم جبل لبنان فقيل له انظر فما ادرك بصرك فهو مقدس وهو
ميراث لذريتك والارض هي الطور وما حوله وقيل هي اريحا وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي دمشق
وقيل هي الشام كلها قال كعب الاحبار وجدت في كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله من ارضه وبها اكثر عباده
التي كتب الله لكم يعني كتب الله لكم في اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقيل فرض عليكم دخولها وامركم بسكناها
وقيل وهبها لكم فان قلت كيف قال الله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم وقوله فانها محرمة عليهم
فكيف الجمع بينهما قلت فيه وجوه احدها انها كانت هبة من الله ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم
الثاني ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الخصوص وصار كانه مكتوب لبعضهم وحرام على بعضهم
فان يوشع بن نون وكالب بن يوفنا دخلاها وكانا ممن خوطب بهذا الخطاب الوجه الثالث ان هذا الوعد
كان مشروطا بالطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط الوجه الرابع قال انها محرمة عليهم اربعين سنة
فلما مضت الاربعون دخلوها وصارت مساكن لهم كما وعدهم الله تعالى وقوله تعالى ولا ترتدوا على ادباركم
يعني ولا ترجعوا القهقرى مرتدين على اعقابكم الى ورائكم ولكن امضوا لامر الله الذي امركم به وان فعلتم خلاف
ما امركم الله به فتنقلبوا خاسرين يعني فترجعوا خائبين لانكم رددتم امر الله قوله عز وجل قالوا يعني قوم موسى يا موسى ان فيها

يعني في الأرض المقدسة قوماً جبارين يعني قوماً عاتين لا طاقة لنا بهم ولا قوة لنا بأحد منا بقتالهم وسموا أولئك القوم جبارين
لشدة بطشهم وعظم خلقهم وكانوا ذوي أجسام عظيمة وأشكال هائلة وهم من العمالقة بقية قوم عاد وأصل
الجبار في صفة الإنسان فعّال من جبره على الأمر يعني أجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد
وقيل إنه مأخوذ من قولهم نخلة جبارة إذا كانت طويلة مرتفعة لا تصل الأيدي إليها ويقال رجل جبار
إذا كان طويلاً عظيماً قوياً تشبيهاً بالجبار من النخل ﴿وإنا لن ندخلها﴾ يعني أرض الجبارين التي أمرهم الله بدخولها
﴿حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها﴾ يعني يخرج الجبارون من الأرض المقدسة وإنما قالوا ذلك استبعاداً لخروج الجبارين
من أرضهم ﴿فإنا داخلون﴾ يعني فيها قال العلماء بالأخبار إن النقباء لما خرجوا من أرضهم متجسسين
الأخبار لموسى عليه السلام عن أمر القوم وما عاينوه رجعوا إلى موسى وأخبروه خبر القوم وما عاينوه منهم قال لهم موسى
عليه السلام لا تخبروا بني إسرائيل بهذا فيجبنوا ويضعفوا عن قتالهم وقيل إن النقباء الاثنى عشر لما خرجوا من أرض
الجبارين قال بعضهم لبعض لا تخبروا بني إسرائيل بما رأيتم فلما رجعوا وأخبروا موسى أمرهم أن لا يخبروا بني إسرائيل
[illegible] ونقضوا العهد وأخبر كل رجل سبطه بما رأى إلا يوشع بن نون وكالب فإنهما كتما ووفيا بالعهد فلما من النقباء
علم ذلك بنو إسرائيل وفشا ذكره فيهم رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا في أرض مصر ولا يدخلنا الله أرضهم
فتكون نساؤنا وأولادنا وأموالنا غنيمة لهم وجعل الرجل من بني إسرائيل يقول لصاحبه تعالوا نجعل لنا رأساً
وننصرف إلى مصر فلما قال بنو إسرائيل ذلك وهموا بالانصراف إلى مصر خر موسى وهرون ساجدين وخرق يوشع وكالب
ثيابهما وهما اللذان أخبر الله عنهما بقوله تعالى ﴿قال رجلان من الذين يخافون﴾ يعني يخافون الله ﴿أنعم الله عليهما﴾
يعني بالصلاح والوفاء بالعهد ﴿ادخلوا عليهم الباب﴾ يعني قال الرجلان وهما يوشع بن نون
وكالب بن يوفنا لبني إسرائيل ادخلوا على الجبارين باب مدينتهم ﴿فإذا دخلتموه فإنكم غالبون﴾ لأن الله وعدكم
بالنصر وإن الله منجز لكم وعده ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ يعني يقول الرجلان لقوم موسى توكلوا على الله
فإنه معكم وناصركم إن كنتم مصدقين بأن الله ناصركم ولا يهولنكم عظم أجسامهم فإنا قد رأيناهم فكانت أجسامهم
عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلما قالا ذلك أراد بنو إسرائيل أن يرجموهما بالحجارة وعصوا أمرهما وقالوا ما
أخبر الله عنهم بقوله تعالى ﴿قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً﴾ يعني قال قوم موسى لموسى إنا لن ندخل مدينة
الجبارين أبداً يعني مدة حياتنا ﴿ما داموا فيها﴾ يعني مقيمين فيها ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا
قاعدون﴾ لأن مذهب اليهود التجسيم فكانوا يجوزون الذهاب والمجيء على الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً قال بعض العلماء
إن كانوا قالوا هذا على وجه الذهاب من مكان إلى مكان فهو كفر وإن كانوا قالوه على وجه الخلاف لأمر الله ولأمر
نبيه موسى فهو فسق وقال بعضهم إنما قالوه على وجه المجاز والمعنى اذهب أنت وربك معين لك لكن قوله
فقاتلا يفسد هذا التأويل وقال بعضهم المراد بقوله وربك أخاه هرون لأنه كان أكبر من موسى
والأصح أنهم قالوا ذلك جهلاً منهم بالله تعالى وصفاته ومنه قوله تعالى ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ خ عن
ابن مسعود قال شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إلي مما عدل به أتى النبي
صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين يوم بدر فقال يا رسول الله إنا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل
لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن امض ونحن معك فكأنه سري عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي رواية لكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
أشرق وجهه وسره قوله تعالى ﴿قال﴾ يعني قال موسى عليه السلام ﴿رب إني﴾ أي يا رب إني ﴿لا أملك إلا نفسي وأخي﴾ يعني
إلا لا أملك إلا نفسي وأخي لا يملك إلا نفسه وقيل معناه لا أملك إلا نفسي ونفس أخي لأنه كان يطيعه وإذا كان كذلك فقد

ملكه وإنما قال موسى لا أملك إلا نفسي وأخي وإن كان معه في طاعته يوشع بن نون وكالب بن يوفنا لاختصاص هرون
به ولم يرد العتاب بأخيه ويحتمل أن يكون معناه وأخي في الدين ومن كان على ديني وطاعتي فهو أخي في الدين
فعلى هذا الاحتمال يدخل الرجلان في قوله وأخي ثم قال ﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ أي فافصل وقيل
احكم بيننا وبين القوم الفاسقين يعني الخارجين عن طاعتك وإنما قال موسى ذلك لما رأى من بني إسرائيل وما
فعلوه من مخالفة أمر الله وهمهم بيوشع وكالب غضب موسى لذلك ودعا عليهم فأجاب الله تعالى
دعاء موسى عليه السلام فقال عز وجل ﴿فإنها محرمة عليهم أربعين سنة﴾ يعني فإن الأرض المقدسة محرمة عليهم
ومعناه أن تلك البلدة محرمة عليهم أبداً ولم يرد به تحريم تعبد وإنما أراد تحريم منع فأوحى الله تعالى إلى موسى
لأحلفت لأحرمن عليهم دخول الأرض المقدسة غير عبدي يوشع وكالب ولأتيهنهم في هذه البرية
أربعين سنة مكان كل يوم من الأيام التي كانوا يتجسسون فيها سنة ولألقين جيفهم في هذه القفار وأما
أبناؤهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونها فذلك قوله تعالى ﴿فإنها﴾ يعني الأرض المقدسة ﴿محرمة عليهم﴾ قال أكثر
أهل العلم هذا تحريم منع لا تحريم تعبد وقيل يحتمل أن يكون تحريم تعبد فيجوز أن يكون الله تعالى أمرهم
بأن يمكثوا في تلك المفازة في الشدة والبلية عقاباً لهم على سوء صنيعهم ﴿أربعين سنة﴾ فمن قال إن الكلام تم
عند قوله فإنها محرمة عليهم قال أربعين سنة يتيهون في الأرض فأما التحريم فإنه مؤبد حتى
يموتوا أو يدخلها أبناؤهم وقيل معناه أن الأرض المقدسة محرمة عليهم أربعين سنة ثم يدخلونها
ويفتح لهم وقوله تعالى ﴿يتيهون في الأرض﴾ يعني يتحيرون فيها يقال تاه يتيه إذا تحير واختلفوا في مقدار الأرض
التي تاهوا فيها فقيل مقدار ست فراسخ وقيل ست فراسخ في اثني عشر فرسخاً وقيل تسع
فراسخ في ثلاثين فرسخاً وكان القوم ستمائة ألف مقاتل وكانوا يرحلون ويسيرون يومهم أجمع فإذا
أمسوا إذا هم في الموضع الذي رحلوا منه وكان ذلك التيه عقوبة لبني إسرائيل ما خلا موسى وهرون ويوشع
وكالب فإن الله تعالى سهله عليهم وأعانهم عليه كما سهل على إبراهيم النار وجعلها برداً وسلاماً
فإن قلت كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم في هذا القدر الصغير من الأرض أربعين سنة بحيث لم يخرج منه
أحد قلت هذا من خوارق العادات وخوارق العادات في أزمان الأنبياء غير مستبعد فإن الله على
كل شيء قدير وقيل إن فسرنا ذلك التحريم بتحريم التعبد زال هذا الإشكال لاحتمال أن الله حرم عليهم
الخروج من تلك الأرض بل أمرهم بالمكث أربعين سنة في المشقة والمحنة جزاء لهم على سوء صنيعهم ومخالفتهم
أمر الله ولما حصل بنو إسرائيل في التيه شكوا إلى موسى عليه السلام حالهم فأنزل الله عليهم المن والسلوى
وأعطوا من الكسوة ما هي قائمة لهم فينشو الناشي منهم فتطول معه على مقداره وهيئته وسأل
موسى ربه أن يسقيهم فأتى بحجر أبيض من جبل الطور فكان إذا نزل ضربه بعصاه فتخرج منه
اثنا عشر عيناً لكل سبط منهم عين وأرسل الله عليهم الغمام يظلهم في التيه ومات في التيه
كل من دخله ممن جاوز عشرين سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ولم يدخل أريحا أحد ممن قال إنا
لن ندخلها أبداً واختلفوا في أن موسى مات في التيه أم خرج منه فقيل إن موسى وهرون ماتا
في التيه جميعاً

قصة وفاة موسى وهرون عليهما السلام

فأما هرون فإنه كان أكبر من موسى
بسنة قال السدي أوحى الله عز وجل إلى موسى أني متوف هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق
موسى وهرون نحو ذلك الجبل فإذا بشجرة لم ير مثلها وإذا ببيت مبني وفيه سرير عليه فراش وفيه رائحة

طيبه فلما رأى هرون ذلك البيت اعجبه وقال يا موسى اني احب ان انام على هذا السرير قال نم عليه قال اني اخاف ان يأتي رب هذا البيت فيغضب علي قال لا تخف انا اكفيك رب هذا البيت فنم قال يا موسى فنم انت معي فان جاء رب هذا البيت غضب علي وعليك جميعا فلما ناما اخذ هرون الموت فلما وجد مسه قال يا موسى خدعتني فلما قبض هرون رفع البيت والسرير الى السماء وهرون عليه وذهبت الشجرة فرجع موسى الى بني اسرائيل وليس هرون معه فقالت بنو اسرائيل حسد موسى هرون فقتله لحبنا اياه قال موسى ويحكم ان هرون كان اخي افتراني اقتله فلما اكثروا عليه قام موسى فصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل فنزل السرير وعليه هرون فنظروا اليه وهو بين السماء والارض فصدقوه ثم رفع وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه صعد موسى وهرون الجبل فمات هرون فبقي موسى فقالت بنو اسرائيل لموسى انت قتلته وآذوه فامر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بني اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته فصدقت بنو اسرائيل انه مات وبرأ الله موسى مما قالوا ثم ان الملائكة حملوه ودفنوه فلم يطلع على موضع قبره احد الا الرخم فجعله الله اصم ابكم واما وفاة موسى عليه السلام فقال ابن اسحق كان صفي الله موسى عليه السلام قد كره الموت واعظمه فاراد الله ان يحبب اليه الموت فنبأ يوشع بن نون فكان موسى يغدو ويروح اليه ويقول له يا نبي الله ما احدث الله اليك فيقول له يوشع يا نبي الله الم اصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت اسألك عن شيء مما احدث الله اليك حتى تكون انت الذي تبتدئ به وتذكره لي ولا يذكر له شيئا فلما رأى موسى ذلك كره الحياة واحب الموت ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل ملك الموت الى موسى فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع الى ربه فقال ارسلتني الى عبد لا يريد الموت فرد الله اليه عينه فقال ارجع اليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده من شعرة سنة قال اي رب ثم ماذا قال ثم الموت قال فالآن فسأل الله ان يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر وفي رواية لمسلم قال جاء ملك الموت الى موسى فقال اجب ربك قال فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها ثم ذكر نحو ما تقدم قال الشيخ محيي الدين النووي قال المازري وقد انكر بعض الملاحدة هذا الحديث وانكر تصوره قالوا كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت واجاب العلماء عنه باجوبة احدها انه لا يمتنع ان يكون الله قد اذن لموسى في هذه اللطمة ويكون ذلك امتحانا للملطوم والله يفعل في خلقه ما يشاء ويمتحنهم بما اراد الثاني ان موسى لم يعلم انه ملك من عند الله وظن انه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فادت المدافعة الى فقء عينه لا انه قصدها بالفقء قال الشيخ وهذا جواب الامام ابي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازري والقاضي عياض قالوا وليس في الحديث تصريح بانه قصد فقء عينه فان قيل فقد اعترف موسى حين جاءه ثانيا بانه ملك الموت فالجواب انه اتاه في المرة الثانية بعلامة علم انه ملك الموت فاستسلم له بخلاف المرة الاولى والله اعلم واما سؤال موسى الادناء من الارض المقدسة فلشرفها وفضلها وشرف من فيها وفضل من بها من المدفونين من الانبياء وغيرهم وفيه دليل على استحباب الدفن في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن الصالحين قال بعض العلماء وانما سأل موسى الادناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لانه خاف ان يكون قبره مشهورا عندهم فيفتتن به الناس والله اعلم قال وهب بن منبه خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيئا قط احسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة

والنضرة

والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد من الله لبمنزلة ما رأيت كاليوم قط فقالت الملائكة يا صفي الله تحب ان يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك فنزل واضطجع وتوجه الى ربه عز وجل ثم تنفس اسهل تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل ان ملك الموت اتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه وكان عمر موسى عليه السلام مائة سنة وعشرين سنة فلما مات موسى عليه السلام وانقضت الاربعون سنة وبعث الله يوشع نبيا الى بني اسرائيل فاخبرهم ان الله تعالى قد امره بقتال الجبارين فصدقوه وتابعوه فتوجه ببني اسرائيل الى اريحا ومعه تابوت الميثاق فاحاط بمدينة اريحا ستة اشهر فلما كان في السابع نفخوا في القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم فكانت العصابة من بني اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل من الجبارين يضربونها حتى يقطعوها وكان القتال والفتح يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس ان تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد علي الشمس وقال للشمس انك في طاعة الله وانا في طاعة الله وسأل الشمس ان تقف والقمر ان يقف حتى ينتقم من اعداء الله قبل دخول السبت فرد الله عليه الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم اجمعين وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم احدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع ارض الشام وصارت كلها لبني اسرائيل وفرق عماله في نواحيها وجمع الغنائم فجاءت النار لتأكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل فبايعوه فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاء برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت والجوهر قد غله رجل منهم فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فاكلت الرجل والقربان وفي الحديث الصحيح ما يدل على صحة هذا وهو ما روي عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم غزا نبي من الانبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد ان يبني بها ولما يبن بها ولا احد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ولا رجل اشترى غنما او خلفات وهو ينتظر ولادها فغزا فدنا من القرية صلاة العصر او قريبا من ذلك فقال للشمس انك مأمورة وانا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنائم فجاءت يعني النار لتأكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعها فجاءت النار فاكلتها زاد في رواية فلم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم احل الله لنا الغنائم لما رأى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا اخرجه البخاري ومسلم شرح غريب هذا الحديث قوله لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة البضع بضم الباء كناية عن فرج المرأة ولما يبن بها اي لم يدخل عليها والخلفات النوق الحوامل وقوله للشمس انك مأمورة وانا مأمور اللهم احبسها علي قال الشيخ محيي الدين قال القاضي عياض اختلف الناس في حبس الشمس المذكور هنا فقيل ردت الى ورائها وقيل وقفت ولم ترد وقيل بطء حركتها وكل ذلك من معجزات النبوة قال ويقال ان الذي حبست عليه الشمس يوشع بن نون وقد نقل القاضي عياض وقد روي ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حبست له الشمس مرتين احداهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى العصر ذكر ذلك الطحاوي وقال رواته ثقات والثانية صبيحة ليلة الاسراء حين انتظر العير حين اخبر بوصولها مع شروق الشمس ذكره يونس بن بكير في زيادته على سيرة ابن اسحق وقال وهب ثم مات يوشع بن نون ودفن في جبل افرائيم وكان عمره مائة سنة وستا وعشرين سنة وكان تدبيره امر بني اسرائيل بعد موسى سبعا وعشرين سنة

وقيل ان الذي فتح اريحا هو موسى عليه السلام وكان يوشع ابن نون على مقدمته فسار اليهم بمن بقي من بني اسرائيل فدخلها
يوشع وقاتل الجبابرة ثم دخلها موسى واقام بها ما شاء الله ثم قبضه الله اليه ولا يعلم احد قبره وهذا اصح الاقاويل لاتفاق
العلماء ان موسى عليه السلام هو قتل عوج بن عناق وهذا القول هو اختيار الطبري ونقل عن السدي قال غضب موسى
على قومه فدعا عليهم فقال رب اني لا املك الا نفسي واخي الاية فقال الله عز وجل انها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون
في الارض فلما ضرب عليهم التيه ندم موسى واتاه قومه الذين كانوا يطيعونه فقالوا له ما صنعت بنا يا موسى فمكثوا
في التيه فلما خرجوا منه رفع المن والسلوى والبقول والتقى موسى وعوج فنزا موسى في السما عشرة اذرع وكانت
عصاه عشرة اذرع وكان طوله عشرة اذرع فاصاب كعب عوج فقتله قال الطبري ولو كان قتل موسى عوجا قبل
مصيره في التيه لم يجزع بنو اسرائيل لانه كان من اعظم الجبارين وروي عن نوف قال كان سرير عوج ثمانمائة ذراع وقال
وان اهل العلم باخبار الاولين مجمعون على ان بلعم بن باعورا كان ممن اعان الجبارين بالدعا على موسى لانه كان يعلم اسم الله الاعظم
فدعا عليه موسى وسنذكر قصته في سورة الاعراف ان شا الله تعالى. وقوله تعالى فلا تاس على القوم الفاسقين يعني لا
تحزن عليهم لانهم اهل مخالفة وخروج عن الطاعة وقيل لما ندم موسى على ما دعا على قومه اوحى الله اليه فلا تاس على
القوم الفاسقين قال الزجاج وجائز ان يكون خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم اي لا تحزن يا محمد على قوم لم يزل شانهم
المعاصي ومخالفة الرسل. قوله عز وجل واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق يعني اذكر لقومك واخبرهم خبر ابني
ادم وهما هابيل وقابيل في قول جمهور المفسرين ونقل عن الحسن والضحاك ان ابني ادم الذين قربا القربان لم يكونا
ابني ادم لصلبه وانما كانا رجلين من بني اسرائيل ويدل عليه قوله تعالى في اخر القصة من اجل ذلك كتبنا
على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس الاية والصحيح ما ذهب اليه جمهور المفسرين لان الله تعالى قال
في اخر القصة فبعث الله غرابا يبحث في الارض لان القاتل جهل ما يصنع بالمقتول حتى تعلم من فعل الغراب. بالحق
اي اخبرهم خبرا ملتبسا بالحق والصدق لانه من عند الله وموافقا لما في الكتب المتقدمة وهم يعلمون
صحته ومقصود هذا الخبر هو تقبيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب كانوا حسدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ قربا قربانا القربان اسم لما يتقرب به الى الله عز وجل من صدقة او ذبيحة او نسك او غير ذلك مما يتقرب به. ذكر
قصة القربان وسببه وقصة قتل قابيل هابيل. ذكر اهل العلم بالاخبار والسير ان حوا كانت تلد
لادم في كل بطن غلاما وجارية فكان جميع ما ولدته اربعين ولدا في عشرين بطنا اولهم قابيل وتوامه اقليما واخرهم
عبد المغيث وتوامه ام المغيث ثم بارك الله في نسل ادم قال ابن عباس لم يمت ادم حتى بلغ ولده وولد ولده
اربعين الفا واختلفوا في مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشي ادم حوا بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت
له قابيل وتوامه اقليما في بطن ثم هابيل وتوامه لبودا في بطن وقال محمد بن اسحق عن بعض اهل العلم بالكتاب
الاول ان ادم كان يغشى حوا في الجنة قبل ان يصيب الخطيئة فحملت بقابيل واخته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا
ولا طلقا ولم تر دما وقت الولادة فلما هبطا الى الارض تغشاها فحملت بهابيل وتوامه فوجدت عليهما
الوحم والوصب والطلق والدم وكان ادم اذا كبر اولاده زوج غلام هذا البطن جارية بطن اخرى وكان الرجل
منهم يتزوج اية اخواته شا غير توامته التي ولدت معه لانه لم يكن يومئذ نسا الا اخواتهم فلما كبر قابيل واخوه هابيل
وكان بينهما سنتين فلما بلغوا امر الله ادم ان يزوج قابيل لبودا اخت هابيل ويزوج هابيل اقليما اخت قابيل
وكانت اقليما احسن من لبودا فذكر ادم ذلك لهما فرضي هابيل وسخط قابيل وقال هي اختي وانا احق بها ونحن
من اولاد الجنة وهما من اولاد الارض فقال له ابوه ادم انها لا تحل لك فابى ان يقبل ذلك وقال ان الله لم يامرك بهذا
وانما هو من رايك فقال لهما ادم قربا قربانا فايكما تقبل قربانه فهو احق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة

نزلت

نزلت من السما نار بيضا فاكلتها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار بل تاكله الطير والسباع فخرجا من عند ادم وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام من اردى زرعه
واضمر في نفسه ما ابالي اتقبل مني ام لا لا يتزوج اختي ابدا وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى احسن كبش
عنده فقرب به واضمر في نفسه رضا الله تعالى فوضعا قربانهما على جبل ثم دعا ادم فنزلت النار من السما فاكلت
قربان هابيل ولم تاكل قربان قابيل فذلك قوله تعالى فتقبل من احدهما يعني هابيل ولم يتقبل من الاخر
يعني قابيل فغضب قابيل اذ لم يتقبل قربانه فاضمر لاخيه الحسد الى ان اتى ادم مكة لزيارة البيت وغاب
عنهم فاتى قابيل هابيل وهو في غنمه قال لاقتلنك قال هابيل ولم تقتلني قال قابيل لان الله قبل قربانك
ورد قرباني وتريد ان تنكح اختي الحسنا وانكح اختك الذميمة فتتحدث الناس انك خير مني ويفتخر ولدك على ولدي فقال
هابيل وما ذنبي انما يتقبل الله من المتقين يعني ان حصول التقوى شرط في قبول الاعمال فلذلك كان احد القربانين
مقبولا دون الاخر لان التقوى من اعمال القلوب وكان قد اضمر في قلبه الحسد لاخيه على تقبل قربانه
وتوعده بالقتل قال انما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى وانما يتقبل الله من
المتقين فاجابه بجواب مختصر وقيل يحتمل ان يكون خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم فكانه تعالى بين للنبي صلى
الله عليه وسلم انه انما لم يتقبل قربانه لانه لم يكن متقيا وانما يتقبل الله من المتقين ثم قال تعالى اخبارا عن
هابيل لئن بسطت الي يدك يعني لئن مددت يدك الي لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك يعني ما
انا منتصر لنفسي بل استسلم لامر الله وقيل معناه ما كنت مبتديك بالقتل وذكر ان الله كان قد حرم عليهم
قتل نفسه بغير نفس ظلما وقال مجاهد كان كتب عليهم اذا اراد الرجل ان يقتل رجلا تركه ولا يمتنع منه
وقيل ان المقتول كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه فاستسلم له خوفا
من الله وذلك قوله اني اخاف الله رب العالمين والمعنى اني اخاف الله في بسط يدي اليك ان بسطتها
لاقتلك ان يعاقبني على ذلك قوله عز وجل اخبارا عن هابيل اني اريد ان تبوء باثمي واثمك يعني ترجع باثم
قتلي الى اثم معاصيك التي عملتها من قبل فان قلت كيف قال هابيل اني اريد واراده القتل
والمعصية من الغير لا تجوز قلت اجاب ابن الانباري عن هذا بان قال ان قابيل لما قال لاخيه هابيل
لاقتلنك وعظه هابيل وذكره الله واستعطفه وقال لئن بسطت الي يدك الاية فلم يرجع فلما راه هابيل
قد صمم على القتل واخذ له الجارح ليرميه بها قال له هابيل عند ذلك اني اريد ان تبوء باثمي واثمك اي اذا
قتلتني ولم يندفع قتلك اياي الا بقتلي اياك فحينئذ ان يلزمك اثم قتلي اذا قتلتني فكان هذا اعتزالا
من هابيل والى هذا اشار الزجاج فقال معناه ان قتلتني فانا اريد ذلك فهذه الارادة منك بشرط ان يكون
قاتلا له والانسان اذا اتي ان يكون اثم دمه على قاتله لم يلم على ذلك وعلى هذا التاويل قال بعضهم معناه
اني اريد ان تبوء بعقاب اثمي واثمك فحذف المضاف ومن باء باثم باء بعقاب ذلك الاثم ذكره الواحدي وقال
الزمخشري ليس ذلك بحقيقة الارادة لكنه لما علم انه يقتله لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام للقتل
طلبا للثواب فكانه صار مريدا لقتله مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة فتكون من اصحاب النار يعني
الملازمين لها وذلك جزاء الظالمين يعني جهنم جزاء من قتل اخاه ظلما. قوله تعالى فطوعت له
نفسه قتل اخيه يعني زينت له الكبائر وسهلت عليه القتل وذلك ان الانسان اذا تصور ان
قتل النفس من اكبر الكبائر صار ذلك صارفا له عن القتل فلا يقدم عليه فاذا سهلت عليه نفسه
هذا الفعل بغير كلفة فهو المراد من قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله قال ابن جريج

لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله فتمثل له ابليس وقد اخذ طيرا فوضع راسه على حجر ثم رضخه
بحجر اخر وقابيل ينظر فعلمه القتل فرضخ قابيل راس هابيل بين حجرين وهو مستسلم صابر وقيل بل اغتاله
وهو نايم فقتله واختلف في موضع قتله فقال ابن عباس على جبل ثور وقيل على عقبة حراء وقيل بالبصرة عند
مسجدها الاعظم وكان عمر هابيل يوم قتل عشرون سنة وقوله تعالى فاصبح من الخاسرين قال ابن عباس خسر
دنياه واخرته اما دنياه فاسخط والديه وبقي بلا اخ واما اخرته فاسخط ربه وصار الى النار ق عن عبد الله بن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها لانه اول
من سن القتل قوله عز وجل فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه قال اصحاب
الاخبار لما قتل قابيل هابيل تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لانه اول ميت من بني ادم على وجه الارض فقصده
السباع لتاكله فحمله قابيل على ظهره في جراب اربعين يوما وقال ابن عباس سنة حتى اروح وانتن فاراد
الله ان يريه سنته في موتى بني ادم في الدفن فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر
له بمنقاره ورجليه حفرة ثم القاه فيها وواراه بالتراب وقابيل ينظر فذلك قوله فبعث الله غرابين فاقتتلا
فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة ثم القاه فيها وواراه بالتراب اي غرابا يبحث في الارض يعني
يحفرها وينثر ترابها ليريه كيف يواري سوءة اخيه يعني ليريه الله او ليريه الغراب قابيل كيف يواري
جيفة اخيه فلما راى ذلك قابيل من فعل الغراب قال يا ويلتى كلمة الويل وحضره وهي كلمة تحسر وتلهف تستعمل
عند وقوع الداهية العظيمة وذلك انه ما كان يعلم كيف يدفن المقتول فلما علم ذلك من فعل الغراب علم
ان الغراب الذي علمه منه وعلم انه انما اقدم على قتل اخيه بسبب جهله وقلة علمه ومعرفته فعند ذلك تلهف
وتحسر على ما فعله فقال يا ويلتي وفيه اعتراف على نفسه باستحقاق العذاب اعجزت ان اكون مثل هذا
الغراب يعني مثل هذا الغراب الذي وارى الغراب الاخر فاواري سوءة اخي يعني فاستر جيفته وعورته
عن العين فاصبح من النادمين يعني على حمله على ظهره مدة سنة لا على قتله وقيل انه ندم على
قتل اخيه لانه لم ينتفع بقتله وسخط عليه ابواه واخوته فندم لاجل ذلك لا لاجل انه جنى جناية واقترف
ذنبا عظيما بقتله فلم يكن ندمه ندم توبة وحزن واشفاق من فعله فلذلك لم ينفعه الندم قال
المطلب بن عبد الله بن حنطب لما قتل ابن ادم اخاه رجفت الارض بمن عليها سبعة ايام وشربت الارض
دم المقتول كما تشرب الماء فناداه الله تعالى اين اخوك هابيل قال ما ادري ما كنت عليه رقيبا فقال
الله تعالى ان دم اخيك ليناديني من الارض فلم قتلت اخاك قال فاين دمه ان كنت قتلته فحرم الله
على الارض من يومئذ ان تشرب دما بعده ابدا ويروى عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل كان
ادم بمكة فاشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه واغبرت الارض فقال ادم قد حدث في الارض حدث
فاتى الهند فوجد قابيل قد قتل هابيل وقيل لما رجع سال قابيل عن اخيه فقال ما كنت عليه
وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جلدك وقيل ان ادم مكث بعد قتل هابيل مائة سنة لا يضحك وانه
رثاه بشعر فقال ٭ تغيرت البلاد ومن عليها ٭ فوجه الارض مغبر قبيح ٭ تغير كل ذي طعم ولون ٭ وقل بشاشة
الوجه الصبيح ٭ ويروى عن ابن عباس انه قال من قال ان ادم قال شعرا فقد كذب ان محمدا صلى الله عليه وسلم
والانبياء كلهم في النهي سواء ولكن لما قتل هابيل رثاه ادم وهو سرياني فلما قال ادم مرثيته قال لشيث يا بني
انك وصيي احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه فلم يزل ينقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان

وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو اول من خط العربية وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فرد المقدم الى
المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وزاد فيه ابياتا منها ومالي لا اجود بسكب دمع ٭ وهابيل تضمنه الضريح
ارى طول الحياة علي غما ٭ فهل انا من حياتي مستريح ٭ قال الزمخشري ويروى انه رثاه بشعر وهو
كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء عليهم السلام معصومون من الشعر قال
الامام فخر الدين الرازي ولقد صدق صاحب الكشاف فيما قال فان ذلك الشعر في غاية الركاكة لا يليق
الا بالحمقى من المعلمين فكيف ينسب الى من جعل الله علمه حجة على الملائكة قال اصحاب الاخبار فلما مضى
من عمر ادم مائة وثلثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين ولدت له حوا شيثا وتفسيره هبة الله
يعني انه خلف من هابيل بخمس سنين ولد وعلمه الله تعالى ساعات الليل والنهار وعلمه عبادة الرب
الخلق في كل ساعة وانزل عليه خمسين صحيفة وصار وصي ادم وولي عهده واما قابيل فقيل له اذهب
طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تامن من تراه فاخذ بيد اخته اقليما وهرب بها الى عدن من ارض اليمن فاتاه
ابليس وقال له انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبدها فانصب انت نارا تكون لك ولعقبك
فبنى بيت النار فهو اول من عبد النار وكان قابيل لا يمر به احد الا رماه بالحجارة فاقبل ابن لقابيل اعمى
ومعه ابنه فقال ابن الاعمى لابيه هذا ابوك قابيل فرماه بحجارة فقتله فقال ابن الاعمى لابيه قتلت
اباك قابيل فرفع الاعمى يده ولطم ابنه فمات فقال الاعمى ويل لي قتلت ابي برميتي وقتلت ابني بلطمتي
فلما مات قابيل عقلت احدى رجليه بفخذه وعلق بها فهو معلق بها الى يوم القيمة ووجهه الى الشمس
حيث دارت وعليه حظيرة من نار في الصيف وحظيرة من ثلج في الشتاء فهو يعذب بذلك الى يوم القيمة
قالوا واتخذ اولاد قابيل الات اللهو من الطبول والزمور والعيدان والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب
الخمر وعبادة النار والفواحش حتى غرقهم الله جميعا بالطوفان في زمن نوح عليه السلام فلم يبق
من ذرية قابيل احد وابقى الله ذرية شيث ونسله الى يوم القيمة قوله تعالى من اجل ذلك يعني بسبب
ذلك القتل الذي حصل وقيل الاجل في اللغة الجناية يقال اجل عليهم شرا اذا جنى كتبنا عليهم اي فرضنا واوجبنا
على بني اسرائيل فان قلت من اجل ذلك معناه من اجل ما مر من قصة قابيل وهابيل كتبنا على بني اسرائيل
وهذا مشكل لانه لا مناسبة بين واقعة قابيل وهابيل وبين وجوب القصاص على بني اسرائيل قلت
قال بعضهم هو من تمام الذي قبله والمعنى فاصبح من النادمين من اجل ذلك يعني من اجل انه قتل الكلام م
هابيل ولم يواره ويروى عن نافع انه كان يقف على قوله من اجل ذلك ويجعله تمام الكلام الاول فعلى
هذا يزول الاشكال لكن جمهور المفسرين واصحاب المعاني على ان قوله من اجل ذلك ابتداء كلام
وليس بموقوف عليه فعلى هذا قال بعضهم ان قوله من اجل ذلك ليس هو اشارة الى قصة قابيل وهابيل
بل هو اشارة الى ما مر ذكره في هذه القصة من انواع المفاسد الحاصلة بسبب هذا القتل
الحرام منها قوله فاصبح من الخاسرين وقوله اشارة الى انه حصل في انواع من الندم والحسرة والحزن
مع انه لا دافع له البتة فقوله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل اي من اجل ذلك الذي ذكرنا في
اثناء القصة من انواع المفاسد المتولدة من القتل العمد الحرام شرعنا القصاص على القاتل فان
قلت فعلى هذا يكون شرع القصاص حكما ثابتا في جميع الامم فما الفائدة بتخصيصه ببني اسرائيل

قلت ان وجوب القصاص وان كان عاما في جميع الاديان والملل لانه تعالى حكم في هذه الآية بان من قتل
نفسا فكانما قتل الناس جميعا ولا يشك ان المقصود منه المبالغة في عقاب قاتل النفس عدوانا وان
اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة اقدموا على قتل الانبياء والرسل وذلك يدل على قساوة
قلوبهم وبعدهم عن الله تعالى ولما كان الغرض من ذكر هذه القصة تسلية النبي صلى الله عليه وسلم على ما
اقدم عليه اليهود بالفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم وباصحابه فتخصيص بني اسرائيل في هذه القصة بهذه
المبالغة مناسب للكلام وتوكيد للمقصود والله اعلم وقوله عز وجل انه من قتل نفسا يعني قتل
نفسا ظلما بغير نفس يعني بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص فيقتل من قاتل النفس على وجه
العدوان المحرم او فساد في الارض هو عطف على بغير نفس يعني وبغير فساد في الارض فيستحق
القتل لان القتل على اسباب كثيرة منها القصاص وهو المراد من قوله قتل نفسا بغير نفس ومنها
الشرك والكفر بعد الايمان ومنها قطع الطريق ونحو ذلك وهو المراد من قوله او فساد في الارض فكانما
قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا قال مجاهد من قتل نفسا محرمة
يصلى النار بقتلها كما يصلاها لو قتل الناس جميعا ومن سلم من قتلها فكانما سلم من قتل الناس
جميعا وقال ابن عباس من قتل نبيا او امام عدل فكانما قتل الناس جميعا ومن شد عضد
نبي او امام عدل فكانما احيا الناس جميعا وقيل معناه ان من قتل نفسا محرمة يجب عليه من
القصاص مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن احياها يعني من غرق او حرق او وقوع
في هلكة فكانما احيا الناس جميعا يعني ان له من الثواب مثل ثواب من احيا الناس جميعا وقيل
معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكانما استحل قتل الناس جميعا لانهم لا يسلمون منه ومن تورع
عن قتل مسلم فكانما تورع عن قتل جميع الناس فقد سلموا منه قال اهل المعاني قوله ومن احياها
على المجاز لان المحيي هو الله تعالى في الحقيقة فيكون المعنى ومن نجاها من الهلاك فكانما نجا جميع الناس قيل
للحسن عن هذه الآية اهي لنا كما كانت لبني اسرائيل فقال اي والذي لا اله غيره ما كانت دماء بني اسرائيل
اكرم على الله من دمائنا وقوله تعالى ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات يعني ولقد جاءت بني اسرائيل رسلنا ببيان
الاحكام والشرائع والآيات الواضحات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك يعني بعد مجيء الرسل وبعد ما كتبنا
عليهم تحريم القتل في الارض لمسرفون يعني بالقتل لا ينتهون عنه وقيل معناه لمجاوزون
حد الحق وانما قال تعالى وان كثيرا منهم لانه تعالى علم ان منهم من يؤمن بالله ورسوله وهم قليل
من كثير قوله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية قال ابن عباس نزلت في قوم من اهل
الكتاب كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق فنقضوا العهد وافسدوا في الارض
فخير الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان شاء ان يقتل وان شاء ان يصلب وان شاء ان تقطع ايديهم وارجلهم
من خلاف وهذا قول الضحاك ايضا وقال الكلبي نزلت في قوم هلال بن عويمر وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
وادع هلال بن عويمر وهو ابو بردة الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن مر بهلال الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بقوم هلال ولم يكن هلال شاهدا
فنهدوا اليهم فقتلوهم واخذوا اموالهم فنزل جبريل عليه السلام بالقضية فيهم بهذه الآية وقال

سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في قوم من عرينة وعكل اتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام
وهم كذبة فاستوخموا المدينة فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعي واستاقوا
الابل (ق) عن انس بن مالك ان ناسا من عكل وعرينة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا
يا نبي الله انا كنا اهل ضرع ولم نكن اهل ريف واستوخموا المدينة فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذود وراع
وامرهم ان يخرجوا فيه فيشربوا من البانها وابوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد اسلامهم
وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في آثارهم
فامر بهم فسمروا اعينهم وقطعوا ايديهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم قال قتادة بلغنا ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان بعد ذلك يحث على الصدقة وينهى عن المثلة زاد في رواية قال قتادة فحدثني ابن
سيرين ان ذلك قبل ان تنزل الحدود وفي رواية للبخاري ان ناسا من عرينة اجتووا المدينة فرخص
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتوا ابل الصدقة فيشربوا من البانها وابوالها فقتلوا الراعي واستاقوا
الذود فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتي بهم فقطع ايديهم وارجلهم وسمر اعينهم وتركهم في الحرة
يعضون الحجارة زاد في رواية قال ابو قلابة واي شيء اشد مما صنع هؤلاء ارتدوا عن الاسلام وقتلوا وسرقوا
وفي رواية ابي داود ان قوما من عكل او قال من عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة
فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم بلقاح وامرهم ان يشربوا من ابوالها والبانها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعي رسول
الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم من اول النهار فارسل في آثارهم فما ارتفع
النهار حتى جيء بهم فامر بهم فقطعت ايديهم وارجلهم وسمر اعينهم والقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون
قال ابو قلابة فهؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد ايمانهم وحاربوا الله ورسوله زاد في رواية له وانزل الله عز وجل انما
جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا الآية شرح غريب هذا الحديث وحكمه
قولهم انا كنا اهل ضرع يعني اهل ماشية وبادية نعيش باللبن ولسنا من اهل المدن والريف والريف هي الارض
التي فيها زرع وخصب والجمع ارياف قوله استوخموا المدينة يعني انها لم توافق مزاجهم وكذا قوله فاجتووا
المدينة وهو في معناه والذود من الابل ما بين الثلاثة الى العشرة والحرة هي ارض ذات حجارة سود وهي
هنا اسم لارض بظاهر المدينة معروفة وقوله فسمر اعينهم معناه انه حمى مسامير الحديد وكحل بها اعينهم
حتى ذهب بصرها وقوله ونهى عن المثلة المثلة ان تقطع اطراف الحيوان او بعضها وتشوه خلقته ومثلة القتيل ان
تقطع انفه واذنه ومذاكيره ونحو ذلك واختلف العلماء في حكم هذا الحديث فقيل هو منسوخ لنهي
النبي صلى الله عليه وسلم عن المثلة وقيل حكمه ثابت الا السمل والمثلة وقيل ان هذه الآية ناسخة لما فعله
النبي صلى الله عليه وسلم بهم وقيل كان ذلك قبل ان تنزل الحدود فلما نزلت الحدود وجب الاخذ بها والعمل
بمقتضاها وقيل نزلت هذه الآية معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليما من الله تعالى اياه
عقوبتهم وما يجب عليهم فقال تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله واعلم ان المحاربة لله غير ممكنة
ففي معناها للعلماء قولان احدهما ان المحاربين لله هم المخالفون امره الخارجون عن طاعته لان كل من
خالف انسانا فهو حرب له فيكون المعنى يخالفون الله ورسوله ويعصون امرهما والقول الثاني معناه
يحاربون اولياء الله واولياء رسوله فهو من باب حذف المضاف ويسعون في الارض فسادا يعني بحمل

السلاح والخروج على الناس وقتل النفس واخذ الاموال وقطع الطريق واختلفوا في حكم هؤلاء المحاربين الذين
يستحقون هذا الحد فقال قوم هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح والمكابرون في البلد وهذا قول الاوزاعي
ومالك والليث بن سعد والشافعي وقال ابو حنيفة المكابرون في الامصار ليس لهم حكم المحاربين في استحقاق هذا
الحد ثم ذكر الله تعالى عقوبة هؤلاء المحاربين وما يستحقونه فقال تعالى ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم
وارجلهم من خلاف او ينفوا وللعلماء في لفظة او المذكورة في هذه الآية قولان احدهما انها للتخيير وهو قول ابن عباس
في رواية عنه وبه قال الحسن وسعيد بن المسيب والنخعي ومجاهد وهو ان الامام مخير في امر المحاربين
فان شاء قتل وان شاء صلب وان شاء قطع وان شاء نفى من الارض كما هو ظاهر الآية والقول الثاني
ان لفظة او للبيان وليست للتخيير وهي الرواية الثانية عن ابن عباس وهو قول اكثر العلماء لان الاحكام
تختلف فتترتب هذه العقوبات على ترتيب الجرائم وهذا كما روي عن ابن عباس في قطاع الطريق
قال اذا قتلوا واخذوا المال قتلوا وصلبوا واذا قتلوا ولم ياخذوا المال قتلوا واذا اخذوا المال ولم
يقتلوا قطعت ايديهم وارجلهم من خلاف واذا اخافوا السبيل ولم يقتلوا ولم ياخذوا مالا نفوا من الارض
وهذا قول قتادة والاوزاعي والشافعي واصحاب الراي واختلفوا في كيفية الصلب فقيل يصلب حيا ثم
يطعن في بطنه برمح حتى يموت قال الشافعي يقتل اولا ويصلى عليه ثم يصلب وانما يجمع بين القتل
والصلب اذا قتل واخذ المال ويصلب على الطريق في ممر الناس ليكون ذلك زاجرا لغيره عن الاقدام
على مثل هذه المعصية واختلفوا في تفسير النفي من الارض المذكور في الآية فقيل ان الامام يطلبهم
ففي كل بلد وجدوا نفوا عنه وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبون حتى تقام
عليهم الحدود وهو قول ابن عباس والليث بن سعد والشافعي وقال ابو حنيفة واهل الكوفة النفي
هو الحبس لانه نفي من الارض لان المحبوس لا يرى احدا من احبابه ولا ينتفع بلذات الدنيا وطيباتها
فهو منفي من الارض في الحقيقة الا من تلك البقعة الضيقة التي هو فيها قال مكحول ان عمر بن الخطاب اول
من حبس في السجون يعني من هذه الآية وقال احبسه حتى اعلم منه التوبة ولا انفيه الى بلد آخر
فيؤذيهم ثم قال تعالى ذلك يعني الذي ذكر في هذه الآية من الحدود لهم يعني للمحاربين خزي في الدنيا
اي عذاب وهوان وفضيحة ولهم في الآخرة عذاب عظيم هذا الوعيد في حق الكفار الذين نزلت الآية فيهم
فاما من اجرى حكم الآية على المحاربين من المسلمين فينفي العذاب العظيم عنهم في الآخرة لان المسلم اذا عوقب بجنايته
في الدنيا كانت عقوبته كفارة له وان لم يعاقب في الدنيا فهو في خطر المشيئة ان شاء الله عذبه بجنايته
ثم يدخله الجنة وان شاء عفا عنه وادخله الجنة هذا مذهب اهل السنة قوله تعالى الا الذين تابوا
من قبل ان تقدروا عليهم يعني لكن الذين تابوا من شركهم وحربهم لله ولرسوله ومن السعي في الارض
بالفساد من قبل ان تقدروا يعني فلا سبيل لكم بشيء من العقوبات المذكورة في الآية المتقدمة فاعلموا
ان الله غفور يعني لمن تاب من الشرك رحيم يعني به اذا رجع عما يسخط الله عز وجل وهذا قول معظم
اهل التفسير ان المراد بهذا الاستثناء المشرك المحارب اذا امن واصلح قبل القدرة عليه سقط عنه
جميع الحدود التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآية وانه لا يطالب بشيء مما اصاب من مال او دم قال الواحدي
جعل الله التوبة للكفار تدرأ عنهم الحدود التي وجبت عليهم في كفرهم ليكون ذلك داعيا لهم الى الدخول

في الاسلام

في الاسلام فهذا حكم المشرك المحارب اذا امن واصلح وكذلك لو امن بعد القدرة عليه لم يطالب بشيء بالاجماع
واما المسلم المحارب اذا تاب واستأمن قبل القدرة عليه فقال السدي هو كالكافر اذا امن لم يطالب
بشيء الا اذا اصيب عنده مال بعينه فانه يرده على اهله وهذا مذهب مالك والاوزاعي وروي
ان مالكا قال يؤخذ بالدم اذا طالب به وليه فاما ما اصاب من الدماء والاموال ولم يطلبها اولياؤها
فلا يتبعه الامام بشيء من ذلك وهذا حكم علي بن ابي طالب في حارثة بن بدر وكان قد خرج محاربا فتاب
من قبل ان يقدر عليه فامنه علي على نفسه وكذلك جاء رجل من مراد الى ابي موسى الاشعري وهو
على الكوفة في خلافة عثمان بعد ما صلى المكتوبة فقال يا ابا موسى هذا مقام العائذ بك انا فلان
ابن فلان المرادي كنت قد حاربت الله ورسوله وسعيت في الارض بالفساد واني قد تبت من قبل
ان تقدر علي فقام ابو موسى فقال هذا فلان المرادي وانه كان حارب الله ورسوله وسعى في الارض
فسادا وانه قد تاب من قبل ان تقدر عليه فلا يتعرض له احد الا بخير وقال الشافعي يسقط عنه
بتوبته قبل القدرة عليه حد الله ولا يسقط بها ما كان من حقوق بني آدم من قصاص او مظلمة في مال
او غيره واما اذا تاب بعد القدرة عليه فظاهر الآية ان التوبة لا تنفعه وتقام عليه الحدود وقال
الشافعي ويحتمل ان يسقط كل حد لله عز وجل بالتوبة قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
اي خافوا الله بترك المنهيات وابتغوا اليه الوسيلة يعني واطلبوا اليه القربة بطاعته والعمل بما يرضي
وانما قلنا ذلك لان مجامع التكاليف محصورة في نوعين لا ثالث لهما احد النوعين ترك المنهيات واليه الاشارة
بقوله اتقوا الله والثاني التقرب الى الله تعالى بالطاعات واليه الاشارة بقوله وابتغوا اليه الوسيلة والوسيلة
فعيلة من وسل اليه اذا تقرب اليه ومنه قول الشاعر ان الرجال لهم اليك وسيلة اي قربة وقيل معنى
الوسيلة المحبة اي تحببوا الى الله عز وجل وجاهدوا في سبيله اي وجاهدوا العدو في طاعته وابتغاء
مرضاته لعلكم تفلحون يعني لكي تسعدوا بالخلود في جنته لان الفلاح اسم جامع للخلاص من كل مكروه
والفوز بكل محبوب قوله عز وجل ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا
به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم يعني ان الكافر لو ملك الدنيا ودنيا اخرى مثلها معها ثم فدى
نفسه من العذاب يوم القيامة لم يقبل منه ذلك الفداء ولهم عذاب اليم والمقصود من هذا ان العذاب
لازم للكفار وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه بوجه من الوجوه ق عن انس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى لاهون اهل النار عذابا لو كانت لك الدنيا كلها اكنت مفتديا
بها فيقول نعم فيقول قد اردت منك ايسر من هذا وانت في صلب آدم ان لا تشرك بي ولا ادخلك
النار وادخلك الجنة فابيت الا الشرك هذا لفظ مسلم وفي رواية يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال
له ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له لقد كنت سئلت ما
هو ايسر من ذلك ان لا تشرك بي قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها فيه
وجهان احدهما انهم يقصدون الخروج من النار ويطلبونه ولكن لا يستطيعون ذلك وقيل اذا
حملهم لهب النار الى فوق طلبوا الخروج منها فلا يقدرون عليه والوجه الثاني انهم يتمنون الخروج
من النار بقلوبهم ولهم عذاب مقيم يعني ولهم عذاب دائم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل ابدا قوله عز وجل
والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما قال ابن عباس نزلت في طعمة بن ابيرق وقد مضت قصته
في سورة النساء وانما سمي السارق سارقا لانه ياخذ الشيء الذي ليس له اخذه في خفاء ومنه استرق السمع

مستحق والسارق هنا مرفوع بالابتداء لانه لم يقصد واحدا بعينه انما هو كقولك من سرق فاقطع
يده والمراد باليد المذكورة في الآية اليمين قاله الحسن والشعبي والسدي وكذلك هو في قراءة عبد الله بن مسعود
فاقطعوا ايمانهما وانما قال ايديهما ولم يقل يديهما لانه اراد يمينا من هذا ويمينا من هذه فجمع لانه ليس للانسان
الا يمين واحدة وكل شيء موجود من خلق الانسان اذا ذكر مضافا الى اثنين فصاعدا جمع والمراد
باليد هنا الجارحة وحدها عند جمهور اهل اللغة من رؤوس الاصابع الى الكوع فيجب قطعها في حد السرقة
من الكوع وقوله تعالى جزاء بما كسبا يعني ذلك القطع جزاء على فعلهما نكالا من الله يعني عقوبة من
الله والله عزيز يعني في انتقامه ممن عصاه حكيم يعني فيما اوجبه من قطع يد السارق فصل في بيان
حكم الآية وفيه مسائل المسألة الاولى اقتضت هذه وجوب القطع على كل سارق وقطع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في السرقة ق عن عائشة ان قريشا اهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا من
يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ومن يجترئ عليه الا اسامة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب ثم قال انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق
فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت
لقطعت يدها وعن عائشة قالت اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسارق فقطعه فقالوا ما
كنا نراك تبلغ به هذا قال لو كانت فاطمة لقطعتها اخرجه النسائي ق عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده قال الاعمش يرون انه بيض الحديد
وان من الحبال ما يساوي دراهم اخرجه البخاري ومسلم اما السارق الذي يجب عليه القطع
هو البالغ العاقل العالم بتحريم السرقة فلو كان حديث عهد بالاسلام ولا يعلم ان السرقة حرام فلا قطع عليه
المسألة الثانية اختلف العلماء في قدر النصاب الذي تقطع به فذهب اكثر العلماء الى انه ربع دينار
فان سرق ربع دينار او قيمته ربع دينار يقطع وهذا قول ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وبه قال عمر بن
عبد العزيز والاوزاعي والشافعي ويدل عليه ما روي عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقطع
يد السارق الا في ربع دينار فصاعدا اخرجاه في الصحيحين وذهب مالك واحمد واسحاق الى انه ثلاثة
دراهم او قيمتها لما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم
اخرجه الجماعة المجن الترس وروي عن ابي هريرة ان قدر النصاب الذي تقطع به اليد خمسة دراهم
وبه قال ابن ابي ليلى لما روي عن انس قال قطع ابو بكر في مجن قيمته خمسة دراهم وفي رواية قطع رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخرجه النسائي وقال الرواية الاولى اصح وذهب قوم الى انه لا تقطع في اقل من دينار
او عشرة دراهم يروى ذلك عن ابن مسعود واليه ذهب سفيان الثوري وابو حنيفة لما روي عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من قطع في مجن قيمته دينار او عشرة دراهم اخرجه ابو داود واذا
سرق نصابا من المال من حرز لا شبهة له فيه قطعت يده اليمنى من الكوع ولا يجب القطع بسرقة
ما دون النصاب وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن القدر غير معتبر فيجب القطع في القليل
والكثير وكذا الحرز غير معتبر ايضا عندهم واليه ذهب داود الظاهري واحتجوا بعموم الآية فان
قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما يتناول القليل والكثير وسواء سرقه من حرز
او غير حرز المسألة الثالثة هو ما جعل للسكنى وحفظ الاموال كالدور والمضارب والخيم التي
يسكنها الناس ويحفظون امتعتهم فيها فكل حرز وان لم يكن فيه حافظ ولا عنده وسواء سرق من

ذلك وهو مفتوح الباب او مغلق اما ما كان في غير بناء ولا خيمة فانه ليس بحرز الا ان يكون عنده من يحفظه واما
نباش القبور فانه يقطع وهو قول مالك والشافعي واحمد وقال ابن ابي ليلى والثوري والاوزاعي وابو حنيفة
لا قطع عليه وان سرق شيئا من غير حرز كثمر في بستان لا حارس له او حيوان في برية ولا راعي
لها او متاع في بيت منقطع من البيوت فلا قطع عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سئل عن الثمر المعلق فقال من اصاب بفيه من ذي حاجة غير متخذ خبنة فلا شيء عليه اخرجه الترمذي
وابو داود والنسائي وزاد فيه ومن خرج بشيء منه فعليه غرامة مثليه والعقوبة ومن سرق منه
شيئا بعد ان يؤويه الجرين فبلغ ثمن المجن فعليه القطع ومن سرق دون ذلك فعليه غرامة مثليه
والعقوبة قوله غير متخذ خبنة الخبنة بالخاء المعجمة وبعدها باء موحدة من تحت ثم نون وهو
ما يحمله الانسان في حضنه وقيل هو ما يأخذه في خبنة ثوبه وهو ذيله واسفله والجرين موضع
التمر الذي يجفف فيه مثل البيدر للحنطة وروى مالك في الموطأ عن ابن ابي حسين المكي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة الجبل فاذا آواه المراح او الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن هكذا
رواه مالك منقطعا وهو رواية من حديث عبد الله بن عمرو المتقدم فان هذه الرواية عن ابن ابي حسين
عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وجده هو عبد الله بن عمرو بن العاص قوله ولا في حريسة الجبل
من العلماء من يجعل الحريسة السرقة نفسها يقال حرس يحرس حرسا اذا سرق ومنهم من يجعلها
المحروسة ومعنى الحديث انه ليس فيما يحرس في الجبل اذا سرق قطع لانه ليس بحرز وقيل حريسة
الجبل هي الشاة التي يدركها الليل قبل ان تصل الى مأواها والمراح بضم الميم هو الموضع الذي
تأوي اليه الماشية بالليل وعن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على خائن ولا منتهب ولا مختلس
قطع اخرجه الترمذي والنسائي المسألة الرابعة اذا سرق مالا له فيه شبهة كالولد يسرق من مال
والده والوالد يسرق من مال ابنه او العبد يسرق من مال سيده او الشريك يسرق من مال شريكه
فلا قطع على احد من هؤلاء المسألة الخامسة اذا سرق اول مرة قطعت يده اليمنى من الكوع
واذا سرق ثانيا قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما اذا سرق مرة ثالثة فذهب
اكثرهم الى انه تقطع يده اليسرى فان سرق مرة رابعة قطعت رجله اليمنى ثم اذا سرق بعد ذلك
يعزر ويحبس حتى تظهر توبته يروى هذا عن ابي بكر وهو قول قتادة وبه قال مالك والشافعي لما
روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السارق ان سرق فاقطعوا يده ثم ان
سرق فاقطعوا رجله ذكره البغوي بغير سند وذهب قوم الى انه ان سرق بعد ما قطعت يده
ورجله فلا قطع عليه بل يحبس روي عن علي انه قال اني لاستحيي ان لا ادع له يدا يستنجي بها ولا رجلا
يمشي بها وهذا قول الشعبي والنخعي والاوزاعي وبه قال احمد واصحاب الرأي قوله تعالى فمن تاب
من بعد ظلمه يعني من بعد ما ظلم نفسه بالسرقة واصلح يعني واصلح العمل في المستقبل فان
الله يتوب عليه يعني فان الله يتجاوز عنه ويقبل توبته ان الله غفور يعني لمن تاب رحيم به فصل
وهذه التوبة مقبولة فيما بينه وبين الله تعالى فاما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند اكثر العلماء
لان الحد جزاء على الجناية ولا بد من التوبة بعد القطع وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه
في المستقبل عن ابي امية المخزومي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بلص قد اعترف اعترافا
ولم يوجد معه متاع فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخالك سرقت فقال بلى فاعاد عليه مرتين

او ثلاثا كل ذلك يعترف فامر به فقطع ثم جيء به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر الله وتب اليه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم تب عليه اخرجه ابو داود والنسائي بمعناه واذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند اكثر اهل العلم وقال الثوري واصحاب الراي لا غرم عليه فلو كان المسروق باقيا عنده يجب عليه ان يرده على صاحبه وتقطع يده لان القطع حق الله والغرم حق الآدمي فلا يمتنع احدهما بالآخر والله اعلم قوله عز وجل الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الناس وقيل معناه الم تعلم ايها الانسان فيكون الخطاب لكل فرد من الناس ان الله له ملك السموات والارض يعني ان الله مدبر امر ما في السموات والارض ومصرفه وخالق كل شيء فيهما ومالكه لا يمتنع عليه شيء مما اراده فيهما لان ذلك كله في ملكه والله امره ٥ يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء منهم بالتوبة عليه فينقذه من الهلكة والعذاب وانما قدم التعذيب على المغفرة لانه في مقابلة قطع السرقة على التوبة وهذه الآية فاضحة للقدرية والمعتزلة في قولهم بوجوب الرحمة للمطيع ووجوب العذاب للعاصي لان الآية دالة على ان التعذيب والرحمة مفوضة الى المشيئة والوجوب ينافي ذلك وجواب آخر وهو انه تعالى اخبر ان له ملك السموات والارض والمالك له ان يتصرف في ملكه كيف شاء واراد لا اعتراض لاحد عليه في ملكه ويؤكد ذلك قوله والله على كل شيء قدير يعني انه تعالى قادر على تعذيب من اراد تعذيبه من خلقه وغفران ذنوب من اراد اسعاده واستنقاذه من الهلاك من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه قوله تعالى يا ايها الرسول هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو خطاب تشريف وتكريم وتعظيم وقد خاطبه الله عز وجل بيا ايها النبي في مواضع كثيرة من كتابه وبيا ايها الرسول في موضعين هذا احدهما والآخر قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وقوله لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يعني لا يهمك بموالاة الكفار ولا تبال بهم فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم يعني المنافقين لانهم اظهروا الايمان بالقول وكتموا الكفر وهذه صفة المنافقين ومن الذين هادوا اي وطائفة من اليهود قال الزجاج هذا يحتمل وجهين احدهما ان الكلام تم عند قوله ومن الذين هادوا ثم ابتدأ الكلام بقوله سماعون للكذب ويكون تقدير الكلام لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من المنافقين ومن الذين هادوا ثم وصف الكل بكونهم سماعون للكذب والوجه الثاني ان الكلام تم عند قوله ولم تؤمن قلوبهم ثم ابتدأ فقال تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب اي ومن الذين هادوا قوم سماعون للكذب والمعنى انهم قابلون للكذب اي يسمعون الكذب من رؤسائهم ويقبلونه منهم والسمع يستعمل والمراد منه القبول كما لا تسمع من فلان اي لا تقبل منه وقيل معناه سماعون لاجل ان يكذبوا عليك وذلك انهم كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرجون من عنده ويقولون سمعنا منه كذا وكذا ولم يسمعوا ذلك منه بل كذبوا عليه وقوله تعالى سماعون يعني بني قريظة يعني انهم جواسيس وعيون لقوم آخرين وهم اهل خيبر لم ياتوك يعني اهل خيبر لم ياتوك ولم يحضروا عندك يا محمد ذكر القصة في ذلك قال علماء التفسير ان رجلا وامراة من اشراف يهود خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم في التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فقالوا ان هذا الرجل بيثرب يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وليس في كتابه الرجم ولكنه الضرب فارسلوا الى اخوانكم من بني قريظة فانهم جيرانه وصلح معه فليسألوه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم اسالوا محمدا عن الزانيين اذا احصنا ما حدهما فان امركم بالجلد فاقبلوا منه وان امركم بالرجم

فاحذروه

فاحذروه ولا تقبلوا منه وارسلوا معهم الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على بني قريظة والنضير فقالوا لهم انكم جيران هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث فينا حدث وذكروا ان فلانا وفلانة قد زنيا وقد احصنا فنحب ان تسالوا لنا عن قضائه في ذلك فقالت لهم بنو قريظة والنضير اذا والله يامركم بما تكرهون ثم انطلق قوم منهم فيهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسد وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن ابي الحقيق وغيرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اخبرنا عن الزاني والزانية اذا احصنا ما حدهما في كتابك فقال هل ترضون بقضائي قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام باية الرجم فاخبرهم بذلك فابوا ان ياخذوا به فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا ابيض امرد اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاي رجل هو فيكم فقالوا هو اعلم يهودي بقي على وجه الارض بما انزل الله على موسى عليه السلام في التوراة قال فارسلوا اليه ففعلوا فلما جاء قال له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود قال كذلك يقولون فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهود تجعلونه بيني وبينكم قالوا نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهود تجعلونه لابن صوريا ناشدتك بالله الذي لا اله الا هو الذي انزل التوراة على موسى واخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وانجاكم واغرق آل فرعون والذي ظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى وانزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على المحصن فقال ابن صوريا اللهم نعم والذي ذكرتني به لولا خشية ان ينزل علينا العذاب ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذي انزل التوراة على موسى هكذا انزل الله في التوراة على موسى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فما كان اول ما ترخصتم به في امر الله فقال ابن صوريا كنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فكثر الزنا في اشرافنا حتى زنا ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنا رجل آخر في اسرة من قومه فاراد الملك رجمه فقام قومه دونه وقالوا والله لا نرجمه حتى ترجم فلانا لابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنصنع شيئا دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلد اربعين جلدة بحبل مطلي بقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين ووجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا ما اسرع ما اخبرته به وما كنت لما اثنينا عليك باهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا ان نغتابك فقال لهم ابن صوريا انه قد انشدني بالتوراة ولولا خشية ان ينزل علينا العذاب ما اخبرته فامر النبي صلى الله عليه وسلم بهما فرجما عند باب المسجد وقال اللهم اني اول من احيا امرك اذا اماتوه فانزل الله هذه الاية (ق) عن ابن عمر قال ان اليهود جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان امراة منهم ورجلا زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في التوراة في شان الرجم قالوا نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها الرجم فاتوا بالتوراة فنشروها فوضع احدهم يده على آية الرجم فقرا ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فامر بهما النبي صلى الله عليه وسلم فرجما قال فرايت الرجل يجنأ على المراة يقيها الحجارة وفي رواية اخرى لهما قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم برجل وامراة من اليهود قد زنيا فقال لليهود ما تصنعون بهما قالوا نسخم وجوههما ونخزيهما قال فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فجاؤوا بها فقالوا لرجل ممن يرضون يا اعور اقرا فقرا حتى انتهى الى موضع منها فوضع يده عليها فقال ارفع يدك فرفع يده فاذا آية الرجم تلوح فقال يا محمد ان فيها الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا فامر بهما فرجما فرايته

زاد في رواية اخرى فرجما قريبا من موضع الجنائز قرب المسجد وعن البراء بن عازب قال مر على النبي صلى الله عليه وسلم
بيهودي محمم مجلود فدعاهم فقال أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال انشدك بالله الذي
انزل التوراة على موسى هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قال لا ولولا انك نشدتني بهذا لم اخبرك نجده الرجم ولكنه كثر في اشرافنا
فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف
والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اول من احيا امرك اذ اماتوه فامر به فرجم
فانزل الله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الى قوله ان اوتيتم هذا فخذوه وان افتاكم في الرجم
فاحذروا فانزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون في الكفار كلها ه التحميم هو تسويد الوجه بالحممة وهو الفحم وقوله ما تجدون في التوراة
حد الزاني قال العلماء هذا السؤال من النبي صلى الله عليه وسلم ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم وانما هو لالزامهم بما
يعتقدونه في كتابهم ولعله صلى الله عليه وسلم كان قد اوحي اليه ان الرجم في التوراة الموجودة في ايديهم ولم يغيروه كما غيروا
اشياء منها او اخبره بذلك من اسلم من اهل الكتاب وهو عبد الله بن سلام كما في حديث ابن عمر المتفق عليه ولذلك لم يخف
عليه صلى الله عليه وسلم حين كتموه وقوله تعالى يحرفون الكلم يعني يغيرون حدود الله تعالى التي اوجبها عليهم في التوراة
وذلك انهم بدلوا الرجم بالجلد والتحميم وقال الحسن انهم يغيرون ما يسمعونه من النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب عليه وقال
ابن جرير الطبري يحرفون حكم الكلم فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين به من بعد مواضعه يعني من بعد ان وضعه
الله مواضعه وفرض فروضه واحل حلاله وحرم حرامه فان قلت قد قال الله عز وجل هنا يحرفون الكلم من بعد مواضعه
وقال في موضع اخر يحرفون الكلم عن مواضعه فهل من فرق بينهما قلت نعم بينهما فرق وذلك انا اذا فسرنا يحرفون
الكلم عن مواضعه بالتاويلات الباطلة فيكون معنى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه انهم يذكرون التاويلات
الفاسدة لتلك النصوص وليس فيه بيان انهم يحرفون تلك اللفظة من الكتاب واما قوله يحرفون الكلم من
بعد مواضعه ففيه دلالة انهم جمعوا بين الامرين يعني انهم كانوا يذكرون التاويلات الفاسدة وكانوا يحرفون
اللفظة من الكتاب ففي بيان قوله يحرفون الكلم عن مواضعه اشارة الى التاويل الباطل وفي قوله من بعد
مواضعه اشارة الى الاخراج من الكتاب بالكلية وقوله تعالى يقولون يعني اليهود ه ان اوتيتم هذا فخذوه
يعني ان افتاكم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا منه ه وان لم تؤتوه فاحذروا يعني وان لم يفتكم بذلك وافتاكم
بالرجم فاحذروا ان تقبلوه ه ومن يرد الله فتنته يعني كفره وضلالته ه فلن تملك له من الله شيئا يعني فلن
تقدر على دفع امر الله فيه ه اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم قال ابن عباس معناه ان يخلص نياتهم وقيل
معناه لم يرد الله ان يهديهم وفي هذه الاية دلالة على ان الله تعالى لم يرد اسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشرك
والشك ولو فعل ذلك لآمن وهذه الاية من اشد الايات على القدرية ه لهم في الدنيا خزي يعني للمنافقين واليهود
اما خزي المنافقين فبالفضيحة وهتك استارهم باظهار نفاقهم وكفرهم واما خزي اليهود فبالجزية
والقتل والسبي والاجلاء من ارض الحجاز الى غيرها ه ولهم في الاخرة عذاب عظيم يعني الخلود في النار للمنافقين
واليهود ه سماعون للكذب اكالون للسحت نزلت في حكام اليهود مثل كعب بن الاشرف ونظرائه كانوا يرتشون
ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان الحاكم اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه ثم يريها اياه ويتكلم بحاجته فيسمع
منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع الكذب ويأكل الرشوة وهي السحت واصل السحت الاستئصال يقال سحته اذا استأصله
وسميت الرشوة في الحكم سحتا لانها تستأصل دين المرتشي والسحت كل حرام يحمل عليه شدة الشره وهو يرجع الى
الحرام الخسيس الذي لا يكون بركة لآخذه ولا مروءة ويكون في حصوله عار بحيث يخفيه لا محالة ومعلوم ان

حال

حال الرشوة كون الحكم بغير الحق وكذلك حرمت الرشوة على الحاكم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الراشي والمرتشي في الحكم
اخرجه الترمذي واخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال الحسن انما ذلك في الحاكم اذا رشوته ليحق لك
باطلا او يبطل عنك حقا وقال ابن مسعود الرشوة في كل شيء فمن شفع شفاعة ليرد بها حقا او يدفع بها
ظلما فاهدي اليه فقبل فهو سحت فقيل له يا ابا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك الا الاخذ على الحكم فقال الاخذ
على الحكم كفر قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون قوله عز وجل فان جاءوك يعني اليهود فاحكم بينهم
او اعرض عنهم خير الله رسوله صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم فان شاء حكم وان شاء ترك قال الحسن ومجاهد
والسدي نزلت في اليهوديين اللذين زنيا وقال قتادة نزلت في رجلين من قريظة والنضير قتل احدهما
الاخر قال ابن زيد كان حيي بن اخطب قد جعل للنضيري ديتين وللقرظي دية لانه كان من بني النضير فقالت قريظة
لا نرضى بحكم حيي ونتحاكم الى محمد فانزل الله هذه تخيير نبيه صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم فصل اختلف علماء التفسير
في حكم هذه الاية على قولين احدهما انها منسوخة وذلك ان اهل الكتاب كانوا اذا ترافعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم كان
مخيرا ان شاء حكم بينهم وان شاء اعرض عنهم ثم نسخ ذلك بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله فلزمه الحكم بينهم
وزال التخيير وهذا القول مروي عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدي والقول الثاني انها محكمة وحكام
المسلمين بالخيار اذا ترافعوا اليهم ان شاءوا حكموا بينهم وان شاءوا اعرضوا عنهم وهذا القول مروي عن الحسن والشعبي
والنخعي والزهري وبه قال احمد لانه لا منافاة بين الايتين اما قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم ففيه التخيير
بين الحكم والاعراض واما قوله وان احكم بما انزل الله ففيه كيفية الحكم اذا حكم بينهم قال الامام فخر الدين
الرازي وهو مذهب الشافعي انه يجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين اهل الكتاب اذا تحاكموا اليه لان في امضاء
حكم الاسلام صغارا لهم فاما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم
ان يحكم بينهم بل يتخير في ذلك وهذا التخيير المذكور في هذه الاية مخصوص بالمعاهدين واما اذا تحاكم مسلم
وذمي وجب على الحاكم الحكم بينهم لا يختلف القول فيه لانه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم اهل الذمة والله اعلم وقوله تعالى
وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط يعني بالعدل والاحتياط ان الله يحب المقسطين عند الله على منابر من نور عن
يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا هذا من احاديث الصفات فمن العلماء
من قال فيه وفي امثاله نؤمن بها ولا نتكلم في تاويلها ولا نعرف معناها لكن نعتقد ان ظاهرها غير مراد وان لها
معنى يليق بالله هذا مذهب جماهير السلف وطوائف من المتكلمين ومنهم من قال انها تؤول بتاويل يليق بها
وهذا قول اكثر المتكلمين فعلى هذا قال القاضي عياض المراد بكونهم عن اليمين الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة والعرب
تنسب الفعل المحمود والاحسان الى اليمين وضده الى اليسار قالوا واليمين ماخوذة من اليمن وقوله وكلتا يديه
يمين تنبيه على انه ليس المراد باليمين الجارحة تعالى الله عن ذلك فانها مستحيلة في حقه سبحانه وتعالى وقوله وما ولوا
بفتح الواو وضم اللام المخففة هكذا ذكره الشيخ محيي الدين في شرح مسلم قال ومعناه وما كانت لهم عليه
ولاية وهذا الفضل لمن عدل فيما تقلده من الاحكام والله اعلم قوله تعالى وكيف يحكمونك وعندهم التوراة
هذا تعجيب من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في تحكيم اليهود اياه مع علمهم بما في التوراة وتركهم قبول
ذلك الحكم مع اعتقادهم صحته وعدولهم الى حكم من يجحدون نبوته طلبا للرخصة لا جرم ان الله اظهر جهلهم
وعنادهم لانهم حكموا النبي صلى الله عليه وسلم في امر الزانيين ثم اعرضوا عن حكمه وفي هذه الاية تقريع لليهود والمعنى وكيف
يجعلونك حكما بينهم فيرضون بحكمك وعندهم التوراة فيها حكم الله يعني الرجم الذي تحاكموا اليك من اجله ثم يتولون من
بعد ذلك يعني يعرضون عن حكمك الموافق لما في كتابهم ه وما اولئك يعني اليهود بالمؤمنين يعني كما انهم كانوا يزعمون

وقيل معنى وما أولئك بالمؤمنين لك قوله عز وجل إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور سبب نزول هذه الآية
استفتاء اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر الزانيين وقد سبق بيانه والهدى هو البيان لأن التوراة مبينة صحة
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومبينة ما تأتي لكم أو اتبعه والنور هو الكاشف للشبهات الموضح للمشكلات والتوراة
كذلك وقيل الفرق بين الهدى والنور أن الهدى محمول على بيان الأحكام والشرائع والنور محمول على بيان أحكام
التوحيد والنبوات والمعاد يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا أراد بالنبيين الذين بعثوا من بعد
موسى عليه السلام وذلك أن الله بعث في بني إسرائيل ألوفا من الأنبياء وليس معهم كتاب إنما بعثوا بإقامة التوراة وأحكامها
ومعنى أسلموا انقادوا لأمر الله والعمل بكتابه وهذا على سبيل المدح لهم وفيه تعريض باليهود لأنهم بعداء عن الإسلام الذي
هو دين الأنبياء عليهم السلام وقال الحسن والزهري وعكرمة وقتادة والسدي يحتمل أن يكون المراد بالنبيين
الذين أسلموا هو محمد صلى الله عليه وسلم وإنما ذكره بلفظ الجمع تعظيما وتشريفا له صلى الله عليه وسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم
حكم على اليهود بالرجم وكان هذا الحكم في التوراة قال ابن الأنباري هذا رد على اليهود والنصارى لأن الأنبياء
عليهم السلام حكم على اليهود ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين لله منقادين لأمره
ونهيه للذين هادوا يعني لليهود يعني يحكم بالتوراة لهم وفيما بينهم ويحملهم على أحكامها كما فعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم كما هو في التوراة ولم يوافقهم على ما أرادوه من الجلد وقال الزجاج وجائز أن
يكون المعنى على التقديم والتأخير على معنى إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون
الذين أسلموا والربانيون والأحبار أما الربانيون فتقدم تفسيره في سورة آل عمران وأما الأحبار فقال
ابن عباس هم الفقهاء وقيل هم العلماء والأحبار واحدهم حبر بفتح الحاء وكسرها لغتان وقال الفراء إنما هو
حبر بكسر الحاء وإنما سمي به لمكان الحبر الذي يكتب به وذلك أنه صاحب كتاب وقال أبو عبيد إنما هو حبر
بفتح الحاء والحبر العالم لما يبقى من أثر علومه في قلوب الناس وأفعاله الحسنة التي يقتدى به وجمعه
أحبار ومنه كعب الأحبار وقيل الحبر الأثر المستحسن ومنه الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب
حبره وسبره أي جماله وبهاؤه وإنما سمي العالم حبرا لما عليه من أثر جمال العلم وهل فرق بين الربانيين والأحبار
أم لا فيه خلاف فقيل لا فرق والربانيون والأحبار بمعنى واحد وهم العلماء والفقهاء وقيل الربانيون
أعلى درجة من الأحبار لأن الله قدمهم في الذكر على الأحبار وقيل الربانيون هم الولاة والحكام والأحبار
هم العلماء وقيل الربانيون علماء النصارى والأحبار علماء اليهود ومعنى الآية يحكم بأحكام التوراة النبيون
ويحكم بها الربانيون والأحبار وقوله بما استحفظوا من كتاب الله يعني بما استودعوا من كتاب الله
تعالى وقيل هو أن يحفظوا كتاب الله فلا ينسوه وقيل هو أن يحفظوه فلا يضيعوا أحكامه وشرائعه وقد
أخذ الله على العلماء حفظ كتابه من هذين الوجهين معا وذلك بأن يحفظوا كتاب الله في صدورهم ويدرسوه
بألسنتهم لئلا ينسوه وأن لا يضيعوا أحكامه ولا يهملوا شرائعه فإذا فعلوا ذلك كانوا قائمين بحفظه وكانوا
عليه شهداء يعني أن هؤلاء النبيين والربانيين والأحبار كانوا شهداء على كتاب الله ويعلمون أنه حق
وصدق وأنه من عند الله فلا تخشوا الناس واخشون هذا خطاب لحكام اليهود الذين كانوا في زمان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لا تخافوا أحدا من الناس في إظهار صفة محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بالرجم
واخشون يعني في كتمان ذلك ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا يعني ولا تستبدلوا بآيات الله وأحكامه
ثمنا قليلا يعني الرشى في الأحكام والجاه عند الناس ورضاهم والمعنى كما نهيتكم عن تغيير الأحكام لأجل
خوف الناس كذلك أنهاكم عن التغيير والتبديل لأجل الطمع في المال والجاه وأخذ الرشوة فإن كل متاع

ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون

الدنيا قليل ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون يعني أن اليهود لما أنكروا حكم الله تعالى المنصوص
عليه في التوراة وجحدوا القرآن واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الثلاث آيات وهي قوله ومن لم يحكم بما
أنزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون فقال جماعة من المفسرين إن الآيات
الثلاث نزلت في الكفار ومن غير حكم الله من اليهود لأن المسلم وإن ارتكب كبيرة لا يقال إنه كافر وهذا قول
ابن عباس وقتادة والضحاك ويدل على صحة هذا القول ما روي عن البراء بن عازب قال أنزل الله تعالى ومن
لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك
هم الفاسقون في الكفار كلها أخرجه مسلم وعن ابن عباس قال ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون
إلى قوله الفاسقون هذه الثلاث آيات في اليهود خاصة قريظة والنضير أخرجه أبو داود وقال مجاهد
في هذه الآيات الثلاث من ترك الحكم بما أنزل الله ردا لكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق وقال عكرمة ومن لم
يحكم بما أنزل الله جاحدا به فقد كفر ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وهذا قول ابن عباس أيضا واختيار
الزجاج لأنه قال من زعم أن حكما من أحكام الله التي أتت بها الأنبياء باطل فهو كافر وقال طاوس قلت لابن عباس
أكافر من لم يحكم بما أنزل الله فقال به كفر وليس بكفر ينقل عن الملة كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
ونحو هذا روي عن عطاء قال هو كفر دون كفر وقال ابن مسعود والحسن والنخعي هذه الآيات الثلاث
عامة في اليهود وفي هذه الأمة فكل من ارتشى وبدل الحكم فحكم بغير حكم الله فقد كفر وظلم وفسق وإليه
ذهب السدي لأنه ظاهر الخطاب وقيل هذا فيمن علم نص حكم الله ثم رده عيانا عمدا وحكم بغيره وأما
من خفي عليه النص أو أخطأ في التأويل فلا يدخل في هذا الوعيد والله أعلم بمراده قوله تعالى وكتبنا
عليهم فيها أن النفس بالنفس يعني وفرضنا على بني إسرائيل في التوراة أن نفس القاتل بنفس المقتول
وفاء فيقتل به وذلك أن الله تعالى حكم أن في التوراة أن على الزاني المحصن الرجم وأخبر أن اليهود بدلوه
وغيروه وأخبر أيضا أن في التوراة أن النفس بالنفس وأن هؤلاء اليهود غيروا هذا الحكم وبدلوه ففضلوا
بني النضير على بني قريظة فكان بنو النضير إذا قتلوا من قريظة أدوا إليهم نصف الدية وإذا قتل بنو قريظة
من بني النضير أدوا إليهم الدية كاملة فغيروا حكم الله الذي أنزله في التوراة قال ابن عباس أخبر الله بحكمه في التوراة
وهو أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص
فما بالهم يخالفون فيقتلون النفسين بالنفس ويفقئون العينين بالعين ومعنى الآية أن النفس بالنفس
تقتل به إذا تكافأ الدمان ومذهب الشافعي أنه لا يقتل مسلم بكافر لما صح من حديث علي بن أبي طالب
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم بكافر الحديث أخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى والعين بالعين
يعني تفقأ بها والأنف بالأنف يعني يجدع به والأذن بالأذن يعني تقطع بها والسن بالسن يعني تقلع
به وأما سائر الأطراف والأعضاء فيجري فيها القصاص كذلك وقوله تعالى والجروح قصاص يعني فيما
يمكن أن يقتص منه وهذا تعميم بعد التخصيص لأن الله تعالى ذكر النفس والعين والأنف والأذن فخص
هذه الأربعة بالذكر ثم قال تعالى والجروح قصاص على سبيل العموم فيما يمكن أن يقتص منه كاليد والرجل
والذكر والأنثيين وغيرها وأما ما لا يمكن القصاص فيه كرض في لحم أو كسر في عظم أو جراحة في البطن يخاف
منها التلف فلا قصاص في ذلك وفيه الأرش والحكومة واعلم أن هذه الآية دالة على أن هذا الحكم
كان شرعا في التوراة فمن قال شرع من قبلنا يلزمنا إلا ما نسخ منه بالتفصيل قال هذه الآية حجة في شرعنا

ومن الحكم قال لها لست بحجة علينا واصل هذه المسئلة ان النبي صلى الله عليه وسلم وامته بعد البعثة هل هم متعبدون
بشرع من تقدم من الانبياء فنقل عن اصحاب ابي حنيفة وبعض اصحاب الشافعي انه نعم وعن احمد في احدى الروايتين
عنه انه كان متعبدا بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحي اليه لا من جهة كتبهم المبدلة ونقلة اربابها واختار
ابن الحاجب من المتاخرين هذا المذهب وهو انه صلى الله عليه وسلم كان بعد البعث متعبدا بشرع من قبله فيما لم ينسخ
من الاحكام الباقية قبل شريعته لكنه لم يثبت فيه الوحي وهو الحق والاربعة للنزاع معنى اذ لا ينكر احد كون النبي
صلى الله عليه وسلم كان متعبدا بعد البعثة بما اوحى الله تعالى اليه سواء كان من شريعة من قبله ام لا وذهب الاشاعرة
والمعتزلة الى المنع من ذلك وهو اختيار السيف الآمدي من المتاخرين واحتج الاولون بصحة مذهبهم ان
الاجماع منعقد على صحة الاستدلال بقوله وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الآية مع انه من شريعة من
تقدم لانه مذكور في التوراة ومكتوب على بني اسرائيل ولولا انا متعبدون بشريعة من قبلنا لما صح هذا الاستدلال
وقوله تعالى فمن تصدق به يعني بالقصاص فلم يقتص من الجاني فهو كفارة له في هاء له قولان احدهما ان الهاء
في له كناية عن المجروح وولي المقتول وذلك ان المجروح وولي المقتول اذا تصدق بالقصاص كان ذلك كفارة
لذنوبه وهذا قول ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص والحسن ويدل عليه ما روي عن ابي الدرداء قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يصاب بشيء من جسده فيتصدق به الا رفعه الله به درجة شي فيه م
وحط عنه به خطيئة اخرجه الترمذي عن انس قال ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع اليه قصاص الا امر فيه
بالعفو اخرجه ابو داود والنسائي والقول الثاني ان الضمير في قوله له يعود الى الجارح والقاتل يعني ان المجني
عليه اذا عفا عن الجاني كان ذلك العفو كفارة لذنب الجاني لا يؤاخذ به في الآخرة وهذا قول ابن عباس ومجاهد
ومقاتل كما ان القصاص كفارة له فاما اجر العافي فعلى الله تعالى وقوله عز وجل ومن لم يحكم بما انزل الله
فاولئك هم الظالمون يعني لانفسهم حيث لم يحكموا بما انزل الله قوله عز وجل وقفينا على آثارهم يعني واتبعنا
على آثار النبيين الذين اسلموا بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة يعني ان عيسى عليه السلام
كان مصدقا بان التوراة منزلة من عند الله عز وجل وكان العمل بها واجبا قبل ورود النسخ عليها
فان عيسى عليه السلام نسخ بعض احكام التوراة وخالفها وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور يعني فيه هدى
من الجهالة وضياء من عمى الضلالة ومصدقا لما بين يديه من التوراة هذا ليس بتكرير للاول لان في الاول
الاخبار بان عيسى مصدق لما بين يديه من التوراة وفي الثاني الاخبار بان الانجيل مصدق للتوراة وظهر الفرق
بين اللفظين وانه ليس بتكرار وهدى وموعظة للمتقين انما قال وهدى مرة اخرى لان الانجيل يتضمن
البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون سببا لاهتداء الناس الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانما كون الانجيل
موعظة لما فيه من المواعظ البليغة والزواجر والامثال وانما خص المتقين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون
بالمواعظ قوله تعالى وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه قال اهل المعاني قوله وليحكم اهل الانجيل بما
انزل الله فيه يحتمل وجهين احدهما ان يكون المعنى وقلنا وليحكم اهل الانجيل فيكون هذا اخبارا عما فرض
عليهم في وقت انزاله عليهم من الحكم بما تضمنه الانجيل ثم حذف القول لان ما قبله من قوله وكتبنا
وقفينا يدل عليه وحذف القول كثير والوجه الثاني ان يكون قوله وليحكم ابتداء وفيه امر للنصارى
بالحكم بما في كتابهم وهو الانجيل فان قلت فعلى هذا الوجه كيف جاز ان يؤمروا بالحكم بما في الانجيل بعد
نزول القرآن قلت ان المراد بهذا الحكم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لان ذكره في الانجيل موجود

ووجوب التصديق بنبوته فاذا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد حكموا بما في الانجيل بعد نزول القرآن وقوله
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون يعني الخارجين عن طاعة الله عز وجل قوله تعالى وانزلنا
اليك الكتاب الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وانزلنا اليك يا محمد القرآن بالحق يعني بالصدق الذي لا شك فيه انه
من عند الله مصدقا لما بين يديه من الكتاب يعني انه يصدق جميع الكتب التي انزلها الله على انبيائه ومهيمنا
عليه قال ابن عباس يعني شاهدا على الكتب التي قبله ومنه قول حسان ان الكتاب مهيمن لنبينا
والحق يعرفه ذوو الالباب يريد انه شاهد ومصدق لنبينا صلى الله عليه وسلم وانما كان القرآن مهيمنا على
الكتب التي قبله لانه الكتاب الذي لا ينسخ ولا يغير ولا يبدل واذا كان القرآن كذلك كانت شهادته على التوراة
والانجيل والزبور وجميع الكتب المنزلة حق وصدق وقيل المهيمن الامين وانما كان القرآن امينا على
الكتب التي قبله فيما اخبر اهل الكتاب عن كتبهم فان كان ذلك في القرآن فصدقوا والا فلا فاحكم بما انزل الله يعني بينهم
اذا ترافع اهل الكتاب اليك يا محمد فاحكم بينهم بالقرآن الذي انزله الله اليك ولا تتبع اهواءهم يعني ولا تتبع
اهواء اليهود في الحكم وقال ابن عباس لا تاخذ باهوائهم في جلد المحصن عما جاءك من الحق يعني ولا تنحرف
عن الحق الذي جاءك من عند الله متبعا اهواءهم وقوله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق وان كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم
لكن المراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يتبع اهواءهم قط لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا الخطاب في قوله منكم للامم
الثلاثة امة موسى وامة عيسى وامة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين بدليل ان الله عز وجل قال قبل هذه
انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور ثم قال بعد ذلك وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ثم قال وانزلنا اليك الكتاب
ثم جمع فقال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والشرعة الشريعة يعني لكل امة شريعة فللتوراة شريعة وللانجيل
شريعة وللقرآن شريعة والدين واحد وهو التوحيد واصل الشريعة من الشرع وهو البيان والاظهار يعني
شرع بين واضح وقيل هو من الشروع وهو البيان والاظهار في الشيء والشريعة في كلام العرب المشرعة التي
يشرعها الناس فيشربون ويستقون منها وقيل الشريعة الطريقة ثم استعير ذلك للطريقة الالهية المؤدية
الى الدين والمنهاج الطريق الواضح قال بعضهم الشريعة والمنهاج عبارتان عن معنى واحد والتكرير للتاكيد والمراد
بهما الدين وقال آخرون بينهما فرق لطيف وهو ان الشريعة هي التي امر الله بها عباده والمنهاج الطريق الواضح
المؤدي الى الشريعة قال ابن عباس في قوله شرعة ومنهاجا سنة وسبيلا وقال قتادة سبيلا وسنة فالسنن
مختلفة للتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة يحل الله عز وجل فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء
ليعلم من يطيعه ممن يعصيه والدين الذي لا يقبل غيره هو التوحيد والاخلاص لله الذي جاءت به جميع
الرسل عليهم السلام وقال علي بن ابي طالب الايمان منذ بعث آدم عليه السلام شهادة ان لا اله الا الله
والاقرار بما جاء من عند الله ولكل قوم شريعة ومنهاج قال العلماء وردت آيات دالة على عدم التباين
في طريقة الانبياء والرسل منها قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الى قوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه
ومنها قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ووردت آيات دالة على حصول التباين بينهم منها هذه
الآية وهي قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وطريق الجمع بين هذه الآيات ان كل آية دلت على عدم
التباين فهي دالة على اصول الدين من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فكل ذلك جاءت
به الرسل من عند الله ولم يختلفوا فيه واما الآيات الدالة على حصول التباين بينهم فمحمولة على الفروع
وما يتعلق بظواهر العبادات فجائز ان يتعبد الله عباده في كل وقت بما شاء فهذه طريق الجمع بين هذه الآيات

والله اعلم باسرار كتابه واحتج بهذه من قال ان شرع من قبلنا لا يلزمنا لان قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
يدل على ان كل رسول جاء بشريعة خاصة فلا يلزم امة رسول الاقتداء بشريعة رسول آخر ثم قال تعالى ولو شاء
الله لجعلكم امة واحدة يعني جماعة متفقة على شريعة واحدة ودين واحد لا اختلاف فيه ولكن ليبلوكم
يعني ولكن اراد ان يختبركم فيما آتاكم يعني من الشرائع المختلفة هل تعملون بها ام لا فيتبين بذلك المطيع من
العاصي والموافق من المخالف فاستبقوا الخيرات هذا خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم يعني فبادروا
يا امة محمد بالاعمال الصالحة التي تقربكم الى الله تعالى الى الله مرجعكم جميعا يعني المطيع والعاصي والموافق والمخالف
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون يعني فيخبركم في الآخرة بما كنتم فيه تختلفون من امر الدين والدنيا والمعنى فيخبركم في الآخرة
بما لا تشكون معه فيفصل بين المحق والمبطل والطائع والعاصي بالثواب والعقاب قوله تعالى وان احكم بينهم
بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم قال ابن عباس ان كعب بن اسد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم
لبعض اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فاتوه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود واشرافهم وساداتهم
وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فاقض لنا عليهم
ونؤمن بك ونصدقك فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وان احكم بينهم بما انزل الله يعني احكم بينهم
يا محمد بالحكم الذي انزله الله في كتابه ولا تتبع اهواءهم يعني فيما امروك به قال العلماء ليس في هذه الآية تكرار
لما تقدم وانما نزلتا في حكمين مختلفين اما الآية الاولى فنزلت في شان رجم المحصن وان اليهود طلبوا
منه ان يجلده وهذه الآية نزلت في شان الدماء والديات حين تحاكموا اليه في امر القتيل كان بينهم قال
بعض العلماء هذه الآية ناسخة للتخيير في قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم وقوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن
بعض ما انزل الله اليك يعني واحذر يا محمد هؤلاء اليهود الذين جاءوا اليك ان يصرفوك ويصدوك [illegible]
فيحملوك على ترك العمل ببعض ما انزل الله اليك في كتابه واتباع اهوائهم فان تولوا يعني فان اعرضوا عن الايمان بك و
والرضا بالحكم بما انزل الله فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني فاعلم يا محمد ان الله يريد ان يعجل لهم العقوبة
في الدنيا ببعض ذنوبهم وانما خص بعض الذنوب لان الله جازاهم في الدنيا على بعض ذنوبهم بالقتل والسبي والجلاء
واخر مجازاتهم على باقي ذنوبهم الى الآخرة وان كثيرا من الناس لفاسقون يعني اليهود لانهم ردوا حكم الله تعالى افحكم
الجاهلية يعني الحكم الجاهلية يطلب هؤلاء اليهود قال ابن عباس يعني بحكم الجاهلية ما كانوا عليه من الضلال
والجور في الاحكام وتحريفهم اياها عما امر الله بها وقال مقاتل كانت بين بني النضير وقريظة دماء وهما حيان من
اليهود وذلك قبل ان يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فلما بعث وهاجر الى المدينة تحاكموا [illegible] فقالت بنو قريظة
بنو النضير اخواننا ابونا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد فان قتل بنو النضير [illegible] اعطونا
سبعين وسقا من تمر وان قتلنا منهم قتيلا اخذوا منا مائة واربعين وسقا وارش جراحاتنا
على النصف من جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني احكم ان دم القرظي
وفاء من دم النضيري ودم النضيري وفاء من دم القرظي ليس لاحدهما فضل على الآخر في دم ولا عقل ولا
جراحة فغضب بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك فانك لنا عدو وانك ما تالوا في وضعنا وتصغيرنا فانزل الله
افحكم الجاهلية يبغون وقرئ بالتاء على الخطاب والمعنى قل لهم يا محمد افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله
حكما لقوم يوقنون يعني اي حكم احسن من حكم الله ان كنتم موقنين ان لكم ربا وانه عدل في احكامه
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء اختلف المفسرون في سبب نزول هذه

الآية وان كان حكمها عاما لجميع المؤمنين لان خصوص السبب لا يمنع من عموم الحكم فقال قوم نزلت هذه الآية في عبادة بن
الصامت رضي الله عنه وعبد الله بن ابي بن سلول راس المنافقين وذلك انهما اختصما فقال عبادة ان لي اولياء
من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم واني ابرا الى الله والى رسوله من ولايتهم ولا مولى لي الا الله ورسوله
فقال عبادة ان لي اولياء من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم واني ابرا الى الله والى رسوله
من ولايتهم ولا مولى لي الا الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي لكني لا ابرا من ولاية اليهود اني اخاف
الدوائر ولا بد لي منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة
ابن الصامت فهو لك دونه فقال اذن اقبل فانزل الله هذه الآية وقال السدي لما كانت وقعة احد
اشتد الامر على طائفة من الناس وتخوفوا ان يدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين انا الحق
بفلان اليهودي واخذ منه امانا اني اخاف ان يدال علينا اليهود وقال رجل آخر انا الحق بفلان النصراني من
اهل الشام واخذ منه امانا فانزل الله هذه الآية ينهاهما عن موالاة اليهود والنصارى وقال عكرمة نزلت
في ابي لبابة بن عبد المنذر لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة حين حاصرهم فاستشاروه في النزول وقالوا
ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل اصبعه على حلقه اشار انه الذبح وانه يقتلكم فانزل الله يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فنهى الله المؤمنين جميعا ان يتخذوا اليهود والنصارى انصارا واعوانا
على اهل الايمان بالله وبرسوله واخبر انه من اتخذهم انصارا وحلفاء من دون الله ورسوله والمؤمنين فانه منهم
وان الله ورسوله والمؤمنين منه براء بعضهم اولياء بعض يعني ان بعض اليهود انصار لبعض على المؤمنين
وان النصارى كذلك يدا واحدة على من خالفهم في دينهم وملتهم ومن يتولهم منكم فانه منهم يعني ومن
يتولهم منكم فانه منهم يعني ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين فينصرهم على المؤمنين فهو من اهل
دينهم وملتهم لانه لا يتولى متول احدا الا وهو راض به وبدينه واذا رضيه ورضي دينه صار منهم وهذا تعليم من
الله عز وجل وتشديد عظيم في مجانبة اليهود والنصارى وكل من خالف دين الاسلام ان الله لا يهدي القوم
الظالمين يعني ان الله لا يوفق من وضع الولاية في غير موضعها فتولى اليهود والنصارى مع عداوتهم لله ولرسوله
روي ان ابا موسى الاشعري قال قلت لعمر بن الخطاب ان لي كاتبا نصرانيا فقال ما لك وله قاتلك الله الا اتخذت حنيفا يعني
مسلما اما سمعت قول الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض
قلت له دينه ولي كتابته فقال لا اكرمهم اذ اهانهم الله ولا اعزهم اذ اذلهم الله ولا ادنيهم اذ ابعدهم الله قلت
انه لا يتم امر البصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه مات فما تصنع بعده فما تعمله بعد موته فاعمله
الآن واستغن عنه بغيره من المسلمين قوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض يعني فترى يا محمد الذين في
قلوبهم شك ونفاق يسارعون فيهم يعني يسارعون في مودة اليهود ومن الاهم ومناصحتهم لانهم كانوا
اهل ثروة ولبس رفعتهم ثم يغشونهم ويخالطونهم لاجل ذلك نزلت في عبد الله بن ابي المنافق وفي اصحابه من
المنافقين يقولون يعني المنافقين نخشى ان تصيبنا دائرة الدوائر من دوائر الدهر كالدولة تدور ويدول
والمعنى ويقول المنافقون انما نخالط اليهود لانا نخشى ان يدور علينا الدهر بمكروه ويعنون بذلك المكروه
الهزيمة في الحرب والقحط والجدب والحوادث المخوفة قال ابن عباس معناه نخشى ان لا يتم امر محمد فيدور علينا
الامر كما كان قبل محمد فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده قال المفسرون عسى من الله واجب لان
الكريم اذا اطمع في خير فعله وهو بمنزلة الوعد لتعلق النفس به ورجائها له والمعنى فعسى الله ان ياتي بالفتح

لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على أعدائه وإظهار دينه على الأديان كلها وإظفار المسلمين على أعدائهم من الكفار
واليهود والنصارى وقد فعل الله ذلك بمنه وكرمه فأظهر دينه ونصر عبده وقيل أراد بالفتح فتح مكة وقيل
فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك ونحوها من بلادهم أو أمر من عنده يعني أنه تعالى يقطع أصل اليهود من أرض
الحجاز ويخرجهم من بلادهم بلا كلفة وتعب ولا يكون للناس فيه فعل البتة كما ألقى في قلوبهم الرعب فأخلوا ديارهم
وأخربوها بأيديهم ورحلوا إلى الشام وقوله تعالى فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين يعني فيصبح المنافقون
الذين كانوا يوالون اليهود نادمين على ما حدثوا به أنفسهم أن أمر محمد لا يتم وقيل ندموا على دس الأخبار
إلى اليهود ويقول الذين آمنوا يعني ويقول الذين آمنوا في وقت إظهار الله نفاق المنافقين أهؤلاء الذين أقسموا
بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم وذلك أن المؤمنين كانوا يتعجبون من حال المنافقين عند ما أظهروا الميل إلى موالاة
اليهود والنصارى وقالوا إن المنافقين حلفوا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعنا ومن أنصارنا والآن كيف صاروا
موالين لأعدائنا من اليهود محبين للاختلاط بهم فبان كذب المنافقين في أيمانهم الباطلة حبطت أعمالهم
أي بطل كل خير عملوه لأجل ما أظهروا من النفاق وموالاة اليهود فأصبحوا خاسرين يعني أنهم خسروا في
الدنيا بافتضاحهم وخسروا في الآخرة بإحباط ثواب أعمالهم وحصلوا بالعذاب الدائم المقيم قوله عز وجل يا أيها
الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه يعني يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه وهو دين الإسلام فيبدله
ويغيره بدخوله في الكفر بعد الإيمان فيختار اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك من أصناف الكفر فلن
يضر الله شيئا وإنما ضر نفسه برجوعه عن الدين الصحيح الذي هو دين الإسلام قال الحسن علم الله تعالى
أن قوما سيرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فأخبر أنه سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه
وذكر صاحب الكشاف أن إحدى عشرة فرقة من العرب ارتدت ثلاث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الأسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده
وأخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل وإلى سادات
اليمن فأهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمي فبيته وقتله فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بقتله
ليلة قتل فسر المسلمون بذلك وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد وأتى خبر قتله في آخر ربيع الأول
وبنو حنيفة وهم قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله إلى محمد
رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول
الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وسأذكر قصة
مقتله فيما بعد وبنو أسد وهم قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن
الوليد فقاتله فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وارتد سبع فرق في خلافة
أبي بكر الصديق وهم فزارة قوم عيينة بن حصن الفزاري وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم
قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة اليربوعي وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر
المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وكندة قوم الأشعث بن قيس الكندي وبنو بكر
بن وائل قوم الحطم بن زيد فكفى الله أمرهم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفرقة واحدة ارتدت
في خلافة عمر بن الخطاب وهم غسان قوم جبلة بن الأيهم واختلف العلماء في المعني بقوله تعالى فسوف يأتي
الله بقوم يحبهم ويحبونه فقال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة هم أبو بكر الصديق وأصحابه الذين

قاتلوا

قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ارتد عامة من العرب كما تقدم تفصيله إلا أهل
المدينة وأهل مكة وأهل البحرين من بني عبد القيس فإنهم ثبتوا على الإسلام ونصر الله بهم الدين ولما ارتد من ارتد
من العرب ومنعوا الزكاة هم أبو بكر بقتالهم وكره ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف تقاتل
الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني
ماله ودمه إلا بحقه وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة
حق المال والله لو منعوني عناقا أو عقالا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال
أنس بن مالك كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا هم أهل القبلة فتقلد أبو بكر سيفه وخرج
وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره قال ابن مسعود كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء
وقال أبو بكر بن عياش سمعت أبا حصين يقول ما ولد بعد النبيين أفضل من أبي بكر الصديق لقد قام
مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة وقالت عائشة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب
واشرأب النفاق ونزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها وبعث أبو بكر الصديق خالد بن
الوليد في جيش كثير إلى بني حنيفة باليمامة وهم قوم مسيلمة الكذاب فأهلك الله تعالى مسيلمة على يد وحشي
غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة فكان وحشي يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام
أراد بذلك وحشي أنه في حال الجاهلية قتل حمزة وهو خير الناس وفي حال إسلامه قتل مسيلمة الكذاب
وهو شر الناس وقال قوم المراد بقوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الأشعريون قوم أبي موسى
الأشعري يروى عن عياض بن غنم الأشعري قال لما نزلت هذه الآية فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا يعني أبا موسى الأشعري أخرجه الحاكم في المستدرك وقيل هم
أهل اليمن ق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاكم أهل اليمن هم أرق
أفئدة وألين قلوبا الإيمان يمان والحكمة يمانية وقال السدي نزلت في الأنصار لأنهم الذين نصروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعانوه على إظهار الدين وقيل هم أحياء من أهل اليمن ألفان من
النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أخلاط الناس جاهدوا في سبيل
الله يوم القادسية في خلافة عمر وعلى هذا التقدير تكون هذه الآية إخبارا عن الغيب وقد وقع
الخبر على وفقه فحمد الله تعالى فتكون هذه الآية معجزة وأما معنى المحبة فيقال أحببت فلانا بمعنى
جعلت قلبي معرضا بأن يحبه والمحبة إرادة ما تراه أو تظنه خيرا فمحبة الله العبد إنعامه عليه
وتوفيقه وهدايته إلى طاعته والعمل بما يرضى عنه وأن يثيبه أحسن الثواب على طاعته وأن
يثني عليه ويرضى عنه ومحبة العبد لله عز وجل أن يسارع إلى طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعل ما
يوجب سخطه وعقوبته وأن يتحبب إليه بما يوجب له الزلفى لديه جعلنا الله ممن يحبهم ويحبونه بمنه
وكرمه وقوله تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وهذه من صفات الذين اصطفاهم الله
ووصفهم بقوله يحبهم ويحبونه يعني أنهم أرقاء رحماء لأهل دينهم وإخوانهم من المؤمنين ولم يرد ذل
الهوان بل أراد لين جانبهم لإخوانهم المؤمنين وهم مع رقتهم ورحمتهم ولين جانبهم أشداء
أقوياء غلاظ على أعدائهم الكافرين قال علي بن أبي طالب أذلة على المؤمنين يعني أهل رقة على أهل
دينهم أعزة على الكافرين أهل غلظة على من خالفهم في دينهم وقال ابن عباس تراهم كالولد لوالده وكالعبد
لسيده وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته وقال ابن الأنباري آثر الله على هؤلاء المؤمنين

بانهم متواضعون للمؤمنين اذا لقوهم ويعنفون بالكافرين اذا لقوهم وقيل ان الذل هنا بمعنى الشفقة والرحمة كانه قال راحمين
للمؤمنين مشفقين عليهم على وجه التذلل والتواضع وانما اتى بلفظ على حتى تدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم
لا لاجل كونهم ذليلين في انفسهم بل ذلك التذلل لاجل انهم ضموا الى علو منصبهم فضيلة التواضع ويدل على صحة هذا
سياق الاية وهو قوله اعزة على الكافرين يعني انهم اشداء اقوياء في انفسهم وعلى اعدائهم ﴿يجاهدون في سبيل الله﴾
يعني انهم ينصرون دين الله ﴿ولا يخافون لومة لائم﴾ يعني لا يخافون عذل عاذل في نصرهم للدين وذلك ان المنافقين
كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم فبين الله تعالى في هذه الاية ان من كان قويا في الدين فانه لا يخاف في
نصره لدين الله بيده او بلسانه لومة لائم وهذه صفة المؤمنين المخلصين ايمانهم لله تعالى (ق) عن عبادة
ابن الصامت قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره
وعلى ان لا ننازع الامر اهله وعلى ان نقول الحق اينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم ثم قال تعالى ﴿ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء﴾ ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من وصفهم بمحبة الله ولين جانبهم للمؤمنين وشدتهم على الكافرين وانهم
يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم كل ذلك من فضل الله تعالى تفضل به عليهم ومن احسانه اليهم ﴿والله
واسع عليم﴾ يعني انه تعالى واسع الفضل عليم بمن يستحقه قوله تعالى ﴿انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا﴾ قال ابن عباس
نزلت هذه الاية في عبادة بن الصامت حين تبرا من موالاة اليهود فقال اتولى الله ورسوله والمؤمنين يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وقال جابر بن عبد الله نزلت في عبد الله بن سلام وذلك انه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان قومنا قريظة والنضير
قد هجرونا وفارقونا واقسموا ان لا يجالسونا فنزلت هذه الاية فقراها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن
سلام رضينا بالله ربا وبرسوله وبالمؤمنين اولياء وقيل الاية عامة في حق جميع المؤمنين لان المؤمنين بعضهم
اولياء بعض فعلى هذا يكون قوله تعالى ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ صفة لكل مؤمن ويكون
المراد بذكر هذه الصفات تمييز المؤمنين عن المنافقين لان المنافقين كانوا يدعون انهم مؤمنون الا انهم لم يكونوا
يداومون على فعل الصلاة والزكاة فوصف الله تعالى المؤمنين بانهم يقيمون الصلاة يعني باتمام ركوعها
وسجودها في مواقيتها ويؤتون الزكاة يعني ويؤدون زكاة اموالهم اذا وجبت عليهم اما قوله تعالى ﴿وهم
راكعون﴾ فعلى هذا التفسير فيه وجوه احدها ان المراد من الركوع هنا الخضوع والمعنى ان المؤمنين
يصلون ويزكون وهم منقادون خاضعون لاوامر الله ونواهيه الوجه الثاني ان يكون المراد منه ان من
شانهم اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وانما خص الركوع بالذكر تشريفا له الوجه الثالث قيل ان
هذه الاية نزلت وهم ركوع وقيل نزلت هذه في شخص معين وهو علي بن ابي طالب قال السدي مر
بعلي سائل وهو راكع في المسجد فاعطاه خاتمه فعلى هذا قال العلماء العمل القليل في الصلاة لا يفسدها
والقول بالعموم اولى وان كان قد وافق وقت نزولها صدقة علي بن ابي طالب وهو راكع ويدل على ذلك ما
روي عن عبد الملك بن سليمان قال سالت ابا جعفر محمد بن علي الباقر عن هذه الاية انما وليكم الله ورسوله
والذين امنوا من هم فقال المؤمنون فقلت ان ناسا يقولون هو علي فقال علي من الذين امنوا قوله تعالى
﴿ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا﴾ يعني ومن يتول القيام بطاعة الله ونصر رسوله والمؤمنين قال ابن عباس
يريد المهاجرين والانصار ومن ياتي بعدهم ﴿فان حزب الله﴾ يعني انصار دين الله ﴿هم الغالبون﴾ لان
الله ناصرهم على عدوهم والحزب في اللغة اصحاب الرجل الذين يكونون معه على رايه وهم القوم الذين يجتمعون
لامر حزبهم يعني اهمهم قوله عز وجل ﴿يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا﴾ قال ابن عباس
كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحرث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما

فانزل الله

فانزل الله تعالى هذه الاية ومعنى اتخذوا دينكم هزوا ولعبا هو اظهارهم الاسلام بالسنتهم قولا وهم مع ذلك يبطنون
الكفر ويسرونه ﴿من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم﴾ يعني اليهود ﴿والكفار﴾ يعني عبدة الاصنام وانما فصل بين
اهل الكتاب وبين الكفار وان كان اهل الكتاب من الكفار لان كفر المشركين من عبدة الاصنام اغلظ وافحش
من كفر اهل الكتاب ﴿اولياء﴾ يعني لا تتخذوهم اولياء والمعنى ان اهل الكتاب والكفار اتخذوا دينكم يا معشر المؤمنين والعوادسه
هزوا وسخرية فلا تتخذوهم انتم اولياء وانصارا ﴿واتقوا الله ان كنتم مؤمنين﴾ يعني مؤمنين حقا لان المؤمن لا يوالي
اعداء الله عز وجل قوله تعالى ﴿واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا﴾ قال الكلبي كان منادي رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا نادى الى الصلاة وقام المسلمون اليها قالت اليهود قد قاموا لا قاموا وصلوا
لا صلوا وتضاحكوا على طريق الاستهزاء فانزل الله هذه الاية وقال السدي نزلت هذه الاية في رجل
من النصارى كان بالمدينة فكان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله
يقول حرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو واهله نيام فسقطت منه [illegible]
فطارت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو واهله وقيل ان الكفار والمنافقين كانوا اذا سمعوا
الاذان حسدوا المسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد ابتدعت شيئا
لم يسمع بمثله فيما مضى من الامم قبلك فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت الانبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان
اولى الناس به الانبياء فمن اين لك صياح كصياح العير فما اقبح هذا الصوت وما اسمج هذا الامر فانزل الله عز وجل
﴿ومن احسن قولا ممن دعا الى الله﴾ الاية وانزل ﴿واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون﴾
يعني ان هزوهم ولعبهم من افعال السفهاء والجهال الذين لا عقل لهم قوله تعالى ﴿قل يا اهل الكتاب﴾ الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا ﴿هل تنقمون منا﴾
يعني هل تكرهون منا وتعيبون علينا ﴿الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل﴾ وهذا
على سبيل التعجب من فعل اهل الكتاب والمعنى هل تجدون علينا في الدين الا الايمان بالله وبما انزل الينا وبما انزل
على جميع الانبياء من قبل وهذا ليس مما ينكر وينقم منه وهذا كما قال بعضهم ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن
فلول من قراع الكتائب يعني انه ليس فيهم عيب الا ذلك وهذا ليس بعيب بل هو مدح عظيم لهم قال ابن عباس
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فيهم ابو ياسر بن اخطب ورافع بن ابي رافع وعازر وزيد وخالد وازار
ابن ابي ازار واشيع فسالوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اؤمن بالله وما انزل الى ابراهيم واسمعيل وما انزل الينا
واسحق ويعقوب الى قوله ونحن له مسلمون الاية فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله لا نؤمن بمن امن به فانزل
الله هذه الاية وقيل انهم قالوا والله ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم
فانزل هذه الاية قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وهذا هو الله
ديننا الحق وطريقنا المستقيم فلم تنقمون علينا ﴿وان اكثركم فاسقون﴾ يعني انكرتم ايماننا ونقمتموه
علينا مع علمكم بانا على الحق بسبب فسقكم واقامتكم على الدين الباطل لحب الرياسة واخذ الاموال بالباطل
وانما قال اكثرهم لان الله علم ان من اهل الكتاب من يؤمن بالله وبرسوله قوله عز وجل ﴿قل هل انبئكم بشر
من ذلك﴾ هذا جواب اليهود حين قالوا ما نعرف دينا شرا من دينكم والمعنى قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين
قالوا هذه المقالة هل اخبركم بشر من ذلك الذي ذكرتم ونقمتم علينا من ايماننا بالله وما انزل علينا ﴿مثوبة﴾
يعني جزاء فان قلت المثوبة تختص بالاحسان لانها في معنى الثواب فكيف جاءت في الاساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة

على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ومنه قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم والمعنى قل هل انبئكم بشر من اهل الكتاب ذلك الذين مثوبة فان قلت هذا يقتضي ان الموصوفين بذلك الدين محكوم عليه بالشر لانه تعالى قال بشر من ذلك ومعلوم ان الامر ليس كذلك فما جوابه قلت جوابه ان الكلام خرج على حسب قولهم واعتقادهم فان اليهود حكموا بان اعتقاد ذلك الدين شر فقيل لهم هب ان الامر كذلك لكن من لعنه الله وغضب عليه ومسخ صورته شر من ذلك وقوله تعالى من لعنه الله معناه هل انبئكم بمن لعنه الله او هو من لعنه الله ومعنى لعنه الله ابعده وطرده عن رحمته وغضب عليه يعني وانتقم منه لان الغضب ارادة الانتقام من العصاة وجعل منهم القردة والخنازير يعني من اليهود من لعنه الله وغضب عليه ومنهم من جعلهم قردة وخنازير قال ابن عباس ان المسخين كلاهما في اصحاب السبت فشبابهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وقيل ان مسخ القردة كان في اصحاب السبت من اليهود ومسخ الخنازير كان في الذين كفروا بعد نزول المائدة في زمن عيسى عليه السلام ولما نزلت هذه الآية عير المسلمون اليهود وقالوا لهم يا اخوان القردة والخنازير فافتضحوا بذلك وعبد الطاغوت يعني وجعل منهم عبد الطاغوت يعني من اطاع الشيطان فيما سول له والطاغوت هو الشيطان وقيل هو العجل وقيل هو الكهان والاحبار وجملته ان كل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده وهو الطاغوت اولئك يعني الملعونين والمغضوب عليهم والممسوخين شر مكانا يعني من غيرهم ونسب الشر الى المكان والمراد به اهله فهو من باب الكناية وقيل اراد ان مكانهم سقر ولا مكان اشد شرا منه واضل عن سواء السبيل يعني واخطأ عن قصد طريق الحق قوله تعالى واذا جاءوكم قالوا آمنا قال قتادة نزلت في اناس من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم مؤمنون راضون بالذي جاء به وهم متمسكون بضلالتهم وكفرهم فكان هؤلاء يظهرون الايمان وهم في ذلك منافقون فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بحالهم وشانهم وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به يعني انهم دخلوا كافرين وخرجوا كما دخلوا كافرين لم يتعلق بقلوبهم شيء من الايمان فهم كافرون في حالتي الدخول والخروج والله اعلم بما يكتمون يعني من الكفر الذي في قلوبهم قوله عز وجل وترى كثيرا منهم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وترى يا محمد كثيرا من اليهود وكلمة من تحتمل ان تكون للتبعيض ولعل ان هذه الافعال المذكورة في هذه الآية ما كان يفعلها كل اليهود فلهذا قال تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون والمسارعة في الشيء المبادرة اليه بسرعة لكن لفظة المسارعة انما تستعمل في الخير ومنه قوله تعالى يسارعون في الخيرات وضدها العجلة ويقال في الشر في الاغلب وانما ذكرت لفظة المسارعة في قوله يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت لفائدة وهي انهم كانوا يقدمون على هذه المنكرات كانهم محقون فيها والاثم اسم جامع لجميع المعاصي والمنهيات فيدخل تحت العدوان واكل السحت فلما ذكر الله العدوان واكل السحت بعد الاثم والمعاصي وقيل الاثم ما كتموا من التوراة والعدوان ما زادوا فيها والسحت هو الرشى وما كانوا ياكلونه من غير وجهه لبئس ما كانوا يعملون يعني لبئس العمل كان هؤلاء اليهود يعملون وهو مسارعتهم الى الاثم والعدوان واكلهم السحت قوله تعالى لولا يعني هلا وهي هنا بمعنى التحضيض والتوبيخ ينهاهم الربانيون والاحبار قال الحسن الربانيون علماء اهل الانجيل والاحبار علماء اهل التوراة وقال غيره كلهم من اليهود لانه متصل بذكرهم عن قولهم الاثم يعني الكذب واكلهم السحت والمعنى هلا نهى الاحبار والرهبان اليهود عن قول الاثم واكل السحت لبئس ما كانوا يصنعون يعني الاحبار والرهبان اذا لم ينهوا غيرهم عن المعاصي وهذا يدل على ان تارك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه لان الله تعالى ذم الفريقين في هذه

الآية قال ابن عباس ما في القرآن اشد توبيخا من هذه الآية وقال الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها قوله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة نزلت هذه الآية في فنحاص اليهودي قال ابن عباس ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس اموالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولة يعني محبوسة مقبوضة عن الرزق والبذل والعطاء فنسبوا الله تعالى الى البخل والقبض تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ولما قال هذه المقالة الخبيثة فنحاص ولم ينهه بقية اليهود ورضوا بقوله لا جرم ان الله تعالى اشركهم معه في هذه المقالة فقال تعالى اخبارا عنهم وقالت اليهود يد الله مغلولة يعني نعمته مقبوضة عنا وقيل معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا بقدر ما تبر به قسمه وذلك قدر ما عبد اباؤنا العجل والقول الاول اصح لقوله ينفق كيف يشاء واعلم ان غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود بدليل قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والسبب ان اليد آلة لكل الاعمال لا سيما لدفع المال وانفاقه وامساكه فاطلقوا اسم السبب على المسبب واسندوا الجود والبخل الى اليد مجازا فقيل للجواد الكريم فياض اليد ومبسوط اليد وقيل للبخيل مقبوض اليد وقوله تعالى غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا يعني امسكت ايديهم عن كل خير وطردوا عن رحمة الله وقال الزجاج رد الله عليهم فقال انا الجواد الكريم وهم البخلاء وايديهم هي المغلولة الممسوكة وقيل هذا دعاء على اليهود علمنا الله كيف ندعو عليهم وقال غلت ايديهم في نار جهنم فعلى هذا هو من الغل حقيقة اي شدت ايديهم الى اعناقهم وطرحوا في النار جزاء لهم على هذا القول ومعنى لعنوا بما قالوا عذبوا بسبب ما قالوا فمن لعنتهم انهم مسخوا في الدنيا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة والجزية وفي الآخرة لهم عذاب النار وقوله تعالى بل يداه مبسوطتان يعني ان الله تعالى جواد كريم ينفق كيف يشاء وهذا جواب لليهود ورد عليهم ما افتروه واختلقوه على الله تعالى عن قولهم علوا كبيرا وانما اجيبوا بهذا الجواب على قدر كلامهم واما الكلام في اليد فقد اختلف العلماء في معناها على قولين احدهما وهو مذهب جمهور السلف وعلماء اهل السنة وبعض المتكلمين ان يد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه فيجب علينا الايمان بها والتسليم ونمرها كما جاءت في الكتاب والسنة بلا تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل قال الله تعالى لما خلقت بيدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم كلتا يديه يمين والقول الثاني قول جمهور المتكلمين واهل التاويل فانهم قالوا اليد تذكر في اللغة على وجوه احدها الجارحة وهي معلومة وثانيها النعمة يقال لفلان عندي يد اشكره عليها وثالثها القدرة قال الله تعالى اولي الايدي والابصار فسروه بذوي القوى والعقول ويقال لا يدان لك بهذا الامر والمعنى سلب كمال القدرة ورابعها الملك يقال هذه الضيعة في يد فلان اي في ملكه ومنه قوله تعالى الذي بيده عقدة النكاح اي يملك ذلك اما الجارحة فمنتفية في صفة الله تعالى لان العقل دل على انه يمتنع ان تكون يد الله عبارة عن جسم مخصوص وعضو مركب من الاجزاء والابعاض تعالى الله عن الجسمية والكيفية والتشبيه علوا كبيرا فاذا امتنع ذلك ان يكون يد الله بمعنى الجارحة واما سائر المعاني التي فسرت اليد بها فحاصلة لان اكثر العلماء من المتكلمين زعموا ان اليد في حق الله عبارة عن القدرة وعن الملك وعن النعمة وههنا اشكالان احدهما ان اليد اذا فسرت بمعنى القدرة فقدرة الله واحدة ونص القرآن ناطق باثبات اليدين في قوله بل يداه مبسوطتان اي ليس الامر على ما وصفتموه من البخل بل هو جواد كريم على سبيل الكمال الاشكال الثاني ان اليد اذا فسرت بالنعمة فنص القرآن ناطق باثبات اليدين ونعم الله غير محصورة

ولا معدودة ومنه قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واجيب عن هذا الاشكال بان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين انواع كثيرة لا نهاية لها مثل نعم الدنيا ونعم الدين ونعم الظاهر ونعم الباطن ونعم النفع ونعم الدفع فالمراد بالتثنية المبالغة في وصف النعم اجاب اصحاب هذا القول الاول عن هذا بان قالوا عن ان الله تعالى اخبر آدم انه خلقه بيده ولو كان معنى خلقه لآدم بقدرته او بنعمته او بملكه لم يكن لخصوصية آدم بذلك وجه مفهوم لان جميع خلقه مخلوقون بقدرته وجميعهم في ملكه ومتقلبين في نعمه فلما خص الله آدم عليه السلام بقوله تعالى لما خلقت بيدي دون خلقه علم بذلك اختصاصه وتشريفه على غيره ونقل الامام فخر الدين الرازي عن ابي الحسن الاشعري قولا ان اليد صفة قائمة بذات الله وهي صفة سوى القدرة من شانها التكوين على سبيل الاصطفا قال والذي يدل عليه ان الله تعالى جعل وقوع خلق آدم بيديه علة لكرامة آدم واصطفائه له فلو كانت اليد عبارة عن القدرة امتنع كون آدم مصطفى بذلك لان ذلك حاصل في جميع المخلوقات فلا بد من اثبات صفة اخرى وراء القدرة يقع بها الخلق والتكوين على سبيل الاصطفا هذا آخر كلامه واجيب عن قولهم بان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين انواع كثيرة لان الاسم اذا ثني لا يؤدي الا عن اثنين باعيانهما دون الجمع ولا يؤدي عن الجنس ايضا قالوا وخطا في كلام العرب ان يقال ما اكثر الدرهمين في ايدي الناس بمعنى ما اكثر الدراهم في ايديهم لان الدرهم اذا ثني في كلام العرب لا يؤدي الا عن اثنين باعيانهما ولكن الواحد يؤدي عن جنسه كما تقول العرب ما اكثر الدرهم في ايدي الناس بمعنى ما اكثر الدراهم في ايديهم لان الواحد يؤدي عن الجميع فثبت بهذا البيان فساد قول من قال ان اليد صفة لله تعالى تليق بجلاله وانها ليست بجارحة كما تقول المجسمة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وقوله تعالى ينفق كيف يشاء يعني انه تعالى يرزق كما يريد فيكثر فيوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء لا اعتراض لاحد عليه في ملكه ولانها يتعلق ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق انفق عليك وقال يد الله تعالى ملأى لا يغيضها ما بيده وكان عرشه على الماء تعقد سحا الليل والنهار ارايتم ما انفق مثل خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما بيده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يرفع ويخفض وهذا الحديث ايضا احد احاديث الصفات فيجب الايمان به وامراره كما جاء من غير تشبيه ولا تكييف وقوله تعالى وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا يعني كلما نزلت عليك آية من القرآن كفروا بها فازدادوا شدة في كفرهم وطغيانا مع طغيانهم والمراد بالكثير علماء اليهود وقيل اخبار منهم على كفرهم زيادة منهم فيه والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة يعني القيت العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وقيل الى ذلك من طوائف اليهود فجعلهم مختلفين في دينهم متعادين متباغضين الى يوم القيامة فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مشبهة وكذلك النصارى فرق كالملكية والنسطورية واليعقوبية والمارونية فان قلت فهذا المعنى ايضا حاصل بين فرق المسلمين فكيف يكون ذلك عيبا على اليهود والنصارى حتى يذموا به قلت هذه البدع التي حدثت في المسلمين انما حدثت بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة والتابعين اما في الصدر الاول فلم يكن شيء من ذلك حاصلا بينهم فحسن جعل ذلك عيبا على اليهود والنصارى في ذلك العصر الذي نزل فيه القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله يعني كلما افسد اليهود وخالفوا حكم الله بعث الله عليهم من يهلكهم فافسدوا فبعث الله عليهم بختنصر البابلي ثم افسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس وهم الفرس ثم افسدوا وقالوا يد الله

مغلو

٢١٩

مغلولة فبعث الله المسلمين فلا يزال اليهود في ذلة ابدا وقال مجاهد معنى الآية كلما مكروا مكرا في حرب محمد صلى الله عليه وسلم اطفاه الله تعالى وقال السدي كلما اجمعوا امرهم على شيء ليفسدوا امر محمد صلى الله عليه وسلم فرقه الله وكلما اوقدوا نارا في حرب محمد صلى الله عليه وسلم اطفاها الله واخمد نارهم واطفا حقدهم وقذف في قلوبهم الرعب وقهرهم ونصر نبيه ودينه ويسعون في الارض فسادا يعني ويجتهدون في دفع الاسلام ومحو ذكر محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم وقيل انهم يسعون بالمكر والكيد والحيل ليس يقدرون على غير ذلك والله لا يحب المفسدين يعني ان الله لا يحب من كان هذه صفته قال قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس فيها وهم ابغض خلق الله اليه قوله تعالى ولو ان اهل الكتاب آمنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه فيما جاء به واتقوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه فيما جاء به واتقوا يعني اليهودية والنصرانية لكفرنا عنهم سيئاتهم يعني لمحونا عنهم ذنوبهم التي عملوها قبل الاسلام لان الاسلام يجب ما قبله ولادخلناهم جنات النعيم يعني مع المسلمين يوم القيامة ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل يعني اقاموا احكامهما وحدودهما وعملوا بما فيهما من الوفا بالعهود والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم لان نعته وصفته موجود فيهما فان قلت كيف يامر اهل الكتاب باقامة التوراة والانجيل مع انهما منسوخ وبدلا قلت انما امرهم الله تعالى باقامة ما فيهما من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته وهذا غير منسوخ لانه موافق لما في القرآن وقوله تعالى وما انزل اليهم من ربهم فيه قولان احدهما ان المراد به كتب انبياء بني اسرائيل مثل كتاب شعيا وكتاب ارميا وزبور داود وفي هذه الكتب ايضا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيكون المراد باقامة هذه الكتب الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم القول الثاني ان المراد بما انزل اليهم من ربهم هو القرآن لانهم مامورون بالايمان به فكانه نزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم يعني ان اليهود لما اصروا على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وثبتوا على يهوديتهم ولزمهم اصابهم الله بالقحط والشدة حتى بلغوا الجهد قالوا يد الله مغلولة فاخبر الله تعالى انهم لو تركوا اليهودية والكفر الذي هم عليه لانقلبت تلك الشدة بالخصب والسعة وهو قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم قال ابن عباس معناه لانزلت عليهم المطر واخرجت لهم النبات والمراد من ذلك توسعة الرزق عليهم منهم امة مقتصدة اي عادلة والاقتصاد الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير واصله من القصد لان من عرف مقصوده طلبه من غير اعوجاج عنه والمراد بالامة المقتصدة من آمن من اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه والنجاشي واصحابه الذين اسلموا وكثير منهم يعني من اهل الكتاب الذين اقاموا على كفرهم مثل كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود ساء ما يعملون يعني بئس ما يعملون من اقامتهم على كفرهم قال ابن عباس عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبي صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الآية روي عن الحسن ان الله تعالى لما بعث رسوله صلى الله عليه وسلم ضاق ذرعا وعرف ان من الناس من يكذبه فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في عيب اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الاسلام فقالوا اسلمنا قبلك وجعلوا يستهزئون به ويقولون تريد ان نتخذك حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منهم سكت فانزل الله تعالى هذه الآية وامره بان يقول لهم يا اهل الكتاب لستم على شيء الآية وقيل نزلت هذه الآية في امر الجهاد وذلك ان المنافقين كرهوه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمسك في بعض الاحايين عن الحث على الجهاد لما علم من كراهية بعضهم له فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في قصة الرجم والقصاص في ما سال عنه اليهود ومعنى الآية يا ايها الرسول بلغ جميع ما انزل اليك من ربك مجاهرا به ولا تخش احدا ولا تترك

شيئا مما انزل اليك من ربك وان اخفيت شيئا من ذلك في وقت من الاوقات فما بلغت رسالته وهو قوله تعالى وان لم تفعل فما
بلغت رسالته وقرئ رسالاته قال ابن عباس معناه ان كتمت آية مما انزل اليك من ربك لم تبلغ رسالتي يعني انه صلى الله عليه وسلم لو ترك
ابلاغ البعض كان كمن لم يبلغ شيئا مما انزله الله اليه وحاشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكتم شيئا مما اوحي اليه روى مسروق
عن عائشة رضي الله عنها قالت ومن حدثك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا مما انزل الله فقد كذب ثم قرأت يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك من ربك اخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه وقوله تعالى والله يعصمك من الناس يعني يحفظك يا محمد ويمنعك
منهم والمراد بالناس هنا الكفار فان قلت اليس قد شج راسه وكسرت رباعيته يوم احد وقد اوذي بضروب
الاذى فكيف يجمع بين ذلك وبين قوله والله يعصمك من الناس قلت المراد منه انه يعصمه من القتل فلا يقدر عليه احد
ارادة بالقتل ويدل على صحة ذلك ما روي عن جابر انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم
قفل معه فادركتهم القائلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة فعلق بها سيفه ونمنا معه نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا واذا عنده
اعرابي فقال ان هذا اخترط علي سيفي وانا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال من يمنعك مني فقلت الله
ثلاثا ولم يعاقبه وجلس وفي رواية اخرى قال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فاذا اتينا على
شجرة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه
فقال تخافني فقال لا فقال من يمنعك مني قال الله فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين
وزاد البخاري في رواية له ان اسم ذلك الرجل غورث بن الحارث ق عن عائشة رضي الله عنها قالت سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقدمه المدينة ليلة فقال ليت رجلا صالحا من اصحابي يحرسني الليلة قالت فبينا نحن كذلك سمعنا خشخشة السلاح
فقال من هذا فقال سعد بن ابي وقاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك فقال وقع في نفسي خوف على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت احرسه فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام عن عائشة رضي الله عنها
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس ليلا حتى نزلت والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
راسه من القبة فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني الله اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب وقيل
في الجواب عن هذا ان هذه الاية نزلت بعد ما شج راسه في يوم احد لان سورة المائدة من اخر القران نزولا
وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الكافرين قال ابن عباس معناه لا يرشد من كذبك واعرض عنك وقال
ابن جرير الطبري معناه ان الله لا يوفق للرشد من حاد عن سبيل الحق وجار عن قصد السبيل وجحد ما جئته
من عند الله ولم ينته الى امر الله وطاعته فيما فرض عليه واوجبه قوله تعالى قل يا اهل الكتاب لستم على شيء يعني
قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى لستم على شيء من الدين الحق المرتضى عند الله ولستم على شيء مما تدعون انكم عليه
مما جاءكم به موسى عليه السلام يا معشر اليهود ولا مما جاءكم به عيسى يا معشر النصارى فانكم احدثتم وغيرتم قال ابن عباس
جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حرملة وقالوا يا محمد
الست تزعم انك على ملة ابرهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد انها حق فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بلى ولكنكم احدثتم وجحدتم ما فيها مما اخذ عليكم من الميثاق وكتمتم منها ما امرتم ان تبينوه
للناس فانا بريء من احداثكم قالوا فانا ناخذ بما في ايدينا فانا على الحق والهدى ولا نؤمن لك ولا نتبعك فانزل الله عز وجل
قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم الآية وقد تقدم معنى اقامة
التوراة والانجيل وانه يلزمهم العمل بما فيها وهو الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وتقدم تفسير ما انزل اليكم

وليزيدن

٢٢

وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا وقوله تعالى فلا تأس على القوم الكافرين يعني ولا تحزن يا
محمد على هؤلاء اليهود الذين جحدوا نبوتك ولم يؤمنوا بك فانما يعود ضرر ذلك الكفر عليهم قوله عز وجل ان الذين
امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى لما بين الله عز وجل ان اهل الكتاب ليسوا على شيء ما لم يؤمنوا
بين في هذه الاية ان هذا الحكم عام في كل اهل الملل وانه لا يحصل لاحد منهم فضيلة ولا منقبة الا اذا امن بالله
واليوم الاخر وعمل صالحا يرضاه ومن العمل الصالح الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه لا يتم الايمان الا به وقد تقدم تفسير
هذه الاية في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون فظاهر الاعراب يقتضي ان يقال والصابئين وكذا قراءة ابي
ابن كعب وابن مسعود وقراءة الجمهور بالرفع ومذهب الخليل وسيبويه انه ارتفع الصابئون بالابتداء على
نية التأخير كانه قيل ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا
خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك فحذف خبره والفائدة في ذكر عطفهم على من قبلهم هي ان الصابئين
اشد الفرق المذكورين في هذه الاية ضلالا فكانه قال كل هؤلاء الفرق اذا امنوا واتوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم
حتى الصابئون فانهم اذا امنوا كانوا ايضا كذلك وانما سموا صابئين لانهم صبوا عن الاديان كلها بمعنى خرجوا لانهم
صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ما جاءت به الرسل من عند الله فان قلت قد قال تعالى
في اول الاية ان الذين امنوا ثم قال في اخر الاية من امن فما فائدة هذا التكرار قلت فائدته ان المنافقين كانوا يظهرون
الايمان ويزعمون انهم مؤمنون ففي هذا التكرار اخراجهم من قبيل المؤمنين فيكون معنى ان الذين امنوا اي
بالسنتهم لا بقلوبهم ثم قال من امن يعني من ثبت على ايمانه ورجع عن نفاقه منهم وقيل فيه فائدة اخرى
وهي ان الايمان يدخل تحته اقسام كثيرة واشرفها الايمان بالله واليوم الاخر ففائدة هذا التكرار التنبيه على ان اشرف
اقسام الايمان هذان القسمان وفي قوله من امن بالله حذف تقديره من امن بالله واليوم الاخر منهم وانما
حسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامعين وعمل صالحا يعني وضم الى ايمانه العمل الصالح وهو الذي يراد
به وجه الله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعني في الاخرة قوله عز وجل لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل يعني
اخذنا العهود عليهم في التوراة بان يعملوا بما فيها من التوحيد والعمل بما امرناهم به والانتهاء عما نهيناهم عنه
وارسلنا اليهم رسلا يعني لبيان الشرائع والاحكام كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم يعني بما تخالف اهواءهم
وينافي شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع فريقا كذبوا يعني من الرسل الذين جاءوهم وفريقا
يقتلون يعني من الرسل فكان فيمن كذبوا عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وكان فيمن قتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام
وانما فعلوا ذلك نقضا للميثاق وجراءة على الله عز وجل ومخالفة لامره قوله تعالى وحسبوا يعني وظن هؤلاء
الذين كذبوا الرسل وقتلوا الانبياء ان لا تكون فتنة يعني ان لا يعذبهم الله ولا يبتليهم بذلك الذنب فعلوا
وانما حملهم على هذا الظن الفاسد انهم كانوا يعتقدون ان كل رسول جاءهم بشرع اخر غير شرعهم يجب عليهم
تكذيبه وقتله فلهذا السبب حسبوا ان لا يكون فعلهم ذلك فتنة يبتلوا بها وقيل انما اقدموا على ذلك
لاعتقادهم ان اباءهم واسلافهم يدفعون عنهم العذاب في الاخرة فعموا وصموا يعني انهم عموا عن الحق فلم
يبصروه وصموا عنه فلم يسمعوه وهذا العمى هو كناية عن عمى البصيرة لا البصر وكذلك الصمم هو كناية عن منع
نفوذ الحق الى قلوبهم وسبب ذلك شدة جهلهم وقوة كفرهم واعراضهم عن قبول الحق قال بعض المفسرين سبب
هذا العمى والصمم عبادتهم العجل في زمن موسى عليه السلام ثم تاب الله عليهم يعني انهم لما تابوا من عبادتهم العجل
تاب الله عليهم ثم عموا وصموا يعني بذلك في زمان زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام لانهم كذبوهم وقتلوا زكريا ويحيى

وقيل ان العمى والصمم الاول كان بعد موسى ثم تاب الله عليهم ببعثة عيسى عليه السلام ثم عموا وصموا يعني
بسبب الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم كثير منهم من اليهود لان بعضهم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن سلام
واصحابه والله بصير بما يعملون يعني من قتل الانبياء وتكذيب الرسل قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله
هو المسيح ابن مريم لما حكى الله عن اليهود ما حكاه من نقضهم الميثاق وقتلهم الانبياء وتكذيبهم الرسل وغير
ذلك شرع في الاخبار عن كفر النصارى وما هم عليه من فساد الاعتقاد فقال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان
الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية والملكانية من النصارى لانهم يقولون ان مريم ولدت الاها
لانهم يقولون ان الاله حل في ذات عيسى واتحد به فصار الها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال المسيح يا بني اسرائيل
اعبدوا الله ربي وربكم يعني وقد كان المسيح هو ابن اسرائيل عند مبعثه اليهم وهذا تنبيه على ما هو الحجة
القاطعة على فساد قول النصارى وذلك لانه عليه السلام لم يفرق بينه وبين غيره في العبودية والاقرار له
بالربوبية وان دلائل الحدوث ظاهرة عليه انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة يعني اذا مات على
شركه ومأواه النار يعني وانه يصير الى النار في الآخرة وما للظالمين يعني وما للمشركين الذين ظلموا انفسهم
بالشرك من انصار ينصرونهم ويمنعونهم من العذاب يوم القيمة قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث لعوج
ثلاثة وهذا قول المرقوسية والنسطورية من النصارى وللمفسرين في قول النصارى طريقان احدهما
وهو قول المفسرين اراد بهذه المقالة ان الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة وان الالهية مشتركة بينهم
وان كل واحد منهم اله ويبين ذلك قوله تعالى للمسيح أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من
دون الله فقوله ثالث ثلاثة فيه اضمار تقديره ان الله احد ثلاثة آلهة او واحد من ثلاثة آلهة
قال الواحدي ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة ولم يرد به انه ثالث ثلاثة آلهة لانه ما من اثنين الا
والله ثالثهما بالعلم ويدل عليه قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما والطريق الثاني ان المتكلمين حكوا عن
النصارى انهم يقولون جوهر واحد ثلاثة اقانيم اب وابن وروح القدس وهذه الثلاثة اله واحد
كما ان الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالاب الذات وبالابن الكلمة وبالروح
الحياة واثبتوا الذات والكلمة والحياة وقالوا ان الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى
اختلاط الماء باللبن وزعموا ان الاب اله والابن اله والروح اله والكل اله واحد واعلم ان هذا الكلام
معلوم البطلان ببديهة العقل فان الثلاثة لا تكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة ولا نرى
في الدنيا مقالة اشد فسادا ولا اظهر بطلانا من مقالة النصارى وعلى هذا فالذي اخبر الله عنهم في
قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة فهذا معنى مذهبهم وان لم يصرحوا بانه واحد من ثلاثة
آلهة فذلك لازم لهم وانما يمتنعون من هذه العبارة لانهم اذا قالوا ان كل واحد من الاقانيم اله
فقد جعلوه ثالث ثلاثة وقولهم بعد هذا هو اله واحد فيه مناقضة لما قالوا اولا فهذا بيان فساد
قول النصارى ثم رد الله عز وجل عليهم فقال تعالى وما من اله الا اله واحد يعني انه المستحق الوجود
اله واحد موصوف بالوحدانية لا ثاني له ولا شريك له ولا والد ولا ولد له ولا صاحبة له الا الله تعالى
وان لم ينتهوا عما يقولون يعني وان لم ينته النصارى عن هذه المقالة الخبيثة ليمسن الذين كفروا
منهم عذاب اليم يعني ليصيبن الذين اقاموا على هذا القول الخبيث وهذا الدين الذي ليس

برضي عذاب وجيع في الآخرة وانما قال تعالى منهم لعلمه السابق ان من النصارى من سيؤمن ويخلص
ويترك هذا القول ويعلم انه فاسد ثم ندب سائر النصارى الى التوبة من هذه المقالة الخبيثة فقال تعالى
أفلا يتوبون الى الله يعني من قولهم بالتثليث ويستغفرونه وهذا استفهام معناه الامر اي توبوا الى الله
واستغفروه من هذا الذنب العظيم فانه تعالى يغفر الذنوب والله غفور رحيم يعني لمن استغفر وتاب اليه رحيم
به وبسائر خلقه قوله عز وجل ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل يعني ان المسيح رسول
من الله عز وجل ليس باله كما ان الرسل الذين كانوا من قبله لم يكونوا آلهة واتى عيسى بالمعجزات
الدالة على صدقه كما ان الذين من قبله اتوا بالمعجزات الدالة على صدقهم وامه صديقة يعني انها كثيرة
الصدق وقيل سميت مريم صديقة لانها صدقت بآيات ربها وكتبه وقوله تعالى كانا ياكلان
الطعام فيه احتجاج على فساد قول النصارى بالهية المسيح يعني ان المسيح وامه مريم كانا بشرين
ياكلان الطعام ويعيشان به كسائر بني آدم فكيف يكون الها من يحتاج الى الطعام ولا يعيش الا به وقيل
معناه انه لو كان الها كما يزعمون لدفع عن نفسه الم الجوع وقيل هذه كناية عن الحدث وذلك
ان من اكل وشرب لا بد له من الغائط والبول ومن كانت صفته هكذا كيف يكون الها وبالجملة فان فساد
قول النصارى اظهر من ان يحتاج الى اقامة دليل عليه ثم قال تعالى انظر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
اي انظر يا محمد كيف نبين لهم الآيات يعني الدالة على بطلان قولهم ثم انظر انى يؤفكون اي كيف
يصرفون عن استماع الحق وقبوله قوله تعالى قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد لهؤلاء النصارى اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني لا يستطيع
ان يضركم بمثل ما يضركم الله به من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا يقدر ان ينفعكم بمثل ما
ينفعكم الله به من صحة الابدان وسعة الارزاق فان الضار والنافع هو الله تعالى فكيف تعبدون من
دونه من لا يقدر على الضر والنفع لا يكون الها والله هو السميع العليم يعني انه تعالى سميع لاقوالكم وكفركم عليم
بما في ضمائركم قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الغلو مجاوزة الحد وذلك ان الحق بين
طرفي الافراط والتفريط فمجاوزة الحد في جهة الافراط والتقصير مذموم في الدين غير الحق يعني لا تغلوا في دينكم
غلوا باطلا غير الحق وذلك انهم خالفوا الحق في دينهم ثم غلوا فيه بالاصرار عليه وكلا الفريقين من اليهود
والنصارى غلوا في عيسى عليه السلام اما غلو اليهود فبالتقصير في حقه حتى نسبوه الى غير رشده
واما غلو النصارى فبمجاوزة الحد في حقه حتى جعلوه الها وكلا الغلوين مذموم ولا تتبعوا
اهواء قوم قد ضلوا من قبل الاهواء جمع هوى وهو ما تدعو شهوة النفس اليه قال الشعبي ما ذكر الله لفظ
الهوى في القرآن الا ذمه وقال ابو عبيد لم نجد الهوى يوضع الا موضع الشر لا يقال فلان يهوى
الخير انما يقال يحب الخير ويريده والخطاب في قوله تعالى ولا تتبعوا اهواء لليهود والنصارى الذين
كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهوا عن اتباع اسلافهم فيما ابتدعوه من الضلالة باهوائهم
وهو المراد بقوله اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني الله تعالى انهم كانوا على ضلالة واضلوا كثيرا يعني من اتبعهم
على ضلالتهم واهوائهم وضلوا عن سواء السبيل يعني واخطأوا قصد الطريق الحق قوله تعالى
لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود قال اكثر المفسرين هم اصحاب السبت لما اعتدوا
في السبت واصطادوا الحيتان فيه قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم قردة وخنازير

مسخوا قردة وستاتي قصتهم في سورة الاعراف وعيسى بن مريم يعني وعلى لسان عيسى بن مريم وهم كفار اصحاب
المايدة لما اكلوا منها وادخروا ولم يومنوا قال عيسى عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم خنازير فمسخوا خنازير وستاتي
قصتهم وقال بعض العلماء ان اليهود كانوا يفتخرون بابائهم ويقولون نحن اولاد الانبيا فاخبر الله تعالى بانهم ملعونين
على لسنة الانبيا عليهم السلام وقيل ان داود وعيسى بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولعنا من يكفر به ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون يعني ذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم ثم فسر المعصية والاعتدا فقال تعالى كانوا لا يتناهون
عن منكر فعلوه اي لا ينهى بعضهم بعضا عن المنكر وقيل معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه والا
عن الاصرار عليه لبيس ما كانوا يفعلون اللام في لبيس لام القسم اي اقسم لبيس ما كانوا يفعلون يعني
من ارتكاب المعاصي والعدوان عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما
دخل النقص على بني اسرائيل انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك
ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك ان يكون اكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب
بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبيس ما كانوا يفعلون يعني من ارتكاب العاصي
والعدوان عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما دخل النقص على بني اسرائيل
انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على
حاله فلا يمنعه ذلك كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبيس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون
الذين كفروا لبيس ما قدمت لهم انفسهم الى قوله فاسقون ثم قال كلا والله لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر
ثم لتاخذن على يد الظالم ولتاطرنه على الحق اطرا ولتقصرنه على الحق قصرا زاد في رواية او ليضربن الله قلوب بعضكم
ببعض ثم ليلعننكم كما لعنهم اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت
بنو اسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله
قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون فجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان متكيا فقال لا والذي نفسي بيده حتى تاطروهم على الحق اطرا قال الترمذي هذا حديث
حسن غريب قوله اكيله وشريبه هو المواكل والمشارب والمقاعد فعيل بمعنى فاعل وقوله لتاطرنه
الاطر العطف يعني لتعطفنه ولتردنه الى الحق الذي خالفه والقصر القهر على الشي قوله عز وجل ترى كثيرا
منهم يعني من اليهود مثل كعب بن الاشرف واصحابه يتولون الذين كفروا يعني يوالون المشركين من اهل
مكة وذلك حين خرجوا اليهم ليجيشوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس معناه ترى
كثيرا من المنافقين يتولون اليهود لبيس ما قدمت لهم انفسهم اي بيس ما قدموا من العمل لمعادهم
في الاخرة ان سخط الله عليهم يعني بما فعلوا من موالاة الكفار وفي العذاب هم خالدون يعني في الاخرة
ولو كانوا يومنون بالله والنبي يعني ولو كان هولا الذين يتولون الكفار يومنون بالله ويصدقون لمحمد صلى
الله عليه وسلم وانه نبي مبعوث الى كافة الخلق وما انزل اليه يعني ويومنون بالقران الذي انزل اليه من ربه
ما اتخذوهم اوليا يعني ما اتخذوا الكفار انصارا واعوانا من دون المومنين ولكن كثيرا منهم فاسقون
يعني ولكن اكثرهم خارجون عن طاعة الله وامره وانما قال كثيرا لانه علم ان منهم من سيومن مثل
عبد الله بن سلام واصحابه قوله لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا اللام في قوله لتجدن

لام القسم تقديره والله يا محمد انك لتجد اشد الناس عداوة للذين امنوا بك وصدقوك اليهود والذين اشركوا
وصف الله شدة عداوة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق وجعلهم قرنا المشركين عبدة الاصنام في العداوة
للمومنين وذلك حسدا منهم للمومنين ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى وصف
لين عريكة النصارى وسهولة قبولهم الحق وقال بعضهم مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر والاذى
الى من خالفهم في الدين باي طريق كان مثل القتل ونهب المال او بانواع من المكر والكيد والحيل ومذهب
النصارى خلاف اليهود فان الايذا في مذهبهم حرام فحصل الفرق بين اليهود والنصارى وقيل ان اليهود
مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا وطلب الرياسة ومن كان كذلك كان شديد العداوة لغيره واما
النصارى فان فيهم من هو معرض عن الدنيا ولذاتها وترك طلب الرياسة ومن كان كذلك فانه لا يحسد احدا
ولا يعاديه بل يكون لين العريكة في طلب الحق فلهذا قال تعالى ذلك بان منهم يعني من النصارى قسيسين
ورهبانا وانهم لا يستكبرون ولم يرد به كل النصارى فان معظم النصارى في عداوة المسلمين كاليهود بل الاية نزلت
فيمن امن من النصارى مثل النجاشي واصحابه والقس والقسيس اسم رييس النصارى والجمع قسيسين
وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وهذا مما وقع الوفاق به بين اللغتين يعني العربية
والرومية واما الرهبان فهو جمع راهب وقيل الرهبان واحد وجمعه رهابين وهم سكان الصوامع فان
قلت كيف مدحهم الله بذلك مع قوله ورهبانية ابتدعوها قلت انما مدحهم في مقابلة ذم اليهود ووصفهم
بشدة العداوة للمومنين ولا يلزم من هذا القدر ان يكون مدحا على الاطلاق وقيل انما مدح من امن
منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فوصفهم بالتمسك بدين عيسى الى ان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنوا به واتبعوه
فان قلت كفر النصارى اشد واغلظ من كفر اليهود واقبح لان النصارى ينازعون في الالهيات فيدعون
ان لله ولدا واليهود انما ينازعون في النبوات فيقرون ببعض النبيين ويكفرون ببعضهم والاول اقبح
فلم ذم اليهود ومدح النصارى قلت انما هو مدح في مقابلة ذم وليس هو مدح على الاطلاق وفيه تقوية
الفرق من شدة عداوة اليهود ولين النصارى فلذلك ذم اليهود ومدح النصارى الذين امنوا منهم ولخلف امتزام
العلما فيمن نزلت هذه الاية فقيل نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه اصحمة واصحابه الذين اسلموا معه
ذكر قصة الهجرة الاولى وسبب نزول هذه الاية قال ابن عباس وغيره من المفسرين في قوله تعالى ولتجدن
اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى قالوا ان قريشا ايتمرت ان يفتنوا المومنين عن دينهم فوثبت
كل قبيلة على من امن منهم فاذوهم وعذبوهم فافتتن من افتتن منهم وعصم الله من شا منهم ومنع الله
رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بعمه ابي طالب فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل باصحابه ولم يقدر ان يمنعهم
من المشركين ولم يومر بعد بالجهاد امر اصحابه بالخروج الى ارض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا
يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فخرج اليها احد عشر رجلا واربع نسوة سرا
وهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود
وعبد الرحمن بن عوف وابو حذيفة بن عتبة وامراته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير وابو سلمة
ابن عبد الاسد وزوجته ام سلمة بنت امية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامراته ليلى بنت ابي
حثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضا فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة بنصف دينار الى ارض الحبشة
وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة الاولى ثم خرج بعدهم

جعفر بن ابي طالب وتتابع المسلمون فكان جميع من هاجر الى ارض الحبشة من المسلمين اثنان وثمانون رجلا
سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه بهدايا الى النجاشي وبطارقته
ليردهم اليهم فدخل اليه عمرو وقال له ايها الملك انه قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش واحلامها وزعم
انه نبي وانه قد بعث اليك رهطا من اصحابه ليفسدوا عليك قومك فاحببنا ان ناتيك ونخبرك خبرهم وان قومهم
يسالونك ان تردهم اليهم فقال حتى نسالهم فامر بهم فاحضروا فلما اتوا باب النجاشي قالوا يستاذن اولياء الله
فقال ائذنوا لهم فمرحبا باولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط من المشركين ايها الملك الا ترى انا صدقناك
انهم لم يحيوك بتحيتك التي تحيا بها فقال لهم الملك ما منعكم ان تحيوني بتحيتي فقالوا انا حييناك بتحية اهل
الجنة وتحية الملائكة فقال النجاشي ما يقول صاحبكم في عيسى وامه فقال جعفر بن ابي طالب يقول هو عبد الله ورسوله
وكلمة الله وروح منه القاها الى مريم العذراء ويقول في مريم انها العذراء البتول قال فاخذ النجاشي عودا
من الارض وقال والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذا العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم
فقال هل تعرفون شيئا مما انزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقرؤوا فقرا جعفر سورة مريم وهنالك قسيسون
ورهبان وسائر النصارى فعرفوا ما قرا وانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق فانزل الله فيهم ذلك
بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون الى آخر الآيتين فقال النجاشي لجعفر واصحابه اذهبوا
فانتم سيوم بارضي يعني آمنون فرجع عمرو وصاحبه خائبين واقام المسلمون عند النجاشي بخير
دار وخير جوار الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلا امره وقهر اعداءه وذلك في سنة ست من
الهجرة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على يد عمرو بن امية الضمري ان يزوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان
وكانت قد هاجرت مع زوجها ومات عنها فارسل النجاشي جارية يقال لها ابرهة الى ام حبيبة تخبرها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خطبها فسرت بذلك واعطت الجارية اوضاحا كانت لها واذنت
لخالد بن سعيد في نكاحها فانكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم على صداق مبلغه اربعمائة دينار وكان الخاطب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي فانفذ اليها بجميع الصداق على يد جاريته ابرهة فلما جاءتها بالدنانير وهبتها
منها خمسين دينارا فلم تاخذها وقالت ان الملك امرني ان لا آخذ منك شيئا وقالت انا صاحبة دهن الملك وثيابه
وقد صدقت محمدا صلى الله عليه وسلم وآمنت به وحاجتي اليك ان تقريه مني السلام قالت نعم وقالت قد امر
الملك نساءه ان يبعثن اليك بما عندهن من ذهب وعود فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عندها
فلا ينكره قالت ام حبيبة فخرجنا الى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فخرج من خرج اليه
ممن قدم من الحبشة واقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فكان يسائلني
عن النجاشي فقرات عليه السلام من ابرهة جارية الملك فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها السلام وانزل
الله عز وجل عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة يعني ابا سفيان وذلك بتزويج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة ولما بلغ ابا سفيان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ام حبيبة
قال ذلك الفحل لا يقدع انفه وبعث النجاشي بعد خروج جعفر واصحابه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابنه اريحا في ستين رجلا من اصحابه وكتب اليه يا رسول الله اني اشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد
بايعتك وبايعت ابن عمك جعفر واسلمت لله رب العالمين وقد بعثت اليك ابني اريحا وان شئت ان
اتيك بنفسي فعلت والسلام عليك يا رسول الله فركبوا في سفينة في اثر جعفر حتى اذا كانوا في وسط البحر

اتي

غرقوا ووافى جعفر سبعون رجلا عليهم الثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلا من الحبشة وثمانية
من الشام فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى آخرها فبكى القوم حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا الى
ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فانزل الله عز وجل هذه الآية لتجدن اقربهم مودة للذين فيهم
آمنوا الذين قالوا انا نصارى يعني وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون وكانوا من اصحاب
الصوامع وقيل نزلت في ثمانين رجلا اربعين من نصارى نجران من بني الحرث بن كعب واثنين وثلثين
من الحبشة وثمانية روميون من اهل الشام وقال قتادة نزلت في ناس من اهل الكتاب كانوا
على شريعة من الحق مما جاء بها عيسى عليه السلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به وصدقوه فاثنى الله
عليهم بقوله ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا
وانهم لا يستكبرون يعني لا يتعظمون عن الايمان والاذعان للحق قوله عز وجل واذا سمعوا ما انزل الى الرسول
يعني واذا سمعوا القرآن الذي انزل الى الرسول يريد محمدا صلى الله عليه وسلم ترى اعينهم تفيض من الدمع
يقال فاض الاناء اذا امتلى حتى يخرج منه ما فيه وصفهم الله تعالى بسيل الدمع عند البكاء ورقة القلب
عند سماع القرآن قال ابن عباس يريد النجاشي واصحابه لما قرا عليهم جعفر بن ابي طالب سورة مريم
فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة مما عرفوا من الحق يعني الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو
الحق يقولون يعني القسيسين والرهبان الذين سمعوا القرآن من جعفر عند النجاشي ربنا آمنا
يعني بالقرآن ونشهد انه حق وصدق فاكتبنا مع الشاهدين يعني مع امة محمد صلى الله عليه وسلم
الذين يشهدون بالحق وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق قال ابن عباس لما رجع الوفد من
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهم قومهم على ترك دينهم وقيل ان اليهود عيروهم وقالوا تركتم
دينكم فاجابوهم بهذا الجواب ومعناه واي شيء لنا لا نؤمن بوحدانية الله وما جاءنا من الحق من عنده
على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ونطمع يعني ونرجو بذلك الايمان ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين
يعني مع امة محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار انما جرد
القول لانه قد سبق وصفهم بما يدل على اخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفة والبكاء المؤذنان بحقيقة الاخلاص
واستكانة القلب والقول اذا اقترن بالمعرفة فهو الايمان الحقيقي الموعود عليه بالثواب وقال ابن عباس
بما قالوا يريد بما سالوا يعني قولهم فاكتبنا مع الشاهدين خالدين فيها يعني في الجنات وذلك جزاء
المحسنين يعني المؤمنين الموحدين المخلصين في ايمانهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا لما ذكر الله عز وجل
الوعد لمؤمني اهل الكتاب وما اعد لهم في الجنات ذكر الوعيد لمن اقام منهم على كفره وتكذيبه
واطلق القول بذلك ليكون هذا الوعيد لهم ولمن جرى مجراهم في الكفر والتكذيب فقال والذين كفروا
وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قال علماء
التفسير ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الناس يوما ووصف القيامة فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة
من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وهم ابو بكر وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله
ابن عمر وابو ذر الغفاري وسالم مولى ابي حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسي ومعقل بن
مقرن وتشاوروا واتفقوا على ان يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبوا مذاكيرهم ويصوموا الدهر
ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء ولا الطيب ويسيحوا في
الارض فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامراته احق ما بلغني

عن زوجها واصى به فكرهت ان تكذب وكرهت ان تبدي سر زوجها فقالت يا رسول الله ان كان قد اخبرك
فقد صدق فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء عثمان اخبرته بذلك فاتى هو واصحابه العشية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الم انبأ انكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لم اومر بذلك ثم قال صلى الله عليه وسلم ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا
وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع
الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب وشهوات الدنيا فاني لست امركم ان تكونوا
قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم
ورهبانيتهم الجهاد واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلاة واتوا الزكاة وصوموا
رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله
عليهم فتلك بقاياهم في الديارات والصوامع فانزل الله عز وجل هذه الآية يا ايها الذين امنوا لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم يعني اللذات التي تشتهيها الانفس وتميل اليها القلوب من
المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة فاعلم الله عز وجل بهذه الآية ان شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم
بغير ما عزموا عليه من ترك الطيبات المباحات فان من اعتقد تحريم شيء احله الله فقد لزمه اما ترك
لذات الدنيا وشهواتها والانقطاع الى الله تعالى والتفرغ لعبادته من غير اضرار بالنفس ولا تفويت حق
الغير ففضيلة لا منع منها بل مامور بها وقوله تعالى ولا تعتدوا يعني لا تتجاوزوا الحلال الى الحرام وقيل
معناه ولا تعتدوا بالاسراف في الطيبات ان الله لا يحب المعتدين يعني المجاوزين الحلال الى الحرام وقوله تعالى
وكلوا مما رزقكم الله يعني وكلوا ايها المؤمنون من رزق الله الذي رزقكم واحله لكم من المطاعم والمشارب قال
عبد الله بن المبارك الحلال ما اخذته من وجهه والطيب ما غذى وانمى فاما الجوامد كالطين والتراب
وما لا يغذي فمكروه الا على وجه التداوي عن ابن عباس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني
اذا اصبت اللحم انتشرت للنساء واخذتني شهوتي فحرمت علي اللحم فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب وله عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل
وله عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكان يعجبه فنهس
منها قالت عائشة ما كان الذراع احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لا يجد اللحم الا غبا وكان
يعجل اليه الذراع لانها اعجلها نضجا اخرجه الترمذي ايضا وقوله تعالى واتقوا الله الذي انتم
به مؤمنون هذا تاكيد للوصية بما امر به وزاده تاكيدا بقوله الذي انتم به مؤمنون لان الايمان
به يوجب التقوى في الانتهاء الى ما امر به وعما نهى عنه وفي الآية دليل على ان الله عز وجل قد تكفل برزق
كل احد من عباده فانه تعالى لو لم يتكفل بذلك لما قال وكلوا مما رزقكم الله واذا تكفل برزق العبد وجب
ان لا يبالغ في الطلب والحرص على الدنيا وان يعول على ما وعده الله وتكفل به فانه تعالى اكرم من ان
يخلف الوعد والله اعلم قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم قال ابن عباس لما نزلت يا ايها
الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قالوا يا رسول الله كيف نصنع بايماننا التي حلفنا عليها وكانوا
قد حلفوا على ما اتفقوا عليه فانزل الله عز وجل هذه الآية لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم وقد تقدم
تفسير اللغو في الايمان في سورة البقرة وقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان يعني ولكن يؤاخذكم

بما تعمدتم وقصدتم به اليمين ومنه قول الفرزدق ولست بماخوذ بلغو تقوله اذا لم تعمد عاقدات العزائم
وفي الآية حذف تقديره ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان اذا حنثتم فحذف هذا لانه معلوم عند السامع
فكفارته يعني فكفارة ايمانكم التي عقدتموها اذا حنثتم فيها اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون
اهليكم يعني من اقصده وذلك لان من الناس من يسرف في اطعام اهله ومنهم من يقتر عليهم فامر الله
بالعدل في الكفارة وقيل اراد بالاوسط في القيمة فلا يكون غاليا من اعلى الموجود ولا خسيسا الثمن
من ادنى الموجود بل الوسط في القيمة وقيل اراد بالاوسط الافضل قال ابن عباس كل شيء في كتاب الله تعالى
اوسط فهو افضل فعلى هذا يكون المعنى من خير ما تطعمون اهليكم وافضله او كسوتهم هو معطوف على
محل اوسط ... اي كما تطعمون المساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم فكذلك فاكسوهم من اوسط
الكسوة او تحرير رقبة يعني عتق رقبة والمراد به جملة الشخص فصل في حكم الآية وفيه مسائل المسالة
الاولى في بيان الكفارة وهي اربعة انواع النوع الاول من الكفارات الاطعام فيجب اطعام عشرة مساكين
واختلفوا في قدر ما يطعم لكل مسكين فذهب قوم الى انه يطعم كل مسكين مدا من الطعام بمد النبي
صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث بالبغدادي من غالب قوت البلد وكذلك سائر الكفارات وهذا
قول ابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وسليمان بن يسار
وعطاء والحسن واليه ذهب مالك والشافعي ويروى عن عمر وعلي وعائشة انه يطعم لكل مسكين مدان
من بر وهو نصف صاع وبه قال اهل العراق وقال ابو حنيفة ان اطعم من الحنطة فنصف صاع وان
اطعم من غيرها فصاع وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير ومجاهد وقال احمد بن حنبل يطعم لكل مسكين
مدا من البر او نصف صاع من غيره مثل التمر والشعير ومن شرط الاطعام تمليك الطعام للمساكين فلو
عشاهم وغداهم لم يجزه وقال ابو حنيفة يجزيه ذلك ولا يجوز اخراج القيمة في الكفارة كالدراهم والدنانير
وقال ابو حنيفة يجوز ذلك ولا اخراج الدقيق والخبز في الكفارة بل يجب اخراج الحب وجوزه ابو حنيفة
ولا يجوز صرف الكل الى مسكين واحد في عشرة ايام النوع الثاني من الكفارات الكسوة واختلف العلماء
في قدرها فذهب قوم الى انه يكسو كل مسكين ثوبا واحدا مما يقع عليه اسم الكسوة ازار او رداء او قميص او
سراويل او عمامة او كساء او نحو ذلك وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطاء وطاوس واليه ذهب
الشافعي وقال مالك يجب ان يكسو كل مسكين ما تجوز فيه الصلاة فيكسو الرجل ثوبا والمراة ثوبين
درعا وخمارا وقال احمد للرجل ثوبا وللمراة ثوبين درعا وخمارا وهو ادنى ما يجزي في الصلاة وقال
ابن عمر يجب قميص وازار ورداء وقال ابو موسى الاشعري يجب ثوبان وهو قول سعيد بن المسيب
وابن سيرين وقال ابراهيم النخعي يجب ثوب جامع كالملحفة النوع الثالث من الكفارات العتق
فيجب اعتاق رقبة مؤمنة وكذلك يجب في جميع الكفارات واجاز ابو حنيفة والثوري اعتاق
الرقبة الكافرة في جميع الكفارات الا كفارة القتل لان الله قيد الرقبة فيها بالايمان في كفارة القتل ومذهب
الشافعي ان المطلق يحمل على المقيد ولا يجوز اعتاق المرتد في الكفارة مكاتبا او ام ولد او عبدا اشتراه
بشرط العتق او اشترى قريبه الذي يعتق عليه فكل هؤلاء لا يجزي في اعتاق الكفارة وجوز اصحاب الراي
عتق المكاتب في الكفارة اذا لم يؤد من نجوم الكتابة شيئا وجوزوا عتق القريب في الكفارة ويشترط
ان تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل فلا يجزي مقطوع اليد او الرجل ولا اعمى ولا الزمن ولا المجنون
المطبق ويجوز عتق الاعور والاصم ومقطوع الاذنين في الكفارة النوع الرابع من الكفارات الصوم

بالاجماع وشرط ان يكون الرقبة سليمة الرق حتى لو اعتق ... في الكف ... رح م

وهو قوله تعالى فمن لم يجد يعني الكفارة فصيام ثلاثة ايام يعني فاذا عجز من لزمته كفارة اليمين عن الاطعام
او الكسوة او العتق وجب صيام ثلاثة ايام وهو قوله تعالى فصيام ثلاثة ايام يعني فعليه صيام ثلاثة ايام
قال الشافعي اذا كان عنده قوته وقوت عياله يومه وليلته وفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمته
الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده من المال ما يجب فيه الزكاة فجعل من لا زكاة عليه عادما وقال الحسن
اذا لم يجد درهمين صام وقال سعيد بن جبير ثلاثة دراهم واختلفوا في وجوب التتابع في الصيام عن كفارة
اليمين على قولين احدهما انه يجب التتابع فيه قياسا على كفارة الظهار والقتل وهو قول ابن عباس ومجاهد
وطاوس وعطاء وقتادة وهو مذهب ابي حنيفة واحمد واصح قولي الشافعي والقول الثاني انه لا يجب
التتابع في كفارة اليمين فان شاء تابع وان شاء فرق والتتابع افضل وبه قال الحسن ومالك وهو القول
الثاني للشافعي المسئلة الثانية كلمة او للتخيير بين الاطعام والكسوة والعتق فان شاء اطعم وان شاء كسا
وان شاء اعتق فبايها اخذ المكفر فقد اصاب وخرج عن العهدة المسئلة الثالثة انه لا يجوز صرف شيء
من الكفارات الا الى مسلم محتاج فلو صرف الى ذمي او عبد او غني لا يجزيه وجوز ابو حنيفة صرفها الى
اهل الذمة واتفقوا على ان صرف الزكاة الى اهل الذمة لا يجوز المسئلة الرابعة اختلفوا في تقديم الكفارة
على الحنث فذهب قوم الى الجواز لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين
فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير اخرجه الترمذي عن عبد الرحمن بن سمرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الامارة فانك ان اتتك عن مسألة وكلت
اليها وان اتتك عن غير مسألة اعنت عليها واذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فات الذي
هو خير وكفر عن يمينك وهذا قول عمر وابن عباس وعائشة وبه قال الحسن وابن سيرين واليه
ذهب مالك والاوزاعي والشافعي الا ان الشافعي قال ان كفر بالصوم قبل الحنث فانه لا يجوز لانه بدني
انما يجوز بالطعام او الكسوة او العتق وقال ابو حنيفة لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث وقوله ذلك
اشارة الى ما تقدم ذكره من الاطعام او الكسوة او العتق او الصوم عند العجز عن الكفارة كفارة ايمانكم
اذا حلفتم يعني وحنثتم لان الكفارة لا تجب بمجرد اليمين انما تجب بالحنث بعد اليمين وفيه اشارة الى ان
تقديم الكفارة على اليمين لا يجوز بل بعد اليمين وقبل الحنث كما تقدم واحفظوا ايمانكم يعني فقللوا ايمانكم
ففيه النهي عن كثرة الحلف ومنه قول الشاعر قليل الالايا حافظ ليمينه وصفه بانه لا يحلف وقيل معنى
الآية واحفظوا ايمانكم عن الحنث اذا حلفتم لئلا تحتاجوا الى التكفير وهذا اذا لم يحلف على ترك مندوب
او فعل مكروه فان حلف على ذلك فالافضل بل الاولى ان يحنث نفسه ويكفر لما روي عن ابي موسى الاشعري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني والله ان شاء الله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا كفرت
عن يميني واتيت الذي هو خير اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم آياته يعني كما بين لكم كفارة
ايمانكم اذا حنثتم كذلك يبين لكم جميع ما تحتاجون اليه في امر دينكم لعلكم تشكرون يعني نعمه التي انعم بها عليكم
ان بين لكم آياته ومعالم شريعته قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام
رجس لما انزل الله يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وقوله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا
وكانت الخمر والميسر مما يستطاب عندهم فبين الله في هذه الآية ان الخمر والميسر غير داخلين في جملة
الطيبات المحللات بل هما من جملة المحرمات والخمر كل ما خامر العقل فغطاه والميسر القمار وقد تقدم
تفسيرهما في سورة البقرة والانصاب هي الحجارة التي كانوا يستقسمون بها وتقدم تفسير ذلك كله والرجس

في اللغة الشيء المستقذر وقوله من عمل الشيطان يعني من تزيينه واغوائه ودعائه اياكم اليها وليس المراد انها من عمل يديه
فاجتنبوه يعني كونوا جانبا منه والضمير في قوله فاجتنبوه عائدا الى الرجس لانه اسم جامع للكل كانه قال ان
هذه الاربعة الاشياء كلها رجس فاجتنبوه لعلكم تفلحون يعني لكي تدركوا الفلاح اذا اجتنبتم هذه المحرمات
التي هي رجس قوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر اختلفوا في سبب
نزول هذه الآية فروى ابو ميسرة ان عمر بن الخطاب قال اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء فنزلت الآية في سورة
البقرة يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير الآية فدعي عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء
فنزلت الآية التي في المائدة انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون
فدعي عمر فقرئت عليه فقال انتهينا انتهينا اخرجه الترمذي من طريقين وقال رواية ابي ميسرة هذا اصح
واخرجه ابو داود والنسائي وروى مصعب بن سعد عن ابيه قال صنع رجل من الانصار طعاما
فدعانا فشربنا وذلك قبل ان تحرم حتى انتشينا فتفاخرت الانصار وقريش فقالت الانصار نحن افضل منكم فقال
سعد بن ابي وقاص المهاجرون خير منكم فاخذ رجل من الانصار لحي جمل فضرب به انف سعد ففزره فاتى
سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فنزلت هذه الآية يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم
منتهون وقال ابن عباس نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الانصار شربوا حتى اذا ثملوا عبث بعضهم ببعض
فلما صحوا جعل الرجل يرى الاثر بوجهه ولحيته فيقول فعل بي هذا اخي فلان وكانوا اخوة ليس في قلوبهم
ضغائن فانزل الله تعالى تحريم الخمر في هذه الآية يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون
واما تفسير الآية فقوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء يعني انما يزين لكم الشيطان
شرب الخمر والقمار بالقداح وهو الميسر ويحسن ذلك لكم ارادة ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء بسبب
شرب الخمر والميسر واما العداوة والبغضاء بسبب شرب الخمر لانها تزيل عقل شاربها فيتكلم بالفحش
وربما افضى ذلك الى المقاتلة وذلك سبب ايقاع العداوة والبغضاء بين شاربيها واما الميسر فقال قتادة
كان الرجل في الجاهلية يقامر على اهله وماله فيقمر فيبقى حزينا سليبا ينظر الى ماله في يد غيره فورثه
ذلك العداوة والبغضاء فنهى الله عن ذلك وقدم فيه والله اعلم بما يصلح خلقه فظهر بذلك ان الخمر والميسر
سببان عظيمان في ايقاع العداوة والبغضاء بين الناس وهذا فيما يتعلق بامر الدنيا وفيهما مفاسد
تتعلق بامر الدين وهو قوله تعالى ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة لان شرب الخمر يشغل عن ذكر الله
وعن الصلاة وكذلك القمار يشغل صاحبه عن ذكر الله وعن الصلاة فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع
الانصاب والازلام في الآية الاولى ثم افرد الخمر والميسر في هذه الآية قلت لان الخطاب مع المؤمنين بدليل
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا والمقصود نهيهم عن شرب الخمر واللعب بالقمار وانما ضم الانصاب
والازلام الى الخمر والميسر لتاكيد تحريم الخمر والميسر فلما كان المقصود من الآية النهي عن شرب الخمر والميسر لا جرم
افردهما بالذكر في آخر الآية والله اعلم وقوله تعالى فهل انتم منتهون لفظه استفهام ومعناه الامر اي
انتهوا وهذا من ابلغ ما ينهى به لانه تعالى ذم الخمر والميسر واظهر قبحهما للمخاطب كانه قيل قد تلي عليكم فيهما
من انواع الصوارف والموانع فهل انتم منتهون مع هذه الامور ام انتم على ما كنتم عليه كانكم لم توعظوا
ولم تزجروا وفي هذه الآية دليل على تحريم شرب الخمر لان الله تعالى قرن الخمر والميسر بعبادة الاصنام وعدد
انواع المفاسد الحاصلة بهما ووعد بالفلاح عند اجتنابهما ثم قال في آخر الآية فهل انتم منتهون ومعناه الامر

وقد صح من حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شراب اسكر فهو حرام اخرجاه في الصحيحين زاد الترمذي وابو داود
ما اسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام الفرق بالتحريك اناء يسع ستة عشر رطلا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من شرب الخمر لم تقبل له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل له صلاة اربعين صباحا فان
تاب تاب الله عليه فان عاد لم تقبل له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم تقبل له صلاة اربعين
صباحا فان تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال قالوا يا ابا عبد الرحمن وما نهر الخبال قال صديد اهل النار في الرابعة
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واخرجه النسائي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر
وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه اخرجه ابو داود وقوله عز وجل
واطيعوا الله واطيعوا الرسول يعني فيما امركم به او نهاكم عنه واحذروا يعني واحذروا مخالفة الله ومخالفة رسوله صلى الله عليه وسلم فيما
امركم به او نهاكم عنه فان توليتم يعني فان اعرضتم عما امركم به ونهاكم عنه فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين وهذا
وعيد وتهديد لمن اعرض عن امر الله ونهيه كانه قال فاعلموا انكم بسبب توليكم واعراضكم قد استحققتم العذاب
والسخط قوله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية عن البراء بن عازب قال
مات ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الخمر فلما نزل تحريم الخمر قال ناس من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم كيف باصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها قال فنزلت ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعنى الاية ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح
فيما طعموا اي اثم ولا حرج فيما شربوا من الخمر واكلوا من مال القمار في وقت الاباحة قبل التحريم قال ابن قتيبة
يقال لم اطعم خبزا ولا ماء ولا نوما قال الشاعر فان شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم
نقاخا ولا بردا النقاخ الماء والبرد النوم اذا ما اتقوا يعني اذا ما اتقوا الشرك وقيل اتقوا ما حرم
عليهم وامنوا يعني بالله ورسوله وعملوا الصالحات اي وازدادوا من عمل الصالحات ثم اتقوا وامنوا
يعني اتقوا الخمر والميسر بعد التحريم فعلى هذا يكون الاول اخبارا عن حال من مات وهو يشربها قبل التحريم انه
لا جناح عليه والثانية خطاب لمن بقي بعد التحريم امروا باتقائها والايمان بتحريمها ثم اتقوا ما حرم عليهم
في المستقبل واحسنوا يعني العمل وقيل المراد بالاتقاء الاول فعل التقوى وبالثاني المداومة عليها
وبالثالث اتقاء الظلم مع ضم الاحسان اليه وقيل ان المقصود من التكرير التاكيد والمبالغة في الحث على الايمان
والتقوى وضم الاحسان اليهما ثم قال تعالى والله يحب المحسنين يعني انه تعالى يحب المتقربين اليه بالايمان
والاعمال الصالحة والتقوى والاحسان وهو اثنى ومدحهم على الايمان والتقوى والاحسان لان هذه
المقامات من اشرف الدرجات واعلاها عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الاية ليس على الذين
امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الى اخر الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لي انت منهم ومعناه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له انت يا ابن مسعود منهم يعني من الذين امنوا وعملوا الصالحات والتقوى
والاحسان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد نزلت هذه الاية عام الحديبية وكانوا محرمين
فابتلاهم الله بالصيد فكانت الوحوش تغشى رحالهم من كثرتها فهموا باخذها وصيدها فانزل الله تعالى هذه
الاية يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله اللام في ليبلونكم لام القسم اي ليختبرن طاعتكم من معصيتكم والمعنى يعاملكم معاملة
المختبر بشيء من الصيد يعني ببعض الصيد دون البعض وقيل اراد الصيد في حال الاحرام دون الاحلال وقيل ليعلم
انه ليس بشديد من الفتن العظام التي تزل عندها اقدام الثابتين ويكون التكليف فيها صعبا شاقا

كالابتلاء ببذل الاموال والارواح وانما هو ابتلاء سهل كما ابتلى اصحاب السبت من صيد السمك فيه لكن الله عز وجل بفضله
وكرمه عصم امة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يصطادوا شيئا في حال الاحرام ولم يعصم اصحاب السبت فمسخوا قردة
وخنازير وقوله تعالى تناله ايديكم يعني الفرخ والبيض وما لا يقدر ان يفر من صغار الصيد ورماحكم يعني
كبار الصيد مثل حمر الوحش ونحوها قال ابن عباس في قوله تناله ايديكم ورماحكم هو الضعيف من الصيد
وصغيره يبتلي الله به عباده في احرامهم حتى لو شاؤوا لتناولوه بايديهم فنهاهم الله ان يقربوه ليعلم الله من
يخافه بالغيب لانه قد علمه مجهولا لانه تعالى عالم لم يزل والمعنى يعاملكم معاملة المختبر وقيل معناه ليظهر المعلوم
وهو خوف الخائف وقيل هو من باب حذف المضاف والتقدير ليعلم اولياء الله من يخافه بالغيب يعني
يخاف الله ولم يره فلا يصطاد في حال الاحرام شيئا فمن اعتدى بعد ذلك يعني فصاد في حالة الاحرام بعد النهي
فله عذاب اليم يعني في الدنيا قال ابن عباس هو ان يوسع ظهره وبطنه جلدا ويسلب ثيابه وهذا قول اكثر المفسرين
في معنى هذه الاية لانه قد سمى الجلد عذابا وهو قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم جمع حرام اي لا تقتلوا الصيد وانتم محرمون بالحج او العمرة وقيل المراد
منه دخول الحرم يقال احرم اذا عقد الاحرام واحرم اذا دخل الحرم وقيل ان المراد من الاية فلا يجوز قتل الصيد للمحرم
ولا في الحرم نزلت هذه الاية في ابي اليسر شد على حمار وحش فقتله وهو محرم ثم صار هذا الحكم عاما فلا يجوز قتل
الصيد ولا التعرض له ما دام محرما ولا في الحرم والمراد بالصيد كل حيوان متوحش مما يحل اكل لحمه وهذا قول
الشافعي وقال ابو حنيفة هو كل حيوان متوحش سواء كان ماكولا او لم يكن فيجب عنده الضمان على من قتل
سبعا او نمرا ونحوه لكن استثنى الشارع خمس فواسق فاجاز قتلهن ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس
من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح الغراب والحداة والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية خمس لا جناح على من قتلهن في
الحرم والاحرام ق عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم الغراب والحداة
والعقرب والفارة والكلب العقور ولمسلم خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم وذكر نحوه وفي رواية النسائي قال خمس
يقتلهن المحرم الحية والعقرب والفارة والغراب الابقع والكلب العقور قال ابن عيينة الكلب العقور كل سبع
ضار يعقر فقاس الشافعي عليها جميع ما لا يؤكل لحمه قال لان الحديث يشتمل على الحيات وبعضها سبع ضار
وبعضها هوام قاتلة وبعضها طير لا يدخل في معنى السباع ولا في معنى الهوام وانما هو حيوان مستخبث اللحم وتحريم
الاكل يجمع الكل فاعتبره ورتب عليه الحكم وذهب اصحاب الراي الى وجوب الجزاء في كل ما لا يؤكل لحمه الا الاعيان
المذكورة في الحديث وقاسوا عليها الذئب فلم يوجبوا فيه كفارة وقوله تعالى ومن قتله منكم متعمدا قال
مجاهد والحسن وابن زيد هو الذي يتعمد قتل الصيد مع نسيان الاحرام فعليه الجزاء اما اذا تعمد قتل
الصيد ذاكرا لاحرامه فلا جزاء عليه لانه اعظم من ان يكون له كفارة وقال ابن عباس والجمهور
يحكم عليه بالجزاء وان تعمد القتل مع ذكر الاحرام وهذا مذهب عامة الفقهاء اما اذا قتل الصيد
خطأ بان قصد غيره بالرمي فاصابه فهو كالعمد في وجوب الجزاء وهذا مذهب جمهور المفسرين والفقهاء
قال الزهري نزل القران بالعمد وجرت السنة في الخطأ يعني الحقت المخطئ بالمتعمد في وجوب الجزاء وقال سعيد بن
جبير لا ارى في الخطأ شيئا وهذا قول شاذ لا يؤخذ به فجزاء مثل ما قتل من النعم يعني فعليه جزاء من النعم
مثل ما قتل والمثل والشبه واحد واختلفوا في هذه المماثلة اهي في الخلقة ام في القيمة فالذي عليه جمهور
العلماء من الصحابة فمن بعدهم ان المماثلة في الخلقة معتبرة لان ظاهر الاية يدل على ذلك وما لا مثل له فالقيمة وقال

ابو حنيفة المثل الواجب في قتل الصيد هو القيمة لان الصيد المقتول اذا لم يكن له مثل فانه يضمن بالقيمة وهو الاجماع
فيه فكان المراد بالمثل هو القيمة في هذه الصورة فوجب ان يكون في ساير الصور كذلك لان اللفظ الواحد لا يجوز حمله
الا على معنى واحد واجيب عنه بان حقيقة المماثلة امر معلوم فيجب رعايتها باقصى الامكان وان لم يمكن رعايتها الا بالقيمة وجب
الاكتفاء به للضرورة وحجة الشافعي ومن وافقه في اعتبار المماثلة بالخلقة ان الصحابة حكموا في بلدان شتى وازمان مختلفة
بالمثل من النعم فحكموا في النعامة ببدنة وهي لا تساوي ببدنة وفي حمار الوحش ببقرة وهي لا تساوي بقرة وكذا في الضبع
بكبش فدل ذلك على انهم انما نظروا الى ما يقرب من الصيد شبها من حيث الخلقة فحكموا به ولم يعتبروا القيمة ذكر
في الضبع شاة وفي الارنب حمل وفي الضب سخلة وفي اليربوع جفرة وتجب في الحمام وكل ما عب وهدر كالفواخت
والقمري وذوات الاطواق شاة وما سواه من الطير ففيه القيمة في المكان الذي اصيب فيه وروي عن عثمان
وابن عباس انهما حكما في حمام الحرم بشاة وروى عن عمر انه قضى في الضبع بكبش وفي الغزال بعنز وفي الارنب بعناق عناق
وفي اليربوع بجفرة وقوله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم يعني يحكم بالجزاء في قتل الصيد رجلان صالحان عدلان من اهل
ملتكم ودينكم وينبغي ان يكونا فقيهين فينظران الى اشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به قال ميمون بن مهران جاء
اعرابي الى ابي بكر الصديق فقال اني اصبت من الصيد كذا وكذا فسال ابو بكر ابي بن كعب فقال الاعرابي اني اسالك
وانت تسال غيرك فقال ابو بكر وما انكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فشاورت صاحبي
فاذا اتفقنا على شي امرناك به وقوله تعالى هديا بالغ الكعبة يعني ان الكفارة هديا تساق الى الكعبة وسميت الكعبة
كعبة لارتفاعها والعرب تسمي كل بيت مرتفع كعبة وانما اريد بالكعبة كل الحرم لان الذبح لا يقع في الكعبة وعندها
ملاصقا لها انما يقع في الحرم وهو المراد بالبلوغ فيذبح الهدي بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم هذا مذهب الشافعي
وقال ابو حنيفة له ان يتصدق به حيث شا اذا وصل الهدي الى الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك
صياما ذهب الشافعي ومالك وابو حنيفة الى ان كلمة او في هذه الاية للتخيير وقال احمد وزفر من اصحاب
ابي حنيفة انها للترتيب وهما روايتان عن ابن عباس قال الشافعي اذا قتل صيدا له مثل فهو مخير بين ثلاثة
اشيا ان شا ذبح المثل من النعم وتصدق به على مساكين الحرم وان شا قوم المثل دراهم والدراهم طعاما
ثم يتصدق به على مساكين الحرم وان شا قوم المثل دراهم صام عن كل مد يوما وقال ابو حنيفة يصوم
عن كل نصف صاع يوما وعن احمد روايتان كالقولين واصل هذه المسالة ان الصوم مقدر بنصف صاع وله
ان يصوم حيث شا لانه لا نفع فيه للمساكين وذهب جمهور الفقها الى ان الخيار في تعيين احد هذه الثلاثة اشيا
الى قاتل الصيد الذي وجب عليه الكفارة لان الله اوجب عليه احد هذه الثلاثة على التخيير فوجب ان يكون هو
المخير بين ايها شا وقال محمد بن الحسن من اصحاب ابي حنيفة التخيير الى الحكمين لان الله تعالى قال يحكم به ذوا
عدل منكم ومن قال ان كلمة او للترتيب قال ان لم يجد الهدي اشترى طعاما وتصدق به فان كان معسرا صام
وقال مالك ان لم يخرج المثل من النعم يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما فيتصدق به او يصوم وقال ابو حنيفة
لا يجب المثل من النعم بل يقوم الصيد فان شا صرف تلك القيمة الى شي من النعم وان شا الى الطعام فيتصدق به
وان شا صام عن كل نصف صاع من بر او صاع من غيره يوما واختلفوا في موضع التقويم فقال جمهور الفقها
يقوم في المكان الذي قتل فيه الصيد وقال الشعبي يقوم بمكة لانه يصرف بها وقوله تعالى ليذوق وبال امره
يعني جزا ذنبه والوبال في اللغة الشي الثقيل الذي يخاف ضرره يقال مرعى وبيل اذا كان فيه وخامة وانما سمي
الله ذلك وبالا لان اخراج الجزا ثقيل على النفس لان فيه تنقيص للمال وهو ثقيل على النفس وكذا الصوم

ايضا ثقيل على النفس لان فيه انهاك البدن عفا الله عما سلف يعني قبل التحريم ومن عاد يعني الى قتل
الصيد محرما فينتقم الله منه يعني في الاخرة والانتقام المبالغة في العقوبة وهذا الوعيد لا يمنع ايجاب الجزا
في المرة الثانية والثالثة فكلما تكرر من المحرم قتل الصيد تكرر عليه الجزاء وهذا قول جمهور العلما وقد روي
عن ابن عباس والنخعي وابي داود الظاهري انه اذا قتل الصيد مرة ثانية فلا جزا عليه لان الله وعده بالانتقام
منه قال ابن عباس اذا قتل المحرم صيدا متعمدا سيل هل قتلت قبله شيا من الصيد فان قال نعم لم
يحكم عليه ويقال له اذهب فينتقم الله منك وان قال لم اقتل قبله شيا حكم عليه فان عاد بعد ذلك لم يحكم عليه
ولكن يملا ظهره وصدره ضربا وكذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيد وج وهو واد بالطائف والله عزيز
ذو انتقام يعني ممن عصاه واذا اتلف المحرم شيا من الصيد الذي لا مثل له من النعم مثل البيض وطاير صغير
دون الحمام ففيه القيمة فيقوم ثم يشتري بقيمته طعاما ويتصدق به على محاويج الحرم او يصوم عن كل مد يوما قوله تعالى
احل لكم صيد البحر وطعامه المراد بالصيد ما صيد من البحر والمراد بالبحر جميع المياه العذبة والمالحة فاما طعامه فاختلفوا
فيه فقيل هو ما قذفه البحر ورمى به الى الساحل يروى ذلك عن ابي بكر وعمر وابن عمر وابي ايوب وقتادة وقيل
صيد البحر طريه وطعامه مالحه يروى ذلك عن سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والسدي ويروى عن ابن عباس
ومجاهد كالقولين وجملة حيوان الما على قسمين سمك وغير سمك فاما السمك فجميعه حلال على اختلاف اجناسه
وانواعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي
ولا فرق بين ان يموت بسبب او بغير سبب واما غير السمك فقسمان قسم يعيش في البحر والبر كالضفدع والسرطان والسرطان
فلا يحل اكلهما وقال سفيان ارجو ان لا يكون بالسرطان باس واختلفوا في الجراد فقيل هو من صيد البحر فيحل اكله
للمحرم وذهب جمهور العلما الى انه من صيد البر وانه لا يحل للمحرم اكله في حال الاحرام فان اصاب جرادة فعليه صدقة
وقال عمر في الجرادة تمرة وعنه وعن ابن عباس قبضة من طعام وكذلك الطير انما هو من صيد البر ايضا وقال احمد يوكل
كل ما في البحر الا الضفدع والتمساح قال لان التمساح يفترس ويا كل الناس وقال ابن ابي ليلى ومالك يباح كل ما
ما لا يوكل م في البحر وذهب جماعة الى ان كل ماله نظير من البر يوكل فنظيره من حيوان البحر مثل بقر الما ونحوه ولا يوكل نظيره من
البر مثل كلب الما وخنزير الما فلا يحل اكله قوله تعالى متاعا لكم وللسيارة يعني ينتفع به المقيمون والمسافرون
فيتزودون منه وقوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما ذكر الله عز وجل تحريم الصيد على المحرم في ثلاثة مواضع
من هذه السورة احدها في اول السورة وهو قوله غير محلي الصيد وانتم حرم والثاني قوله يا ايها الذين
امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم والثالث هذه الاية وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما وكل ذلك للتاكيد
تحريم قتل الصيد على المحرم واختلف العلما هل يجوز للمحرم ان ياكل من لحم صيد صاده غيره فذهب قوم
الى انه لا يحل ذلك بحال يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول طاوس واليه ذهب الثوري واحتجوا على ذلك بما روي
عن الصعب بن جثامة الليثي انه اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالابوا او بودان فرده
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راى ما في وجهه من الكراهة قال انا لم نرده عليك الا انا حرم اخرجاه في
الصحيحين وذهب جمهور العلما الى انه يجوز للمحرم ان ياكل لحم الصيد اذا لم يصده بنفسه ولا صيد له
ولا باشارته ولا اعان عليه وهو قول عمر وعثمان وابي هريرة قال عطاء بن ابي رباح وسعيد بن جبير وهو
مذهب مالك والشافعي واحمد واصحاب الراي وحجة هذا القول ما روي عن ابي قتادة الانصاري قال كنت جالسا
مع رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في منزل في طريق مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم امامنا والقوم محرمون
وانا غير محرم عام الحديبية فابصروا حمارا وحشيا وانا مشغول اخصف نعلي فلم يوذنوني واحبوا لو اني ابصرته

فالتفت فابصرته فقمت الى الفرس فاسرجته ثم ركبت ونسيت السوط والرمح فقلت لهم ناولوني السوط والرمح قالوا
لا والله لا نعينك عليه فغضبت فنزلت فاخذتهما ثم ركبت فشددت على الحمار فعقرته ثم جئت به وقد مات فوقعوا
فيه ياكلونه ثم انهم شكوا في اكلهم اياه وهم حرم فرحنا وخبأت العضد فادركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسألناه عن ذلك فقال هل معكم منه شيء فقلت نعم فناولته العضد فاكلها وهو محرم زاد في رواية ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لهم انما هي طعمة اطعمكموها الله وفي رواية هو حلال فكلوه وفي رواية فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل منكم
احد امره ان يحمل عليها او اشار اليها قالوا لا قال كلوا ما بقي من لحمها اخرجاه في الصحيحين واجاب اصحاب هذا
المذهب عن حديث الصعب بن جثامة بانه انما رده النبي صلى الله عليه وسلم لانه ظن انه انما صيد لاجله والمحرم لا ياكل
ما صيد لاجله واتقوا الله يعني فلا تستحلوا الصيد في حال الاحرام ولا في الحرم ثم حذرهم بقوله الذي اليه تحشرون
يعني في الآخرة فيجازيكم باعمالكم قوله عز وجل جعل الله الكعبة البيت الحرام جعل يعني صير وقيل بين وحكم قال
مجاهد سمي البيت كعبة لتربيعه وقيل لارتفاعه عن الارض وسمي البيت الحرام لان الله حرمه وعظمه
وشرفه وعظم حرمته وحرم ان يصاد عنده وان يختلى خلاه وان يعضد شجره واراد بالبيت الحرام جميع
الحرم صح من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوم فتح مكة فقال ان هذا البلد حرمه الله تعالى
يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط
لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه وقوله تعالى قياما للناس اصله قواما لانه سبب لقوام مصالح
الناس في امر دينهم ودنياهم وآخرتهم اما في امر الدين فانه به يقوم الحج وتتم المناسك واما في امر الدنيا
فانه يجبى اليه ثمرات كل شيء ويامنون فيه من النهب والغارة فلو لقي الرجل قاتل ابيه او ابنه في الحرم لم يهجه واما
في امر الآخرة فان البيت جعل لقيام المناسك عنده وجعلت تلك المناسك التي تقام عنده اسبابا لعلو
الدرجات وتكفير الخطيئات وزيادة الكرامات والمثوبات فلما كانت الكعبة الشريفة سببا لحصول
هذه الاشياء كانت سببا لقيام الناس والشهر الحرام يعني وجعل الشهر الحرام قياما للناس واراد
بالشهر الحرام الاشهر الحرم الاربعة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الفرد يعني وكذلك
جعل الاشهر الحرم يامنون فيها من القتال وذلك ان العرب كان يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم
على بعض وكانوا اذا دخلت الاشهر الحرم امسكوا عن القتال والغارة فيها فكانوا يامنون في الاشهر
الحرم فكانت سببا لقيام مصالح الناس والهدي والقلائد يعني وكذلك جعل الهدي والقلائد سببا لقيام
مصالح الناس وذلك انهم كانوا يامنون بسوق الهدي الى البيت الحرام على انفسهم وكذلك كانوا يامنون
اذا قلدوا انفسهم من لحى شجر الحرم فلا يتعرض لهم احد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض
يعني انه تعالى علم في الازل بمصالح العباد وما يحتاجون اليه فجعل الكعبة والشهر الحرام والهدي والقلائد
يامنون بها لانه يعلم مصالح العباد كما يعلم ما في السموات وما في الارض لانه تعالى عالم بجميع المعلومات الكليات
والجزئيات وهو قوله تعالى وان الله بكل شيء عليم يعني انه تعالى لا يخفى عليه خافية اعلموا ان الله شديد العقاب
يعني لمن انتهك محارمه واستحلها وان الله غفور رحيم يعني لمن تاب وآمن ولما ذكر الله انواع رحمته
بعباده ذكر بعدها انه شديد العقاب لان الايمان لا يتم الا بحصول الرجاء والخوف ثم ذكر بعده ما يدل على
سعة رحمته وانه غفور رحيم قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ يعني ليس على رسولنا الذي ارسلناه
اليكم الا تبليغ ما ارسل به من الانذار بما فيه قطع الحجج ففي الآية تشديد عظيم في ايجاب القيام بما امر الله
وان الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت الحجة عليكم بذلك ولزمتكم الطاعة

٢٢٨

فلا عذر لكم في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون يعني انه تعالى لا يخفى عليه شيء من احوالكم ظاهرا وباطنا
قل لا يستوي الخبيث والطيب يعني لا يستوي الحلال والحرام في الدرجة والمرتبة ولا يعتدل الرديء والجيد ولا
المسلم ولا الكافر ولا الصالح ولا الطالح ولو اعجبك كثرة الخبيث يعني ولو سرك كثرة الخبيث لان عاقبته عاقبة
سوء والمعنى ان اهل الدنيا يعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا وما عند الله خير وابقى لان زينة الدنيا ونعيمها
يزول وما عند الله يدوم قال ابن الجوزي روى جابر بن عبد الله ان رجلا قال يا رسول الله ان الخمر كانت تجارتي
فهل ينفعني ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وقال
مقاتل نزلت في شريح بن ضبيعة البكري وحجاج بن بكر وقد تقدمت القصة في اول السورة فاتقوا
الله يعني فيما امركم به ونهاكم عنه ولا تعتدوه يا اولي الالباب يعني يا ذوي العقول السليمة لعلكم تفلحون
قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم اختلفوا في سبب نزول هذه الآية
روى عن انس بن مالك قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما
اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين فقال
رجل من ابي فقال فلان فنزلت هذه الآية لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وفي رواية اخرى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر فيها
امورا عظاما ثم قال من احب ان يسأل عن شيء فليسأل فلا تسألوني عن شيء الا اخبرتكم ما دمت
في مقامي فاكثر الناس البكاء واكثر ان يقول سلوا فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من ابي فقال
ابوك حذافة ثم اكثر ان يقول سلوني فبرك عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا
فسكت ثم قال عرضت علي الجنة والنار آنفا في عرض هذا الحائط فلم ار كاليوم في الخير والشر قال ابن شهاب
فاخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال قالت ام عبد الله بن حذافة لعبد الله بن حذافة ما سمعت
قط اعق منك أأمنت ان تكون امك قارفت بعض ما تقارف اهل الجاهلية فتفضحها على اعين الناس
فقال عبد الله بن حذافة لو الحقني بعبد اسود للحقته زاد في رواية اخرى قال قتادة يذكر هذا الحديث
عند هذه الآية لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم اخرجاه في الصحيحين خ عن ابن عباس قال كان
قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من ابي ويقول الرجل تضل ناقته اين ناقتي
فانزل الله فيهم هذه الآية يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم الآية كلها
وقيل نزلت هذه الآية في شان الحج عن علي بن ابي طالب قال لما نزلت ولله على الناس حج البيت
من استطاع اليه سبيلا قالوا يا رسول الله في كل عام فسكت فقالوا يا رسول الله في كل عام قال لا ولو قلت
نعم لوجبت فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب م عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس قد
فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام فسكت حتى قالها ثلاثا ثم قال ذروني ما تركتكم ولو
قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا
امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وروى مجاهد عن ابن عباس لا
تسألوا عن اشياء قال هي البحيرة والوصيلة والسائبة والحام الا ترى انه يقول بعد ذلك ما جعل الله من
بحيرة ولا كذا ولا كذا وقال عكرمة انهم كانوا يسألون عن الآيات فنهوا عن ذلك ثم قال قد سألها قوم من
قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين ومعنى الآية يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء جمع شيء ان تبد لكم اي

بالمعروف والنهي عن المنكر فثابتة بدليل الكتاب والسنة عن قيس بن ابي حازم عن ابي بكر الصديق انه قال ايها
الناس انكم تقرؤن هذه الاية يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا الظالم فلم ياخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله منه بعقاب اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح واخرجه ابو داود وزاد فيه ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون ان يغيروا ولا يغيرون
الا يوشك ان يعمهم الله بعقاب وقال قوم في معنى الاية عليكم انفسكم اذا امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يقبل يوشك
منكم قال ابن مسعود مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم انفسكم ثم قال ان القران نزل منه ماء
اي قد مضى تاويلهن قبل ان ينزلن ومنه اي وقع تاويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه اي وقع تاويلهن
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه اي يقع تاويلهن في اخر الزمان ومنه اي يقع تاويلهن يوم القيمة
وهي ما ذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم واهواكم واحدة لم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم باس
بعض فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فاذا اختلفت قلوبكم واهواكم والبستم شيعا وذاق بعضكم باس بعض
فامرء ونفسه فعند ذلك جاء تاويل هذه الاية وقيل لابن عمر لو جلست في هذه الايام فلم تامر ولم تنه فان الله يقول
عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال ابن عمر انها ليست لي ولا لاصحابي لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الا ليبلغ الشاهد الغايب فكنا نحن الشهود وانتم الغايب ولكن هذه الاية لاقوام يجيئون من بعدنا ان
قالوا لم يقبل منهم وعن ابي امية الشعباني قال اتيت ابا ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع بهذه الاية
قال اية اية قلت يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال اما والله لقد سالت
عنها خبيرا سالت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا
رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك ودع
العوام فان من ورايكم ايام الصبر فمن صبر فيهن قبض على الجمر للعامل فيهن مثل اجر خمسين رجلا
يعملون مثل عملكم وفي رواية قيل يا رسول الله اجر خمسين رجلا منا او منهم قال لا بل اجر خمسين منكم
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل في معنى الاية ان العبد اذا عمل بطاعة الله واجتنب نواهيه
لا يضره من ضل او هلك قال ابن عباس في قوله عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يقول
اذا ما العبد اطاعني فيما امرته من الحلال والحرام فلا يضره من ضل بعده اذا عمل بما امرته به وعن صفوان
ابن محرز قال دخل شاب من اصحاب الاهواء فذكر شيا من امره فقال له صفوان الا ادلك على خاصة الله
التي خص بها اولياءه يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقال الحسن لم يكن
مومن فيما مضى ولا مومن فيما بقي الا والى جانبه منافق يكره عمله وقيل في معنى الاية لا يضركم من كفر بالله وحاد
عن قصد السبيل من اهل الكتاب اذا اهتديتم انتم قال سعيد بن جبير نزلت هذه الاية في اهل الكتاب
وقال ابن زيد كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك وضللتهم وفعلت وفعلت وكان ينبغي لك ان تنصرهم
وتفعل وتفعل فقال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال
الطبري واولى هذه الاقوال واصح التاويلات عندنا في هذه الاية ما روي عن ابي بكر الصديق وهو العمل
بطاعة الله واداء ما لزم من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاخذ على يد الظالم حتى يرجع عن ظلمه وقال عبد الله
ابن المبارك هذه الاية اوكد اية في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان الله تعالى قال عليكم انفسكم يعني اهل
دينكم بان يعظ بعضكم بعضا بان يرغبه في الخيرات وينفره عن القبايح والمكروهات والذي يوكد ذكر

ان من

معنى قوله عليكم انفسكم اي احفظوا انفسكم وهذا الامر بان تحفظ الانفس ولا يتم ذلك الا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
والله اعلم وقوله تعالى الى الله مرجعكم جميعا يعني في الاخرة الطايع والعاصي والضال والمهتدي فينبيكم بما
كنتم تعملون يعني فيخبركم باعمالكم ويجزيكم عليها قوله تعالى يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم سبب نزول هذه
الاية ما روي ان تميم بن اوس الداري وعدي بن بدا خرجا من المدينة في تجارة الى الشام وهما نصرانيان ومعهما
بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما
معه من المتاع والقاه في متاعه ولم يخبر صاحبيه بذلك فلما اشتد وجعه اوصى الى تميم وعدي
وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله اذا رجعا الى المدينة ومات بديل ففتشا متاعه فوجدا فيه
اناء من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلثمائة مثقال فغيباه ثم قضيا حاجتهما وانصرفا الى المدينة
فدفعا المتاع الى اهل البيت ففتشوا فاصابوا الصحيفة وفيها تسمية ما كان معه فجاء اهل الميت
الى تميم وعدي فقالوا هل باع صاحبنا شيا من متاعه قالا لا قالوا فهل اتجر تجارة قالا لا قالوا فهل طال
مرضه فانفق على نفسه شيا قالا لا فقالوا انا وجدنا في متاعه صحيفة فيها تسمية ما كان معه وانا
فقدنا منها اناء من فضة مموها بالذهب فيه ثلثمائة مثقال فضة قالا ما ندري انما اوصى الينا بشي وامرنا
ان ندفعه اليكم فدفعناه وما لنا علم بالاناء فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاصرا على الانكار وحلفا
فانزل الله تعالى هذه الاية هذا قول المفسرين وروى الترمذي عن ابن عباس عن تميم الداري في هذه الاية
يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت قال برئ الناس منها غيري وغير عدي بن بدا
وكانا نصرانيين يختلفان الى الشام قبل الاسلام فاتيا الشام لتجارتهما وقدم عليهما مولى
لبني سهم يقال له بديل بن ابي مريم بتجارة ومعه جام من فضة يريد به الملك وهو عظم تجارته فمرض فاوصى
اليهما وامرهما ان يبلغا ما ترك اهله قال تميم فلما مات اخذنا ذلك الجام فبعناه بالف درهم ثم اقتسمناه
انا وعدي فلما اتينا اهله دفعنا اليهم ما كان معنا وفقدوا الجام فسالونا عنه فقلنا ما ترك غير
هذا ولا دفع الينا غيره قال تميم فلما اسلمت بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة تاثمت من ذلك
فاتيت اهله فاخبرتهم الخبر واديت اليهم خمسمائة درهم واخبرتهم ان عند صاحبي مثلها فاتوا به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسالهم البينة فلم يجدوا فامرهم ان يستحلفوه بما يعظم به على اهل دينه فحلف
فانزل الله يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت الى قوله او يخافوا ان ترد ايمان بعد
ايمانهم فقام عمرو بن العاص ورجل اخر فحلفا فنزعت الخمسمائة درهم من عدي قال الترمذي
هذا حديث غريب وليس اسناده بصحيح قال الترمذي وقد روي عن ابن عباس شي من هذا على
الاختصار من غير هذا الوجه قال ابن عباس خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن
بدا فمات السهمي بارض ليس بها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة مخوصا بالذهب
فاحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وجدوا الجام بمكة فقيل اشتريناه من تميم وعدي فقام رجلان من
اولياء السهمي فحلفا بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وان الجام لصاحبهم قال وفيهم نزلت هذه
الاية يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واخرج هذه الرواية
الاخيرة البخاري في صحيحه في التفسير قوله تعالى يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم يعني ليشهد ما بينكم
كان الشهادة انما يحتاج اليها عند وقوع التنازع والتشاجر اذا حضر احدكم الموت يعني اذا قارب
وقت حضور الموت حين الوصية اثنان لفظه خبر ومعناه الامر يعني ليشهد اثنان منكم عند حضور الموت

فظهر لكم وتبين لكم تسوءكم يعني ان امرتم بالعمل بها فان من سال عن الحج لم يامن ان يؤمر به فلا يقدر عليه فيسوءه ذلك ومن سال عن نسبه لم يامن ان يلحقه النبي صلى الله عليه وسلم بغير ابيه فيفتضح ويسوءه ذلك ٥ وان تسالوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم معناه ان صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم من فرض او نهي او حكم وليس في ظاهره شرح ما بكم حاجة اليه ومست حاجتكم اليه فاذا سالتم عنه فحينئذ تبد لكم ومثل هذا ان الله عز وجل لما بين عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها والحامل ولم يكن في عدة هؤلاء دليل على عدة التي ليست بذات قرؤ ولا حامل فسالوا عنها فانزل الله عز وجل جوابهم في قوله واللائي يئسن من المحيض الآية عفا الله عنها يعني عفا الله لكم عن الاشياء التي سالتم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كره الله لكم السؤال عنها فلم يؤاخذكم بها ولم يعاقبكم عليها والله غفور يعني لمن تاب منكم ٥ حليم فلم يعجل العقوبة عليكم وقال عطاء غفور يعني لما كان في الجاهلية حليم يعني عن عقابكم منذ آمنتم وصدقتم قال بعض العلماء الاشياء التي يجوز السؤال عنها هي ما يترتب عليه امر الدين والدنيا من مصالح العباد وما عدا ذلك فلا يجوز السؤال عنه ق عن سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سال عن شيء لم يحرم على الناس فحرم من اجل مسالته ق عن المغيرة بن شعبة انه كتب الى معوية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال عن معوية ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الاغلوطات اخرجه ابو داود الاغلوطات صعاب المسائل التي تزل فيها اقدام العلماء ويؤكد ذلك قول ابي هريرة شرار الناس الذين يسالون عن شرار المسائل التي تزل فيها اقدام العلماء كي يغلطوا بها العلماء وعن سلمان قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء فقال الحلال ما احل الله في كتابه والحرام ما حرمه في كتابه وما سكت عنه فهو مما قد عفى عنه فلا تتكلفوا وعن ابي ثعلبة الخشني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى فرض فرايض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم اشياء فلا تقربوها وترك اشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها هذان الحديثان اخرجهما في جامع الاصول ولم يعزهما الى الكتب الستة ثم قال تعالى قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين وقوم موسى قالوا ارنا الله جهرة فكان هذا السؤال وبالا عليهم وقوم عيسى سالوا انزال المائدة عليهم ثم كذبوا بها كانه تعالى يقول ان اولئك سالوا فلما اعطوا سؤلهم كفروا به فلا تسالوا انتم شيئا فلعلكم ان اعطيتم سؤالكم ساءكم ذلك قوله تعالى ما جعل الله اي ما انزل الله ولا حكم به ولا شرعه ولا امر به ٥ من بحيرة البحيرة من البحر وهو الشق يقال بحرنا ناقته اذا شق اذنها فهي بحيرة بمعنى مفعولة ٥ ولا سائبة يعني المسيبة المخلاة ٥ ولا وصيلة الوصيلة هي الشاة وكانت العرب في الجاهلية اذا ولدت لهم ذكرا او انثى قالوا وصلت اخاها ٥ ولا حام والحام هو الفحل من الابل يحمي ظهره فلا يركب ولا ينتفع به قال ابن عباس في بيان هذه الاوصاف البحيرة هي الناقة اذا ولدت ولم يركبوها ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلاء ثم تعود الى الخامس فان كان ذكرا نحروه واكله الرجال والنساء وان كانت انثى شقوا اذنها وتركوها وحرموا على النساء منافعها وكانت منافعها للرجال خاصة فاذا ماتت حلت للرجال والنساء وقيل كانت الناقة اذا تابعت ثنتي عشرة سنة اناثا سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك من انثى شق اذنها ثم سيبت مع امها ويفعل بها كما فعل بامها وقيل السائبة البعير الذي يسيب لالهتهم وذلك ان الرجل من اهل الجاهلية كان اذا مرض او غاب له قريب نذر فقال ان شفاني الله او شفا مريضي او قدم غايبي فناقتي هذه سائبة ثم يسيبها فلا تحبس عن ماء ولا مرعى ولا يركبها احد فهي بمنزلة البحيرة والوصيلة من الغنم

عفا الله عنها

كانت الشاة اذا ولدت سبعة ابطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبحوه واكل منه الرجال والنساء وان كانت انثى تركوها في الغنم وان كانت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها واستحيوا الذكر فلم يذبحوه من اجل الانثى والحام هو الفحل اذا ركب ولد ولده وقيل هو الفحل اذا نتج من صلبه عشرة ابطن قالوا حمي ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى فاذا مات اكله الرجال والنساء ق عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها احد من الناس والسائبة كانوا يسيبونها لالهتهم لا يحمل عليها شيء وقال قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار ولمسلم قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف اخا بني كعب وهو يجر قصبه في النار خ عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت جهنم يحطم بعضها بعضا ورايت عمرا يجر قصبه وهو اول من سيب السوايب القصب بضم القاف وسكون الصاد المهملة الامعاء كان اهل الجاهلية تفعل هذه في جاهليتهم فلما بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ابطل ذلك كله بقوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام يعني ما بحر الله من بحيرة ولا سيب من سائبة ولا وصل من وصيلة ولا حمى من حام ولا اذن فيه ولا امر به ولكن انتم فعلتم ذلك من عند انفسكم خ عن ابن مسعود ان اهل الاسلام لا يسيبون وان اهل الجاهلية كانوا يسيبون وقوله تعالى ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب يعني بقولهم ان الله امرنا بها ٥ واكثرهم لا يعقلون اراد بالاكثر الاتباع يعني الاتباع لا يعقلون ان هذا كذب وافتراء من الرؤساء على الله عز وجل ٥ واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول يعني واذا قيل لهؤلاء الذين بحروا البحائر وفعلوا هذه الاشياء ونسبوها الى الله كذبا عليه تعالوا الى ما انزل الله يعني في كتابه والى الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم الذي انزل عليه كتابه ليبين لكم كذب ما تضيفونه الى الله ويبين لكم الشرائع والاحكام وان الذي تفعلونه ليس بشيء قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا يعني قد اكتفينا بما اخذنا عنهم من الدين ونحن لهم تبع قال الله ردا عليهم ٥ اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون يعني انما يصح الاقتداء بالعالم المهتدي الذي يبني قوله على الحجة والبرهان والدليل وان اباءهم ما كانوا كذلك فلا يصح اقتداؤهم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال بعض العلماء هذا امر من الله تعالى ومعناه احفظوا انفسكم من ملابسة الذنوب والاصرار على المعاصي لانك اذا قلت عليك زيدا ٥ معناه الزم زيدا وقيل معناه عليكم انفسكم فاصلحوها واعملوا في خلاصها من عذاب الله عز وجل وانظروا لها فيما يقربها من الله عز وجل لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يعني لا يضركم كفر من كفر اذا كنتم مهتدين واطعتم الله عز وجل فيما امركم ونهاكم عنه قال سعيد بن جبير ومجاهد نزلت هذه الاية في اهل الكتاب اليهود والنصارى يعني عليكم انفسكم لا يضركم من ضل من اهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم وقيل لما قبل الجزية من اهل الكتاب قال بعض الكفار كيف تقبل الجزية من بعض دون بعض فنزلت هذه الاية وقيل ان المؤمنين كان يشتد عليهم بقاء الكفار على كفرهم فقيل لهم عليكم انفسكم واجتهدوا في صلاحها لا يضركم ضلال الضالين ولا جهل الجاهلين اذا كنتم انتم مهتدين فان قلت هل يدل ظاهر هذه الاية على جواز ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قلت لا يدل على ذلك والذي عليه اكثر الناس ان المطيع لربه عز وجل لا يكون مؤاخذا بذنوب العاصي فاما وجوب الامر

وارد تم الوصيه ذوا عدل منكم يعني من اهل دينكم وملتكم يا معشر المومنين واختلفوا في هذين الاثنين فقيل
هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصيه الموصي وقيل هما الوصيان لان الايه نزلت فيهما ولانه تعالى قال فيقسمان بالله
والشاهد لا يلزمه يمين وجعل الوصي اثنين تاكيدا فعلى هذا تكون الشهاده بمعنى الحضور كقولك شهدت وصيه
فلان بمعنى حضرت او اخران من غيركم يعني من غير اهل دينكم وملتكم وهذا قول ابن عباس وابي موسى الاشعري
وسعيد بن المسيب وابن جبير والنخعي والشعبي وابن سيرين واختلف العلما في حكم هذه الايه فقال ابرهيم النخعي
وجماعه هي منسوخه كانت شهاده اهل الذمه مقبوله في الابتدا ثم نسخت بقوله تعالى واستشهدوا
شهيدين من رجالكم لان اجماع الامه على ان شهاده الفاسق لا تجوز وشهاده الكفار واهل الذمه لا تجوز
بطريق الاولى وذهب قوم الى انها ثابته لم تنسخ وهو قول ابن عباس وابي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب
وابن جبير وابن سيرين وبه قال احمد بن حنبل قالوا اذا لم يجد مسلمين يشهدا على وصيته وهو في ارض غربه
فليشهد كافرين او ذميين او من اي دين كانا لان هذا موضع ضروره قال شريح من كان بارض غربه
لم يجد مسلما يشهد وصيته فليشهد كافرين على اي دين كانا من اهل الكتاب او من عبده الاوثان
فشهادتهم جايزه في هذا الموضع ولا تجوز شهاده كافر على مسلم بحال الا على وصيه في سفر لا يجد فيه مسلما
عن الشعبي ان رجلا من المسلمين حضرته الوفاه بدقوقا هذه ولم يجد احدا من المسلمين حضره يشهده على وصيته
فاشهد رجلين من اهل الكتاب فقدما الكوفه فاتيا ابا موسى الاشعري فاخبراه وقدما بتركته ووصيته
فقال ابو موسى هذا امر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحلفهما بعد العصر بالله
ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وانها لوصيه الرجل وتركته فامضى شهادتهما اخرجه ابو داود
وقال قوم في قوله ذوا عدل منكم يعني من عشيرتكم وقبيلتكم او اخران من غيركم من غير عشيرتكم وقبيلتكم وان
الايه كلها في المسلمين وهو قول الحسن والزهري وعكرمه وقالوا لا تجوز شهاده كافر في شي من الاحكام
وهذا مذهب الشافعي ومالك وابي حنيفه غير ان ابا حنيفه اجاز شهاده اهل الذمه فيما
بينهم بعضهم على بعض واحتج من قال بان هذه الايه محكمه بان سوره المايده من اخر القران نزولا وليس
فيها منسوخ واحتج من اجاز شهاده غير المسلم في هذا الموضع بان الله تعالى قال في اول الايه يا ايها الذين
امنوا فعم بهذا الخطاب جميع المومنين ثم قال بعده ذوا عدل منكم او اخران من غيركم فعلم بذلك انهما من غير
المومنين ولان الايه دلت على وجوب الحلف على هذين الشاهدين واجمع المسلمون على ان الشاهد المسلم لا
يجب عليه يمين ولان الميت اذا كان في ارض غربه ولم يجد مسلما يشهده على وصيته ضاع ماله وربما كان عليه
ديون او عنده وديعه فيضيع ذلك كله واذا كان ذلك كذلك احتاج الى اشهاد من حضره من اهل الذمه وغيرهم
من الكفار حتى لا يضيع ماله وتنفذ وصيته فهذا كالمضطر الذي ابيح له اكل الميته في حال الاضطرار والضرورات
قد تبيح المحظورات واحتج من منع ذلك بان الله تعالى قال ممن ترضون من الشهدا والكفار ليسوا مرضيين شيا من
ولا عدولا فشهادتهم غير مقبوله في حال من الاحوال وقوله تعالى ان انتم ضربتم في الارض يعني ان انتم سافرتم في
الارض فاصابتكم مصيبه الموت يعني نزل بكم اسباب الموت فاوصيتم اليهما ودفعتم مالكم اليهما تحبسونهما
يعني انهما لما اتهما بعض الورثه وادعوا عليهما خيانه فالحكم فيه ان يوقفوهما من بعد الصلاه يعني من بعد صلاه
العصر لان جميع اهل الاديان يعظمون ذلك الوقت ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقيل من بعد صلاه
اهل دينهما اذا كانا كافرين لانهم لا يعظمون صلاه العصر فيقسمان بالله يعني فيحلفان بالله قال الشافعي
الايمان تغلظ في الدما والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مايتي درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد صلاه العصر ان

كان

كان بمكه بين الركن والمقام وان كان بالمدينه فعند المنبر وفي بيت المقدس عند الصخره وفي ساير البلاد في اشرف
المساجد واعظمها ان ارتبتم يعني ان شككتم ايها الورثه في قول الشاهدين وصدقهما فحلفوهما وهذا
اذا كانا كافرين اما اذا كانا مسلمين فلا يمين عليهما لان تحليف الشاهد المسلم غير مشروع لا نشتري
به ثمنا يعني لا نبيع عهد الله بشي من الدنيا ولا نحلف بالله كاذبين لاجل عوض ناخذه او حق نجحده ولو كان
ذا قربى يعني ولو كان المشهود له ذا قرابه منا وانما خص القربى بالذكر لان الميل اليهم اكثر من غيرهم
ولا نكتم شهاده الله انما اضاف الشهاده الى الله لانه امر باقامتها ونهى عن كتمانها انا اذا لمن الاثمين يعني
ان كتمنا الشهاده او خنا فيها ولما نزلت هذه الايه صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاه العصر ودعا بتميم
وعدي وحلفهما عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انهما لم يخونا شيا مما دفع اليهما فحلفا على ذلك فخلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ظهر الانا بعد ذلك قال ابن عباس وجد الانا بمكه فقالوا اشتريناه من تميم وعدي
وقيل لما طالت المده اظهروه فبلغ ذلك بني سهم فاتوهما في ذلك فقالا انا كنا اشتريناه منه فقالوا
لهما الم تزعما ان صاحبنا لم يبع شيا من متاعه قالا لم يكن عندنا بينه فكرهنا ان نقر لكم به فكتمناه لذلك
فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله فان عثر يعني فان اطلع وظهر والعثور الهجوم على امر لم يطلع عليه غيره
وكل من اطلع على امر كان قد خفي عليه قيل له قد عثر عليه على انهما استحقا اثما يعني الوصيين ومعنى
الايه فان حصل العثور والوقوف على ان الوصيين خانا واستوجبا الاثم بسبب خيانتهما وايمانهما
الكاذبه فاخران يعني من اوليا الميت واقربايه يقومان مقامهما يعني مقام الوصيين في اليمين من الذين
استحق عليهم يعني من الذين استحق عليهم وهم الورثه والمعنى اذا ظهرت خيانه الحالفين وبان كذبهما
يقوم اثنان من الورثه الذين استحق عليهم وهم اهل الميت وعشيرته الاوليان يعني بامر الميت وهم اهله وعشيرته
فيقسمان بالله يعني فيحلفان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما يعني ان ايماننا احق واصدق
من ايمانهما وما اعتدينا يعني في ايماننا وقولنا ان شهادتنا احق من شهادتهما انا اذا لمن الظالمين
ولما نزلت هذه الايه قام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعه السهميان وهما من اهل الميت فحلفا
بالله بعد العصر ودفع الانا اليهما وانما ردت اليمين على اوليا الميت لان الوصيين ادعيا ان الميت
باعهما الانا وانكر ورثه الميت ذلك ومثل هذا ان الوصي اذا اخذ شيا من مال الميت وقال انه اوصى
له به وانكره الورثه ردت اليمين عليه ولما اسلم تميم الداري بعد هذه القصه كان يقول صدق الله
وصدق رسوله انا اخذت الانا فانا اتوب الى الله تعالى واستغفره وقوله تعالى ذلك ادنى ان ياتوا
بالشهاده على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم يعني ذلك اقرب يعني ان الذي
حكمنا به من رد اليمين على اوليا الميت فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فربما
لا يحلفون كاذبين اذا خافوا هذا الحكم واتقوا الله يعني وخافوا الله ان تحلفوا ايمانا كاذبه او تخونوا
امانه واسمعوا يعني المواعظ والزواجر وقيل معناه واسمعوا سمع اجابه والله لا يهدي القوم الفاسقين
علي يعني والله لا يرشد من كان على معصيه وهذا تهديد وتخويف ووعيد لمن خالف حكم الله او خان امانته او حلف ايمانا
كاذبه وهذه الايه الكريمه من اصعب ما في القران من الايات نظما واعرابا وحكما والله اعلم باسرار كتابه قوله عز وجل
يوم يجمع الله الرسل قال الزجاج هو متصل بما قبله تقديره واتقوا الله يوم يجمع الله الرسل وقيل تقديره
والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل اي لا يهديهم الى الجنه في ذلك اليوم وهو يوم القيمه وقيل انها

منقطعة عما قبلها وتقديره اذكر يا محمد يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة فيقول ماذا اجبتم يعني فيقول
الله تبارك وتعالى للرسل ماذا اجابكم اممكم وما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتموهم في دار الدنيا الى
توحيدي وطاعتي وفائدة هذا السؤال توبيخ امم الانبياء الذين كذبوهم قالوا يعني الرسل لا علم لنا
قال ابن عباس معناه لا علم لنا كعلمك فيهم لانك تعلم ما اضمروا وما اظهروا ونحن لا نعلم الا ما اظهروا فعلمك
فيهم انفذ من علمنا وابلغ فعلى هذا القول انما نفوا العلم عن انفسهم وان كانوا علماء لان علمهم صار كلا علم
عند علم الله تعالى وقال في رواية اخرى معناه لا علم لنا بوجه من الحكمة عن سؤالك ايانا عن امر انت اعلم به منا
وقيل معناه لا حقيقة لعلمنا بعاقبة امرهم لانا كنا نعلم ما كان من افعالهم واقوالهم وقت حياتنا ولا نعلم ما
كان منهم بعد وفاتنا ولا نعلم ما احدثوا من بعدنا ومنه ما اخبر عن عيسى عليه السلام بقوله وكنت عليهم
شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ومنه ما روي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الي اختلجوا دوني فلاقولن اي رب اصيحابي فيقال لي انك لا تدري
ما احدثوا بعدك زاد في رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدي اخرجاه في الصحيحين وقال جمع من المفسرين ان للقيامة
اهوالا وزلازل تزول فيها القلوب عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك ويذهلون عن الجواب ثم اذا ثابت اليهم
عقولهم يشهدون على اممهم بالتبليغ وهذا فيه ضعف ونظر لان الله قال في حق الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر
وذكر الامام فخر الدين وجها اخر وهو ان الرسل عليهم السلام لما علموا ان الله تعالى عالم لا يجهل وحكيم لا يسفه
وعادل لا يظلم علموا ان قولهم لا يفيد خيرا ولا يدفع شرا فراوا ان الادب في السكوت وفي تفويض الامر الى علم الله
وعدله فقالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب يعني انك تعلم ما في البواطن وقيل معناه انك لا يخفى عليك ما عندنا
من المعلوم وان الذي سالتنا عنه ليس بخاف لانك انت علام الغيوب ومعناه العالم باصناف المعلومات
على تفاوتها لا يخفى عليه خافية وعلام فعال بناء التكثير ودلت على جواز اطلاق العلام على الله تعالى كما يجوز
اطلاق الخلاق عليه قوله تعالى اذ قال الله يا عيسى صلة لماذا اجبتم بمعنى اذكر نعمتي عليك قال بعضهم ان اذ قال الله
يا عيسى صلة لماذا اجبتم ولما كان المراد بقوله للرسل ماذا اجبتم توبيخ الامم المكذبين ومن تمرد منهم على الله
وكان اشد الامم احتياجا وافتقارا الى التوبيخ والملامة النصارى الذين يزعمون انهم اتباع عيسى عليه السلام
ووجه ذلك ان جميع الامم انما كان طعنهم على انبيائهم بالتكذيب لهم وطعن هؤلاء النصارى تعدى الى جلال الله تعالى
حيث وصفوه بما لا يليق بجلاله من اتخاذ الزوجة والولد فذكر في هذه الاية من انواع نعمه على عيسى عليه السلام التي تدل
على انه عبد وليس باله والفائدة في ذكر هذه الحكاية تنبيه النصارى على قبح وفساد اعتقادهم وتوكيد الحجة
عليهم وقيل فائدة ذكر اسماع الامم يوم القيامة ما خص الله عيسى عليه السلام به من الكرامة وقيل موضع اذ رفع
بالابتداء على القطع ومعناه اذكر اذ قال الله يا عيسى وانما خرج قوله اذ قال الله على لفظ الماضي دون المستقبل لانه
ورد على سبيل حكاية الحال وقيل تقديره اذ يقول الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك لفظه واحد والمراد به
الجمع لان الله تعالى عدد نعمه عليه في هذه الاية والمراد من ذكرها شكرها وعلى والدتك يعني بنعمته على مريم انه
تعالى انبتها نباتا حسنا وطهرها واصطفاها على نساء العالمين ثم ذكر نعمه على عيسى عليه السلام فقال تعالى
اذ ايدتك بروح القدس يعني جبريل عليه السلام لان القدس هو الله تعالى واضافه اليه على سبيل التشريف
والتعظيم كما يقال بيت الله وناقة الله وقيل اراد بروح القدس الروح المطهرة لان الارواح مختلفة بالماهية
فمنها روح طاهرة مقدسة نورانية ومنها روح خبيثة كدرة ظلمانية فخص الله عيسى بالروح المقدسة الطاهرة

النورانية المشرقة تكلم الناس في المهد يعني تكلمهم طفلا في حال الصغر وكهلا يعني وفي حال الكهولة من
غير ان يتفاوت كلامك في هذين الوقتين وهذه معجزة عظيمة وخاصية شريفة لم تحصل لاحد قبله قال ابن عباس
ارسل الله عيسى عليه السلام وهو ابن ثلاثين سنة فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله اليه واذ علمتك
الكتاب والحكمة يعني الكتابة وهي الخط والحكمة الفهم والاطلاع على اسرار العلوم والتوراة والانجيل اي وعلمتك
التوراة التي انزلتها على موسى والانجيل الذي انزلته عليك واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني يعني
واذ تجعل وتصور من الطين كصورة الطير باذني فتنفخ فيها ذكر هنا فيها وفي سورة ال عمران فيه فالضمير
في قوله فيها يعود الى الهيئة وجعلها مصورا كما يقع اسم الخلق على المخلوق وذلك لان النفخ لا يكون في الهيئة انما
يكون في المهيأ ذي الهيئة ويجوز ان يعود الضمير الى الطير لانها مؤنثة قال الله تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم
صافات واما الضمير المذكور في ال عمران في قوله فيه يعود الى الكاف يعني في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير
فتكون طيرا باذني انما كرر قوله باذني تاكيدا لكون ذلك الخلق واقعا بقدرة الله تعالى وتخليقه لان
المخلوق لا يخلق شيئا انما خالق الاشياء كلها هو الله تعالى لا خالق لها سواه وانما كان الخلق لهذا الطير معجزة لعيسى
عليه السلام اكرمه الله تعالى بها وكذا قوله تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني يعني وتشفي الاكمه وهو الاعمى المطموس
البصر والابرص معروف ظاهر واذ تخرج الموتى باذني يعني من قبورهم احياء باذني تفعل ذلك كله بدعائك
والفاعل لهذه الاشياء في الحقيقة هو الله تعالى لانه هو المبرئ للاكمه والابرص وهو محيي الموتى وهو على كل شيء قدير
وانما كانت هذه الاشياء معجزات لعيسى عليه السلام ووقعت باذن الله وقدرته وقوله تعالى واذ كففت بني اسرائيل
عنك يعني واذكر نعمتي عليك اذ كففت وصرفت عنك اليهود ومنعتك منهم حين ارادوا قتلك اذ جئتهم
بالبينات يعني بالدلالات الواضحات وبالمعجزات الباهرات التي ذكرت في هذه الاية وذلك ان عيسى عليه السلام
لما اتى بهذه المعجزات العجيبة الباهرة قصد اليهود قتله فخلصه الله منهم ورفعه الى السماء فقال الذين
كفروا منهم يعني فقال الذين استمروا على كفرهم من اليهود ولم يؤمنوا بهذه المعجزات ان هذا الا سحر مبين يعني
ما جاءهم به عيسى من المعجزات قوله عز وجل واذ اوحيت الى الحواريين اي الهمتهم وقذفت في قلوبهم وهو وحي الهام
كما اوحى الى ام موسى والى النحل والحواريون هم اصحاب عيسى وخواصه ان امنوا بي وبرسولي يعني عيسى عليه السلام
قالوا امنا واشهد باننا مسلمون وفقهم الله للايمان فقالوا امنا وانما قدم ذكر الايمان على الاسلام لان الايمان من اعمال
القلوب والاسلام هو الانقياد والخضوع في الظاهر والمعنى انهم امنوا بقلوبهم وانقادوا واطاعوا بظواهرهم قوله تعالى
اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل قال المفسرون هذا على المجاز ولا يجوز
لاحد ان يتوهم على الحواريين انهم شكوا في قدرة الله عز وجل لكنه كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع ان
تقوم معي مع علمه بانه يقدر على القيام وانما قصد بقوله هل تستطيع هل يسهل عليك وهل يخف
ان تقوم معي فكذلك معنى الاية لان الحواريين كانوا مؤمنين عارفين بالله عز وجل ومعترفين بكمال
قدرته وانما قالوا ذلك ليحصل لهم مزيد الطمانينة كما قال ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي ولا شك ان
مشاهدة هذه الاية العظيمة تورث مزيد الطمانينة في القلب ولهذا السبب قالوا وتطمئن قلوبنا
وقال بعضهم هو على ظاهره وقد غلط القوم وقالوا ذلك قبل استحكام الايمان والمعرفة في قلوبهم وكانوا
بشرا فقالوا هذه المقالة فرد الله عليهم غلطهم بقوله اتقوا الله ان كنتم مؤمنين يعني اتقوا الله
ان تشكوا في قدرة الله عز وجل والقول الاول اصح وقيل في معنى الاية هل يقبل ربك دعاءك وهل يعطيك باجابة

دعايكم وسوالكم انزال المايده فقد ورد في بعض الآثار من اطاع الله اطاعه ان ينزل علينا مايدة من السما
المايده الخوان الذي عليه الطعام ولا يسمى مايده اذا لم يكن عليه طعام انما يقال له خوان او طبق واصلها
من ماد يميد اذا تحرك كانها تميد بما عليها من الطعام قال يعني عيسى مجيبا للحواريين اتقوا الله ان كنتم
مومنين يعني اتقوا الله في هذا السوال ان كنتم مومنين لانه سوال تعنت وقيل امرهم بالتقوى ليحصل لهم هذا
السوال ومعنى ان كنتم مومنين مصدقين فلا تشكوا في قدرة الله تعالى وقيل معناه اتقوا الله ان تسالوا
شيا لم يساله احد من الامم قبلكم فنهاهم عن اقتراح الآيات بعد الايمان قالوا نريد ان ناكل منها يعني
قال الحواريون مجيبين لعيسى عليه السلام انما نطلب نزول المايده علينا لان ناكل منها فان الجوع قد غلبنا
وقيل معناه نريد ان ناكل للتبرك بها لا اكل حاجة وتطمين قلوبنا يعني وتسكن قلوبنا ولنستيقن
قدرة الله عز وجل لانا وان علمنا قدرة الله بالدليل فاذا شاهدنا نزول المايده ازداد اليقين وقويت
الطمانينة ونعلم ان قد صدقتنا يعني ونزداد ايمانا ويقينا بانك رسول الله ونكون عليها من الشاهدين
يعني لله بالوحدانية ولك بالرسالة والنبوة وقيل معناه ونكون لك من الشاهدين عند بني اسرائيل اذا
رجعنا اليهم قالوا ذلك امرهم عيسى ان يصوموا ثلثين يوما وقال لهم انكم اذا صمتم ذلك وافطرتم فلا تسالون
الله شيا الا اعطاكم ففعلوا ذلك وسالوا نزول المايده فعند ذلك قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا قيل انه اغتسل
ولبس المسح وصلى ركعتين وطاطا راسه وبكى ثم دعا فقال اللهم ربنا انزل علينا مايدة من السما تكون لنا
عيدا لاولنا واخرنا يعني عايدة من الله علينا وحجة وبرهانا والعيد يوم السرور واصله من عاد يعود
اذا رجع والمعنى يعود ذلك اليوم تنزل فيه عيدا نعظمه ونصلي فيه نحن ومن يجي من بعدنا فنزلت في يوم الاحد فاتخذه
النصارى عيدا وقال ابن عباس معناه ياكل منها اول الناس كما ياكل اخرهم واية منك يا رب وتكون المايده
دلالة على قدرتك ووحدانيتك وحجة لصدق رسولك وارزقنا اي ارزقنا ذلك من عندك وقيل ارزقنا
الشكر على هذه النعم وانت خير الرازقين يعني وانت خير من تفضل ورزق قال الله عز وجل مجيبا
لعيسى اني منزلها عليكم يعني المايده فمن يكفر بعد منكم يعني بعد نزول المايده فاني اعذبه عذابا يعني
جنسا من العذاب لا اعذبه احدا من العالمين يعني من عالمي زمانهم فجحدوا وكفروا بعد نزول المايده فمسخوا
خنازير قال الزجاج ويجوز ان يكون هذا العذاب معجلا في الدنيا ويجوز ان يكون موخرا الى الآخرة قال
عبد الله بن عمر ان اشد الناس عذابا يوم القيمة المنافقون ومن كفر من اصحاب المايده فقال الحسن ومجاهد
لم تنزل المايدة لان الله لما وعدهم على كفرهم بالعذاب بعد نزول المايده خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا
لا نريدها فلم تنزل عليهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله تعالى اني منزلها ان سالتم نزولها والصحيح الذي عليه
جمهور العلما والمفسرين انها نزلت لان الله تعالى قال اني منزلها عليكم وهذا وعد من الله بانزالها ولا خلف في
خبره ووعده ولما روي عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت المايده من السما خبزا
ولحما وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخوا قردة وخنازير اخرجه
الترمذي وقال قد روي عن عمار من غير طريق موقوفا وهو اصح قال ابن عباس ان عيسى عليه السلام قال
لهم صوموا ثلثين يوما ثم اسالوا الله ما شيتم يعطيكم فصاموا فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا لو عملنا عملا
لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسالوا المايده فاقبلت الملايكة بمايدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة
احوات حتى وضعوها بين ايديهم فاكل منها اخر الناس كما اكل اولهم وقال سلمان الفارسي لما سال الحواريون

المايده

المايدة لعيسى عليه السلام صوفا وبكى وقال اللهم انزل علينا مايدة من السما الآية فنزلت سفرة حمرا بين غمامتين
غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي اليهم منقضة حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى
عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود ينظرون الى شي لم يروا مثله
ولم يجدوا ريحا اطيب من ريحه فقال عيسى عليه السلام ليقم احسنكم عملا فيكشف عنها ويسمي الله فقال شمعون الصفا
راس الحواريين انت اولى بذلك منا فقام عيسى عليه السلام وصلى صلاة طويلة وبكى بكا كثيرا ثم كشف المنديل
عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس فيها شوك ولا عليها فلوس تسيل من الدسم
وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها
زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن
طعام الدنيا هذا ام من طعام الجنة فقال ليس شي مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه شي افتعله الله بالقدرة
العالية كلوا مما سالتم يمددكم ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله كن اول من ياكل منها فقال عيسى
معاذ الله ان اكل منها ياكل منها من سالها فخافوا ان ياكلوا منها فدعا لها اهل الفاقة والمرضى والبرص
والجذام والمقعدين فقال كلوا من رزق الله لكم المهنا ولغيركم البلا فاكلوا منها وهم الف وثلثماية رجل
وامراة من فقير ومريض وزمن ومبتلي وصدروا عنها وهم شباع واذا السمكة كحالها حين انزلت ثم طارت
المايدة صعودا وهم ينظرون اليها حتى توارت ولم ياكل منها مريض او زمن او مبتلي الا عوفي ولا فقير الا استغنى
وندم من لم ياكل منها فمكثت اربعين صباحا تنزل ضحى فاذا نزلت اجتمع اليها الاغنيا والفقرا والصغار
والكبار والرجال والنسا ياكلون منها ولا تزال منصوبة يوكل منها حتى فيء الفي فاذا فاء الفي طارت
وهم ينظرون اليها حتى تتوارى عنهم وكانت تنزل غبا يوما تنزل ويوما لا تنزل فاوحى الله عز وجل
الى عيسى عليه السلام اجعل مايدتي ورزقي للفقرا دون الاغنيا فعظم ذلك على الاغنيا حتى شكوا
وشككوا الناس فيها وقالوا اترون المايده حقا تنزل من السما فاوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام
اني شرطت ان من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا اعذبه احدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام
عند ذلك ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلثماية وثلثون
رجلا باتوا ليلتهم مع نسايهم على فرشهم ثم اصبحوا خنازير يسعون في الطرقات ياكلون العذرة من الكناسات
والحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا ولما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام
بكت وجعلت تطيف به وجعل عيسى عليه السلام يدعوهم باسمايهم فيشيرون برووسهم ولا يقدرون على
الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا وقال كعب انزلت المايده منكوسة تطير بها الملايكة بين
السما والارض عليها كل شي الا اللحم وقال ابن عباس انزل على المايدة كل شي الا الخبز واللحم وقال
الكلبي كان عليها خبز وبقل وقال وهب بن منبه انزل الله اقرصة من شعير وحيتانا وكان
القوم ياكلون ويخرجون ثم يجي اخرون فياكلون حتى اكلوا باجمعهم وفضل وقال قتادة كانت
تنزل عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا كالمن والسلوى لبني اسرايل وقال الكلبي ومقاتل انزل الله سمكا
وخمسة ارغفة فاكلوا منها ما شا الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك
من لم يشهد منهم وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به خيرا ثبته ومن اراد فتنته رجع الى كفره
فمسخوا خنازير ليس فيهم صبي ولا امراة فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم يشربوا وكذلك
كل ممسوخ قوله عز وجل واذ قال الله يا عيسى ابن مريم اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من

دون الله الآية اختلف المفسرون في وقت هذا القول فقال السدي قال الله تعالى هذا القول لعيسى عليه السلام حين رفعه إلى السماء بدليل أن حرف إذ تكون للماضي وقال سائر المفسرين إنما يقول الله له هذا القول يوم القيامة بدليل قوله يوم يجمع الله الرسل وذلك في يوم القيامة وبدليل قوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وذلك في يوم القيامة وأجيب عن حرف إذ بأنها قد تجيء بمعنى إذا كقوله ولو ترى إذ فزعوا يعني إذا فزعوا وقال الراجز ثم جزاك الله عني إذ جزى جنات عدن في السموات العلى ولفظ الآية في قوله أأنت قلت للناس لفظ استفهام ومعناه الإنكار والتوبيخ لمن ادعى ذلك على عيسى عليه السلام من النصارى لأن عيسى عليه السلام لم يقله فإن قلت إذا كان عيسى عليه السلام لم يقل هذه المقالة فما وجه هذا السؤال له مع علم الله تعالى بأنه لم يقله قلت وجه هذا السؤال تثبيت الحجة على قومه وإكذاب لهم في ادعائهم ذلك عليه وأنه أمرهم به فهو كما يقول القائل لآخر أفعلت كذا وهو يعلم أنه لم يفعله وإنما أراد تعظيم ذلك الفعل فنفى عن نفسه هذه المقالة وقال ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم فاعترف بالعبودية وأنه ليس بإله كما ادعت فيه النصارى فإن قلت إن النصارى لم يقولوا بإلهية مريم فكيف قال اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قلت إن النصارى لم يقولوا إلا أنها ولدت إلها فكيف قال اتخذوني وأمي إلهين لما ادعت في عيسى أنه إله وأنها أمه لزمتهم هذه المقالة على سبيل التبعية وقوله تعالى إخبارا عن عيسى عليه السلام قال سبحانك يعني تنزيها لك عن النقائص وبراءة لك من العيوب قال أبو روق إذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب وهو قوله أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ارتعدت مفاصله وانفجرت من أصل كل شعرة من جسده عين من دم ثم قال مجيبا لله تبارك وتعالى سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق أي كيف أقول هذا الكلام ولست بأهل ولست أستحق العبادة حتى أدعو الناس إليها ولما بيّن أنه ليس له أن يقول هذه وهذا المقام مقام التواضع والخشوع لعظمة الله شرع في بيان هل وقع ذلك منه أم لا فقال إن كنت قلته فقد علمته أسند الفعل إلى الله تعالى وهذا هو غاية الأدب وإظهار المسكنة لعظمة الله تعالى وتفويض الأمر إلى علمه ثم قال تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك يعني تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم وقال ابن عباس تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك وقيل معناه تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا أعلم ما يكون منك في دار الآخرة وقيل معناه تعلم ما أخفي ولا أعلم ما تخفي وقيل معناه تعلم ما أقول وأفعل ولا أعلم ما تقوله وتفعل والنفس عبارة عن ذات الشيء يقال نفس الشيء وذاته بمعنى واحد وقال الزجاج النفس عبارة عن جملة الشيء وحقيقته يقول تعلم جميع ما أعلم من حقيقة أمري ولا أعلم حقيقة أمرك وقيل معناه تعلم معلومي ولا أعلم معلومك وإنما ذكر هذا الكلام على طريق المشاكلة والمطابقة وهو من فصيح الكلام ثم قال إنك أنت علام الغيوب يعني تعلم ما كان وما سيكون وهذا تأكيد لما تقدم من قوله تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب قوله تعالى إخبارا عن عيسى ما قلت لهم إلا ما أمرتني به يعني ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله يعني قلت لهم اعبدوا الله ربي وربكم يعني وحدوه ولا تشركوا به شيئا وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم يعني وكنت أشهد ما يفعلون وأحضره ما دمت مقيما فيهم فلما توفيتني يعني فلما رفعتني إلى السماء فالمراد به وفاة الرفع لا الموت كنت أنت الرقيب عليهم يعني الحفيظ عليهم المراقب لأعمالهم وأحوالهم والرقيب الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء وأنت على كل شيء شهيد يعني أنت شهدت مقالتي التي قلتها لهم وأنت الشهيد عليهم بعدما رفعتني إليك لا يخفى عليك خافية فعلى هذا الشهيد هنا بمعنى الشاهد لما كان وما يكون ويجوز أن يكون الشهيد هنا بمعنى العليم

يعني أنت العالم بكل شيء فلا يعزب عن علمك قوله عز وجل إخبارا عن عيسى عليه السلام إن تعذبهم يعني إن تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة بإماتتهم على كفرهم فإنهم عبادك لا يقدرون على دفع ضر نزل بهم ولا جلب نفع لأنفسهم وأنت العادل فيهم لأنك أوضحت لهم طريق الحق فرجعوا عنه وكفروا وإن تغفر لهم يعني لمن تاب من كفره منهم بأن تهديه إلى الإيمان فإن ذلك بفضلك ورحمتك فإنك أنت العزيز يعني في الانتقام ممن تريد الانتقام منه لا يمتنع عليك ما تريده الحكيم في أفعالك كلها وهذا التفسير إنما يصح على قول السدي لأنه قال كان سؤال الله عز وجل لعيسى عليه السلام حين رفعه إلى السماء قبل يوم القيامة وأما قول جمهور المفسرين أن هذا السؤال إنما يقع يوم القيامة ففي قوله وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم إشكال وهو أنه كيف يليق لعيسى عليه السلام طلب المغفرة لهم مع علمه أن الله تعالى لا يغفر لمن يموت على الشرك والجواب عن هذا الإشكال من وجوه أحدها أنه ليس هذا على طريق طلب المغفرة لهم ولو كان كذلك لقال فإنك أنت الغفور الرحيم ولكنه على تسليم الأمر إلى الله وتفويضه إلى مراده فيهم لأنه العزيز في ملكه الحكيم في فعله ويجوز في حكمته وسعة مغفرته ورحمته أن يغفر للكفار لكنه تعالى أخبر أنه لا يفعل ذلك بقوله إن الله لا يغفر أن يشرك به الوجه الثاني قيل معناه إن تعذبهم يعني بإقامتهم على كفرهم إلى الموت وإن تغفر لهم يعني لمن آمن منهم وتاب ورجع عن كفره الوجه الثالث قال ابن الأنباري لما قال الله لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله لم يقع لعيسى إلا أن النصارى حكت عنه الكذب لأنه لم يقل ذلك وقول الكذب ذنب فيجوز أن يسأل له المغفرة والله أعلم بمراده في أمر الكذابين (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني الآية وقال عيسى إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله تبارك وتعالى يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى أصبح بآية والآية إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم أخرجه النسائي قوله عز وجل قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم جمهور المفسرين على أن المراد بهذا اليوم يوم القيامة والمعنى أن صدقهم في الدنيا ينفعهم في الآخرة لأنه يوم الإثابة والجزاء وما تقدم من صدقهم في الدنيا يتبين نفعه يوم القيامة والمراد بالصادقين النبيون والمؤمنون لأن الكفار لا ينفعهم صدقهم يوم القيامة قال قتادة متكلمان يخطبان يوم القيامة عيسى عليه السلام فإنه يقوم فيقول ما قص الله عنه ما قلت لهم إلا ما أمرتني به الآية فكان صادقا في الدنيا والآخرة فنفعه صدقه وأما المتكلم الآخر فإبليس فإنه يقوم فيقول وقال لما قضي الأمر الآية فصدق عدو الله فيها قال فلم ينفعه صدقه وقال عطاء هذا يوم من أيام الدنيا لأن الآخرة دار جزاء لا دار عمل وذهب في هذا القول إلى ظاهر الآية من أن الصدق النافع إنما يكون في الدنيا وهذا القول يوافق مذهب السدي حيث يقول إن هذه المخاطبة جرت مع عيسى عليه السلام حين رفع إلى السماء والوجه ما ذهب إليه الجمهور ثم ذكر الله تعالى ما لهم من الثواب على صدقهم فقال تعالى لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا هذا إشارة إلى ما يحصل لهم من الثواب الدائم الذي لا انقطاع له ولا انتهاء رضي الله عنهم يعني بطاعتهم له ورضوا عنه يعني بما أعطاهم من ثوابه وجزيل كرامته ذلك إشارة إلى ما ذكره من ثوابهم هو الفوز العظيم يعني أنهم فازوا بالجنة وبرضوانه عنهم ونجوا من النار لله ملك السموات والأرض وما فيهن عظم الله عز وجل نفسه عما قالت النصارى يعني أن الذي له ملك السموات

وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز فلا عجز ولا استقباح فإنك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب فإن عذبت فعدل وإن غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد مستحسنة لكل مجرم [illegible] البيضاوي

وقال الكلبي ينفع المؤمنين إيمانهم البغوي

والارض هو الذي يستحق الالهية لا ما قالت النصارى من الالهية المسيح لان المسيح وامه من جملة من في السموات والارض
فانما عبيده وفي ملكه وقيل هو جواب لسايل مضمر في الكلام كانه لما وعد الصادقين بالثواب العظيم فقيل من يعطيهم
ذلك فقال الذي له ملك السموات والارض وهو على كل شي قدير والله اعلم باسرار كتابه

تفسير سورة الانعام

نقل في ذكر نزولها روى مجاهد عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سورة الانعام مكية وهذا
قول الحسن وقتادة وجابر بن زيد وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال نزلت سورة الانعام جملة ليلا
بمكة وحولها سبعون الف ملك وروى ابو صالح عن ابن عباس قال هي مكية نزلت جملة واحدة ونزلت ليلا وكتبوها من
ليلتهم غير ست ايات منها فانها مدنيات وهي قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى اخر الثلاث الايات
وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره الاية وقوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه
شي الى اخر الايتين وذكر مقاتل نحو هذا وزاد ايتين وهي قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من
ربك بالحق الاية وقوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الاية وروى عن ابن عباس
وقتادة انها كلها مكية الا ايتين نزلتا بالمدينة قوله وما قدروا الله حق قدره وقوله وهو الذي انشا جنات
معروشات الاية ولما نزلت سورة الانعام ومعها سبعون الف ملك قد سدوا ما بين الخافقين لهم زجل
بالتسبيح والتحميد فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم وخر ساجدا قال البغوي
وروى بسنده مرفوعا من قرا سورة الانعام صلى عليه وتلك السبعون الف ملك ليله ونهاره ذكره بغير سند
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله الذي خلق
السموات والارض قال كعب الاحبار هذه الاية اول اية في التورية واخر اية في التورية قوله تعالى وقل
الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الاية وفي رواية عنه ان اخر اية في التورية اخر سورة هود وقال ابن عباس افتتح الله
الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختمهم بالحمد فقال تعالى وقضي بينهم بالحق
وقيل الحمد لله رب العالمين وفي قوله الحمد لله تعليم لعباده كيف يحمدونه اي قولوا الحمد لله وقال اهل المعاني
لفظه خبر ومعناه الامر اي احمدوا الله وانما جا على صيغة الخبر وفيه معنى الامر لانه ابلغ في البيان
من حيث انه جمع الامرين ولو قيل احمدوا الله لم يجمع الامرين فكان قوله الحمد لله ابلغ وقد تقدم معنى الحمد
في تفسير فاتحة الكتاب بما فيه مقنع الذي خلق السموات والارض اي احمدوا الله الذي خلق السموات
والارض وانما خصهما بالذكر لانهما اعظم المخلوقات فيما يرى العباد ولان السما بغير عمد ترونها وفيها العبر والمنافع
والارض مسكن الخلق وفيها ايضا العبر والمنافع وجعل الظلمات والنور الجعل هنا بمعنى الخلق اي وخلق
الظلمات والنور قال السدي يريد بالظلمات ظلمات الليل وبالنور نور النهار وقال الحسن يعني بالظلمات
الكفر وبالنور الايمان وقيل يعني بالظلمات الجهل وبالنور العلم وقيل الجنة والنار وقال قتادة خلق الله السموات
قبل الارض وخلق الجنة قبل النار وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق
خلقه في ظلمة ثم القى عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل ذكره البغوي بغير سند
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون يعني والذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يشركون واصل العدل مساواة الشي
بالشي والمعنى انهم يعدلون بالله غير الله ويجعلون له عديلا من خلقه فيعبدونه الحجارة مع اقرارهم بان الله خلق
السموات والارض وقال النضر بن شميل الباء في قوله بربهم بمعنى عن اي عن ربهم يميلون وينحرفون من العدول
عن الشي وقيل دخول ثم في قوله ثم الذين كفروا دليل على معنى لطيف وهو انه تعالى دل به على انكاره على الكفار

العدل به على تعجب المومنين من ذلك ومثال ذلك ان تقول لرجل اكرمتك واحسنت اليك وانت تشكوني وتجحد احساني
اليك فتقول ذلك منكرا عليه ومتعجبا من فعله قوله تعالى هو الذي خلقكم من طين يعني ان الله تعالى خلق ادم من طين وانما
خاطب ذريته بذلك لانه اصلهم وهم من نسله وذلك لما انكر المشركون البعث وقالوا من يحيي العظام وهي رميم اعلمهم
بهذه الاية انه تعالى خلقهم من طين وهو القادر على اعادة خلقهم وبعثهم بعد الموت قال السدي لما اراد الله عز وجل
ان يخلق ادم بعث جبريل الى الارض ليأتيه بقبضة منها فقالت الارض اني اعوذ بالله منك ان تقبض مني فرجع
ولم يقبض منها شيا فقال يا رب عاذت بك فبعث الله ميكايل فاستعاذت فرجع فبعث الله ملك الموت فعاذت
منه فقال وانا اعوذ بالله ان اخالف امره واخذ من وجه الارض فخلط الحمراء والسوداء والبيضاء فلذلك اختلفت
الوان بني ادم ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر فلذلك اختلفت اخلاقهم ثم قال الله لملك الموت رحم جبريل
وميكايل ولم ترحمها لا جرم اجعل ارواح من اخلق من هذا الطين بيدك وعن ابي موسى الاشعري قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى خلق ادم من قبضة قبضها من جميع الارض
فجا بنو ادم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب اخرجه
ابو داود والترمذي قوله تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده فاختلف العلما في معنى ذلك
فقال الحسن وقتادة والضحاك الاجل الاول من وقت الولادة الى وقت الموت والاجل الثاني من وقت
الموت الى البعث وهو البرزخ وروي نحو ذلك عن ابن عباس قال لكل احد اجلان اجل الى الموت واجل من
الموت الى البعث فان كان الرجل برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث في اجل العمر وان كان فاجرا
قاطعا للرحم نقص من اجل العمر وزيد في اجل البعث وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره
الا في كتاب وقال مجاهد وسعيد بن جبير الاجل الاول اجل الدنيا والاجل الثاني اجل الاخرة وقيل الاجل
هو الوقت المقدر فاجل كل انسان مقدر معلوم عند الله تعالى لا يزيد ولا ينقص والاجل الثاني هو اجل
القيامة وهو ايضا معلوم مقدر عند الله تعالى لا يعلمه الا هو وقال ابن عباس في رواية عطا عنه ثم قضى اجلا
يعني النوم يقبض فيه الروح ثم ترجع عند الانتباه واجل مسمى عنده هو اجل الموت وقيل هما واحد ومعناه
ثم قضى اجلا يعني قدر مدة لاعماركم تنتهون اليها واجل مسمى عنده لا يعلمه الا هو والمراد بقوله عنده يعني
في اللوح المحفوظ الذي لا يطلع عليه غيره ثم انتم تمترون يعني ثم انتم تشكون في البعث قوله عز وجل
وهو الله في السموات وفي الارض يعني وهو اله السموات واله الارض وقيل معناه وهو المعبود في
السموات وفي الارض وقال محمد بن جرير الطبري معناه وهو الله في السموات يعلم سركم وجهركم في الارض
وقال الزجاج فيه تقديم وتاخير تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الارض وقيل
معناه وهو المتفرد بالتدبير في السموات وفي الارض لا شريك له فيهما والمراد بالسر ما يخفيه الانسان
في صدره وهو من اعمال القلوب والجهر ما يظهره الانسان فهو من اعمال الجوارح والمعنى ان الله لا يخفى
عليه خافية في السموات ولا في الارض ويعلم ما تكسبون يعني من خير او شر فان قلت في الاية سوال وهو ان الكسب
اما ان يكون من اعمال القلوب وهو المسمى بالسر او من اعمال الجوارح وهو المسمى بالجهر فالافعال لا
تخرج عن هذين النوعين يعني السر والجهر فقوله ويعلم ما تكسبون يقتضي عطف الشي على نفسه وذلك
غير جايز فما معنى ذلك واجيب عنه بانه يجب حمل قوله ويعلم ما تكسبون على ما يستحقه الانسان على فعله
وكسبه من الثواب والعقاب والحاصل فيه انه محمول على المكتسب فهو كما يقال هذا المال كسب فلان
اي مكتسبه ولا يجوز حمله على نفس الكسب والا لزم عطف الشي على نفسه ذكره الامام فخر الدين وما تاتيهم يعني اهل مكة

من آية من آيات ربهم يعني من المعجزات الباهرات التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك وقيل المراد
بالآيات آيات القرآن إلا كانوا عنها معرضين يعني إلا كانوا لها تاركين ولها مكذبين فقد كذبوا بالحق يعني بآيات القرآن
وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم وما أتى به من المعجزات لما جاءهم يعني لما جاءهم الحق من عند ربهم كذبوا به فسوف يأتيهم
أنباء ما كانوا به يستهزئون يعني فسوف يأتيهم أخبار استهزائهم إذا عذبوا في الآخرة قوله تعالى ألم يروا الخطاب لكفار
مكة يعني ألم ير هؤلاء المكذبين بآياتي كم أهلكنا من قبلهم من قرن يعني مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من
الأمم الماضية والقرون الخالية والقرن الأمة من الناس وأهل كل زمان سموا بذلك لاقترانهم في الوجود في ذلك
الزمان وقيل سمي قرنا لأنه زمان بزمان وأمة بأمة واختلفوا في مقدار القرن فقال قوم ثمانون سنة وقيل
ستون سنة وقيل أربعون سنة وقيل ثلاثون سنة وقيل مائة وعشرون سنة وقيل مائة سنة وهو الأصح
لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن بسر المازني إنك تعيش قرنا فعاش مائة سنة فعلى هذا القول
المراد بالقرن أهله الذين وجدوا فيه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين
يلونهم يعني أصحابه وتابعيهم وتابعي التابعين مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم يعني أعطيناهم ما لم نعطكم
يا أهل مكة وقيل أمددناهم في العمر والبسطة في الأجسام والسعة في الأرزاق مثل ما أعطينا قوم نوح وعاد
وثمود وغيرهم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا مفعالا من الدر يعني وأرسلنا المطر متتابعا في أوقات الحاجة
إليه والمراد بالسماء المطر سمي بذلك لنزوله منها وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم يعني وفجرنا لهم العيون تجري من
تحتهم والمراد منه كثرة البساتين فأهلكناهم بذنوبهم يعني بسبب ذنوبهم وكفرهم وأنشأنا من بعدهم قرنا
آخرين يعني وخلقنا من بعد هلاكهم أهل قرن آخرين وفي هذه الآية ما يوجب الاعتبار والموعظة
بحال من مضى من الأمم السالفة والقرون الخالية فإنهم مع ما كانوا فيه من القوة وسعة الرزق وكثرة الأتباع
أهلكناهم لما كفروا وطغوا وظلموا فكيف حال من هو أضعف منهم وأقل عددا وعددا وهذا يوجب
الاعتبار والانتباه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة قوله عز وجل ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس الآية
قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن أمية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن
لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله وأنك رسوله
فأنزل الله تعالى هذه الآية ولو نزلنا عليك كتابا يعني من عندي في قرطاس يعني مكتوبا في قرطاس وهو
الكاغد والصحيفة التي يكتب فيها فلمسوه بأيديهم يعني فعاينوه ومسوه بأيديهم وإنما ذكر اللمس ولم
يذكر المعاينة لأنه أبلغ في إيقاع العلم بالشيء من الرؤية لأن المرئيات قد يدخلها التخييلات كالسحر ونحوه
بخلاف الملموس لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين يعني لو أنزلت عليهم كتابا كما سألوا لما
آمنوا به ولقالوا هذا سحر مبين كما قالوا في انشقاق القمر وإنه لا ينفع معهم شيء لما سبق فيهم من علمي فيهم
وقالوا يعني مشركي مكة لولا يعني هلا أنزل عليه يعني على محمد ملك يعني نراه عيانا ولو أنزلنا ملكا لقضي
الأمر يعني لفرغ من الأمر ولوجب العذاب وهذه سنة الله في الكفار أنه متى اقترحوا آية فأنزلت ثم لم يؤمنوا
استوجبوا العذاب واستؤصلوا ثم لا ينظرون يعني ثم إنهم لا يمهلون ولا يؤخرون طرفة عين بل يعجل لهم
العذاب ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا يعني ولو أرسلنا إليهم ملكا لجعلناه في صورة رجل وذلك
لأن البشر لا يستطيع أن تنظر إلى الملائكة في صورهم التي خلقوا عليها ولو نظر إلى الملك ناظر لصعق عند رؤيته
ولذلك كانت الملائكة تأتي الأنبياء في صورة الإنس كما جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية
الكلبي وكما جاء الملكان إلى داود عليه السلام في صورة رجلين وكذلك أتى الملائكة إبراهيم ولوطا عليهم السلام

ولما

ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته التي خلق عليها صعق لذلك وغشي عليه وقوله تعالى وللبسنا
عليهم ما يلبسون يقال لبست الأمر على القوم إذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا ولبست عليه
الأمر إذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى الآية ولخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى
يشكوا فلا يدروا أملك هو أم آدمي وقيل في معنى الآية إنا إذا جعلنا الملك في صورة البشر لظنوه
بشرا فتعود المسألة بحالها أنا لا نرضى برسالة البشر ولو فعل الله عز وجل ذلك صار فعل الله تعالى
مثل فعلهم في التلبيس وإنما كان تلبيسا لأنهم يظنون أنه ملك وليس بملك أو يظنون أنه بشر وليس
ببشر وإنما كان فعلهم تلبيسا لأنهم لبسوا على ضعفتهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا إنما هو
بشر مثلكم ولو رأوا الملك رجلا للحقهم من اللبس مثل ما لحق ضعفاءهم فيكون اللبس نقمة من الله وعقوبة
لهم على ما كان منهم من التخليط في السؤال واللبس على الضعفاء قوله عز وجل ولقد استهزئ
برسل من قبلك يعني كما استهزأوا بك يا محمد وفي هذه الآية تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له
عما كان من تكذيب المشركين إياه واستهزائهم به إذ جعل له أسوة في ذلك بالأنبياء الذين كانوا
قبله فحاق أي فنزل وقيل أحاط وقيل حل بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون يعني والمعنى
نزل العذاب بهم ووجب عليهم من النقمة والعذاب جزاء استهزائهم وفي هذه الآية تحذير للمشركين
الذين فعلوا بنبيهم كما فعل من كان قبلهم بأنبيائهم فينزل بهم مثل ما نزل بهم قل سيروا في الأرض
أي قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين سيروا في الأرض معتبرين ومتفكرين وقيل هو سير الأقدام ثم
انظروا فعلى القول الأول يكون النظر نظر فكرة وعبرة وهو بالبصيرة لا بالبصر وعلى القول الثاني
يكون المراد بالنظر نظر العين والمعنى ثم انظروا بأعينكم إلى آثار الأمم الخالية والقرون السالفة
وهو قوله تعالى كيف كان عاقبة المكذبين يعني كيف كان جزاء المكذبين وكيف أورثهم الكفر
والتكذيب الهلاك فحذر كفار مكة عذاب الأمم الخالية قوله عز وجل قل لمن ما في السموات
والأرض قل لله هذا سؤال وجواب والمعنى يا محمد لهؤلاء المكذبين العادلين بربهم لمن ملك ما في
السموات والأرض فإن أجابوك وإلا فأخبرهم أن ذلك لله الذي قهر كل شيء وملك كل شيء واستعبد كل
شيء لا للأصنام التي تعبدونها أنتم فإنها أموات لا تملك شيئا ولا تملك لأنفسها ضرا ولا نفعا وإنما
أمره بالجواب عقيب السؤال ليكون أبلغ في التأكيد وآكد في الحجة ولما بين الله تعالى كمال قدرته
وتصرفه في سائر مخلوقاته أردفه بكمال رحمته وإحسانه إليهم فقال تعالى كتب ربكم على نفسه
الرحمة يعني أنه تعالى أوجب وقضى على نفسه الرحمة وهذا استعطاف منه للمتولين عنه
إلى الإقبال عليه وإخبار بأنه رحيم بعباده وأنه لا يعجل بالعقوبة بل يقبل التوبة والإنابة ممن
تاب وأناب (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق ولمسلم لما خلق
الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي وفي رواية للبخاري إن الله
كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق إن رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش وفي رواية
(خ) إن الله لما خلق الخلق وعند مسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو موضوع عنده
زاد البخاري على العرش ثم اتفقا إن رحمتي تغلب غضبي (ق) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل في

الارض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه زاد
البخاري في رواية له ولو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي
عند الله من العذاب لم يأمن من العذاب ولمسلم ان لله مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس
والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها واخر الله تسعا
وتسعين رحمة يرحم الله بها عباده يوم القيمة عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
خلق يوم خلق السموات والارض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والارض فجعل منها في الارض
رحمة فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيمة اكملها
بهذه الرحمة ق عن عمر قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي فاذا امراة من السبي تسعى
قد تحلب ثديها اذ وجدت صبيا في السبي اخذته والزقته ببطنها فارضعته فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اترون هذه المراة طارحة ولدها في النار وهي تقدر على ان لا تطرحه فقلنا لا
والله فقال الله ارحم بعباده من هذه المراة بولدها وقوله تعالى ليجمعنكم لام القسم تقديره والله
ليجمعنكم الى يوم القيمة يعني في يوم القيمة لا ريب فيه اي لا شك فيه انه ات الذين خسروا انفسهم
يعني بالشرك بالله او غبنوا انفسهم وغبنوها باتخاذهم الاصنام فعرضوا انفسهم لسخط الله
واليم عقابه فكانوا كمن خسر شيئا واصل الخسار الغبن يقال خسر الرجل اذا غبن في بيعه
فهم لا يؤمنون يعني لما سبق عليهم القضاء بالخسران فهو الذي حملهم على الامتناع من الايمان
قوله تعالى وله ما سكن في الليل والنهار يعني وله ما استقر وقيل وله ما سكن وما
تحرك فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر وقيل انما خص السكون بالذكر لان النعم فيه اكثر وقال
ابن جرير كل ما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار فيكون المراد منه جميع
ما حصل في الارض من الدواب والحيوانات والطير وغير ذلك مما في البر والبحر وهذا يفيد
الحصر والمعنى ان جميع الموجودات ملك لله تعالى لا لغيره وهو السميع لاقوالهم واصواتهم
العليم بسرائرهم واحوالهم قوله عز وجل قل اغير الله اتخذ وليا قال مقاتل لما دعي رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى دين ابائه فانزل الله هذه الاية قل اغير الله اتخذ وليا يعني ربا فاقول
الله هذه الاية فقال قل لهم يا محمد اغير الله اتخذ وليا يعني ربا ومعبودا وناصرا ومعينا وهو استفهام
ومعناه الانكار اي لا اتخذ غير الله وليا فاطر السموات والارض اي خالق السموات والارض
ومبدعها ومنشئها وهو يطعم ولا يطعم يعني وهو يرزق ولا يرزق وصف الله عز وجل نفسه بالغنا
عن الخلق وباحتياج الخلق اليه لان من كان من صفته انه يطعم الخلق لاحتياجهم اليه وهو لا يطعم
لاستغنائه فهو تعالى عن الاطعام ومن كان كذلك وجب ان يتخذ ربا وناصرا ووليا ومعبودا
قل اني امرت ان اكون اول من اسلم يعني من هذه الامة والاسلام بمعنى الاستسلام يعني امرت ان
استسلم لامر الله وانقاد الى طاعته ولا تكونن من المشركين يعني وقيل لي يا محمد لا تكونن من المشركين
قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين دعوك الى عبادة
غيري ان ربي امرني ان اكون اول من اسلم ونهاني عن عبادة شيء سواه واني اخاف ان عصيت
ربي فعبدت شيئا سواه عذاب يوم عظيم وهو عذاب يوم القيمة من يصرف عنه يعني العذاب

يومئذ يعني يوم القيمة فقد رحمه يعني بان انجاه من العذاب ومن انجاه من العذاب فقد رحمه واناله
الثواب لا محالة وانما ذكر الرحمة مع صرف العذاب لئلا يتوهم انه صرف العذاب فقط بل تحصل له الرحمة
مع صرف العذاب عنه وذلك الفوز المبين يعني ان صرف العذاب وحصول الرحمة هو النجاة والفلاح
المبين قوله تعالى وان يمسسك الله بضر يعني بشدة وبلية والضر اسم لما ينال الانسان من
الم ومكروه وغير ذلك مما هو في معناه فلا كاشف له الا هو يعني فلا يدفع ذلك الضر الا الله عز وجل
وان يمسسك بخير يعني بعافية ونعمة والخير اسم جامع لكل ما ينال الانسان من لذة وفرح
وسرور ونحو ذلك فهو على كل شيء قدير يعني من دفع الضر وجلب الخير وهذه الاية خطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تتخذ وليا سوى الله لانه هو القادر على ان يمسك بضر وهو القادر
على دفعه عنك وهو القادر على ايصال الخير اليك وانه لا يقدر على ذلك الا الله فاتخذه وليا
وناصرا ومعينا وهذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فهو عام لكل احد والمعنى وان
يمسسك الله بضر ايها الانسان فلا كاشف لذلك الضر الا هو وان يمسسك بخير ايها الانسان
فهو على كل شيء قدير من دفع الضر وايصال الخير عن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما فقال لي يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك
اذا سالت فسل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان
ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعت على ان يضروك بشيء لم يضروك
الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت
الصحف اخرجه الترمذي زاد فيه رزين تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وفيه وان
استطعت ان تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل فان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا
كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين
قال ابن الاثير وقد جاء نحو هذا او مثله مطولا في مسند احمد بن حنبل قوله عز وجل وهو
القاهر فوق عباده يعني وهو الغالب لعباده القاهر لهم وهم مقهورون تحت قدرته وهو
القاهر والقهار ومعناه الذي يدبر خلقه بما يريد فيقع في ذلك ما يشق عليهم ويثقل
ويغم ويحزن ويفقر ويميت ويذل خلقه فلا يستطيع احد من خلقه رد تدبيره والخروج
من تحت قهره وتقديره وهذا معنى القاهر في صفة الله عز وجل لانه القادر القاهر الذي
لا يعجزه شيء اراده ومعنى فوق عباده هنا ان قهره قد استعلى على خلقه فهم تحت التسخير
والتذليل بما علاهم به من الاقتدار والقهر الذي لا يقدر احد على الخروج منه ولا
ينفك عنه فكل من قهر شيئا فهو مستعل عليه بالقهر والعلو وقال ابن جرير الطبري
معنى القاهر المتعبد خلقه العالي عليهم وانما قال فوق عباده لانه تعالى وصف نفسه
بقهره اياهم ومن صفة كل قاهر شيئا ان يكون مستعليا عليه فمعنى الكلام اذن والله الغالب
عباده المذلل لهم العالي عليهم بتذليله اياهم فهو فوقهم بقهره اياهم وهم دونه وقيل
فوق عباده هو صفة الاستعلاء الذي تفرد به الله عز وجل وهو الحكيم يعني في امره
وتدبير عباده الخبير يعني باعمالهم وما يصلحهم قوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قال
الكلبي اتى اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ارنا من يشهد انك رسول الله

فانا لا ندري احدا يصدقك ولقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر
فانزل الله عز وجل قل اي شيء اكبر شهادة ثم قال يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبونك
ويجحدون نبوتك من قومك اي شيء اكبر شهادة يعني اعظم شهادة فان هم اجابوك والا فقل انت
يا محمد الله شهيد بيني وبينكم قال مجاهد امر محمد صلى الله عليه وسلم ان يسال قريشا اي شيء اكبر
شهادة ثم امره ان يخبرهم فيقول الله شهيد بيني وبينكم يعني يشهد لي بالحق وعليكم بالباطل
الذي تقولوا والحاصل انهم طلبوا شاهدا مقبول القول ليشهد له بالنبوة فبين الله تعالى
بهذه الآية ان اكبر الاشياء شهادة هو الله تعالى ثم بين انه يشهد له بالنبوة وهو المراد بقوله
واوحي الي هذا القرآن لانذركم به يعني ان الله عز وجل يشهد لي بالنبوة لانه اوحى الي هذا
القرآن وهو معجز لانكم انتم الفصحاء البلغاء واصحاب اللسان وقد عجزتم عن معارضته فكان
معجزا واذا كان معجزا كان نزوله علي شهادة من الله باني رسوله وهو المراد بقوله لانذركم به يعني اوحي
الي هذا القرآن لاخوفكم به واحذركم مخالفة امر الله عز وجل ومن بلغ يعني وانذر من بلغه
القرآن ممن ياتي بعدي الى يوم القيامة من العرب والعجم وغيرهم من سائر الامم فكل من بلغ
اليه القرآن وسمعه فالنبي صلى الله عليه وسلم نذير له قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن
فكانما راى النبي صلى الله عليه وسلم وكلمه وقال انس بن مالك لما نزلت هذه الآية كتب رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر وكل جبار يدعوهم الى الله عز وجل خ عن عبد الله بن عمرو بن
العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ومن
كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار شرح ما يتعلق بهذا الحديث فيه
الامر بابلاغ ما جاء به صلى الله عليه وسلم الى من بعده من قرآن وسنة وقوله حدثوا عن بني اسرائيل
ولا حرج الحرج الضيق والاثم ومعنى الحديث انه مهما قلتم عن بني اسرائيل فانهم كانوا في حال اكثر
مما قلتم واوسع وليس في هذا اباحة الكذب في الاخبار عن بني اسرائيل لكن معناه
الرخصة في الحديث عنهم على معنى البلاغ وان لم يتحقق ذلك بنقل الاسناد فيتعذر لبعد
المسافة وطول المدة عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله
امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ اوعى له من سامع اخرجه الترمذي
وله عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرأ سمع منا حديثا
فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو افقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه عن
ابن عباس قال تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم اخرجه ابو داود موقوفا
وقوله تعالى ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين جحدوا
نبوتك واتخذوا آلهة غيري ائنكم ايها المشركون لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى يعني الاصنام
التي كانوا يعبدونها وانما قال اخرى لان الجمع يلحقه التانيث كما قال تعالى ولله الاسماء الحسنى
فما بال القرون الاولى ولم يقل الاول ولا الاولين قل لا اشهد يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين لا اشهد
بما تشهدون به ان مع الله آلهة اخرى بل اجحد ذلك وانكره قل انما هو اله واحد يعني معبود واحد
لا شريك له وبذلك اشهد وانني بريء مما تشركون يعني وانا بريء من كل شيء تعبدونه سوى الله وفي
هذه الآية دليل على اثبات التوحيد لله عز وجل وابطال كل معبود سواه لان كلمة انما تفيد

الحصر

الحصر ولفظ الواحد صريح في التوحيد لله عز وجل وابطال كل معبود ونفي الشريك فثبت بذلك ايجاب
التوحيد وسلب كل شريك والتبري من كل معبود سوى الله تعالى قال العلماء يستحب لمن اسلم ان ياتي بالشهادتين
ويتبرأ من كل دين خالف الاسلام لقوله تعالى وانني بريء مما تشركون قوله عز وجل الذين آتيناهم الكتاب
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم المراد بالذين اوتوا الكتاب علماء اليهود والنصارى الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك ان كفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انا سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم
ذكر وانكروا معرفته فبين الله عز وجل ان شهادته له كافية على صحة نبوته وتبين في هذه الآية انهم يعرفونه
وانهم كذبوا في قولهم انهم لا يعرفونه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة واسلم عبد الله بن سلام
قال له عمر بن الخطاب ان الله عز وجل انزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بمكة الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله بن سلام يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما اعرف ابني ولانا اشد معرفة
بمحمد صلى الله عليه وسلم مني بابني فقال عمر وكيف ذاك فقال اشهد انه رسول الله حقا ولا ادري ما يصنع
النساء وقوله تعالى الذين خسروا انفسهم يعني اهلكوا انفسهم وغبنوها واوبقوها في نار جهنم
بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي الذين خسروا انفسهم قولان احدهما انه صفة للذين ويكون المقصود من
ذلك وعيد المعاندين الذين يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم ويجحدون نبوته وهم كفار اهل الكتابين فهم
لا يؤمنون يعني به والقول الثاني انه كلام مبتدأ لا تعلق له بالاول وهم كفار مكة الذين لم يؤمنوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم فذكروا في معنى الخسار وجهين احدهما انه الهلاك الدائم الذي حصل لهم بسبب
كفرهم وانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والوجه الثاني انه جعل لكل واحد من بني آدم منزلا في الجنة
ومنزلا في النار فاذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل الكفار التي في الجنة وجعل للكفار
منازل المؤمنين التي في النار فذلك هو الخسران قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا يعني
ومن اشد عنادا واخطأ ضلالا واعظم كفرا ممن اختلق على الله كذبا فزعم ان له شريكا من
خلقه والها يعبد من دونه كما قاله المشركون من عبدة الاصنام او ادعى ان له صاحبة وولدا
كما قالت النصارى او كذب باياته يعني كذب بمحمد واعلام ادلته التي اعطاها رسله كما كذبت
اليهود بمعجزات الانبياء وقيل معناه او كذب بايات القرآن الذي انزله على محمد صلى الله عليه وسلم
انه لا يفلح الظالمون يعني انه لا ينجح القائلون على الله الكذب والمفترون عليه الباطل ويوم
نحشرهم جميعا اي اذكر يوم نحشر العابدين والمعبودين وهو يوم القيامة ثم نقول للذين اشركوا اين
شركاؤكم الذين كنتم تزعمون يعني انها تشفع لكم عند ربكم قوله عز وجل ثم لم تكن فتنتهم يعني قولهم
وجوابهم وقال ابن عباس معذرتهم والفتنة التجربة فلما كان سؤالهم تجربة لاظهار ما في قلوبهم
قيل له فتنة قال الزجاج في قوله ثم لم تكن فتنتهم معنى لطيف وذلك ان الرجل يفتتن بمحبوب
ثم تصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه فيقال لم تكن فتنته الا هذا كذلك الكفار فتنوا
بمحبة الاصنام ثم لما رأوا العذاب تبرأوا منها يقول الله تبارك ثم لم تكن فتنتهم في محبتهم للاصنام
الا ان تبرأوا منها وهو قوله تعالى الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وذلك اذا شاهدوا يوم
القيامة مغفرة الله تعالى لاهل التوحيد فيقول بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع
اهل التوحيد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على افواههم وتشهد جوارحهم عليهم بالشرك

والكفر قال الله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم يعني انظر يا محمد بعين البصيرة والتامل الى حال هولاء المشركين
كيف كذبوا على انفسهم يعني اعتذارهم بالباطل وتبريهم من الاصنام والشركاء الذين كانوا عليه واستعمالهم
الكذب مثل ما كانوا عليه في دار الدنيا وذلك لا ينفعهم وهو قوله وضل عنهم يعني زال عنهم وذهب
ما كانوا يفترون يعني ما كانوا يكذبون وهو قولهم ان الاصنام تشفع لهم وتنصرهم فبطل ذلك كله في ذلك اليوم
قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك الآية قال الكلبي اجتمع ابو سفيان صخر بن حرب وابو جهل بن هشام
والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وامية وابي ابنا خلف والحرث بن عامر
يستمعون القرآن فقالوا للنضر يا ابا قتيلة ما يقول محمد قال ما ادري ما يقول الا اني اراه يحرك لسانه
ويقول اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون
الماضية واخبارها فقال ابو سفيان اني لارى بعض ما يقول حقا فقال ابو جهل كلا لا نقر بشيء من هذا
وفي رواية الموت اهون علينا من هذا فانزل الله تعالى ومنهم من يستمع اليك يعني الى كلامك وقراءتك يا محمد وجعلنا
على قلوبهم اكنة يعني اغطية جمع كنان ان يفقهوه يعني لئلا يفقهوه وكراهة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا يعني ثقلا
في اذانهم وصمما وثقلا وفي هذا دليل على ان الله تعالى يقلب القلوب فيشرح بعضها للهدى والايمان فتقبله ويجعل
بعضها في اكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن به وان يروا كل آية يعني كل معجزة من المعجزات الدالة على صدقك
لا يؤمنوا بها يعني لا يصدقوا بها ولا يقروا انها دالة على صدقك حتى اذا جاءوك يجادلونك يعني انهم اذا رأوا الآيات
واستمعوا القرآن انما جاءوا اليك ليجادلوك ويخاصموك لا ليؤمنوا بها يقول الذين كفروا ان هذا اي ما هذا
القرآن الا اساطير الاولين يعني احاديث الاولين من الامم الماضية واخبارهم وقصصهم وما سطروا
يعني كتبوا والاساطير جمع اسطورة واسطارة وقيل واحدها سطر واسطار جمعه واساطير جمع
الجمع فعلى هذا القول قائل لم عابوا القرآن وجعلوه اساطير الاولين وقد سطر الاولون في كتبهم
الحكم والعلوم النافعة وما لا يعاب قائله واجيب عنه بانهم انما نسبوا القرآن الى اساطير الاولين يعني
انه ليس بوحي من الله تعالى وانما هو اخبار مجردة كما تروى اخبار الاولين وقيل في معنى اساطير الاولين
انها الترهات وهي عند العرب طرق غامضة ومسالك وعرة مشكلة يقول قائلهم اخذنا في الترهات
يعني عدلنا عن الطريق الواضح الى الطريق المشكل الذي لا يعرف فجعلت الترهات مثلا لما لا يعرف ولا يتضح
من الامور المشكلة الغامضة التي لا اصل لها قوله عز وجل وهم ينهون عنه يعني ينهون الناس عن اتباع
محمد صلى الله عليه وسلم وينأون عنه يعني ويتباعدون عنه بانفسهم نزلت في كفار مكة كانوا ينهون
الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن الاجتماع به وينهونهم عن استماع القرآن وكانوا هم كذلك وقال
ابن عباس نزلت في ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى المشركين عن اذى النبي صلى الله عليه وسلم ويمنعه منهم وينأى هو عنه
عن الايمان به يعني يبعد حتى روي انه اجتمع اليه رؤوس المشركين وقالوا له خذ شابا من اصبحهم وجها وادفع الينا محمدا
فقال ما انصفتموني ادفع اليكم ابني ليقتلوه واربي لكم ابنكم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا ابا طالب
الى الايمان فقال لولا تعيرني قريش لاقررت بها عينك ولكني اذب عنك ما حييت وقال في ذلك ابياتا وهي والله لن
يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وعرفت انك ناصحي ولقد صدقت وكنت ثم امينا وعرضت دينا قد علمت بانه من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا وقوله تعالى وان يهلكون الا انفسهم يعني بالرجع

وبالكفرهم ومعاصيهم الا عليهم وما يشعرون يعني بذلك قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار يعني في النار وقيل على
على موضع في كقوله على ملك سليمان اي في ملك سليمان وقيل معناه اذ عرضوا على النار وجواب لو محذوف
والمعنى ولو ترى الكفار الذين ينهون عنك وينأون عنك يا محمد في تلك الحالة لرأيت امرا عجيبا وموقفا
فضيحا فقالوا يعني الكفار يا ليتنا نرد يعني الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين
تمنوا ان يردوا الى الدنيا مرة اخرى حتى يؤمنوا ولا يكذبوا بآيات ربهم فرد الله عز وجل عليهم ذلك فقال
تعالى بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل يعني ليس الامر كما قالوا لو ردوا الى الدنيا لآمنوا بل ظهر لهم ما كانوا
يسرون في الدنيا من الكفر والمعاصي وقيل ظهر لهم ما كانوا يخفون من قولهم والله ربنا ما كنا مشركين
فاخفوا شركهم وكتموه فاظهره الله عليهم حين شهدت عليهم جوارحهم بما كتموا وستروا من شركهم
وقيل ظهر لهم ما اخفوا من الكفر فعلى هذا تكون الآية في المنافقين ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
وانهم لكاذبون يعني في قولهم لو رددنا الى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا وكنا من المؤمنين وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن
بمبعوثين وهذا خبر عن حال منكري البعث وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اخبر الكفار عن احوال القيامة واهوالها
وما اعد الله في الآخرة من الثواب للمؤمنين المطيعين وما اعد الله من العقاب للكفار والعاصين قالوا يعني الكفار
ان هي اي ما هي الا حياتنا الدنيا اي ليس لنا غير هذه الدنيا التي نحن فيها وما نحن بمبعوثين يعني بعد الموت
وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هذا خبر من الله عن هؤلاء الكفار الذين وقفوا على النار انهم لو ردوا الى الدنيا
لقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين قوله عز وجل ولو ترى اذ وقفوا على ربهم يعني على حكم ربهم وقضائه
ومسألته وقال مقاتل عرضوا على ربهم قال أليس هذا بالحق اي يقول الله لهم يوم القيامة أليس هذا البعث والنشر
بعد الموت الذي كنتم تنكرونه في الدنيا وتكذبون به وتقولون لا بعث ولا نشور حقا قالوا بلى وربنا
يعني انهم اعترفوا بما كانوا ينكرونه فاجابوا فقالوا بلى والله انه لحق وقيل تقول لهم خزنة النار بامر الله أليس
هذا بالحق يعني البعث حقا فاجابوا بقولهم قالوا بلى وربنا قال ابن عباس للقيامة مواقف ففي موقف
ينكرون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وفي موقف يعترفون بما كانوا ينكرونه في الدنيا قال فذوقوا
العذاب اي يقول الله لهم ذلك او الخزنة تقول لهم ذلك بامر الله تعالى وانما خص لفظ الذوق لانهم في كل حال
يجدون الم العذاب وجدان الذائق في شدة الاحساس بما كنتم تكفرون يعني هذا العذاب بسبب كفركم
وجحودكم البعث بعد الموت قوله تعالى قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يعني خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم
بالمصير الى الله وبالبعث بعد الموت وهذا الخسران هو فوت الثواب العظيم في دار النعيم المقيم وحصول العذاب
الاليم في دركات الجحيم حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة يعني جاءتهم القيامة فجأة وسميت القيامة ساعة لسرعة
الحساب فيها لان حساب الخلائق يوم القيامة يكون في ساعة او اقل من ذلك قالوا يعني منكري البعث
وهم كفار قريش ومن سلك سبيلهم في الكفر والاعتقاد يا حسرتنا يعني يا ندامتنا والحسرة التلهف
على الشيء الفائت وذكرت على وجه النداء للمبالغة والمراد تنبيه المخاطبين على ما وقع بهم من الحسرة
على ما فرطنا يعني قصرنا فيها يعني في الدنيا لانها موضع التفريط في الاعمال الصالحة والمعنى يا حسرتنا
على الاعمال الصالحة التي فرطنا فيها في الدنيا وقال محمد بن جرير الطبري الهاء والالف فيها تعود الى الصفقة
ولكن اكتفى بدلالة قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله عليها من ذكرها اذ كان معلوما ان الخسران لا يكون
الا في صفقة بيع قد جرت ومعنى الآية قد وكس الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم الايمان الذي يستوجبون به
رضوان الله وجنته بالكفر الذي يستوجبون به سخط الله وعقوبته وهم لا يشعرون بذلك حتى تقوم الساعة فاذا

جاءتهم الساعة بغتة ورأوا ما لحقهم من الخسران في بيعهم قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وروى
الطبري بسنده عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يا حسرتنا على ما فرطنا فيها قال يرى اهل النار
منازلهم من الجنة فيقولون يا حسرتنا وقوله تعالى وهم يحملون اوزارهم يعني اثقالهم على ظهورهم والاوزار
الخطايا والذنوب واصل الوزر الثقل والحمل يقال وزرته اذا حملته وانما قيل للذنوب اوزار لانها
تثقل ظهر من عملها قال قتادة والسدي ان المؤمن اذا اخرج من قبره استقبله احسن شيء صورة
واطيبه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الصالح فاركبني فقد طال ما ركبتك في الدنيا
فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا يعني ركبانا واما الكافر فيستقبله اقبح شيء صورة واسوأه
ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الخبيث طالما ركبتني في الدنيا فانا
اليوم اركبك فذلك معنى قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقال عمرو بن هانئ يحشر مع كل كافر عمله
في صورة رجل قبيح كلما رأى هولا من عمره زاده خوفا فيقول له بئس الجليس انت فيقول انا
عملك طالما ركبتني فلاركبنك اليوم حتى اخزيك على رؤوس الخلائق فيركبه ويتخطى به الناس حتى يقف
بين يدي ربه تعالى فذلك قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقال الزجاج الثقل كما يذكر في الوزر
فقد يذكر في الحال والصفة يقال ثقل علي كلام فلان بمعنى كرهته فالمعنى انهم يقاسون من عذاب
ذنوبهم مقاساة يثقل عليهم فعلى هذا القول يكون قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم مجازا ذكره
عما يقاسونه من شدة العذاب وقيل في معنى الاية ان اوزارهم لا تزايلهم كما تقول شخصه نصب عيني
اي ذكره ملازم لي الا ساء ما يزرون يعني بئس الشيء شيئا يحملونه وقال ابن عباس بئس الحمل
حملوا قوله عز وجل وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو يعني باطل وغرور لا بقاء لها وهذا فيه رد على منكري
البعث في قولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين فقال الله ردا عليهم ومكذبا لهم وما الحياة
الدنيا الا لعب ولهو وهل المراد بهذه الحياة حياة المؤمن او الكافر فيه قولان احدهما ان المراد
بها حياة الكافر لان المؤمن لا يزداد بحياته في الدنيا الا خيرا لانه يحصل في ايام حياته من الاعمال الصالحة
والطاعات ما يكون سببا لحصول السعادة في الاخرة واما الكافر فان كل حياته في الدنيا وبال عليه
قال ابن عباس يريد حياة اهل الشرك والنفاق والقول الثاني ان هذا عام في حياة المؤمن والكافر
لان الانسان يلتذ باللعب واللهو ثم عند انقضائه يحصل له الحسرة والندامة لان الذي كان فيه من
اللعب واللهو سريع الزوال لا بقاء له فبان بهذا التقرير ان المراد بهذه الحياة حياة المؤمن والكافر وانه
عام فيهما وانما شبه الحياة الدنيا باللعب واللهو لسرعة زوالها وقصر عمرها كالشيء الذي يلعب به
وقيل معناه ان امر الدنيا والعمل لها لعب ولهو فاما فعل الخير والعمل الصالح فهو من فعل الاخرة
وان كان وقوعه في الدنيا وقيل معناه وما اهل الحياة الدنيا الا اهل لعب ولهو لانه لا يجدي ولاشتغالهم
عما امروا به فنسبوا الى اللعب واللهو وقوله تعالى وللدار الاخرة يعني الجنة واللام فيه لام القسم تقديره والله
للدار الاخرة خير يعني من الدنيا وافضل لان الدنيا سريعة الزوال والانقطاع للذين يتقون يعني الشرك وقيل الاخرة م
يتقون اللعب واللهو افلا يعقلون ان الاخرة افضل من الدنيا فيعملون لها قوله تعالى قد نعلم انه
ليحزنك الذي يقولون يعني قد نعلم يا محمد انه ليحزنك الذي يقوله المشركون لك قال السدي التقى الاخنس
ابن شريق وابو جهل بن هشام فقال الاخنس لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام
كاذب فانه ليس هنا احد يسمع كلامك غيري فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن

اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فانزل الله
هذه الاية عن علي بن ابي طالب ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل قال م
الله فيهم فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون اخرجه الترمذي من طريقين في احدهما
وهذا اصح فمعنى هذه الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتعزية عما يواجهه به قومه لانهم كانوا يعتقدون
صدقه وانه ليس بكذاب وانما حملهم على تكذيبه في الظاهر الحسد والظلم فانهم لا يكذبونك
يعني انهم لا يكذبونك في السر لانهم قد عرفوا انك صادق ولكن الظالمين يعني الكافرين بايات
الله يجحدون يعني في العلانية وذلك انهم جحدوا القران بعد معرفة صدق الذي نزل عليه لعنادهم
وكفرهم كما قال تعالى في حق غيرهم وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقيل
ظاهر الاية يدل على انهم لم يكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم وانما جحدوا ايات الله وهو القران الدال
على صدقه فعلى هذا يكون المعنى فانهم لا يكذبونك لانهم قد عرفوا صدقك وانما جحدوا صحة نبوتك
ورسالتك قوله عز وجل ولقد كذبت رسل من قبلك يعني ولقد كذبت الامم الخالية رسلهم
كما كذبك قومك فصبروا على ما كذبوا واوذوا يعني ان الرسل عليهم السلام صبروا على تكذيب
قومهم اياهم وصبروا على اذاهم فاصبر انت يا محمد على تكذيب قومك واذاهم لك كما صبر من
كان قبلك من الرسل وهذا فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن عنه على تكذيب قومه
له واذاهم اياه حتى اتاهم نصرنا يعني باهلاك من كذبهم ولا مبدل لكلمات الله يعني ولا ناقض لما
حكم الله به من اهلاك المكذبين ونصر المرسلين كما قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي ولا خلف فيما وعد الله به
ولقد جاءك من نبإ المرسلين يعني ولقد انزلت عليك في القران من اخبار المرسلين ما فيه تسلية
لك وتسكين لقلبك وقال الاخفش من هنا صلة كما تقول اصابنا من مطر وقال غيره بل هي للتبعيض
لان الواصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصص بعض الانبياء واخبارهم كما قال تعالى منهم من
قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم ذكر ابن الجوزي
في سبب نزول هذه الاية ان الحارث بن عامر اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقال ائتنا
باية كما كانت الانبياء تاتي قومها بالايات فان فعلت امنا بك فنزلت هذه الاية رواه ابو صالح عن
ابن عباس ومعنى الاية وان كان عظم عليك يا محمد اعراض هؤلاء المشركين عنك وعن تصديقك والايمان
بك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على ايمان قومه اشد الحرص وكان اذا سالوه اية احب
ان يريهم الله ذلك طمعا في ايمانهم فقال الله عز وجل فان استطعت ان تبتغي يعني تطلب وتتخذ
نفقا في الارض يعني سربا في الارض والنفق سرب تحت الارض يخلص منه الى مكان اخر او سلما في السماء
يعني مصعدا الى السماء والسلم المصعد وهو مشتق من السلامة فتاتيهم باية يعني بالاية التي سالوك
عنها ومعنى الاية وان كان كبر وعظم عليك اعراضهم عن الايمان بك فان قدرت ان تذهب في الارض
او تصعد الى السماء فتاتيهم باية تدل على صدقك فافعل وانما حسن حذف جواب الشرط لانه معلوم
عند السامع والمقصود من هذا ان يقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعه عن ايمانهم ولا يتاذى بسبب
اعراضهم عنه وعن الايمان به ويدل عليه قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اخبر الله عز وجل انه

صلى الله عليه وسلم لانهم تركوا الايمان واعرضوا عنه واقبلوا على الكفر بمشيئة الله تعالى ونافذ قضائه فيهم ولو
لو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين يعني بان لو شا الله لجمعهم على الهدى ويومن بك بعضهم
دون بعض وقيل معناه لا تشتد تحسرك على تكذيبهم ولا تجزع من اعراضهم عنك فتقارب حال الجاهلين
الذين لا صبر لهم وانما نهاه عن هذه الحالة وغلظ له الخطاب تبعيدا له عن هذه الحالة قوله عز وجل انما يستجيب
الذين يسمعون يعني المومنين الذين فتح الله اسماع قلوبهم فهم يسمعون الحق ويستجيبون له ويتبعونه وينتفعون
به دون من ختم الله على سمع قلبه وهو قوله والموتى يعني الكفار الذين لا يسمعون ولا يستجيبون
يبعثهم الله يعني يوم القيمة ثم اليه يرجعون فيجزيهم باعمالهم وقالوا يعني روسا كفار قريش لولا يعني هلا
نزل عليه آية من ربه يعني الملك يشهد لمحمد بالنبوة وقيل المراد من الآية المعجزة الباهرة كمثل معجزات
الانبيا قل يعني قل لهم يا محمد ان الله قادر على ان ينزل آية يعني انه تعالى قادر على ايجاد ما طلبوه وانزال
ما اقترحوه من الآيات والمعجزات الباهرات ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني ماذا عليهم في انزالها من العذاب
ان لم يومنوا بها وقيل معناه انهم لا يعلمون ان الله قادر على انزال الآيات وقيل انهم لا يعلمون وجه
المصلحة في انزالها قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم قال العلما
جميع ما خلق الله عز وجل لا يخرج عن هاتين الحالتين اما ان يدب على الارض او يطير في الهوا حتى
الحقوا حيوان الما بالطير لان الحيتان تسبح في الما كما ان الطير يسبح في الهوا وانما خص ما في الارض
بالذكر دون ما في السما وان كان ما في السما مخلوقات لكن الاحتجاج بالمشاهد اظهر واولى مما لا يشاهد
وانما ذكر الجناح في قوله بجناحيه للتاكيد كقولك كتبت بيدي ونظرت بعيني الا امم امثالكم
قال مجاهد اي اصناف مصنفة تعرف باسمائها يريد ان كل جنس من الحيوان امة فالطير
امة والدواب امة والسباع امة تعرف باسمائها مثل بني آدم يعرفون باسمائهم كما يقال الانس والناس
ويدل على ان كل جنس من الدواب امة ما روي عن عبد الله بن مغفل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا
ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها فاقتلوا منها كل اسود بهيم اخرجه ابو داود والترمذي
والنسائي فان قلت ثبت بالآية والحديث ان الدواب والطير امم امثالنا وهذه المماثلة لم تحصل
من كل الوجوه فيما يظهر لنا فما وجه هذه المماثلة قلت اختلف العلما في وجه هذه المماثلة فقيل
ان هذه الحيوانات تعرف الله وتوحده وتسبحه وتصلي له كما انكم تعرفون الله وتوحدونه وتسبحونه
وتصلون له وقيل انها مخلوقة لله كما انكم مخلوقون لله عز وجل وقيل انهم يفهم بعضهم بعضا
عن بعض ويالف بعضها بعضا كما ان جنس الانسان يالف بعضهم ويفهم بعضهم عن بعض
وقيل امثالكم في طلب الرزق وتوقي المهالك ومعرفة الذكر والانثى وقيل امثالكم في الخلق والموت
والبعث بعد الموت للحساب حتى يقتص للجما من القرنا وهو قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من
شي يعني في اللوح المحفوظ لانه يشتمل على جميع احوال المخلوقات وقيل ان المراد بالكتاب القرآن
يعني ان القرآن مشتمل على جميع الاحوال ثم الى ربهم يحشرون يعني الدواب والطير قال ابن عباس
حشرها موتها وقال ابو هريرة يحشر الله تعالى الخلق كلهم يوم القيمة البهائم والدواب والطير وكل شي
فياخذ للجما من القرنا ثم يقول كوني ترابا م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتودن الحقوق الى
اهلها يوم القيمة حتى يقاد للشاة الجلحا من الشاة القرنا قوله عز وجل والذين كذبوا باياتنا يعني بالقرآن
وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كذبوا بحجج الله وادلته على توحيده صم يعني عن سماع الحق وبكم يعني

ل

عن النطق به والمعنى انهم في حال كفرهم وتكذيبهم كمن لا يسمع ولا يتكلم ولهذا اشبه الكفار بالموتى لان
الميت لا يسمع ولا يتكلم ولهذا شبه الكفار بالموتى لان الميت لا يسمع ولا يتكلم في الظلمات يعني
في ظلمة الكفر حايرين مترددين فيها لا يهتدون سبيلا من يشا الله يضلله يعني عن الايمان
ومن يشا يجعله على صراط مستقيم يعني ومن يشا الله يجعله على دين الاسلام وفي هذا دليل على ان
الهادي والمضل هو الله تعالى فمن احب هدايته وفقه بفضله واحسانه للايمان به ومن احب
ضلالته تركه على كفره وذلك عدل منه لانه تعالى هو الفاعل المختار لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قوله تعالى
قل ارايتكم يعني قل يا محمد لهولا الكفار الذين تركوا عبادة الله عز وجل وعبدوا غيره من الاصنام
اخبروني تقول العرب ارايتك بمعنى اخبرنا عن حالك واصله ارايتم والكاف فيه للتاكيد ان اتاكم
عذاب الله يعني قبل الموت مثل ما نزل بالامم الماضية الكافرة من الغرق والخسف والمسخ والصواعق
ونحو ذلك من العذاب او اتتكم الساعة يعني القيمة اغير الله تدعون يعني في كشف العذاب عنكم
ان كنتم صادقين يعني في دعواكم ومعنى الآية ان الكفار كانوا اذا نزل بهم شدة وبلا رجعوا الى الله
بالتضرع والدعا وتركوا الاصنام فقيل لهم اترجعون الى الله في حال الشدة والبلا ولا تعبدونه
ولا تطيعونه في حال اليسر والرخا بل اياه تدعون يعني بل تدعون الله ولا تدعون غيره في كشف
ما نزل بكم فيكشف ما تدعون اليه ان شا يعني فيكشف الضر الذي من اجله دعوتموه وانما
قيد الاجابة بالمشية رعاية للمصلحة وان كانت الامور كلها بمشية الله تعالى وتنسون ما
تشركون يعني وتتركون دعا الاصنام التي تعبدونها فلا تدعونها لعلمكم انها لا تضر ولا تنفع وقيل
معناه انكم في ترككم دعا الاصنام بمنزلة من قد نسيها وهذا معنى قول الحسن لانه قال تعرضون
عنها اعراض الناسي لها قوله تعالى ولقد ارسلنا الى امم من قبلك في الآية محذوف والتقدير ولقد
ارسلنا الى امم من قبلك يا محمد رسلا فخالفوهم وكفروا وحسن هذا الحذف لكونه معلوما عند
السامع فاخذناهم بالباسا يعني بالفقر الشديد واصله من البوس وهو الشدة والمكروه وقيل الباسا
شدة الجوع والضرا يعني الامراض والاوجاع والزمانة والخراجه وهي الذلة ومقصود الآية ان الله اعلم نبيه محمدا صلى
الله عليه وسلم انه قد ارسل من قبله رسلا الى اقوام بلغوا في القوة الى ان اخذوا بالباسا والضرا وهي الشدة في النفس
والمال فلم يخضعوا ولم يتضرعوا وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فلولا يعني فهلا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه
نفي التضرع اي فلم يتضرعوا ولكن قست قلوبهم يعني ولكن غلظت قلوبهم فلم تخضع ولم تخشع بل اقاموا على كفرهم وتكذيبهم
رسلهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون يعني من الكفر والتكذيب وزين لهم الشيطان واغواهم بالمعصية من
اللذة قال ابن عباس يريد زين الشيطان الضلالة التي كانوا عليها فاصروا على معاصي الله قوله تعالى فلما نسوا
ما ذكروا به اي تركوا ما وعظوا به وقيل تركوا العمل بما امرتهم به الرسل وانما كان النسيان بمعنى الترك لان
التارك للشي معرضا عنه كانه قد صيره بمنزلة ما قد نسي فتحنا عليهم ابواب كل شي يعني مكان الباسا
الرخا والسعة في الرزق والعيش ومكان الضرا الصحة والسلامة في الابدان والاجسام وذلك استدراجا
منه لهم وقيل فتحنا عليهم ابواب كل شي من الخير كان مغلقا عنهم حتى اذا فرحوا بما اوتوا يعني فرحوا
بما اوتوا من السعة والرخا والصحة في الابدان والمعيشة وظنوا ان ما كان نزل بهم من الشدة لم يكن
انتقاما من الله ولما فتح عليهم ما فتح من الخير والسعة فرحوا به وظنوا ان ذلك باستحقاقهم [illegible]

لعلهم يتضرعون

فرحوا بطر كما فرح قارون بما اوتي من الدنيا اخذناهم بغتة يعني جاءهم عذابنا فجاة من حيث لا يشعرون قال الحسن ابلاس
مكر بالقوم ورب الكعبة وقال اهل المعاني انما اخذوا في حال الرخاء والسلامة ليكون اشد لتحسرهم على ما فاتهم من
حال السلامة والعافية وضروب اللذة فاخذهم في امن ما كانوا واعجب ما كانت الدنيا اليهم فاذا هم مبلسون
اي ايسون من كل خير وقال الفراء المبلس اليائس المنقطع رجاؤه ولذلك يقال لمن سكت عند انقطاع حجته
ولا يكون له جواب قد ابلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحزن والحسرة وقال ابو عبيدة المبلس النادم الحزين
والابلاس هو الاطراق من الحزن والندم روى عن عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رايت الله يعطي
العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك استدراج ثم تلى فلما نسوا ما ذكروا به الاية ذكره البغوي بغير
سند واسنده الطبري وقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا يعني بقطع اخر الذي يدبرهم يقال دبر فلان القوم اذا كان
اخرهم والمعنى انهم استوصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية والحمد لله رب العالمين قال الزجاج حمد الله نفسه على
ان قطع دابرهم واستاصل شافتهم ومعنى هذا ان قطع دابرهم نعمة انعم الله بها على الرسل الذين ارسلوا اليهم
فكذبوهم فذكر الحمد تعليم للرسل ولمن امن بهم ليحمدوا الله تعالى على كفايته اياهم شر الذين ظلموا وليحمد محمد صلى الله عليه وسلم
واصحابه ربهم اذا اهلك المشركين المكذبين وقيل معناه الثناء الكامل والشكر الدائم لله رب العالمين على انعامه
على رسله واهل طاعته باظهار حجتهم على من خالفهم واهلاك اعدائهم واستيصالهم بالعذاب قوله تعالى
قل ارايتم اي قل يا محمد لهؤلاء ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم يعني الذي تسمعون بها فاصمكم حتى لا تسمعوا
واخذ ابصاركم التي تبصرون بها فاعماكم حتى لا تبصروا شيئا اصلا وختم على قلوبكم يعني حتى لا تفهموا
شيئا اصلا ولا تعرفوا شيئا مما تعرفون من امور الدنيا وانما ذكر هذه الاعضاء الثلاثة لانها اشرف اعضاء
الانسان فاذا تعطلت هذه الاعضاء الثلاثة لامر من اختل نظام الانسان وفسد امره وبطلت مصالحه
في الدين والدنيا ومقصود هذا الكلام ذكر ما يدل على وجود الصانع الحكيم المختار وتقرير ان القادر
على ايجاد هذه الاعضاء واخذها هو الله تعالى المستحق للعبادة لا الاصنام التي تعبدونها وهو
قوله من اله غير الله ياتيكم به يعني ياتيكم بما اخذ منكم لان الضمير في به يعود على معنى الفعل ويجوز ان يعود على
السمع الذي ذكر ولا يندرج تحته غيره انظر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره اي انظر يا محمد كيف
نصرف الايات يعني نبين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة ثم هم يصدفون يعني يعرضون عنها مكذبين
لها قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة يعني فجاة او جهرة يعني معاينة ترونه عند نزوله قال ابن عباس ليلا
او نهارا هل يهلك الا القوم الظالمون يعني المشركون لانهم ظلموا انفسهم بالشرك قوله وما نرسل المرسلين
الا مبشرين ومنذرين يعني لمن اقام على كفره بالعقاب والمعنى ليس في ارسالهم ان ياتوا الناس بما يقترحون عليهم عن لمن امن بالثواب
من الايات انما ارسلوا بالبشارة والنذارة فمن امن واصلح يعني امن بهم واصلح العمل لله فلا خوف عليهم يعني
حين يخاف اهل النار ولا هم يحزنون اذا حزن غيرهم والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب يعني
يصيبهم العذاب بما كانوا يفسقون يعني بسبب ما كانوا يكفرون ويخرجون عن الطاعة قوله تعالى
قل لا اقول لكم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين لا اقول لكم عندي خزائن الله نزلت
حين اقترحوا عليه من الايات فامره الله تعالى ان يقول لهم انما بعثت بشيرا ونذيرا ولا اقول لكم عندي
خزائن الله جمع خزانة وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء وخزن الشيء احرازه بحيث لا تناله الايدي
والمعنى ليس عندي خزائن رزق فاعطيكم منها ما تريدون لانهم كانوا يقولون له ان كنت صلى الله عليه وسلم

ان كنت رسولا من الله فاطلب منه ان يوسع علينا عيشنا ويغني فقرنا فاخبر ان ذلك بيد الله تعالى لا بيدي
ولا اعلم الغيب يعني فاخبركم بما مضى وما سيقع في المستقبل وذلك انهم قالوا له اخبرنا بمصالحنا ومضارنا
في المستقبل حتى نستعد لتحصيل المصالح ودفع المضار فاجابهم بقوله ولا اعلم الغيب فاخبركم بما تريدونه
ولا اقول لكم اني ملك وذلك لانهم قالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق ويتزوج النساء فاجابهم بقوله
ولا اقول لكم اني ملك لان الملك يقدر على ما لا يقدر عليه البشر ويشاهد ما لا يشاهدون فلست اقول شيئا
من ذلك ولا ادعيه فتنكرون قولي وتجحدون امري وانما نفى عن نفسه الشريفة هذه الاشياء تواضعا
لله تعالى واعترافا له بالعبودية وان لا يقترحوا عليه الايات العظام ان اتبع الا ما يوحى الي يعني ما اخبركم
الا بوحي من الله تعالى انزله علي ومعنى الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم اعلمهم انه لا يملك خزائن الله التي منها
يرزق ويعطي وانه لا يعلم الغيب فيخبر بما كان وما سيكون وانه ليس بملك حتى يطلع على ما لا يطلع عليه البشر
انما يتبع ما يوحى اليه من ربه فما اخبرهم من غيب فبوحي الله اليه وظاهر الاية يدل على ان الرسول ما كان يجتهد
في شيء من الاحكام بل جميع اوامره ونواهيه انما كانت بوحي من الله تعالى اليه قل هل يستوي الاعمى والبصير
يعني المومن والكافر والضال والمهتدي والعالم والجاهل افلا تتفكرون يعني انهما لا يستويان قوله
وانذر به يعني وخوف بالقران والانذار اعلام مع تخويف الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم قال ابن عباس
يريد المومنين لانهم يخافون يوم القيمة وما فيه من شدة الاهوال وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد
بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكتابي وانما خص الذين يخافون الحشر بالذكر دون غيرهم وان كان انذاره
عليه السلام لجميع الخلائق لان الحجة عليهم اوكد من غيرهم لاعترافهم بصحة المعاد والحشر وقيل المراد
بهم الكفار لانهم لا يعتقدون صحته ولذلك قال يخافون ان يحشروا الى ربهم وقيل المراد بالانذار جميع الخلق
فيدخل فيه كل مومن معترف بالحشر وكل كافر منكر له لانه ليس احد الا وهو يخاف الحشر سواء اعتقد
وقوعه او كان يشك فيه ولان دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وانذاره لجميع الخلق ليس لهم من دونه يعني
من دون الله ولي ولا شفيع اي قريب ينفعهم او شفيع يشفع لهم وهذا فيه اشكال وهو ان فسرنا الذين
يخافون ان يحشروا الى ربهم ان المراد بهم الكفار فلا اشكال فيه لقوله وما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع
وان فسرنا الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ان المراد بهم المومنين ففيه الاشكال لانه قد ثبت بصحيح
النقل شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم للمذنبين من امته وكذلك تشفع الملائكة والانبياء والمومنون
بعضهم لبعض والجواب عن هذا الاشكال ان الشفاعة لا تكون الا باذن الله لقوله من ذا الذي يشفع
عنده الا باذنه فاذا كانت الشفاعة باذن الله صح قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع يعني حتى ياذن لهم
في الشفاعة فاذا اذن فيها كان للمومنين ولي وشفيع لعلهم يتقون يعني ما نهيتهم عنه قوله تعالى
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه قال سلمان وخباب بن الارت فينا
نزلت هذه الاية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وهما من المولفة قلوبهم فوجدوا
النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع صهيب وبلال وعمار وخباب في نفر من ضعفاء المومنين فلما راوهم
حوله حقروهم فاتوه فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد ونحيت عنا هولاء وارواح جبابهم
وكان عليهم جباب صوف لها رائحة ليس عليهم غيرها لجالسناك واخذنا عنك فقال عليه السلام ما انا
بطارد المومنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تاتيك
فنستحيي ان ترانا العرب مع هولاء الاعبد فاذا نحن جيناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعدهم ان شئت قال

نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا قال فاتي بالصحيفة ودعا عليا ليكتب قال ونحن قعود في ناحية
اذ نزل جبريل عليه السلام بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الى قوله اليس الله باعلم بالشاكرين فالقى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعانا فاتيناه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة
فكنا نقعد معه فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي الاية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد ذلك وندنو منه حتى كادت ركبنا تمس ركبته
فاذا بلغ الساعة التي يريد ان يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان
اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات وروي عن سعد بن ابي وقاص قال كنا مع النبي صلى
الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء لا يجترؤن علينا قال وكنت انا
وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست اسميهما فوقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم ما
شاء الله ان يقع فحدث نفسه فانزل الله ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية اخرجه مسلم وقال الكلبي
قالوا له يعني اشراف قريش اجعل لنا يوما ولهم يوما قال لا افعل قالوا فاجعل المجلس واحدا واقبل
علينا وول ظهرك اليهم فانزل الله هذه الاية قال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن ام عبد يعني ابن مسعود
لبايعناك فانزل الله تعالى هذه الاية وقال ابن مسعود مر ملا من قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم وعنده
صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد رضيت بهؤلاء من قومك هؤلاء الذين من
الله عليهم من بيننا انحن نكون تبعا لهؤلاء اطردهم فلعلك ان طردتهم ان نتبعك فنزلت هذه الاية وقال عكرمة
جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحرث بن نوفل في اشراف بني عبد مناف من اهل
الكفر الى ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا طالب لو ان ابن اخيك يطرد عنه موالينا وحلفاءنا فانما
هم عبيدنا وعتقاؤنا كان اعظم في صدورنا واطوع له عندنا وادنى لاتباعنا اياه وتصديقنا له قال فاتى
ابو طالب النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه به فقال عمر بن الخطاب لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون
والى ما يصيرون من قولهم فانزل الله هذه الاية وانذر به الذين يخافون الاية فجاء عمر فاعتذر من مقالته قلت
من هذه الروايات والرواية الاولى التي عن سلمان وخباب بن الارت فرق كبير وبعد عظيم وهو اسلام سلمان كان
وكان بالمدينة وكان اسلام المؤلفة قلوبهم بعد الفتح وسورة الانعام مكية والصحيح ما روي عن ابن مسعود والكلبي
وعكرمة ويعضده في ذلك حديث سعد بن ابي وقاص المخرج في صحيح مسلم ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
اطرد هؤلاء يعني ضعفاء المسلمين والله اعلم واما معنى الاية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعني لا تطرد هؤلاء الضعفاء عنك ولا تبعدهم عن مجلسك لاجل ضعفهم وفقرهم
وصفهم فقال تعالى الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس يعني يعبدون ربهم بالغداة والعشي
يعني صلاة الصبح وصلاة العصر ويروى عنه ان المراد منه الصلوات الخمس وانما ذكر هذين الوقتين تنبيها
على شرفهما ولانهم مواظبين عليها مع بقية الصلوات وان الصلاة تشتمل على القراءة والدعاء فيعبر بالدعاء
عن الصلاة بهذا المعنى قال مجاهد صليت مع سعيد بن المسيب فلما سلم الامام ابتدر الناس القاص فقال سعيد ما
اسرع الناس الى هذا المجلس قال مجاهد فقلت يتاولون قوله يدعون ربهم بالغداة والعشي قال او في هذا
هو انما هو في الصلاة التي انصرفنا عنها الان وقال ابن عباس ان ناسا من الفقراء كانوا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ناس من اشراف الناس لك فاذا صليت فاخر هؤلاء الذين معك فليصلوا خلفنا وقيل
المراد منه حقيقة الدعاء والذكر والمعنى انهم يذكرون ربهم ويدعونه طرفي النهار يريدون وجهه يعني يطلبون بذلك

ابتدر الناس

وجه الله مخلصين في عبادتهم له وقال ابن عباس يعني يطلبون ثواب الله ما عليك من حسابهم
من شيء وما من حسابك عليهم من شيء لا تكلف امرهم ولا يكلفون امرك وقيل ليس عليك حساب رزقهم
فتملهم وتطردهم عنك ولا رزقك عليهم انما الرازق لجميع الخلق هو الله فلا تطردهم عنك فتطردهم فتكون
من الظالمين جواب النهي وهو قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء
عليهم السلام بهذه الاية فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هم بطرد الفقراء عن مجلسه لاجل الاشراف عاتبه الله
تعالى عن ذلك ونهاه عن طردهم وذلك يقدح في العصمة وقوله فتطردهم فتكون من الظالمين والجواب عن
هذا الاحتجاج ان النبي صلى الله عليه وسلم ما طردهم ولا هم بطردهم لاجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم
وانما كان هذا الهم لمصلحة وهو التلطف بهؤلاء الاشراف في ادخالهم في الاسلام فكان ترجيح هذا الجانب
اولى وهو اجتهاد منه فاعلمه الله ان ادنى هؤلاء الفقراء اولى من الهم بطردهم فقربهم وادناهم واما
قوله فتطردهم فتكون من الظالمين ان الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه فيكون المعنى ان اولئك
الفقراء الضعفاء يستحقون التعظيم والتقريب فلا تهم بطردهم منك فتضع الشيء في غير موضعه فهو من
باب ترك الافضل والاولى لا من ترك الواجبات والله تعالى اعلم قوله تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض
يعني وكذلك ابتلينا الغني بالفقير والفقير بالغني والشريف بالوضيع والوضيع بالشريف فكل احد مبتلى
بضده فكان ابتلاء الاغنياء الشرفاء حسدهم لفقراء الصحابة على كونهم سبقوهم الى الاسلام وتقدموا
عليهم فامتنعوا من الدخول في الاسلام لذلك فكان ذلك فتنة وابتلاء لهم واما فتنة الفقراء
بالاغنياء فلما يرون من سعة رزقهم وخصب عيشهم فكان ذلك فتنة وابتلاء لهم ليقولوا يعني
الاغنياء والشرفاء والرؤساء اهؤلاء من الله عليهم من بيننا يعني من على الفقراء والضعفاء
بالاسلام ومتابعة الرسول عليه السلام وهذا اعتراض من الكفار على الله تعالى فاجابهم بقوله اليس الله
باعلم بالشاكرين يعني انه تعالى اعلم بخلقه وباحوالهم واعلم بالشاكرين من الكافرين واذا جاءك الذين
يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم قال عكرمة نزلت في الذين نهى الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن
طردهم فكان عليه السلام اذا راهم بداهم بالسلام وقال عطاء نزلت في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال
وسالم ومصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والارقم بن ابي الارقم وابي سلمة
ابن عبد الاسد وقيل ان الاية على اطلاقها في كل مؤمن وقيل لما جاء عمر بن الخطاب واعتذر من
مقالته التي تقدمت في رواية عكرمة وقال ما اردت الا الخير نزلت هذه الاية كتب ربكم على نفسه
الرحمة وهذا يفيد الوجوب وسبب هذا انه سبحانه وتعالى متصرف في عباده كيف شاء واراد فاوجب
على نفسه الرحمة على سبيل الفضل والكرم لانه اكرم الاكرمين وارحم الراحمين انه من عمل منكم
سوءا بجهالة قال مجاهد كل من عمل ذنبا او خطيئة فهو بها جاهل واختلفوا في سبب هذا الجهل
فقيل لانه جاهل بمقدار ما استحقه من العقاب وما فاته من الثواب وقيل انه وان علم ان عاقبة
ذلك السوء والفعل القبيح مذمومة الا انه اثر اللذة العاجلة على الخير الكثير الاجل ومن اثر القليل
على الكثير فهو جاهل وقيل انه لما فعل فعل الجهال نسب الى الجهل وان لم يكن جاهلا ثم تاب من
بعده يعني من بعد ارتكابه ذلك السوء ورجع عنه واصلح يعني واصلح العمل في المستقبل وقيل
اخلص توبته وندم على فعله فانه غفور رحيم يعني لمن تاب من ذنوبه رحيم بعباده قال خالد
ابن دينار كنا اذا دخلنا على ابي العالية قال واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم الاية

يعني تطردهم عنك وعن مجلسك فتكون
فتطردهم جواب النفي وهو قوله
ما عليك من حسابهم من شيء و
فتكون من الظالمين

يعني رجع عن كلامه

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم ليستتر ببعض من العري
وقارئ يقرأ علينا اذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فلما قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كنتم
تصنعون قلنا يا رسول الله كان قارئ لنا يقرأ علينا وكنا نستمع الى كتاب الله عز وجل فقال عليه السلام الحمد لله الذي
جعل في امتي من امرت ان اصبر نفسي معهم وجلس عليه السلام وسطنا ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده هكذا
فتحلقوا وبرزت وجوههم قال فما رايت النبي صلى الله عليه وسلم عرف منهم احدا غيري ثم قال عليه السلام ابشروا يا معشر
صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيمة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة عام اخرجه ابو داود
وقوله تعالى وكذلك نفصل الايات يعني وكما فصلنا لك يا محمد في هذه السورة دلائلنا على صحة التوحيد وابطال
ما هو اهل الباطل وليستبين قرئ بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ولتظهر لك الحجة يا محمد وليتبين لك سبيل
المجرمين يعني طريق هؤلاء المجرمين وقرئ بالياء على الغيبة ومعناه وليظهر وليتضح سبيل المجرمين يوم القيمة
اذا صاروا الى النار قوله تعالى قل اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله يعني
نهيت ان اعبد الاصنام التي تعبدونها انتم من دون الله وقيل تدعونها عند شدائدكم من دون الله لانها جمادات
اخس من ان تعبد او تدعى وانما كانوا يعبدونها على سبيل الهوى وهو قوله قل لا اتبع اهواءكم يعني في عبادة
الاصنام وطرد الفقراء قد ضللت اذا يعني ان عبدتها وما انا من المهتدين يعني لو عبدتها قل اني يعني قل يا محمد
لهؤلاء المشركين اني على بينة من ربي قال ابن عباس يعني على يقين من ربي وقيل البينة الدلالة التي تفصل
بين الحق والباطل والمعنى اني على بيان وبصيرة على عبادة ربي وكذبتم به يعني وكذبتم بالبيان الذي جئت به
من عند ربي وهو القرآن والمعجزات الباهرات والبراهين الواضحات التي تدل على صحة التوحيد وفساد الشرك
ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم نزول العذاب عليهم وكانوا يستعجلونه
به استهزاء وكانوا يقولون يا محمد ائتنا بما تعدنا يعني من نزول العذاب فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان
يقول لهم ما عندي ما تستعجلون به لان انزال العذاب لا يقدر عليه الا الله ولا يقدر احد على تقديمه ولا تاخيره
وقيل كانوا يستعجلون بالايات التي طلبوها واقترحوها فاعلم الله ان ذلك عنده ليس عند احد من خلقه
وقيل كانوا يستعجلون بقيام الساعة ومنه قوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ان الحكم الا لله يعني
الحكم الذي يفصل به بين الحق والباطل والثواب للطائع والعقاب للعاصي اي ما الحكم المطلق الا لله ليس
معه حكم فهو يفصل بين المختلفين ويقضي بانزال العذاب اذا شاء يقص الحق قرئ بالصاد المهملة ومعناه
يقول الحق لان كل ما اخبر به فهو حق وقرئ يقض بالضاد المعجمة من القضاء يعني انه تعالى يقضي القضاء الحق
وهو خير الفاصلين يعني وهو خير من بين وفصل وميز بين الحق والباطل لانه لا يقع في حكمه وقضائه جور
ولا حيف على احد من خلقه قل لو ان عندي ما تستعجلون به من انزال العذاب والاستعجال المطالبة بالشيء
قبل وقته فلذلك كانت العجلة مذمومة والاسراع تقديم الشيء في وقته فلذلك كانت السرعة محمودة والمعنى
قل يا محمد لهؤلاء المشركين المستعجلين لنزول العذاب لو ان عندي ما تستعجلون به لما امهلتكم ساعة ولكن الله حليم ذو
اناة لا يعجل بالعقوبة قوله تعالى لقضي الامر بيني وبينكم يعني لانفصل ما بيني وبينكم ولاتاكم ما تستعجلون به من العذاب
والله اعلم بالظالمين يعني انه اعلم بما يستحقونه من العذاب والوقت الذي يستحقونه فيه وقيل علم انه سيؤمن بعض
من كان يستعجل بالعذاب فلذلك اخره عنهم وقال والله اعلم بالظالمين وباحوالهم قوله تعالى وعنده مفاتح
الغيب المفتاح الذي يفتح به الاغلاق جمعه مفاتيح ويقال فيه مفتح بكسر الميم وجمعه مفاتح فقوله وعنده مفاتح
الغيب يحتمل ان يكون المراد منه المفاتح التي يفتح بها ويحتمل ان يكون المراد منه خزائن فعلى التفسير الاول

فقد جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح هي التي يتوصل بها الى ما في الخزائن المستوثق منها بالاغلاق
فمن علم كيف يفتح بها ويتوصل الى ما فيها فهو عالم وكذلك هاهنا ان الله تعالى لما كان عالما بجميع المعلومات ما غاب منها
وما لم يغب عبر عن هذه بهذه العبارة وعلى التفسير الثاني يكون المعنى وعنده خزائن الغيب والمراد منه القدرة
الكاملة على كل الممكنات ثم اختلفت اقوال المفسرين في قوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو فقيل مفاتح
الغيب خمس لا يعلمها الا الله لا يعلم احد ما يكون في غد الا الله ولا يعلم احد ما يكون في الارحام الا الله ولا تعلم نفس ماذا تكسب
غدا الا الله ولا تدري نفس باي ارض تموت ولا يدري احد متى يجيء المطر وفي رواية اخرى لا يعلم ما تغيض الارحام الا الله
ولا يعلم ما في غد الا الله ولا يعلم متى ياتي المطر احد الا الله ولا تدري نفس باي ارض تموت الا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة الا الله
اخرجه البخاري وقال الضحاك ومقاتل مفاتح الغيب خزائن الارض وعلم نزول العذاب وقال عطاء هو ما غاب عنكم
من الثواب والعقاب وقيل هو انقضاء الاجال وعلم احوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم اعمالهم وقيل
هو علم ما لم يكن بعد ان يكون ام لا يكون وما يكون كيف يكون وما لا يكون ان لو كان كيف يكون وقال ابن مسعود اوتي نبيكم عليه السلام
علم كل شيء الا مفاتح الغيب وقال ابن عباس انها خزائن غيب السموات والارض من الاقدار والارزاق ويعلم ما
في البر والبحر قال مجاهد البر المفاوز والقفار والبحر القرى والامصار لا يحدث فيهما شيء الا يعلمه وقال جمهور المفسرين
هو البر والبحر المعروف لان جميع الارض اما بر واما بحر وفي كل واحد منهما من العجائب مصنوعاته وغرائب
مبتدعاته ما يدل على عظيم قدرته وسعة علمه وما تسقط من ورقة الا يعلمها يريد ساقطة وثابتة والمعنى
انه يعلم عدد ما يسقط من الورق وما يبقى على الشجر من ذلك ويعلم كم انقلبت ظهرا لبطن الى ان تسقط على الارض
ولا حبة في ظلمات الارض قيل هو الحب المعروف يكون في الارض قبل ان ينبت وقيل هي الحبة التي في الصخرة
التي في اسفل الارض ولا رطب ولا يابس قال ابن عباس الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء يريد ما
ينبت وما لا ينبت وقيل المراد بالرطب الحي واليابس الميت وقيل هو عبارة عن كل شيء لان جميع الاشياء
اما رطبة واما يابسة فان قلت لما قال تعالى وعنده مفاتح الغيب على سبيل الاجمال اي جميع هذه
الاشياء داخلة تحت قوله وعنده مفاتح الغيب فلم افرد هذه الاشياء بالذكر وما فائدة ذلك قلت
لما قال تعالى وعنده مفاتح الغيب على سبيل الاجمال ذكر من بعض ذلك الاجمال ما يدل على التفصيل
فذكر هذه الاشياء المحسوسة ليدرك بها على غيرها فقدم ذكر البر والبحر لما فيهما من العجائب والغرائب من المدن
والقرى والمفاوز والجبال وكثرة ما فيهما من المعادن والحيوان واصناف المخلوقات مما يعجز الوصف عن
ادراكها ثم ذكر بعد ذلك ما هو اقل من ذلك وهو مشاهد لكل احد لان الورقة الساقطة والثابتة
يراها كل احد لكن لا يعلم عددها وكيفية خلقها الا الله تعالى ثم ذكر بعد ذلك ما هو اقل منها ثم جمع الكل
وهو الرطب واليابس فذكر هذه الاشياء وانه لا يخرج شيء منها عن علمه سبحانه وتعالى فصارت هذه
الامثال منبهة على عظمة عظيمة وقدرة غالبة وعلم واسع فسبحان العليم الخبير وقوله الا في كتاب مبين
فيه قولان احدهما ان الكتاب المبين هو اللوح المحفوظ لان الله كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل ان
يخلق السموات والارض وفائدة احصاء هذه الاشياء كلها في هذا الكتاب ليقف الملائكة على انفاذ علمه
وينبه بذلك على تعظيم الحساب واعلم عباده انه لا يفوته شيء مما يصنعون لان من اثبت ما لا ثواب فيه ولا
عقاب في كتاب فهو الى اثبات ما فيه ثواب وعقاب اسرع قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل يعني
يقبض ارواحكم اذا نمتم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار يعني ما كسبتم ثم يبعثكم فيه اي يوقظكم فيه اي في النهار
ليقضى اجل مسمى يعني اجل الحياة الى الممات يريد استيفاء العمر على التمام ثم اليه مرجعكم في الاخرة ثم ينبئكم

اي ما كسبتم

اي يخبركم بما كنتم تعملون قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده يعني وهو العالي عليهم بقدرته لان كل من قهر شيئا وغلبه
فهو مستعل عليه بالقهر والعزة فهو كما يقال امر فلان فوق امر فلان يعني انه اقدر منه واغلب هذا مذهب اهل
التاويل في معنى لفظة فوق في قوله وهو القاهر فوق عباده واما مذهب السلف فامرارها كما جاءت من غير
تكييف ولا تاويل ولا اطلاق على جهة والقاهر هو الغالب لغيره المذلل له والله هو القاهر لخلقه فيقهر كل شي بضده
فيقهر الحياة بالموت والايجاد بالعدم والغنى بالفقر والنور بالظلمة وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة يعني انه من جملة
قهره لعباده ارسال الحفظة عليهم والمراد بالحفظة الملايكة الذين يحفظون اعمال بني ادم من الخير والشر والطاعة
والمعصية وغير ذلك من الاقوال والافعال قيل ان مع كل انسان ملكان ملك عن يمينه وملك عن شماله فاذا عمل
حسنة كتبها عليه صاحب الشمال وفايدة جعل الملايكة موكلين بالانسان انه اذا علم ان له حافظا من الملايكة
موكلا به يحفظ عليه اقواله وافعاله في صحايف تنشر له وتقرا عليه يوم القيمة على روس الاشهاد كان ذلك زاجرا
له عن فعل القبيح وترك المعاصي وقيل المراد بقوله ويرسل عليكم حفظة هم الملايكة الذين يحفظون على ابن ادم
رزقه واجله وعمله حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا يعني اعوان ملك الموت الموكلين بقبض ارواح البشر فان قلت
قال الله تعالى في اية اخرى يتوفى الانفس حين موتها وقال في اية اخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وقال
هنا توفته رسلنا ملك الموت وحده وانما ذكر بلفظ الجمع تعظيما له وقال مجاهد جعلت الارض لملك
الموت مثل الطست يتناول من حيث شا وجعلت له اعوان ينزعون الانفس ثم يقبضها منهم وقال الربيع
ما من اهل بيت شعر ولا مدر الا وملك الموت يطوف بهم كل يوم مرتين وقيل ان الارواح اذا كثرت عليه
يدعوها فتستجيب له وهم لا يفرطون يعني ان الرسل لا يفرطون فيما امروا به ولا يضيعون قوله ثم ردوا
الى الله مولاهم الحق يعني ثم رد العباد بالموت الى الله في الاخرة وانما قال مولاهم الحق لانهم كانوا في الدنيا تحت
ايدي موالي بباطل وهو الله سيدهم ومولاهم ومالكهم بالحق الا له الحكم يعني لا حكم الا لله وهو اسرع الحاسبين
يعني انه تعالى اسرع من حسب لانه لا يحتاج الى فكر وروية وعقد يد فهو يحاسب خلقه بنفسه لا يشغله
حساب بعضهم عن بعض قوله عز وجل قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر يعني قل يا محمد لهولا الكفار الذين
يعبدون الاصنام من دون الله من الذي ينجيكم من ظلمات البر والبحر اذا اضللتم فيه وتحيرتم واظلمت عليكم الطرق
من ينجيكم من ظلمات البحر اذا ركبتم فيه فاخطاتم الطرق واظلمت عليكم السبل فلم تهتدوا وقيل ظلمات البر
والبحر ما فيهما من الشدايد والاهوال وقيل حمله على الحقيقة اولى فظلمات البر هو ما اجتمع فيه من ظلمة
الليل وظلمة السحاب فيحصل منه الخوف الشديد لعدم الاهتدا الى الطريق الصواب وظلمة البحر ما
اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة والامواج الهايلة فيحصل من ذلك ايضا
الخوف الشديد من الوقوع في الهلاك فالمقصود عند اجتماع هذه الاسباب الموجبة للخوف الشديد
لا يرجع الانسان فيها الا الى الله سبحانه وتعالى لانه هو القادر على كشف الكروب والفادح الشدايد وهو
المراد من قوله تدعونه تضرعا وخفية يعني فاذا اشتد بكم الامر تخلصون له الدعاء تضرعا منكم اليه واستكانة
جهرا وخفية يعني سرا وحالا لين انجيتنا من هذه يعني قايلين في حال الدعاء والتضرع لين انجيتنا
من هذه الظلمات وخلصتنا من الهلاك لنكونن من الشاكرين يعني لك على هذه النعم والشكر هو معرفة
النعم مع القيام بحقها لمن انعم بها قل الله ينجيكم منها يعني من الظلمات والشدايد التي انتم فيها ومن
كل كرب يعني وهو الذي ينجيكم من كل كرب ايضا والكرب الغم الشديد الذي ياخذ بالنفس ثم انتم تشركون
يعني انهم يقرون بان الذي ينجيهم من هذه الشدايد هو الله ثم انهم بعد ذلك الاقرار يشركون معه الاصنام

تم

التي لا تضر ولا تنفع قوله هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم اي قل يا محمد لقومك ان الله هو القادر
على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم يعني الصيحة والحجارة والريح والطوفان كما فعل بقوم نوح وعاد وثمود
وقوم لوط او من تحت ارجلكم يعني الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون قال ابن عباس
ومجاهد عذابا من فوقكم ايمة السوء والسلاطين الظلمة او من تحت ارجلكم يعني عبيد السوء وقال الضحاك
من فوقكم يعني من قبل كباركم او من تحت ارجلكم يعني السفلة او يلبسكم شيعا الشيع جمع شيعة وكل
قوم اجتمعوا على امر فهم شيعة واشياع واصله من التشيع ومعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا
وقيل الشيعة الذين يتقوى بهم الانسان قال الزجاج في قوله او يلبسكم شيعا يعني يخلط امركم خلط
اضطراب لا خلط اتفاق فيجعلكم فرقا مختلفين يقاتل بعضكم بعضا وهو معنى قوله ويذيق بعضكم باس بعض
وقال ابن عباس قوله او يلبسكم شيعا يعني الاهواء المختلفة ويذيق بعضكم باس بعض يعني يقتل بعضكم
بيد بعض وقال مجاهد يعني اهواء متفرقة وهو ما كان فيهم من الفتن والاختلاف وقال ابن زيد هو
الذي فيه الناس اليوم من الاختلاف والاهواء وسفك دما بعضهم بعضا ثم اختلف المفسرون فيمن
عنى بهذه الاية فقال قوم عنى بها المسلمون من امة محمد صلى الله عليه وسلم وفيهم نزلت هذه الاية قال
ابو العالية في قوله قل هو القادر الاية قال هن اربع وكلهن عذاب فجا اثنتان بعد النبي صلى الله عليه وسلم بخمس
وعشرين سنة فالبسوا شيعا واذيق بعضهم باس بعض وبقيت اثنتان فهما لا بد واقعتان يعني الخسف
والمسخ وعن ابي بن كعب نحوه هن اربع خلال وكلهن عذاب وكلهن واقع قبل يوم القيمة مضت اثنتان
بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة البسوا شيعا واذاق بعضهم باس بعض وثنتان
واقعتان لا محالة الخسف والرجم وقال مجاهد في قوله من فوقكم او من تحت ارجلكم لامة محمد
فاعفاهم منه او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض قال هذا اهون او هذا ايسر م عن سعد
ابن ابي وقاص انه اقبل مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم من العالية حتى اذا مر بمسجد بني معوية دخل فركع
فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف الينا فقال سالت ربي ثلاثا فاعطاني ثنتين
ومنعني واحدة سالت ربي ان لا يهلك امتي بالسنة فاعطانيها وسالته ان لا يهلك امتي بالغرق فاعطانيها
وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعنيها عن خباب بن الارت قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة
فاطالها فقالوا يا رسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها قال اجل انها صلاة رغبة ورهبة اني سالت
الله فيها ثلاثا فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة سالته ان لا يهلك امتي بسنة فاعطانيها وسالته ان لا
يسلط عليهم عدوا من غيرهم فاعطانيها وسالته ان لا يذيق بعضهم باس بعض فمنعنيها
اخرجه الترمذي وقوله تعالى انظر كيف نصرف الايات اي انظر يا محمد كيف نبين دلايلنا وحججنا لهولا
المكذبين لعلهم يفقهون يعني يفهمون ويعتبرون فينزجروا او يرجعوا عما هم عليه من الكفر والتكذيب
وكذب به قومك يعني بالقران وهو الحق يعني في كونه كتابا منزلا من عند الله وقيل الضمير في به يرجع
الى العذاب وهو الحق يعني انه نازل بهم ان اقاموا على كفرهم وتكذيبهم وقيل الضمير يرجع الى تصريف
الايات وهو الحق لانهم كذبوا كونها من عند الله قل لست عليكم بوكيل اي قل يا محمد لهولا المكذبين
لست عليكم بحافظ حتى اجازيكم على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الحق بل انما انا منذر والله هو المجازي
لكم على اعمالكم وقيل معناه اني انما ادعوكم الى الله والى الايمان به ولم اومر بحربكم فعلى هذا القول يكون
الاية منسوخة باية السيف وقيل في معنى الاية قل لست عليكم بوكيل يعني حفيظا انما اطالبكم بالظاهر

من الاقرار والعمل لانه يحوي الضمائر والاسرار فعلى هذا تكون الآية محكمة ۝ لكل نبأ مستقر اي لكل خبر من اخبار
القرآن حقيقة ومنتهى ينتهي اليه اما في الدنيا واما في الآخرة وقيل لكل خبر يخبر الله به وقت ومكان يقع فيه
من غير خلف ولا تأخير كان ما وعدهم به من العذاب في الدنيا وقع يوم بدر وسوف تعلمون يعني صحة ذلك الخبر
اما في الدنيا واما في الآخرة ۝ واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا يعني القرآن الخطاب في واذا رأيت للنبي صلى
الله عليه وسلم والمعنى واذا رأيت يا محمد هؤلاء المشركين الذين يخوضون في آياتنا يعني القرآن الذي انزلناه اليك
في اللغة هو الشروع في الماء والعبور فيه ويستعار للأخذ في الحديث والشروع فيه يقال تخاوضوا في الحديث
على وجه اللعب والعبث وما يذم عليه ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين يعني وقيل الخطاب في واذا
رأيت لكل فرد من الناس والمعنى واذا رأيت ايها الانسان الذين يخوضون في آياتنا وذلك ان المشركين
كانوا اذا جالسوا المؤمنين وقعوا في الاستهزاء بالقرآن وبمن انزله وبمن انزل عليه فنهاهم الله ان يقعدوا
معهم في وقت الاستهزاء بقوله فاعرض عنهم يعني فاتركهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث غيره يعني حتى يكون
خوضهم في غير القرآن والاستهزاء به ۝ واما ينسينك الشيطان يعني فقعدت معهم فلا تقعد بعد الذكرى
يعني اذا ذكرت فقم عنهم ولا تقعد مع القوم الظالمين يعني المشركين قوله تعالى وما على الذين يتقون من
حسابهم من شيء قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا قال المسلمون كيف
نقعد في المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون ابدا وفي رواية قال المسلمون انا نخاف الاثم حين
نتركهم ولا ننهاهم فانزل هذه الآية وما على الذين يتقون يعني يتقون الشرك والاستهزاء من حسابهم من شيء يعني من حساب
المشركين من شيء يعني ليس عليهم شيء من حسابهم والآثام ۝ ولكن ذكرى ولكن ذكروهم ذكرى وقيل معناه ولكن عليكم ٥
ان تذكروهم لعلهم يتقون يعني لعل ذلك الذكر يمنعهم من الخوض والاستهزاء ۝ فصل قال سعيد ابن جبير وابن جريج
ومقاتل هذه الآية منسوخة بالآية التي في سورة النساء وهي قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب الآية وذهب الجمهور
الى انها محكمة لا نسخ فيها لانها خبر والخبر لا يدخله النسخ لانها انما دلت على ان كل انسان انما يختص بحساب نفسه لا بحساب
غيره وقيل انما ابيح لهم القعود معهم بشرط التذكير والموعظة فلا تكون منسوخة قوله وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وذر يا محمد هؤلاء المشركين الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وذلك حين سخروا به
يعني اتخذوا دينهم الذي امروا به ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا واستهزؤا به وقيل انهم اتخذوا عبادة
الاصنام لعبا ولهوا وقيل ان الكفار اذا سمعوا القرآن لعبوا ولهوا عند سماعه وقيل ان الله جعل لكل قوم عيدا كا نواه
فاتخذ كل قوم دينهم يعني عيدهم لعبا ولهوا يلعبون ويلهون فيه الا المسلمون فانهم اتخذوا عيدهم صلاة وتكبيرا
وفعل الخير فيه مثل عيد الفطر وعيد النحر ويوم الجمعة وغرتهم الحياة الدنيا يعني انهم اتخذوا عيدهم صلاة وتكبيرا
دينهم لعبا ولهوا لاجل انهم غرتهم الحياة الدنيا وغلب حبها على قلوبهم فاعرضوا عن دين الحق واتخذوا
دينهم لعبا ولهوا ومعنى الآية وذر يا محمد الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا واتركهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم
وهذا يقتضي الاعراض عنهم ثم نسخ ذلك الاعراض بآية السيف وهو قول قتادة والسدي وقيل انه خرج
مخرج التهديد فهو كقوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا وهذا قول مجاهد فعلى هذا تكون الآية محكمة وقيل
المراد بالاعراض عنهم ترك معاشرتهم ومخالطتهم لا ترك الانذار والتخويف ويدل عليه قوله وذكر به يعني
بالقرآن وعظ به هؤلاء المشركين ان تبسل كل نفس بما كسبت اي لئلا تبسل نفس واصل البسل
في اللغة التحريم وضم الشيء ومنعه وهذا عليك بسل اي حرام ممنوع فمعنى تبسل نفس بما كسبت ترتهن وتحبس
في جهنم وتحرم من الثواب بسبب ما كسبت من الآثام وقال ابن عباس تبسل تهلك وقال قتادة تحبس

تحبس يعني في جهنم وقال الضحاك تحرق في النار وقال ابن زيد تؤخذ بما كسبت وقيل تفضح والمعنى وذكرهم بالقرآن
ومواعظه وعرفهم الشرائع الاسلام لكيلا تهلك نفس وترتهن في جهنم بسبب الجنايات التي اكتسبت في الدنيا وتحرم
الثواب في الآخرة ليس لها يعني لتلك النفس التي هلكت من دون الله ولي يعني قريب يلي امرها ولا شفيع يعني يشفع لها في الآخرة
وان تعدل كل عدل يعني تفتد بكل فداء والعدل الفداء لا يؤخذ منها يعني تلك العدل وتلك الفدية اولئك الذين
ابسلوا اشارة الى الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا اي ابسلوا بما كسبوا يعني سلموا الى الهلاك
بسبب ما اكتسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون وذلك لهم بسبب كفرهم فلا تدعوا من دون
الله ۝ قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين دعوك الى دين
آبائك اندعوا يعني انعبد من دون الله يعني الاصنام التي لا تنفع من عبدها ولا تضر من ترك عبادتها ونرد
على اعقابنا يعني ونرد الى الشرك بعد اذ هدانا الله الى دين الاسلام والتوحيد كالذي استهوته الشياطين
في الارض فالقته في هوة من الارض واصله من الهوي وهو النزول من الاعلى الى الاسفل حيران يقال حار فلان
في الامر اذا تردد فيه فلم يهتد الى الصواب فيه ولا المخرج منه له اصحاب يدعونه الى الهدى يعني هو المتحير
الذي استهوته الشياطين عن الطريق المستقيم اصحاب يقولون له ائتنا وهذا مثل ضربه الله تعالى لمن
يدعو الى عبادة الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولمن يدعو الى عبادة الله الذي يضر وينفع مثله
كمثل رجل في رفقة ضل به الغول والشيطان عن الطريق فجعل اصحابه من اهل رفقته يدعونه اليهم يقولون
هلم الى الطريق المستقيم وجعل الغيلان يدعونه اليهم فبقي حيران لا يدري اين يذهب ان اجاب الغيلان
ضل وهلك وان اجاب اصحابه اهتدى وسلم قل ان هدى الله هو الهدى يعني ان طريق الله تعالى الذي
اوضحها لعباده ودينه الذي شرعه لهم هو الهدى والنور والاستقامة لا عبادة الاصنام ففيه زجر
عن عبادتها كأنه يقول لا تفعل ذلك فان هدى الله هو الهدى لا هدى غيره وامرنا لنسلم لرب العالمين
اي وامرنا ان نسلم ونخلص العبادة لله رب العالمين لانه هو الرب الذي يستحق العبادة لا غيره ۝ وان
اقيموا الصلاة واتقوه اي وامرنا باقامة الصلاة والتقوى لان فيهما ما يقرب اليه وهو الذي اليه تحشرون
يعني في القيامة فيجزيكم باعمالكم ۝ وهو الذي خلق السموات والارض بالحق يعني اظهارا للحق فعلى هذا
تكون الباء بمعنى اللام لانه جعل صنعه دليلا على وحدانيته وقيل خلقها بكمال قدرته وشمول علمه واتقان
صنعه وكل ذلك حق وقيل خلقها بكلامه الحق وهو قوله كن وقيل انه راجع وفيه دليل على ان
كلام الله تعالى ليس بمخلوق لانه لا يخلق مخلوق بمخلوق ويوم يقول كن فيكون وقيل انه راجع
الى خلق السموات والارض والمعنى اذكر يوم قال للسموات كن فيكون وقيل انه راجع الى القيامة ويدل
على سرعة البعث والحساب كانه قال الذي اراده ويوم يقول للخلق موتوا فيموتوا وقوموا للحساب
فيقوموا احياء قوله الحق يعني ان قول الله للشيء الذي اراده كن فيكون حق وصدق وهو كائن لا محالة
وله الملك يوم ينفخ في الصور انما اخبر عن ملكه يومئذ وان كان الملك له سبحانه وتعالى خالصا في كل وقت
من م في الدنيا والآخرة لانه لا منازع له يومئذ يدعي الملك وانه المنفرد بالملك يومئذ وانه كان يدعي الملك
بالباطل من الجبابرة والفراعنة وسائر الملوك الذين كانوا في الدنيا فقد زال ملكهم واعترفوا بان
الملك لله الواحد القهار وانه لا منازع له فيه وعلموا ان الذين كانوا يدعونه من الملك في الدنيا باطل
وغرور واختلف العلماء في الصور المذكور في الآية فقال قوم هو قرن ينفخ فيه وهو لغة اهل اليمن

قال مجاهد الصور قرن كهيئة البوق ويدل على صحة هذا القول ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال
جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه اخرجه ابو داود والترمذي عن ابي سعيد
الخدري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم كيف انعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنا جبهته واصغى سمعه
ينتظر ان يؤمر فينفخ فكان ذلك على اصحابه فقالوا كيف نفعل يا رسول الله او كيف نقول قال قولوا حسبنا الله
ونعم الوكيل على الله توكلنا وربما قال توكلنا على الله اخرجه الترمذي وقال ابو عبيدة الصور جمع صورة والنفخ
فيها احياؤها بنفخ الروح فيها وهذا قول الحسن ومقاتل والقول الاول لما تقدم في الحديث ولقوله ثم نفخ فيه
اخرى ثم ينفخ فيه اخرى واجماع اهل السنة ان المراد بالصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل نفختان نفخة الصعق
ونفخة البعث للحساب قوله عالم الغيب والشهادة يعني انه تعالى يعلم ما غاب عن عباده وما يشاهدونه فلا
يغيب عن علمه شيء وهو الحكيم يعني في جميع افعاله وتدبير خلقه الخبير يعني بكل ما يفعلونه من خير او شر واذ
قال ابرهيم لابيه آزر اسم ابي ابرهيم وهو تارخ ضبطه بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة فعلى هذا يكون
لابي ابرهيم اسمان آزر وتارخ مثل يعقوب واسرائيل اسمان لرجل واحد فيحتمل ان يكون اسمه الاصلي آزر
وتارخ لقب له وبالعكس فالله سماه آزر وان كان عند النسابين والمورخين اسمه تارخ ليعرف بذلك
وكان آزر ابو ابرهيم من كوثى وهي قرية من سواد الكوفة وقال سليمان التيمي آزر سب وعيب ومعناه
في كلامهم المعوج وقيل الشيخ الهرم وهو بالفارسية وهذا على مذهب من يجوز ان في القران الفاظا قليلة
فارسية وقيل هو المخطئ فكان ابرهيم عابه وذمه بسبب كبره وزيغه عن الحق وقال سعيد بن المسيب
ومجاهد آزر اسم صنم كان والد ابرهيم يعبده وانما سماه بهذا الاسم لان من عبد شيئا واحبه جعل اسم
ذلك المعبود والمحبوب اسما له فهو كقوله يوم ندعوا كل اناس بامامهم وقيل معناه واذ قال ابرهيم لابيه
يا عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والصحيح هو الاول ان آزر اسم لابي ابرهيم لان الله تعالى
سماه به وما نقل عن النسابين والمورخين ان اسمه تارخ ففيه نظر لانهم انما نقلوه عن اصحاب الاخبار واهل
السير من اهل الكتاب ولا عبرة بنقلهم وقد اخرج البخاري في افراده من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يلقى ابرهيم عليه السلام اباه آزر يوم القيمة وعلى وجه آزر قترة وغبرة الحديث فسماه النبي صلى الله عليه وسلم
آزر ايضا ولم يقل اباه تارخ فثبت بهذا ان اسمه الاصلي آزر لا تارخ والله اعلم اتتخذ اصناما آلهة
معناه واذكر يا محمد لقومك قول ابرهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة تعبدها من دون الله الذي خلقك
ورزقك والاصنام جمع صنم وهو التمثال الذي يتخذ من خشب او حجارة او حديد او ذهب او فضة على
صورة الانسان وهو الوثن ايضا اني اراك وقومك في ضلال مبين يعني ايحر ذلك فانه لا اشكال ان هذه
الاصنام لا تضر ولا تنفع وهذه الاية احتجاج على مشركي العرب باحوال ابرهيم ومحاجته لابيه وقومه
لانهم كانوا يعظمون ابرهيم ويعترفون بفضله فلا جرم ذكر الله قصة ابرهيم عليه السلام مع ابيه وقومه
في معرض الاحتجاج على المشركين وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض معناه وكما اريناه البصيرة
في دينه والحق في خلاف قومه وما كانوا عليه من الضلال في عبادة الاصنام نريه ملكوت السموات
والارض فلهذا السبب عبر عن هذه الروية بلفظ المستقبل في قوله وكذلك نري ابرهيم لانه تعالى كان
اراه بعين البصيرة ان اباه وقومه على غير الحق فخالفهم فجزاه الله بان اراه بعد ذلك ملكوت السموات
والارض فحسنت هذه العبارة لهذا المعنى والملكوت الملك زيدت فيه التاء للمبالغة كالرهبوت والرغبوت

صح باء

سنم

والرهبر

والرهبة من الرهبة والرغبة والرحمة قال ابن عباس يعني خلق السموات والارض وقال مجاهد وسعيد بن
جبير يعني آيات السموات والارض وذلك انه اقيم على صخرة وكشف له عن السموات حتى راى العرش والكرسي
وما في السموات من العجائب وحتى راى مكانه من الجنة فذلك قوله آتيناه اجره في الدنيا يعني اريناه مكانه في
الجنة فذلك قوله وكشف له عن الارض حتى نظر الى اسفل الارضين وراى ما فيها من العجائب قال البغوي روي
عن سلمان ورفعه بعضهم عن علي قال لما راى ابرهيم ملكوت السموات والارض ابصر رجلا على فاحشة
فدعا عليه فهلك ثم ابصر آخر فدعا عليه فهلك ثم ابصر آخر فاراد ان يدعو عليه فقال له تبارك وتعالى يا
ابرهيم انك رجل مجاب الدعوة فلا تدعو على عبادي فانما انا من عبدي على ثلاث خلال اما ان يتوب
الي فاتوب عليه واما ان اخرج منه نسمة تعبدني واما ان يبعث الي فان شئت عفوت وان شئت
عاقبت وفي رواية فان تولى فان جهنم من ورائه وقال قتادة ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم
وملكوت الارض الجبال والشجر والبحار واختلف في هذه الروية هل كانت بعين البصر او بعين
البصيرة على قولين احدهما انها كانت بعين البصر الظاهر فشق لابرهيم السموات حتى راى
وشق له الارض حتى راى ما في بطنها والقول الثاني ان هذه الروية كانت بعين البصيرة لان
ملكوت السموات والارض عبارة عن الملك وذلك لا يعرف الا بالعقل فبان بهذا ان هذه الروية كانت
بعين البصيرة الا ان يقال المراد بملكوت السموات والارض نفس السموات والارض وقوله وليكون
من الموقنين عطف على المعنى ومعناه وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات ليستدل به وليكون
من الموقنين واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب التامل بعد زوال الشبهة لان الانسان في اول
الحال لا ينفك عن شبهة وشك فاذا كثرت الدلايل وتوافقت صارت سببا لحصول اليقين والطمانينة
في القلب وزالت الشبهة عند ذلك قال ابن عباس في وليكون من الموقنين جلى له الامر سره وعلانيته
فلم يخف عليه شيء من اعمال الخلايق فلما جعل يلعن اصحاب الذنوب قال الله تعالى انك لا تستطيع ذلك
فرده الله كما كان قبل ذلك فمعنى الاية على هذا القول وكذلك اريناه ملكوت السموات والارض
ليكون ممن يوقن علم كل شيء حسا وخبرا قوله فلما جن عليه الليل يقال جن الليل واجن اذا اظلم
وغطى كل شيء واجنه الليل واجن عليه اذا ستره بسواده راى كوكبا قال هذا ربي ذكر القصة
في ذلك قال اهل التفسير واصحاب الاخبار والسير ولد ابرهيم في زمن نمرود بن كنعان الملك وكان
نمرود اول من وضع التاج على راسه ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له
انه يولد في بلدك في هذه السنة غلام يغير دين اهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك
على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء وقال السدي راى نمرود في منامه كان كوكبا
قد طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا فدعا
السحرة والكهان والمنجمين وسالهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك
في هذه السنة يكون زوال ملكك وهلاكك وهلاك اهل بيتك على يديه قالوا فامر بذبح كل
غلام يولد في هذه السنة في ناحيته وامر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا
يحفظهم فاذا حاضت المراة خلي بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجامعون في الحيض فاذا طهرت
من الحيض حالوا بينها وبين زوجها قالوا فرجع آزر فوجد امراته قد طهرت من الحيض فواقعها

تلك

فحملت بابرهيم وقال محمد بن اسحق بعث نمرود الى كل امراة حبلى بقرية فحبسها عنده الا ما كان من ام ابرهيم فانه
لم يعلم بحبلها لانها كانت جارية صغيرة لم يعرف الحبل في بطنها وقال السدي خرج نمرود بالرجال الى العسكر ونحاهم
عن النساء تخوفا من ذلك المولود فمكث بذلك ما شاء الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يامن عليها احدا من قومه الا آزر
فبعث اليه فاحضره الى عنده وقال له ان لي اليك حاجة احب ان اوصيك بها ولم ابعثك فيها الا لثقتي بك فاقسمت
عليك ان لا تدنو من اهلك فقال آزر انا اشح على ديني من ذلك فاوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجة الملك
ثم قال لو دخلت على اهلي فنظرت اليهم فلما دخل على ام ابرهيم ونظر اليها لم يتمالك حتى واقعها فحملت من ساعتها
بابرهيم قال ابن عباس لما حملت ام ابرهيم قال الكهان لنمرود ان الغلام الذي اخبرناك به قد حملت به امه
الليلة فامر نمرود بذبح الغلمان فلما دنت ولادة ام ابرهيم واخذها المخاض خرجت هاربة مخافة ان
يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلفاء ثم رجعت فاخبرت
زوجها انها وضعت وان الولد في موضع كذا فانطلق ابوه اليه فاخذه من ذلك المكان وحفر له سربا في النهر فواراه
فيه وسد بابه بصخرة مخافة السباع فكانت امه تختلف اليه فترضعه وقال محمد بن اسحق لما وجدت ام ابرهيم الطلق ام
خرجت ليلا الى مغارة كانت قريبا منها فولدت فيها ابرهيم واصلحت من شانه ما يصنع بالمولود ثم سدت عليه
باب المغارة ثم رجعت الى بيتها وكانت تختلف اليه لتنظر ما فعل فتجده حيا وهو يمص ابهامه وقال ابو روق
قالت ام ابرهيم لانظرن الى اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع سمنا ومن اصبع عسلا
ومن اصبع تمرا وقال محمد بن اسحق كان آزر قد سال ام ابرهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما
فمات فصدقها وسكت عنها فكان ابرهيم يشب في اليوم كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث في المغارة
الا خمسة عشر شهرا حتى قال لامه اخرجيني فاخرجته عشاء فنظر وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان
الذي خلقني ورزقني واطعمني وسقاني لربي الذي ما لي اله غيره ونظر في السماء فراى كوكبا قال هذا ربي ثم
اتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب ثم طلعت الشمس قال هكذا الى اخره ثم رجع الى ابيه آزر وقد استقامت
وجهته وعرف ربه وبرئ من دين قومه الا انه لم ياذنهم بذلك فلما رجعت به امه اخبرته انه ابنه واخبرته بما
صنعت به فسر بذلك وفرح فرحا شديدا وقيل انه مكث في السرب سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة
وقيل سبع عشرة قالوا فلما شب ابرهيم في السرب قال لامه من ربي قالت انا قال فمن ربك قالت
ابوك قال فمن رب ابي قالت اسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت ارايت الغلام الذي كنا نحدث انه يغير دين
اهل الارض فانه ابنك ثم اخبرته بما قال فاتاه ابوه آزر فقال له ابرهيم يا ابتاه من ربي قال امك قال فمن رب
امي قال انا قال فمن ربك قال نمرود قال فمن رب نمرود فلطمه لطمة وقال له اسكت فلما جن عليه الليل دنا من باب قال ام
السرب فنظر من خلال الصخرة فابصر كوكبا قال هذا ربي ويقال انه قال لابويه اخرجاني فاخرجاه من السرب
حين غابت الشمس فنظر ابرهيم الى الابل والخيل والغنم فسال اباه ما هذه فقال ابل وخيل وغنم فقال
ابرهيم ما لهذه بد من ان يكون لها رب وخالق ثم نظر فاذا المشتري قد طلع ويقال انه الزهرة وكانت
تلك الليلة من اخر الشهر فتاخر طلوع القمر فراى الكوكب قبل القمر فذلك قوله تعالى فلما جن عليه الليل
راى كوكبا قال هذا ربي يعني بزعمكم ثم اختلف العلماء في وقت هذه الرؤية وفي وقت هذا القول هل
كان قبل البلوغ او بعده على قولين احدهما انه كان قبل البلوغ في حال طفوليته وذلك قبل قيام الحجة
عليه فلم يكن من هذا القول الذي صدر من ابرهيم في هذا الوقت اعتبار ولا يترتب عليه حكم لان الاحكام انما

ثبت بعد البلوغ وقيل ان ابرهيم لما اخرج من السرب في حال صغره ونظر الى السماء وما فيها من العجايب ونظر الى
الارض وما فيها من العجايب وكان الله قد خصه بالعقل الكامل والفطرة السليمة تفكر في نفسه وقال لا بد
لهذا الخلق من خالق مدبر له وهو اله الخلق ثم نظر في حال تفكره فراى الكوكب وقد ازهر فقال هذا ربي
على ما سبق الى وهمه وذلك في حال طفوليته وقبل استحكام النظر في معرفة الرب سبحانه وتعالى واستدل
اصحاب هذا القول على صحته بقوله فقال لئن لم يهدني ربي الاية قالوا وهذا يدل على نوع تحير وذلك لا يكون
الا في حال الصغر وقبل البلوغ فلا تلزمه الحجة وهذا القول ليس بسديد ولا مرضي لان الانبياء معصومون كل
في حال الصغر من الاحوال وانه لا يجوز ان يكون لله عز وجل رسول ياتي عليه وقت من الاوقات الا وهو
بالله عارف وله موحد وهو له من كل منقصة منزه ومن كل معبود سواه برئ وكيف يتوهم هذا على
ابرهيم وقد عصمه وطهره واتاه رشده من قبل واراه ملكوت السموات والارض ورايا الكوكب
قال معتقدا هذا ربي حاشى ابرهيم عليه السلام من ذلك لان منصبه اعلى واشرف من ذلك والقول الثاني
الذي عليه جمهور المحققين ان هذه الرؤية وهذا القول كان بعد بلوغ ابرهيم وبعد ان شرفه الله
بالنبوة واكرمه بالرسالة ثم اختلف اصحاب هذا القول في تاويل الاية ومعناها فذكروا فيها وجوها الاول
ان ابرهيم عليه السلام اراد ان يستدرج قومه بهذا القول ويعرفهم جهلهم وخطاهم في تعظيم النجوم وعبادتها
لانهم كانوا يرون ان كل الامور اليها فاراهم ابرهيم انه معظم ما عظموه فلما افل الكوكب والقمر والشمس
اراهم النقص الداخل على النجوم بسبب الغيبوبة والافول ليثبت خطا ما كانوا يعتقدون
فيها من الالوهية ومثل هذا كمثل الحواري الذي ورد على قوم كانوا يعبدون صنما فاظهر تعظيمه
فاكرموه حتى صاروا يصدرون عن رايه في كثير من امورهم الى ان دهمهم عدو فشاوروه
في امر هذا العدو فقال الراي عندي ان تدعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما نزل بنا فاجتمعوا حول
الصنم يتضرعون اليه فلم يغن عنهم شيئا فلما تبين لهم انه لا ينفع ولا يضر ولا يدفع دعاهم الحواري وامرهم
ان يدعوا الله عز وجل ويسالوه ان يكشف عنهم ما نزل بهم فدعوا الله مخلصين فصرف عنهم
ما كانوا يحذرون فاسلموا اجمعين الوجه الثاني ان ابرهيم قال هذا القول على سبيل الاستفهام
وهو استفهام انكار وتوبيخ لقومه تقديره اهذا ربي الذي تزعمون واسقاط حرف الاستفهام
كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى افان مت فهم الخالدون يعني افهم الخالدون والمعنى اهذا يكون
ربا ودلايل النقص فيه ظاهرة الوجه الثالث ان ابرهيم عليه السلام قال ذلك على وجه الاحتجاج
على قومه يقول هذا ربي بزعمكم فلما غاب قال لو كان الها كما تزعمون لما غاب فهو كقوله ذق انك
انت العزيز الكريم يعني عند نفسك وبزعمك وكما اخبر عن موسى عليه السلام يقول انظر الى الهك الذي
ظلت عليه عاكفا الاية يريد الهك بزعمك الوجه الرابع ان في الاية اضمارا تقديره يقولون هذا
ربي واضمار القول كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت الاية
ثم قال بعده فلما جن عليه الليل والفا تقتضي التعقيب يدل على ان هذه الواقعة كانت بعد
ان اراه الله ملكوت السموات والارض وصار من الموقنين ومن كان في هذه المنزلة العالية الشريفة لا يليق
بحاله ان يعبد الكوكب او يتخذها ربا واما الجواب عن قوله لئن لم يهدني ربي الاية فان الانبياء عليهم السلام
لم يزالوا يسالون الله التثبيت ومنه قوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام اما قوله تعالى فلما افل يعني غاب

والاول يعني بوبة النيران قال يعني ابرهيم لا احب الافلين يعني لا احب ربا يغيب ويطلع لان امارات الحدوث فيه ظاهر
قوله تعالى فلما راى القمر بازغا يعني طالعا منتشر الضوء قال هذا ربي معناه ما تقدم في الكوكب فلما افل
يعني غاب قال لين لم يهدني ربي الاية يعني لين لم يثبتني ربي على الهدى وليس المراد به انه لم يكن مهتديا لان الانبيا
لم يزالوا على الهداية من اول الفطرة وفي الاية دليل على ان الهداية من الله لان ابرهيم عليه السلام اضاف الهداية
الى الله تعالى فلما راى الشمس بازغة يعني طالعة قال هذا ربي يعني هذا الطالع او انه اشار الى الضيا والنور لانه راى
الشمس اضوا من الكواكب والقمر وقيل انما قال هذا ولم يقل هذه لان تانيث الشمس غير حقيقي فلهذا اتى بلفظ
التذكير هذا اكبر يعني من الكوكب والقمر فلما افلت يعني فلما غابت الشمس قال يا قوم اني بري مما تشركون
يعني انه لما اثبت ابرهيم عليه السلام بالدليل القطعي ان هذه النجوم ليست باله ولا تصلح للربوبية تبرا منها
واظهر لقوله اني بري مما تشركون ولما ظهر خلاف قومه وتبرا من شركهم اظهر ما هو عليه من دين الحق فقال
اني وجهت وجهي يعني صرفت عبادتي وقصدت بتوحيدي للذي فطر السموات والارض يعني للذي
خلقهما وابدعهما حنيفا يعني مايلا عن عبادة كل شي سوى الله تعالى واصل الحنف الميل وهو ميل عن
طريق الضلال الى طريق الاستقامة وقيل الحنيف هو الذي يستقبل القبلة في صلاته وما انا من المشركين
تبرا من الشرك الذي كان عليه قومه قوله تعالى وحاجه قومه يعني وخاصمه قومه وذلك لما اظهر ابرهيم عليه السلام
عيب الهتهم التي كانوا يعبدونها واظهر التوحيد لله خاصمه قومه وجادلوه في ذلك قال اتحاجوني في الله يعني
اتجادلونني في توحيدي لله وقد هداني يعني وقد بين لي طريق الهداية الى توحيده ومعرفته وقال البغوي لما رجع
ابرهيم الى ابيه وصار من الشباب بحالة سقط عنه طمع الذابحين وضمه آزر الى نفسه جعل آزر يصنع الاصنام
ويعطيها ابرهيم ليبيعها فيذهب بها ابرهيم وينادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها احد
فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فصوب فيه رؤوسها وقال اشربي استهزاء بقومه وبما هم فيه
من الضلالة فلما فشا استهزاؤه بها في قومه واهل قريته حاجه قومه يعني خاصمه وجادله قومه في دينه
قال يعني ابرهيم اتحاجوني في الله يعني الى توحيده ومعرفته ولا اخاف ما تشركون به وذلك انهم قالوا له
احذر الاصنام فانا نخاف ان تمسك بسوء من خبل او جنون لعيبك اياها فاجابهم بقوله ولا اخاف ما
تشركون به شيئا لانها جماد لا تضر ولا تنفع وانما يكون الخوف ممن يقدر على النفع والضر لقوله الا ان يشاء
ربي شيئا يعني لكن ان شاء ربي شيئا كان ما يشاء لانه قادر على النفع والضر وانما قال ابرهيم ذلك لاحتمال
ان الانسان قد يصيبه في بعض حالاته وايام عمره ما يكرهه فلو اصابه مكروه لنسبوه الى الاصنام
في هذه الفتنة بقوله الا ان يشاء ربي شيئا وهذا استثنا منقطع وليس هو من الاول في شي المعنى
ولكن ان شاء ربي شيئا كان وسع ربي كل شي علما يعني احاط علمه بكل شي ولا يخرج شي عن علمه افلا تتذكرون
يعني افلا تعتبرون ان هذه الاصنام جماد لا تضر ولا تنفع وان النافع الضار هو الله الذي خلق
السموات والارض ومن فيهما وكيف اخاف ما اشركتم يعني وكيف اخاف الاصنام التي اشركتموها لانها جماد
لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو من اعظم الذنوب ما لم ينزل به سلطانا عليكم
يعني ما ليس لكم فيه حجة وبرهان فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون يعني يقول من اولى بالامن
من العذاب في يوم القيمة الموحد ام المشرك الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقيل هو من تمام كلام
ابرهيم في المحاجة لقومه والمعنى ان الذين يحصل لهم الامن يوم القيمة هم الذين امنوا يعني آمنوا بالله وحده

ولم يشركوا به شيئا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعني ولم يخلطوا ايمانهم بشرك ق عن ابن مسعود قال لما نزلت هذه
الاية شق ذلك على المسلمين وقالوا وايّنا لا يظلم نفسه فقال عليه السلام ليس ذلك انما هو الشرك الم تسمعوا قول
لقمن لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وفي رواية ليس هو كما تظنون انما هو كما قال لقمن لابنه وذكره
وقيل في معنى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعني ولم يخلطوا ايمانهم بشي من معاني الظلم وذلك بان يفعل بعض ما نهى
الله عنه او يترك ما امر الله به فعلى هذا القول تكون الاية على العموم لان الله تعالى لم يخص به معنى من معاني
الظلم دون غيره والصحيح ان الظلم المذكور في هذه الاية هو الشرك لما تقدم من حديث ابن مسعود ان
النبي صلى الله عليه وسلم فسر الظلم هنا بالشرك وفي الاية دليل على ان من مات ولم يشرك بالله شيئا كانت عاقبته
الامن من النار لقوله اولئك لهم الامن من النار وتحقيقه لقوله اولئك لهم يوم القيمة امن العذاب والنار وهم مهتدون
يعني الى سبيل الرشاد قوله وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه يعني ما جرى بين قومه واستدل
على حدوث الكوكب والقمر والشمس بالافول وقيل لما قالوا لابرهيم انا نخاف عليك من الهتنا اياها
فقال لهم افلا تخافون انتم منها اذ سويتم بين الصغير والكبير في العبادة ان يغضب الكبير عليكم وقيل
انه خاصم قومه المشركين فقال اي الفريقين احق بالامن من يعبد الها واحدا مخلصا له الدين
والعبادة ام من يعبد اربابا كثيرة فقالوا من يعبد الها واحدا فقضوا على انفسهم فكانت
هذه حجة ابرهيم على قومه نرفع درجات من نشا يعني بالعلم والفهم والعقل كما رفعنا درجات
من نشا في الدنيا بالنبوة والعلم والحكمة وفي الاخرة بالثواب على الاعمال الصالحة ان ربك حكيم عليم
حكيم يعني انه تعالى حكيم في جميع افعاله عليم بجميع انواع خلقه لا يفعل شيا الا بحكمة وعلم قوله ووهبنا
له اسحق ويعقوب يعني لما اظهر ابرهيم عليه السلام دينه على خصمه بالحجج القاطعة والبراهين القوية
والدلايل الصحيحة التي فهمه الله تعالى اياها وهداه اليها عدد نعمه عليه واحسانه اليه بان
رفع درجته في عليين وجعل النبوة في ذريته الى يوم الدين فقال ووهبنا له يعني لابرهيم اسحق
يعني ابنا لصلبه ويعقوب يعني ابن اسحق وهو ولد الولد كلا هدينا يعني هديناهم الى سبيل
الرشاد ووفقناهم الى طريق الحق والصواب ونوحا هدينا من قبل اي من قبل ابرهيم هديناه ووفقناه
للحق والصواب ومننا عليه بالهداية ومن ذريته اختلفوا في هذا الضمير الى من يرجع فقيل الى نوح
وهو اختيار جمهور العلماء المفسرين وقيل يرجع الى ابرهيم يعني ومن ذرية ابرهيم داود وقيل
يرجع الى اقرب الى مذكور لان الله تعالى ذكر في هذه الذرية لوطا وهو ابن اخي ابرهيم ولم يكن من ذريته
فثبت بهذا ان هذه الكناية ترجع الى نوح قال الزجاج كلا القولين جايز لان ذكرهما جميعا قد جرى
وداود هو ابن ايشا وكان ممن اتاه الله الحكمة والنبوة والملك وسليمن بن داود وايوب هو ايوب
ابن اموص بن رازح بن روم بن عيصا بن اسحق بن ابرهيم وموسى هو ابن عمران بن يصهر بن
قاهث بن لاوي بن يعقوب وهرون هو اخو موسى وكان اكبر منه بسنة وكذلك نجزي
المحسنين يعني كما جزينا ابرهيم على توحيده وصبره على اذى قومه كذلك نجزي المحسنين على
احسانهم وزكريا ابن اذن بن بركيا ويحيى هو ابن زكريا وعيسى هو ابن مريم بنت عمران والياس
قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرايل وقال محمد بن اسحق هو الياس
ابن نشتا بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران وهو الصحيح لان اصحاب الانساب يقولون

ابرهيم ودس
ابرهيم ارشدنا

ان ادريس جد نوح لان نوحا هو ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس ولان الله تعالى نسب الياس في هذه الاية الى نوح وجعله من ذريته وكل من الصالحين يعني ان كل من ذكرنا وسميناه من الصالحين واسمعيل هو ابن ابرهيم وانما اخره الى هنا لانه ذكر اسحق وذكر اولاده من بعده على نسق واحد فلهذا السبب اخر ذكر اسمعيل الى هنا واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز ويونس هو ابن متى ولوطا هو ابن اخي ابرهيم وكلا فضلنا على العالمين يعني على عالمي زمانهم ويستدل بهذه الاية من يقول ان الانبيا افضل من الملايكة واعلم ان الله ذكر هنا ثمانية عشر نبيا من الانبيا عليهم السلام من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا بحسب الفضل لان الواو لا تقتضي الترتيب لكن هنا لطيفة اوجبت هذا الترتيب وهو ان الله تعالى خص كل طايفة من طوايف الانبيا بنوع من الكرامة والفضل فذكر اولا نوحا وابرهيم واسحق ويعقوب لانهم اصول الانبيا واليهم يرجع انسابهم جميعا ثم من المراتب المعتبرة بعد النبوة الملك والقدرة والسلطان وقد اعطى الله داود وسليمان من ذلك حظا وافرا ومن المراتب الصبر عند نزول البلا والمحن والشدايد وقد خص الله بهذه ايوب ثم عطف على هاتين المرتبتين من جمع الامرين وهو يوسف فانه صبر على البلا والشدة الى ان اعطاه ملك مصر مع النبوة ثم من المرتبة المعتبرة في تفضيل الانبيا عليهم كثرة المعجزات وقوة البراهين وقد خص الله موسى وهرون من ذلك بالحظ الوافر ثم من المراتب المعتبرة الزهد في الدنيا والاعراض عنها وقد خص الله بذلك زكريا ويحيى وعيسى والياس ولهذا السبب وصفهم بانهم من الصالحين ثم ذكر الله تعالى من بعد ذكر هولا الانبيا من لم يبق له اتباع ولا شريعة وهم اسمعيل واليسع ويونس ولوط فاذا اعتبرنا هذه اللطيفة على هذا الوجه كان هذا الترتيب من احسن شي يذكر والله اعلم بمراده واسرار كتابه وقوله ومن اباهم يعني ومن اباء الذين سميناهم ومن هنا للتبعيض لان من اباء بعضهم من لم يكن مسلما وذرياتهم يعني ومن ذرياتهم لان عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان في ذرية بعضهم من كان كافرا كابن نوح واخوانهم يعني ومن اخوانهم والمعنى ان الله وفق من ابا المذكورين ومن ذرياتهم واخوانهم للهداية وخالص الدين وهو قوله واجتبيناهم يعني اخترناهم واصطفيناهم وهديناهم يعني ورشدناهم الى صراط مستقيم اي الى دين الحق ذلك هدى الله قال ابن عباس ذلك دين الله الذي كان عليه هولا الانبيا وقيل معناه هدى الله معرفة الله وتنزيهه عن الشركا والاضداد والانداد يهدي به الله من يشا من عباده يعني يوفق من يشا من عباده ويرشده الى دينه وخلع الاضداد والانداد والشركا ولو اشركوا يعني هولا الذين سميناهم لحبط يعني لبطل وذهب عنهم ما كانوا يعملون يعني من الطاعات قبل ذلك لان الله لا يقبل مع الشرك شيا اوليك الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة يعني اوليك الذين سميناهم من الانبيا اعطيناهم الكتب وانزلناها عليهم واتيناهم العلم والفهم وشرفناهم بالنبوة وانما قدم ذكر الكتاب والحكم على النبوة وان كانت النبوة هي الاصل لان منصب النبوة اشرف المراتب والمناصب فذكر اولا الكتاب والحكم لانهما يدلان على النبوة فان يكفر بها هولا يعني فان يجحد بدلايل التوحيد والنبوة كفار قريش فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين قال ابن عباس هم الانصار واهل المدينة وقيل هم المهاجرون والانصار وقال الحسن وقتادة هم الانبيا الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج قال والدليل عليه قوله اوليك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقيل هم الملايكة وفيه بعد لان اسم القوم لا ينطلق الا على بني ادم وقيل هم الفرس قال ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم سوا كان ملكا او نبيا او من الصحابة او من التابعين وفي الاية دليل على ان الله تعالى

ينصر نبيه عليه الصلاة والسلام ويقوي دينه ويجعله غالبا على الاديان كلها وقد جعل ذلك فهو اخبار عن الغيب قوله اوليك الذين هدى الله يعني الانبيا الذين تقدم ذكرهم لانهم هم المخصوصون بالهداية فبهداهم اقتده اشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم يعني فبشرايعهم وسننهم اعمل واصل الاقتدا في اللغة طلب موافقة الثاني الاول لفعله وقيل امره ان يقتدي بهم في الامر الذي اجمعوا عليه وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن جميع النقايص التي لا تليق بجلاله في الاسما والصفات الرفيعة الكاملة مثل الصبر على اذى السفها والعفو عنهم وقيل امره ان يقتدي بشرايعهم الا ما خصه دليل آخر فعلى هذا القول يكون في الاية دليل على ان شرع من قبلنا شرع لنا ففيه احتج العلما بهذه الاية على ان النبي صلى الله عليه وسلم افضل من جميع الانبيا عليهم السلام وبيانه ان جميع خصال الكمال وصفات الشرف ان كانت متفرقة فيهم وكان نوح صاحب احتمال على اذى قومه وكان ابرهيم صاحب كرم وبذل ومجاهدة في الله عز وجل وكان اسحق ويعقوب من اصحاب الصبر على البلا والمحن وكان داود وسليمن من اصحاب الشكر على النعمة قال الله فيهم اعملوا ال داود شكرا وكان ايوب صاحب صبر على البلا قال الله فيه انا وجدناه صابرا وكان يوسف قد جمع بين الحالتين يعني الصبر والشكر وكان موسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزات الباهرة وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس من اصحاب الزهد في الدنيا وكان اسمعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب تضرع واخبات ثم ان الله تعالى امر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقتدي بهم وجمع له جميع الخصال المحمودة المتفرقة فيهم ثبت بهذا البيان انه عليه الصلاة والسلام كان افضل الانبيا لما اجتمع فيه من هذه الخصال التي كانت متفرقة في جميعهم والله اعلم قل لا اسالكم عليه اجرا يعني قل يا محمد لا اطلب على تبليغ الرسالة جعلا وقيل لما امره الله تعالى بالاقتدا بالنبيين وكان من جملة هداهم ترك طلب الاجر على ايصال الدين وابلاغ الشريعة لاجرم اقتدى بهم فقال قل لا اسالكم عليه اجرا ان هو يعني ما هو يعني القران الا ذكرى للعالمين يعني ان القران موعظة وذكرى لجميع العالم من الجن والانس وفيه دليل على انه عليه الصلاة والسلام كان مبعوثا الى جميع الخلق من الجن والانس وان دعوته عمت جميع الخلايق قوله وما قدروا الله حق قدره قال ابن عباس ما عظموه حق عظمته وعنه ان معناه ما امنوا ان الله على كل شي قدير وقال ابو العالية ما وصفوا الله حق صفته وقال الاخفش ما عرفوا الله حق معرفته يقال قدر الشي اذا حزره وسبره واراد ان يعلم مقداره يقال قدره يقدره بالضم قدرا ثم يقال لمن عرف شيا هو يقدر قدره واذا لم يعرفه بصفاته يقال فيه انه لا يقدر قدره فقوله وما قدروا الله حق قدره يصح فيه جميع الوجوه المذكورة ومعناه اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي يعني الذين قالوا ما انزل الله على بشر من شي ما قدروا الله حق قدره ولا عرفوه حق معرفته اذ لو عرفوه حق معرفته لما قالوا هذه المقالة ثم اختلف العلما فيمن نزلت الاية على قولين احدهما انها نزلت في كفار قريش وهذا على قول من يقول ان جميع هذه السورة مكية وهو قول السدي ويروى ذلك عن مجاهد وصححه الطبري قال لان من اول السورة الى هذا الموضع هو خبر عن المشركين لانهم عبدة الاصنام وكان قوله وما قدروا الله حق قدره موصولا بذلك غير مفصول عنه فلا يكون قوله اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي خبرا عن غيرهم واورد فخر الدين الرازي على هذا القول اشكالا وهو ان كفار قريش ينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم جميع الانبيا فكيف يلزمهم بنبوة موسى وايضا فما بعد هذه الاية لا يليق بكفار قريش انما يليق بحال اليهود واجاب عنه بان كفار قريش كانوا مختلطين باليهود وقد سمعوا منهم ان موسى جاءهم بالتورية وبالمعجزات الباهرة وانما انكر كفار قريش نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيمكن الزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى واجاب

عن سياق الآية لا يليق إلا بحال اليهود وإن كفار قريش وبعضها خطابا لليهود القول الثاني في سبب
نزول هذه الآية وهو قول جمهور المفسرين أنها نزلت في اليهود وعلى قول من يقول الآية نزلت بالمدينة وأنها
من الآيات المدنيات التي في السورة المكية قال ابن عباس نزلت سورة الأنعام بمكة إلا ست آيات نزلت منها قوله
وما قدروا الله حق قدره فإنها نزلت بالمدينة ثم اختلف القائلون بهذا القول في اسم من نزلت هذه الآية فيه
فقال سعيد بن جبير جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف فخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين وكان حبرا سمينا فغضب
وقال ما أنزل الله على بشر من شيء قال البغوي إن مالك بن الصيف لما سمع اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه
وقالوا أليس الله أنزل التوراة على موسى فلم قلت ما أنزل الله على بشر من شيء قال مالك بن الصيف أغضبني محمد
فقلت ذلك فقالوا له وأنت إذا غضبت تقول على الله غير الحق فنزعوه عن الحبرية وجعلوا مكانه كعب
ابن الأشرف وقال السدي نزلت هذه في فنحاص بن عازورا اليهودي وهو القائل هذه المقالة وقال
ابن عباس قالت اليهود يا محمد أنزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما أنزل الله من السماء كتابا فأنزل
الله وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء الآية التي في سورة النساء فلما حدثهم
بأعمالهم الخبيثة جثى رجل منهم وقال ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد
شيئا فأنزل الله وما قدروا الله حق قدره الآية وأورد الرازي على هذا القول إشكالا وجوابه
قال إن اليهود مقرون بإنزال الله من التوراة على موسى عليه السلام فكيف يقولون ما أنزل الله على بشر من شيء
مع اعترافهم بإنزال التوراة على موسى ولم يجب عن هذا الإشكال بشيء وأجيب عنه بأن مراد اليهود
إنكار إنزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فقط ولهذا ألزموا بما لا بد لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على
موسى فقال تعالى قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين أنكروا إنزال القرآن
عليك بقولهم ما أنزل الله على بشر من شيء من أنزل التوراة على موسى وفي هذا الإلزام توبيخ اليهود وتسفيه جهلهم
واقدامهم على إنكار الحق الذي لا ينكر نورا وهدى للناس يعني التوراة ضياء من ظلمة الضلالة وبيانا
يفرق بين الحق والباطل من دينهم وذلك قبل أن تبدل وتغير تجعلونه قراطيس تبدونها يعني القراطيس
المكتوبة وتخفون كثيرا يعني وتخفون كثيرا مما كتبتم في القراطيس وهو ما عندهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم
ونعته في التوراة ومما أخفوه أيضا آية الرجم كانت مكتوبة عندهم في التوراة وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم
أكثر المفسرين على أن هذا الخطاب لليهود ومعناه أنكم علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا
أنتم ولا آباؤكم من قبل وقال مجاهد هذا خطاب للمسلمين يذكرهم النعمة فيما علمهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم
قل الله تعالى قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى فإن أجابوك يا محمد وإلا فقل أنت الله الذي
أنزله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون يعني دعهم يا محمد فيما يخوضون من باطلهم وكفرهم بالله ومعنى يلعبون
يستهزئون ويسخرون وقيل معناه إنك يا محمد إذا أقمت الحجة عليهم وبلغت في الإعذار والإنذار هذا المبلغ
العظيم فحينئذ لم يبق عليك من أمرهم شيء فذرهم فيما هم فيه من الخوض واللعب وفيه وعيد وتهديد للمشركين
وقال بعضهم هذا منسوخ بآية السيف وفيه بعد لأنه مذكور لأجل التهديد والوعيد قوله تعالى وهذا
كتاب أنزلناه مبارك يعني وهذا القرآن أنزلناه كتابا من عندنا عليك يا محمد كثير الخير والبركة دائم
النفع يبشر المؤمنين بالثواب والمغفرة ويزجر عن القبيح والمعصية وأصل البركة النماء والزيادة
وثبوت الخير مصدق الذي بين يديه يعني من الكتب الإلهية المنزلة من السماء على الأنبياء يعني أنه موافق

لما في التوراة والإنجيل وسائر الكتب لأنها اشتملت جميعها على التوحيد والتنزيه لله من كل عيب ونقص ويدل على البشارة
والنذارة فثبت بذلك كون القرآن مصدقا لجميع الكتب المنزلة ولتنذر أم القرى ومن حولها ولتنذر يا محمد بالبأس
ومعناه ولينذر الكتاب أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها قال ابن عباس وقيل لأنها أقدم القرى وأعظمها بركة وقيل أم القرى
مكة أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها قاله ابن عباس وقيل لأنها أقدم القرى وأعظمها بركة وقيل أم القرى
لأنها قبلة أهل الأرض ومن حولها يعني جميع البلاد والقرى التي حولها شرقا وغربا والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون
به يعني والذين يصدقون بقيام الساعة والمعاد والبعث ويصدقون بهذا الكتاب وأنه منزل من عند الله
عز وجل وقيل يصدقون ببعث الرسل وذلك لأن الذي يؤمن بالآخرة يؤمن بالوعد والوعيد والثواب
والعقاب ومن كان كذلك فإنه يرغب في تحصيل الثواب ورد العقاب عنه وذلك لا يحصل إلا بالنظر التام فإذا
نظر وتفكر علم بالضرورة أن دين محمد أشرف الأديان وشريعته أعظم الشرائع وهم على صلاتهم يحافظون يعني
يداومون عليها في أوقاتها والمعنى أن الإيمان بالآخرة حمله على الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذلك يحمل على
المحافظة على الصلوات وفائدة تخصيص الصلوات بالذكر دون سائر العبادات لأنها أشرف العبادات
بعد الإيمان بالله فإذا حافظ العبد عليها يكون محافظا على جميع العبادات والطاعات قوله تعالى ومن
أظلم ممن افترى على الله كذبا يعني ومن أظلم خطأ وجهلا وأجهل فعلا ممن اختلق على الله كذبا فزعم أن
الله بعثه نبيا وهو في زعمه كذاب مبطل أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء قال قتادة نزلت هذه الآية في مسيلمة
الكذاب قال قتادة نزلت هذه الآية في مسيلمة الكذاب وهو أبو ثمامة مسيلمة بن ثمامة وقيل مسيلمة بن حبيب
من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات وكهانة وسجع ادعى النبوة باليمن وزعم أن الله أوحى إليه وكان قد أرسل إلى النبي صلى
الله عليه وسلم رسولين فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشهدان أن مسيلمة نبي قالا نعم فقال عليه السلام لولا أن الرسل لا تقتل
لضربت أعناقكما ق عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم إذ أوتيت خزائن الأرض فوضع في يدي سواران من
ذهب فكبرا علي وأهماني فأوحي إلي أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب
اليمامة وفي لفظ الترمذي قال عليه السلام رأيت في المنام كأن في يدي سوارين فأولتهما كذابين يخرجان من
بعدي يقال لأحدهما مسيلمة صاحب اليمامة والعنسي صاحب صنعاء قوله فأوحي إلي أن انفخهما يروى بالخاء
المهملة ومعناه الرمي والدفع من نفحت الدابة إذا دفعت ورمحت برجلها ويروى بالخاء المعجمة من النفخ يريد أنه نفخهما
فطارا عنه وهو قريب من الأول فأما مسيلمة الكذاب فإنه ادعى النبوة باليمامة من اليمن وتبعه قوم من بني
حنيفة وكان صاحب نيرجات فاغتر قومه بذلك وقتل مسيلمة الكذاب في خلافة أبي بكر الصديق قتله وحشي
قاتل حمزة بن عبد المطلب فكان وحشي يقول قتلت خير الناس يعني حمزة وقتلت شر الناس يعني مسيلمة الكذاب
وأما الأسود العنسي بالنون فهو عبهلة بن كعب ويقال له ذو الحمار ادعى النبوة باليمن في آخر عهد النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم حيا وذلك قبل موته بيومين وأخبر أصحابه بقتله وقتله فيروز الديلمي
ممن افترى على الله كذبا الآية نزلت في مسيلمة الكذاب والأسود العنسي فمن قال إن هذه الآية يعني قوله تعالى
ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا الآية نزلت في مسيلمة الكذاب والأسود العنسي يقول إن هذه الآية مدنية
نزلت بالمدينة وهو قول لبعض علماء التفسير تقدم ذكره في أول السورة ومن قال إن هذه الآية مكية قال إنها
نزلت في شأنهما يقول إنها خبر عن غيب فقد ظهر ذلك فيما بعد والله أعلم وقوله تعالى ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله
قال السدي نزلت في عبد الله بن أبي سرح القرشي وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم وكان إذا أملى
عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما وإذا أملى عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الإنسان من سلالة

من طين املاها على النبي صلى الله عليه وسلم فعجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتبها فهكذا انزلت فشك عبد الله بن ابي سرح وقال لئن كان محمد صادقا فقد اوحي
الي مثل ما يوحى اليه فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله بعد ذلك الى الاسلام فاسلم قبل فتح مكة والنبي
صلى الله عليه وسلم نازل بمر الظهران وقال ابن عباس ومن قال سانزل مثل ما انزل الله يريد المستهزئين
وهو جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا قال العلماء وقد دخل في حكم هذه الاية كل من افترى على الله كذبا في ذلك
الزمان وبعده لانه لا يمنع خصوص السبب عموم الحكم ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت يعني ولو ترى يا محمد حال
هؤلاء الظالمين اذا نزل بهم الموت لرايت امرا عظيما من غمراته وشدائده وسكراته وغمرة كل شيء معظمه واصلها الشيء الذي
يغمر الاشياء فيغطيها ثم وضعت في موضع الشدائد والمكاره والملائكة باسطوا ايديهم يعني بالعذاب يضربون وجوههم
وادبارهم وقيل باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم اخرجوا انفسكم يعني يقولون لهم اخرجوا انفسكم فان قلت لا قدرة
لاحد على اخراج روحه من بدنه فما فائدة هذا الكلام قلت معناه يقولون لهم اخرجوا انفسكم كرها لان المؤمن يحب علم
لقاء الله بخلاف الكافر وقيل معناه يقولون لهم خلصوا انفسكم من هذا العذاب ان قدرتم على ذلك فيكون
هذا القول توبيخا لهم لانهم لا يقدرون على خلاص انفسهم في ذلك الوقت اليوم تجزون عذاب الهون
يعني الهوان بما كنتم تقولون على الله غير الحق يعني ذلك العذاب الذي تجدونه بسبب ما كنتم تقولون على الله غير الحق
وكنتم عن اياته تستكبرون يعني وبسبب ما كنتم تتعظمون عن الايمان بالقرآن ولا تصدقونه قوله تعالى ولقد
جئتمونا فرادى يعني وحدانا لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم وهذا خبر من الله تعالى عن حال الكفار يوم القيمة
وكيف يحشرون اليه وماذا يقول لهم في ذلك اليوم وفي قوله للكفار ولقد جئتمونا فرادى تقريع وتوبيخ لهم لانهم صرفوا
هممهم في الدنيا الى تحصيل المال والولد وافنوا اعمارهم في عبادة الاصنام فلم يغن عنهم كل ذلك شيئا يوم القيمة
فاتوا فرادى عن كل ما حصلوه في الدنيا كما خلقناكم اول مرة يعني جئتمونا حفاة عراة غرلا يعني غلفا كما ولدتهم امهاتهم
في اول مرة في الدنيا لا شيء عليهم ولا معهم وعن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس
انكم محشورون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده الاية وعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت النبي صلى
الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى
بعض قال عليه السلام لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه لا ينظر الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال شغل
بعضهم عن بعض قوله تعالى وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم يعني وتركتم الذي اعطيناكم وملكناكم من الاموال
والاولاد والخدم والخول كل ما اعطى الله للعبد وخوله فيه من المال والعبيد وراء ظهوركم يعني في الدنيا وما نرى
معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء يعني ان المشركين زعموا انهم انما عبدوا هذه الاصنام لانها تشفع لهم
عند الله يوم القيمة لانها شركاء الله تعالى الله عن ذلك فاذا كان يوم القيمة وبخ المشركين وقرعهم بهذه الاية ثم قال تعالى الله
لقد تقطع بينكم قرئ بنصب النون من بينكم ومعناه لقد تقطع وصلكم والبين من الاضداد يكون وصلا ويكون
هجرا وضل عنكم ما كنتم تزعمون يعني وذهب وبطل ما كنتم تكذبون في الدنيا قوله ان الله فالق الحب والنوى لما
تقدم الكلام في تقرير التوحيد وتقرير النبوة اردفه بذكر الدلائل الدالة على كمال قدرته وعلمه وحكمته تنبيها
بذلك على ان المقصود الاعظم معرفة الله تعالى بجميع صفاته وافعاله وانه مبدع الاشياء وخالقها ومن كان كذلك كان
هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها وتعريف منهم خطا ما كانوا عليه من الاشراك الذي
كانوا عليه والمعنى ان الذي يستحق العبادة دون غيره هو الله الذي فلق الحب والنوى يعني الشق عن النبات والنواة
عن النخلة وفي معنى فلق قولان احدهما انه بمعنى خالق ومعنى الاية على هذا القول ان الله فالق الحب والنوى فالق

وهو قول ابن عباس في رواية العوفي عنه وبه قال الضحاك ومقاتل قال الواحدي ذهبوا بفالق
مذهب فاطر وانكر الطبري هذا القول وقال لا يعرف في كلام العرب فلق الله الشيء بمعنى خلق ونقل هذا الكلام الواحدي
عن الزجاج جوازه فقال وقيل الفلق الخلق واذا تاملت الخلق تبين لك ان اكثره عن انفلاق ومعنى هذا الكلام
ان جميع الاشياء كانت قبل الوجود في العدم فلما اوجدها الله تعالى واخرجها من العدم الى الوجود فكانه فلقها واظهرها
والقول الثاني وهو قول الاكثرين ان الفلق هو الشق ثم اختلفوا في معناه على قولين احدهما وهو رواية عن ابن عباس
قال فلق الحب عن السنبلة والنواة عن النخلة قال الزجاج يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منها ورقا
اخضر والقول الثاني وهو قول مجاهد هو الشقان اللذان في الحب والنوى والحب هو الذي ليس له نوى كالحنطة
والشعير والارز وما اشبه ذلك ومعنى قوله فالق الحب والنوى وذلك اذا وقعت النواة في الارض الرطبة والنوى
جمع نواة وهو ما كان على ضد الحبة كالرطب والخوخ والمشمش وما اشبه ذلك ثم مر على ذلك قدر من الزمان
اظهر الله من تلك الحبة ورقا اخضر ثم يخرج من ذلك الورق سنبلة يكون فيها الحب ويظهر من النواة شجرة
صاعدة في الهواء وعروقا ضاربة في الارض فسبحان من اوجد جميع الاشياء بقدرته وابداعه وخلقه وقوله تعالى
يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي قال ابن عباس في رواية عنه يخرج من النطفة بشرا حيا ويخرج النطفة
الميتة من الحي وهذا قول الكلبي ومقاتل قال الكلبي يخرج النسمة الحية من النطفة الميتة ويخرج الفرخ
من البيضة ويخرج النطفة الميتة والبيضة الميتة من الحي قال ابن عباس في رواية اخرى يخرج المؤمن
من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن فجعل الايمان بمنزلة الحياة والكفر بمنزلة الموت وهذا قول الحسن وقيل
معناه يخرج الطائع من العاصي والعاصي من الطائع وقال السدي يخرج النبات من الحب والحب
من النبات وهذا اختيار الطبري لانه عقيب قوله ان الله فالق الحب والنوى فان قلت كيف قال
قال يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت وما السبب
في عطف الاسم على الفعل قلت قوله ومخرج الميت من الحي عطف على قوله فالق الحب
والنوى وقوله يخرج الحي من الميت كالبيان والتفسير لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب
والنوى اليابس واخراج النبات والشجر منه من جنس اخراج الحي من الميت فان النامي من النبات
في حكم الحيوان وقوله ذلكم الله المدبر الخالق الصانع لهذه الاشياء المحيي المميت لها فانى تؤفكون يعني
فانى تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله الذي هو خالق الاشياء كلها وفيه دليل ايضا على صحة
البعث بعد الموت لان القادر على اخراج البدن من النطفة قادر على اخراجه من التراب للحساب
قوله تعالى فالق الاصباح اي شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده والاصباح مصدر
يسمى به الصبح وقال الزجاج الاصباح والصبح واحد وهما اول النهار فان قلت ظاهر الاية يدل على
انفلاق الصبح والظلمة هي التي تنفلق بالصبح فما معنى ذلك قلت ذكر العلماء فيه وجوها الاول
ان يكون المراد فالق ظلمة الاصباح وذلك لان الصبح صبحان فالصبح الاول هو البياض المستطيل
الصاعد في الافق كذنب السرحان وهو الذئب ثم يعقبه ظلمة بعد ذلك ويسمى هذا الصبح الفجر الكاذب
لانه يبدو في الافق الشرقي ثم يضمحل ويذهب ثم يطلع بعده الصبح الثاني وهو الضوء المستطير
في جميع الافق الشرقي ويسمى الفجر الصادق لانه ليس بعده ظلمة والحاصل من هذا ان يكون المعنى فالق
ظلمة الليل بنور الصباح كذلك يشق نور الصباح بضياء النهار فيكون معنى قوله فالق الاصباح
اي فالق الصباح بنور النهار الوجه الثالث ان يراد فالق الظلمة بالصباح وهو الغبش في آخر الليل

الذي يلي الصبح الوجه الرابع ان يكون معناه فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر اذا انصدع الفجر والفلق
وسمي الفجر فلقا بمعنى مفلوق الوجه الخامس الفلق بمعنى الخلق بمعنى خالق الاصباح وعلى هذا القول يزول
الاشكال والصبح هو الضوء الذي يبدو اول النهار والمعنى انه تعالى مبدي ضوء الصبح وخالقه ومنورة
وقوله وجاعل الليل سكنا السكن ما سكنت اليه واسترحت به يريد ان الناس يسكنون
في الليل سكون راحة لان الله جعل لهم الليل كذلك قال ابن عباس ان كل ذي روح يسكن فيه لان
الانسان قد اتعب نفسه في النهار فاحتاج الى زمان يستريح به فيسكن عن الحركة وذلك هو الليل والشمس
والقمر حسبانا معناه انه تعالى قدر حركة الشمس والقمر في الفلك بحساب معين قال ابن عباس يجريان الى اجل
جعل لهما يعني عدد الايام والشهور والسنين وقال الكلبي منازلهما بحساب لا يجاوزانه حتى ينتهيا الى
اقصى منازلهما ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره في هذه الاية من الاشيا التي خلقها بقدرته وكمال علمه وهو
المراد بقوله تقدير العزيز العليم فالعزيز اشارة الى كمال قدرته والعليم اشارة الى كمال علمه قوله وهو
الذي جعل لكم النجوم الاية جعل هنا بمعنى خلق معناه والله الذي خلق لكم هذه النجوم ادلة لتهتدوا بها الى
المسالك والطرق في البر والبحر حيث تريدون وتستدلون بالنجوم ايضا على القبلة وعلى ما
تريدون في النهار بحركة الشمس وفي الليل بحركة الكواكب ومن منافعها ايضا انه تعالى خلقها زينة
للسما كما قال زينا السما الدنيا بمصابيح وجعل بعضها رجوما للشياطين قد فصلنا الايات يعني
بينا الايات الدالة على توحيدنا وكمال قدرتنا لقوم يعلمون ان ذكرها ليستدل به على وجود
الصانع المختار وكمال علمه وقدرته قوله تعالى وهو الذي انشاكم من نفس واحدة يعني والله الذي
ابتدا خلقكم ايها الناس من آدم عليه السلام فهو ابو البشر كلهم وحوا مخلوقة منه وعيسى ايضا
لان ابتدا خلقه من مريم وهي من بنات آدم فثبت ان جميع الخلق من آدم عليه السلام فمستقر ومستودع
قرئ فمستقر بكسر القاف وفتحها فمن كسر القاف جعل المستقر بمعنى القار والمعنى منكم مستقر يعني في
الارحام ومن فتح القاف جعله مكانا فالمستقر بمعنى المقر يكون المعنى لكم المقر والمستودع فهو مثل
اودع فمحبوز ان يكون اسما لانسان الذي استودع ذلك المكان ويجوز ان يكون المكان نفسه
فمن قرا فمستقر بفتح القاف جعل المستودع مكانا والمعنى فلكم مكان استقرار ومكان استيداع ومن
كسر القاف جعل المعنى منكم مستقر ومنكم مستودع يعني منكم من استقر ومنكم من استودع والفرق
بين المستقر والمستودع ان المستقر اقرب الى الثبات من المستودع لان المستقر من القرار والمستودع
معرض بان يرد ولهذا اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذين اللفظين فروي عن ابن عباس انه قال
المستقر في ارحام الامهات والمستودع في اصلاب الابا ثم قرا ونقر في الارحام ما نشا ويؤيد هذا القول ان
النطفة لا تبقى في صلب الاب زمانا طويلا والجنين يبقى في بطن الام زمانا طويلا ولما كان المكث في بطن الام
اكثر من صلب الاب حمل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب وروي عنه انه قال بالعكس يعني
المستقر صلب الاب والمستودع رحم المراة ووجه هذا القول ان النطفة حصلت في صلب الاب
قبل رحم الام فوجب حمل المستقر على الصلب والمستودع على رحم الام قال ابن مسعود المستقر في
الرحم الى ان يولد والمستودع في القبر الى ان يبعث وقال مجاهد المستقر على وجه الارض في الدنيا
لقوله ولكم في الارض مستقر الحين والمستودع عند الله في الاخرة وقال الحسن المستقر في القبر والمستودع
في الدنيا وكان يقول يا ابن آدم انت مستودع في اهلك الى ان يلحق بصاحبك يعني القبر وقيل المستقر

في القبر وقيل المستقر في القبر والمستودع اما في الجنة او النار لان المقام فيهما يقتضي الخلود والتابيد
قد فصلنا الايات يعني قد بينا الدلايل الدالة على التوحيد والبراهين الواضحة والحجج القاطعة لقوم يفقهون
يعني لقوم يفهمون عن الله اياته ودلايله الدالة على توحيده لان الفقه هو الفهم قوله وهو الذي انزل
من السما ما يعني المطر وقيل ان الله ينزل المطر من السما الى السحاب ومن السحاب الى الارض فاخرجنا
به يعني بالما الذي انزلناه من السما اخرجنا غذا كل شي من الانعام والبهايم والطير والوحش وارزاق بني آدم
واقواتهم ما يتغذون به ويعيشون عليه وينمو فاخرجنا منه خضرا يريد اخضر مثل عور واعور والاخضر هو جميع
الزروع والبقول الرطبة نخرج منه حبا متراكبا يعني نخرج من ذلك الاخضر سنابل فيها الحب يركب بعضها فوق
بعض مثل سنبل القمح والشعير والارز والذرة وساير الحبوب وتقدم الزرع على النخل دليل على الافضلية
ولان حاجة الناس اليه اكثر لانه القوت المالوف ومن النخل من طلعها قنوان دانية يعني من ثمرها يقال اطلعت
النخلة اذا اخرجت طلعها وطلعها كفراها قبل ان ينشق عن الاغريض والاغريض يسمى طلعا ايضا وهو ما
يكون في قلب الطلع والطلع اول ما يبدو ويخرج من ثمر النخل كالكيزان يكون فيه العذق فاذا انشق عنه
كيزانه يسمى عذقا وهو القنو وجمعه قنوان مثل صنو وصنوان دانية اي قريبة المتناول ينالها
القايم والقاعد وقال مجاهد متدلية وقال الضحاك قصار ملتصقة نخلها بالارض وفيه اختصار
وحذف تقديره ومن النخل ما قنوانها دانية قريبة ومنها ما هي بعيدة عالية فاكتفى بذكر القريبة عن
البعيدة لسبقه الى الافهام ولانها اسهل تناولا ولامر البعيدة لان البعيدة تحتاج الى كلفة وجنات
من اعناب يعني واخرجنا من الما بساتين من اعناب والزيتون والرمان يعني واخرجنا شجر الزيتون
وشجر الرمان مشتبها ورقها مختلفا ثمرها لان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان وغير متشابه
في الورق والطعم واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه الاية اربعة انواع من الشجر مقدم على الفواكه وانما
قدم النخلة على غيرها لان ثمرها يجري مجرى الغذا وفيها من المنافع والخواص ما ليس في غيرها من
الاشجار وانما ذكر العنب عقيب النخلة لانه من اشرف انواع الفواكه ثم ذكر عقيبه الزيتون
لما فيه من البركة والمنافع الكثيرة في الاكل وساير وجوه الاستعمال ثم ذكر عقيبه الرمان لما فيه
من المنافع ايضا لانه فاكهة ودوا ثم قال تعالى انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه يعني ونضجه وادراكه والمعنى
انظروا استدلالا واعتبارا كيف اخرج الله هذه الثمرة الرطبة اللطيفة من هذه الشجرة الكثيفة
اليابسة وهو قوله ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون يعني يصدقون ان الذي اخرج هذا النبات
وهذه الثمار قادر على ان يحيي الموتى ويبعثهم واحتج الله عليهم بتصريف ما خلق ونقله من حال
الى حال وهم يعلمونه قطعا ويشاهدونه باحيا الارض من بعد موتها واخراج ساير انواع النبات
والثمار منها وانه لا يقدر على ذلك احد الا الله تعالى فانه كذلك قادر على ان يحييهم بعد موتهم ثم يبعثهم
الى يوم القيمة وانما احتج عليهم بهذه الاشيا كلها لانهم كانوا ينكرون البعث قوله وجعلوا لله شركا
الجن قال الحسن معناه اطاعوا الجن في عبادة الاوثان وهو اختيار الزجاج قال معناه انهم
اطاعوا الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركا لله وقال الكلبي نزلت في الزنادقة
اثبتوا الشركة لابليس في الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام وابليس خالق
الظلمة والسباع والحيات والعقارب ونقل هذا القول ابن الجوزي عن ابن السايب ونقله الرازي
عن ابن عباس قال الامام فخر الدين وهذا مذهب المجوس وانما قال ابن عباس هو قول الزنادقة

نبات كل شي يعني من اصناف النبات ونضج معناه وصل صح

لان المجوس يلقبون بالزنادقة لان الكتاب الذي زعم زردشت انه نزل من السماء سماه بالزند والمنسوب
اليه يسمى زندي ثم عرب فقيل زنديق فاذا جمع قيل زنادقة ثم ان المجوس قالوا كل ما في هذا العالم من الخير فهو من
يزدان يعني النور وجميع ما في العالم من الشر فهو من اهرمن يعني ابليس ثم اختلف المجوس فالاكثرون منهم على ان
ابليس محدث ولهم في كيفية حدوثه اقوال عجيبة والاقلون منهم قالوا انه قديم وعلى كلا القولين فقد اتفقوا
على انه شريك لله في تدبير هذا العالم فما كان من خير فهو من الله وما كان من شر فهو من ابليس تعالى الله عن قولهم
علوا كبيرا فان قلت فعلى هذا القول انهم اثبتوا لله شريكا واحدا وهو ابليس فكيف حكى الله انهم جعلوا لله شركاء
قلت ان ابليس له اعوانا من جنسه وحزبه وهم شياطين الجن يعملون اعماله فصح ما حكاه الله
عنهم من انهم جعلوا لله شركاء الجن ومعنى الاية وجعلوا الجن شركاء لله واختلفوا في معنى هذه الشركة فمن قال
ان الاية في كفار العرب قال انهم اطاعوا الجن فيما امروهم به من عبادة الاصنام فقد اطاعوهم جعلوهم شركاء لله ومن
قال انها في المجوس فقد اثبتوا الاهين اثنين النور والظلمة وقيل ان كفار العرب قالوا الملائكة بنات الله وهم
شركاؤه فعلى هذا القول جعلوا الملائكة من الجن وذلك لانهم مستترون عن البصر وقوله وخلقهم في معنى الكناية
قولان احدهما انها تعود الى الجن فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف يكونون شركاء لله من هو محدث مخلوق
والقول الثاني ان الكناية الى الجاعلين لله شركاء فيكون المعنى وجعلوا لله الذي خلقهم شركاء لا يخلقون شيئا
وهذا كالدليل القاطع بان المخلوق لا يكون شريكا لله وكل ما كان في الكون محدث مخلوق والله تعالى هو
الخالق لجميع ما في الكون فامتنع ان يكون لله شريك في ملكه وخرقوا له بنين وبنات بغير علم اي اختلقوا
وكذبوا يقال اختلقوا واخترقوا على فلان اذا كذبوا عليه وذلك ان النصارى وطائفة من اليهود ادعوا
ان لله ابن وكفار العرب ادعوا ان الملائكة بنات الله وكذبوا على الله جميعا فيما ادعوه وقوله بغير علم
كالتنبيه على ما هو الدليل القاطع على فساد هذا القول لان الولد جزء من الاب والله تعالى لا يتجزأ
فثبت بهذا فساد قول من يدعي ان لله ولدا ثم نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد وعن هذه الاقاويل
الفاسدة فقال تعالى سبحانه وتعالى عما يصفون فقوله سبحانه فيه تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وقوله
وتعالى يعني المتعالي عن كل ما لا يليق بجلاله اعتقاد باطل وقول فاسد او يكون المعنى المتعالي عن اتخاذ الولد
والشريك وقوله عما يصفون يعني عما يصفونه به من الكذب قوله بديع السموات والارض الابداع عبارة عن
تكوين الشيء على غير مثال سبق والله خلق السموات والارض على غير مثال سبق اني يكون له ولد
اي من اين يكون له ولد ولم تكن له صاحبة لان الولد لا يكون الا من صاحبة انثى ولا ينبغي ان تكون لله صاحبة
لانه ليس كمثله شيء وخلق كل شيء يعني ان الصاحبة والولد في جملة من خلق لانه خالق كل شيء وليس كمثله
شيء فكيف يكون الولد لمن لا مثل له واذا نسب الصاحبة والولد اليه فقد جعل له مثل والله تعالى عن المثيل
وهذه الحجة قاطعة على فساد قول النصارى وهو بكل شيء عليم يعني انه تعالى عالم بجميع خلقه لا يعزب
عن علمه شيء وعلمه محيط بكل شيء قوله ذلكم الله ربكم يعني ذلكم الله الذي من صفته انه خلق السموات والارض
وابدعهما على غير مثال وانه بكل شيء عليم هو ربكم الذي يستحق العبادة لا من تدعونه من دونه من الاصنام
لانها جماد لا تضر ولا تنفع ولا تعقل والله تعالى هو الخالق الضار النافع لا اله الا هو فاعبدوه يعني انه هو الذي يستحق
العبادة فاعبدوه واطيعوه وهو على كل شيء وكيل يعني انه تعالى على كل شيء خلق رقيب حفيظ يقوم
بارزاق جميع خلقه قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قال جمهور العلماء المفسرين معنى الادراك
الاحاطة بكنه الشيء وحقيقته فالابصار لا تدرك الباري جل جلاله ولا تحيط به كما ان القلوب تعرفه ولا

تحيط به

تحيط به وقال سعيد بن المسيب في تفسير قوله لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار وقال ابن عباس كلت ابصار المخلوقين
عن الاحاطة به فصل تمسك بظاهر الاية قوم من اهل البدع وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة
وقالوا ان الله تعالى لا يراه احد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا لان الله اخبر ان الابصار لا تدركه
وادراك البصر عبارة عن الرؤية اذ لا فرق بين قوله ادركته ببصري ورايته ببصري فثبت بذلك ان قوله لا تدركه
الابصار بمعنى لا تراه الابصار وهذا يفيد العموم ومذهب اهل السنة ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي
الجنة وان رؤيته غير مستحيلة عقلا واحتجوا لصحة مذهبهم بظاهر ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة
ومن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تعالى للمؤمنين في الاخرة قال الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة ففي هذه الاية دليل على ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وقال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال
الشافعي حجب قوما بالمعاصي وهي الكفر فثبت ان قوما يرونه بالطاعة وهو الايمان وقال مالك لو لم ير
المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الكفار بالحجاب وقال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وفسروا
هذه الزيادة بالنظر الى الله عز وجل يوم القيامة واما دلائل السنة فما روي عن جرير بن عبد الله البجلي قال كنا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون
في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك
قبل طلوع الشمس وقبل الغروب اخرجه البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان ناسا قالوا
يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضامون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون
في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال فانكم ترونه كذلك اخرجه ابو داود والترمذي وللبخاري عنه في اوله
ان ناسا سالوا وفي اخره ليس دونها سحاب عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اكلنا يرى ربه
مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت وما اية ذلك من خلقه قال يا ابا رزين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر
مخليا به قلت بلى يا رسول الله قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق الله يعني القمر فالله اجل واعظم اخرجه
ابو داود واما الدلائل العقلية فقد احتج اهل السنة ايضا بهذه الاية على جواز رؤية المؤمنين ربهم يوم
القيامة وتقريره انه تعالى تمدح بقوله لا تدركه الابصار ولو لم يكن جائز الرؤية لما حصل هذا التمدح لان
المعدوم لا تصح رؤيته فثبت ان قوله لا تدركه الابصار يفيد المدح وهذا يدل على ان قوله تعالى جائز
الرؤية وتحقيق هذا ان الشيء اذا كان في نفسه بحيث تمتنع رؤيته فحينئذ لا يلزم من عدم رؤيته مدح
وتعظيم اما اذا كان في نفسه جائز الرؤية ثم انه قدر على حجب الابصار عنه كانت القدرة دالة على المدح
والتعظيم فثبت ان هذه الاية دالة على انه تعالى جائز الرؤية واذا ثبت هذا وجب القطع بان المؤمنين
يرونه يوم القيامة لان موسى عليه السلام سال الرؤية بقوله ارني انظر اليك وذلك يدل على جواز الرؤية اذ لا
يسال نبي مثل موسى ما لا يجوز ويمتنع وقد علق الله الرؤية على استقرار الجبل بقوله فان استقر مكانه
فسوف تراني واستقرار الجبل جائز والمعلق على الجائز جائز واما الجواب عن تمسك المعتزلة بظاهر
هذه الاية على نفي الرؤية فاعلم ان الادراك غير الرؤية لان الادراك هو الاحاطة بكنه الشيء وحقيقته والحقيقة
الغائبة للشيء هي غير احاطة وقد تكون الرؤية بلا ادراك كما قال تعالى في قصة موسى قال اصحاب موسى
انا لمدركون قال كلا وكان قوم فرعون قد راوا قوم موسى ولم يدركوهم ولكن قاربوا ادراكهم اياهم فنفى موسى
الادراك مع اثبات الرؤية بقوله كلا فالله تعالى يجوز ان يرى في الاخرة من غير ادراك ولا احاطة لان الادراك هو
الاحاطة وهو من كان محدودا وذا جهات والله منزه عن الحد والجهة لانه القديم الذي لا نهاية له فعلى هذا انه

تعالى يرى ولا يدرك وقال قوم ان الآية مخصوصة بالدنيا قال ابن عباس في معنى الآية لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى
في الآخرة وعلى هذا القول لا فرق بين الادراك والرؤية قالوا ويدل على هذا التخصيص قوله وجوه يومئذ ناضرة الى
ربها ناظرة فقوله يومئذ ناضرة مقيد بيوم القيمة وعلى هذا يمكن الجمع بين الآيتين قال السدي لا تنظر بصاير ان تظن
معاينة ونظر علم معنى قوله لا تدركه الابصار لا يدركه علم العلماء ولا نظرهم ولا يحيطون به علما وهذا وجه حسن ايضا
والله اعلم وقوله وهو يدرك الابصار يعني انه تعالى يرى جميع المرئيات ويبصر جميع المبصرات لا يخفى عليه شيء منها ويعلم
حقيقتها ويطلع على ماهيتها فهو تعالى لا تدركه ابصار المبصرين وهو يدركها وهو اللطيف الخبير قال ابن عباس
اللطيف باوليائه الخبير بهم وقال الازهري معنى اللطيف الرفيق بعباده وقيل هو اللطيف الموصل الشيء
اليك برفق ولين وقيل هو الذي ينسى عباده ذنوبهم لئلا يخجلوا واصل اللطف دقة النظر في الاشياء وقال ابو سليمان
الخطابي اللطيف هو البر بعباده يلطف بهم من حيث لا يعلمون ويوصل اليهم مصالحهم من
حيث لا يحتسبون وقال الازهري اللطيف في صفة الله معناه الرفيق بعباده وقيل هو اللطيف حين لم
يأمر عباده بفوق طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم وقيل هو اللطيف بعباده حيث يثني عليهم
عند الطاعة ولم يقطع عنهم بره واحسانه عند المعصية وقيل هو الذي لطف عن ان يدركه الابصار
وهو يدركها قوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي الدلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم
به والمعنى قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والحجج الذي تبصرون به الهدى والحق من الباطل وقيل ان الآيات
والبراهين ليست في نفسها بصائر الا انها لقوتها توجب البصائر لمن عرفها ووقف على حقائقها فلما
كانت هذه الآيات والحجج والبراهين اسبابا لحصول البصائر سميت الآيات بصائر فمن ابصر يعني فمن عرف
الآيات واهتدى بها الى الحق فلنفسه يعني فلنفسه ابصر ولها عمل لانه يعود نفع ذلك عليه ومن عمي
يعني ومن جهل ولم يعرف الآيات ولم يستدل بها الى الطريق فعليها يعني فعلى نفسه عمي ولها ضر كفره ووبال ذلك
العمى عليه لان الله غني عن خلقه وما انا عليكم بحفيظ يعني وما انا عليكم برقيب احصي عليكم اعمالكم وافعالكم
انما انا رسول من ربكم ابلغكم ما ارسلت به اليكم والله هو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شيء من اعمالكم
وقيل معناه لا اقدر ان ادفع عنكم ما يريده الله بكم وقيل معناه لست آخذكم بالايمان اخذ الحفيظ
الوكيل وهذا كان قبل الامر بقتال المشركين فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآية السيف
وعلى القول الثاني محكمة قوله تعالى وكذلك نصرف الآيات يعني وكذلك نبين الآيات ونفصلها في
كل وجه كما صرفناها وبيناها من قبل وليقولوا درست يعني وكذلك نصرف الآيات لنلزمهم الحجج
وليقولوا درست وقيل معناه لئلا يقولوا درست وقيل اللام فيه لام العاقبة ومعناه عاقبة
امرهم ان يقولوا درست يعني قرأت على غيرك يقال درس الكتاب يدرسه دراسة اذا اكثر
قراءته وذلله للحفظ قال ابن عباس وليقولوا اهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن درست يعني تعلمت من
يسار وجبر وكانا عبدين من سبي الروم ثم قرأت علينا تزعم انه من عند الله درست يعني تعلمت وقال
الفراء تعلمت من اليهود وقرئ دارست بالالف بمعنى قارأت اهل الكتاب من المدارسة التي هي بين اثنين
يعني يقولون قرأت على اهل الكتاب وقرأوا عليك وقرئ درست بفتح الدال والراء والسين وسكون
التاء ومعناه ان هذه الاخبار التي تتلوها علينا قد درست ومحيت من قولهم درس الاثر اذا محي وذهب
اثره ولنبينه لقوم يعلمون يعني القرآن وقيل معناه نصرف الآيات لقوم يعلمون قال ابن عباس يريد
اولياءه الذين هداهم الى سبيل الرشاد وقيل معنى الآيات وكذلك نصرف الآيات ليسعد بها قوم ويشقى

بها اخرون ممن اعرض عنها وقال للنبي صلى الله عليه وسلم درست او دارست فمن شقي ومن يتبين له الحق ويفهم معناها
وعمل بها فهو سعيد وقال ابو اسحق الزجاج ان قالوا درست هو ثلاوة الآيات عليهم وهذه اللام تسميها اهل
اللغة لام الصيرورة يعني صار عاقبة امرهم ان قالوا درست فصار ذلك سببا لشقاوتهم وفي هذا دليل
على ان الله تعالى جعل تصريف الآيات سببا لضلالة قوم وشقاوتهم وسعادة قوم وهدايتهم قوله اتبع ما اوحي
اليك من ربك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني اتبع يا محمد ما امرك به ربك في وحيه الذي اوحاه اليك فاعمل به
وبلغه الى عبادي ولا تلتفت الى قول من يقول درست او دارست وفي قوله اتبع ما اوحي اليك من ربك تقوية
لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن الذي حصل له بسبب قولهم ثم نبه بقوله تعالى لا اله الا هو على انه وحده قولهم م
فلا تعبدوا الا شريك له واذا كان كذا فانه يجب طاعته ولا يجوز تركها بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزائغين
قوله تعالى واعرض عن المشركين قيل المراد منه في الحال لا في الاول واذا كان كذلك لم يكن قيل المراد النسخ م
ترك مقاتلتهم فعلى هذا يكون هذا الامر بالاعراض منسوخا بآية القتال قوله ولو شاء الله ما اشركوا
قال الزجاج معناه لو شاء الله لجعلهم مؤمنين وهذا نص صريح في ان شركهم كان بمشيئة الله خلافا للمعتزلة
في قولهم لم يرد من احد الكفر والشرك فالآية ترد عليهم وما جعلناك عليهم حفيظا يعني وما جعلناك
عليهم حفيظا يا محمد على هؤلاء المشركين رقيبا ولا حافظا تحفظ عليهم اعمالهم وقال ابن عباس في رواية
عطاء وما جعلناك عليهم حفيظا تمنعهم مني ومعناه انك لم تبعث لتحفظ المشركين رقيبا ولا حافظا
تحفظ عليهم اعمالهم وقال ابن عباس في رواية عطاء من العذاب انما بعثت مبلغا فلا تهتم لشركهم فان
ذلك بمشيئة الله تعالى وما انت عليهم بوكيل اي بقيم تقوم بارزاقهم وما انت عليهم بمسيطر فعلى التفسير
الاول تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى قول ابن عباس لا تكون منسوخة ولا تسبوا الذين يدعون
من دون الله الآية قال ابن عباس لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهين
عن سب الهتنا او لنهجون ربك فنهاهم الله ان يسبوا اوثانهم فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال قتادة
كان المؤمنون يسبون اوثان الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فانهم قوم
جهلة لا علم لهم بالله وقال السدي لما حضر ابا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا بنا لندخل على هذا
الرجل فلنأمره ان ينهى عنا ابن اخيه فانا نستحي ان نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعه فلما
مات قتلوه فانطلق ابو سفيان وابو جهل والنضر بن الحرث وامية بن خلف وعقبة بن ابي معيط وعمرو
بن العاص والاسود بن البختري الى ابي طالب فقالوا يا ابا طالب انت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد اذانا
واذى الهتنا فنحب ان تدعوه فتنهاه عن ذكر الهتنا ولندعه والهه فدعاه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له ابو طالب ان هؤلاء قومك وبنو عمك فقال عليه السلام ماذا يريدون قالوا نريد ان تدعنا والهتنا
وندعك والهك فقال له ابو طالب قد انصفك قومك فاقبل منهم فقال عليه السلام ارايتم ان اعطيتكم
هذا فهل انتم معطي كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم العجم وادت لكم الخراج فقال ابو جهل نعم
وابيك لنعطيكها وعشر امثالها فما هي فقال قولوا لا اله الا الله فابوا ونفروا فقال ابو طالب قل غيرها
يا ابن اخي قال يا عم ما انا بالذي اقول غيرها ولو اتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها ارادة ان
يؤيسهم فقالوا لتكفن عن شتمك الهتنا او لنشتمنك ولنشتمن من يأمرك فانزل الله ولا تسبوا الذين
يدعون من دون الله يعني لا تسبوا ايها المؤمنون الاصنام التي يعبدها المشركون فيسبوا الله
عدوا بغير علم يعني فيسبوا الله ظلما بغير علم لانهم جهلة بالله قال الزجاج نهوا في ذلك الوقت قبل

الثانية ان يلعنوا الاصنام التي كانت تعبدها المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم يعني فيسبوا الله ظلما بغير
علم وان كان في سبها طاعة وهو مباح لما يترتب على ذلك من المفاسد التي هي اعظم من ذلك وهو سب الله عز وجل
وسب رسوله وذلك من اعظم المفاسد فلذلك نهوا عن سب الاصنام وقيل لما نزلت هذه الاية قال عليه السلام
لا تسبوا الهتهم فيسبوا ربكم فامسك المسلمون عن سب الهتهم فظاهر الاية وان كان نهيا عن سب الاصنام
حقيقته النهي عن سب الله تعالى لانه سبب لذلك وقوله كذلك زينا لكل امة عملهم كما زينا لعبدة
هولاء الاصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر والطاعة
والمعصية وفي هذه الاية دليل على تكذيب القدرية والمعتزلة حيث قالوا لا يحسن من الله خلق الكفر وتزيينه
وقوله تعالى ثم الى ربهم مرجعهم يعني المومن والكافر والطايع والعاصي فينبيهم بما كانوا يعملون يعني في الدنيا ويجازيهم
على ذلك واقسموا بالله جهد ايمانهم قال محمد بن كعب القرظي والكلبي قالت قريش يا محمد انك تخبرنا ان موسى
كان له عصا يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى كان يحيي الموتى فاتنا باية حتى
نصدقك ونومن بك فقال عليه الصلاة والسلام اي شي تحبون قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا وابعث لنا
ملكا من السما نسال عنك احق ما تقول ام باطل وارنا الملايكة ليشهدوا لك قال عليه الصلاة والسلام
ان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني قالوا نعم والله لين فعلت لنتبعنك اجمعين وسال المسلمون رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ينزلها عليهم حتى يومنوا فقام وجعل يدعو الله ان يجعل الصفا ذهبا فجاءه جبريل
فقال ما شيت ان شيت اصبح الصفا ذهبا ولكن لم يصدقوا ليعذبنهم وان شيت تركتهم حتى يتوب تايبهم
فقال عليه السلام بل يتوب تايبهم فانزل الله واقسموا بالله يعني حلفوا بالله جهد ايمانهم يعني اوكد ما
قدروا عليه من الايمان واشدها قال الكلبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه لين جاءتهم اية
يعني كما جاءت من قبلهم من الامم ليومنن بها يعني ليصدقن بها قل يعني قل يا محمد انما الايات
عند الله يعني ان الله قادر على انزالها وما يشعركم يعني وما يدريكم ثم اختلف العلما في المخاطبين بقوله
وما يشعركم فقيل هو خطاب للمشركين الذين اقسموا بالله وقيل هو خطاب للمومنين ثم اختلفوا
في قوله انها اذا جاءت لا يومنون فقرا ابن كثير واهل البصرة وابو بكر عن عاصم انها بكسر الالف على
الابتدا وقالوا تم الكلام عند قوله وما يشعركم على معنى وما يدريكم ما يكون منهم ثم ابتدا
فقال انها اذا جاءت لا يومنون فمن جعل الخطاب للمشركين قال معناه وما يشعركم ايها المشركون
انها يعني الايات اذا جاءت امنتم ومن جعل الخطاب للمومنين قال معناه وما يشعركم ايها المومنون
انها اذا جاءت امنوا لان المومنين كانوا يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله ان يريهم
ما اقترحوا حتى يومنوا فخاطبهم الله بقوله وما يشعركم ثم ابتدا فقال تعالى انها اذا جاءت
لا يومنون وهذا في قوم مخصوصين حكم الله عليهم بانهم لا يومنون وذلك لسابق علمه فيهم
وقرا الباقون انها بفتح الالف وجعلوا الخطاب في ذلك للمومنين لان المومنين سالوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم انزال الايات حتى يومن المشركون بها اذا راوها لان المشركين كانوا حلفوا انها اذا
جاءتهم اية امنوا وصدقوا واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال
الايات لذلك فقال الله تعالى وما يشعركم ايها المومنون ان الايات اذا جاءت هولاء المشركين لا يومنون
فعلى هذا اختلفوا في لفظة لا من قوله لا يومنون فقيل هي صلة والمعنى وما يشعركم انها اذا جاءت
يومنون وقيل هي على بابها وفيه حذف والمعنى وما يشعركم انها اذا جاءت لا يومنون او لا يومنون

وقيل ان بمعنى لعل في قوله انها اذا جاءت وكذلك هو في قراءة ابي بن كعب لعلها اذا جاءت وهذا شايع في
كلام العرب تقول العرب ايت السوق انك تشتري لنا شيا بمعنى لعلك ومنه قول عدي بن زيد اعاذل ما يدريك
ان منيتي الى ساعة في اليوم او في ضحى الغد يعني لعل منيتي قوله ونقلب افيدتهم وابصارهم قال ابن مسعود
يعني ونحول بينهم وبين الايمان فلو جيناهم بالايات التي سالوها ما امنوا بها والتقليب هو التحويل
للشي وتحريكه عن وجهه الى وجه اخر لان الله اذا صرف القلوب والابصار عن الايمان بقيت على الكفر كما لم يومنوا
به اول مرة كما لم يومنوا بما قبل ذلك من الايات التي جاءهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك
من المعجزات الباهرة وقيل اول مرة يعني الايات التي جاء بها موسى وغيره من الانبيا قال ابن عباس المرة
الاولى دار الدنيا يعني لو ردوا من الاخرة الى الدنيا نقلب افيدتهم وابصارهم عن الايمان فلا يومنوا
كما لم يومنوا به اول مرة قبل مماتهم وفي الاية دليل على ان الله تعالى يضل من يشا ويهدي من يشا
وان القلوب والابصار بيده وفي تصرفه يقلبها كيف شا ويزيغ ما اراد منها ومنه قوله عليه السلام
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فمعنى قوله ونقلب افيدتهم نزيغها عن الايمان ونقلب ابصارهم عن
روية الحق ومعرفة الصواب وان جاءتهم الاية التي سالوها فلا يومنون كما لم يومنوا بالله ورسوله وبما
جاء من عند الله فعلى هذا يكون الكناية في به عايدة على الايمان بالقران وبما جاء عليه السلام
قبل سوالهم الايات التي اقترحوها قوله ونذرهم في طغيانهم يعمهون يعني ونترك هولاء المشركين
الذين سبق في علم الله انهم لا يومنون في تمردهم على الله واعتدايهم عليه يترددون لا يهتدون الى الحق
قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة قال ابن جريج نزلت في المستهزيين وذلك انهم اتوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
في نفر من قريش فقالوا يا محمد ابعث لنا بعض موتانا حتى نسالهم عنك احق ما تقول ام باطل وارنا الملايكة
يشهدون لك بالرسالة وكلمهم الموتى يعني كما سالوا وحشرنا عليهم كل شي قبلا يعني وجمعنا
عليهم كل شي قبلا قبيلا وقيل القبيل الكفيل بصحة ما تقول ما كانوا ليومنوا وهو قوله ما كانوا ليومنوا
الا ان يشا الله الايمان منهم وفيه دليل على ان جميع الاشيا بمشية الله تعالى حتى الايمان والكفر
ومن وضح العبر ان الاشيا المحسوسة منها ناطق ومنها صامت فاذا انطق الله الكل حتى يشهدوا بما
تقول كان ذلك في غاية الاعجاز وقيل قبلا من المقابلة والمواجهة والمعنى وحشرنا عليهم كل
شي مواجهة ومعاينة ما كانوا ليومنوا الا ان يشا الله اخبر الله ان الايمان بمشيته لا كما ظنوا انهم
متى شاوا امنوا ومتى شاوا لم يومنوا وقال ابن عباس ما كانوا ليومنوا هم اهل الشقاء الا ان
يشا الله هم اهل السعادة والذين سبق لهم في علمه انهم يدخلون في الايمان وصحح الطبري قول ابن
عباس قال لان الله عم بقوله ما كانوا ليومنوا القوم الذين تقدم ذكرهم في قوله واقسموا بالله
جهد ايمانهم لين جاءتهم اية ليومنن بها ثم استثنى منهم اهل السعادة وهم الذين سبق لهم الايمان
ولكن اكثرهم يجهلون يعني يجهلون ان ذلك كذلك ويحسبون ان الايمان متى شاوا امنوا ومتى شاوا
كفروا وليس الامر كذلك بل الايمان والكفر بمشية الله تعالى فمن شا له الايمان امن ومن شا له الكفر
كفر وفي هذا دليل لمذهب اهل السنة ان الاشيا كلها بمشية الله تعالى ورد على القدرية
والمعتزلة في قولهم ان الله اراد الايمان من جميع الكفار قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
قيل هو منسوق على قوله تعالى وكذلك زينا لكل امة عملهم اي كما فعلنا ذلك كذلك جعلنا
لكل نبي عدوا وقيل معناه كما جعلنا لمن قبلك من الانبيا اعدا كذلك جعلنا لك اعدا وفيه تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم

ولتسلية له بقول الله تعالى كما ابتليت بهؤلاء القوم وكذلك جعلنا لكل نبي من قبلك عدوا فيعظم ثوابه على ما يكابده من اذى اعدائه وعدو الخطاب وعدو اعدائه الجميع يعني جعلنا لكل نبي اعداء شياطين الانس والجن اختلف العلماء في معنى شياطين الانس والجن على قولين احدهما ان المراد شياطين من الانس وشياطين من الجن والشيطان كل عات متمرد من الجن والانس وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء وهو قول مجاهد وقتادة قالوا وشيطان الانس اشد تمردا من شيطان الجن لان شيطان الجن اذا عجز عن اغواء المؤمن الصالح والعابد ذلك استعان عليه بشيطان الانس ليفتنه ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابي ذر قال قال عليه السلام هل تعوذت بالله من شيطان الانس والجن قلت يا رسول الله وهل للانس من شياطين قال نعم هم شر من شياطين الجن وذلك اني اذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي والقول الثاني ان الجميع من ولد ابليس واضيف الشياطين الى الانس على معنى انهم يغوونهم وهذا قول عكرمة والضحاك والكلبي والسدي ورواية عن ابن عباس قالوا والمراد بشياطين الانس التي مع الانس وبشياطين الجن التي مع الجن وذلك ان ابليس قسم جنده قسمين بعث فريقا منهم الى الجن وفريقا الى الانس فالفريقان شياطين الانس والجن يعني انهم يغوونهم ويضلونهم وكلا الفريقين اعداء النبي صلى الله عليه وسلم ولاوليائه من المؤمنين والصالحين ومن ذهب الى هذا القول قال يدل على صحته ان الاية تقتضي اضافة الشياطين الى الانس والجن والاضافة تقتضي المغايرة فعلى هذا يكون للشياطين نوع مغاير للانس والجن هم اولاد ابليس وقوله تعالى يوحي بعضهم الى بعض يعني يلقي ويسير بعضهم الى بعض ما يفتنون به المؤمنين والصالحين وعلى القول الثاني ان اولاد ابليس يلقي بعضهم بعضا في كل حين وتقول شياطين الجن لشياطين الانس كذلك وكذلك يوحي بعضهم الى بعض قوله زخرف القول والزخرف هو الباطل من الكلام الذي قد زين ووشي بالكذب وكل شيء حسن مموه فهو زخرف غرورا يعني ان الشياطين يغرون بذلك القول المكذوب المزخرف غرورا وذلك ان الشياطين يزينون الاعمال القبيحة لبني ادم ويغرونهم بها غرورا وذلك ان الشياطين يزينون الاعمال القبيحة لبني ادم ويغرونهم بها غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه يعني ما فعلوا الوسوسة التي يلقونها الشياطين في قلوب بني ادم والمعنى ان الله تعالى لو شاء لمنع الشياطين من القاء الوسوسة الى الانس والجن ولكن الله تعالى يمتحن من يشاء من عباده بما يعلم انه اجزل له في الثواب اذا صبر على المحنة فذرهم وما يفترون يعني فخلهم يا محمد وما زين لهم ابليس وغرهم به من الكفر والمعاصي فاني من ورائهم قوله تعالى ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة قال ابن عباس ولتميل اليه واصل الصغو الميل يقال صغى الى كذا اي مال اليه ويقال صغوت اصغو وصغيت اصغى لغتان قال ابن الانباري اللام في ولتصغى معلقة بفعل مضمر معناه وفعلنا ذلك لكي يصغى الى الباطل افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وقال غيره اللام متعلقة بيوحي تقديره يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ليغروا بذلك ولتصغى اليه الاية والضمير في اليه يرجع الى زخرف القول والمعنى ان قلوب الكفار تميل الى زخرف القول وباطله وليرضوه يعني وليحبوه وليرضوا به وليقترفوا ما هم مقترفون يعني وليكتسبوا من الاعمال الخبيثة ما هم مكتسبون قوله افغير الله ابتغي حكما اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين افغير الله اطلب حكما قاضيا يقضي بيني وبينكم وذلك انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما فامره الله تعالى ان يجيبهم بهذا الجواب والحكم والحاكم واحد

عند

عند اهل اللغة غير ان بعض اهل المعاني قال الحكم اكمل من الحاكم لان الحاكم من شانه ان يحكم والحكم اهل ان يتحاكم اليه وهو الذي لا يحكم الا بالحق يعني انزل الله الى محمد القرآن فقد حكم له بالنبوة وهو قوله وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا يعني مبينا فيه امره ونهيه ووعده ووعيده وفيه الحكم بيني وبينكم والذين آتيناهم الكتاب يعني اليهود والنصارى يعلمون انه منزل من ربك بالحق يعني يشهدون ان هذا القرآن منزل من عند الله وذلك لما ثبت عندهم بالدلالة على ذلك وقيل المراد بهم علماء الصحابة مثل ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم يعلمون ان هذا القرآن منزل بالحق فامنوا به وصدقوه فلا تكونن من الممترين يعني فلا تكونن يا محمد من الشاكين ان علماء اهل الكتاب يعلمون ان هذا القرآن حق وانه منزل من عند الله وقيل معناه فلا تشك فيما قصصنا عليك انه حق وصدق فهو من باب التهييج لانه عليه السلام لم يشك قط وقيل الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد به غيره والمعنى فلا يكونن ايها الانسان السامع لهذا القرآن في شك انه منزل من عند الله لما فيه من الاعجاز الذي لا تقدر على مثله الا الله تعالى قوله تعالى وتمت كلمة ربك وقرئ كلمات ربك على الجمع فمن قرأ على التوحيد قال الكلمة قد يراد بها الكلمات الكثيرة اذا كانت مضبوطة بضابط واحد كقولهم قال الشاعر في كلمته يعني في قصيدته فكذلك القرآن كله واحد لانه شيء واحد في اعجاز النظم وكونه حقا وصدقا ومعجزا ومن قرأ بالجمع قال لان الله تعالى قال في سياق الاية لا مبدل لكلماته فوجب الجمع في اللفظ الاول اتباعا للثاني صدقا وعدلا فيما حكم وقيل ان القرآن مشتمل على الاخبار والاحكام فهو صادق فيما اخبر عن القرون الماضية والامم الخالية وعما هو كائن الى قيام الساعة وفيما اخبر عن ثواب المطيع في الجنة وعقاب العاصي في النار فهو عدل فيما حكم من الامر والنهي والحلال والحرام وسائر الاحكام لا مبدل لكلماته يعني لا معقب لقضائه ولا راد لحكمه ولا خلف لمواعيده ولما وصف كلماته بالتمام في قوله وتمت كلمات ربك والتمام في كلام الله لا يقبل النقص والتغيير والتبديل قال تعالى لا مبدل لكلماته لانها معصومة عن التحريف والتغيير باقية الى يوم القيامة وفي قوله لا مبدل لكلماته دليل على ان السعيد لا ينقلب شقيا والشقي لا ينقلب سعيدا فالسعيد من سعد في الازل والشقي من شقي في الازل وارد على هذا ان الكافر يكون شقيا بكفره فيسلم فينقلب سعيدا اجاب اهل السنة عنه ان الاعتبار بالخاتمة فمن ختم له بالسعادة كان في الحقيقة سعيدا في الازل ومن ختم له بالشقاوة كان شقيا في الازل والله اعلم وهو السميع العليم يعني باحوالهم قوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله قال المفسرون ان المشركين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في اكل الميتة وذلك انهم قالوا للمسلمين كيف تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل ربكم فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان تطع اكثر من في الارض في اكل الميتة وكان الكفار يومئذ اكثر اهل الارض يضلوك عن سبيل الله يعني يضلوك عن دين الله الذي شرعه لك وبعثك به وقيل معناه وان تطعهم في معتقداتهم الباطلة فانك ان تطعهم يضلوك عن سبيل الله يعني يضلوك عن طريق الحق ومنهج الصدق ثم اخبر عن حال الكفار وما هم عليه فقال تعالى ان يتبعون الا الظن يعني ان هؤلاء الكفار يا محمد لو كانوا ما يتبعون في دينهم الذي هم عليه الا الظن وليسوا على بصيرة وحق في دينهم وليسوا ايضا على يقين انهم على حق لانهم اتبعوا اهواءهم وتركوا التماس الصواب والحق واقتصروا على اتباع الظن بالجهل وان هم الا يخرصون يعني يكذبون واصل الخرص الحزر والتخمين ومنه خرص النخل اذا حزر كيله تمرا قياسا على الظن

من غير يقين وسمي الكذب خرصا لما يدخل من الظنون الكاذبة وقيل ان كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال لقائله خرص لان قائله لم يقله عن علم ويقين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يا محمد ان ربك هو اعلم منك ومن جميع خلقه اي الناس يضل عن سبيله وهو ايضا اعلم من كان على الهدى والاستقامة والسداد لا يخفى عليه شي من احوال خلقه فاخبر تعالى انه اعلم بالفريقين الضال والمهتدي وانه يجازي كلا بما يستحقه قوله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه هذا جواب لقول المشركين حيث قالوا للمسلمين انا تاكلون مما قتلتم ولا تاكلون مما قتل ربكم فقال الله تعالى للمسلمين فكلوا انتم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح ان كنتم بآياته مومنين وقيل كانوا يحرمون اصنافا من النعم ويحلون الميتة فقيل احلوا ما احل الله وحرموا ما حرم الله فعلى هذا القول يكون الاية خطابا للمشركين وعلى القول الاول خطاب للمسلمين وهو الاصح لقوله في اخر الاية ان كنتم بآياته مومنين وما لكم ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه يعني واي شي لكم في ان لا تاكلوا وما يمنعكم من ان تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وهذا تاكيد في اباحة ما ذبح على اسم الله دون غيره وقد فصل لكم ما حرم عليكم يعني وقد بين لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون وقال جمهور المفسرين المراد بقوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم المحرمات المذكورة في قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به واورد الامام فخر الدين الرازي ها هنا اشكالا فقال ان سورة الانعام مكية وسورة المائدة من آخر ما انزل الله تعالى بالمدينة وقوله وقد فصل لكم يجب ان يكون ذلك المفصل متقدما على هذا المحل والمدني متاخر عن المكي فيمتنع كونه ثم قال بل الاولى ان يقال قوله بعد هذه الاية قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير وهذه الاية وان كانت مذكورة بعد هذه الاية بقليل الا ان هذا القدر من التاخر لا يمنع ان يكون هو المراد والله اعلم بمراده ولما ذكر المفسرون وجب وهو ان الله لما علم ان سورة الانعام في الترتيب قبل سورة المائدة وقد فصل لكم الى ما هو متقدم في الترتيب وهو قوله حرمت عليكم الميتة الاية والله اعلم بمراده وقوله تعالى الا ما اضطررتم اليه يعني الا ان تدعوكم الضرورة الى اكله بسبب شدة المجاعة فيباح ذلك لكم عند الاضطرار وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم يعني وان كثيرا من الذين يجادلونكم في اكل الميتة ويحتجون عليكم في ذلك بقولهم انكم تاكلون ما تذبحون ولا تاكلون مما يذبحه الله وانما قالوا هذه المقالة جهلا منهم بغير علم منهم بصحة ما يقولون بل يتبعون اهواءهم ليضلوا انفسهم واتباعهم بذلك وقيل المراد به عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين لانه اول من غير دين اسماعيل وسيب السوائب واباح الميتة وغير دين ابرهيم عليه السلام ان ربك هو اعلم بالمعتدين يعني ان ربك يا محمد هو اعلم بمن تعدى حدوده فاحل ما حرم الله وحرم ما احل الله فيجزيهم على سوء صنيعهم قوله عز وجل وذروا ظاهر الاثم وباطنه يعني وذروا ايها الناس ما يوجب الاثم وهي الذنوب والمعاصي كلها سرها وعلانيتها قليلها وكثيرها قال الربيع بن انس نهى الله عن ظاهر الاثم وباطنه ان يعمل سرا او علانية وقال سعيد ابن جبير في هذه الاية الظاهر منه لا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا الا ما قد سلف ونكاح المحارم من الامهات والبنات والاخوات والباطن الزنا وقال السدي اما الظاهر فالزواني في الحوانيت وهن اصحاب الرايات واما الباطن فالمراة يتخذها الرجل صديقة فياتيها سرا وقال الضحاك كان اهل الجاهلية يستسرون بالزنا ويرون ان ذلك حلال ما كان سرا فحرم الله السر منه والعلانية

وقال

وقال ابن زيد ظاهر الاثم التجرد من الثياب والتعري في الطواف والباطن الزنا وقال الكلبي ظاهر الاثم طواف الرجال بالبيت نهارا عراة وباطنه طواف النسا بالليل عراة وكان اهل الجاهلية يفعلون ذلك الى ان جاء الاسلام فنهى الله عن ذلك كله وقيل ان هذا النهي عام في جميع المحرمات التي نهى الله عنها وهو الاصح لان تخصيص العام بصورة معينة من غير دليل لا يجوز فعلى هذا القول يكون معنى الاية وذروا ما اعلنتم به وما اسررتم من الذنوب كلها قال ابن الانباري وذروا الاثم من جميع جهاته وقيل المراد بظاهر الاثم الاقدام على الذنوب من غير مبالات وباطنه افعال القلوب ترك الذنوب لخوف الناس لا لخوف الله وقيل المراد بظاهر الاثم افعال الجوارح وباطنه افعال القلوب فيدخل في ذلك الحسد والكبر والعجب وارادة السوء للمسلمين ونحو ذلك قوله تعالى ان الذين يكسبون الاثم يعني ان الذين يعملون بما نهاهم الله عنه ويرتكبون ما حرم الله عليهم من المعاصي وغيرها سيجزون في الاخرة بما كانوا يقترفون يعني بما كانوا يكتسبون من الاثام وظاهر هذا النص يدل على عقاب المذنب انه مخصوص بمن لم يتب لان المسلمين اجمعوا على انه اذا تاب العبد من الذنب توبة صحيحة لم يعاقب وزاد اهل السنة في ذلك فقالوا المذنب اذا لم يتب فهو في خطر المشية ان شا عاقبه وان شا عفى عنه بفضله وكرمه قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال ابن عباس الاية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحون على اسم الاصنام

فصل اختلف العلما في ذبيحة المسلم اذا لم يذكر اسم الله عليها فذهب قوم الى تحريمها سواء تركها عمدا او نسيانا وهو قول ابن سيرين والشعبي ونقله الامام فخر الدين الرازي عن مالك ونقل الامام فخر الدين الرازي عن مالك ونقل عن عطا انه قال كل ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام او شراب فهو حرام واحتجوا في ذلك بظاهر الاية وقال الثوري وابو حنيفة ان ترك التسمية عامدا لم يحل وان تركها ناسيا حل وقال الشافعي تحل الذبيحة سواء تركها عامدا او ناسيا حتى من اباح اكل الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها قال المراد من الاية وانه لفسق واجمع العلما ان اكل ذبيحة المسلم التي ترك التسمية عليها ليس بفسق واحتجوا ايضا في اباحتها بما روى البخاري في صحيحه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هنا اقواما حديث عهدهم بشرك ياتوننا بلحمان فما ندري يذكرون اسم الله عليها ام لا قال اذكروا انتم اسم الله وكلوا قالوا لو كانت التسمية شرطا للاباحة لكان الشك في وجودها مانعا من اكلها كالشك في اصل الذبح وقال الشافعي في اول الاية وان كان عاما بحسب الصيغة الا ان اخرها لما حصلت فيه هذه القيود الثلاثة وهي قوله وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون علمنا ان المراد من هذا العموم هو الخصوص والفسق ذكر غير اسم الله في الذبح كما قال في اخر السورة قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الى قوله او فسقا اهل لغير الله به فصار هذا الفسق الذي اهل لغير الله به مفسرا لقوله وانه لفسق واذا كان كذلك كان قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق مخصوصا بما اهل لغير الله به والله اعلم قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم يعني وان الشياطين يوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم ويخاصموا محمدا صلى الله عليه وسلم وذلك ان المشركين قالوا يا محمد اخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها فقالوا اتزعم ان ما قتلت انت واصحابك حلال وما قتله الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فانزل الله هذه الاية وقال عكرمة لما نزلت هذه الاية وتحريم الميتة كتبت فارس وهم المجوس الى مشركي مكة ان خاصموا محمدا وقولوا له انما ذبحت فهو حلال وما ذبحه الله فهو حرام فانزل الله هذه الاية وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم يعني مردة الانس وهم المجوس ليوحون الى اوليائهم يعني

مشرك قريش وكان من فارس والعرب موالاة ومكاتبة على الروم فعلى هذا يكون المراد بالوحي المكاتبة في جمعه وان اطعتموهم يعني في اكل الميتة وما حرم الله عليكم انكم لمشركون يعني انكم اذا مثلهم في الشرك قال الزجاج فيه دليل على ان كل من احل شيئا مما حرم الله او حرم شيئا مما احل الله فهو مشرك وانما سمي مشركا لانه اثبت حاكما غير الله عز وجل ومن كان كذلك فهو مشرك وانما سمي مشركا لقوله عز وجل اومن كان ميتا فاحييناه يعني اومن كان ميتا بالكفر فاحييناه بالايمان وانما جعل الكفر موتا لانه جعل الايمان حياة لان الحي صاحب بصر يهتدي به الى رشده ولما كان الايمان يهدي الى الفوز العظيم والحياة الابدية شبهه بالحياة وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يعني وجعلنا له نورا يستضيء به في الناس ويهتدي الى قصد السبيل وقيل النور هو الاسلام لانه يخلص من ظلمات الكفر لقوله يخرجهم من الظلمات الى النور والنور هو الاسلام قال قتادة هو كتاب الله لان القران بينة من الله مع المومنين بعد كمن مثله في الظلمات يعني كمن هو في ظلمة الكفر وظلمة الجهالة والظلمة عن البصيرة ليس بخارج منها يعني من تلك الظلمات وهذا مثل ضربه الله تعالى لحال المومن والكافر فبين ان المومن المهتدي من كان ميتا فاحياه الله واعطاه نورا يهتدي به في مصالحه وان الكافر من هو في ظلمات منغمس فيها ليس بخارج منها فيكون متحيرا على الدوام ثم اختلف المفسرون في هذين المثلين هل هما مخصوصان بالناس على معينين او هما عامان في كل مومن وكافر فذكروا في ذلك قولان احدهما ان الاية في رجلين معينين ثم اختلفوا فيهما فقال ابن عباس في قوله وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يريد حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم كمن مثله في الظلمات يريد ابا جهل وكان حمزة قد رجع من صيده وكان بيده قوس وحمزة لم يومن بعد فاقبل حمزة غضبان حتى علا ابا جهل وجعل يضربه بالقوس وجعل ابا جهل يتضرع الى حمزة ويقول يا ابا يعلى اما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب الهتنا وخالف اباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم عقولا تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فاسلم حمزة يومئذ فانزل الله تعالى هذه الاية وقال مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل وذلك ان ابا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نومن الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت هذه الاية والقول الثاني وهو قول الحسن في اخرين ان هذه الاية عامة في حق كل مومن وكافر وهذا هو الصحيح لان المعنى اذا كان حاصلا في الكل فيدخل فيه كل احد وقوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون قال اهل السنة المزين هو الله الكريم ويدل عليه قوله زينا لهم اعمالهم ولان حصول الفعل موقوف على حصول الدواعي وحصولها لا يكون الا بخلق الله تعالى فدل ذلك على ان المزين هو الله تعالى وقالت المعتزلة المزين هو الشيطان ويرده ما تقدم قوله تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها يعني كما جعلنا في مكة اكابر عظماء كذلك جعلنا في كل قرية اكابر عظماء وقيل هو معطوف على ما قبله ومعناه كما زينا للكافرين ما كانوا يعملون جعلنا كذلك جعلنا في كل قرية اكابر الاكبر ولا يجوز ان يكون صفة لانه لا يتم المعنى بل في الاية تقديم وتاخير تقديره كذلك جعلنا في كل قرية مجرميها الاكابر وانما جعل المجرمين اكابر لانهم اقدر على المكر والغدر وترويج الباطل بين الناس من غيرهم وانما جعل ذلك لاجل رياستهم وذلك سنة الله انه جعل في كل قرية اتباع الرسل ضعفاءهم وجعل فساقهم اكابرهم ليمكروا فيها قال ابو عبيدة المكر الخديعة والحيلة والغدر

نزلت في عمار بن ياسر وابي جهل

وقال الضحاك نزلت في عمر بن الخطاب وابي جهل

والعجز والبغضة والنميمة والايمان الكاذبة وترويج الباطل قال ابن عباس معناه ليقولوا ليتوكلوا فيها الكذب وقال مجاهد جلس على كل طريق من طرق مكة اربعة نفر ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقولوا هو كاذب ساحر كاهن فكان هذا مكرهم وما يمكرون الا بانفسهم يعني ما يحيق هذا المكر الا بهم لان وبال مكرهم يعود عليهم وما يشعرون ان وبال ذلك المكر يعود عليهم وبعضهم قوله عز وجل واذا جاءتهم اية قالوا لن نومن حتى نوتى مثل ما اوتي رسل الله يعني من النبوة وذلك ان الوليد بن المغيرة قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت انا اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل نزلت في ابي جهل وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نومن به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فانزل الله هذه الاية واذا جاءتهم اية قالوا لن نومن يعني حجة بينة ودالة واضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم قال يعني الوليد بن المغيرة وابا جهل او كل من رؤساء الكفر ويدل عليه الاية التي قبلها وهي قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها فكان من مكر كفار قريش انهم قالوا لن نومن حتى نوتى مثل ما اوتي رسل الله يعني من النبوة وانما قالوا هذه المقالة حسدا منهم للنبي صلى الله عليه وسلم في قولهم لن نومن حتى نوتى مثل ما اوتي رسل الله قولان احدهما وهو المشهور ان القوم ارادوا ان تحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم بان يكونوا متبوعين لا تابعين والقول الثاني وهو قول الحسن ومنقول عن ابن عباس ان المعنى واذا جاءتهم اية من القران تامرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لن نومن لك يعني لن نصدقك حتى نوتى مثل ما اوتي رسل الله يعني حتى يوحى الينا وياتينا جبريل حتى نصدقك بانك رسول الله فعلى هذا لم يطلبوا النبوة وانما طلبوا ان تخبرهم الملائكة بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وانه رسول من الله تعالى وعلى القول الاول طلبوا ان يكونوا انبياء ويدل على صحة هذا القول سياق الاية وهي قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته يعني يعلم من يستحق الرسالة فيشرفه بها ويعلم من لا يستحقها ومن ليس لها باهل وانهم ليسوا لها باهل ولان النبوة لا تحصل لمن طلبها خصوصا لمن عنده حسد ومكر وغدر وقال اهل المعاني الابلغ في تصديق الرسل ان لا يكونوا قبل البعثة مطاعين في قومهم لان الطعن كان يتوجه عليهم فيقال انما كانوا رؤساء مطاعين فاتبعهم قومهم لاجل ذلك فكان الله تعالى اعلم بمن يستحق الرسالة فيشرفه بها

الرسالة بجعلها

يتيم ابي طالب دون ابي جهل والوليد بن المغيرة وغيرهم من اكابر قريش ورؤسائها وقوله تعالى سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله اي ذل وهوان وقيل الصغار هو الذل الذي يصغر الى المرء نفسه عند الله يعني هذا هو عند الله وقيل معناه هذا الصغار ثابت لهم عند الله تعالى فعلى هذا القول انما يحصل لهم هذا الصغار في الاخرة وقيل معناه سيصيبهم صغار بحكم الله حكم به عليهم في الدنيا وعذاب شديد يعني في الاخرة بما كانوا يمكرون يعني انما حصل لهم هذا الصغار والعذاب بسبب مكرهم وحسدهم وطلبهم ما لا يستحقون قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام اي للايمان يقال شرح الله صدره فانشرح اي وسعه لقبول الخير والايمان وذلك ان الانسان اذا اعتقد في عمل من الاعمال ان نفعه زائد وخيره راجح وربحه ظاهر مال بطبعه اليه وقويت رغبته فيه فتسمى هذه الحالة سعة النفس وانشراح وقيل الشرح الكشف والبيان يقال شرح فلان امره اذا اوضحه واظهره

فتوسع

ومشرح المسائل اذا كانت مشكلة فاوضحها وبينها فقد ثبت ان للشرح معنيين احدهما الفتح ومنه يقال شرح الكافر بالكفر صدرا اي فتحه لقبوله ومنه قوله تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا وقوله افمن شرح الله صدره للاسلام يعني فتحه ووسعه لقبوله اياه والثاني ان الشرح نور يقذفه الله تعالى في صدر العبد فيعرف بذلك النور الحق فيقبله وينشرح صدره ومعنى الاية فمن يرد الله ان يهديه للايمان بالله وبرسله وبما جاء من عنده يوفقه له ويشرح صدره لقبوله ويهونه عليه وليسهله له بفضله وكرمه ولطفه به واحسانه اليه فعند ذلك يستنير الاسلام في قلبه فيضيء به ويتسع له صدره ولما نزلت هذه الاية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن العبد فينشرح له صدره وينفسح قيل فهل لذلك امارة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت واسند الطبري عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الاية فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام قال اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا فهل لذلك من اية يعرف بها قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت قوله تعالى ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا يعني يجعل صدره ضيقا حتى لا يدخله الايمان وقال الكلبي ليس للخير فيه منفذ وقال ابن عباس اذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه واذا سمع ذكر الاصنام ارتاح الى ذلك وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنده اعرابي من كنانة فقال له ما الحرجة فيكم قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الاشجار التي لا تصل اليها راعية ولا وحشية ولا شيء فقال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل اليه شيء من الخير واصل الحرج الضيق وهو مأخوذ من الحرجة وهي الاشجار الملتف بعضها على بعض حتى لا يصل اليها شيء وقرأ ابن عباس هذه الاية فقال هل هنا احد من بني بكر فقال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قال الوادي الكثير الشجر المستمسك الذي لا طريق فيه فقال ابن عباس كذلك قلب الكافر قال اهل المعاني لما كان القلب محل العلوم والاعتقادات وصف الله تعالى قلب المؤمن الذي يريد هدايته بالانشراح والانفساح وبنوره فيقبل ما اوعده من الايمان والاعتقادات بالله ورسوله ووصف قلب من يريد ضلالته بالضيق الذي هو خلاف الشرح فدل ذلك على ان الله تعالى صير قلب الكافر بحيث لا يعي علما ولا استدلالا على توحيد الله سبحانه وتعالى والايمان به وفي الاية دليل على ان جميع الاشياء بمشيئته وارادته حتى ايمان المؤمن وكفر الكافر وقوله تعالى كانما يصعد في السماء يعني ان الكافر اذا دعي الى الاسلام كانه قد كلف ان يصعد الى السماء ولا يقدر على ذلك وقيل هو للمشقة وصعوبة الامر فيكون المعنى ان الكافر اذا دعي الى الاسلام كانه يتكلف مشقة وصعوبة في ذلك كمن يتكلف الصعود الى السماء وهو لا يقدر على ذلك وقيل يجوز ان يكون المعنى كان قلب الكافر يصعد الى السماء نبوا عن الاسلام وتكبرا وقيل ضاق عليه المذهب فلم يجد الا ان يصعد الى السماء وليس يقدر على ذلك كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون الكاف في كذلك يفيد التشبيه وفيه وجهان الاول معناه ان جعل الرجس عليهم كجعله صدورهم ضيقة حرجة والمعنى كما جعلنا صدورهم ضيقة حرجة كذلك يجعل الله الرجس عليهم الوجه الثاني قال الزجاج اي مثل ما قصصنا عليك كذلك يجعل الله الرجس قال ابن عباس الرجس الشيطان اي يسلطه عليهم وقال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وفي رواية عن ابن عباس ان الرجس العذاب وقال الزجاج الرجس في الدنيا اللعنة وفي

والآخرة العذاب قوله عز وجل وهذا صراط ربك مستقيما يعني وهذا الذي بينا لك يا محمد في هذه السورة وغيرها من سور القرآن هو صراط ربك مستقيما يعني دينه الذي شرعه لعباده ورضيه لنفسه وجعله مستقيما لا اعوجاج فيه قال ابن عباس في قوله وهذا صراط ربك مستقيما يعني الاسلام وقال ابن مسعود يعني القرآن لانه يؤدي من تبعه وعمل به الى طريق الاستقامة والسداد قد فصلنا الآيات يعني فصلنا آيات القرآن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب والحلال والحرام والامر والنهي وغير ذلك من احكام القرآن لقوم يذكرون يعني لمن يتذكرها ويتعظ بما فيها من المواعظ والعبر قال عطاء يعني اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم باحسان لهم دار السلام عند ربهم يعني الجنة في قول جميع المفسرين قال الحسن والسدي السلام هو الله تعالى ودار الجنة ومعنى السلام في اسماء الله تعالى ذو السلام وهو جمع المفسرين قال المحسن المتكلم السلام هو الله تعالى ودار الجنة سلامة لانه تعالى ذو السلامة من جميع الآفات والنقائص فعلى هذا القول اضيفت الدار الى السلام الذي هو اسم الله اضافة تشريف كما قيل للكعبة بيت الله وللنبي صلى الله عليه وسلم عبد الله في قوله تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه واحتج لقوي هذا ان اضافة الدار الى الله تعالى في نهاية تشريفها وتعظيمها فكان ذكر الاضافة مبالغة في تعظيم امرها وقيل ان السلام صفة للدار لان دار السلامة الدائمة التي لا تنقطع فعلى هذا يكون السلام بمعنى السلامة كانه قال لهم دار السلامة التي لا يلقون فيها شيئا يكرهونه وقيل سميت بذلك لان جميع حالاتها مقرونة بالسلامة كما قال تعالى في وصفها ادخلوها بسلام آمنين والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وتحيتهم فيها سلام وقال سلام قولا من رب رحيم لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقوله عند ربهم يعني ان الجنة معدة مهيأة لهم عند ربهم حتى يوصلهم اليها وهو وليهم بما كانوا يعملون يعني انه تعالى يتولى امرهم وايصال المنافع اليهم ويدفع المضار عنهم وقيل معناه انه يتولاهم في الدنيا بالتوفيق والهداية وفي الآخرة بالجزاء بالجنة وقيل الولي هو الناصر والقريب يعني انه تعالى ينصرهم في الدنيا ويقربهم في الآخرة بسبب اعمالهم الصالحة التي كانوا يتقربون بها اليه في الدنيا قوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا اي واذكر يا محمد يوم نحشرهم يعني العادلين بالله غيره الاصنام مع اوليائهم من الشياطين يعني نحشر المشركين والشياطين جميعا في يوم القيامة يا معشر الجن والانس فيه حذف تقديره نقول لهم يا معشر الجن والمعشر الجماعة والمراد من الجن الشياطين قد استكثرتم من الانس يعني من اضلالهم واغوائهم وقال ابن عباس معناه اضللتم كثيرا من الانس وهذا التفسير لا بد فيه من تاويل آخر لان الجن لا يقدرون على اضلال الانس واغوائهم بانفسهم لانه لا يقدر على الاجبار احد الا الله لانه هو المتصرف في خلقه بما شاء فوجب ان يكون المعنى قد استكثرتم من الدعاء الى الاضلال مع مصادفة القبول من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض يعني استمتع الجن بالانس والانس بالجن فاما استمتاع الانس بالجن فقال الكلبي كان الرجل في الجاهلية اذا سافر فنزل بارض قفر خاف على نفسه من الجن قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في جوارهم واما استمتاع الجن بالانس فانهم قالوا قد سدنا الانس مع الجن وهو ما كانوا يلقون اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم

لهم الامور التي يهوونها حتى يسهل فعلها عليهم وقيل استمتاع الجن بالانس ان الانس يطيعونهم فيما يأمرونهم به وقيل في معنى الانس والجن

الأمور التي كانوا العود لها وتسهيل سبيلها عليهم واستمتاع الجن بالإنس طاعة الإنس للجن فيما يزينون
لهم من الضلالة والمعاصي وقيل استمتاع الإنس بالجن فيما كانوا يدلونهم على أنواع الشهوات وأصناف
الطيبات ويسهلونها عليهم واستمتاع الجن بالإنس هي طاعة الإنس للجن فيما يأمرونهم به وينقادون لحكمهم
فصاروا كالرؤساء للإنس والإنس كالأتباع وقيل إن قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض وهو من كلام
الإنس خاصة لأن استمتاع الجن بالإنس وبالعكس أمر نادر لا يكاد يظهر أما استمتاع الإنس بعضهم
ببعض فهو ظاهر فوجب حمل الكلام عليه وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا يعني أن ذلك الاستمتاع كان إلى
أجل معين ووقت محدود ثم ذهب وبقيت الحسرة والندامة قال الحسن والسدي الأجل الموت وقيل
هو وقت البعث للحساب في يوم القيمة قال يعني قال الله لهؤلاء الذين استمتع بعضهم ببعض من الجن
والإنس النار مثواكم يعني أن النار مقامكم ومقركم فيها ومصيركم إليها خالدين فيها يعني مقيمين فيها
أبدا إلا ما شاء الله اختلفوا في معنى هذا الاستثناء فقيل معناه خالدين فيها إلا قدر مدة بعثهم
ووقوفهم للحساب إلى حين دخولهم إلى النار فإن هذا الوقت ليسوا الخالدين فيه في النار وقيل المراد من
هذا الاستثناء هو أوقات تنقلهم من عذاب إلى عذاب آخر وذلك أنهم يستغيثون من النار فينقلون إلى
الزمهرير ثم يستغيثون منه فينقلون إلى النار فكان مدة نقلهم هو المراد من هذا الاستثناء ونقل جمهور
المفسرين عن ابن عباس أنه قال إن هذا الاستثناء يرجع إلى قوم سبق فيهم علم الله أنهم يسلمون ويصدقون
النبي صلى الله عليه وسلم فيخرجون من النار قالوا فعلى هذا التأويل يكون ما في قوله إلا ما شاء الله بمعنى من يعني إلا من شاء الله
ونقل الطبري عن ابن عباس أنه كان يتأول هذا الاستثناء أن الله عز وجل جعل أمر هؤلاء القوم في مبلغ عذابهم
إلى مشيئته وقال في هذه الآية إنه لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه لا ينزلهم جنة ولا نارا قال الزجاج والقول
الأول أولى لأن معنى الاستثناء إنما هو من يوم القيمة لأن قوله ويوم يحشرهم جميعا هو يوم القيمة ثم قال خالدين
فيها مذ يبعثون إلا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم في محاسبتهم إن ربك حكيم
يعني في تدبير خلقه وتصريفه إياهم في مشيئته من حال إلى حال وغير ذلك من أفعاله وقيل حكيم فيما يفعله
من ثواب الطائع وعقاب العاصي في سائر وجوه المجازات عليم يعني بعواقب أمور خلقه وما
هم إليه صائرون كأنه قال إنما خلدت هؤلاء الكفار بالخلود في النار لعلمي بأنهم يستحقون ذلك قوله عز وجل
وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا الكاف في كذلك كاف التشبيه فيقتضي شيئا تقدم ذكره فالتقدير كما
أنزلت العذاب بالجن والإنس الذين استمتع بعضهم ببعض كذلك نولي بعض الظالمين بعضا أي نسلط
بعضهم على بعض فنأخذ من الظالم بالظالم كما جاء في الأثر من أعان ظالما سلطه الله عليه وقال قتادة
نجعل بعضهم أولياء بعض فالمؤمن ولي المؤمن حيث كان وأين كان والكافر ولي الكافر حيث كان وأين كان
وفي رواية أخرى عن قتادة قال يتبع بعضهم بعضا في النار من الموالاة وقيل معناه نولي ظلمة الإنس ظلمة
الجن وظلمة الجن ظلمة الإنس يعني نكل بعضهم إلى بعض وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية هو أن الله تعالى
إذا أراد بقوم خيرا ولى عليهم خيارهم وإذا أراد بقوم شرا ولى عليهم شرارهم فعلى هذا القول أن الرعية
متى كانوا ظالمين سلط الله عز وجل عليهم ظالما مثلهم فمتى أرادوا أن يتخلصوا من ظلم ذلك الظالم فليتركوا
الظلم وقوله تعالى بما كانوا يكسبون يعني نسلط عليهم بسبب أعمالهم الخبيثة التي اكتسبوها قوله تعالى
يا معشر الجن والإنس المعشر كل جماعة أمرهم واحد والجمع المعاشر ألم يأتكم رسل منكم اختلف العلماء

وقال

في معنى هذه الآية وهل كان من الجن رسول أم لا فذهب أكثر العلماء إلى أنه لم يكن من الجن رسول وإنما كانت الرسل
من الإنس وأجابوا عن قوله رسل منكم لقوله يعني من أحدكم وهم الإنس فحذف المضاف فهو كقوله تعالى يخرج
منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من أحدهما وهو الملح دون العذب وإنما جاز ذلك لأن ذكرهما قد جمع
في قوله مرج البحرين وهو جائز في كل ما اتفق في أصله فلذلك لما اتفق ذكر الجن مع الإنس جاز مخاطبتهما
بما ينصرف إلى أحد الفريقين وهم الإنس وهو قول الفراء والزجاج ومذهب جمهور أهل العلم قال الواحدي
وعليه دل كلام ابن عباس لأنه قال يريد أنبياء من جنسهم ولم يكن من جنس الجن أنبياء وذهب قوم إلى
أنه أرسل إلى الجن رسلا منهم كما أرسل إلى الإنس رسلا منهم قال الضحاك من الجن رسل كما من
الإنس رسل وظاهر الآية يدل على ذلك لأنه تعالى قال ألم يأتكم رسل منكم فخاطب الفريقين جميعا وأجيب
عن ذلك بأن الله قال يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم وهذا يقتضي كون الرسل بعضا من أبعاض
هذا المجموع وإذا كان الرسل من الإنس كان الرسل بعضا من أبعاض هذا المجموع وكان هذا القول أولى
من حمل لفظ الآية على ظاهرها فثبت بذلك كون الرسل من الإنس لا من الجن ويحتمل أيضا أن يقال إن كافة الرسل
كانوا من الإنس لكن الله تعالى يلقي الداعية في قلوب قوم من الجن حتى يسمعوا كلام الرسل من الإنس ثم يأتوا قومهم
من الجن فيخبرونهم بما سمعوا من الرسل وينذرونهم به كما قال تعالى وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن
فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين فكان أولئك النفر من الجن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومهم وهذا
مذهب مجاهد فإنه قال الرسل من الإنس والنذر من الجن ونحو ذلك قال ابن جريج وأبو عبيد وقيل كانت
الرسل يبعثون إلى الجن من الجن ولكن بواسطة رسل الإنس والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وقوله تعالى يقصون عليكم
آياتي يعني يخبرونكم بما أوحي إليهم من آياتي الدالة على توحيدي وتصديق رسلي وينذرونكم لقاء يومكم هذا
يعني ويخوفونكم وينذرونكم لقاء عذابي في يومكم هذا وهو يوم القيمة وذلك أن الله تعالى يقول يوم
القيمة لكفار الجن والإنس على سبيل التقريع والتوبيخ ما أخبر في كتابه وهو قوله يا معشر الجن والإنس
الآية فيجيبونه بما أخبر عنهم في قوله تعالى قالوا يعني كفار الجن والإنس شهدنا على أنفسنا اعترفوا بأن
الرسل قد أتتهم وبلغتهم رسالات ربهم وأنذرتهم لقاء يومهم هذا وأنهم كذبوا الرسل ولم يؤمنوا
بهم وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا يعني إنما كان
ذلك بسبب أنهم غرتهم الحياة الدنيا ومالوا إليها وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين يعني في الدنيا
فإن قلت كيف أقروا على أنفسهم بالكفر في هذه الآية وجحدوا الشرك والكفر في قوله والله ربنا ما كنا مشركين
قلت يوم القيمة يوم طويل والأحوال فيه مختلفة فإذا رأوا ما حصل للمؤمنين من الخير والفضل والكرامة أنكروا
الشرك لعل ذلك الإنكار ينفعهم وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتشهد عليهم
جوارحهم بالشرك والكفر فذلك قوله وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين فإن قلت لم كرر شهادتهم
على أنفسهم قلت شهادتهم الأولى اعتراف منهم بما كانوا عليه في الدنيا من الشرك والكفر وتكذيب
الرسل وفي قوله وشهدوا على أنفسهم ذم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلة نظرهم لأنفسهم وأنهم قوم غرتهم الحياة
الدنيا ولذاتها فكان عاقبة أمرهم أنهم اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر والمقصود من شرح حالهم
تحذير السامعين وزجرهم عن الكفر والمعاصي قوله عز وجل ذلك إشارة إلى ما تقدم ذكره من بعثة الرسل إليهم
وإنذارهم سوء العاقبة وقال الزجاج معناه ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرسل وأمر عذاب من كذبهم أن لم يكن
ربك يعني لأنه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون قال الكلبي معناه لم يكن ليهلكهم بذنوبهم من قبل أن يأتيهم

الرسل فيهلكهم فان رجعوا والا انزل بهم العذاب وهذا قول جمهور المفسرين قال الزجاج يجوز ان يكون المعنى لم يكن ليهلكهم بظلم منه وهم غافلون فعلى قول الجمهور يكون الظلم فعلاً للكفار وهو شركهم وذنوبهم التي عملوها وعلى قول الزجاج انه لو اهلكهم قبل بعثة الرسل لكان ظالما والله عز وجل يتعالى عن الظلم والقول الاول اصح لانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا اعتراض لاحد عليه في شيء من افعاله وجزائه اجزائه لا يعذب قبل بعثة الرسل ولو فعل ذلك لم يكن ظالما قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا يعني ولكل عامل بطاعة الله او معصيته درجات يعني منازل يبلغها بعمله ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر وانما سميت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط كتفاضل الدرج وهذا انما يكون في الثواب والعقاب على قدر اعمالهم في الدنيا فمنهم من هو اعظم ثوابا ومنهم من هو اشد عقابا وهذا قول جمهور المفسرين وقيل ان قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا مختص باهل الطاعة لان لفظ الدرجة لا يليق الا بهم وقوله تعالى وما ربك بغافل عما يعملون مختص باهل الكفر والمعاصي ففيه وعيد وتهديد لهم والقول الاول اصح لان علم تعالى شامل لكل المعلومات فيدخل فيه المومن والكافر والطايع والعاصي وانه عالم باعمالهم على التفصيل التام فيجزي كل عامل على قدر عمله وما يليق به من ثواب او عقاب قوله عز وجل وربك الغني يعني عن خلقه وذلك انه تعالى لما بين ان لكل عامل بطاعة او معصية درجة على قدر عمله بين ان تخصيص المطيعين بالثواب والعاصين بالعقاب ليس لانه محتاج الى طاعة الطايع او متضرر بمعصية العاصي بل هو الغني على الاطلاق وان جميع الخلق فقراء اليه ذو الرحمة قال ابن عباس باوليائه واهل طاعته وقال الكلبي بخلقه ذو التجاوز ومنهم فمن رحمته تاخير العذاب عن المذنبين لعلهم يتوبون ويرجعون ان يشا يذهبكم يعني يهلككم والخطاب لاهل مكة ففيه وعيد وتهديد لهم ويستخلف يعني وينشي ويخلق من بعدكم يعني من بعد اهلاككم ما يشاء يعني خلقا غيركم امثل واطوع منكم كما انشاكم من ذرية قوم اخرين اختلفت عبارات المفسرين في هذه اللفظة فقال البغوي يعني اباهم الماضين قرنا بعد قرن وحكى قال الواحدي وقال صاحب الكشاف يعني من اولاد قوم اخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام وقال الامام فخر الدين الرازي في قوله تعالى ويستخلف من بعدكم يعني من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل من فايت واما قوله ما يشاء فالمراد منه خلق ثالث ورابع واختلفوا فقال بعضهم خلقا اخر من امثال الجن والانس قال القاضي وهذا الوجه اقرب لان القوم يعلمون بالعادة انه تعالى قادر على انشا امثال هذا الخلق فمن كل خلق ثالث ورابع يكون اقوى في دلالة القدرة فكانه تعالى نبه على ان قدرته ليست مقصورة على جنس دون جنس من الخلق الذين يصلحون لرحمته العظيمة التي هي الثواب فبين بهذا الطريق انه تعالى برحمته لهولاء الاقوام الى اخرين ابقاهم وامهلهم ولو شا الله لاماتهم وافناهم وابدل منهم سواهم ثم بين تعالى قوة قدرته على ذلك فقال كما انشاكم من ذرية قوم اخرين لان المرء اذا تفكر علم انه تعالى خلق الانسان من نطفة ليس فيها من صورته قليل ولا كثير اوجب ان يكون ذلك بمحض القدرة والحكمة واذا كان كذلك فكما قدر على تصوير هذه الاجسام بهذه الصورة فكذلك يقدر على تصويرهم خلقا اخر مخالفا لهم هذا اخر كلامه وقال الطبري في قوله كما انشاكم من ذرية قوم اخرين فخالفا لها هذا اخر كلامه وقال الطبري في قوله كما انشاكم من ذرية قوم اخرين يقول كما احدثكم وابتدعكم من بعد خلق اخرين كانوا قبلكم ومعنى من في هذا الموضع التعقيب كما يقال في الكلام اعطيتك من دينارك ثوبا بمعنى مكان الدينار ثوبا لان الثوب بعد الدينار يعني كذلك الذين خوطبوا بقوله كما انشاكم لم يريد باخبارهم هذا الخبر انهم انشيوا من اصلاب قوم اخرين ولكن معنى ذلك ما ذكرنا انهم انشيوا

مكان

التقسيم

مكان قوم اخرين قد هلكوا قبلهم قوله تعالى انما توعدون لات يعني ما توعدون به من مجي الساعة والبعث بعد الموت والحشر للحساب يوم القيمة لات يعني انه كاين قريب وما انتم بمعجزين يعني بفايتين حيث ما كنتم يدرككم الموت قوله عز وجل قل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد يا قوم اي قل لقومك من كفار قريش اعملوا على مكانتكم وقرئ مكاناتكم على الجمع والمكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكانة ومكان كما يقال مقام ومقامة فقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل ان يكون معناه اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم ويحتمل ان يكون معناه اعملوا على حالتكم التي انتم عليها كما يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه وقال ابن عباس معناه اعملوا على ناحيتكم اني عامل يعني اني عامل على مكانتي التي انا عليها وبامر ربي والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر والعداوة فاني ثابت على الاسلام والمصابرة فان قلت ظاهر الاية يدل على امر الكفار بالاقامة على ما هم عليه من الكفر وذلك لا يجوز قلت معنى هذا الامر الوعيد والتهديد والمبالغة في الزجر عما هم عليه من الكفر فكانه قال اقيموا على ما انتم عليه من الكفران رضيتم لانفسكم بالعذاب الدايم فهو كقوله تعالى اعملوا ما شيتم ففيه تفويض امر العمل اليهم على سبيل الزجر والتهديد والمبالغة في الطلاق لهم في عمل ما ارادوه من الكفر والمعاصي وقوله تعلمون يعني لمن تكون العاقبة المحمودة لنا او لكم وقيل معناه فسوف تعلمون عند نزول العذاب بكم ايّنا كان على الحق في عمله نحن ام انتم من تكون له عاقبة الدار يعني فسوف تعلمون غدا في القيمة لمن تكون عاقبة الدار وهي الجنة انه لا يفلح الظالمون قال ابن عباس معناه انه لا يسعد من كفر بي واشرك وتم في هذه الاية قولان احدهما انها محكمة وهذا على قول من يقول ان المراد بقوله اعملوا على مكانتكم الوعيد والتهديد والقول الثاني انها منسوخة باية السيف وهذا على قول من يقول ان المراد بها ترك القتال قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا الاية لما بين الله عز وجل قبح طريقة الكفار وما كانوا عليه من انكار البعث وغير ذلك عقبه بذكر انواع من جهالاتهم واحكامهم الفاسدة تنبيها على ضعف عقولهم وفساد ما كانوا عليه في الجاهلية فقال تعالى وجعلوا لله مما ذرا يعني مما خلق من الحرث والانعام يعني ومن الانعام وهي الابل والبقر والغنم نصيبا يعني قسما وجزا قال المفسرون كان المشركون في الجاهلية يجعلون لله من حروثهم وثمارهم وانعامهم وساير اموالهم نصيبا وللاصنام نصيبا فما جعلوه من ذلك لله صرفوه الى الضيفان والمساكين وما جعلوه للاصنام انفقوه عليها وعلى خدمتها فان سقط شي مما جعلوه لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غني عن هذا وان سقط شي من نصيب الاوثان فيما جعلوه لله ردوه الى الاوثان وقالوا انها محتاجة اليه وكانوا اذا هلك شي مما جعلوه لله لم يبالوا به واذا انتقص شي مما جعلوه للاوثان جبروه بما جعلوه لله فذلك قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام وفيه اختصار تقديره وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا وللاصنام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم يعني بقولهم الذي هو غير حقيقة لان معنى زعم حكاية قول يكون مظنة الكذب وكذلك جا في الاية موضع ذم لقايليه وانما نسبوا الى الكذب في قولهم هذا لله بزعمهم وان كانت الاشيا كلها لله لاضافتهم نصيب الاصنام مع نصيب الله وهو قولهم وهذا لشركايتا يعني الاصنام وانما سموا الاصنام شركا لانهم جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونه عليها فما كان لشركايهم يعني ما جعلوه لها من الحرث والانعام فلا يصل الى الله يعني فلا يعطونه المساكين ولا ينفقونه على الضيفان وما كان لله فهو يصل الى شركايهم والمعنى انهم لا يردون ما جعلوه للاصنام مما جعلوه لله ولا يردون ما جعلوه لله مما جعلوه للاصنام وقال قتادة كانوا اذا اصابتهم سنة اي قحط وشدة استعانوا بما جعلوه لله واكلوا منه ووفروا ما جعلوه لشركايهم ولم ياكلوا منه شيا وقال الحسن والسدي كانوا اذا هلك ما جعلوه لشركايهم اخذوا بدله

هذه

فسوف

يعني الزروع والثمرة

كانوا

ما جعلوا لله ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لشركائهم فلذلك ذمهم فقال تعالى ساء ما يحكمون يعني بئس ما يحكمون ويقضون
وذلك أنهم رجحوا جانب الأصنام على جانب الله في الرعاية والحفظ وهذا سفه منهم وقيل إن الأشياء كلها لله عز وجل
وهو خالقها فإذا جعلوا للأصنام جزءا من المال وهي لا تملك ولا تخلق ولا تحيي ولا تنفع فقد نسبوا إلى الأسماء في الحكم والمقصود
من ذلك بيان ما كانوا عليه في الجاهلية من هذه الأحكام الفاسدة التي لم يرد بها شرع ولا نص ولا استحسنها عقل
قوله عز وجل وكذلك عطف على قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا يعني كما فعلوا جهلا منهم كذلك زين لكثير
منهم قتل أولادهم شركاؤهم والمعنى أن جعلهم لله نصيبا من أموالهم ولشركائهم نصيبا وذلك غاية الجهل لكونه
الخالق المنعم لأنهم جعلوا الأصنام مثله في استحقاق النصيب وكذلك إقدامهم على قتل أولادهم في غاية الجهل
أيضا فكأنه قال ومثل ذلك الذي فعلوه في القسم جهلا وخطأ وضلالا كذلك زين يعني حسن لكثير من المشركين
قتل أولادهم يعني بوأد البنات أحياء مخافة الفقر والعيلة شركاؤهم يعني شياطينهم أمروهم أن يقتلوا أولادهم
خشية الفقر وسميت الشياطين شركاء لأنهم أطاعوهم فيما أمروهم به من معصية الله وقتل الأولاد فأشركوهم
مع الله في وجوب طاعتهم وأضيف الشركاء إلى المشركين لأنهم أطاعوهم واتخذوهم أربابا وقال الكلبي شركاؤهم سدنة
آلهتهم يعني خدام آلهتهم الذين يزينون ويحسنون للكفار قتل الأولاد وكان الرجل في الجاهلية يقوم فيحلف لئن ولد
له كذا وكذا غلاما لينحرن أحدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله فعلى هذا القول الشركاء هم السدنة خدام
الأصنام سموا شركاء لأنهم شركوهم في الطاعة ليردوهم يعني ليهلكوهم بذلك الفعل الذي أمروهم به والإرداء في اللغة
الإهلاك قال ابن عباس ليردوهم في النار وليلبسوا عليهم دينهم يعني وليخلطوا عليهم دينهم قال ابن عباس
ليدخلوا عليهم الشك في دينهم وكانوا على دين إسمعيل عليه السلام فرجعوا عنه بتلبيس الشياطين وإنما فعلوا ذلك
ليزيلوهم عن الدين الحق الذي كان عليه إسمعيل وإبرهيم عليهما الصلاة والسلام ووضعوا لهم هذه الأوضاع
الفاسدة وزينوها لهم ولو شاء الله ما فعلوه يعني ولو شاء الله لعصمهم من ذلك الفعل القبيح الذي زين لهم
من تحريم الحرث والأنعام وقتل الأولاد أخبر الله عز وجل أن جميع الأشياء بمشيئته وإرادته إذ لو لم يشأ لما فعلوا ذلك
فذرهم يعني فاتركهم يا محمد وما يفترون يعني ما يختلقون من الكذب على الله فإن الله لهم بالمرصاد قوله تعالى وقالوا
يعني المشركين هذه أنعام وحرث حجر أي حرام وأصله المنع لأنه منع من الانتفاع منه بتحريمه وقيل هو من
التضييق والحبس لأنهم كانوا يحبسون أشياء من أنعامهم وحروثهم لآلهتهم قال مجاهد يعني بالأنعام البحيرة
والسائبة والوصيلة والحام لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم يعني يأكلها خدام الأصنام والرجال دون النساء
وأنعام حرمت ظهورها يعني الحوامي وهي الأنعام التي حموا ظهورها عن الركوب فكانوا لا يركبونها وأنعام لا يذكرون
اسم الله عليها يعني لا يذكرون اسم الله عليها عند الذبح وإنما كانوا يذكرون عليها أسماء الأصنام وقيل معناه لا
يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير لأنه لما جرت العادة بذكر الله على فعل كل خير ذم هؤلاء على ترك فعل الخير
افتراء عليه يعني أنهم كانوا يفعلون هذه الأفعال ويزعمون أن الله أمرهم بها وذلك اختلاق وكذب على الله عز وجل
سيجزيهم بما كانوا يفترون فيه وعيد وتهديد على افترائهم على الله الكذب قوله عز وجل وقالوا ما في بطون هذه
الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا يعني نسائنا قال ابن عباس وقتادة والشعبي أراد أجنة البحائر
والسوائب فما ولد منها حيا فهو خالص للرجال دون النساء وما ولد منها ميتا أكله الرجال والنساء جميعا وهو قوله
وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء وإنما دخلت الهاء في خالصة للتأكيد والمبالغة كقولهم رجل علامة ونسابة وقال الفراء
أدخلت الهاء لتأنيث الأنعام لأن ما في بطونها مثلها فأنثت بتأنيثها وقال الكسائي خالص وخالصة واحد
مثل وعظ وموعظة وقيل إذا كان اللفظ عبارة عن مؤنث جاز تأنيثه على المعنى وتذكيره على اللفظ كما

هذه الآية فإنه أنث خالصة على المعنى وذكر ومحرم على اللفظ سيجزيهم وصفهم يعني سيكافئهم بسبب وصفهم على
الله الكذب إنه حكيم عليم فيه وعيد وتهديد يعني أنه تعالى حكيم فيما يفعله عليم بمقدار استحقاقهم قوله تعالى قد خسر
الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم قال عكرمة نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومضر وكان الرجل يشارط
الرجل على أن يستحيي جارية ويئد أخرى فإذا كانت الجارية التي توأد غدا الرجل أو راح من عند امرأته وقال لها
أنت علي كظهر أمي إن رجعت إليك ولم تئديها فتخد لها في الأرض خدا وترسل إلى نسائها فيجتمعن عندها ثم
يتداولنها بينهن حتى إذا أبصرنه راجعا دستها في حفرتها ثم سوت عليها التراب وقال قتادة هذا من
صنيع أهل الجاهلية كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السبي والفاقة ويغذو كلبه أما سبب الخسران
المذكور في قوله قد خسر الذين قتلوا أولادهم أن الولد نعمة عظيمة أنعم الله بها على الوالد فإذا تسبب الرجل في إزالة
هذه النعمة عنه وإبطالها فقد استوجب الذم وخسر في الدنيا والآخرة أما خسارته في الدنيا فقد
سعى في نقص عدده وأزال ما أنعم الله به عليه وأما خسارته في الآخرة فقد استحق بذلك العذاب العظيم قوله
سفها بغير علم يعني فعلوا ذلك للسفاهة وهي الخفة والجهالة المذمومة وسبب حصول هذه السفاهة
هو قلة العلم بل عدمه لأن الجهل كان هو الغالب عليهم قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا سموا جاهلية
وقوله تعالى وحرموا ما رزقهم الله يعني البحائر والسوائب والحامي وبعض ما في بطون الأنعام وهذا أيضا
من أعظم الجهالة افتراء على الله يعني أنهم فعلوا هذه الأفعال المذمومة وزعموا أن الله أمرهم بذلك وهذا
افتراء على الله وكذب وهذا أيضا من أعظم الجهالة لأن الجراءة على الله والكذب عليه من أعظم الذنوب وأكبر
الكبائر ولهذا قال تعالى قد ضلوا يعني في فعلهم خ عن ابن عباس قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما
فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم إلى قوله قد ضلوا وما
كانوا مهتدين قوله عز وجل وهو الذي أنشأ جنات معروشات يعني والله الذي ابتدع وخلق جنات يعني
بساتين معروشات وغير معروشات يعني مسموكات مرتفعات وغير مرتفعات وأصل العرش في اللغة
شيء مسقف يجعل عليه الكرم وجمعه عروش يقال عرشت الكرم أعرشه عرشا وعرشته تعريشا إذا جعلته
كهيئة السقف واعترش العنب إذا علاه وركبه واختلفوا في قوله معروشات وغير معروشات فقال ابن عباس معنى؟
المعروشات ما انبسط على الأرض وانتشر مما يعرش مثل الكرم والزرع والبطيخ ونحو ذلك وغير معروشات
ما قام على ساق ونسق كالنخل والزرع وسائر الشجر وقال الضحاك كلاهما في الكرم خاصة لأن منه ما
عرش ومنه ما لم يعرش بل بقي على وجه الأرض منبسطا وقيل المعروشات ما غرسه الناس في البساتين
واهتموا به فعرشوه من كرم وغيره وغير معروشات هو ما أنبته الله في البراري والجبال من كرم أو شجر
والنخل والزرع يعني وأنشأ النخل والزرع وهو جميع الحبوب التي تقتات وتدخر مختلفا أكله يعني باختلاف
الطعوم في الثمار كالحلو والحامض والجيد والرديء ونحو ذلك والزيتون والرمان متشابها يعني في المنظر
وغير متشابه يعني في الطعم كالرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف وقيل إن ورق الزيتون يشبه
ورق الرمان ولكن ثمرهما مختلف في الجنس والطعم كلوا من ثمره إذا أثمر لما ذكر الله ما أنعم به على عباده
من خلق هذه الجنات المحتوية على أنواع من الثمار ذكر ما هو المقصود الأصلي وهو الانتفاع بها فقال
تعالى كلوا من ثمره إذا أثمر وهذا أمر إباحة وتمسك بهذا بعضهم فقال الأمر قد يرد لغير الوجوب لأن
هذه الصيغة مفيدة لرفع الحرج وقال بعضهم المقصود منه إباحة الأكل قبل إخراج الحق لأنه
تعالى لما أوجب الزكاة في الحبوب والثمار كان يحتمل أن يحرم على المالك أن يأكل منها شيئا لمكان شركة الفقراء والمساكين

معه فاباح الله له ان ياكل قبل اخراج الحق الواجب عليه فيه لان رعاية حق النفس مقدمة على رعاية حق الغير وقيل
انما قال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر بصيغة الامر ليعلم ان المقصود من خلق هذه الاشيا التي انعم بها على عباده هو الاكل
واتوا حقه يوم حصاده يعني يوم جداده وقطعه واختلفوا في هذا الحق المامور باخراجه فقال ابن عباس وانس بن
مالك هو الزكاة المفروضة وهذا قول طاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب ومحمد بن الحنفية وقتادة قال
قتادة في قوله واتوا حقه يوم حصاده هو الصدقة المفروضة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم سن فيما سقت السما
والعين السايحة او سقاه الطل والطل الندى او كان بعلا العشر كاملا وان سقي بنضح او سانية فنصف
العشر وهذا فيما يكال من الثمر اذا الزرع وبلغ خمسة اوسق وذلك ثلثماية صاع فقد وجب فيها حق الزكاة
وفي رواية عن ابن عباس في قوله تعالى واتوا حقه يوم حصاده قال هو العشر ونصف العشر فان قلت على هذا
التفسير اشكال وهو ان فرض الزكاة كان بالمدينة وهذه السورة مكية فكيف يمكن حمل قوله واتوا حقه على الزكاة
المفروضة قلت ذكر ابن الجوزي في تفسيره عن ابن عباس وقتادة ان هذه الاية نزلت بالمدينة فعلى هذا تكون
الاية محكمة نزلت في حكم الزكاة وان قلنا ان هذه الاية مكية تكون منسوخة باية الزكاة لانه قد روي عن ابن عباس
انه قال نسخت اية الزكاة كل صدقة في القرآن وقيل في قوله واتوا حقه يوم حصاده انه حق سوى الزكاة
فرض يوم الحصاد وهو اطعام من حضر وترك ما سقط من الزرع والثمر وهذا قول علي بن الحسين وعطا
ومجاهد وحماد وقال ابو هريرة هو الضغث قال الربيع هو لقاط السنبل وقال مجاهد كانوا يعلقون العذق
عند الصرام فياكل منه من مر وقال يزيد بن الاصم كان اهل المدينة اذا صرموا النخل يجيئون بالعذق فيعلق
في جانب المسجد فيجي المسكين فيضربه بعصاه فما سقط منه اكله فعلى هذا القول هل هذا الامر
وجوب او استحباب وندب فيه قولان احدهما انه امر وجوب فيكون منسوخا باية الزكاة ولقوله صلى الله عليه وسلم
في حديث الاعرابي هل علي غيرها قال لا الا ان تطوع والقول الثاني انه امر ندب واستحباب فتكون الاية محكمة
وقال سعيد بن جبير كان هذا حقا يومر باخراجه في ابتدا الاسلام ثم صار منسوخا بايجاب العشر
ولقول ابن عباس نسخت الزكاة كل نفقة في القرآن واختار هذا القول الطبري وصححه واختار الواحدي
والرازي القول الاول وصححه فان قلت فعلى القول الاول كيف تودى الزكاة يوم الحصاد والحب في السنبل
وانما يجب الاخراج بعد التصفية والجفاف قلت معناه قدروا اخراج الواجب منه يوم الحصاد فانه
قريب من زمان التنقية والجفاف ولان النخل يجب اخراج الحق منه يوم حصاده وهو الصرام والزرع محمول
عليه الا انه لا يمكن اخراج الحق منه الا بعد التصفية وقيل معناه واتوا حقه الذي وجب يوم حصاده
بعد التصفية وقيل ان فائدة ذكر الحصاد ان الحق لا يجب بنفس الزرع وبلوغه انما يجب يوم حصاده وحصوله
في يد مالكه لا فيما يتلف من الزرع قبل حصوله في يد مالكه وقوله تعالى ولا تسرفوا الاسراف تجاوز الحد فيما يفعله الانسان يد
وان كان في الانفاق اشهر وقيل الاسراف تجاوز ما حد لك وسرف المال انفاقه في غير منفعة ولهذا قال سفيان
ما انفقت في غير طاعة الله فهو سرف وان كان قليلا قال ابن عباس في رواية عنه عمد ثابت بن قيس بن شماس
فصرم خمسماية نخلة وقسمها في يوم واحد ولم يترك لاهله شيا فانزل الله تعالى هذه الاية ولا تسرفوا قال السدي
معناه لا تعطوا اموالكم فتقعدوا فقرا قال الزجاج فعلى هذا لو اعطى الانسان كل ماله ولم يوصل الى عياله
شيا فقد اسرف لانه قد صح في الحديث ابدا بمن تعول وقال سعيد بن المسيب معناه لا تمنعوا الصدقة فتاويل
الاية على هذا القول لا تجاوزوا الحد في البخل والامساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وهذان القولان يشتركان
في ان المراد من الاسراف مجاوزة الحد الا ان الاول في البذل والاعطا والثاني في الامساك والبخل وقال مقاتل

معنى

معناه لا تشركوا الاصنام في الحرث والانعام وهذا القول ايضا يرجع الى مجاوزة الحد لان من اشرك الاصنام في الحرث
والانعام فقد جاوز ما حد له وقال الزهري معناه لا تنفقوا في معصية الله عز وجل وقال مجاهد الاسراف ما قصرت
به في حق الله عز وجل ولو كان ابو قبيس ذهبا فانفقته في طاعة الله لم تكن مسرفا وقال اياس بن معاوية ولو انفقت درهما
او مدا في معصية الله كنت مسرفا وقال ابن زيد انما خوطب بهذا السلطان نهي ان ياخذ من رب المال فوق
الذي الزمه الله ماله يقول الله عز وجل للسلاطين لا تسرفوا اي لا تاخذوا بغير حق وكانت هذه الاية بين السلطان
وبين الناس وقوله تعالى انه لا يحب المسرفين فيه وعيد وزجر عن الاسراف في كل شي لان من لا يحبه الله فهو من
اهل النار قوله تعالى ومن الانعام يعني وانشا من الانعام حمولة وهي كل ما يحمل عليها من الابل وفرشا
يعني صغار الابل التي لا تحمل قال ابن عباس الحمولة هي الكبار من الابل والفرش هي الصغار من الابل وقال في رواية
اخرى عنه ذكرها الطبري اما الحمولة فالابل والخيل والبغال والحمير وكل شي يحمل عليه واما الفرش فالغنم
وقال الربيع بن انس الحمولة الابل والبقر والفرش المعز والضان فالحمولة كل ما يحمل عليها من الانعام والفرش
ما لا يصلح للحمل سمي فرشا لان الفرش للذبح ولانه قريب من الارض لصغره كلوا مما رزقكم الله يعني كلوا مما احله
الله لكم من هذه الانعام والحرث ولا تتبعوا خطوات الشيطان يعني لا تسلكوا طريقه واثاره في تحريم
الحرث والانعام كما فعله اهل الجاهلية انه يعني الشيطان لكم عدو مبين يعني انه مبين العداوة لكم ثم
بين الحمولة والفرش فقال عز وجل ثمانية ازواج يعني وانشا من الانعام ثمانية ازواج يعني ثمانية اصناف
والزوج في اللغة الفرد اذا كان معه آخر من جنسه لا ينفك عنه فيطلق لفظ الزوج على الواحد كما يطلق
على الاثنين فيقال للذكر زوج وللانثى زوج من الضان اثنين يعني الذكر والانثى والضان ذوات الصوف
من الغنم والواحد ضاين والانثى ضاينة والجمع ضوان ومن المعز اثنين يعني الذكر والانثى والمعز ذوات
الشعر من الغنم والواحد ماعز والجمع معزى قل آلذكرين حرم ام الانثيين استفهام انكار اي قل يا محمد
لهولا الجهلة الذكرين من الضان والمعز حرم الله عليكم ام الانثيين منهما فان كان حرم الذكرين من الغنم
فكل ذكورها حرام وان كان حرم الانثيين منهما فكل اناثها حرام اما اشتملت عليه ارحام الانثيين
يعني ام حرم ما اشتملت عليه ارحام الانثيين من الضان والمعز فانها لا تشتمل الا على ذكر او انثى نبئوني
اي اخبروني وفسروا لي ما حرمتم بعلم ان كنتم صادقين يعني ان الله حرم ذلك عليكم ومن الابل اثنين ومن
البقر اثنين وهذه اربعة ازواج اخر بقية الثمانية قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام
الانثيين وتفسير هذه على نحو ما تقدم وفي هاتين الايتين تقريع وتوبيخ من الله تعالى لاهل الجاهلية
بتحريمهم ما لم يحرمه الله وذلك انهم كانوا يقولون هذه انعام وحرث حجر وقالوا ما في بطون هذه الانعام
خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وحرموا البحيرة والسايبة والوصيلة والحام وكانوا يحرمون بعضها
على الرجال والنسا وبعضها على النسا دون الرجال كما اخبر الله عنهم في كتابه فلما جا الاسلام وثبتت
هذه الاحكام جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم وكان خطيبهم مالك بن عوف الجشمي فقال يا محمد بلغنا انك تحرم
اشيا مما كان اباونا يفعلونه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمتم اصنافا من النعم على غير اصل
وانما خلق الله هذه الازواج الثمانية للاكل والانتفاع بها فمن اين جا هذا التحريم من قبل الذكر ام
من قبل الانثى فسكت مالك بن عوف وتحير ولم يتكلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمالك يا مالك لا تتكلم
فقال بل انت تكلم واسمع منك قال المفسرون فلو قال جا التحريم من قبل الذكر بسبب الذكورة

وجب ان يحرم جميع الذكور ولو قال بسبب الانوثة وجب ان يحرم جميع الاناث وان كان باشتمال الرحم عليه فينبغي
ان يحرم الكل لان الرحم لا تشتمل الا على ذكر وانثى واما تخصيص التحريم بالولد الخامس او السابع او بالبعض
دون البعض فمن اين ذلك التحريم فاحتج الله على بطلان دعواهم بهاتين الايتين واعلم نبيه صلى الله عليه وسلم
ان كل ما قالوه من ذلك واضافوه الى الله فهو كذب على الله وانه لم يحرم شيئا من ذلك وانهم اتبعوا في ذلك اهواءهم وخالفوا
امر ربهم وذكر الامام فخر الدين في معنى الاية وجهين اخرين ونسبهما الى نفسه فقال ان هذا الكلام ما ورد على سبيل
الاستدلال على بطلان قولهم بل هو استفهام على سبيل الانكار يعني انكم لا تقرون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم نبي
ولا تعترفون بشريعة شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم والوجه الثاني انكم حكمتم بالبحيرة والسائبة
والوصيلة والحام مخصوصا بالابل فالله تعالى بين ان النعم عبارة عن هذه الانواع الاربعة وهي الضان والمعز
والبقر والابل فلما لم تحكموا بهذه الاحكام في الانواع الثلاثة وهي الضان والمعز والبقر فكيف خصصتم الابل بهذا الحكم
دون هذه الانواع الثلاثة قوله تعالى ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل
لهؤلاء الجهلة من المشركين الذين يزعمون ان الله حرم هذا عليكم ووصاكم به فانكم لا تقرون بنبوة احد من
الانبياء فكيف تثبتون هذه الاحكام وتنسبونها الى الله عز وجل ولما احتج الله عليهم بهذه الحجة وبين انه
لا مستند لهم في ذلك قال تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم يعني من اشد ظلما واكثر
وابعد عن الحق ممن يكذب على الله ويضيف تحريم ما لم يحرمه الله الى الله ليضل الناس بذلك ويصدهم
عن سبيل الله جهلا منه لانه ليس هو على بصيرة وعلم في ذلك الذي ابتدعه ونسبه الى الله ويقول ان الله امرنا
بهذا قيل اراد به عمرو بن لحي لانه هو اول من بحر البحائر وسيب السوائب وغير دين ابراهيم عليه السلام ودخل
في هذا الوعيد ان الله لا يهدي القوم الظالمين يعني انه لا يرشد ولا يوفق من كذب على الله واضاف اليه ما لم
يشرعه لعباده قوله عز وجل قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه اعلم انه لما بين الله تعالى فساد طريقة
اهل الجاهلية وما كانوا عليه من التحريم والتحليل من عند انفسهم واتباع اهوائهم فيما احلوه وحرموه من
المطعومات اتبعه بالبيان الصحيح في ذلك وبين ان التحريم والتحليل لا يكون الا بوحي سماوي وشرع نبوي
فقال تعالى قل اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الجاهلين الذين يحللون ويحرمون من عند انفسهم لا اجد فيما
اوحي الي وذلك انهم قالوا فما المحرم اذا فنزل قل لا اجد فيما اوحي الي محرما يعني شيئا محرما على طاعم
يطعمه يعني على اكل ياكله الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا يعني سائلا مصبوبا او لحم خنزير فانه
رجس اي نجس او فسقا اهل لغير الله به يعني ما ذبح على غير اسم الله فبين الله في هذه الاية ان
التحريم والتحليل لا يكون الا بوحي منه وان المحرمات محصورة في الاربعة اشياء المذكورة في هذه الاية في
هذه الاية وهي الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح على غير اسمه وهذا مبالغة ان التحريم
لا يخرج عن هذه الاربعة اشياء وذلك لانه ثبت انه لا طريق الى معرفة المحرمات الا بالوحي وثبت ان الله تعالى
نفى في هذه الاية ويروى ذلك عن ابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير وهو ظاهر مذهب مالك
واحتجوا على ذلك بان هذه الاية وان كانت مكية لكن يعضدها اية مدنية وهي قوله تعالى في سورة البقرة
انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله وكلمة انما تفيد الحصر فصارت هذه الاية
المدنية مطابقة للاية المكية في الحكم وذهب جمهور العلماء الى ان هذا التحريم لا يختص بهذه الاشياء المنصوص
عليها في هذه الاية فان المحرم بنص الكتاب هو ما ذكر في هذه الاية وقد حرمت السنة اشياء وجب القول

فانهاكم عنها تحريم الحمر الاهلية وكل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير عن المقدام بن معدي كرب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على اريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله
فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وانما حرم رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما حرم الله اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ولابي داود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا اني اوتيت الكتاب ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على اريكته يقول عليكم
بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه الا لا يحل لكم الحمار الاهلي
ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة معاهد الا ان يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم ان
يقروه فان لم يقروه فله ان يعقبهم بمثل قراه عن ابن عباس قال كان اهل الجاهلية ياكلون اشياء ويتركون
اشياء تقذرا فبعث الله نبيه وانزل كتابه واحل حلاله وحرم حرامه فما احل فهو حلال وما حرم فهو
حرام وما سكت عنه فهو عفو وتلا قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الاية
اخرجه ابو داود م عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب من السباع وكل
ذي مخلب من الطير م عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن اكل لحوم الحمر الاهلية ق عن جابر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية واذن في الخيل وفي رواية اكلنا من خيبر الخيل
وحمر الوحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن
اكل الهر واكل ثمنه اخرجه ابو داود وقد استثنى الشرع من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد
والطحال واباح اكل ذلك وقد يقوم دليله والاصل في ذلك عند الشافعي ان كل ما لم يرد فيه نص بتحريم
او تحليل فان كان امر الشرع بقتله كما ورد في الصحيح خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم وهي الحية
والعقرب والفارة والحداة والكلب العقور وروي عن سعد بن ابي وقاص ان النبي صلى الله عليه وسلم
امر بقتل الوزغ اخرجه البخاري ومسلم وزاد فيه وسماه فويسقا وعن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن قتل اربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد اخرجه ابو داود فهذا كله
حرام الاكل وما سوى ذلك فالمرجع فيه الى الاغلب من عادة العرب فما يستطيبه الاغلب منهم فهو
حلال وما يستخبثه الاغلب منهم ولا ياكلونه فهو حرام لان الله تعالى خاطبهم بقوله احل لكم الطيبات فما
استطابوه فهو حلال بهذا تقرر ما يحل وما يحرم من المطعومات واما الجواب عن الاية الكريمة فمن وجوه
احدها ان يكون المعنى لا اجد محرما مما كان اهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائب وغيرها الا ما
اوحي الي في هذه الوجه الثاني ان يكون المراد وقت نزول هذه الاية لم يكن محرما غير ما ذكر ونص
في هذه الاية ثم حرم بعد نزولها اشياء اخر الوجه الثالث يحتمل ان هذا اللفظ العام خاص بدليل اخر
وهو ما ورد في السنة الوجه الرابع ان ما ذكر في هذه الاية محرم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو ما ورد في السنة من المحرمات والله اعلم وفي الاية احكام في قوله تعالى او دما مسفوحا هو ما
سال من الحيوان اما في حال الحياة او عند الذبح فان ذلك الدم حرام ونجس وما سوى ذلك كالكبد
والطحال فانهما حلال لانهما دمان جامدان وقد ورد الحديث باحلالهما ولا ما اختلط باللحم من الدم لانه
غير سائل قال عمران بن حدير سالت ابا مجلز عما اختلط باللحم من الدم لانه غير سائل وعن القدر
يرى فيها حمرة الدم فقال لا باس بذلك وانما نهي عن الدم المسفوح وقال ابراهيم النخعي لا باس بالدم في عرق

او دما مسفوحا وقال عكرمة لولا هذه الاية لتتبع المسلمون الاثر من العروق ما يتتبع اليهود وقوله تعالى
فمن اضطر غير باغ ولا عاد لما بين الله المحرمات في الاية ثم اباح اكلها عند الاضطرار من غير بغي في قوله فان ربك غفور
رحيم دليل على الرخصة والاباحة عند الاضطرار وعلى الذين هادوا يعني اليهود حرمنا كل ذي ظفر قال
ابن عباس هو البعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب وقيل كل ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهائم
والطير مثل البعير والنعامة والاوز والبط قال القتيبي هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من
الدواب وسمي الحافر ظفرا على الاستعارة ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما يعني شحم الجوف وهي الثروب
وشحم الكليتين الا ما حملت ظهورهما هذا القول مختص بالغنم لان البقر ليس لها اليه او الحوايا وهي المباعر
في قول ابن عباس وجمهور المفسرين واحدها حاوية وحوية وقيل الحوايا المباعر والمصارين وهي الدوائر التي في
بطن الشاة والمعنى ان الشحم الملتصق بالمباعر والمصارين غير محرم على اليهود او ما اختلط بعظم يعني شحم الالية لانه
اختلط بالعصعص فكذا الشحم المختلط بالعظام التي تكون في الراس والعين فكل هذه حلال على اليهود فحاصل
هذا ان الذي حرم عليهم هو الشحم الثرب وشحم الكلية وما عدا ذلك فهو حلال عليهم ق عن جابر بن عبد الله
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح بمكة ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقيل
يا رسول الله ارايت شحوم الميتة فانه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا
هو حرام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله لما حرم عليهم شحومها جملوه ثم
باعوه فاكلوا ثمنه قوله جملوه يعني اذابوه يقال اجملت الشحوم وجملتها اذا اذبتها وجملتها اكثر وافصح وقوله تعالى
ذلك جزيناهم اي ذلك التحريم جزيناهم عقوبة ببغيهم يعني في الاخبار عن بغيهم وفي الاخبار عن تخصيصهم
هذا التحريم ۝ فان كذبوك فقل يعني فان كذبوك اليهود يا محمد فيما اخبرناك بما حرمت عليهم واحللناه
حابيا في هذه الاية المتقدمة فقل ربكم ذو رحمة واسعة يعني بتاخير العقوبة عنكم فان رحمته تسع المسيء والمحسن
فلا يعجل العقوبة على من كفر وعصاه ولا يرد باسه يعني فلا يرد عذابه ونقمته اذا جاء وقتها عن القوم المجرمين
يعني الذين كذبوا الانبياء وهم الكفار واليهود قوله عز وجل سيقول الذين اشركوا لما لزمتهم الحجة وتيقنوا
وبطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه الله اخبر الله عنهم بما سيقولونه فقال تعالى الذين
اشركوا لما لزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك وتحريم ما لم يحرمه الله اخبر الله عنهم
~~لو شاء الله ما~~ اشركوا يعني من مشركي قريش والعرب ۝ لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا يعني من قبل قال
المفسرون جعلوا قولهم لو شاء الله ما اشركنا حجة على اقامتهم على الكفر والشرك وقالوا ان الله قادر على
ان يحول بيننا وبين ذلك ولا حرمنا من شيء يعني ما حرموه من البحيرة والسوائب وغير ذلك فقال الله عز وجل ردا
عليهم كذلك كذب الذين من قبلهم يعني من كفار الامم الخالية الذين كانوا قبل قومك كذبوا انبياءهم وقالوا
مثل قول هؤلاء حتى ذاقوا باسنا يعني عذابنا فصل استدل القدرية والمعتزلة بهذه الاية فقالوا
ان القوم لما قالوا لو شاء الله ما اشركنا كذبهم الله ورد عليهم بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم وايضا فان الله تعالى
حكى عن هؤلاء الكفار صريح مذهب المجبرة وهو قولهم لو شاء الله منا ان لا نشرك لم نشرك ولمنعنا عن هذا الكفر
وحيث لم يمنعنا عنه ثبت انه مريد له واذا اراده منا امتنع تركه منا واجيب عن هذا بان الله تعالى حكى
عن هؤلاء الكفار انهم قالوا لو شاء الله ما اشركنا وهذا القول حق وصدق ولكن الكذب في قولهم ان الله امرنا به
ورضي ما نحن عليه كما اخبر عنهم في سورة الاعراف واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا

سيقوله

وتكذيب

بها فرد الله عليهم ذلك بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء والدليل ان التكذيب في قولهم ان الله يامرنا
بهذا ورضيه منا لا في قولهم لو شاء الله ما اشركنا قوله كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم
الى الكذب لا الى التكذيب وقال الحسين بن الفضل لو قالوا هذه المقالة تعظيما واجلالا ومعرفة
بالله وبما يقولون وقيل في معنى الاية انهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة وهو قولهم لو شاء الله ما اشركنا
الا انهم كانوا يعتذرون عذرا لانفسهم ويجعلونه حجة لهم في ترك الايمان والرد عليهم في ذلك ان امر
الله بمعزل عن مشيئته وارادته فانه تعالى مريد لجميع الكائنات غير امر بجميع ما يريد فعلى العبد ان
يتبع امره وليس له ان يتعلق بمشيئته فان مشيئته لا تكون عذرا لاحد فان الله يفعل ما
يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه في افعاله يشاء الكفر من الكافر ولا يرضى به ولا يامر به ومع
هذا يبعث الرسل الى العبد ويامره بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة غير ممتنع فالحاصل انه
تعالى حكى عن الكفار انهم يتمسكون بمشيئة الله في شركهم وكفرهم فاخبر الله تعالى ان هذا التمسك فاسد
باطل فانه لا يلزم من ثبوت المشيئة لله تعالى في كل الامور دفع دعوة الانبياء عليهم السلام والله اعلم وقوله تعالى
قل اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين لو شاء الله ما اشركنا ولكن رضي ما نحن عليه من الشرك هل
عندكم يعني بدعواكم ما تدعون من علم يعني من حجة وكتاب يوجب اليقين من العلم فتخرجوه لنا فتظهروا
ذلك العلم لنا وتبينوه كما بينا لكم ومعنى ذلك في العقول واستحالته في العقول ان تتبعون الا
الظن يعني فيما انتم عليه من الشرك وتحريم ما لم يحرمه الله عليكم وتحسبون انكم على حق وانما هو باطل وان
انتم الا تخرصون يعني وما انتم في ذلك كله الا تكذبون وتقولون على الله الباطل قوله تعالى قل
فلله الحجة البالغة يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين حين عجزوا عن اظهار علم او حجة لهم فلله الحجة البالغة
يعني قل يا محمد ان لله على خلقه بانزال الكتاب وارسال الرسل قال الربيع بن انس لا حجة لاحد
عصى الله واشرك به على الله ولكن لله الحجة البالغة على عباده فلو شاء الله لهداكم اجمعين يعني
ولو شاء الله لوفقكم اجمعين للهداية ولكنه لم يشأ ذلك وفيه دليل على انه تعالى لم يشأ ايمان الكفار
ولو شاء لهداهم لا يسال عما يفعل وهم يسالون ۝ قل هلم شهداءكم الذين يشهدون يعني هاتوا وادعوا شهداءكم
وهلم كلمة دعوة الى الشيء يستوي فيه الواحد والاثنين والجمع والذكر والانثى هلم واللغة الاولى افصح ۝
ان الله حرم هذا وهذا ابينة من الله تعالى باستدعاء الشهود من الكفار على تحريم ما حرموه على
انفسهم وقالوا ان الله امرنا به ليظهر ان لا شاهد لهم على ذلك وانهم اختلقوه من عند انفسهم فان
شهدوا فلا تشهد معهم وهذا ابينة من الله ما استدعا الشهود من الكفار على تحريم ما حرموه
على انفسهم وقالوا ان الله امرنا بها ايضا على قولهم كاذبين في شهادتهم فلا تشهد انت يا محمد معهم
في شهادتهم كاذبين ۝ ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا يعني ان وقع منهم شهادة فانها هي باتباع الهوى
فلا تتبع انت يا محمد اهواءهم ولكن اتبع ما اوحي اليك من كتابي الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه والذين لا يؤمنون اي ولا تتبع اهواء الذين لا يؤمنون بالاخرة وهم بربهم يعدلون يعني يشركون
قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم لما بين الله تعالى فساد مقالة الكفار فيما زعموا ان
الله امرهم بتحريم ما حرموه على انفسهم فكانهم سالوا وقالوا اي شيء حرم الله فامر الله عز وجل نبيه
محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم تعالوا تعال من الخاص الذي صار عاما واصله ان يقول من

من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وقيل اصله ان تدعو الانسان الى
مكان مرتفع وهو من العلو وهو ارتفاع البركة فكانه دعاه الى ما فيه رفعة وشرف ثم كثر في الاستعمال والمعنى
تعالوا وهلموا ايها القوم اتل اي اقرا ما حرم ربكم عليكم يعني الذي حرم ربكم عليكم حقا يقينا لا شك فيه ولا
ظنا ولا كذبا كما تزعمون انتم بل هو وحي اوحاه الله الي وهو ان لا تشركوا به شيئا فان قلت ترك الاشراك واجب
فما معنى قوله الا تشركوا به شيئا لانه كالتفصيل لما اجمله في قوله حرم ربكم عليكم وذلك لا يجوز قلت الجواب
عنه من وجوه الوجه الاول ان يكون موضع ان رفع معناه هو ان لا تشركوا الوجه الثاني ان يكون محله
النصب واختلفوا في وجه انتصابه فقيل معناه ان تشركوا ويكون لا صلة وقيل ان حرف لا على
اصلها ويكون المعنى اتل عليكم تحريم الشرك ان لا تشركوا ويكون المعنى اوصيكم ان لا تشركوا به شيئا لان
قوله وبالوالدين احسانا محمول على اوصيكم بالوالدين احسانا الوجه الثالث ان يكون الكلام قد تم
عند قوله حرم ربكم عليكم ثم قال ان لا تشركوا على الاغراء والمعنى فرض عليكم ان لا تشركوا به شيئا ومعنى
هذا الاشراك الذي حرمه الله ونهى عنه هو ان يجعل لله شريكا من خلقه او يطيع مخلوقا في معصية
الخالق او يريد بعبادته رياء وسمعة ومنه قوله ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقوله تعالى وبالوالدين
احسانا اي وفرض عليكم ووصاكم بالوالدين احسانا وانما ثنى بالوصية بالاحسان الى الوالدين لان اعظم
النعم على الانسان نعمة الله ثم نعمة الوالدين لانه هو اخرجه من العدم الى الوجود وخلقه واوجده بعد ان لم
يكن شيئا ثم بعد نعمة الله نعمة الوالدين لانهما السبب في وجود الانسان لما لهما عليه من حق التربية والشفقة
والحفظ من المهالك في حال صغره ولا تقتلوا اولادكم من املاق يعني من خوف الفقر والاملاق الاقتار
والمراد بالقتل واد البنات وهن احياء وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية فنهاهم الله عن ذلك وحرمه
عليهم نحن نرزقكم واياهم يعني لا تئدوا بناتكم خوف العيلة والفقر فاني رازقكم واياهم لان الله تعالى اذا
تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام بحق الولد وتربيته والاتكال في امر الرزق على الله عز وجل
ولا تقربوا الفواحش يعني الزنا ما ظهر منها وما بطن يعني علانيته وسره وكان اهل الجاهلية يستقبحون الزنا في
العلانية ولا يرون به باسا في السر فحرم الله عز وجل الزنا في السر والعلانية وقيل ان الاولى حمل لفظ
الفواحش على العموم اولى من تخصيصه بنوع من الفواحش المحرمات والمنهيات فيدخل فيه الزنا وغيره
لان المعنى الموجب لهذا النهي هو كونها فاحشة فحمل اللفظ على العموم وفي قوله ما ظهر منها وما بطن دقيقة
وهي ان الانسان اذا احترز عن المعاصي في الظاهر ولم يحترز منها في الباطن دل ذلك على ان احترازه عنها
ليس لاجل الخوف من الله تعالى وانما خوف ملامة الناس ومذمتهم ومن كان كذلك استحق العقاب ومن
ترك المعصية ظاهرا وباطنا لاجل خوف الله وتعظيمه لامره استوجب رضوان الله وثوابه ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله الا بالحق حرم الله تعالى قتل النفس الا بالحق وقتلها من اعظم الفواحش المتقدم ذكرها في قوله تعالى
ولا تقربوا الفواحش وانما افرد قتل النفس بالذكر تعظيما لامر القتل وانه من اعظم الفواحش والكبائر
وقيل انما افرده بالذكر لانه تعالى اراد ان يستثني منه ولا يمكن ذلك الاستثناء من جملة الفواحش الا
بالافراد فلذلك قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله يعني قتلها الا بالحق وهو الذي يبيح قتلها من ردة او
قصاص او زنا بعد احصان وهو الذي يوجب الرجم ق عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس

والتارك

والتارك لدينه المفارق للجماعة وقوله تعالى ذلكم يعني ما ذكر من الاوامر والنواهي المحرمات وصاكم به يعني واوجبه
عليكم لعلكم تعقلون يعني لكي تفهموا ما في هذه التكاليف من الفوائد والمنافع فتعملوا بها قوله تعالى ولا تقربوا
مال اليتيم الا بالتي هي احسن يعني ولا تقربوا مال اليتيم الا بما فيه صلاحه وتثميره وتحصيل الربح له قال مجاهد
هو التجارة فيه وقال الضحاك هو ان تسعى له فيه ولا تاخذ من ربحه شيئا هذا اذا كان القيم بالمال غنيا
غير محتاج فلو كان الوصي محتاجا فله ان ياكل بالمعروف حتى يبلغ اشده يعني احفظوا مال اليتيم الى ان
يبلغ اشده فاذا بلغ اشده فادفعوا اليه ماله فاما الاشد فهو استحكام قوة الشباب والسن
حتى يتناهى في الشباب الى حد الرجال قال الشعبي ومالك الاشد الحلم حتى يكتب له الحسنات ويكتب عليه
السيئات قال ابو العالية حتى يعقل وتجتمع قوته وقال الكلبي الاشد ما بين ثماني عشرة سنة الى ثلاثين سنة
وقيل الى اربعين وقيل الى ستين سنة وقال الضحاك الاشد عشرون سنة وقال السدي الاشد ثلاثون
سنة وقال مجاهد الاشد ثلث وثلثون سنة وهذه الاقوال التي نقلت عن المفسرين في هذه الاية انما هي نهاية
الاشد لا ابتداؤه والمراد بالاشد في هذه الاية هو بلوغ الحلم مع ايناس الرشد وهذا هو المختار في
تفسير هذه الاية وقوله تعالى واوفوا الكيل والميزان بالقسط يعني بالعدل من غير زيادة ولا نقصان
لا نكلف نفسا الا وسعها يعني طاقتها وما يسعها في ايفاء الكيل والميزان وانما لم يكلف المعطي ان
يعطي اكثر مما وجب عليه ولم يكلف صاحب الحق الرضا باقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل امر
كل واحد بما يسعه مما لا حرج عليه فيه واذا قلتم فاعدلوا يعني في الحكم والشهادة ولو كان ذا قربى
يعني المحكوم عليه وكذا المشهود عليه وقيل ان الامر بالعدل في القول هو اعم من الحكم والشهادة
ولو كان ذا قربى بل يدخل فيه كل قول حتى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير زيادة ولا نقصان
واداء الامانة وغير ذلك من جميع الاقوال التي يعتبر فيها العدل والصدق وبعهد الله اوفوا يعني
ما عهد الى عباده ووصاهم به واوجبه عليهم او ما اوجبه الانسان على نفسه كالنذر ونحوه فيجب الوفاء به
ذلكم يعني الذي ذكر في هذه الايات وصاكم به يعني بالعمل به لعلكم تذكرون يعني لعلكم تتعظون وتتذكرون
فتاخذوا ما امركم به قوله عز وجل وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه يعني وان هذا الذي وصاكم
به وامركم به في هاتين الايتين هو صراطي يعني طريقي وديني الذي ارتضيته لعبادي مستقيما يعني قويما
لا اعوجاج فيه فاتبعوه يعني فاعملوا به وقيل ان الله تعالى لما بين في الايتين المتقدمتين ما وصى به
مفصلا اجمله في هذه الاية اجمالا يقتضي دخول جميع ما تقدم ذكره فيه ويدخل فيه ايضا جميع
احكام الشريعة وكلما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام هو المنهج القويم والصراط المستقيم
والدين الذي ارتضاه لعباده المؤمنين وامرهم باتباع جملته وتفصيله ولا تتبعوا السبل يعني
الطرق المختلفة والاهواء المضلة والبدع المردية وقيل السبل المختلفة مثل اليهودية والنصرانية
وساير الملل والاديان المخالفة لدين الاسلام فتفرق بكم عن سبيله يعني فتميل بكم هذه الطرق
المختلفة المضلة عن دينه وطريقه الذي ارتضاه لعباده روى البغوي بسنده عن ابن مسعود
قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه
وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه وقرا وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الاية ذلكم وصاكم به يعني باتباع دينه وصراطه الذي لا اعوجاج فيه

القيم

لعلكم تتقون يعني الطرق المختلفة والسبل المضلة قال ابن عباس هذه الآيات محكمات في جميع الكتب لم ينسخهن
شيء وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار عن ابن مسعود
رضي الله عنه قال من سره أن ينظر إلى الصحيفة التي عليها خاتم محمد صلى الله عليه وسلم فليقرأ هذه الآيات قل تعالوا
أتل ما حرم ربكم الآيات إلى قوله لعلكم تتقون أخرجه الترمذي وقال حسن غريب قوله تعالى ثم آتينا موسى الكتاب
كان هذا من القرآن وحرف ثم للتعقيب فما معنى ذلك قلت دخلت ثم لتأخير الخبر لا لتأخير النزول والمعنى
قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم وهو كذا وكذا إلى قوله تتقون ثم أخبركم أنا آتينا موسى الكتاب وقيل إن
المحرمات المذكورة في قوله قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم محرمات على جميع الأمم في جميع الشرائع فتقدير الكلام
ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم بعد ذلك آتينا موسى الكتاب يعني بعد إيجاب هذه المحرمات وقيل
معناه قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ثم قل بعد ذكر ما حرما أنا آتينا موسى الكتاب فحذف لفظة قل لدلالة الكلام
عليه وقوله تعالى تماما على الذي أحسن يعني التوراة تماما اختلف العلماء أهل التفسير فيه فقيل
معناه تماما على المحسنين من قومه فيكون الذي بمعنى من أي تماما على من أحسن من قومه لأنه كان
منهم محسن ومسيء وعلى قراءة ابن مسعود تماما على الذين أحسنوا وقيل معناه تماما على كل من
أحسن أي أتممت فضله عليهم بالكتاب وقيل الذي أحسن هو موسى فيكون الذي بمعنى ما أي على ما
أحسن وتقديره وآتينا موسى الكتاب إتماما عليه لإحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة
وأداء الأمر وقيل الإحسان بمعنى العلم وتقديره آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن موسى من العلم
والحكمة زيادة له على ذلك وقيل معناه إتماما مني على إحساني إلى موسى وتفصيلا لكل شيء يعني وفيه بيانا
لكل شيء يحتاج إليه من شرائع الدين وأحكامه وهدى ورحمة يعني أنزله رحمة مني عليهم لعلهم بلقاء
ربهم يؤمنون قال ابن عباس لكي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب قوله عز وجل وهذا كتاب
أنزلناه مبارك يعني القرآن لأنه كثير الخير والنفع والبركة لا يتطرق إليه النسخ فاتبعوه يعني فاعملوا بما فيه من
الأوامر والنواهي والأحكام واتقوا يعني مخالفته لعلكم ترحمون يعني لكي ترحموا وقيل معناه
لكي ترحموا على التقوى أن تقولوا يعني لئلا تقولوا وقيل معناه كراهة أن تقولوا يعني أنزلنا
إليكم الكتاب كراهة أن تقولوا إنما أنزل الكتاب وقيل معناه كراهية أن تقولوا ويجوز أن تكون متعلقة
بما قبلها فيكون المعنى واتقوا أن تقولوا إنما أنزل الكتاب وهذا خطاب لأهل مكة والمعنى واتقوا يا أهل مكة
أن تقولوا إنما أنزل الكتاب اسم جنس لأن المراد به التوراة والإنجيل على طائفتين من قبلنا يعني اليهود
والنصارى وإن كنا أي وقد كنا وقيل وإنه كنا عن دراستهم يعني قراءتهم لغافلين يعني لا علم لنا بما
فيها لأنه ليس بلغتنا والمراد بهذه الآية إثبات الحجة على أهل مكة وقطع عذرهم بإنزال القرآن على محمد
صلى الله عليه وسلم بلغتهم والمعنى وأنزلنا القرآن عليهم لئلا يقولوا يوم القيامة التوراة والإنجيل أنزلا على
طائفتين من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم نعرف ما فيهما فقطع الله عز وجل عذرهم بإنزال القرآن بلغتهم أو
تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم وذلك أن جماعة من الكفار قالوا لو أنا أنزل علينا ما
أنزل على اليهود والنصارى لكنا خيرا منهم وأهدى وإنما قالوا ذلك لاعتمادهم على صحة عقولهم وجودة
فطنتهم وذهنهم قال الله عز وجل فقد جاءكم بينة من ربكم يعني هذا القرآن فيه بيان وحجة واضحة
تعرفونها وهدى من الضلالة ورحمة يعني وهو رحمة ونعمة أنعم الله بها عليكم فمن أظلم أي لا أحد أظلم

يعني عنه بين اصطلاح م

الفرض م

ممن كذب بآيات الله وصدف عنها يعني وأعرض عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب يعني أسوأ
العذاب وأشده بما كانوا يصدفون أي ذلك العذاب جزاؤهم بسبب إعراضهم وتكذيبهم بآيات الله قوله تعالى
هل ينظرون أي هل ينتظرون هؤلاء بعد تكذيبهم الرسل وإنكارهم القرآن وصدهم عن آيات الله وهو استفهام
معناه النفي وتقدير الآية أنهم لا يؤمنون بك إلا إذا جاءهم إحدى هذه الأمور الثلاثة فإذا جاءهم إحداها
آمنوا وذلك حين لا ينفعهم إيمانهم إلا أن تأتيهم الملائكة يعني لقبض أرواحهم وقيل بالعذاب
أو يأتي ربك يعني للحكم وفصل القضاء بين الخلق يوم القيامة وقد تقدم الكلام في معنى الآية في سورة البقرة عند
قوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام بما فيه كفاية وأن المجيء والذهاب على الله محال
فيجب إمرارها بلا تكييف أو يأتي بعض آيات ربك قال جمهور المفسرين هو طلوع الشمس من مغربها
ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة إذا خرجن لا ينفع نفسا
إيمانها لم تكن آمنت من قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض أخرجه مسلم عن
أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله أو يأتي بعض آيات ربك قال طلوع الشمس أخرجه الترمذي
وقال حديث غريب م عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع
الشمس من مغربها تاب الله عليه عن صفوان بن عسال المرادي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن بابا
من قبل المغرب مسيرة عرضه أو قال يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين سنة خلقه الله تعالى
يوم خلق السموات والأرض مفتوحا للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه أخرجه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح ق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها
فإذا رآها الناس آمن من عليها أو كسبت في إيمانها خيرا ولمسلم وفي رواية فإذا طلعت ورآها
الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها
خيرا م عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون
قلنا الساعة قال إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدجال والدخان والدابة وطلوع
الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف
بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تطرد الناس إلى محشرهم م عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بادروا بالأعمال ستا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيها
كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود
في تفسير هذه الآية قال يصبحون والشمس والقمر من ها هنا من قبل المغرب كالبعيرين القرينين
زاد في رواية عنه فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ولسنده
عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أتدرون أين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله أعلم
قال إنها تذهب إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارجعي من حيث
جئت فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة ثم
فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارجعي من حيث مغربك فتصبح طالعة من مغربها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أتدرون أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل
أو كسبت في إيمانها خيرا ولسنده عن أبي ذر قال كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم على حمار

حسن م

فنظر الى الشمس حين غربت فقال انها تغرب في عين حمية تنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش حتى يؤذن
لها فاذا اراد ان يطلعها من مغربها حبسها فتقول يارب ان مسيري بعيد فيقول لها اطلعي من حيث غربت
فذلك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل وروي بسنده عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
عشية من العشيات فقال لهم عباد الله توبوا الى الله بقراب فانكم توشكون ان تروا الشمس من قبل
المغرب فاذا فعلت حبست التوبة وطوي العمل فقال الناس هل لذلك من اية يا رسول الله قال ان اية ذلك
تلك الليلة تطول كقدر ثلث ليال فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون له ثم يقضون صلاتهم والليل
مكانه لم ينقض ثم ياتون مضاجعهم فينامون حتى اذا استيقظوا والليل مكانه فاذا راوا ذلك
خافوا ان يكون ذلك بين يدي امر عظيم فاذا اصبحوا وطال عليهم راث عليهم طلوع الشمس فبينما هم ينتظرونها
اذ طلعت عليهم من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل قال ابن عباس
لا ينفع مشركا ايمانه عند الايات وينفع اهل الايمان عند الايات ان كانوا اكتسبوا خيرا قبل ذلك قال ابن الجوزي
قيل ان الحكمة في طلوع الشمس من مغربها ان الملحدة والمنجمين زعموا ان ذلك لا يكون فيريهم الله قدرته فيطلعها
من المغرب كما اطلعها من المشرق فيتحقق عجزهم وقيل بل ذلك بعض الايات الثلث الدابة ويا جوج وماجوج
او طلوع الشمس من مغربها يروى عن ابن مسعود انه قال التوبة معروضة على ابن ادم ان قبلها ما لم تخرج
احدى ثلاث الدابة وطلوع الشمس من مغربها او ياجوج وماجوج وروي عن عايشة قالت اذا خرج
اول الايات طرحت التوبة وحبست الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال ويروى عن ابي هريرة
قوله يوم ياتي بعض ايات ربك قال هي مجموع الايات الثلاث طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة
الارض ورواه مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل
او كسبت في ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض واصح الاقوال في ذلك ما
تظاهرت عليه الاحاديث وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه طلوع الشمس من مغربها يوم ياتي بعض
ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل يعني لا ينفع من كان مشركا ايمانه ولا يقبل توبة التي
فاسق عند ظهور الاية العظيمة التي تضطرهم الى الايمان والتوبة او كسبت في ايمانها خيرا يعني او عملت
قبل ظهور هذه الاية خيرا من عمل صالح وتصديق قال الضحاك من ادركه بعض الايات وهو على عمل
صالح مع ايمانه قبل الله منه العمل بعد نزول الايات كما قبل ذلك فاما من امن من شرك او تاب
من معصية عند ظهور هذه الاية فلا تقبل منه لانها حالة اضطرار كما لو ارسل الله عذابا على امة فامنوا وصدقوا
فانهم لا ينفعهم ذلك لمعاينتهم الاهوال والشدايد التي تضطرهم الى الايمان والتوبة قوله تعالى قل انتظروا يعني ما
وعدتم به من مجي الاية تهديد ووعيد وتهديد انا منتظرون يعني ما وعدكم ربكم يوم القيمة من العذاب او قبلها
في الدنيا قال بعض المفسرين وهذا انما يستقيم من تاخر في الوجود من المشركين والمكذبين لمحمد صلى الله عليه وسلم الى
ذلك الوقت والمراد بهذا ان المشركين انما يمهلون قدر مدة الدنيا فاذا ماتوا او ظهرت الايات لم ينفعهم
الايمان وحلت بهم العقوبة اللازمة ابدا وقيل ان قوله قل انتظروا انا منتظرون المراد منه الكف عن
قتال الكفار فتكون الاية منسوخة باية القتال وعلى القول الاول تكون الاية محكمة قوله عز وجل
ان الذين فرقوا دينهم وقرئ فارقوا دينهم وكانوا شيعا يعني احزابا متفرقة في الضلال ومعنى فرقوا
دينهم انهم لم يجتمعوا عليه وكانوا مختلفين فيه فمن قرا فرقوا يعني جعلوا دينهم وهو دين ابرهيم الحنيفية الكلمة

اديانا مختلفة كاليهودية والنصرانية وعبادة الاصنام ونحو ذلك من الاديان المختلفة ومن قرا فارقوا دينهم
فان معناه باينوا وتركوا من المفارقة للشي وفي الخلاف معنى القرائتين يرجع الى شي واحد في الحقيقة وهو
ان من فرق دينه فامن ببعض وانكر بعضا فقد فارق دينه في الحقيقة ثم اختلفوا في المعني بهذه الاية فقال
الحسن هم جميع المشركين لان بعضهم عبد الاصنام وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وبعضهم عبد الملائكة
وقالوا الملائكة بنات الله وبعضهم عبد الكواكب وكان هذا تفريق دينهم وقال مجاهد هم اليهود والنصارى لانهم
تفرقوا فكانوا فرقا مختلفة وقال ابو هريرة في هذه الاية هم اهل الضلالة من هذه الامة وروي ذلك
مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شي وليسوا
منك هم اهل البدع واهل الشبهات واهل الضلالة من هذه الامة واسناده غريب فعلى هذا
يكون المراد من هذه الامة الحث على ان تكون كلمة المسلمين واحدة وان لا يتفرقوا في الدين ولا يبتدعوا
البدع المضلة وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعايشة يا عايشة
ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا اصحاب البدع والاهواء من هذه الامة ذكره البغوي بغير سند
عن العرباض بن سارية قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم اقبل علينا بوجهه فوعظ
موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كان هذه موعظة
مودع فاوصنا قال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا فانه من يعش
منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا
بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة اخرجه
ابو داود والترمذي عن معاوية رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان من
قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلث
وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة زاد في رواية وانه سيخرج في امتي
اقوام تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله اخرجه
ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل تفرقت
على ثنتين وسبعين ملة وستفترق امتي على ثلث وسبعين ملة كلهم في النار الا ملة واحدة قالوا من
هي يا رسول الله قال من كان على ما انا عليه واصحابي اخرجه الترمذي قال الخطابي في هذا
الحديث دلالة على ان هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين اذ جعلهم من امته وقوله تتجارى
بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه قال ابن مسعود ان احسن الحديث كتاب الله واحسن
الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها رواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا
وقوله تعالى لست منهم في شي يعني في قتال الكفار فعلى هذا يكون الاية فعلى هذا تكون الاية
منسوخة باية القتال وهذا على قول من يقول ان المراد من الاية اليهود والنصارى والكفار ومن
قال ان المراد من الاية اهل الاهواء والبدع من هذه الامة قال معناه لست منهم في شي
اي انت منهم بري وهم منك برا تقول العرب ان فعلت كذا فلست مني ولست منك اي كل واحد
منا بري من صاحبه انما امرهم الى الله يعني في الجزاء والمكافاة ثم ينبيهم بما كانوا يفعلون يعني اذا
وردوا القيمة قوله تعالى من جا بالحسنة فله عشر امثالها يعني حسنات امثالها ومن جا

التجاري تفاعل من الجري وهو الوقوع في الاهواء الفاسدة تشبيها بجري الفرس والكلب

تتجارى

عشرة

بالسيئة فلا يجزى الا مثلها يعني مثلها في مقابلتها وقد اختلفوا في هذه الحسنة والسيئة على قولين احدهما
ان الحسنة قول لا اله الا الله والسيئة هي الشرك بالله واورد على هذا القول ان كلمة التوحيد لا مثل لها حتى
يجعل جزاء قائلها عشر امثالها واجيب عنه بان جزاء الحسنة قدر معلوم عند الله فهو تعالى يجازي
على قدر ايمان ما يشاء من الجزاء وانما قال عشر امثالها للترغيب في حسنة يعملها العبد وسيئة
وهذا اولى لان حمل اللفظ على العموم اولى قال بعضهم التقدير بالعشر ليس للتحديد لان الله تعالى
يضاعف لمن يشاء في حسناته الى سبعمائة ويعطي من يشاء بغير حساب واعطى هذا الثواب لعامل
الحسنة فضل من الله تعالى هذا مذهب اهل السنة وجزاء السيئة بمثلها عدل منه سبحانه وتعالى او
يغفر وهو قوله سبحانه وتعالى وهم لا يظلمون يعني لا ينقص من ثواب الطائع ولا يزاد على عقاب العاصي
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احسن احدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب
له بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها يكتب له بمثلها حتى يلقى الله تعالى عن ابي ذر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وازيد ومن جاء بالسيئة
فجزاء سيئة بمثلها او اغفر ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا
ومن اتاني يمشي اتيته هرولة ومن لقيني بقراب الارض خطيئة بعد ان لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة
وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى واذا اراد عبدي
ان يعمل سيئة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فلا تكتبوها حتى يعملها فان عملها فاكتبوها بمثلها وان
تركها من اجلي فاكتبوها له حسنة واذا اراد ان يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فان عملها
فاكتبوها له بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف لفظ البخاري ولفظ مسلم عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تبارك وتعالى واذا تحدث عبدي بان يعمل حسنة فانا اكتبها له حسنة ما لم يعملها فاذا
عملها فانا اكتبها بعشر امثالها واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له
بمثلها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبد يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به
فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة فانما تركها فاكتبوها له حسنة
فانما تركها من جراي رواه الترمذي ثم قرا من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قوله عز وجل قل يعني قل يا محمد لهؤلاء
المشركين من قومك انني هداني ربي الى صراط مستقيم يعني قل لهم انني ارشدني ربي الى طريق قويم وهو دين
الاسلام الذي ارتضاه الله لعباده المؤمنين دينا قيما يعني هداني صراطا مستقيما لامور معاشي
ومعادي وقيل يحتمل ان يكون محمولا على المعنى تقديره وعرفني دينا قيما يعني مستقيما لا اعوجاج فيه
ولا زيغ وقيل قيما ثابتا مقوما لامور معاشي ومعادي وقيل هو من قام وهو من قام وهو ابلغ
من القائم ملة ابراهيم والملة بالكسر الدين والشريعة يعني هداني وعرفني دين ابراهيم وشريعته
حنيفا الاصل في الحنف الميل وهو ميل عن الضلالة الى الاستقامة والعرب تسمي كل من اختتن او
حج حنيفا تنبيها انه على دين ابراهيم عليه السلام وما كان من المشركين يعني ابراهيم صلى الله عليه وسلم
وفيه رد على كفار قريش لانهم يزعمون انهم على دين ابراهيم فاخبر الله تعالى ان ابراهيم لم يكن من المشركين
وممن يعبد الاصنام قل ان قل يا محمد ان صلاتي ونسكي قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك
والسدي اراد بالنسك في هذه المواضع الذبيحة في الحج والعمرة وقيل النسك العبادة وقيل

الناسك

من صلاة وحج وذبح وعبادة

المناسك اعمال الحج وقيل النسك كل ما يتقرب به الى الله عز وجل في هذه المواضع الذبيحة في الحج والعمرة ونقل
الواحدي عن ابن الاعرابي قال النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل للمتعبد ناسك
لانه يخلص نفسه من دنس الاثام وصفائها كالسبيكة المخلصة من الخبث وقوله ان صلاتي ونسكي يدل
على ان جميع العبادات تؤديها العبد على الاخلاص لله تعالى ويؤيد هذا في اخر قوله لله رب العالمين لا شريك
له وفيه دليل على ان جميع العبادات لا تؤدى الا على الوجه التام والكمال لان ما كان لله لا ينبغي
ان يكون الا كاملا تاما مع الاخلاص العبادة فان كان لهذه الصفة من العبادات كان مقبولا
ومحياي ومماتي اي حياتي ومماتي بخلق الله وقضائه وقدره اي يحييني ويميتني وقيل ان معناه
طاعتي في حياتي لله وجزائي بعد مماتي من الله وحاصل الكلام ان الله امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان
يبين ان صلواته ونسكه وسائر عباداته وحياته ومماته كلها لله واقعة بخلق الله وقضائه
وقدره وهو المراد بقوله رب العالمين لا شريك له يعني في العبادة والخلق والقضاء والقدر وسائر افعاله
لا يشاركه فيه احد وذلك ان الكفار من حلفه وبذلك امرت يعني قل يا محمد وبهذا التوحيد امرت
وانا اول المسلمين قال قتادة يعني من هذه الامة وقيل معناه وانا اول المسلمين لقضائه وقدره
قوله عز وجل قل اغير الله ابغي ربا اي قل يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك اغير الله اطلب سيدا والها
وهو رب كل شيء يعني وهو سيد كل شيء ومالكه لا يشاركه فيه احد وذلك ان الكفار قالوا للنبي صلى
الله عليه وسلم ارجع الى ديننا كان ابن عباس كان الوليد بن المغيرة يقول اتبعوا سبيلي احمل عنكم
اوزاركم فقال الله تعالى ردا عليه ولا تكسب كل نفس الا عليها يعني اثم الجاني عليه لا على غيره ولا
تزر وازرة وزر اخرى يعني لا يؤاخذ احد باثم اخر ولا تحمل نفس حاملة حمل اخرى ولا يؤاخذ احد
بذنب غيره ثم الى ربكم مرجعكم يعني يوم القيامة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون يعني في الدنيا من الاديان
والملل قوله تعالى وهو الذي جعلكم خلائف الارض يعني والله الذي جعلكم يا امة محمد خلائف في
الارض فان الله اهلك من كان قبلكم من الامم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلائف منهم في الارض
تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم وذلك ان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وهو اخرهم وامته
اخر الامم ورفع بعضكم فوق بعض درجات يعني انه تعالى خالف بين احوال عباده فجعل بعضهم
فوق بعض في الخلق والرزق والشرف والعقل والقوة والفضل فجعل منهم الحسن والقبيح والغني
والفقير والشريف والعاقل وذو القوة والوضيع والعالم والجاهل والقوي والضعيف وهذا
التفاوت بين الخلق في الدرجات ليس لاجل العجز والجهل او البخل فان الله سبحانه منزه عن صفات
النقص وانما هو لاجل الابتلاء والامتحان وهو قوله تعالى ليبلوكم فيما اتاكم يعني ليعاملكم معاملة
المبتلي والمختبر وهو اعلم باحوال عباده والمعنى ليبتلي الغني بغناه والفقير بفقره والشريف
بشرفه والوضيع بدناءته والعبد والحر وغيرهم من جميع اصناف خلقه ليظهر منكم ما يكون عليه
الثواب والعقاب لان العبد اما ان يكون مقصرا فيما كلف به واما ان يكون موفيا ما امر به
فان كان مقصرا كان نصيبه التخويف والترهيب وهو قوله ان ربك سريع العقاب يعني
لاعدائه واهلاكهم في الدنيا وانما وصف العقاب بالسرعة لان كل ما هو ات قريب وان كان العبد موفيا
حقوق الله فيما امره به اولاه التشريف والتكريم وهو قوله تعالى وانه لغفور رحيم بجمع لذنوبه

كان نصيبه الترغيب

اوليائه واهل طاعته رحيم بجميع خلقه والله اعلم باسرار كتابه والحمد لله وحده

تم الجزء الاول من معاني التنزيل

للامام العلامة الشيخ نور الدين المشتهر بابن الخازن غفر الله له امين